

(١٤٤٤)

المصريون

أهل مصر في مصنفات المقريزي

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٦هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"الله عليهم جندا من البعوض فأعمى أعين الدواب ودخل خياشيم الرجال حتى ماتوا، وأبقى الله نمروذ، وقد دخلت خيشومه بعوضة فسكنت دماغه حتى كان أحب الناس إليه من ضرب رأسه ليكف عنه أكل البعوض. ثم هلك بعد ذلك.

فأوحى الله تعالى إلى إبراهيم بهلاك نمروذ وجنوده. فرفع من مدين إلى مصر فدخلها ليمتار منها، وكان معه ثلاثمائة رجل، وعلى مصر يومئذ عمرو بن امرئ القيس بن سابليون بن سبأ، وهو عبد سعلس بن يشحب بن يعرب بن قحطان.

فبلغه قدوم إبراهيم فاستدعاه وأكرمه. ثم بلغه جمال سارة امرأة إبراهيم فأمر بإحضارها. فلما عاينها افتتن بها وراودها عن نفسها فمنعها الله منه وقبض يده عنها، فردها إلى إبراهيم وأخدمها هاجر. وسار إبراهيم من مصر.

ويروى أنه لما نجى الله إبراهيم من النار خرج هو وأبوه وسارة زوجته ولوط ابن أخيه إلى حران، فأقام بها خمس سنين. فأوحى الله إلى إبراهيم أن اخرج إلى الأرض المقدسة التي أجعلها لنسلك وأبارك فيها (١) وأعظم اسمك. فسار ومعه لوط.

وكان عمر إبراهيم عند ما هاجر من حران خمسا وسبعين سنة. وخرجت معه سارة وجميع مواشيهم وخدمهم، فنزل بهم حيث مدينة القدس. فبنى عند الصخرة مذبحا لله. وكان بالأرض حينئذ غلاء ومجاعة، فتوجه إلى مصر.

وعند ما دنا منها قال لسارة: إنك امرأة حسناء، فإن رآك **المصريون** يقولون: امرأته، فيقتلونني ويأخذونك. قولي: إني أخته! .

فلما دخل مصر رأى **أهل مصر** سارة وما هي عليه من الجمال. فوصفت لفرعون.

وذكر إبراهيم بن وصيف شاه أن فرعون إبراهيم اسمه طوطيس بن ماليا بن خربتا بن ماليق بن تدارس بن سبأ، وقد ذكر في موضعه من هذا الكتاب (٢)، وذكرت سارة وما كان من خبرها مع طوطيس، وكيف أخدمها هاجر.

ثم إن إبراهيم عليه السلام لما رد الله إليه سارة خرج بها من مصر بعد ما أقام بها ثلاثة أشهر، وقد أعطتها حوريا ابنة طوطيس [ها] جر وزودتها بسلال من جلود فيها زاد، وجعلت تحت الزاد جواهر وذهبا مصوغا مرصعا. وكان ذلك من حوريا حيلة احتالت بها: فإن إبراهيم عليه السلام كان قد رد عليهم المال الذي

حملوه إليه، فيقال:

إنه لما أمعن في السير أخرجت سارة بعض تلك السلال، فرأت الجواهر والحلي. فلما أعلمت إبراهيم به باع بعضه وحفر من ثمنه البئر التي يقال لها: بئر سبع [٥ أ] بالقرب من غزة، وجعلها سبيلا. وفرق بعضه في وجوه البر. وكان يضيف كل من مر به. وكثر ماله من الذهب والفضة والمواشي. فأمر ابن أخيه لوطا أن يتحول بمواشيه عنه خشية أن تقع المشاجرة بين رعاتهما. فسار لوط من أرض المقدس ونزل أرض سدوم، وكان من خبره ما ذكر في ترجمته من هذا الكتاب (٣).

[نزوله بحبرون]:

ونزل إبراهيم حبرون وهي التي تعرف اليوم ببلد الخليل. فكانت حروب بين ملك سدوم ومن جاوره، فأخذت مواشي لوط. فلما بلغ ذلك إبراهيمسار في ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا إلى دمشق، وقاتلهم وهزمهم ورد مواشي لوط إلى سدوم. فتلقاه ملك سدوم وبالغ في كرامته فلم يقبل منه شيئا، وعاد إلى حبرون.

---

(١) في المخطوط: فيك.

(٢) انظر ترجمته في الجزء الرابع رقم ١٤٢٦.

(٣) ترجمة لوط: لعلها في الحروف المفقودة.." (١)

"قد أصبح المملوك في شدة ... يعالج الموت من المؤتمن

١٠ - أبو إسحاق العزفي [- بعد ٧٣٧] (١)

إبراهيم بن أحمد بن محمد، أبو إسحاق، ابن أبي حاتم، ابن أبي القاسم، ابن أبي العباس، المعروف بالعزفي، بعين مهملة وزاي معجمة مفتوحتين ثم فاء، نسبة إلى جده الأعلى أبي عزفة اللخمي السبتي.

ملك أبوه أبو حاتم مدينة سبتة من بلاد الغرب، وقرأ هو النحو على الأستاذ أبي الحسن ابن أبي الربيع.

وسمع صحيح مسلم على الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير.

وقدم مصر حاجا في سنة تسع وسبعمائة. وعاد إلى بلده بعد حجه. ومات بها بعد سنة سبع وثلاثين وسبعمائة.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٢١/١

١١ - الشريف إبراهيم الرسي [- ٣٦٩] (٢)

إبراهيم بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن القاسم، الرسي، ابن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الشريف أبو إسماعيل، ابن أبي القاسم، ابن أبي عبد الله، الحسني، الرسي، من الرس من قرى المدينة النبوية- قدم مصر

واستوطنها.

وخرج مع الشريف مسلم بن عبيد الله فيمن خرج إلى لقاء القائد جوهر عند قدومه من بلاد المغرب بعساكر الإمام المعز لدين الله أبي تميم معد لأخذ مصر. فلقيه وشهد عليه في المحضر الذي كتبه **لأهل مصر** (٣).

وولي نقابة الأشراف في أيام العزيز بالله نزار ابن المعز لدين الله بعد موت أبيه أبي القاسم أحمد بن محمد الرسي في [...] شعبان سنة خمس وأربعين وثلاثمائة (٤).

وتوفي وهو نقيب بمصر ثالث عشر- وقيل:

حادي عشر [٧ ب] شعبان سنة تسع وستين وثلاثمائة من علة ابتدأت به أول الشهر. وركب العزيز بالله حتى حضر دفنه بداره. وولي النقابة بعده ابنه أبا عبد الله الحسين بن إبراهيم الرسي (٥).

وكان من أماثل الأشراف بمصر.

ومن شعره [الكامل]:

أرنو إلى الجوزاء وهي غريقة ... تبغي النجاة ولات حين نجاها

والبدر يخفق وسطها، فكأنه ... قلب لها قد ريع في أحشاها

وقال [المتقارب]:

عرفت الديار على ما بها ... وأوقفت ركبي على بابها

فلم أر فيها سوى بومها ... يصيح جهارا بأترابها

---

(١) الدرر ١/ ١٤ (رقم ١٨).

(٢) هذا الشريف الحسني شارك في مفاوضة جوهر القائد قبل عبوره إلى الفسطاط. وكان رأس الوفد الشريف الحسيني أبو جعفر مسلم بن عبيد الله. انظر اتعاظ الحنفاء ١/ ١٠٣ وما يليها.

(٣) انظر هذا المحضر في عيون الأخبار للداعي إدريس ٦٧٣ - ٦٧٨.

(٤) العزيز خلف المعز سنة ٣٦٥، فلعل هذا التاريخ غلط.

(٥) انظر ترجمة الحسين بن إبراهيم الرسي: رقم ١٢٢٢.." (١)

"وكان أبوه جمال الدين من كبار دولة المعظم عيسى.

وخدم هو الناصر داود (١) مدة، وكان من أجل أصحابه، وترسل عنه.

ثم اتصل بخدمة الناصر يوسف (٢) فأقطعه خبزا وقربه واعتمد عليه.

وولي الرحبة (٣) في أيام الظاهر ثم نقل منها إلى بعلبك. وولي البلد والقلعة. وسيره السلطان رسولا إلى عكا.

توفي يوم الخميس رابع عشر صفر سنة أربع وسبعين وستمائة بالساحل، وقد نيف على الستين. فنقل إلى ظاهر بعلبك ودفن هناك.

ومن شعره [الكامل]:

لا تلحه في وجده تغريه ... دعه ففرط ولوعه يكفيه

حكم الغرام عليه فهو كما ترى ... مغرى بتذكار الحمى يبكيه

يشتاق أيام العقيق وحبذا ... وادي العقيق وحبذا من فيه

وإذا النسيم روى سحيرا عنهم ... خبرا فيا طيب الذي يمليه!

وقال [دو بيت]:

واها لأويقات تقضت واها ... لو ساعدني الزمان في بقياها

يا عزة أيام زماني بكم ... لا أذكر غيرها ولا أنساها

٢٤٣ - قتيل باخمري [٩٧ - ١٤٥] (4)

إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، أبو إسحاق، ابن [...].

أمه وأم إخوته محمد وعيسى وإدريس الأكبر (٥) هند بنت أبي عبيدة بن زمعة (٦) بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي.

ولد سنة سبع وتسعين. وظهر بالبصرة أيام أبي جعفر المنصور، فقتله عيسى بن موسى بقرية تدعى باخمرى (٧) في سنة خمس وأربعين ومائة، وهو ابن ثمان وأربعين سنة. وأنفذ المنصور رأسه [إلى مصر] فسرقه أهل

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٢٨/١

مصر ودفنوه وبني عليه مسجد تبر (٨).

[تخلفه عن بيعة السفاح]:

وكان من خبره أن أبا جعفر المنصور لما ولي الخلافة أهمه أمر محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن

---

(١) الناصر داود: ابن المعظم عيسى صاحب الكرك (ت ٦٥٦).

(٢) الناصر يوسف: ابن العزيز ابن غازي ابن صلاح الدين (ت ٦٥٩).

(٣) الرحبة: رحبة مالك بن طوق بين دمشق وحلب.

(٤) انظر في خصوص ثورة الأخوين: الطبري ٧/ ٥٣٥ وما يليها، وابن الأثير ٥/ ١٧ ومروج الذهب ٤/ ١٤٥ - ١٥١ ومقاتل الطالبيين ١٧٢ و ٢٤٧ ومعارف ابن قتيبة ٢١٣ والوافي بالوفيات للصفدي ٦/ ٣١ (رقم ٢٤٦٤) والعقد الفريد ج ٥ ودائرة المعارف الإسلامية ٣/ ١٠٠٨ وشذرات الذهب ١/ ٢١٣.

(٥) هو إدريس الأول مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب، له ترجمة في المقفى رقم ٦٩٥.

(٦) في مقاتل الطالبيين ١٧٢: بنت أبي عبيدة بن عبد الله. وفي الأغاني ١٦/ ٢٨٢ روي لها شعر.

(٧) بين واسط والكوفة (ياقوت). وعيسى بن موسى بن محمد بن عبد الله بن عباس هو ابن عم المنصور والسفاح.

(٨) هو تبر الإخشيدي. له ترجمة وجيزة في المقفى: رقم ١٠٢٤. وفي الخطط ٤/ ٢٧١ ذكر مفصل لهذا المسجد مع تبرير تسميته عند العامة بمسجد التبن. وهذا مثال آخر من تطبيق المقريزي معياره في إدراج التراجم بكتابه: كل من دخل مصر، حيا أو ميتا، بجثة كاملة أو برأسه فقط.." [١]

"واجتهد في المراكب الحربية وأطافها بالجزيرة واستعد غاية الاستعداد. فأقام موسى بالرقة عشرة أشهر، وأحمد بن طولون في إحكام أموره.

فاضطرب أصحاب موسى عليه. ثم إنه مات في صفر سنة أربع وستين. ومات ماجور في دمشق، وخلفه ابنه علي بن ماجور، وهو صبي. فخلا [٨٨ أ] ذرعه لوفاة عبد الله بن يحيى وموسى بن بغا وماجور. وتحرك للمسير إليه وكتب إلى [ابن ماجور] أن يجهز الإقامات والأنزال لميرة العساكر فأجاب أحسن جواب.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ١٣٣/١

[جامع أحمد بن طولون]:

وبنى أحمد الجامع بجبل يشكر لشكوى **أهل مصر** من ضيق الجامع يوم الجمعة بالجند والسودان. فكان الابتداء في بنائه من سنة أربع وستين إلى أن انتهى في سنة ست وستين.

وعسكر (١) بمنية الأصبغ، واستخلف ابنه العباس على مصر، وضم إليه أحمد بن محمد الواسطي.

فسار إلى الرملة، وأقيمت له بها الدعوة ومضى إلى دمشق فتلقاه علي بن ماجور، وأقام له الدعوة بها، ثم استخلف عليها. ومضى إلى حمص فتسلمها. ثم بعث إلى سيما الطويل وهو بأنطاكية يأمره بالدعاء له فامتنع. فسار أحمد إليه في جيش عظيم وقد تحصن سيما. فحاصره أحمد ورماه بالمجانيق حتى طال على أهل البلد فأدخلوه إليه في المحرم سنة خمس وستين، وقتل سيما وأخذ أمواله. ومضى إلى طرسوس فدخلها في ربيع الأول ومعه جمع كبير، فضاقت به وغلا السعر، ونابذه أهلها وأخرجوه.

فأتاه خبر عصيان ابنه العباس عليه فرجع إلى مصر وقدمها لأربع خلون من رمضان. فبعث إليه بكار بن قتيبة القاضي بكتاب ألان فيه جانبه. فصار

إلى برقة ولقيه ثم عاد بغير طائل. فخرج بنفسه في مائة ألف. ثم عاد من الإسكندرية لثلاث عشرة خلت من رجب، وأدخل بعد ذلك بالعباس مقيدا لليلتين بقيتا من رجب سنة ثمان وستين. ثم بعث بلؤلؤ غلامه على جيش إلى الشام، فكاتبه أبو أحمد الموفق ورغبه حتى خالف مولاه ولحق بالموفق في جمادى الأولى سنة تسع وستين. فبادر أحمد بن طولون وخرج في صفر سنة تسع رجاء أن يدرك لؤلؤ [ا]. وترك دمشق وعزم على المسير لمحاربة أهل طرسوس. فتلقاه كتاب المعتمد يعلمه أنه سائر إليه، فتوقف.

[موقفه من حوادث الخلافة ببغداد]:

وخرج المعتمد من العراق في زي متصيد، وركب الطريق إلى الرقة، فبلغ ذلك الموفق، فبعث إليه إسحاق بن كنداج فخذله وقبض على من معه من القواد. وأحدر المعتمد من الحديثة إلى سامراء ووكل به خمسمائة رجل. وعقد الموفق لإسحاق بن كنداج على مصر، فبلغ ذلك أحمد بن طولون. فكتب إلى عماله بإحضار القضاة والفقهاء والأشراف، وكتب بخبر المعتمد وما فعل به. فقرئ كتابه بمصر، وفيه: أن أبا أحمد الموفق نكث بيعة المعتمد وأسره وحرس عليه في دار [أبي] أحمد بن الخصيب، وأن المعتمد قد صار من ذلك إلى ما لا يجوز ذكره وأنه بكى بكاء شديدا.

فلما خطب الخطيب يوم الجمعة بمصر ذكر ما نيل من المعتمد وزاد في خطبته: اللهم اكفه من ظلمه

وحصره، واستنقذه ممن أسره، وجار عليه وقهره- يريد الموفق. ثم دعا للمفوض (٢) ولأحمد بن طولون فقط.

---

(١) في المخطوط: فعسكر.

(٢) المفوض هو ابن المعتمد وولي عهده. والموفق عم المفوض.." (١)

"وكان يركب البغلة ويتحنك على ما كانت عليه عادة **أهل مصر** قديما.

ومن شعره في مليح سبح في ماء النيل وتلطخ بالطين [الكامل]:

ومترب لولا التراب بجسمه ... لم تبصر الأبصار منه منظرا

فكأنه بدر عليه سحابة ... والترب ليل من سناه أقمرا

وله [دو بيت]:

في السمر معان لا ترى في البيض ... تالله لقد نصحت في تعريضي

ما الشهد إذا طعمته كاللبن ... يكفي فطنا محاسن التعريض

وله [البسيط]:

إن أومض البرق في ليل بذي سلم ... فإنه ثغر سلمى لاح في الظلم

وإن سرت نسمة في الكون عابقة ... فإنما نسمة من ربة الخيم

وكتب إلى الشيخ أثير الدين أبي حيان (١) من روضة مصر، وبعث بهما إليه مع بعض غلمانه [الدو بيت]:

حييت أثير الدين شيخ الأدبا ... أقضي حقا له كما قد وجبا

حييت فتى بطاق آس نضر ... كالقد بدا ملئت منه طربا

فأجابه [١١٢ أ]:

أهدى لنا غصنا من ناضر الآس ... أقضى القضاة حليف الجود والبأس

لما رأى سقمي أهداه مع رشإ ... حلو التثني فكان الشافي الآسي

٥٠٨ - النويري صاحب نهاية الأرب [- ٧٣٣] (٢)

[٦٠ أ] أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (٣) بن عبد الدائم بن عبادة، شهاب الدين، البكري، النويري،

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٢٥٧/١

الشافعي.

سمع الحديث وكتب بخطه كثيرا. وجمع تاريخا كبيرا سماه «نهاية الأرب في فنون العرب» (٤) يدخل في ثلاثين مجلدا، وهو مشهور.

وتقلب في الخدم الديوانية. وكان ذكيا مليح الشكل، فيه مكارم وأريحية وتودد.

ومات في يوم الحادي والعشرين من رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة.

وكتب بخطه البخاري ثماني مرات فكان يكتب النسخة ويقابلها ويكتب الطباق عليها ويجلدها ويبيعها ما بين الألف إلى سبعمائة درهم.

وباع نسخة من تاريخه لجمال الكفاة بألفي درهم. وكان يكتب في اليوم ثلاث كراريس.

وحصل له قرب من الدولة بواسطة شهاب الدين أحمد بن علي بن عبادة وكيل السلطان، فإنه استنابه في نظر المدرسة الناصرية والمدرسة المنصورية وغير ذلك، ومكنه من الاجتماع مع الملك الناصر محمد بن قلاوون فصار السلطان يستدعيه كل وقت ويتحدث معه.

---

(١) الأثير أبو حيان له ترجمة في المقفى (محمد بن يوسف- ت ٧٤٥) برقم ٣٦٠٠.

(٢) الطالع السعيد ٩٦ (٥١) - الوافي ٧/ ١٦٥ (١٠٦٧) - وأعيان العصر ١/ ٢٨١ (١٣٦) - الدرر ١/ ٢٠٩ (٥٠٦).

(٣) في الوافي: ابن عبد الكريم عوض محمد. وفي المنهل:

ابن أحمد.

(٤) في المنهل: ... في علم الأدب. والمعروف في المطبوع منه: .. في فنون الأدب.." (١)

"وتسعين وسبعمائة، عوضا عن بدر الدين محمد بن أبي البقاء [١١٨ أ]، فباشر الحكم بمهابة زائدة، وحرمة وافرة، مع عفة ونزاهة. إلا أنه استكثر من النواب في الحكم، كأنه يريد بذلك تألف قلوب **أهل مصر**، لما كان عنده من الوهم منهم، فعيب عليه ذلك. وعيب عليه أيضا الإمساك وقلة العلم.

وقام أبو عبد الله المغربي (١) بعداوته، وما زال يغري السلطان به حتى صرفه عن القضاء في يوم الاثنين ثاني المحرم سنة خمس وتسعين [وسبعمائة] بصدر الدين محمد بن إبراهيم المناوي، من غير جرم ولا خيانة، سوى قلة الدربة بمصطلح **أهل مصر**. وجعل له في نظير القضاء تدريس الفقه بوقف الملك الصالح

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣١٧/١

عماد الدين إسماعيل بن محمد بن قلاوون على القبة المنصورية، [١٠٣ ب] وتدريس الفقه (٢) بالجامع الطولوني. فباشر ذلك وصار يتردد إلى السلطان، والناس توجب له حق الرعاية، إلى أن وردت وفاة سري الدين محمد بن المسلاتي خطيب القدس.

فتحدث مع السلطان في خطابة القدس، فأجابه إلى ذلك في يوم الخميس سابع عشرين شهر رجب سنة تسع وتسعين وقلد الخطابة والإمامة بالمسجد الأقصى، وتدريس الصلاحية بالقدس. فسار من القاهرة وباشر ذلك على حال انجماع (٣) عن الناس

وإقبال على ما يعود عليه نفعه عند الله، حتى قبضه الله إليه في يوم الجمعة سادس عشرين شهر ربيع الأول سنة إحدى وثمانمائة. ودفن هناك.

وكان رحمه الله ثبتا في أحكامه، صادقا في مقاله، كثير الصدقة مع الإمساك في الإنفاق وقلة العطاء في غير هذا الوجه. وكان يلازم قيام الليل ويواظب على تلاوة القرآن، ويسرد الصيام، مع البعد عن كل ما يشين المرء في دينه.

وتردد إلى القاهرة قبل ولايته القضاء مرارا.

وأقام بدمشق مدة، وسمع بها على ابن جملة (٤).

وحلف لي غير مرة أنه منذ تقلد القضاء بالكرك وديار مصر، لم يتعمد حكما باطلا، ولا قبل رشوة، ولا أكل مال يتيم، ولا مال وقف بباطل– ولقد صدق في هذا: فإنا بلوناه فما رأينا فيه ما يعاب به سوى كثافة حجابه أيام تقلده القضاء، ومحبته للتعظيم، وترفعه، وإعجابه بمن يمدحه.

ولقد اعتذر لي عن ذلك بما يقبل منه: وهو ما خوف به من أهل مصر (٥) وكثرة انتقادهم وظنونهم

– بإصلاح نفسه ولزم بيته وترك خلطة الخلق والتجأ إلى حياة الحق، لا سيما في زماننا الذي بلينا فيه بالتصدير الذي تنقطع به القلوب حسرات. أسأل الله اللطف. كتبه حسن العطار المولى مسجد الأزهر لطف الله به.

(١) نقل الدرويش والمصري في طبعتهما الجزئية لدرر العقود ١/ ١٦٢ هـ ٦ حاشية تعرف بأبي عبد الله المغربي: محمد ابن سلامة التوزري، توفي سنة ٨٠٠. ولم ينقل الدكتور الجليلي هذه الإضافة في طبعته الكاملة ج ١/ ١٦٤.

(٢) عوضت كلمة فقه الثانية بكلمة حديث بدون شطب، ولعل التصويب من ابن حجر، ولا مانع من أن

يكون المترجم درس الفقه هناك ثم هنا ..

(٣) في يمين الصفحة تعليق هامشي على ذكر كلمة انجماع:

هنيئا لمن رزقه الله نعمة الانجماع عن الناس فاشتغل-

(٤) لا نعرف ابن جملة.

(٥) تعليق آخر من حسن العطار بمناسبة عبارة ما خوف به من **أهل مصر**. هو معذور في ذلك، فو الله الذي لا إله إلا هو إني حين بليت بمسجد الأزهر وشاهدت ما شاهدت من انحراف **المصريين** وعزلت نفسي باختياري رجاء حصول نعمة الفراغ والتباعد عن الناس فما تمكنت من ذلك فصرت أتحيل في التخلي وأفر من طرف إلى طرف بحيث لو أمكنني أن أتخذ حجابا من حديد يحول بيني وبين الخلطاء والقرناء والدعاوي التي لا أستطيع حملها ولا أتحمل ثقلها لفعلت، وغاية ما في وسعي أن أتوجه إلى الله سبحانه أن يخرجني من هذه الدار غير مفتون، بمنه وإحسانه.-." (١)

"وتوفي في خامس المحرم سنة إحدى عشرة وسبعمائة بالمدرسة الأزكوجية من القاهرة.

٧١٧ - المؤتمن زوج السيدة نفيسة [- بعد ٢٠٨] (١)

[١٤٣ أ] إسحاق بن جعفر [الصادق] بن محمد [الباقر] بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

قدم مصر هو وزوجته نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، مع أبيها (٢). وكان يقال لإسحاق المؤتمن ابن الصادق، وكان من أهل الصلاح والخير والفضل والدين.

وروي عنه الحديث. وكان ابن كاسب (٣) إذا حدث عنه يقول: حدثني الثقة الرضا إسحاق بن جعفر.

وكان له عقب بمصر والعراق وحلب، منهم بنو الرقي، وبحلب بنو زهرة. وولدت منه السيدة نفيسة ولدين، هما القاسم وأم كلثوم ولم يعقبا.

وقال الدارمي عن يحيى بن معين: ما أراه إلا صادقا.

روى له الترمذي وابن ماجة.

وتوفي سنة ثمان وستين ومائة عن خمس وثمانين سنة ببغداد (٤).

٧١٧ م- أبو طاهر ابن درباس [٥٦٩ - ٦١٣] (٥)

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ١/٣٣٩

[١٤٢ ب] إسحاق بن عبد الملك بن عيسى بن درباس، [...] مع والده، يكنى أبا طاهر.

ولد في شعبان سنة تسع وستين وخمسمائة.

وسمع من البهاء [أبي محمد القاسم] ابن عساكر (٦) بدمشق، ومن [أبي اقاسم هبة الله] البوصيري (٧) بمصر، وغيرهما. وأجاز له جماعة.

ودرس بالناصرية التي تعرف الآن بالشريفية وبالسيفية (٨) بالقاهرة.

ومات في رمضان سنة ثلاث عشرة وستمائة.

٧١٨ - أبو نعيم ابن الفرات صاحب مالك [- ٢٠٤] (٩)

إسحاق بن الفرات بن الجعد، أبو نعيم،

- الفارقاني: الخطط ١/ ٣٦٩، والحسامية: خطط ٢/ ٣٨٦ بناها حسام الدين طرنطاي، وقال المقريزي: وجعلها برسم الفقهاء الشافعية، والمترجم هنا حنفي.

- الزوج الذي أراد أن يحمل نفيسة بعد وفاتها سنة ٢٠٨ إلى المدينة فتوسل إليه **أهل مصر** أن يبقيها عندهم فبنوا على قبرها مشهد السيدة نفيسة المعروف. انظر وفيات الأعيان ٥/ ٤٢٤ (٧٦٧) والخطط ٢/ ٤٤١. وجاء في هامش الترجمة اعتراض على هذا التاريخ، لعله بخط ابن حجر.

قال: هذا التاريخ في مولده باطل وأحرى به أن يكون في الوفاة [...] مولد والده جعفر [الصادق] كان في سنة ثمانين، فهل يولد الابن [...] [الخط عسير القراءة].

وجعفر الصادق ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٤٨. أعلام النبلاء ٩/ ٥٠٣ (١٩١).

(١) لسان الميزان ١/ ٣٩٨ (١١٠٧) وهو مذكور أيضا في تراجم السيدة نفيسة: وفيات الأعيان ٥/ ٤٢٣ (٧٦٧)، النجوم ٢/ ١٨٥، الخطط ٢/ ٤٤١.

(٢) والد السيدة نفيسة له ترجمة في المقفى ٣/ ٣١٢ (١١٥٢).

(٣) ابن كاسب: أبو الفضل يعقوب بن حميد المدني (ت ٢٤١): أعلام النبلاء ١١/ ١٥٨ (٦٣).

(٤) لعل المقريزي خلط بين وفاة الوالد (سنة ١٦٨) ووفاة-

(٥) المنذري ٢/ ٣٨٠ (١٤٩١). وتأتي في ص ١٢٠ (٧٧٢) من هذا الجزء ترجمه أخيه إسماعيل بن درباس.

(٦) ابن عساكر: القاسم بن علي (ت ٦٠٠): أعلام النبلاء ٢١/ ٤٠٥ (٢٠٧).

(٧) البوصيري المنستيري: هبة الله أبو القاسم (ت ٥٩٨):
أعلام النبلاء ٢١/ ٣٩٠ (١٩٧).
(٨) الشريفية والسيفية: الخطط: ٢/ ٣٦٣ و ٣٦٨.
(٩) الكندي ٣٩٣ - أعلام النبلاء ٩/ ٥٠٣ (١٩١) - الوافي ٨/ ٤٢١ (٣٨٨٩) - العبر والشذرات (وفيات سنة ٢٠٤) - لسان الميزان ١/ ١٩٥ (٧٧٨).." (١)

"التجيبي، الكندي، مولى معاوية بن حديج.
يروي عن يحيى بن أيوب، والليث بن سعد، ومالك بن أنس، وجماعة.
ويروي عنه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، وبحر بن نصر [الخولاني، وأبو الطاهر] أحمد بن السرح، في آخرين.
وثقه أبو عوانة الحافظ. وقال أحمد بن يحيى بن وزير: كان من أكابر أصحاب مالك. لقي أبا يوسف وأخذ عنه، وكان موفقا سديدا. وقال بحر بن نصر: سمعت ابن علية يقول: ما رأيت في بلدكم أحدا يحسن العلم إلا إسحاق ابن الفرات.
وقال ابن عبد الحكم: ما رأيت فقيها أفضل منه.
وقال ابن يونس: ولي القضاء بمصر خلافة لمحمد بن مسروق الكندي. وفي أحاديثه أحاديث كأنها مقلوبة.
توفي لليلتين خلتا من ذي الحجة لسنة أربع ومائتين.

٧١٩ - رفيع الدين الأبرقوهي [٥٨٢ - ٦٢٣] (١)
إسحاق بن محمد بن المؤيد بن علي بن إسماعيل [١٧٥ ب] بن أبي طالب، رفيع الدين، أبو محمد، ابن أبي عبد الله، الهمذاني الأصل، المصري المولد، الوبري، الشافعي، المعروف بالأبرقوهي.
ولد بمصر سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة تخمينا. وسمع من أبيه (٢)، ومن أبي عبد الله [محمد بن حمد] الأرتاحي، وأبي الفضل [محمد بن يوسف] الغزنوي، وفاطمة بنت سعد الخير [أم عبد الكريم]، وجماعة من **أهل مصر** والقادمين إليها.
ورحل إلى الشام، فسمع من [أبي حفص عمر بن محمد] ابن طبرزد وغيره.
وسمع ببغداد وواسط وأصبهان، وتفقه.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٢/٣٤

وولي قضاء أبرقوه (٣) مدة، ثم عاد إلى مصر وحدث.

توفجي ليلة [...] السابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وستمائة بالقاهرة.

٧٢٠ - إسحاق بن العازار الطبيب [- ٣٦٣] (٤)

إسحاق بن موسى بن العازار، أبو يعقوب، اليهودي، الطبيب.

قدم إلى مصر مع المعز لدين الله هو وأبوه وأخوه عون الله بن موسى. وكان عون الله مسلما.

وكان موسى بن العازار طبيبا للمعز، وإلى ابنه إسحاق تدبير الدولة والنظر في جميع أمور المعز وخزائنه، وقليله وكثيره. والأمر والنهي. ومات بمصر في حياة أبيه موسى لاثنتي عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة.

ومات أخوه عون الله قبله بيوم. فاغتم المعز لموت إسحاق لكفايته. وأقر مكانه أخاه إسماعيل بن موسى وابنه يعقوب بن إسحاق.

وبقي أبوه موسى طبيبا للمعز حتى مات المعز.

---

(١) الوافي ٨/ ٤٢٤ (٣٨٩٤) - أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٨١ (١٦١) - التكملة ٣/ ١٧٥ (٢١٠١).

(٢) أبوه: أبو عبد الله المقرئ (ت ٦٠١): التكملة ٢/ ٧٠ (٨٩٥).

(٣) أبرقوه: بلد بفارس من كورة إصطخر (ياقوت).

(٤) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء، في ترجمة الأب، موسى بن العازار (ص ٥٧٥)؛ القفطي: حكماء، ص ٣٢٠ في ترجمة الأب كذلك؛ ورقات ح. ح. عبد الوهاب ١/ ٣٠١.." (١)

"٧٦٤ - القاضي ابن اليسع الكندي [- بعد ١٦٧] (١)

[١٨٦ أ] إسماعيل بن الربيع بن اليسع، أبو الفضل وأبو عبد الرحمن، الكندي، النسفي، الكوفي، قاضي مصر، وأول من ولي قضاء مصر على مذهب الإمام أبي حنيفة.

قدم مصر قاضيا من قبل أمير المؤمنين المهدي محمد ابن أبي جعفر، عوضا عن عبد الله بن لهيعة، بإشارة يعقوب بن داود، في سنة أربع وستين ومائة.

روي عنه من أهل مصر عبد الله بن وهب، وسعيد بن سابق، وسعيد ابن أبي مريم، وأبو صالح الحراني.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٢/٣٥

قال سعيد ابن أبي مريم: قدم علينا إسماعيل [بن الربيع] بن اليسع قاضيا بعزل ابن لهيعة، وكان من خير قضاتنا، غير أنه كان يذهب إلى مذهب أبي حنيفة، ولم يكن من **أهل مصر**، فشنئوه.

وكان مذهبه إبطال الأحباس، فثقل على **أهل مصر**. وجاء رجل إلى الليث بن سعد فقال: ما تقول في رجل قال لرجل: يا مأبون! يا من ينكح في دبره!

فقال الليث: يصير إلى القاضي إسماعيل ابن اليسع.

فقال: قد صرت إليه فقال [لي]: تقول له مثل ما قال له.

فقال الليث: سبحان الله! وهل يقال للزانية ذلك؟ (٢).

فكتب الليث فيه إلى أمير المؤمنين فعزله.

وقال يحيى بن بكير: كان إسماعيل ابن اليسع مأمونا فقيها، وكان يصلي بنا الجمع وعليه كساء مربع من صوف وقطن، وقلنسوة خز (٣).

وقال ابن قديد عن يحيى بن عثمان: جاء الليث إلى إسماعيل ابن اليسع فجلس بين يديه، فرفعه إسماعيل.

فقال: إنما جئت مخاصما لك.

قال: في ماذا؟

قال: في إبطالك أحباس المسلمين. قد حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير. فمن بقي بعد هؤلاء؟ - وقام.

وكتب إلى المهدي فورد الكتاب بعزله. فأتاه الليث وجلس إلى جنبه وقال للقارئ: اقرأ كتاب أمير المؤمنين!

فقال له إسماعيل: يا أبا الحارث، وما [١٨٦ ب] كنت تصنع بهذا؟ أما والله لولا أمر السلطان (٤)، ثم لو أمرتني بالخروج لخرجت.

فقال له الليث: إنك ما علمت لعفيف عن أموال الناس.

وقال ابن عبد الحكم: كتب فيه الليث إلى المهدي: إنك وليت رجلا تكيد (٥) سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، مع أنا ما علمنا عليه في الدينار والدرهم إلا خيرا- فكتب بعزله.

وفي رواية: كتب الليث فيه: إنا لم ننكر عليه شيئا غير أنه أحدث أحكاما لا نعرفها.

---

(١) الولاة والقضاة ٣٧١ والترجمة منقولة عنه؛ رفع الإصر لابن حجر ١/ ١٢٦.

(٢) عند الكندي: إلا ذلك. وعند ابن حجر: وهل يقال هذا؟ .

(٣) في المخطوط: حبر. والإصلاح من رفع الإصر ١/ ١٢٦.

(٤) هذه الجملة غير موجودة في رفع الإصر، وهي بعد غير مفيدة.

(٥) كادها: أرادها بسوء. ولم نجد تفعل من كاد يكيد والإعجام من المقريزي.." (١)

"ولد، فلنا أولاد، ويقضي الله ما شاء، وإنك لو رأيت الأصبغ لسرك ولم تقدم عليه أحدا.

فلم يعش الأصبغ إلا قليلا، ومات يوم الخميس لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثمانين.

فمات بعده أبوه لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى.

قال عون بن عبد الله: قال لي أصبغ بن عبد العزيز بمصر: سمعت من أبيك كلاما نفعني الله به: لأن يخطئ الإمام في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة (١).

وقال كثير عزة يرثيه ... (٢).

٧٩٤ - أصبغ بن الفرج [- ٢٢٥] (٣)

أصبغ بن الفرج بن سعيد، أبو عبد الله، مولى عبد العزيز بن مروان فيما زعم، وكان كثير من **أهل مصر** يدفعونه عن ذلك ولا يصححون له ولاء. قال أبو عمر الكندي: سألت ابن يزيد عن أصبغ، لمن ولاؤه؟

قال: ليس لهم ولاء، هم من عبيد المسجد.

وحدثني ابن قديد عن أبي نصر قال: سمعت المزني والربيع يقولان: كنا نأتي أصبغ قبل قدوم الشافعي فنقول له: علمنا مما علمك الله!

قال أبو نصر: وسمعت عمي عبيد بن صالح

يقول: قال لي مطرف بن عبد الله الأصم: من أي بلد أنت؟

قلت: من مصر.

قال: ما فعل عبد الله بن عبد الحكم؟

قلت: مات.

قال: ما فعل أصبغ؟

قلت: باقي.

قال: الحي أفقه عندنا من الميت.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٢/٦٨

وأخبرني ابن يزيد عن ابن عثمان قال: كانت بين عبد الله بن عبد الحكم وبين أصبغ منازعة ومباعدة، وكان أحدهما يرمي صاحبه بالبهتان.

قال ابن قديد: وأخبرني مقدام قال: أرسل ابن عتبة إلى عبد الله بن عبد الحكم: إن هذا الرجل قد وجب لك عليه حد، قد شهر عندي بذلك فصر إلي حتى أحده.

فأبى وقال: إن هو حده، صرنا حديثا، وقالوا:

حد فلان في سبب فلان.

قال ابن قديد: وكتب المعتصم في أصبغ ليحمل إليه في المحنة. فهرب إلى حلوان واستتر بها.

قال الكندي: وكان فقيها نظارا. ولد بعد الخمسين ومائة، ولم يلق مالكا.

وقال ابن يونس: وكان يحيى بن عثمان بن صالح يقول: هو من ولد عبيد المسجد: كان بنو أمية يشترون للمسجد عبيدا يقومون على خدمة المسجد، فهو من أولاد أولائك العبيد ينسب إلى ولاء بني أمية، وكان مضطلعا بالفقه والنظر.

توفي يوم الأحد لأربع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائتين.

وكان ذكر للقضاء في مجلس [١٩٧ أ] عبد

---

(١) هذه الفقرة وردت في الوفيات في ترجمة أصبغ بن الفرج المالكي ١/ ٢٣٩ (١٠١) ولا توجد في الوفيات ترجمة لأصبغ بن عبد العزيز.

(٢) في ديوان كثير (نشر إحسان عباس) مرات كثيرة لعبد العزيز بن مروان ولا ذكر لأصبغ فيها. وكذلك الكندي، ذكر مراثي لغير كثير.

(٣) وفيات ١/ ٢٤٠ (١٠١)؛ الوافي ٩/ ٢٨١ (٤٢٠٤)؛ شذرات ٢/ ٥٦، أعلام النبلاء ١٠/ ٦٥٦ (٢٣٧)، مدارك عياض ٤/ ١٧ الديباج المذهب ٩٧.." (١)

"الله بن طاهر فشنعه سعيد بن عفير (١). حدثني علي بن الحسن بن قديد بن يحيى بن عثمان بن صالح عن أبي يعقوب [٢٠٦ ب] يوسف بن يحيى البويطي، حدثه أنه كان حاضرا في مجلس ابن طاهر حين أمر بإحضار شيوخ **أهل مصر** (قال) فقال لنا عبد الله بن طاهر: «إني جمعتكم لترتادوا لأنفسكم قاضيا». فكان أول من تكلم يحيى [بن عبد الله] بن بكير فقال: أصلح الله الأمير، ول قضاءنا من رأيت،

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ١٢٣/٢

وجنبنا رجلين: لا تول قضاءنا غريبا ولا زراعا- يعرض بالغريب لإبراهيم بن الجراح، وبالزراع عيسى بن فليح.
ثم تكلم أبو ضمرة الزيدي (٢) فقال: أصلح الله الأمير، أصبغ بن الفرج الفقيه العالم الورع- وأصبغ حاضر المجلس.
فقال سعيد [بن كثير] بن عفير: ما بال أبناء القمامصة (٣) والصباغين يذكرون لهذه المواضع التي لم يجعلهم الله لها أهلا؟
فقام أصبغ وأخذ بمجامع ثوب سعيد بن عفير وقال له: إنك لشيطان مفتر! من أين علمت أني من أبناء الصباغين؟ - وارتفع الأمر بينهما حتى كادت أن تكون فتنة. فذكر عبد الله بن عبد الحكم عيسى بن المنكدر وأثنى عليه بخير، فقلده ابن طاهر القضاء (٤).
وذكر زيد بن أبي زيد بن أبي الغمر عن أحمد [بن يحيى] بن وزير قال: كان أصبغ بن الفرج خبيث اللسان لا يسلم منه أحد. إنما كان لسانه صاعقة!
وتفقه أصبغ بابن القاسم وابن وهب وأشهب.
وقال عبد الملك بن الماجشون: ما أخرجت مصر مثل أصبغ.
قيل له: ولا ابن القاسم؟
فقال: ولا ابن القاسم!
وكان كاتب ابن وهب.
وقال ابن معين: كان من أعلم خلق الله برأي مالك، يعرف كل مسألة متى قالها مالك، ومن خالفه فيها.
وقال أبو حاتم: كان أجل أصحاب [١٩٧ ب] ابن وهب، وهو صدوق. وقد روى عن ابن وهب، وأسامة بن زيد بن أسلم، وعبد العزيز الدراوردي، وابن القاسم.
وعنه أبو حاتم، ومحمد بن إسماعيل الترمذي، ومحمد بن عون، ويحيى بن عثمان السهمي، وخلق. وروى عنه البخاري، وروى له الترمذي والنسائي بواسطة.
وقال العجلي: ثقة صاحب سنة.

٧٩٥ - أصلم القبجاقي [- ٧٤٧] (٥)
[١٨٨ أ] أصلم القبجاقي، الأمير بهاء الدين، أحد المماليك المنصورية قلاوون.
ربي بقلعة الجبل إلى أن قتل الملك الأشرف خليل، وأقيم بعده الملك الناصر محمد بن قلاوون وعمل الأمير كتبغا نائب السلطنة، وفرق المماليك السلطانية، وكان أصلم من نصيب الأمير سيف الدين الأقوش

المنصوري، ثم انتقل إلى الأمير سلار فلزم خدمته. وعمله سلاح دار إلى أن

(١) الحادثة رواها الكندي في كتاب الولاة والقضاة ٤٣٤.

(٢) عند الكندي ٤٣٣: الزهري.

(٣) كان جده عتيق عبد العزيز بن مروان والي مصر (الوفيات ١/ ٢٤٠) فلعله من الموالي الأقباط فلذلك قيل له: قمص ج قمامصة والقمص رتبة كنسية عندهم (دوزي).

(٤) سنة ٢١٢.

(٥) الوافي ٩/ ٢٨٥ (٤٢١١)؛ الدرر ١/ ٤١٦ (٩٩٣)؛ النجوم ١٠/ ١٧٤؛ المنهل ٢/ ٤٥٥؛ الخطط ٢/ ٣٠٩.." (١)

"الأحد مستهل المحرم منها. وقدم أطسز إلى دمشق في شعبان ولم يزل محاصرا لها حتى غلت الأسعار ولم يقدر على شيء من الأقوات وبلغت غرارة الحنطة نيفا وعشرين دينارا.

ثم إنه فتح البلد صلحا، ودخلها هو وعسكره يوم الاثنين الحادي والعشرين من ذي القعدة منها، وقطع خطبة المستنصر منها وأبطل الأذان بحي على خير العمل وأقام الخطبة للإمام المقتدي بأمر الله أبي القاسم ابن الذخيرة بن القائم بأمر الله العباسي في يوم الجمعة خامس عشرين ذي القعدة، ونظر في أمور دمشق وأحوالها وكثر عسكره.

ثم فر إليه من مصر [تركان شاه ابن بلدكوش] (١) خوفا من أمير الجيوش بدر الجمالي.

وحدثته نفسه بأخذ مصر فسار إليها في سنة تسع وستين وأربعمائة، وقد سار إليه ناصر الجيوش أبو الملوك تركان شاه ابن سلطان الجيوش بلدكوش، وأهدى إليه ستين حبة لؤلؤ تزيد زنة الحبة منها على مثقال، وحجرا من ياقوت زنته سبعة عشر مثقالا، في تحف كثيرة مما كان قد أخذه أبوه من خزائن القصر. وأغراه بأخذ مصر وأطمعه في أهلها. فحشد وهم على حين غفلة. وكان أمير الجيوش بدر قد خرج لقتال العرب بالصعيد.

فنزل أطسز في أرياف مصر وأقام بها شهر جمادى وبعض شهر رجب، ومعه نحو الخمسة آلاف.

فلما بلغ ذلك أمير الجيوش قدم إلى القاهرة واستعد إلى لقائه. وخرج في يوم الخميس سابع عشر رجب، وسير المراكب في النيل بالعلوفات والميرة، وسار في نحو الثلاثين ألفا ما بين فارس

وراجل. فخافه أطسز وعزم على العود عن مصر إلى الشام، فلم يوافقه أصحابه على ذلك وقالوا له: قد

(١) المقفى الكبير المقريزي ٢/١٢٤

وطئت ديارهم، وتعود بغير فائدة؟

فلم يلتفت إلى قولهم. فقال له أخوه المأمون وابن بلدكوش: لا تغرنك كثرتهم، فإنهم سوقة، وصيحة واحدة تهزمهم. فلا ترجع عن هذا الملك الذيأشرفت على أخذه!

وما زال به أخوه (٢) حتى تقدم للقتال في يوم الثلاثاء ثاني عشرينه. وقدم أمير الجيوش.

فتراخى أطسز عن الحرب إلى الليل بعد ما استظهرت ميمنته. فأحاطت العرب به من ورائه ونهبوا سواده، فانهزم وقتل أخوه المأمون، ولحق أطسز بغزة وأقام بالرملة حتى وصل إليه من بقي من عسكره. ودخل دمشق يوم السبت العشرين من شعبان [سنة ٤٦٩].

وعاد [١٩٠ أ] أمير الجيوش مظفرا، فندب العساكر مع ناصر الدولة [أفتكين] (٣) الجيوشي وبعثه إلى دمشق فحصرها أياما، وعاد في سنة سبعين.

فلما خاف أطسز من ظفر أهل مصر راسل تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان يستنجده، فتحرك لذلك وسأل أخاه السلطان ملك شاه ابن ألب أرسلان أن يوليه الشام، فأقطعه السلطان أبو الفتح ملك شاه ابن ألب أرسلان الشام وسار إليها ونزل على حلب في سنة إحدى وسبعين، فلم يقدر

---

(١) الاتعاظ ٢/ ٣١٢، ٣١٧، وقرأ الناشر: وكان شاه عوض:

تركان شاه، وهو اسمه الوارد في ترجمته بالمقفى ٢/ ٥٨٧ رقم ١٠٢٦.

(٢) هو شكل التركي أمير طبرية وأخو أطسز كما في ترجمة بدر الجمالي رقم ٢/ ٣٩٤ رقم ٩١١.

(٣) بياض بالأصل والإكمال من ترجمة بدر أمير الجيوش، وناصر الدولة أفتكين الجيوشي عرفه المقريزي في الاتعاظ ٢/ ٣٣٣: نصر الدولة أفتكين أجل غلمان بدر.

وفي الكامل (سنة ٤٧١): قائد يعرف بنصر الدولة، لا غير، وكذلك عند ابن القلانسي ١١٢.." (١)

"منصور بن البلخي النبهاني والد أبي الوحش غضنفر بن فارس كتابا في سيرته.

وتزوج أنوشتكين شواقة ابنة صمصام الدولة.

٨٤٦ - أنوش الدرزي [- بعد ٤١٠] (١)

أنوش [تكين] البخاري الدرزي، أبو عبد الله- وسماه بعضهم محمد بن إسماعيل، أحد موالي الأتراك.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ١٢٧/٢

سلك طريق حمزة اللباد الزوزني (٢) في القول بحلول الإله سبحانه في الحاكم بأمر الله أبي علي منصور ابن العزيز نزار، ودعا الناس إلى ذلك فكثرت أتباعه وأصحابه، وعلق على باب داره سلاحا كبيرا، وسمى نفسه سيد الهادين (٣)، وحياة المستجيبين. فكان الحاكم إذا ركب تعرض له وخلا به، إلى أن كان اليوم الثاني عشر من صفر سنة عشر وأربعمائة، [ف] اجتمعت طائفة من أصحاب الزوزني على خيول وبغال، ودخلوا الجامع العتيق بمصر ركبانا، وهم يعلنون مذهبهم ويجهرون بإلحادهم. وتقدم ثلاثة منهم إلى مجلس قاضي القضاة أبي العباس أحمد بن محمد [بن أبي] العوام (٤)، والمتحاكمون ينتظرونه، فتكلموا بكلام أنكره الناس [ف]- ضجوا بالتكبير والتهليل والثناء على الله تعالى. فاجتمع أهل مصر بالجامع من كل جهة فصار تسبيحهم كأنه دوي

الرعد. وتقدم بعضهم فتلقى القاضي، وقد أقبل في موكبه يريد الجامع فعرفه الخبر. فلما استقر في مجلس الحكم تقدم إليه أحد الثلاثة وناوله رقعة من الزوزني يأمره فيها بمذهبه ويدعوه إليه. فقال له: «حتى أدخل إلى حضرة مولانا وأسمع كلامه»، وطاوله (٥) في الكلام ساعة فثارت العامة بالرجل وقتلوه ورفيقيه جميعا وأخذوا باقيهم بالضرب حتى قتلوهم شر قتلة. وتتبعوا من كان على مثل رأيهم من أهل البلد فقتلوهم، وجروا بأرجلهم في الطرقات [٢٢٥ ب] وحرقوهم. فبعث الحاكم من يومه فعزل متولي الشرطتين وولى غيره وطلب من أوقع بأصحاب الزوزني فقبض على أربعين رجلا وقتلوا في أوقات متفرقة.

فحنق عامة العسكر والرعية واجتمع الأتراك لسبع بقين من صفر على دار أنوش تكين هذا يريدون أخذه، فامتنع بها وقاتلهم من أعلاها فقاتلوه، وهدموا داره ونهبوها وقتلوا من أتباعه أربعين رجلا، وخلص هو منهم فارا فلم يقدروا عليه وصار إلى القصر. فلبس الأتراك السلاح وأرسلوا إلى الحاكم يسألونه أن يدفع إليهم أنوش تكين. وقالوا: نحن لا نمنعك أن تتصرف في ملكك كيف شئت. وهذا الرجل منا، ونحن لا نتركه. فوعدهم بتسليمه إليهم. فانصرفوا عن القصر.

فلم يبعثه إليهم. فركبوا في يوم الجمعة من الغد وراسلوه في إنفاذه إليهم فخرج الجواب بأنه قد قتله. فزحفوا بأجمعهم ومعهم بقية العسكر إلى مسجد ريدان يريدون الزوزني، فلم يجدوه وأحرقوا باب المسجد وعادوا. فاشتد غضب الحاكم على الأجناد في ربيع الأول، ثم رضي عنهم في ربيع الآخر، وطيب قلوبهم، وأجرى

---

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية ٢/ ١٤٠ (الدرزي) و ٢/ ٦٤٧ (دروز)، واتعاظ الحنفاء ٢/ ١١٨، وأخبار الدول المنقطعة لابن ظافر ٥٣.

(٢) حمزة بن علي بن أحمد الزوزني اللباد، دائرة المعارف ٣/ ١٥٧.

(٣) سند في مخطوطنا وفي الدول المنقطعة والاتعاظ. وسيد في قراءة دائرة المعارف.

(٤) القاضي ابن أبي العوام (ت ٤١٨).

(٥) الذي أطال الكلام هو صاحب الزوزني.." (١)

"الواجبات عليهم.

فلما دخل جمادى الآخرة أخذ يدبر على أهل مصر وسلط طوائف الرجالة، وتقدم إلى مقدمي السودان وغيرهم بما يفعلونه: فكانوا ينزلون إلى مدينة مصر طوائف فيكبسون الحمامات نهارا ويأخذون النساء ويلجون الدور ويسلبون الناس في الطرقات ليلا ونهارا. ثم وجدت عدة رقاع في المساجد تتضمن تهديد أهل مصر بالقتل والحريق ونهب المال وسبي الحريم فتزايد ضرر الناس.

وفتحت حوانيت البزازين ونهب ما فيها، والناس يصيحون من أعلى الدور فلا يجدون من يغيثهم.

وصارت الحوانيت مفتحة، والبلد في حركة شديدة من نقل الأمتعة من الحوانيت إلى الدور.

ثم نزل جمع كبير من العبيد إلى مصر، وقد غلقت الدروب قبل غروب الشمس، فمروا في المدينة وفتحوا ما وراء الجامع من النحاسين والبزازين والسكريين والمربعيين (١) ودار الشمع، وأخذوا ما قدروا عليه وأفسدوا ما بقي، حتى كانوا يخلطون العقاقير بعضها ببعض، ويخلطون الزيت بالمياه المختلفة ويفسدون هذا بهذا. فنزل بالناس من البلاء ما لا يمكن وصفه. ونقلوا أمتعتهم من مصر إلى القاهرة، وتزايد النهب، وطرحت النيران في أبواب القياسر المجاورة للجامع وقد نهبت.

وتخطفت الناس فسلبوا وأخذت عمائمهم، فعظم الضجيج والصراخ، وكثر الدعاء، فوقفوا إلى الحاكم فشكوا ما هم فيه. وتقدم بعض الأشراف في طائفة منهم للشكوى فصار للناس دوي كالرعد وارتفعت شهب النيران بالحريق، فقال الحاكم (٢): ما للناس؟

فقالوا: يا مولانا، عبيد الشر قد أخربوا البلد، وسلبوا أهله وسبوا حريمه.

فقال: ومن أمرهم بهذا لعنهم الله؟

فقال له بعض الأشراف: أراك الله في أهلك ما رأيناه في أهلنا.

فلم يزده على أن قال له: أيها الشريف، أنت معذور لأنك مغتاظ.

فاجتمع عند ذلك الأتراك والكتاميون، وتحالفوا على قتال الرجالة، فكانت بينهم حروب كثيرة قتل فيها عالم

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٢/١٧٤

كثير من الرجالة. وطالت عدة أيام والحاكم يركب حماره ويأتيهم، فإذا رأوه تفرقوا هيبة له، ثم إذا مضى عادوا لحربهم. فاشتد حنقه على الأتراك والكتاميين.

وهذا الدرزي هو الذي أدخل دعوة الحاكم إلى بلاد الشام والساحل واستجاب له عالم كثير منهم، وصار لهم مذهب رديء ويعرفون إلى اليوم بالدرزية.

ومن مذهبهم كتمان السر، فلا يطلعون سواهم على عقائدهم. ويذكر أن هذا الدرزي أباح البنات والأخوات والأمهات، وهم إلى اليوم على ذلك، ويصرحون بأن الحاكم حي وأنه سيعود.

٨٤٧ - آنوك بن محمد بن قلاوون [٧٢١ - ٧٤١] (٣)

[٢٣١ أ] آنوك بن محمد بن قلاوون، الأمير [٢٢٦ أ] ناصر الدين، ابن السلطان الملك الناصر، ابن السلطان الملك المنصور، أمه خوند طغاي.

ولد للنصف من جمادى الآخرة سنة إحدى

---

(١) كلمة غامضة، وكذلك في الدول المنقطة، ٥٦. ولعلها تعني بائعي المرابع، والمربع منديل للنسوة (دوزي).

(٢) عبارة ابن ظافر: فتجاهل عليهم وقال: ...

(٣) الوافي ٩/ ٤٣١ (٤٣٦٥)؛ المنهل ٣/ ١٠٨ (٥٥٨)، الدرر ١/ ٤٤٦ (١٠٨٣)، بدائع الزهور ١/ ٤٧٧، السلوك ٢/ ٥٥٣، تذكرة النبيه ٢/ ٣١٧.." (١)

"٨٩٧ - أيوب بن شرحبيل الأصبحي [- ١٠١] (١)

[٢٦٤ أ] أيوب بن شرحبيل بن أكسوم بن أبرهة ابن الصباح بن لهيعة بن شرحبيل بن مرثد بن الصباح بن معدي كرب بن يعفر بن تنوف بن شراحيل بن أبي شمر بن شرحبيل بن ياسر بن أشعر بن ملكي كرب بن أبي شمر بن أشعر بن ينوف بن أصبح الأصبحي.

أمه أم أيوب بنت مالك بن نويرة بن الصباح.

روى عنه أبو قبيل، وعبد الرحمن بن مهران.

وهو أحد أمراء مصر. ولاه عمر بن عبد العزيز. وذلك أنه لما ولي الخلافة قال: دلوني على رجل من **أهل**

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٢/١٧٥

مصر له شرف وصلاح أوليه صلاتها.

فقيل له: بها رجلان: معاوية بن عبد الرحمن ابن معاوية بن حديج، وأيوب بن شرحبيل.

قال: أي الرجلين أقصد؟

قالوا: أيوب.

قال: فهذا أردت.

وكتب إلى أيوب بولايته، وأمر البريد بكتمان ذلك، وأن تكون موافاته يوم الجمعة.

فقدم الرسول ودفع الكتاب إلى أيوب، فراح كما كان يروح، فركع قريبا من المنبر، وعبد الملك بن رفاعة أمير مصر يومئذ. فلما أذن المؤذن صعد أيوب المنبر فخطب الناس وصلى بهم الجمعة وانصرفوا. وابن رفاعة لم يعلم، وذلك في ربيع الأول سنة تسع وتسعين، وجعل على شرطه

الحسن بن يزيد الرعيني. فورد كتاب عمر بن عبد العزيز بالزيادة في أعطيات الناس عامة. ومنعت الخمر وكسرت أوانيها وعطلت حاناتها. ثم صرف الحسن عن الشرط في رجب بالحارث بن ذاخر بن بهشم الأصبحي (٢).

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أيوب بفريضة للجند، فقال: ألصق ذلك بأهل البيوتات الصالحة، فإنما [٢٦٤ ب] الناس معادن معادن.

وقسم للغارمين خمسة وعشرين ألف دينار.

وقفل أهل قسطنطينية، ونزعت مواريث (٣) القبط عن الكور، واستعمل المسلمون عليها، ومنع النساء الحمامات.

وشكي ضعف أيوب إلى عمر بن عبد العزيز فقال: إن أيوب زجرت به أعراق صالحة فلان لين الأشراف وقصد قصد السادة.

ومات عمر بن عبد العزيز في رجب سنة إحدى ومائة واستخلف يزيد بن عبد الملك فأقر أيوب على صلاة مصر إلى أن توفي لإحدى عشرة بقيت من رمضان.

وقيل: نزع أيوب لسبع عشرة خلت من رمضان ببشر بن صفوان [الكلبي] (٤) وكانت ولايته سنتين ونصفا.

---

(١) الكندي ٦٧، ٣٣٨، النجوم ١/ ٢٦٣، تاريخ البخاري ١/ ٤١٧ (١٣٣٥).

(٢) الإكمال ٣/ ٣٧٤ (ذاخر).

(٣) في الهامش: جمع ماروت، وهو كبير القبط.

(٤) الكندي ٦٩.." [(١)]

"٩١٩ - برح بن عسكر (١)

[٢٩٨ أ] برح بن عسكر- ويقال: خشكل، ويقال: عسكل- بن وتار بن كرغ بن حضرمي بن التغمى بن مهري بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، المهري.

وقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مصر واختط بها وسكنها، وهو رجل معروف من **أهل مصر**.

قال ابن لهيعة: كان الديوان في زمن معاوية بن أبي سفيان أربعين ألفا، منهم أربعة آلاف في مائتين مائتين. فأعطى مسلمة بن مخلد أهل الديوان أعطياتهم وأعطيات عيالاتهم وأرزاقهم، ونوائبهم ونوائب البلاد من الجسور و [أرزاق] الكتبة وحملان القمح إلى الحجاز، ثم بعث إلى معاوية بستمائة ألف دينار (٢).

وقال ابن عفير: فلما نهضت الإبل لقيهم برح بن حشكل المهري فقال: ما هذا؟ ما بال مالنا يخرج من بلادنا؟ ردوه!

فردوه حتى وقف على باب المسجد، فقال:

أخذتم أعطياتكم وأرزاقكم وأعطيات عيالاتكم؟

قالوا: نعم.

قال: لا بارك الله لهم فيه!

وكانت امرأة برح نعم بنت يزيد بن قضم بن غويجي بن أحور بن عرابي بن الكتب بن ديني بن الدين بن مهري بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

٩٢٠ - برغش العادلي [- ٦٠٨]

[٢٩٨ ب] برغش بن عبد الله، العادلي، صارم الدين.

كان من أمراء الملك العادل ابن أيوب. وولاه قلعة دمشق. ومات بها في رابع عشرين شهر ربيع الأول سنة ثمان وستمائة (٣).

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٢/٢١٨

٩٢١ - بسر بن أرطاة [- ٨٦] (٤)

[٢٩٩ أ] بسر بن أرطاة بن أبي أرطاة- واسم أبي أرطاة عمير- بن عويمر بن عمران بن الجليس بن سيار بن نزار بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر، أبو عبد الرحمن، القرشي، العامري.

يقال إنه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: لم يسمع منه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو صغير. وهذا قول الواقدي ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل في آخرين. وقال ابن عدي عن ابن معين أنه قال:

أهل المدينة ينكرون أن يكون بسر سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهل الشام يروون عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال الواقدي: وكان من الشجعان، إلا أنه كان غير مرضي في دينه، وأبلى في الفتنة وكان فيها رأسا. ومات في أيام معاوية.

---

(١) أسد الغابة ١/ ٢٠٨ (٣٩٣). الخطط ١/ ٢٩٦: برح بن حسكل، ويقال: برح بن عسكر. فتوح مصر ٣١٦:

حسكل وعسكل.

(٢) الخطط ١/ ٩٤.

(٣) ذيل الروضتين ٨٠: توفي في ٢٨ صفر.

(٤) الإصابة ١/ ١٤٧، الاستيعاب (بهامش الإصابة ١/ ١٥٤)، أسد الغابة ١/ ٢١٣ (٤٠٦)، الوافي ١٠/ ١٢٩ (٤٥٩٠)، تاريخ خليفة بن خياط، نشر أكرم ضياء العمري، بغداد ١٩٦٧ ص ٢٩٤، ابن عساكر (بدران) ٣/ ٢٢٣ (ابن منظور) ٥/ ١٨٢ (٨٧) الكامل في سنة ٤٠، وقعة صفين (فهارس).." (١)

"فقال: إذا رضيناه نحن، فمن يخالفنا؟ وهو وزير السيف وأما صعود المنبر، فيستنيب عنه قاضي القضاة. وأما ذكره في الكتب الحكمية فلا حاجة إلى ذلك، ويفعل ما كان يفعل قبل أمير الجيوش.

فكثر الإنكار من الناس لوزارة بهرام، إلا أنه لم يدخل في شيء مشكل، وساس الأمور بعقل جيد وتدبير حسن، وأنفق في الجند جملة من الأموال فاستقامت أحواله وراسله الملوك وزالت الفتن من البلاد في أيامه،

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٢/٢٣٧

فلم ينكر عليه شيء سوى أنه نصراني. وكان يقعد في يوم الجمعة عن الصلاة ويعدل إلى مكان بمفرده إلى أن تنقضي الصلاة [٢٩٦ ب]. وسأل الخليفة أن يسمح له في إحضار أهله فأذن له في ذلك فأحضرهم من تل باشر ومن بلاد الأرمن حتى صار منهم بمصر قدر الثلاثين ألف إنسان. فاستطالوا على المسلمين، وكثر جورهم وبنوا عدة كنائس وأديرة، حتى كان كل رئيس منهم يبني له كنيسة. فخاف **أهل مصر** منهم أن يغيروا الملة الإسلامية، وكثرت الشكايات فيه وفي أخيه الباساك وكان قد ولاه قوص، فعظم ذلك على الأمراء. وتفاقم أمر النصارى، ووصل إليه ابن أخيه المعروف بالسبع الأحمر، فأطلق الأسرى من الفرنج. وشنعت القالة وكاتب أهل الدولة الأمير رضوان بن الولخشي والي الغربية، فحشد لقتال بهرام، وخرج من سخا في ثلاثين ألفا حتى نزل دجوة، وبهرام لا ينزعج. فلما قرب من القاهرة جمع بهرام الأرمن وقال لهم: قد علمتم بأنا غرباء ولم نزل نخدم هذه الدولة [٢٦٦ ب]، والآن فقد كثر بغضهم لأيامنا وما كنت بالذي أكون عند قوم وأخدمهم من حال الصبا، فلما بلغت الكبر أقاتلهم؟ والله لا ضربت في وجوههم بسيف أبدا! سيروا بنا!

ثم اجتمع بالخليفة وفاوضه في أمره. فقال له:

يغلبني عليك الإسلام.

فأيس حينئذ وسار بالأرمن. وقيل: بل ركب في عساكر مصر، وخرج ومعه الأرمن، يريد محاربة رضوان. فلما التقى الجمعان خامر عليه الأمراء ولحقوا برضوان، فانهزم بالأرمن. وأخذ م ا خف من المال وخرج من باب البرقية في حادي عشر جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين، وسار يريد قوص، وبها أخوه الباساك. وأوسق مراكب كثيرة وسيرها في النيل بما يحتاج إليه. فعند ما خرج من القاهرة تكاثرت الغوغاء على دار الوزارة ونهبوها وهتكوا حرمتها، وخرجوا إلى دور الأرمن بالحسينية خارج باب الفتوح فنهبوها كلها، ونهبوا كنيسة الزهري، ونبشوا قبر البطريك أخي بهرام ومثلوا برمته.

وطار خبر هزيمة بهرام في سائر إقليم مصر حتى وصل الخبر إلى قوص قبل وصوله إليها.

فثار المسلمون بالباساك وقتلوه. فقدم بهرام بعد قتله بيومين إلى قوص، ومعه من الأرمن نحو الألفين، فرأى أخاه الباساك على مزبلة وقد ربط معه كلب (١). فحنق ووضع السيف في أهل قوص فقتل منهم خلقا كثيرا، ونهب البلد وخرج إلى أسوان، ونزل بالأديرة البيض- وهي أماكن حصينة عدتها ثلاث [ة] ديارات في غربي مدينة إخميم.

وتقدم إليه (٢) بأن يسرح من معه من الأرمن إلى بلادهم، ومن رضي منهم أن يقيم بمصر فلاحا فليفعل.

فأقام بأهله وولده، وخرج جماعة ممن

---

(١) في الاتعاظ ٣/ ١٦١: الكلب ميت.

(٢) الكلام فيه نقص، ولعل الضمير يعود إلى إبراهيم بن ولخشي الذي لا حق الأرمن إلى الصعيد، وسيأتي ذكره بعد قليل.." (١)

"المقتدر بالله على صلاتها، فدعي له بها يوم الجمعة لإحدى عشرة خلت من شوال سنة سبع وتسعين ومائتين. وقدمها يوم السبت لليلتين خلتا من ذي الحجة، وتقدم إليه بالجد في أمر المغرب والاحتراس منه، فعقد لأبي النمر أحمد بن صالح على برقة فبعث معه بجيش فلقي حباسة بن يوسف فواقعه. ثم صرفه بخير المنصوري فقاتل حباسة خيرا وهزمه.

وكتب تكين إلى المهدي عبيد الله صاحب إفريقية كتابا على لسان أمير المؤمنين المقتدر بالله يدعوه فيه إلى الطاعة والتمسك بها. وجمع وجوه **أهل مصر** وقرئ عليهم وأنفذه إليهم (١)، وذلك في سنة ثلاثمائة.

وخرج رجل بمدين (٢) يقال إنه من آل أبي طالب. فبعث إليه تكين محمد بن طاهر صاحب الشرطة فأتى به وشهره في رابع عشر شعبان منها.

وأمر تكين في يوم نوروز أو المهرجان بجمع المؤنثين (٣)، فأمرهم بإظهار المعازف والمزامير والطبول وشهرهم في لباسهم وطافوا الفسطاط ومروا على الجامع العتيق، وذلك يوم الثلاثاء سابع ذي القعدة منها.

وقدم عليه الخبر بدخول حباسة إلى الإسكندرية في ثامن المحرم سنة اثنتين وثلاثمائة، فبعث بالخبر إلى بغداد فقدمت الجيوش في العشرين من صفر مددا له. وقدم الحسين ابن أحمد الماذرائي وأبو بكر محمد بن علي

الماذرائي (٤) من بغداد على الخراج بمصر في تاسع ربيع الأول [سنة ٣٠٢]، ومعهما أحمد بن كيغلغ وأبو قابوس (٥) محمود بن حمك في جمع من القواد، فبعث تكين مقدمته في الخامس من جمادى الأولى إلى الجيزة. وخرجت الجيوش يوم الاثنين تاسعه فعسكر بالجيزة. ونودي بالنفيربالفسطاط، وقابل حباسة يوم الخميس لثمان بقين منه، وهزمه وقتل رجاله. وتبعه طائفة من الناس فخرج عليهم كمين لحباسة قتل منهم عشرة آلاف، ومضى حباسة إلى المغرب.

فقدم المظفر مؤنس الخادم من بغداد للنصف من شهر رمضان ومعه جمع من الأمراء، فصرف تكين عن

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٢/٢٩٥

مصر يوم الخميس الرابع عشر من ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثمائة وأخرجه في سابع ذي الحجة [سنة ٣٠٢].

ثم ولي مصر ثانيا بعد موت ذكا الأعور (٦)، وتسلم [له] خليفته (٧) حتى قدم، والعسكر بالجيزة، لقتال أبي القاسم ابن المهدي صاحب إفريقية. فنزلها يوم الخميس لإحدى عشرة خلت من شعبان سنة سبع وثلاثمائة وحفر خندقا ثانيا.

---

(١) أنفذه إليهم: إلى العبيديين بإفريقية، انظر العيون والحدائق ١٦٣.

(٢) مدين: تقع على بحر القلزم (البحر الأحمر اليوم) وهي من أعمال مصر الشرقية (ياقوت).

(٣) في المخطوط: الوثنين، والإصلاح من الكندي ٢٦٩.

(٤) الماذرائيون: الحسين بن أحمد المعروف بأبي زنبور:

خدم الطولونيين وكلف بالخراج في مصر والشام مرارا وتوفي سنة ٣١٤ أو ٣١٧ (انظر تعليق عمر السعيدي ناشر العيون والحدائق في الفهرس، وانظر ترجمته في المقفى رقم ١٢٢٣).

أما محمد بن علي الماذرائي فقد ولي خراج مصر إلى وفاته سنة ٣٤٥ (العيون والحدائق ٤٨8، وانظر ترجمته رقم ٢١٠٧).

(٥) في المخطوط: أحمد بن كيغلغ أبو قابوس وأبو قابوس محمود بن حمك. والإصلاح من الولاة والقضاة ٢٦٩.

(٦) توفي ذكا الأعور في ١١ ربيع الآخر ٣٠٧ (العيون والحدائق ٢٧٦).

(٧) تسلم ولاية مصر باسم تكين في انتظار قدومه.." (١)

"١٠٣٨ - توزان التركي (١)

[٣٤٣ ب] توزان- بالزاي- التركي. ولاه أحمد بن طولون الشرطة بعد بوليغا، ثم صرفه بأخيه موسى بن طولون بعد سنة. وكان ربما صلى بالناس في الجامع.

- وجاءت في الهامش الموعظة المتوقعة من حسن العطار، فكتب:

أقول: جوزي الملك الصالح في ولده ببعض ما كان يفعله، فإنه كان سفاكا غادرا وقصة شنقه الرجل وولده

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣٤٨/٢

مع جملة من شنقهم من أهل دمياط بلا ذنب يشيب من سماعها القلب، وهي مشهورة. وإني لأعجب ممن يفتقده حتى إن أهل مصر يصنعون له مولدا فهو في ذلك بمصر كتيمور لنك بسمرقند.

والعوام هوام وضرب من الأنعام، من حسن العطار.

(١) الكندي ٢١٢.." (١)

"١٠٤٦ - ثمل الخادم [- بعد ٣١١] (١)

[٣٥١ أ] [...] وغزا في بحر الروم فغنم وسبى وعاد في سنة ست وثلاثمائة. فلما قدمت مراكب المهدي عبيد الله من إفريقية تريد الإسكندرية، وعدتها ثمانون مركبا، وقائدها سليمان الخادم ويعقوب الكتامي، وقد ملكها أبو القاسم ابن المهدي، بعث أمير المؤمنين المقتدر بالله أبو الفضل جعفر إلى ثمل، وهو على مراكب طرسوس، فأتى في خمسة وعشرين مركبا إلى رشيد، فلقي المراكب وعليها سليمان الخادم في العشرين من شوال سنة سبع وثلاثمائة، وقاتله قتالا شديدا. فبعث الله الريح على مراكب سليمان فألقتها إلى البر فتكسر أكثرها. وأخذ ثمل من فيها أخذا باليد وقتل أكثرهم. وسار بمن بقي إلى الفسطاط فأنزلهم بالمقس يوم الاثنين لأربع بقين منه. فأمر أبو منصور تكين أمير مصر بتمييز الأسارى فأطلق أهل القيروان وأهل طرابلس وبرقة وصقلية، وميز كتامة وزويلة ناحية، ثم أذن للناس في قتلهم، فقتلوا منهم نحو السبعمائة. ودخل ثمل ومعه سليمان الخادم فطاف به مقيدا، ومعه رؤساء المراكب وهم مائة وسبعة عشر رجلا في يوم الثلاثاء لثلاث بقين منه. ثم مضى إلى الإسكندرية في مراكبه فقاتله أصحاب أبي القاسم وهزمهم، وملكها، ونقل أهلها إلى رشيد، وذلك في المحرم سنة تسع وثلاثمائة.

ورجع إلى الفسطاط فمضى في مراكبه إلى اللاهون (٢).

ثم عاد بعد مسير أبي القاسم إلى برقة. وخرج مع مؤنس في ربيع الآخر سنة تسع وثلاثمائة، ومعه سليمان الخادم والأسرى في مراكبه، فحمل سليمان إلى بغداد.

وغزا في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، فغنم من السبي ألف رأس وثمانية آلاف دابة ومائة ألف رأس من الغنم، ومن الذهب والفضة شيئا كثيرا (٣).

١٠٤٧ - ثوبان بن بجدد، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم [- ٥٤] (٤)

ثوبان بن بجدد- ويقال: ابن جحدر- مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكنى أبا عبد الله. أصله من

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣٦٦/٢

ألهان ؍ ٥) من أهل اليمن، أصابه سباء فابتاعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأعتقه، وقال له: «يا ثوبان، إن شئت أن تلحق بمن أنت منهم فعلت، فأنت منهم، وإن شئت أن تثبتفأنت منا أهل البيت». فثبت على ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزل حمص وله بها دار صدقة وشهد فتح مصر، واختط بها.

وروى عنه من **أهل مصر** مرثد بن عبد الله اليزني وأبو عبد الرحمن الجبلاني (٦)، وروى عنه

- طواعية، دون أن يخرجه منها ثمل. واللاهون من أعمال الفيوم والصعود إليها على النيل.

(١) العيون والحدائق ٣٠٦. وانظر ترجمة تكين الخاصة رقم ١٠٢٩ والقائم رقم ٢٦٤١. وعند الداعي إدريس ٢٠٦:

ثمال.

(٢) في عيون الأخبار ٢٠٦، أن القائم ترك الإسكندرية عن-

(٣) في الكامل (تحت سنة ٣١١)، أن هذه الغزوة كانت في البحر، وهذه الأرقام الخيالية تبعث على الظن أن الغزوة استهدفت السواحل الرومية.

(٤) أسد الغابة ١/ ٢٩٦ (٤٢٦)؛ الاستيعاب ١/ ٢١٨ (٢٨٢)؛ الإصابة ١/ ٢٠٤ (٩٦٧)؛ حلية الأولياء ١/ ١٨٠ (٣١)؛ مختصر تاريخ دمشق ٥/ ٣٤٦ (١٩٣)؛ الأعلام ٢/ ٨٨؛ تاريخ البخاري ٢/ ١٨١ (٢١٢٨)؛ الجرح والتعديل ٢/ ٤٦٩ (١٩٠٧)؛ أعلام النبلاء ٣/ ١٥ (٥) ولقبه: النبوي؛ الوافي ١١/ ١٢ (٨٦): ثوبان مولى النبي.

(٥) ألهان: مخلاف من اليمن (ياقوت).

(٦) جبلان: بطن من حمير (السمعاني).." (١)

"فبينا هم في ذلك بمصر إذ ورد الخبر بقدوم الحسن بن أحمد الأعصم كبير القرامطة (١) إلى الرملة، وانهزام الحسن بن عبيد الله منهم إلى مصر. فشغب الأتراك على الوزير وطالبوه بأرزاقهم فاستتر منهم. ونهبوا داره ودور أصحابه وكتابه فلم يزل مستترا إلى سلخ ذي الحجة [سنة ٣٥٧]، وقد قدم الحسن بن عبيد الله بن طغج، فخرج إليه، وهو نازل بالمختار في الجزيرة تجاه مصر. وركب معه في يوم الجمعة ثاني المحرم سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة من المختار إلى الجامع العتيق. فلما انقضت الجمعة سار خلف الحسن،

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٢/٣٧٦

والناس تسبه وتشتمه، فخاف عليه الحسن، وأمره أن يمضي إلى داره، فسار إليها.

ونزل الحسن بدار الإمارة، وقبض على الوزير يوم الاثنين سادس المحرم وعذبه، وصادره على مال عظيم باع فيه أملاكا كثيرة. وتوسط أمره الشريف مسلم فأطلعه إلى داره [٣٨١ أ] موكلا به، فأقام إلى أن أطلق في آخر صفر.

وسار الحسن بن عبيد الله إلى الرملة في ثالث ربيع الآخر ومعه شمول وجماعة من القواد، فخلت له البلاد، إلا أن الأخبار وردت بمسير عساكر المعز مع القائد جوهر في جمادى الآخرة، فأنفذ أهله إلى الأشمونين مع الشريف عيسى بن عبيد الله أخي مسلم، وجمع الناس وشاورهم فاتفقوا على مراسلة جوهر. ثم اجتمعوا على محاربته، وأن يولوا عليهم نحرير شويزان. ثم انحل ذلك وعادوا إلى المراسلة بالصلح، وكانت رسل القائد جوهر ترد سرا إليه.

فسار الشريف مسلم والقاضي أبو طاهر في جماعة إلى القائد جوهر في يوم الاثنين ثامن عشر رجب [سنة ٣٥٨] بتقرير الوزير، وعادوا في أول شعبان بكتاب جوهر إلى جماعة **أهل مصر**، وبكتابه إلى الوزير. وخاطبه فيه بالوزارة بعد ما امتنع من ذلك، وقال للشريف مسلم: كيف أخاطبه بالوزير، وما وزر لخليفة قط؟

فما زال الشريف به حتى خاطبه بالوزارة.

فاجتمع الناس عنده لقراءة كتاب جوهر، وقد نقض الإخشيدية والكافورية حديث الصلح، وأقاموا عليهم نحرير شويزان، وانفضوا. وخرجوا للقتال في عاشر شعبان فقتل كثير منهم.

وعبر جوهر إلى مصر، ونزل بمناخه حيث القاهرة اليوم في سابع عشر [شعبان ٣٥٨]، فخرج إليه فيمن خرج إلى لقائه بالجيزة، فصاح بعض حجاب جوهر بالناس: الأرض! إلا الشريف والوزير!

فاستمر به جوهر على قرارته، فكان يركب في كل يوم إلى القائد جوهر ويلقاه بمناخه فيقبل جوهر منه ما يشير به ويعمل بمقتضاه. وجلس معه في مجلس المظالم كل يوم سبت إلى أن ورد عليه كتاب المعز في ذي الحجة [سنة ٣٥٨]. فبعث ابنه أحمد بن جعفر في ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة إلى بلاد المغرب بهدية إلى المعز.

فلما قدم القرامطة لقتال جوهر، وكل القائد جوهر بالوزير أبي الفضل خادما يبيت معه في داره ويركب معه حيث كان. ثم أمره في رابع صفر سنة إحدى وستين [وثلاثمائة] أن يخرج من داره بمصر، وأن يقيم بالقاهرة، فبنى بها دارا سكنها بعده الوزير يعقوب بن كلس. ورد إليه جوهر تدبير الأموال في شهر ربيع الآخر إلى أن

قدم المعز لدين الله في سابع شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، ورد الأمور إلى يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن.

---

(١) الأعصم القرمطي: ترجمة ١١٤٦.." (١)

"إليهم المعز بنودا ففرقوها فيمن استجاب لهم، وأمرهم أن ينشروها إذا قاربت عساكره مصر.

فعند ما قرب جوهر من أرض الإسكندرية جمع الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن حنزابة (١) الناس بداره من مصر، واتفقوا على مراسلة جوهر وأن يشترطوا عليه أن يقرهم على ما بأيديهم من الضياع والأعمال التي يتولونها. وشرط نحرير شويزان أن لا يجتمع مع جوهر. وأرسلوا إليه بذلك الشريف أبا جعفر مسلم [بن عبيد الله الحسيني] والشريف أبا إسماعيل إبراهيم بن أحمد الرسي، والقاضي أبا [٣٦٠ أ] الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر الذهلي وأبا (٢) الطيب العباس بن أحمد العباسي الهاشمي في جماعة.

فبرزوا إلى الجيزة في يوم الاثنين ثامن عشر شهر رجب [سنة ٣٥٨]، وساروا فلقوا جوهر في تروجة، فوافقهم وأجابهم إلى ما التمسوه وكتب لهم كتابا، نصه بعد البسملة:

[عهد جوهر **لأهل مصر**]

هذا كتاب جوهر الكاتب عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه لجماعة **أهل مصر** الساكنين بها، من أهلها ومن غيرها: إنه قد ورد منسألتموه الترسل والاجتماع معي، وهم:

أبو جعفر مسلم الشريف، أطال الله بقاءه، وأبو إسماعيل الرسي أيده الله، وأبو الطيب الهاشمي أيده الله، وأبو جعفر أحمد بن نصر أعزه الله، والقاضي أبو طاهر أعزه الله.

وذكروا عنكم (٣) أنكم التمستم كتابا يشتمل

على أمانكم في أنفسكم وأموالكم وبلادكم وجميع أحوالكم. فعرفتهم ما تقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله [عليه] وحسن نظره إليكم، فاحمدوا الله على ما أولاكم واشكروه على ما آتاكم. وادأبوا فيما يلزمكم، وسارعوا إلى طاعته العاصمة لكم، العائدة بالسعادة عليكم والعصمة الشاملة لكم:

وهو أنه، صلوات الله عليه، لم يكن إخراجه للعساكر المنصورة، والجيوش المظفرة، إلا لما فيه إعزازكم

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٢٨/٣

وحمايتكم والجهاد عنكم، وقد تخطفتكم الأيدي، واستطال عليكم المستدل، وأطمعته نفسه بالاقتدار على بلدكم في هذه السنة والتغلب عليه، وأسر من فيه، والاحتواء على نعمكم وأموالكم حسب ما فعله في غيركم من أهل بلدان المشرق، وتأكد عزمه واشتد كلبه، فعاجله مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه بإخراج العساكر المنصورة، وبادره بإنفاذ الجيوش المظفرة دونكم ومجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان المشرق الذين عمهم الخزي، وشملتهم الذلة، واكتنفتهم المصائب، وتتابعت لديهم الرزايا، واتصل عندهم الخوف، وكثرت استغاثتهم، وعظم ضجيجهم، وعلا صراخهم، فلم يغثهم إلا من أرمضه أمرهم ومضه حالهم، وأبكى عينه ما نالهم، وأسهرها ما حل بهم:

وهو مولانا وسيدنا أمير المؤمنين، صلوات الله عليه، فرجا، بفضل الله وإحسانه لديه، وما عوده وأجراه عليه، استنقاذ من أصبح منهم في ذل مقيم، وعذاب أليم، وأن يؤمن من استولى عليه الوهل، ويفرخ روع من [٣٦٠ ب] لم يزل في خوف ووجل، وآثر إقامة الحج الذي تعطل وأهمل العباد فروضه وحقوقه، من الخوف المستولي عليهم، وإذ لا يأمنون على أنفسهم ولا

---

(١) جعفر ابن الفرات ابن حنزابة مرت ترجمته منذ قليل.

(٢) في المخطوط: وأبو.

(٣) في المخطوط: عندكم.." (١)

"سافر فيمن سار يريد الشام، فرجع عن الحوف في عسكر كبير.

[هلال رمضان: رؤية أم حساب؟]

وفي هذا الشهر ابتدأ بنيان القصر وبنى المصلى الذي للعيد. وأفطر جوهر [٣٦٣ ب] في عيد الفطر على عدد بغير رؤية، وصلى صلاة العيد بالقاهرة صلى به علي بن الوليد الإشبيلي قاضي عسكره وخطب. ولم يصل أهل مصر وصلوا من الغد في الجامع العتيق، وفيهم القاضي أبو طاهر، وكان قد التمس الهلال على عادته في سطح الجامع فلم يره، فلما بلغ ذلك جوهرا أنكره وعاتب عليه وتهدد فيه.

وجلس للمظالم في كل يوم سبت، ثم رد المظالم إلى أبي عيسى مرشد (١). وصرف علي بن الحسين عن الشرطة، وردها إلى شبل المعرضي وإلى ابن غزويه المغربي (٢). وأشرك بين علي بن يحيى بن العرمرم وبين

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣/٥٣

رجاء بن صولات في الخراج. وأشرك بين محمد بن أحمد الشذائي وبين موسى بن الحسين الدنهاجي في ديوان الضياع الإخشيدية. وأشرك بين محمد بن سالم وبين أبي اليمن قزمان ابن مينا في الضياع الكافورية.

ووردت كتب الإخشيدية والكافورية من الشام بطلب الأمان فأمنهم ووافى منهم في ذي الحجة ستة آلاف، فأنزلهم جوهر خارج القاهرة.

وفي يوم الجمعة ثامن ذي القعدة [سنة ٣٥٨] زيد في الخطبة: اللهم صل على النبي محمد المصطفى، وعلى علي المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول، الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا.

اللهم صل على الأئمة الراشدين، آباء أمير المؤمنين الهادين المهديين.

ونودي على التوابيت في الجامع العتيق برفع البراطيل (٣)، وقائم الشرطتين، وكذلك نودي في سائر البلد.

وورد الخبر بقدوم الفرامطة إلى الرملة.

وقدم كتاب المعز لدين الله من المغرب بوصول رأس نحرير ومبشر ويمن وبلال.

وفي ذي الحجة فر فاتك الهيكلي (٤) إلى الشام.

وبلغ جوهرا أن المستأمنة من الإخشيدية والكافورية قد عزموا على القيام. فحضر جنازة (٥) في خامسه [سنة ٣٥8] وانصرف منها وهم معه، فلما بلغ باب القصر من القاهرة قال للإخشيدية والكافورية: «انزلوا! » فنزلوا، فقبض على ثلاثة عشر من وجوههم، واعتقلهم ستة أشهر حتى سيرهم إلى المعز بالمغرب مع الهدية.

وقبض على أموال نحرير الأزغلي وغيره.

---

(١) الداعي أبو عيسى مرشد: قال بوناوالا ٦٦: لعله هو داعي مصر الذي وسمت باسمه رسالة النعمان «في تربية المؤمنين».

(٢) إن كان ابنا لغزويه بن يوسف الذي قتله المهدي، فهذا يعني أن الأسرة بقيت في خدمة الفاطميين. وفي صفحة قادمة يسميه عروبة– أو غزويه– بن إبراهيم كما في الاتعاظ ١/ ١٤٤.

(٣) البراطيل: ضرب من الرسوم تؤخذ من أهل البلد (اتعاظ ١/ ١١٧ هامش ٣). والتوابيت لعلها جمع التابوت، وهو مودع الأموال عند القضاة. ولا نعرف قائم الشرطتين، وقد يكون واحدا من المكوس المفروضة بمصر قبل دخول جوهر. وقد ذكر في الاتعاظ ١/ ١١٧ وأردف بعبارة: وسائر رسوم البلد.

(٤) فاتك- أو فتك- الإخشيدي: أحد القواد الإخشيديين الذين أسرهم جعفر بن فلاح. انظر عيون الأخبار ٣٩٢، هامش ٢٦٣.

(٥) هي جنازة أحد أبناء جعفر بن فلاح، كما في الاتعاظ ١١٨، دون ذكر اسمه.." [١]

"بالمسجد الجامع، وولى عليها أمينا من قبله، وهو أول القضاة فعل ذلك.

وترك تلقي الأمراء والسلام عليهم. ولا عن بين رجل وامرأته، ونفى وضرب الحد في سب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وتهدد بالرجم.

وقتل نصرانيا سب النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن جلده الحد.

وأمر بضرب عنق رجلين نصرانيين شهد عنده أنهما ساحران، فكانت بينه وبين يزيد بن عبد الله الأمير في ذلك منازعة. وهدم مسجدا بناه خراساني بين القبور.

ولم يكن في ولايته خلل سوى في بيت مال القضاة، فإن أمره لم يجر على استقامة من أجل أنه دفع مفتاحه إلى أخيه محمد بن مسكين ولإبراهيمبن أيوب ليخرجا منه شيئا، فاتهم إبراهيم أنه سرق منه ثلاثين ألف دينار، ثم كتبت رقعة إلى الحارث بالطعن في ولاته، فاستبدل بكتابه وأعوانه وغيرهم.

وشهد عنده رجل، فقال له: ما اسمك؟

قال: جبريل.

فقال له: لقد ضاقت عليك أسماء بني آدم حتى سميت بأسماء الملائكة؟

فقال له الرجل: كما ضاقت عليك الأسماء حتى سميت باسم الشيطان، فإن اسمه الحارث.

وفي رواية أن رجلا تقدم إليه في خصومة، فناداه رجل باسمه وكان اسمه إسرافيل، فقال له الحارث: ما حملك على أن تسمى بهذا الاسم، وقد قال صلى الله عليه وسلم: لا تسموا بأسماء الملائكة؟

فقال له: فلم سمي مالك بن أنس، وقد قال الله تعالى: ونادوا يا مالك [الزخرف: ٧٧]؟ ثم قال: والله لقد تسمى الناس بأسماء الشياطين، فما عيب ذلك- يعني الحارث، ويقال: هو اسم إبليس لعنه الله.

وحضر الحارث جنازة في جمع من وجوه مصر، وفيهم يونس بن عبد الأعلى، فأخذ يونس في كلام الزهاد والحكاية عن الصالحين حتى بكى من حضر. فالتفت الحارث إلى يونس، وقال له برفق: أنت تحسن هذا كله، وأنت تصنع وتصنع؟

فقال له يونس: أنت قاض، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٥٩/٣

وكان الحارث منحرفا على يونس، فاتفق أنه شهد عنده بشهادة وانصرف. فأسقط في يديه وعلم أن أصحاب مسائل الحارث، وهم أبو برد أحمد بن سليمان بن برد، وعمرو ويزيد ابنا يوسف بن عمرو سيجرحونه، فرجع إلى الحارث من وقته [٤٨٤ أ] وقال: أصلح الله القاضي، إني شهدت اليوم شهادة وفي قلبي منها شيء، لست أحقها.

فأوقف الحارث الشهادة، وبلغ أصحاب مسائله ذلك، فقالوا: أفلت يونس من أيدينا.

ودخل إلى الحارث رجل فخاطبه بشيء، فقال له الحارث: من يشهد لك؟

قال: محمد بن عبد الله بن عبد الحكم.

فقال له الحارث: قل له إن كان رجلا فليأت وليشهد.

فقال رجل من أهل العراق: ما أعجب أمركم يا أهل مصر! يكون سليم الأسود الخادم معدلا فيكم، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم مجروح؟

فسمعه سليم فقال: يا هذا، إني لم أخن." (١)

"١٠ وأتى رسولك بالجواب مسلما ... بإرادة المولى العظيم الأرأف

لي أجرتي: غرف الجنان وحورها ... ونعيمها فأفوز يوم الموقف

صلى عليك الله ما غسق الدجى ... أو لاح صبح بالضياء المشرف

ومتى بدت شمس النهار منيرة ... في ضوءها الوهاج حتى ينطفي

ثم إن أبا بكر رضي الله عنه، لما استخلف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حاطبا إلى المقوقس بمصر، فمر على ناحية قرى الشرقية، فهادنهم وأعطوه، فلم يزالوا على ذلك حتى دخلها عمرو بن العاص، فقاتلوه. فانتقض ذلك العهد، وهي أول هدنة كانت بمصر.

وروى حاطب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من رآني بعد موتي، فكأنما رآني في حياتي. ومن مات في أحد الحرمين بعث في الآمنين يوم القيامة.

وليس له غير هذا الحديث، حدث عنه من أهل مصر عبيد بن رفيع الهذلي. وحدث عنه [٣١٨ ب] أبو غطيف أن عمر بن الخطاب قال: يقاتلكم أهل الأندلس بوسيم حتى يبلغ الدم ثنن الخيل (١)، ثم ينهزمون.

وكان حاطب تاجرا يبيع الطعام، وكان حسن الجسم، خفيف اللحية، أحنى إلى القصر ما هو شثن (٢) الأصابع.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٨١/٣

ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، فقال: رضي الله عنك! رضي الله عنك!

١١١٧ - حبشي السلمي رأس المغاربة [- ٣٢٤] (٣)

[٤٢٣ أ] حبشي بن أحمد، السلمي، أبو مالك.

ترأس على المغاربة الذين كانوا بمصر في أيام الفتن التي حدثت بها بعد موت الأمير تكين بين أبي بكر محمد بن علي الماذرائي وبين أبي بكر محمد بن تكين، وصار حبشي بأصحابه في جملة الماذرائي.

فلما ولي أحمد بن كيغلغ مصر، نزغ (٤) الشيطان بين الجند فافترقوا فرقتين، فكان جيكويه (٥) على أهل مصر، وحبشي على المغاربة، واقتتلوا في يوم الثلاثاء خامس ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، فقتل من المغاربة نحو الأربعين رجلا. وفر حبشي بمن بقي إلى الجيزة وعسكر. ثم سار إلى أسيوط وأقام بها.

ثم عاد بالمغاربة إلى الجيزة سلخ صفر سنة اثنتين وعشرين [وثلاثمائة]، فخرج إليهم جند مصر لقتالهم. فوقع الصلح بين الفريقين يوم الثلاثاء

- رسول الله صلى الله عليه وسلم شثن الكفين والقدمين. ويحمد ذلك في الرجال لأن القبضة تكون أشد. (النهاية).

(١) الوسيم لم نفهمها، ولعلها تعني الجمع الغفير كما في المواسم، أو الخيل الموسومة أي المعلمة بعلامة، وإن كان الوسم أي الكي مخصوصا بالإبل. ولعلها: الوسيم: الحسن الوجه، كناية عن الخيل الفرهة النشيطة. وثنن الخيل شعرات في حوافرها، وقد وردت في حديث فتح نهاوند: وبلغ الدم ثنن الخيل (اللسان والنهاية).

(٢) الشثونة: غلظ الكف وخشونة المفاصل، وكان-

(٣) كتاب الولاة والقضاة ٢٨٤، و «المغاربة» كانوا صنفا من المرتزقة في الجيش المصري، يستند إليهم الولاة لصرف منافسيهم على الحكم. وهذا الفريق سبق بكثير دخول الفاطميين إلى مصر، ويظهر أنه بعيد عن التشيع. ثم إن حبشي وجماعته من أنصار أحمد بن كيغلغ لما ثبتت ولاية الإخشيد على مصر، نزحوا إلى برقة وأخذوا يغرون القائم العبيدي باحتلال مصر. فجهز القائم جيشا في سنة ٣٢٤ حسب رواية الكندي ٢٨٧، فتصدى له الإخشيد.

(٤) نزغ الشيطان بينهم: أفسد.

(٥) قائد **المصريين** في قراءة رفن فست: حبكويه (الولاة والقضاة ٢٨٤) بالحاء المهملة والباء الموحدة التحتية.." (١)

"وعشرين وثلاثمائة (١).

١١١٧/ ٢ - حبش بن الفراء [- ٦٣٣] (٢)

[٤٢٣ ب] حبش بن محمد بن إبراهيم بن أبي يعلى، الشيخ الصالح، أبو محمد، ابن أبي عبد الله، الفراء. كان لأبيه زاوية بمصر، فأقام هو بها [إلى أن مات للنصف من شهر] ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة.

١١١٨ - حبيش بن دلجة [- ٦٥] (٣)

حبيش- بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء آخر الحروف ثم شين معجمة- بن دلجة- بفتح اللام، وقيل:

بإسكانها- بن عمرو بن مشمت بن مذعور بن فردم بن حبيب بن زيد بن عوف بن حي بن وائل بن جشم بن مالك بن كعب بن القين- واسمه النعمان، وإنما حضنه عبد يقال له القين، فغلب عليه- بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، أبو [...]، القيني، أحد وجوه أهل الشام من أهل الأردن.

شهد صفين مع معاوية، وكان يومئذ على قضاعة الأردن. وولاه يزيد بن معاوية على أهل الأردن يوم بعثهم إلى الحرة. وقدم مصر مع مروان بن الحكم، وكان على مقدمته، حتى صالح

أهل مصر وملكها. فعقد له في جمادي الأولى سنة خمس وستين وسيره في خمسة آلاف من أهل الشام إلى المدينة ليخرجوا منها عمال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وقال له: أنت على ما كان عليه مسلم بن عقبة.

فخرج لعشر خلون منه ومضى حتى نزل بذي المروة، ووجد رسولا من ابن الزبير بكتابه إلى عبد الرحمن بن جحدم عامله على مصر، ولم يكن بلغه غلب مروان على مصر. فضرب عنقه، ومضى إلى المدينة فدخلها

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣/٨٧

ونزل في دار مروان دار الإمارة. وكان عليها جابر بن الأسود بن عوف ابن أخي عبد الرحمن بن عوف من قبل ابن الزبير.

ففر جابر، فبعث الحارث بن أبي ربيعة- أخو عمر بن أبي ربيعة- جيشا من البصرة، وكان واليا عليها لابن الزبير، وجعل عليهم حنتف بن السجف التميمي (٤) لحرب حبيش، فلما سمع بهم حبيش سار إليهم من المدينة، وبعث عبد الله بن الزبير عباس بن سهل بن سعد الساعدي إلى المدينة أميرا وأمره أن يسير في طلب حبيش، حتى يوافي جند البصرة. فأقبل عباس (٥) من مكة حتى لحقهم وهو في آثارهم، بالربذة فقاتلهم حبيش فرما [هـ] يزيد بن سياه [الأسواري] بسهم فقتله في غرة رمضان منها وانهزم أصحابه (٦)، وتحرز منهم خمسمائة بالمدينة، فقتلهم عباس بن سهل،

---

(١) قال الكندي ٢٨٧: إن حبشي توفي بالرمادة.

(٢) التكملة ٣/ ٤٠٧ (٢٦٣٥).

(٣) الأعلام ٢/ ١٧٣؛ تهذيب ابن عساكر ٦/ ١٩٣ (١٣٤)؛ النجوم ١/ ١٦٨؛ الطبري (سنة ٦٥)؛ مختصر ابن منظور ٦/ ١٩٣ (١٣٤).

(٤) هنا تأتي حاشية في الهامش: حنتف بن السجف بن سعد بن عوف بن زهير بن مالك، وهو العجيف، من ربيعة بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم القيسي ابن السجف التميمي. والحنتف هي قراءة ناشر المعارف ٤١٦. أما ناشر الطبري ٥/ ٦١٢ فقرأها:
الحنيف.

(٥) عباس بن سهل بن سعد الأنصاري عند الطبري ٥/ ٦١٢.

(٦) في المختصر ٦/ ١٩٤: قتل منهم خمسمائة وأسر خمسمائة.." [١]

"روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثين: أحدهما في الحج:

«من كسر أو عرج فقد حل، وعليه حجة أخرى». والآخر: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتهجد في الليل بعد نومه.

وروى عن عكرمة وكثير بن العباس، وابن أخيه ضمرة بن سعد وعبد الله بن رافع.

وحجاج هذا هو الذي ضرب مروان بن الحكم يوم الدار، فأسقطه حتى حمل، وهو لا يعقل.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٨٩/٣

وقدم مصر مع محمد بن أبي بكر، فلما قتل محمد سار من مصر وأخبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقتله.

١١٢١ - الحجاج بن يوسف [٤٠ - ٩٥] (١)

[٥٠٧ أ] حجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي- وهو ثقيف- بن منبه بن بكر بن هوازن، أبو محمد، الثقفي (٢).

[دخوله مصر مع أبيه]

ولد بمصر والمسور بالطائف عام الجماعة سنة أربعين. وقدم إلى مصر هو وأبوه مع مروان بن الحكم سنة خمس وستين. فبينا هو وأبوه في المسجد الأعظم، ومعه عمرو بن سعيد الأشدق، إذ مر بهم سليم بن عتر (٣)، فسلم وانصرف، فأثنوا عليه خيرا، وكان قاضي الجند زمن عمرو بن العاص، وكان من خيار الناس. فقال الحجاج: أما إني لو أجد هذا خلف هذا الباب، وكان لي عليه سلطان، لضربت عنقه. إن هذا وأصحابه يثبطون عن طاعة الملوك.

فشتمه والده ولعنه وقال له: تسمع القوم يذكرون عنه خيرا، ثم [٣٢٠ ب] تقول ما تقول؟

والله إني رأيي فيك ألا تموت إلا جبارا شقيا.

وكان أبوه صالحا.

وعن حرملة بن عمران قال: كان يوسف جالسا في المسجد، ومعه ابنه الحجاج. فمر سليم بن عتر، فقام إليه يوسف وسلم عليه وقال: إني أريد أن آتي أمير المؤمنين، فإن كانت لك حاجة فآثرني بها.

قال: نعم! حاجتي أن تسأله أن يعزلني.

فقال: والله لوددت أن عمال المسلمين كلهم مثلك. فكيف أسأله أن يعزلك؟

ثم انصرف. فجلس، فقال له الحجاج ابنه: يا أبت، من هذا الذي قمت إليه؟

قال: يا بني، هذا سليم بن عتر قاضي **أهل مصر**.

قال: يغفر الله لك يا أبتي! أنت يوسف بن أبي عقيل، تقوم إلى رجل من كندة أو تجيب (٤)؟

فقال: والله يا بني، إني لأرى الناس لا يرحمون إلا بهذا وأشباهه.

فقال: والله ما يفسد الناس عن أمير المؤمنين إلا هذا وأشباهه، يقعد ويقعد إليه أقوام أحداث

---

(١) الوفيات ٢/ ٢٩ (١٤٩) - الوافي ١١/ ٣٠٧/ (٤٥٦) - تهذيب بدران ٤/ ٤٨ - العقد ٥/ ١٣ - مروج الذهب ٣/ ٣٢٩ - أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٣ (١١٧) - أنساب الأشراف ٧/ ٢ ص ٢٤٣ - ٣٤٥.

(٢) حاشية: ثقيف بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، واسم ثقيف: قسي مخففة السين مشددة الياء، وإليه يرجع كل ثقفي.

(٣) سليم بن عتر قاضي مصر وقاصها (ت ٧٥): الوافي ١٥/ ٣٣٦ (٤٧٨) وحسن المحاضرة ٢/ ٩٦.

(٤) سليم بن عتر تجيبي.." (١)

"شهد صفين مع علي رضي الله عنه وحضر النهروان مع الحرورية وارتث (١)، فكان أول من أتى مصر برأي الخوارج، وأقام بها حتى قام عبد الله بن الزبير بمكة بعد موت يزيد بن معاوية يدعو إلى نصرة الحرم، فخرج إليه فيمن خرج منها، والأمير بمصر يومئذ مسلمة بن مخلد الأنصاري. فأقاموا معه يمنعون الكعبة أن تنتهك حرمتها. ثم قدم مع عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم إلى مصر في شعبان سنة أربع وستين، ومعه جمع كبير من الخوارج الذين كانوا مع ابن الزبير من **أهل مصر** وغيرهم، فأظهروا التحكيم وقالوا: لا حكم إلا لله، ودعوا إليه (٢).

١١٢٣ - الحر الأموي أمير مصر [- ١١٣] (٣)

[٥٢٢ أ] الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

ولاه هشام بن عبد الملك الصلاة والحرب بمصر فقدمها لثلاث خلون من ذي الحجة سنة خمس ومائة بعد محمد بن عبد الملك بن مروان، فأقر حفص بن الوليد على شرطه. وانتقض عامة أهل الحوف الشرقي من أجل أن عبيد الله بن الحبحاب متولي الخراج زاد على كل دينار قيراطا. فبعث إليهم الحر بأهل الديوان فحاربوهم وقتلوا منهم بشرا كثيرا، وذلك سنة سبع ومائة، وهو أول انتقاض القبط بمصر. ورابط الحر بدمياط ثلاثة أشهر، واستخلف حفصا، ثم وفد إلى هشام بن عبد الملك في شوال منها، واستخلف حفصا [على الفسطاط] حتى قدم في ذي القعدة.

وفي إمارته انحسر النيل عن البر، فكتب إلى هشام أن النيل انكشف عن أرض ليست لمسلم ولا لمعاهد، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا بالبناء فيها فإن الناس مضطرون إليها، فأذن له في بنائها قيسارية، فابتدأ بناءها في رجب منها حتى فرغت.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣/٩٣

وفي سنة ثمان [ومائة] تباعد ما بينه وبين عبيد الله بن الحبحاب، فكتب عبيد الله إلى هشام يكثر من ذمه. وكتب الحر يستعفي، فصرفه هشام في ذي القعدة سنة ثمان ومائة، فكانت ولايته على مصر ثلاث سنين سواء.

وعاد إلى دمشق فولاه الموصل، فبنى بها دارا سميت «المنقوشة». لأنه نقشها بالساج والرخام والفصوص الملونة.

ورأى ذات يوم امرأة تحمل جرة ماء، فإذا تعبت وضعتها ساعة ثم حملتها، وذلك لبعد الماء. فكتب إلى هشام بذلك فأمره أن يحفر نهرا إلى البلد فحفره فكان أكثر شرب أهل البلد منه، وبقي العمل فيه عدة سنين.

ولم يزل على الموصل حتى مات بها في ذي الحجة سنة ثلاث عشرة ومائة.

١١٢٤ - أبو عمر الجهني المحدث [- ٢٠٤] (٤)

[٥٢٣ أ] [٣٤٠ أ] حرملة بن عبد العزيز بن الربيع بن سبرة الجهني، أبو عمر.

كوفي قدم مصر وحدث بها عن أبيه وعمه عبد الملك بن سبرة، وعثمان بن مضرس (٥).

حدث عنه الحميدي، وعلي بن حجر، وأحمد بن الفرح الحجازي، وطائفة كثيرة.

---

(١) ارتث بالبناء للغائب: جرح.

(٢) زاد الكندي: فاستعظم الجند ذلك.

(٣) الكندي ٧٣، مختصر ابن عساكر ٢٣/ ٢٨٠ (١٦٣).

(٤) تهذيب التهذيب ٢/ ٢٢٨ (٤٢٤).

(٥) عبد الملك بن الربيع بن سبرة: تهذيب التهذيب ٦/ ٣٩٣. وعثمان بن مضرس: لسان الميزان ٤/ ١٧٧.." (١)

"فكلم فيه أبا الخطار فأغلظ له فرد عليه الصميل، فأقيم وضرب قفاه فمالت عمامته (١)، وخرج فقيل له: نرى عمامتك مالت.

فقال: إن كان لي قوم فسيقيمونها.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ١٤٨/٣

ثم مضى فجمع له كما ذكر في ترجمته (٢)، وأتى شذونة فاستخلف أبو الخطار على قرطبة، وخرج إليهم فاقتتلوا في رجب سنة سبع وعشرين ومائة قتالا شديدا فانهزم أبو الخطار وأسر، بعد ما قتل أصحابه شر قتل، وسجنه الصميل وثوابة بن سلامة الجذامي بقرطبة، وملكها ثوابة.

فثار عبد الرحمن بن حسان الكلبي وأخرج أبا الخطار من السجن (٣) واستجاش اليمانية، فاجتمع له خلق كثير وأقبل بهم إلى قرطبة وقاتل ثوابة والصميل ومعهما المضرية واليمانية. فلما اشتدت الحرب نادى رجل: يا معشر اليمانية، ما لكم تتعرضون للحرب على أبي الخطار، وقد جعلنا الأمير منكم؟

- يعني ثوابة، فإنه كان من اليمن- ولو أن الأمير منا لقد كنتم تعذرون في قتالكم لنا. وما نقول هذا إلا تحرجا من الدماء ورغبة في عافية العامة!

فقال الناس: صدق والله! والأمير منا، فما بالنا نقاتل قومنا؟

وتركوا القتال وافترقوا، وفر أبو الخطار إلى باجة ورجع ثوابة إلى قرطبة، فسمي ذلك العسكر عسكر العافية (٤).

فلما مات ثوابة في سنة تسع وعشرين [ومائة]، وأقام الصميل بعده يوسف بن عبد الرحمن الفهري، قال أبو الخطار: إنما أراد الصميل أن يصير الأمر إلى مضر- وسعى في الناس حتى ثارت الفتنة بين اليمن ومضر، واجتمعت اليمنية إليه والمضرية إلى الصميل، وتزاحفوا واقتتلوا أياما كثيرة قتالا لم يكن بالأندلس أعظم منه. ثم أجلت الحرب عن هزيمة اليمنية، فمضى أبو الخطار منهزما واستتر في رحى [بشقندة] كانت للصميل، فدل عليه فأخذه الصميل وقتله.

وكان شجاعا ذا رأي وكرم، وهو الذي قسم كور الأندلس على أجناد الشام لما كثروا عنده، ولم تحملهم قرطبة ففرقهم في البلاد، فأنزل أهل دمشق إلبيرة لشبهها بها وسماها دمشق. وأنزل أهل حمص إشبيلية وسماها حمص، وأنزل أهل قنسرين بجيان وسماها قنسرين، وأنزل أهلالأردن بريه وسماها الأردن، وأنزل أهل فلسطين بشذونة وسماها فلسطين، وأنزل **أهل مصر** بتدمير وسماها مصر لشبهها بها، فجرت أسماء هذه الكور على ذلك مدة.

وكان أبو الخطار مع فروسيته وكرمه شاعرا محسنا، فمن شعره قوله [البسيط]:

إن ابن بكر كفاني كل معضلة ... وحط عن غاربي ما كان يؤذيني

إذا اتخذت صديقا أو هممت به ... فاعمد لذي حسب ترضاه أو دين

ما قدر الله في مالي وفي ولدي ... لا بد يدركني، لو كنت في الصين

- الغساني (يمنية)، والكناني (قيسية).

(١) في النفح: فأقيم من مجلسه وتقنع ولعلها: وقنع أي ضرب على رأسه.

(٢) ترجمة الصميل مفقودة.

(٣) في البيان المغرب ٢/ ٣٥، أن أبا الخطار أفلت من سجنه، لا غير، ولكنه يزيد بعد حين: أخرجه عبد الرحمن بن نعيم الكلبي وهرب به إلى لبلة.

(٤) في البيان ٢/ ٣٤ تبرير آخر لهذا الاسم: هو جيش أبي-

الخطار وقد أطلق سراح المسلمين من البربر وغيرهم الذين نادى ثعلبة بن سلامة ببيعهم في سوق قرطبة بعد انتصاره على البربر الثائرين.." (١)

"عبد العزيز كل ما كان معه من السبي، وكان قد قدم معه من وصائف البربر بشيء لم ير مثله جمالا، فكان نصيب الشاعر يقول: حضرت السبي الذي كان عبد العزيز أخذه من حسان، وهو مائتا جارية، منها ما يقام بألف دينار!

وقدم حسان من قبل عبد الملك متوجها [إلى] المغرب، فلما قدم مصر قال لعبد العزيز: اكتب إلى عبدك تليد بالإعراض عن إنطابلس- وكانت الروم قد أغارت على إنطابلس بعد حسان، فهرب إبراهيم ابن النصراني واستولى الروم عليها. فبعث عبد العزيز إليها زهير بن قيس فقاتلهم وقتل أكثرهم.

فثار عطية بن يربوع من مذحج، وجمع المسلمين، وقاتل الروم وهزمهم. فبعث عبد العزيز غلامه تليد، ومعه من أشراف أهل مصر عدة، فضبط إنطابلس. فلما سأل حسان عبد العزيز في مكاتبة تليد أن يعرض عن إنطابلس، قال له: ما كنت لأفعل بعد أن ضيعتها فاستولت عليها الروم.

فقال حسان: إذن أرجع إلى أمير المؤمنين.

فقال عبد العزيز: ارجع!

فانصرف حسان راجعا إلى عبد الملك بن مروان، وخلف ثقله بمصر. فقدم على عبد الملك وهو مريض.

فوجه عبد العزيز بموسى بن نصير إلى المغرب، فقدم إفريقية سنة ثمان وسبعين.

ثم لم يلبث حسان حتى مات. وقال ابن يونس:

توفي سنة ثمانين بأرض الروم، والله أعلم.

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣/١٥٣

١١٤١/ ٢ - عرقلة الدمشقي الشاعر [- ٥٦٧] (١)

[٥٣٤ أ] حسان بن نمير بن عامر الشاعر الأعور

الملقب عين الغراب المعروف بعرقلة [...].

ومن شعره يمدح الناصر صلاح الدين يوسف [السريع]:

أقول والأتراك قد أزمعت ... منهم إلى حرب الأعاريب

ربي كما ملكتها يوسف ال ... صديق من أولاد يعقوب

يملكها في عصرنا يوسف ال ... عادل من أولاد أيوب

١١٤٢ - أبو علي السمسار [٥٥٠ - ٦٣٩] (٢)

[٥٣٤ أ] حسن بن إبراهيم بن هبة الله بن دينار، أبو علي، السمسار، الصائغ. مولده سنة خمسين وخمسمائة. وسمع الحافظ السلفي وحدث.

مات بمصر في ثامن عشر جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وستمائة.

١١٤٣ - علم الكفاة التستري [- بعد ٤٥٦] (٣)

[٥٣٤ أ] حسن بن إبراهيم بن سهل بن فضل بن سهل التستري، العميد، علم الكفاة، أبو علي. قد ذكر أبوه وعمه (٤) أبو سعد سهل. وكان هو يهوديا فأسلم وحفظ القرآن، وولي بيت المال. ثم قلد الوزارة في خلافة المستنصر بالله أبي تميم معد بعد أبي محمد الحسن بن مجلي بن أبي كدينة في رابع ذي الحجة سنة ست وخمسين وأربعمائة، فأقام

---

(١) الوافي ١١/ ٣٦٤ (٥٣٣) وفيه ابن نمير بن عجل- فوات الوفيات ١/ ٣١٣ (١١١): حسان بن نمير لا غير، ونقلا له شعرا كثيرا.

(٢) التكملة ٣/ ٥٨١ (٣٠٣١).

(٣) اتعاظ ٢/ ٢٧٠ وهو فيه: أبو علي الحسن بن أبي سعيد، وفي ص ٣٣٢ قال المقريزي: إن أم

المستنصر هي التي ولت أباه أبا سعيد إبراهيم التستري اليهودي وزارتها.

(٤) لم يمر ذكر أبيه إبراهيم. أما عمه- ولعله الجد- سهل، فحرف السين مفقود من المقفى.." (١)

"مشغول بصاحب الزنج وكثرة الفتن، فلم يبق أحد إلا خافهم لقوتهم وتمكنهم في البلاد.

ومات عبدان، وكان منهم رجل يقال له مهرويه قد عرف بالثقة والدين، فانقاد إليه خلق كثير وقال: أنا من ولد عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وصار يركب في قبة على جمل ويدعى بالسيد، وكان له ابن يقال له زكرويه، أحد الدعاة، ومن الناس من يسميه الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، فاتهم زكرويه بقتل عبدان، فخاف ثم تحول من سواد الكوفة وأنفذ ابنه أبا الحسين إلى الشام، فكان صاحب الجمل. وقال قوم: بل خرج من الكوفة الحسين ونزل سلمية فوجد بها بني أبي الملاحف، وهم: أبو عبد الله الحسين بن أحمد وأخواه (١) أبو العباس أحمد وحسن. فاستمالوه إلى القرمطة وحسنوا له أن يدعو إلى أبيه محمد بن إسماعيل فأجابهم إلى ذلك.

وكان معه من أولاده أربعة، هم:

أبو القاسم أحمد بن الحسين صاحب الجمل،

وأبو الحسن عري صاحب الخال،

وأبو محمد عبيد الله الذي ملك إفريقية،

والقاسم الذي خرج مع أبيه الحسين بالهبير.

فخرج أبو القاسم أحمد في أول المحرم سنة تسعين ومائتين في ألف رجل وتوجه إلى الرقة وقاتل عاملها سبك الديلمي وقتله وأخذ جميع ما في عسكره، وسار إلى دمشق فخرج إليه طغج بن جف عاملها من قبل أبي موسى هارون بن أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون، فهزمه أقبح هزيمة وقتل أكثر من معه وأخذ أموالهم، ونجا طغج إلى دمشق، فنزل أبو القاسم على دمشق من

داريا إلى المزة وحصرها سبعة أشهر حتى قدم بدر الحمامي بجيوش مصر، فزحف إليهم وقد ركب جملا أحمر قدام عسكره، وحوله مائة أسود بسيوف وحجف (٢)، فكان إذا أشار بكمه إلى ناحية من عسكره حملوا على عساكر مصر وهزموهم، إلى أن انتدب له فارس من **أهل مصر** [ف] طعنه برمح أرداه عن الجمل ومات وقتل الفارس (٣).

وقام من بعد أبي القاسم أخوه أبو الحسن علي صاحب الخال، فمضى بمن معه عن دمشق.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣/١٦١

فبعث إليه المكتفي أبا الأغر السلمي، فلقيه على حلب وهزمه. فسير إليه محمد بن [٥١٠ أ] سليمان الكاتب فواقعه بناحية سلمية وقتل من أصحابه ستة آلاف رجل. وفر فقبض عليه وحمل إلى بغداد، فدخل على فيل في ثاني ربيع الأول سنة إحدى وتسعين، فصار يقول: «ألستم يا فسقة بقاياقتلة الحسين بن علي؟» وضربت عنقه وعنق المدثر ابن أخيه– واسمه عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل– وبقية أصحابه، وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة. وقيل: إنه قتل هو وأخوه من أهل الشام والبوادي وأصحاب السلطان وأهل المدن ومن جند مصر ومن جند العراق نحو ستمائة ألف إنسان.

ولما قتل المكتفي من ذكرنا غضب لذلك الحسين بن محمد وجمع وسار إلى الكوفة وقتل جماعة ونهب. ثم سار وأخذ الحاج بأسرهم، فخرج إليهم جيش من بغداد وقاتلهم وقتلهم في ربيع الأول سنة خمس وتسعين [ومائتين]، وقتل الحسين بن محمد وابنه القاسم، وقتل معه زكرويه وسائر دعاته، فهذه جملة أخبار القرامطة

---

(١) في المخطوط: واخويه.

(٢) الجحفة: الترس من جلد.

(٣) في الكامل (سنة ٢٩٠): رماه بعض المغاربة بمزراق، وزرقه نفاط بالنار فاحترق.." [١]

"والزهادة، وقال لأصحاب قلعة ألموت: نحن قوم ضعفاء زهاد نريد عبادة الله عندكم، فبيعونا نصف هذه القلعة!

فباعوها منها بتسعة آلاف دينار وسكنوا فيها، فاستولى عليها، وبلغ خبره ملك تلك الناحية فقصده بعسكره ليحاربه، فقال علي اليعقوبي للحسن بن صباح ولمن معه: أي شيء يكون لي عندكم إن كفيتكم أمر هذا العسكر؟

فقال: نذكرك في تسابيحنا.

فقال: رضيت.

ونزل بهم، وقسمهم أرباعا في أرباع العسكر.

وجعل معهم طبولا وقال: إذا سمعتم الصائحة فاضربوا الطبول.

ثم هجم على صاحب العسكر في الليل وقتله، فوقع الصياح في العسكر، فضرب أولائك الطبول، فلم يثبت العسكر لما ملأ قلوبهم من الخوف وفروا بأجمعهم وتركوا خيامهم، فنقلها أصحاب ابن الصباح إلى قلعة

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ١٦٦/٣

ألموت. ومن ذلك الوقت سنوا سن [ة] (١) السكين، واغتالوا الملوك والرؤساء، وكثر قتلهم للناس.

فاستدعي الإمام أبو حامد الغزالي إلى نيسابور وأقام بالمدرسة النظامية فيها واشتغل بمناظرة أصحاب ابن الصباح وألف كتاب «المستظهري»، وأجاب عن مسائلهم. وجد السلطان ملكشاه في قلعهم فلم يتمكن من ذلك.

فلما مات المستنصر بالله في ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة، ادعى الحسن بن الصباح أنه قال للمستنصر لما كان عنده: «من الإمام بعدك؟ قال: ولدي نزار»، وأنكر إمامة المستعلي ودعا لنزار ابن المستنصر. فلما قتل نزار في ذي

القعدة سنة ثمان وثمانين، قال أصحاب ابن الصباح له: إنك تدعي حضوره.

فقال لهم: الآية في ذلك أن يطلع القمر في غير وقته من غير مطلعه.

ثم عمد إلى جبل بجانبهم شديد الارتفاع، وعمل بعض مخاريقه فصار يرى كالقمر قد طلع من وراء الجبل. فعند ذلك صار بعضهم يبشر بعضا بالإمام نزار. وأقرفوا (٢) من **أهل مصر** وشرعوا في افتتاح الحصون فأخذوا قلاعا.

واشتغلوا بعمل السكين التي سنها لهم علي اليعقوبي، وأخذ ابن الصباح يقول لأصحابه: إن الإمام نزارا بين أعداء كثيرة، والأعداء محيطة به، والبلاد بعيدة، ولم يتمكن من الحضور، وقد عزم على أن يستخفي في بطن امرأة ويستأنف الولادة ليجيء سالما.

فصدقوه في ذلك، وأخرج إليهم جارية حبلى، وقال لهم: «إن الإمام قد اختفى في هذه»، فعظموها حتى ولدت ذكرا وسماه حسنا، وقال:

قد تغير الاسم بتغيير الصورة.

وفي المحرم سنة ثلاث وخمسمائة سير السلطان محمد بن ملكشاه وزيره أحمد ابن نظام الملك إلى قلعة ألموت لقتال الحسن بن الصباح، فحصره وهجم عليه الشتاء، فعاد بغير طائل.

وفي سنة خمس وخمسمائة ندب أيضا لقتاله الأمير أنوشتكين شيركير صاحب ساوة (٣)، فملك عدة قلاع للحسن بن الصباح ونزل على قلعة ألموت بعساكره، وأمده السلطان محمد بعدة من الأمراء، فجد في قتال الحسن وبنى له مساكن يسكنها هو ومن معه. فضاق الأمر على الحسن

---

(١) قراءة ظنية.

(٢) أقرف به وأقرفه: عابه.

(٣) ساوة: بين الري وهمذان (ياقوت).." [١]

"وعليهما خطوط الشيوخ، والصحيحان لمسلم والبخاري، وجامع سفيان، ومسانيد عدة عن التابعين، ولي- وأحمد الله- إملاءات عدة في تفسير القرآن وتأويله وتخريجات من الصحاح المذكورة. وسمعت كتابي المزني عن الطحاوي عن المزني (١). وأما الأحاديث المنشورة [٤٦١ ب] التي كنت أباكر بكور الغراب لاستماعها، وأطرح رتبة الدنيا في مزاحمة أشياعها، فأكثر من أن تحصى. وكيف يظن بمثلي ممن ظهر تماسكه إن كان لم يظهر باطنه، تعلق بالهباء المنثور، وتمسك بالضلال والزور؟ أعوذ بالله! .

ثم من بعد: فمما يكثر تعجبي منه أن تستمر هذه الشبهة فيعتقد أن أهل مصر كلهم على المذهب الذي لا يرتضى. فإن السنة المصمتة (٢) غالبة على أهل مصر حتى لا أعرف واحدا فردا يشذ عنها، بل ربما تعلق بعضهم بمحبة أهل البيت عليهم السلام، وانفرد بها انفرادا يخص به المحقين منهم ويعدل فيه عن غيرهم، حتى إنه ليس هناك أحد يتشبت بذلك المذهب إلا حشو من العوام غرضهم الانتصار به من الذلة والتشرز (٣) على نظرائهم من السوقة.

ثم إذا نظر إلى ما منيت به في تلك البلاد من ذهاب السطوة الجائدة بدوح لي وأغصان، وشيوخ وشبان، علم أن قلبي لو كان صافيا (٤) لتكدر تكدرا لا يرجى بقاؤه أبدا. ومن المعلوم أني لو أنست بتلك البلاد لكان لي إليها بعد ذهاب الشخص الأول طريق لحب (٥)، ومذهب سهل. إلا أنني علم الله، نافر منها ومن مالكها نفورا قد صار صبغة لا حيلة في زوالها، ولا طريق إلى انتقالها، لأنها ليست لي وطنا ولا «أول أرض مس جلدي ترابها» (٦) فأتأسف عليها. والعجب أني كنت في الظواهر لا في البطاح، بأكناف ذلك السرير المقدس النبوي، لا بمرأى أي منه ومسمع، وحولي من أعصي به وأطيع، وأنفع وأضر، من أمراء العرب حرسهم [٣٩٣ ب] الله في طوائف كثيرة من العجم، فما حلت قط عن التمسك بالولاء والتقرب، فكيف الآن، لما صرت متقلدا خدمة هذه السدة، زاد الله في بهاء سلطانها، ومتطوقا أمانته في تشييد عزها، ومتخذا هذه القصور البيض معقلا لي ولولدي، أعدل عن ذلك؟ إن هذا لمن العجائب كما قدمت ذكره. ومن السياسة العلوية الآن أن يكشف كل ما رقي حتى يبلغ إلى آخره ليعرف حقه من باطله، وصدقه من ماحله.

فقد أحدث للقلب الأشرف انزعاجا، وللسرير الأعظم ارتجاجا، وابتذلت الألسن من الذكر ما كان يجب

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ١٨٧/٣

أن يكون مصونا عنها، وكنت أنا خاصا جاريا بشوط الجموح في الخدمة. ثم قد يعلم الله، لئن نشأ لي طروق هذه التهمة العائرة، أحل الله السوء الممحق من كان سببها.

---

(١) المزني (إسماعيل بن يحيى، ت ٢٦٤): هو صاحب الشافعي ومصنف المختصرين الكبير والصغير في فقه الشافعي (ترجمته مرت برقم ٧٤٧) وأبو جعفر الطحاوي (أحمد بن محمد بن سلامة ت ٣٢١) روى عن خاله المزني قبل أن ينتقل إلى مذهب أبي حنيفة (ترجمة ٦٦٦)، وجاء في الصفحة الأولى من الترجمة هذا الاعتر ١ض: لم يلحق المزني لأن موت المزني قبل مولده ب [...].

والحقيقة أن الوزير المغربي لم يدع ذلك.

(٢) المصمتة: النقية من كل شائبة، كالفرس المصمت، الذي لا يخالط لونه لون آخر.

(٣) التشزر قد تعني التعالي والتكبر.

(٤) أي: لو كان صافيا للشيعة الفاطميين ...

(٥) الطريق اللحب واللاحب: السهل الواضح.

(٦) شطر بيت لرقاع بن قيس الأسدي، وصدره:

بلاد بها نيطت علي تمائمي ... وأول أرض ...." (١)

"بعض الإثم واللوم، لأمرنا بتقويمك. لكننا نهب جنايتك لمن خلفته من عيالك، وقد تقدمنا بإطلاق نفقة لك تزودك إلى بلدك، فلا تعاود مثل ما كان منك، وتحدث في بلدك بصفحنا عن جرمك ومننا عليك بنفسك.

فبكى الشيخ حتى كاد يموت، وخرجنا، وأعطاني شكر عشرين دينارا وقال: «اصرفها في نفقتك». وأعطى الشيخ عشرة دنانير. وعاد إلى مصر يحدث بحديثه وشاع ذاك هناك. فكان الغريب إذا جلس إلى بعض أهل مصر صاحوا:

[٥٤٥ أ] حاذوري! فيمسك الناس عن ذكر عضد الدولة.

قال الحسين الحلاوي: وكانت في المبطنة التي ألبستها ملطفات وما علمت بها إلا بعد عودي.

١٢٦١ - أبو علي المجاور [- ٥٨٦] (١)

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣١١/٣

[٥٤٥ أ] حسين بن محمد بن حسين، أبو علي، الفارسي، المعروف بالمجاور، والد الوزير أبي الفتح يوسف [بن الحسين] بن المجاور. وكان صوفيا.

مات بمكة في شهر رجب سنة ست وثمانين وخمسمائة.

١٢٦٢ - عز القضاة ابن الجباب [٥٥٨ - ٦٢٣] (٢)

[٥٥٣ ب] حسين بن محمد بن عبد العزيز بن الحسين بن عبد الله بن الجباب، التميمي، الأغلبي، السعدي، أبو علي، ابن أبي المعالي [، القاضي الأجل، عز القضاة].

ولد في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة.

وكان [من بيت الرئاسة والتقدم والفضيلة، وحدث من بيته غير واحد].

ومات في سادس عشر ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

١٢٦٣ - حفص الفرد [- نحو ٢٠٣] (٣)

حفص الفرد، يكنى أبا عمر. وقيل: كنيته أبو يحيى، وهو مولى بني جشم. وكان أولا معتزليا ثم قال بخلق الأفعال، وصار من أكابر المجبرة نظيرا للحسين بن محمد النجار، وهو مصري قدم البصرة، واجتمع بأبي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف (٤) أحد كبراء المعتزلة وناظره.

وله كتاب الاستطاعة، وكتاب التوحيد، وكتاب الرد على أبي الهذيل، وكتاب الرد على النصارى، وكتاب الرد على المعتزلة، وكتاب [الأبواب] في المخلوق.

١٢٦٤ - ابن عبود القرشي [- ٧٢٢] (٥)

[٤٧٧ أ] حسين بن محمد بن إسماعيل، الشيخ نجم الدين، أبو عبد الله، ابن عبود القرشي.

كانت له وجاهة في الدولة الحسامية لاجين.

سببها أن الملك الأشرف خليل بن قلاوون لما قتل، فر الأمير حسام الدين لاجين واختفى بجامع

---

(١) التكملة ١/ ١٤١ (١١٧) ومنها الزيادة.

(٢) التكملة ٣/ ١٩١ (٢١٢٩) والزيادات منها.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٣/ ٦٦ - الفهرست، ٢٢٩. وفي ترجمة الإمام الشافعي رقم ١٨٩٥ خبر

مناظرة له معه.

(٤) أبو الهذيل العلاف (ت ٢٨٥): الأعلام ٧/ ٣٥٥.

(٥) السلوك ٢/ ٢٣٨. الخطط ٢/ ٨١ (على ذكر حمام ابن عبود).." [١]

"فصارت إلى عشرة لكل رجل. فصيرها حفص اثني عشر كما كانت.

واستسقى بالناس. فلما رقي المنبر استقبل بوجهه الناس فخطب ودعا، ثم حول ظهره إلى الناس [واستقبل القبلة يدعو] ثم استقبل الناس بوجهه فخطب ودعا ثم حول إلى الناس ظهره واستقبل القبلة يدعو، وحول رداءه ودعا الله، ثم حول وجهه إلى الناس، ثم نزل فصلى ركعتين.

فلما مات هشام بن عبد الملك بن مروان في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين، واستخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك، أقر حفصا على الصلاة والخراج، وأمره بإخراج أهل الشام الذين بمصر إلى أجنادهم. فأمرهم بالخروج فامتنعوا وحصروا حفصا في داره. فقاتلهم يوم الثلاثاء للنصف من رجب سنة خمس وعشرين، فظفر بربيعة كبيرهم فقتله. وأخرجهم إلى أجنادهم.

وقدم عيسى ابن أبي عطاء على خراج مصر لسبع بقين من شوال فصرف حفص عن الخراج وبقي على الصلاة. فخرج من مصر وافدا على الوليد، واستخلف عقبة بن نعيم. فقتل الوليد لانسلاخ جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وحفص بالشام. فلما بويع يزيد بن الوليد، الناقص، أمر حفصا أن يلحق بمصر وأن يفرض لثلاثين ألفا. فقدم وفرض الفروض. وبعث ببيعة يزيد عقبة بن نعيم في طائفة، وجعل على فروضه قوادا.

ومات يزيد الناقص لهلال ذي الحجة سنة ست وعشرين. وبويع إبراهيم بن الوليد فولي ذا الحجة، والمحرم من سنة سبع وعشرين. وخلعه مروان بن محمد فبويع فاستقبل بخلافته صفر.

فكتب إليه حفص يستعفيه فأعفاه. فكانت ولايته هذه الثانية سنتين إلا شهرا.

وقدم إلى مصر [واليا] حسان بن عتاهية فقطع فروض حفص، فوثبوا به وقالوا: لا نرضى إلا بحفص- وحصروه. ففر منهم. وأعادوا حفصا بعد ستة عشر يوما كرها. فأقام عليها رجب وشعبان.

وجرت أمور من خلع مروان، ومروان ساكت عن أهل مصر. ثم عزل حفصا مستهل سنة ثمان وعشرين بالحوثرة بن سهيل [الباهلي].

وقال الغطريف الحميري لما بعث حفص لقتال ثابت بن نعيم الجذامي ومنعه من مصر، يهجوه [طويل]:

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣/٣٦٠

ومن زامل لا قدس الله زاملا ... ومن أعبل أبناء تلك المراغل

ومن شيخ سوء حرق الله عظمه ... حفيص وأشياع له غير طائل (١)

فلما قدم حوثرة إلى مصر ونزل ظاهر الفسطاط بعث إلى الناس: إن كنتم في طاعتي فالقوني في الأردية.

فقال رجاء بن الأشيم لحفص: أطعني أيها الأمير وامنعهم.

قال: أكره الدماء.

قال: فدعني أقف في خيل، فإن رأينا ما نحب تفرقنا. وإن كان غير ذلك استنقذناك منهم.

قال: قد أعطاني من العهود ما ترى، ولن أستظهر بغير الله.

فقال رجاء: والله لا رغبت بنفسي عن نفسك.

فخرج إليه حفص ووجوه الجند. فلما دخلوا عليه فسطاطه قال لحفص ورجاء: من أنتما؟

قالا: حفص ورجاء.

---

(١) فهم البيتين عسير: فالزامل: المائل على أحد شقيه.

والمراغل: المراضع. ولم نعرف الغطريف الحميري.." (١)

"قال: قيدوهما! - فقيدا، وانهزم **أهل مصر**. ثم قتله يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شوال سنة ثمان وعشرين ومائة. وقيل: قتل رجاء بن أشيم وعدة من أعيان [٤١٣ ب] الجند. وكان زبان بن عبد العزيز بن مروان شديد التحريض عليه حتى قتل.

فقال مسور الخولاني [الطويل] (١):

فإياك لا تجني من الشر غبطة ... فتودي كحفص أو رجاء بن أشيم

فلا خير في الدنيا ولا العيش بعدهم ... وكيف وقد أضحوا بسفح المقطم؟

وقال آخر [يبكي حفصا وأصحابه- الكامل] (٢):

يا عين لا تبقي من العبرات ... جودي على الأحياء والأموات

بكي الذين مضوا فهم ساداتنا ... قتلوا فلم نطلب لهم بترات

يا حفص يا كهف العشيرة كلها ... يا ذا النوال وساتر العورات

إما قتلت فأنت كنت عميدهم ... والكهف للأيتام والجارات

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣/٣٦٩

٥ أودى رجاء لا كمثل رجائنا ... رجل، وعقبة فارج الكربات

وشبابنا عمرو وفهد ذو الندى ... وابن السليط وعامر الغارات

قتلوا ولم أسمع بمثل مصابهم ... سروات أقوام بنو سروات

طلت دماؤهم فلم تفرغ لهم ... محن ولم يطلب لهم بجناة

١٢٧٦ - أبو الثناء الفضيلي [٥١١ - ٥٩٨] (٣)

[٤٧٤ أ] حماد بن هبة الله بن حماد بن الفضيل، أبو الثناء، الفضيلي، الحراني، التاجر، من أهل حران. رحل في طلب الحديث، وسمع الكثير بالشام والعراق ومصر وخراسان. وكتب بخطه، وحصل النسخ. وكان فيه فضل وأدب، ويقول الشعر.

سمع ببغداد أبا القاسم ابن السمرقندي، وأبا بكر ابن الزاغوني، وغيرهما. وبالإسكندرية الحافظ السلفي. وكان صدوقا حسن الطريقة.

ومن شعره فيمن تزوج عمياء قوله [بسيط]:

قالوا: تزوجت عمياء فقلت لهم ... ما في تزوجي العمياء من عيب

أقل ما في عماء العمي فائدة ... أن لا يطالعن مني مطلع الشيب

وقوله [بسيط]:

تنقل المرء في الآفاق يكسبه ... محاسنا لم تكن فيه ببلدته

أما ترى بيدق الشطرنج أكسبه ... حسن التنقل فيما فوق رتبته؟

ومولده بعد ستين يوما من سنة إحدى عشرة وخمسمائة. وتوفي بحران يوم الأربعاء الثاني من ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة.

وجمع تاريخا لحران [وجمع من اسمه حماد] (٤).

---

(١) في النجوم ١/ ٢٩٣ بيت قبل هذين:

وإن أمير المؤمنين مسلط ... على قتل أشراف البلاد فأعلم

(٢) الكندي، ٩١: وقال مرسل بن حمير. والزيادة منه.

(٣) الوافي ١٣/ ١٥٠ (١٦٩) - شذرات ٤/ ٣٣٥ - العبر ٤/ ٣٠٢ - النجوم ٦/ ٨١ - التكملة ١/

٤٣٨ (٦٩٠).

(٤) الزيادة من التكملة.." (١)

"١٢٧٧ - حمزة ابن اللباد «هادي المستجيبين» [- ٤١٠] (١)

[٤٧٥ أ] حمزة بن أحمد اللباد، الملقب «هادي المستجيبين»، الزوزني، العجمي.

ظهر في أول سنة عشر وأربعمائة، وأظهر الدعاء إلى الحاكم بأمر الله أبي علي منصور، وصرح بحلول الإله سبحانه فيه، ولازم الجلوس في المسجد الذي كان عند سقاية ريدان بظاهر القاهرة خارج باب النصر، وتلقب بهادي المستجيبين. فاجتمع إليه جماعة من غلاة الإسماعيلية. وصار الحاكم إذا ركب إلى تلك الجهة خرج إليه من المسجد وانفرد به، ووقف الحاكم له راكبا فيحادثه طويلا.

واستمر الأمر على ذلك إلى اليوم الثاني عشر من صفر سنة عشر وأربعمائة: فاجتمع جماعة من أصحاب حمزة على خيول وبغال، ودخلوا الجامع العتيق بمصر، وهم معلنون بمذهبهم. فثار العوام وقتلوهم شر قتل. فحنق الحاكم على أهل مصر وسلط العبيد فأحرقوا مصر.

وذكر بعضهم أن محمد بن إسماعيل الدرزي العجمي الداعي - وبعضهم يسميه آنوش تكين - قدم إلى مصر في سنة ثمان وأربعمائة، واتصل بالحاكم. فدعا الناس إلى القول بإلهية الحاكم وأعلن بذلك. فثار به رجل من الأتراك وقتله.

وثارت بسببه فتنة مدة ثلاثة أيام قتل فيها جماعة من الدرزية. فظهر [٤١٤ أ] بعد ذلك حمزة بن أحمد العجمي الداعي وتلقب بالهادي وسكن مسجد تبر ودعا الناس إلى مقالة الدرزي المقدم ذكره، وبث عدة دعاة بأرض مصر والشام، ودعا إلى الرخصة والإباحة، وفسح في نكاح المحارم من الأمهات والبنات والأخوات، وأسقط

التكاليف الشرعية من الصلاة والصوم والحج، فاستجاب لدعاته خلق كثير.

وعني الحاكم بحمزة هذا. فخاف حمزة على نفسه واستدعى من الحاكم بسلاح كثير علقه على باب المسجد، فارتفع قدره، واتخذ له خاصة لقبهم بألقاب عديدة. فلقب أحدهم ب «سفير القدرة» وجعله رسوله في أخذ البيعة على الأعيان. فلم يقدر أحد على مخالفته.

ومن حمزة هذا ظهر مذهب الدرزية واشتهر بوادي التيم وشرق صيدا وجبل بيروت وما جاوره من بلاد الشام.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣/٣٧٠

وقال الحافظ أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكتاني في كتاب الوفيات (٢): قال شيخنا هبة الله (٣): ثنا أحمد بن محمد بن الأكفاني الدمشقي [ثنا] أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي الحافظ إجازة ونقلته من خطه، قال (٤): ظهر في آخر أيام الحاكم رجل سمى نفسه «هادي المستجيبين» وكان يدعو إلى عبادة الحاكم. وحكي عنه أنه [٤٧٥ ب] سب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق على المصحف، وسار في البوادي يدعوهم، إلى أن قتله الله بمكة: فكتب رجل من الصوفية كان يكنى أبا الوفاء من مكة إلى أبي الفتح بن أبي الفوارس البغدادي الحافظ يشرح له قصة قتله، وذلك في سنة عشر وأربعمائة. فذكر أبو الوفاء في كتابه أن المسمى بهادي المستجيبين وصل إلى مكة واجتمع مع أبي الفتوح أميرها فنزل عليه. فرآه المجاورون يطوف بالكعبة. فمضوا إلى

---

(١) الأعلام ٢/ ٣١٠ - دائرة المعارف الإسلامية ٣/ ١٥٧ - اتعاظ ٢/ ١١٣ - النجوم ٤/ ٢٤٩.

(٢) الكتاني (ت ٤٦١): أعلام النبلاء ١٨/ ٢٤٨، ولم يذكر له كتاب الوفيات.

(٣) هبة الله بن أحمد بن محمد الأكفاني له ترجمة في أعلام النبلاء، ١٩/ ٥٧٦ (٣٣٠) ت ٥٢٤.

(٤) لم نجده في تاريخ الخطيب.." (١)

"من أمره، فأجابوه إلى ما سأل. وكتبوا خطوطهم على علم منهم بذلك في ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة.

ثم إنهم زادوا في القبيح عليه، وجدوا في إحضاره وأشاعوا أنه قد اختفى عند أبي القاسم الحسين بن علي ابن المغربي (١) ليشفع فيه.

وظفروا بأخيه وأهانوه. ففر منهم وهم في الطلب، إلى أن ظفروا به وبأخيه معا في ثاني عشرين المحرم سنة تسع وتسعين. فاعتقلا في قصر الإمارة إلى خامس صفر منها. فأخرجا ومعهما رجل آخر في ليلة الثلاثاء تاسعه إلى ناحية المقس وحملوا في مركب ليتوجهوا إلى الصعيد. فقدمت رءوسهم من بعض النواحي بعد أن أقاموا في المطبق ينزل إليهم في كل يوم بالطعام مدة [...].

١٢٨٢ - أبو القاسم الكناني الحافظ [٢٧٥ - ٣٥٧] (٢)

حمزة بن محمد بن علي بن العباس، أبو القاسم، الكناني، الحافظ، المصري.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣٧١/٣

ولد سنة خمس وسبعين ومائتين في شعبان.

وسمع الحديث أول ما سمع سنة خمس وتسعين.

ودخل إلى العراق سنة خمس وثلاثمائة. وسمع بدمشق. ثم قدمها مرة أخرى وحدث بها.

حدث عن جماعة من **أهل مصر**، ومن الغرباء، منهم الحسن بن أحمد بن سليمان، وعمران بن موسى بن حميد الطبيب، ومحمد بن إسماعيل المعدل، ومحمد بن سعيد بن عثمان بن عبد
السلام السراج، وسعيد بن عثمان الحراني، وعبدان [بن أحمد] الأهوازي، وأبو عبد الله محمد بن داود بن عثمان بن سعيد ابن أسلم الصدفي، وأبو بكر أحمد بن محمد بن نافع، وأبو يعلى الموصلي، وعبد السلام بن سهل السكري، وأبو عبد الله محمد بن أحمد العريني، ومحمد بن عون الكوفي، وأبو الحسن محمد بن عون الوحيدي، وأبو سعيد محمد بن أحمد بن عبيد بن فياض، وجماهر بن [محمد بن] أحمد الزملكاني، وأبو الوليد عبد الملك بن محمود بن سميع، وأبو عبد الله محمد المعافى الصيداوي.

روى عنه تمام بن محمد، وعبد الرحمن بن عمر بن نصر، وأبو عبد الله شعيب بن عبد الله بن أحمد بن المنهال بن معمر بن حبيب الجوهري، وأبو الحسن الدارقطني، وأبو عبد الله بن مندة، وعلي بن عمر بن محمد بن حمصة (٣) الحراني، وهو آخر من حدث عنه.

وكان حافظ مصر بعد أبي سعيد بن يونس وجمع وصنف. وكان ثقة مأمونا. قال عبد الغني بن سعيد الحافظ: لما قدم أبو الحسن الدارقطني مصر أدرك حمزة بن محمد الكناني الحافظ في آخر عمره. فاجتمع معه وأخذا يتذاكران. فلم يزالا كذلك حتى ذكر حمزة عن أبي العباس بن عقدة (٤) حديثا. فقال له أبو الحسن:

أنت ههنا.- ثم فتح ديوان أبي العباس ولم يزل يذكر من حديثه ما أبهر حمزة وحيره.

وقال البيهقي: نا محمد بن عبد الله الحافظ قال: أبو القاسم حمزة بن محمد بن علي بن

---

(١) الوزير المغربي مرت ترجمته برقم ١٢٤٦.

(٢) الأعلام ٢/ ٣١٢ - الكندي ٥٥٥ - الوافي ١٣/ ١٧٤ (١٩٨) النجوم ٢/ ٢٠ - أعلام النبلاء، ١٦/ ١٧٩ (١٢٨) - مختصر ابن منظور ٧/ ٢٦٩ (رقم ٢٦٠).

(٣) قراءة تقريبيةٍ، والإصلاح من أعلام النبلاء ١٧/ ٦٠١ (ابن حمصة) ومن الشذرات ٣/ ٢٣.

(٤) أحمد بن محمد بن عقدة الحافظ توفي سنة ٣٣٢ (الأعلام ١/ ١٩٨).." (١)

"دينارا ولا درهما إلا ما حل له من أرزاقه. فهم حنظلة بقتاله، ثم حجزه عنه الورع، فإنه كان ورعا لا يرى القتال إلا لكافر أو خارجي.

[رجوع حنظلة إلى الشام (سنة ١٢٧)]

وخرج بمن خف معه من أهل الشام في جمادى الأولى سنة سبع وعشرين ومائة، ودخل عبد الرحمن القيروان. فدعا حنظلة على أهل إفريقية وعلى عبد الرحمن فاستجيب له فيهم: فوقع الطاعون سبع سنين لم يفارقهم إلا في أوقات متفرقة، وقتل عبد الرحمن.

وكان حنظلة لما مضى من إفريقية قدم مصر ونزل بالجيزة وقد امتنع **أهل مصر** من ولاية حسان بن عتاهية عليهم. فكتب مروان بن محمد إليهم: أما إذا أبيتم ولاية حسان فقد أمرت عليكم حنظلة بن صفوان.- فلم يرضوا به وخلعوا مروان، وجاء رجاء بن الأشيم في عدة إلى حنظلة وأخرجه إلى الحوف الشرقي ومنعه المقام بالفسطاط. فلحق بالشام وأقام بها حتى شهد حصار دمشق مع عبد الله بن علي.

وذكر البلاذري أنه مات بالقيروان وهو وال عليها.

وقد روى عنه أبو قبيل، وحكى عنه محمد بن شعيب بن شابور [الدمشقي المحدث]. وكان حسن السيرة في سلطانه.

١٣١٤ - حنين البدوي [- بعد ٦٧٨]

كان ينوب في ناحيتي مليج وشطنوف وهما في إقطاع الأمير سيف [الدين] قلاوون الألفي. فلما تسلطن (١) قدم عليه، ومعه هدية الريف، بدا له أنه

له عليه خدم بتقدمة ومعرفة قديمة. ووقف له بالإصطبل وباس الأرض، فبش له وقال له: إيش حسك؟

قال: يا خوند، والله طيب، لكن يا خوند، عليه الطلاق: إن امرأتي بصرت مناما للسلطان وكذبتها. فلما سمعت بالسلطان بقيت تهارتني (٢) وتقول: كذبتني!

فقال له: وا لك! وإيش رأت امرأتك؟

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣/٣٧٦

قال: رأت كأنك قاعد على كرسي السلطنة وأني قد حضرت إليك، فقلت لي: وا لك يا حنين، اذني (٣) قد صرت سلطانا فتمن علي! - فقلت: يا خوند. أتمنى أن توليني الغربية.- فخلعت علي ووليتني، فعند ما رأتني امرأتي بالخلعة أخذتها وقال: هذه حق منامي.

فتبسم السلطان وقال: لتروح إلى الشجاعي يخلع عليك ويوليك.

فذهب إلى الشجاعي وحكى له ما جرى. فنهره وطرده عنه. فعاد إلى السلطان وعرفه. فطلب الشجاعي وقال له: لم لا خلعت على حنين ما حكى لك منام امرأته؟

فقال: يا خوند، وبمنام يتولى حنين الغربية، وقد كان يتولاها الأمير شهاب الدين ابن يغمور، تبقى بعده بيد بدوي فلاح؟

فصمم على ولايته، فما وسعه إلا أنه ولاه.

فباشر الولاية بحرمة عظيمة وسطوة زائدة، وسفك دماء كثير من المفسدين لمعرفته بهم وبمظانهم.

ولم يغير زيه. وشغف باللهو والطرب.

ومن نوادره أنه سمع بجماعة من كتاب المحلة وأعيانها قد اجتمعوا على لهو. وعندهم مغنيتان

---

(١) تسلطن المنصور قلاوون سنة ٦٧٨ (النجوم ٧/ ٢٩٢).

(٢) هرته: طعنه، ولعل المقصود هنا: تخاصمني.

(٣) لعلها كلمة عامية: بمعنى: ها أنا ذا.." (١)

"مشهورتان. فمشى في الليل وحده ومعه خرج صغير وطرقهم على غفلة وقال: جئناكم حرفاء- ثم جلس معهم على شرابهم وغنائهم. فقام الجماعة يرقصون واحدا بعد واحد حتى رقص جميعهم. فقام حنين ووضع الخرج في عنقه [٤٢٢ أ] وقال، وهو يرقص، والمغنيتان تزف [ان] ه:

قد جئتكم، وأنا حنين، في بيتكم ... أملأ خرجي من أين؟ من عندكم!

وصار يكرر ذلك حتى فهموا قصده، فما منهم إلا من وضع في الخرج مبلغا من ذهب أو فضة، وألق [ت] المغنيتان ما عليهما من الحلي والتفاصيل (١) وألقتاه في الخرج. وكمل ليلته عندهم ثم خرج عنهم.

ولم يزل في ولايته حتى مات ودفن في موضع بناحية مليج يقال له «بولة» فقال فيه [الطويل]:

لقد دفنوا ذاك الخراء ببولة ... يحق لتلك الميتة ذاك الخرا (٢)

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣/٣٩٤

١٣١٥ - حوثرة بن سهيل الباهلي [- ١٣٢] (٣)

[٤٠٩ أ] حوثرة (٤) بن سهيل بن العجلان بن سهيل بن كعب بن عامر بن عمير بن رباح بن عبد الله بن عبد بن فراص بن باهلة، أبو المثنى،

الباهلي، أخو عجلان بن سهيل، من أهل قنسرين.

كان مع مروان بن محمد يوم غلب على دمشق، في جنده. ثم ولاه مصر فسار إليها، ومعه عمرو بن الوضاح في الوضاحية، وهم سبعة آلاف، وعلى أهل حمص نمير بن يزيد بن حصين بن نمير الكندي، وعلى أهل الجزيرة موسى بن عبد الله التغلبي، وعلى أهل قنسرين أبو حمل بن عمرو بن قيس الكندي. وقدم أبا الجراح بشر بن أوس الحرشي إلى مصر فقدمها يوم الأحد لليلتين خلتا من المحرم سنة ثمان وعشرين ومائة.

فاجتمع الجند إلى حفص بن الوليد وسألوه أن يمانع حوثرة فلم يوافقهم، وسلم لأبي الجراح واعتزل.

فخاف أهل مصر حوثرة فبعثوا إليه يزيد بن مسروق الحضرمي فلقيه بالعريش وسأله الأمان لأهل مصر على ما أحدثوه من خلع مروان. فأجابه وكتب لهم كتابا بعهد وأمان قدم به إليهم.

فاطمأنوا.

ثم بعث حوثرة إليهم يستأذنهم في المسير إليهم والدخول إلى مصر، فأذنوا له. فسار إليها ونزل خارج المدينة، وبعث إليهم: إن كنتم في طاعتي فآلقوني في الأردية! - فخرج إليه حفص بن الوليد ورجاء بن الأشيم في وجوه الجند. فلما دخلا عليه فسطاطه قيدهما، فانهزم الناس.

ودخل حوثرة الفسطاط على الصلاة والحرب، ومعه عيسى بن أبي عطاء على الخراج في يوم الأربعاء لثنتي عشرة خلت من المحرم سنة ثمان وعشرين. فجعل على شرطه حسان بن عتاهية.

وقدم كتاب مروان إلى أهل مصر: إني قد بعثت إليكم رجلا أعرابيا بدويا فصيح اللسان، من حاله ومن حاله، فاجمعوا له من فيه مثل خصاله،

---

(١) التفصيلة: القطعة من القماش.

(٢) البيت غير موزون، وقد مر في ترجمة أخرى.

(٣) الأعلام ٢/ ٣٢٦ - الوافي ١٣/ ٢١٨ (٢٥٨) - الكندي، ٨٨ - النجوم ١/ ٣٠٥ - الأخبار الطوال ٣٧٤ - أنساب الأشراف ٣/ ١٣٧ - تاريخ خليفة بن خياط ٢/ ٤٢٦.

الكامل ٥/ ٤٤٢ (سنة ١٣٢) الخطط ١/ ٣٠٣، ٢/ ٣٣٨.

(٤) في الهامش، حاشية: حوثرة بفتح الحاء المهملة وسكون الواو ثم ثاء مثلثة.." [١]

"بني سهم. وليس بشيء.

ولأهل مصر عن خارجة بن حذافة حديث واحد مرفوع وهو حديث الليث بن سعد عن يزيد بن حبيب عن عبد الله بن راشد الزوفي (١) عن عبد الله بن أبي مرة الزوفي عن خارجة بن حذافة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن الله قد أمركم بصلاة هي خير لكم من حمر النعم: الوتر جعله لكم فيما بين صلاة العشاء إلى أن يطلع الفجر.

ولهم عنه حكايات في نفسه (٢)، وإياه عنى أبوه حذافة بن غانم في قوله يمدح عبد المطلب بن هاشم وابنه أبا لهب في أبيات (٣) [الطويل]:

أبو عتبة الملقي إلي حباءه ... أغر هجان اللون من نفر زهر

أبوهم قصي كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر

أخارج إما أهلكن فلا تزل ... لهم شاكرا حتى تغيب في القبر

وكان سبب هذا المدح أن نفرا من جذام خرجوا من مكة قد قضوا نسكهم ففقدوا صاحبا لهم [٤٢٥ ب] فلقوا حذافة بن غانم فأخذوه فانطلقوا به معهم. فلقي عبد المطلب بعد ما كف بصر عبد المطلب، ومعه ابنه أبو لهب، فصاح به حذافة بن غانم، فقال لأبي لهب: ارجع إليه فائتني به.

فانطلق أبو لهب فكلم الجذاميين وقال: قد عرفتم مالي وتجارتي، وأنا ضامن لصاحبكم، فأطلقوا هذا الرجل. فأطلقوه، فأقبل به إلى عبد المطلب، فقال له:

هذا حذافة بن غانم.

فقال عبد المطلب: أسمعني صوتك يا أبا المثلم.

فكلمه فانطلق به معه.

قال الزبير بن بكار: وقد انقرض ولد حذافة بن غانم فلم يبق منهم أحد. كان آخرهم امرأة يقال لها قديسة بنت عون بن خارجة بن عون بن خارجة بن حذافة، هلكت بمصر وتركت مالا عظيما وموالي، وورثها ابنها عبد الرحمن بن إبراهيم بن الزبير بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣/٣٩٥

١٣٢٣ - خاص ترك السفياني [- ٥٩٣]

لقبه همام الدين. كان والي القاهرة ومات في جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

١٣٢٤ - خالد بن أيوب الوشقي (٤)

خالد بن أيوب، أبو عبد السلام، الأندلسي، الوشقي.

١٣٢٥ - خالد بن ثابت الفهمي [- بعد ٥٤] (٥)

خالد بن ثابت بن ظاعن بن العجلان بن عبد الله بن كعب بن صبح بن والبة بن نصر بن صعصعة بن ثعلبة بن كنانة بن عمرو بن القين بن فهم بن عمرو بن سعد بن قيس بن عيلان، الفهمي، تابعي من أهل الشام.

---

(١) الزوفي كما في الأنساب ٣/ ١٧٧.

(٢) قراءة ظنية.

(٣) الأبيات من قصيدة طويلة وهي في سيرة ابن هشام ١/ ١٧٤.

(٤) ابن الفرضي ١/ ٢٣٨ (٣٩٥).

(٥) مختصر ابن منظور ٧/ ٣٢٨ (٣١١). رياض النفوس ١/ ٣١.." (١)

"وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبي أيوب ومصعب بن عمير. ولم يزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة. فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج منها حتى كانت خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فسار معه من المدينة وشهد معه الجمل وصفين والنهروان.

وذكر أبو سليمان بن زبر (١) أنه سكن دمشق وشهد فتح مصر. وقال شعبة: سألت الحكم: أشهد أبو أيوب صفين؟

قال: لا، ولكنه شهد النهروان.

وقال الكلبي وابن إسحاق، وغيره: شهد أبو أيوب مع علي الجمل وصفين، وكان على مقدمته يوم النهروان. ومات بالقسطنطينية في زمن معاوية بن أبي سفيان سنة خمسين- وقيل: إحدى وخمسين، وقيل: اثنتين وخمسين- تحت راية يزيد بن معاوية.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٤٠٨/٣

وله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث، لأهل مصر عنه سبعة أحاديث أغربوا بها، إلا حديثا واحدا رواه الناس معهم، وهو حديث البصل.

وحدث عن أبي بن كعب، وأبي هريرة. وحدث عنه البراء بن عازب، وأبو أمامة، وأسلم التجيبي، وأفلح مولاه، وجبير بن نفير، وعبد الله بن حنين، وعبد الله بن يزيد الخطمي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعروة بن الزبير، وعطاء بن يزيد الليثي، وأبو سلمة بن عبد الرحمن.

وحدث عنه [٤٢٦ ب] من أهل مصر أبو رهم السماعي، وجبريل بن هاغان الناشري، ومرثد بن عبد الله اليزني، وعبد الرحمن بن جبريل بن ناشرة الكنعي، وزياد بن أنعم

الشعباني (٢)، وأسلم مولى تجيب. وحدث عنه سوى من ذكرنا خلق.

وأخباره كثيرة. قال مرثد بن عبد الله اليزني:

قدم علينا أبو أيوب مصر غازيا، وعلينا عقبة بن عامر، فحبس عقبة المغرب. فلما صلى قام إليه أبو أيوب: يا عقبة، [أ] هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي المغرب؟ أما سمعته يقول: لا تزال أمتي بخير- أو: على الفطرة- ما لم يؤخروا المغرب حتى تشتبك النجوم؟

قال: بلى.

قال: فما حملك على ما صنعت؟

قال: شغلت.

فقال أبو أيوب: أما والله، ما بي إلا أن يظن الناس أنك رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فعل هذا.

وقال الليث عن يحيى بن سعيد الأنصاري:

قال أبو أيوب: من أراد أن يكثر علمه، ويعظم حلمه، فليجالس غير عشيرته.

وقال حبيب بن أبي ثابت عن محمد بن عبد الله بن عباس: إن أبا أيوب غزا الروم، فمر على معاوية فجفاه. فلما مر من غزوته جفاه ولم يرفع به رأسا. فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنبأني أنا سنرى بعده أثره.

فقال معاوية: فبم أمركم؟

فقال: أن نصبر.

قال: فاصبروا إذن!

فأتى ابن عباس بالبصرة وقد وليها لعلي رضي الله عنه، فقال: يا أبا أيوب، إني أخرج [لك] عن مسكني

كما خرجت عن مسكنك لرسول الله صلى الله عليه وسلم- فأمر أهله فخرجوا وأعطاه كل شيء أغلق عليه

---

(١) ابن زبر الربعي، أبو سليمان: محمد بن عبد الله (ت ٣٧٩): أعلام النبلاء ١٦/ ٤٤٠ (٣٢٦).
(٢) ترجم له المالكي في رياض النفوس ١/ ١٢٩ (٤٧).." [1]

"ونشأ خالد بن سعيد بمصر، وقام بأمر دعوة بني حسن، وقد قدم علي بن محمد بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب إلى مصر، وبايعه كثير من أهلها. فاستشار خالد أصحابه الذين بايعوا عليا، وفيهم دحية بن مصعب بن الأصبغ بن عبد العزيز ابن مروان، ومنصور بن الأصبغ، وزيد بن الأصبغ، ابنا عبد العزيز. فأشار دحية أن يبيت يزيد بن حاتم الأمير في العسكر فيضرمه عليه نارا.

وقال أهل الديوان: نرى أن [٤٢٧ ب] نحرز بيت المال وأن يكون قيامنا في الجامع.

فوشي بهم إلى عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، وهو يومئذ يخلف يزيد بن حاتم على الفسطاط. فمضى إلى يزيد بالعسكر ليخبره، وذلك لعشر خلون من شوال سنة خمس وأربعين ومائة. وسار خالد بمن معه، وعليه قباء أصفر وعمامة خز أصفر وقد سوم فرسه بعمامة، وقصد المسجد نصف الليل. فانتهبوا بيت المال ثم تضاربوا عليه بسيوفهم فلم يصل إليهم منه إلا اليسير. وبعث يزيد مع ابن حديج بطائفة ليكشف الخبر. فصار إلى يزيد نفر من أهل مصر، وجمع قواده وأصحابه وسيرهم في طلب خالد. ففر منهم وقد أصابه سهم. فاختفى عند أبي كنانة يحيى بن جابر الحضرمي سبعين ليلة. وكان من القوم ما ذكر في موضعه، فلم يزل خالد مستخفيا زمنا طويلا.

ثم مات في زمن المهدي بعد الستين ومائة بالإسكندرية.

١٣٣١ - خالد بن ضماد الصدفي

شهد فتح مصر.

١٣٣٢ - خالد بن عائذ الزوفي [- ٢٣١]

خالد بن عائذ بن يحيى بن صالح، الزوفي.

حدث عنه يحيى بن عثمان بن صالح. يروي عن [٤٢٧ ب] رشدين بن سعد وابن وهب.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣/٤١١

توفي يوم الخميس لتسع خلون من رجب سنة إحدى وثلاثين ومائتين.

١٣٣٣ - خالد بن عامر الزيادي الإفريقي

حدث عنه عياش بن عباس القتباني (١).

وحدث عن خالد بن يزيد بن معاوية.

١٣٣٤ - خالد بن عبد الرحمن البصري [- ٢١٢]

خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن سلمة، المخزومي، البصري. قدم مصر وحدث بها، وتوفي بها سنة اثنتي عشرة ومائتين.

١٣٣٥ - أبو الدري المعافري

خالد بن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، أبو الدري، المعافري.

روى عنه عبد الله بن يوسف التنيسي.

١٣٣٦ - أبو الهيثم العبدي (٢)

خالد بن عبد الرحمن العبدي، البصري، أبو الهيثم.

قدم مصر. يروي عن سماك بن حرب، وعنه إسحاق بن الفرات.

١٣٣٧ - خالد بن عبد السلام الصدفي [- ٢٤٤]

خالد بن عبد السلام بن خالد بن يزيد بن أسد بن هدبة، أبو يحيى، الصدفي.

ثقة. رأى عبد الله بن لهيعة، وجالس الليث بن

---

(١) الأنساب (القتباني): أبو عبد الرحمن عياش بن عباس.

(٢) تقريب التهذيب رقم ١٨١٠، وقال: مجهول.." (١)

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٤١٤/٣

"عبد الله بن شراح المعافري.

١٣٤٤ - خالد بن عقيل الليثي

روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه. [وعنه] ابنه عقيل بن خالد (١).

١٣٤٥ - خالد بن [أبي] عمران قاضي إفريقية [- ١٢٩] (٢)

خالد بن [أبي] عمران، التجيبي، مولى عمرو بن حارثة، من تجيب، أبو عمر (٣) التونسي، قاضي إفريقية. سمع من عبد الله بن حمزة الزبيدي. وروى عن ابن عمر ولم يسمع منه، وعن حنش الصنعاني، وعروة، والقاسم، وعكرمة، ونافع، وجماعة.

وعنه أبو شجاع سعيد بن يزيد القتباني (٤)، وعبيد الله بن زحر، وعمرو بن الحرث، وخلاد بن سليمان، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وليث بن سعد، وابن لهيعة.

خرج له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

قال أبو حاتم: لا بأس به. وقال ابن يونس: كان فقيه أهل المغرب، ومفتي أهل مصر والمغرب.

وكان يقال إنه مستجاب الدعاء.

توفي بإفريقية سنة تسع وعشرين- وقيل:

خمس وعشرين- ومائة.

١٣٤٦ - خالد بن ابعنبس بن ثعلبة البلوي (٥)

له صحبة. شهد فتح مصر. قال ابن يونس: لا أعلم له رواية.

١٣٤٧ - خالد بن قيس، سيد بني حي (٦)

خالد بن قيس، سيد بني حي. خرج بهم من اليمن إلى مصر. قال الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (٧): فأولد خولان بن عمرو بن الحافي بنقضاعة سبعة نفر: حي، وهو الأكبر، وفيهم البيت والرئاسة. وسعد، وهو الذي ملك قصر واح سبعين عاما. ورشوان، وهاني، ورازح، والأزمع، وصحار.

فأولد حي بن خولان سعد عدي، وزيد، وشعب، ومزيد، وغنم، والمقدام، ونوف، بطون كلها، وصار أكثر بني حي بصعيد مصر.

وكان سبب خروجهم من اليمن إلى مصر أن رجلا من بني سعد بن سعد بن خولان خطب إليهم بعض كرائمهم فأكبروا نفوسهم عليه فدافعوه. فلما ألح خصوه. فغضبت بنو سعد بن خولان وحاربوهم مدة حتى أخرجوهم من صعدة فلحقوا بمصر. وفي ذلك يقول عمرو بن زيد بن مالك بن أسامة [كامل]:

أبلغ بني زيد وأسرة راسب ... إخواننا في كل يوم حابس

---

(١) عقيل بن خالد الأيلي (ت ١٤٤): أعلام النبلاء ٦/ ٣٠١ (١٢٧).

(٢) الوافي ١٣/ ٢٧٤ (٣٣١) - تهذيب التهذيب ٣/ ١١٠ (٢٠٥) - رياض النفوس ١/ ١٦٢ (رقم ٦٨).

(٣) في الرياض: أبو محمد.

(٤) أبو شجاع القتباني: الأنساب ٤/ ٤٥٠.

(٥) حسن المحاضرة، ١/ ١٩٤ (٨٢).

(٦) في نهاية الأرب للقلقشندي، ٢٤١: بنو حي: بطن من العرب ولم يزد. وفي معجم قبائل العرب لكحالة ١/ ٣١٩: حي بن خولان، من كهلان، كانوا يسكنون عقار. وفي اللسان (حيا): بنو حي وبنو حي: بطنان من العرب.

(٧) لم نجد النص المنقول في صفة جزيرة العرب للحسن الهمداني.." (١)

"ناظرا لا يسأمه، فكان آخر ما يأمله أول ما رمقه، أمسى لافتتانه يعبد مذهبة على حرف أو على ورقة، ووردہ إذ وردہ فازداد عطشا على كثرة العل والنهل، وأغشاه إذ أغشاه، وكثرة النور تعشي ناظر المقل.

١٣٥٢ - خالد بن مهاجر المهلبي

خالد بن مهاجر بن عبد الرحمن، المهلبي، من أهل المهلب، مولى بني الأعجم، من تجيب.

يروي عن القاسم بن محمد. وعنه عبد الرحمن بن شريح، ونافع بن يزيد، وطلحة بن أبي سعيد.

١٣٥٣ - خالد بن ميمون الخولاني

يحدث عن عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الكناني (١). وعنه ابن لهيعة.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣/٤١٦

١٣٥٤ - خالد بن نجيح [- ٢٥٤] (٢)

خالد بن نجيح، مولى بني كعب بن عدي بن كعب، ثم لآل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

يكنى أبا يحيى. منكر الحديث. روى عن حيوة بن شريح، وموسى بن علي، والليث بن سعد، ومالك بن أنس، ومعاوية بن صالح.

توفي في شوال سنة أربع [وخمسين] ومائتين.

١٣٥٥ - أبو يزيد الغساني [- ٢٢٢] (٣)

خالد بن نزار بن المغيرة بن سليم [٤٣٠ أ]، أبو يزيد، الغساني، مولاهم، الأيلي.

يروي عن إبراهيم بن طهمان وغيره.

توفي سنة اثنتين وعشرين ومائت [ين].

١٣٥٦ - خالد بن نعيم الحبشي

خالد بن نعيم، المعافري، الحبشي، ينسب إلى حبش، بطن من حمير.

حدث عنه أبو قبيل (٤)، وكان فارس الناس يوم قاتل مروان بن الحكم أهل مصر، فشد على رجل وقتله ولبس لأمته ووقف ناحية، وإذا برجلين من أصحاب مروان قد اكتنفا رجلا من أهل مصر وهو يلوذ منهما. فشد عليهما فصرعهما، وقال للمصري: اركب أحد فرسيهما، فإذا انتهيت إلى البيوت فاقتحم أدنى جدار وجدته وخله.- ففعل.

١٣٥٧ - خالد بن نعيمان الأنصاري

خالد بن نعيمان بن عمرو بن رفاعة بن الحرث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك ابن النجار، الأنصاري.

أبوه نعيمان من قدماء الصحابة (٥). وسأل ابنه خالد عمر رضي الله عنه أن يحمله على بعير.

روى عنه أبو قبيل.

١٣٥٨ - خالد بن وهب بن صغير الأندلسي [- ٣٠٢] (٦)

مولى بني تيم. حدث.

---

(١) قال ح. ح. عبد الوهاب في كتاب العمر ١/ ٢٥٦:

قرشي من أهل القرن الثاني.

(٢) لسان الميزان ٢/ ٣٨٨ (١٥٩٣)، ومنه ضبطنا الوفاة.

(٣) الوافي ١٣/ ٢٧٦ (٣٣٤) - تهذيب التهذيب ٣/ ١٢٣ (٢٢٦) وعنهما ضبطنا تاريخ الوفاة.

(٤) أبو قبيل المعافري (ت ١٢٨): أعلام النبلاء ٥/ ٢١٤ (٨٦).

(٥) ترجم له ابن الأثير في أسد الغابة (رقم ٥٢٧٩) وقال:

كان مزاحا يضحك النبي صلى الله عليه وسلم.

(٦) له ترجمة في تاريخ ابن الفرضي (رقم ٣٩٤) ومنه تاريخ الوفاة.." [١]

"١٣٥٩ - خالد بن يزيد الصدفي

خالد بن يزيد بن أسيد بن هدبة بن الحرث، الصدفي.

يحدث عن أبيه. وعنه حيوة بن شريح، وخالد بن حميد (١).

١٣٦٠ - خالد بن يزيد بن دينار

أبو الهيثم. كوفي قدم مصر. روى عنه الهيثم بن عدي. وعنه سعيد بن كثير بن عفير.

١٣٦١ - خالد بن يزيد بن سهيل التجيبي [- ١٦٨]

حكى عنه ابن وهب، ومسكين بن عبد الرحمن.

توفي في شوال سنة ثمان وستين ومائة.

١٣٦٢ - خالد بن يزيد الأيلي

خالد بن يزيد بن عبد الله، أبو يزيد، الأيلي، مولى قريش.

حدث عنه موسى بن الحسن الكوفي.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٤٢١/٣

١٣٦٣ – أبو الوليد الأيلي

خالد بن يزيد بن محمد الأيلي، أبو الوليد. حدث.

١٣٦٣/ ٢ – خديجة البعلبكية [– ٨٠٣] (٢)

[٥٤٨ ب] خديجة بنت إبراهيم بن إسحاق بن

إبراهيم بن سلطان، البعلبكية، الدمشقية.

ولدت قبل سنة عشرين وسبعمائة وأحضرت على القاسم بن مظفر بن عساكر فكانت آخر من حدث عنه بالسماع. وأجاز لها أبو نصر ابن الشيرازي وإسحاق الآمدي وآخرون. ومن أهل مصر الواني والدبوسي وابن سيد الناس، والقطب الحلبي، وعبد الله بن علي الصنهاجي وغيرهم.

وحدثت بكثير من مروياتها حتى ماتت سنة ثلاث وثمانمائة.

١٣٦٣/ ٣ – خديجة بنت أحمد ابن الحلبية [– ٧٧٩] (٣)

[٥٤٨ أ] خديجة بنت أحمد بن الطنبا بن عبد الله، الحلبي ال [...]، أم أحمد، بنت الشيخ الصالح المسند، شهاب الدين عرف بابن الحلبية.

سمعت على العماد البالسي وابن مشرف، والقاضي سليمان، وأبي بكر بن عبد الدائم، وجماعة.

وحدثت فسمع عليها الفضلاء.

توفيت في شهر رجب سنة [٥٤٨ ب] تسع وسبعين وسبعمائة، وكانت صالحة خيرة.

١٣٦٣/ ٤ – خديجة بنت أحمد النويرية [– ٧٧٧]

[٥٤٨ أ] خديجة بنت أحمد بن عبد العزيز بن القاسم بن عبد الرحمن، أم الفضل، ابنة شهاب الدين النويري، القرشية، العقيلية، المكية.

---

(١) حيوة بن شريح توفي سنة ١٥٨ وخالد بن حميد سنة ١٦٩.

(٢) الضوء اللامع ١٢/ ٢٤ (١٣٥). درر العقود ٢/ ٥٦ (٤٣٩). وهذه الترجمة مع تراجم الخدائج الموالية لا تدخل في شرط المقفى: وهو الدخول إلى مصر أو الولادة بها، ولم يذكر المقريزي لهن مرورا بمصر، ولا لخلف ملك التجار الآتي. فوجودها في مخطوطة المقفى الإضافية دليل على تداخل الورقات

في المعجمين: المقفى ودرر العقود. وقد أثبتت في الطبعة الكاملة للدرر التي نشرها الدكتور محمود الجليلي أخيرا ببيروت.

(٣) تاريخ ابن قاضي شهبة ٣/ ٥٦٠ وكنيتها عنده أم عمر.

درر العقود ٢/ ٥٥ (٤٣٨).." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

ألف تقي الدين المقريزي، زيادة على كتاب المقفى، قاموسا ثانيا للرجال، خصصه للأعلام الذين عاصرهم، وسماه «درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة»، وهو الكتاب الذي يشير إليه السخاوي مثلا حين يختم ترجمة بعض أعيان القرن التاسع بقوله: وذكره المقريزي في عقوده.

وكنا رغبنا أثناء تحقيقنا للمقفى أن نطلع على كتاب الدرر حتى نقابل تراجم معاصري المؤلف في المقفى بتراجمهم في الكتاب الثاني فلم نتمكن من ذلك في الإبان، لأن الأشخاص وحتى المؤسسات صاروا يضنون بالمخطوطات فلا يسمحون بنسخها ولو بمقابل مالي.

ذلك أن كتاب الدرر يوجد كاملا في نسخة بحوزة الدكتور محمود الجليلي الموصلي بالعراق (١)، ويوجد منه قسم بمكتبة قوطا بألمانيا (٢) يتضمن أسماء من حرف الهمزة وهي الأكثر، وقلة من حرف الباء- أبو بكر لا غير- وبعض الأعلام من حرف العين، مع علم واحد باسم داود (٣).

وحين سمحت الظروف بالاطلاع على المخطوط الألماني اكتشفنا آسفين أن ترجمة داود وتراجم العين فيه لا تمت إلى كتاب الدرر بصلة، أي لا تندرج في البرنامج الذي سطره المقريزي لقاموسه الثاني إذ قال في المقدمة: «رأيت أن أجمع أخبار من أدركته، سواء غاب عني أو رأيته، من **أهل مصر** أو غيرها من البلدان ابتداء من سنة ستين وسبعمائة ... ». فجميع هذه التراجم مات أصحابها قبل سنة ٧٦٠، بل منهم من عاش في القرون الأولى من الهجرة (٤).

فتبين لنا عندئذ أن هذا القسم من كتاب درر العقود ليس منه في الحقيقة، وإنما هو محول منقول عن المقفى، لا سيما وأن تراجمه- داود وعمر وعمران وعيسى إلخ ... مفقودة من الجزء الرابع من المقفى،

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٤٢٢/٣

وهو الجزء الذي يشمل إلى جانب بعض تراجم حرف الطاء- حرف العين من العبادلة لا غير

---

(١) وصفه ونشر منه ترجمة ابن خلدون في مجلة المجمع العراقي. ج ١٣. ونشره كاملا سنة ٢٠٠٢ بدار الغرب الإسلامي ببيروت في أربعة أجزاء. وحذف منه التراجم من حرف العين الخارجة عن الفترة الزمنية التي عينها المقريزي لأعلام قاموسه الثاني.

(٢) رقمه. ١٧٧١ A

(٣) داود: ذيلنا به الجزء الثالث من طبعتنا الثانية هذه: رقم ١٤٠١/ ٢.

(٤) فكلا المعجمين له شرط: المقفى أن يكون مترجموه نشئوا أو مروا بمصر. ودرر العقود: أن يكون مترجموه معاصرين للمقريزي دون أن يشترط فيهم العلاقة بمصر. ولكن الشرطين ينخرمان وتتداخل التراجم: من المقفى إلى الدرر، ومن الدرر إلى المقفى.." (١)

"قراسنقر (١)، وشيخو الدميثري (٢) في عدة من أجناد الحلقة. وتقدمها فمروا على صحراء عيذاب إلى سواكن (٣)، وأوقعوا بالسودان، وقتلوا منهم عددا كبيرا، ومروا إلى دنقلة. وعاد العسكر إلى القاهرة في أول جمادى الآخرة سنة ست عشرة [١٤ ب] وسبعمائة بعد ما غابوا ثمانية أشهر.

ثم جرده إلى عيذاب في سنة تسع عشرة.

ومات عن مائة وعشرين سنة في [...] سنة خمس وأربعين وسبعمائة، وهو يركب الخيل ويرمي بالنشاب، ويأكل بنهم أكلا جيدا.

١٤٢٤ - طلحة ابن دقيق العيد [٦٦٨ - ٦٩٦] (٤)

[١٥ أ] طلحة بن محمد بن علي بن وهب بن مطيع، ولي الدين، أبو محمد، ابن قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد.

ولد في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وستمائة. وسمع من الحافظ عبيد الأسعردي (٥)، وبهاء الدين القفطي، وعز الدين الحراني وغيره.

وبرع في الفقه وكتب وعلق وأفاد. وناب عن أبيه في الحكم.

توفي سنة ست وتسعين وستمائة.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٤/٥

وكان فقيها نبيلا ذكيا. وقال عنه أبوه إنه يعرف مذهب الشافعي.

١٤٢٥ - طهمان بن عمرو الكلابي [- (٨٠)] (١*)

أحد بني بكر بن كلاب. كان راميا فكان يضع السهم حيث يريد فلا [١٦ أ] يخطئ. وكان مع الضحاك بن قيس يوم مرج راهط (٢*)، فأشجى مروان ابن الحكم. فلما هزمت قيس كان مع ناتل (٣*) بن قيس بفلسطين. فلما هزمهم مروان أيضا لحق بمصر فيمن صار إليها من أصحاب ناتل، فكان مع بني فهم. وكان رأسا في أيام الخندق، فلقي أصحاب مروان منه ما لم يلقوا من أحد، وكانت سهامه تأتيهم قد كتب عليه اسمه. فيقال إنه قتل يوم الخندق من أهل الشام اثني عشر عريفا سوى من قتل من سائر الناس.

فلما صلح حال أهل مصر مع مروان لحق طهمان بعبد الله بن الزبير وكان معه حتى قتل (٤*).

فطلبه عبد الملك بن مروان وأهدر دمه. ففر إلى نجران، فوجد رجلا من بني عبس طريدا فاصطحبا وكانا يتوحشان ولا يقربا [ن] الناس. فقال طهمان في ذلك [طويل]:

فإني والعبسي في أرض مذحج ... لما كانت الدنيا لمغتربان

(٥*)

---

(١) علي ابن قراسنقر (ت ٧٤٨) - السلوك ٢/ ٧٥٤.

(٢) شيخو الدميثري: ذكر ابن حجر شخصا بهذا الاسم كأنه متأخر عن الأحداث المروية هنا (ت ٧٥٨). انظر الدرر ٢/ ٢٩٣ (١٩٥٠).

(٣) سواكن: على الساحل تجاه جدة.

(٤) هو ابن أخي الفقيه الشافعي المشهور سراج الدين موسى ابن علي ابن دقيق العيد (ت ٦٨٥) - الوافي ١٦/ ٤٨٥ (٥٢٩) - أعيان العصر ٢/ ٦٢٢ - الأعلام ٨/ ٢٧٧.

والترجمة كتبت على ورقة طيارة، وقفاها أبيض.

(٥) الحافظ عبيد بن محمد، التقي الأسعردي (ت ٦١٢) - طبقات ابن قاضي شهبة، ٢/ ٢٤٨ هامش ٦.

(١*) الأعلام ٣/ ٣٣٥. ديوانه نشر محمد جبار المعيبد، بغداد ١٩٦٨ وهذه الترجمة أيضا على ورقة طيارة.

(٢*) واقعة مرج راهط في المحرم سنة ٦٥ - انظر الكامل ٣/ ٣٢٨. والضحاك بن قيس الفهري (قتل سنة

٦٤) كان من دعاة ابن الزبير- الأعلام 3/ ٣٠٩,

(3*) ناتل بن قيس الجذامي: انظر الكامل ٣/ ٣٢٩.

(٤*) قتل ابن الزبير سنة ٧٣ - انظر ترجمته فيما يلي رقم ١٤٨١.

(٥*) في معجم البلدان (دمخ) جاء العجز على هذا النحو:

... غريبان شتى الدار مختلفان، ونسب الأبيات إلى طهمان بن عمرو الدارمي.." (١)

"روى عنه أبو قبيل حي بن هاني (١).

وكان على المعافر في أيام محاربة مروان بن الحكم (٢) **لأهل مصر**، وشهدها منهم عشرون ألفا. فلما طالت الأيام وكثرت القتلى بين الفريقين، مضى كريب بن أبرهة [الأصبحي] (٣) وزياد بن حناطة [التجيبي]، وعباس بن سعيد، وعبد الرحمن بن موهب إلى مروان في الصلح، على أن يدفع لابن جحدم مالا ويهدر ما كان، فكره ذلك. فقال عبد الرحمن لأصحابه: قوموا فإنا لا نسلم ابن جحدم، وليعلمن أمير المؤمنين من يغدو إليه من أبناء الموت!

وفي رواية أنه قال لكريب: قم يا أبا رشدين! ثم والله لتغدون عليه خيل ما كان رآها أمس!

فقال مروان: من هذا يا أبا رشدين؟

قال: غلام إذا غضب غضب لغضبه عشرون ألفا من قومه.

فأمضى مروان الصلح (٤).

١٤٤٩ - ابن منيع الزاوية [٥٣٧ -] (٥)

[٣٨ ب] عبد الرحمن بن ناصر بن منيع الفيضي، المقدسي الأصل، المصري الدار، العداس، المعروف بالزاوية.

ولد في نصف رجب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة.

تعلق بالأدب والمعقول. وهو القائل [الطويل]:

إذا ضمنا جنس ونوع ووالد ... وعمر حثيث للمنية أوصل

فلا فضل إلا في العقول التي بها ... يفضل ذو لب ويدحض جاهل

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٤/ ٢٥

١٤٥٠ - الناصح ابن الحنبلي [٥٥٤ - ٦٣٤] (١*)

[٣٩ أ] عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن أحمد، الشيخ ناصح الدين، أبو الفرج، ابن أبي العلاء، ابن شرف الإسلام أبي البركات، ويقال: أبو القاسم، ابن الفقيه أبي الفرج ابن الشيخ أبي عبد الله، الأنصاري الخزرجي، السعدي، العبادي، الشيرازي الأصل، الدمشقي المولد، المعروف بابن الحنبلي.

ولد بدمشق ليلة السابع عشر من شوال سنة أربع وخمسين وخمسمائة.

سمع ببغداد من أبي شاكر يحيى بن يوسف بن أحمد السقلاطوني، وأبي الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن يوسف، وأبي عبد الله مسلم بن ثابت بن زيد المعروف بابن جوالق، وشهدة (٢*)، وتجني الوهبانية (٣*)، ونعمة بنت

---

(١) أبو قبيل المعافري (ت ١٢٨) - سير ٥/ ٢١٤ (٨٦).

(٢) ولي مروان الخلافة سنة ٦٤. وكان عبد الرحمن بن جحدم الفهري والي مصر مواليا لابن الزبير، وقد قيل في شجاعته في الوقائع التي عرفت بأيام الخندق [طويل]:

وما الجد إلا مثل جد ابن جحدم ... وما العزم إلا عزمة يوم خندق

والمعافر قوم صاحب الترجمة بايعوا ابن الزبير.

(٣) كريب له ترجمة في حسن المحاضرة، ١/ ٢٢٩.

(٤) وقع الصلح في جمادي الأولى سنة ٦٥.

(٥) نزهة الألباب في الألقاب ١/ ٣٢٧ (رقم ١٣٤٢).

(١*) الأعلام ٤/ ١١٦ - شذرات ٥/ ١٦٤ - التكملة ٣/ ٤٢٩ (٢٦٨٨) - الوافي، ١٨/ ٢٩١ (٣٤٢) سير النبلاء، ١٩/ ٥٤ (٣٣).

(٢*) شهدة بنت الإبري الكاتبة الفقيهة (ت ٥٧٤) - أعلام ٣/ ٢٥٩.

(٣*) تجني بنت عبد الله، أم عتب (ت ٥٧٥) - سير، ٢٠/ ٥٥٠ (٣٥١).." (١)

"شبيب بن السكون بن أشرس، الكندي، أبو معاوية، ابن أبي نعيم.

سكن هو وأبوه مصر. وروى عن عبد الله بن عمر، وأبي بصرة كميل بن يزيد الغفاري، وأبيه معاوية بن

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٥٤/٤

حديج، وعبد الله بن عمرو.

وروى عنه يزيد بن أبي حبيب، وعقبة بن مسلم، وواهب بن عبد الله المعافري، والحسن بن ثوبان وجماعة.

خرج له البخاري في كتاب الأدب المفرد.

وجعله عبد العزيز بن مروان أمير مصر على الشرط في أول سنة ست وثمانين عوضا عن يونس بن عطية بن يونس الحضرمي. ثم جمع له معالشرطة القضاء في ربيع الأول منها، فنظر فيهما جميعا. ونظر في أموال اليتامى، وضمن عريف كل قوم أموال يتامى تلك القبيلة، وكتب بذلك كتابا، وكان أول قاض نظر في أموال اليتامى. وجرى الأمر بعده على ذلك. فلما مات عبد العزيز بن مروان وقدم عبد الله بن عبد الملك بن مروان أميرا على مصر، أقره على القضاء والشرط. وأراد عزله فلم يجد عليه مقالا ولا متعلقا، فولاه مرابطة الإسكندرية في شهر رمضان، فكانت ولايته ستة أشهر.

وتوفي عبد الملك بن مروان، وبويع بعده ابنه الوليد بن عبد الملك، فخرج عبد الرحمن ببيعة **أهل مصر** وافدا إليه، وعاد إلى مصر. فلما ولي قرة بن شريك إمارة مصر استخلفه عند ما خرج إلى الاسكندرية على الفسطاط (١).

وتوفي سنة خمس وتسعين.

١٤٧٠ - عبد الرحمن الداخل [[١١٣ - ١٧١]]

[١١٣ - ١٧١] (١*)

[٥٣ أ] عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو المطرف (٢*)، (الأمير) الأموي الداخل إلى الأندلس. يقال له صقر قريش.

كان أبوه معاوية ولي عهد أبيه هشام بن عبد الملك، وقاد إلى الروم خمس عشرة صائفة، ومات في حياة أبيه سنة ثماني عشرة- وقيل اثنتين وعشرين- ومائة، وعمره إحدى وعشرون سنة.

وترك من الأولاد عبد الرحمن ويحيى شقيقه، وأبان، وعبيد الله، وهشاما، والمنذر، وعبدة، وأم الأصبغ.

وولد عبد الرحمن سنة ثلاث عشرة ومائة بدير حنيناء (٣*) من عمل دمشق- وقيل بالعلياء من عمل تدمر- وأمه أم ولد اسمها راح، بربرية.

فدخل يوما على جده هشام بن عبد الملك، وعنده أخوه مسلمة بن عبد الملك، وكان حينئذ عبد الرحمن صبيا. فأمر هشام أن ينحى عنه، فقال له مسلمة: دعه يا أمير المؤمنين، وضمه إليه، ثم قال: يا أمير المؤمنين هذا صاحب بني أمية، ووزرهم عند زوال دولتهم، فاستوص به خيرا! (قال عبد الرحمن): فلم أزل أعرف من

جدي مزية بعد ذلك.

---

(١) في سنة ٩١ (الكندي،) ٦٤.

(١*) في المخطوط ميزت الترجمة بعنوان أحمر: خليفة الأندلس الأموي. وانظر نفح الطيب ١/ ٣٢٧ - البيان المغرب ٢/ ٤٠ - دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٨٤.

(٢*) كنيته أيضا: أبو سليمان، وأبو زيد (نهاية الأرب ٢٣/ ٣٣٤ - الكامل ٥/ ٨٣).

(٣*) من أعمال دمشق (ياقوت) - وفي البيان المغرب ٢/ ٤٧:

دير حسينة.." (١)

"وثار أهل الكوفة أيضا بعمرو بن حريث خليفة ابن زياد عليهم، وأقاموا عمر بن سعد وكتبوا لابن الزبير ببيعتهم فأقره. ثم بعث إليهم عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري على الصلاة، وإبراهيم بن محمد بن طلحة على الخراج. واستعمل محمد بن الأشعث بن قيس على الموصل.

فاجتمع له أهل الكوفة وأهل البصرة ومن بالقبلة من العرب وأهل الجزيرة وأهل الحجاز وأهل اليمن وأهل مصر وأهل الشام، إلا أهل الأردن. فإن حسان بن مالك بن بجدل الكلبي قام بالأردن يدعو إلى بني أمية.

فاجتمع الحصين بن نمير، وعبيد الله بن زياد، وروح بن زنباع [الجذامي]، وحسان بن بجدل، وبايعوا مروان بن الحكم بالجابية لثلاث خلون من ذي القعدة [سنة أربع وستين].

وأوقع [مروان] بالضحاك بن قيس، واستولى على دمشق وحمص وقنسرين. وسار إلى مصر في سنة خمس وستين وقاتل ابن جحدم وأخرجه منها، وبايعه أهلها.

وبعث جيش بن دلجة على جيش لقتال ابن الزبير. وعاد إلى الشام فمات في رمضان منها، وبويع بعده ابنه عبد الملك بن مروان.

[القطيعة مع الخوارج]

ولما دعا ابن الزبير إلى نفسه اجتمع الخوارج الذين معه وقالوا: إن الذي صنعنا أمس لغير رأي: قاتلنا مع رجل لا ندري، لعله ليس على مثل رأينا، وكان أمس يقاتلنا هو وأبوه وينادي: يا لثارات عثمان! فأتوه فاسألوه عن عثمان، فإن برئ منه كان وليكم. وإن أبى كان عدوكم.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٤/٦٦

فأتوه فسألوه. فنظر فإذا أصحابه حوله قليل.

فقال: إنكم أتيتموني حين أردت القيام. ولكن روحوا العشية حتى أعلمكم!

فانصرفوا. وبعث إلى أصحابه فجمعهم حوله بالسلاح. وجاء الخوارج وأصحابه حوله، وعلى رأسه قوم منهم بأيديهم العمد. فقال نافع بن الأزرق لأصحابه: إن الرجل قد أزمع خلافكم.

وتقدم إليه القوم. فقال له عبيدة بن هلال، بعد حمد الله: أما بعد، فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم يدعو إلى عبادته وإخلاص الدين له، فدعا إلى ذلك فأجابه المسلمون، فعمل فيهم بكتاب الله حتى قبضه الله. واستخلف الناس أبا بكر، واستخلف أبو بكر عمر، وكلاهما عمل بالكتاب والسنة. ثم إن الناس استخلفوا عثمان فحمى الأحماء، وآثر القربى، ورفع [١٤٧ أ] الدرة، ووضع السوط، ومزق الكتاب، وضرب منكري الجور، وآوى طريد رسول الله وطرد السابقين بالفضل وحرمهم، وأخذ فيء الله الذي أفاءه عليهم فقسمه في فساق قريش ومجان العرب، فسارت إليه طائفة فقتلوه.

فنحن أولياؤهم، ومن ابن عفان وأوليائه برءاء.

فما تقول أنت، يا ابن الزبير؟

فحمد الله ثم قال: قد فهمت الذي ذكرتم به النبي صلى الله عليه وسلم. فهو فوق ما ذكرت وفوق ما وصفت، وفهمت الذي ذكرت به أبا بكر وعمر وقد وفقت وأصبت. وفهمت الذي ذكرت به عثمان. وإني لا

- عمرو «ذي الرمحين» بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر- وهو قريش. قيل له «قباع» لأن عبد الله بن الزبير لما استعمله على البصرة مر بالسوق فرأى مكيالا فقال:

«إن مكيالكم هذا لقباع». والقباع الذي له قعر واسع.

فسماه أهل البصرة القباع، وفيه يقول أبو الأسود الدؤلي [الوافر]:

أمير المؤمنين فدتك نفسي ... أرحنا من قباع بني المغيرة

وفي البيان ١/ ١٩٦: والقباع: الواسع الرأس القصير.." (١)

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٤/٢٠٨

"ويروى أن الحجاج بعث عبد الله بن الزبير إلى الري فمات بها في خلافة عبد الملك بن مروان.

١٤٨٣ - الحميدي محدث مكة [- ٢١٩] (١)

عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبد الله القرشي الأسدي، أبو بكر، الحميدي، المكي، محدث مكة وفقيهها، أحد أئمة الإسلام.

جالس سفيان بن عيينة تسع عشرة سنة وحمل عنه سائر ما عنده، وعن مسلم بن خالد الزنجي، وعبد العزيز العمي، وعبد العزيز الداروردي، والوليد بن مسلم، وإبراهيم بن سعيد، والفضل ابن عياض، ووكيع وخلق.

وتفقه بالشافعي، وقدم معه مصر.

وروى عنه البخاري في صحيحه، وأحمد بن الأزهر، وسلمة بن شبيب، ومحمد بن يحيى الذهلي، ويعقوب بن سفيان الفسوي، وأبو زرعة وأبو حاتم، الرازيان، وخلق.

قال أحمد بن حنبل: الحميدي عندنا إمام.

وقال أبو حاتم: أثبت الناس في ابن عيينة الحميدي، وهو رئيس أصحاب ابن عيينة، وهو ثقة إمام.

وقال يعقوب الفسوي: ما لقيت أنصح للإسلام وأه‍ر‍ه منه.

وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: ما رأيت صاحب تعلم أحفظ من الحميدي: كان يحفظ لابن عيينة عشرة آلاف حديث.

وقال إسحاق بن راهويه: الأئمة في زماننا الشافعي والحميدي وأبو عبيد.

وقال علي بن خلف: سمعت الحميدي يقول:

ما دمت بالحجاز وأحمد بالعراق، وإسحاق

بخراسان، لا يغلبنا أحد.

وقال الحاكم أبو عبد الله: الحميدي مفتي أهل مكة ومحدثهم وهو لأهل الحجاز في السنة كأحمد بن حنبل للعراق.

وقال محمد بن إسماعيل البخاري: الحميدي إمام في الحديث.

توفي في شهر ربيع الأول سنة تسع عشرة ومائتين بمكة.

١٤٨٤ - ابن زرير الغافقي [- ٨٠] (١*)

[١٥٤ أ] عبد الله بن زرير، الغافقي، مصري يروي عن علي وابن عمر رضي الله عنهما، ويروي عن جماعة.

وعنه، من **أهل مصر**: مرثد بن عبد الله [أبو الخير] اليزني، وعبد الله بن هبيرة، والحرث بن يزيد، وأبو أفلح الهمداني، وبكر بن سوادة، وكعب بن علقمة، وعياش بن عباس وجماعة.

وقال ابن سعد: ثقة له أحاديث.

وقال ابن يونس: كان من شيعة علي رضي الله عنه والوافدين إليه من **أهل مصر**.

توفي سنة ثمانين. وقال ابن سعد: توفي سنة إحدى وثمانين.

وقال أبو عمر الكندي: كان من أصحاب علي وممن وفد عليه من مصر وقاتل معه. وكان في مائتين من العطاء، وأن مروان لما دخل مصر دعاه إلى بيعته فبايعه، ودعاه إلى البراءة من علي فلم يقبل منه وقال: إني سمعت عليا عليه السلام يقول: إنكم ستعرضون على سبي فسبوني، وستعرضون على البراءة مني فلا تبرءوا مني، فإني

---

(١) تهذيب التهذيب، ٥/ ٤٥ (٣٧٢) - الوافي، ١٧/ ١٧٩ (١٦١).

(١*) تهذيب، ٥/ ٢١٦ (٣٧٤).." (١)

"الدارمي. فنكس رأسه ثم رفع [هـ] واسترجع وجعل تسيل دموعه على خديه ثم أنشأ يقول [الكامل]:

إن تبق تفجع بالأحبة كلهم ... وبقاء نفسك لا أبا لك أفجع

١٤٩٩ - ابن أبي اليابس الديباجي [٤٨٤ - ٥٧٢] (١)

عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى بن إسماعيل، الشريف، القاضي، أبو محمد، العثماني، الديباجي، المعروف بابن أبي اليابس.

ولد سنة أربع وثمانين وأربعمائة [...] (٢) وتوفي يوم السبت الحادي والعشرين من شوال سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة.

١٥٠٠ - ابن حجيرة الخولاني قاضي مصر [- بعد ٩٨] (٣)

[١٦٩ أ] عبد الله بن عبد الرحمن بن حجيرة، الخولاني، أبو عبد الرحمن، قاضي مصر وابن قاضيها.

يروي عن أبيه.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٢١٨/٤

روى عنه عبد الله بن الوليد التجيبي، وخالد بن يزيد، وإبراهيم بن نشيط الوعلاني.

قال النسائي: ليس به بأس. وذكره ابن حبان في الثقات.

وولاه قرة بن شريك أمير مصر القضاء في شهر ربيع الآخر سنة تسعين بدلا من عبد الواحد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج وصرف بعد ثلاث

سنين في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين بعياض بن عبد الله [الأزدي السلامي] (١*).

وخرج ببيعة **أهل مصر** لما قام في الخلافة سليمان بن عبد الملك بعد موت أخيه الوليد بن عبد الملك في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، وعاد إلى مصر، فأعاده عبد الملك بن رفاعة أمير مصر إلى القضاء مرة ثانية بعد صرف عياض في شهر رجب سنة سبع وتسعين، وجمع له القضاء وبيت المال، ثم صرف آخر سنة ثمان وتسعين عن القضاء (٢*).

وقال إبراهيم بن نشيط: أتيت عبد الله بن عبد الرحمن بن حجيرة فقال: أتتغدى؟

قلت: نعم.

فقال: يا جارية، الغداء!

فأتت بعدس بارد على طبق خوص وكعك وماء. فقال: كل! لم تتركنا الحقوق نشبع من الخبز.

وأتاه رجل فذكر له حاجة. فقال: تعود.

فلما مضى سأل عنه، فإذا هو صادق. فأعطاه ثمانية عشر دينارا. فأتاه في مجلس القضاء يثني عليه فقال: أخروه عني!

ورفع عليه قوم من يهود إلى عمر بن عبد العزيز في مال قبضه منهم، فأقر أنه قبضه منهم ثم دفعه إليهم.

فقال عمر: هل عندك بينة أنك دفعته إليهم؟

قال: لا.

فقال: غرمت ابن حجيرة وضمنت.

ثم ذكر له بعد أن له بينة فشهد له رجال.

---

(١) أعلام النبلاء، ٢٠/ ٥٩٦ (٣٧٤) - حسن المحاضرة، ١/ ٣٧٥ (٥٢) -.

(٢) بياض بقدر خمسة أسطر. والترجمة عند الذهبي طويلة.

(٣) الكندي، ٣٣١.

(١*) الزيادة من حسن المحاضرة، ٢/ ١٣٨.

(٢*) في حس المحاضرة ٢/ ٩٧: بقي إلى سنة ١٠٠.." (١)

"١٥٠١ - عبد الله بن عبد الرحمن بن حديج [- ١٥٥] (١)

[١٦٩ ب] عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج بن جفنة بن قتيرة بن حارثة بن عبد شمس بن معاوية بن جعفر بن أسامة بن سعد بن أشرس بن شبيب بن السكون (٢) بن أشرس بن كندة، الكندي، ثم التجيبي.

تقدم ذكر أبيه ويأتي ذكر جده معاوية بن حديج (٣).

وولي عبد الله رابطة الإسكندرية، وخرج ببيعة **أهل مصر** إلى يزيد الناقص ابن الوليد فيمن خرج.

ثم أجمع الجند بعد موت المغيرة بن عبيد الله الفزاري على أن يولوه الشرط إلى أن يأتي أمر مروان بن محمد. فقدم عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير.

وولاه عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير البحر، ثم صرفه بعبد الرحمن بن عتبة المعافري وولاه برقة.

فلما قتل مروان وولي أمر مصر صالح بن علي بن عبد الله بن عباس استعمل عبد الله على شرطه أياما، ثم صرفه. وأخذه معه فيمن أخذ من **أهل مصر** ليوفده على أبي العباس السفاح. ثم عاد عبد الله إلى مصر.

وخرج إلى إفريقية فيمن خرج إليها أيام أبي عون عبد الملك بن يزيد فبلغوا سرت ثم عادوا.

وولي حميد بن قحطبة عبد الله الشرط عوضا عن محمد بن معاوية بن بجير (١*) بن ريسان إلى أن صرف [حميد] بيزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة فأقر عبد الله على الشرط.

ثم استخلفه على مصر لما حج سنة سبع وأربعين ومائة (٢*). فلم يزل على الشرط إلى أن صرف يزيد، فولى أبو جعفر المنصور عبد الله بن عبد الرحمن مصر على صلاتها في يوم السبت لثنتي عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين ومائة، فلم يول على الشرط أحدا، ولكن جعل على التابوت (٣*) علي بن زيدان التجيبي، ثم عزله بمحمد بن يعفر المعافري، وعزله بعمران بن سفيان الحجري ثم عزله، وولى أبا المحب من الموالي.

وعبد الله أول من خطب في السواد (٤*) بمصر.

وخرج إلى أبي جعفر المنصور لعشر بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائة، واستخلف أخاه محمدا ورجع في آخر السنة.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٤/ ٢٣٤

وتوفي وهو وال يوم الأحد مستهل صفر سنة خمس وخمسين ومائة، واستخلف أخاه محمدا (٥*)، فكانت ولايته مصر سنتين وشهرين.

روى عنه عمرو بن بحري السبائي [و] لم يذكره البخاري ولا ابن أبي حاتم في كتابيهما، وليس بمشهور عند أهل الحديث، والمشهور أخوه عبد الواحد بن عبد الرحمن قاضي مصر.

---

(١) انظر الكندي ٩٨. وفي الحاشية: حديج بضم الحاء وفتح الدال المهملتين ثم ياء آخر الحروف وجيم- الخطط ١/ ٣٠٧: الإكمال ٢/ ٣٩٦.

(٢) السكن في الإكمال ٢/ ٣٩٧.

(٣) ترجمة أبيه تقدمت (رقم ١٤٦٩) أما معاوية فمفقود وبالعكس لم ينبه إلى ترجمة أخيه محمد بن بن عبد الرحمن الآتية برقم ٢٤٤٦.

(١*) بجير ككبير (حاشية) والشكل في المتن من المؤلف.

(٢*) في المخطوط: ومائتين. وانظر الكندي ١٠١.

(٣*) التابوت مستودع مال اليتامى عند القاضي.

(٤*) أي بشعار العباسيين (أو المسودة).

(٥*) محمد بن عبد الرحمن بن حديج: انظر ترجمته رقم ٢٤٤٦.." (١)

"فأشخص صاحب اليمامة ابن جدعان إلى كسرى.

ويقال إن باذام صاحب كسرى تعبث بأهل مكة في شيء التمسه منهم، فشخص ابن جدعان في عدة من قريش إلى كسرى يشكونه، فكتب له إلى باذام بما أراد، والله أعلم.

وقال الواقدي: كانت بنو تيم في حياة ابن جدعان كأهل بيت واحد يقوتهم ابن جدعان، وكان يطعم كل يوم في داره الدهر كله جزورا، فينادي مناديه: من أراد اللحم والشحم فعليه بدار ابن جدعان!

ووفد على ملك فارس فقال له: بلغني أنك أعظم العرب مروءة، فسلني حاجتك.

فسأله طباخا يعمل الفالوذ فكان يطعمها قريشا.

وكان لرجل من بني جشم بن بكر على رجل من بني كنانة دين، فأعدم الكناني فأتى إلى الجشمي بقرد فقال: من يشتري هذا القرد بدين الجشمي علي؟

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٤/٢٣٥

فوثب الجشمي فقتل القرد، فاقتتل بنو كنانة وبنو بكر فأصلح بينهم ابن جدعان وحمل ذلك الدين [١٩٧ أ].

وعن أبي عمرو بن العلاء: كان ابن جدعان يوجه أبا مليكة وغيره بالهدايا إلى ملك الحيرة وإلى كسرى ويكاتبهم. فبعث بهدايا إلى ملك الحيرة فقطع على رسله بنو يربوع فأغار ابن جدعان بقريش ومن لافهم على بني يربوع ولم يعرض لغيرهم من بني تميم.

وقال ابن جدعان في ولد سبيعة بنت الأحب وفي خالد بن عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم وأخويه [وافر]:

إذا ولد السبيعة فارقوني ... فأي مراد ذي حسب أرود؟

أأقعد بعدهم في الناس حيا ... وقد هلك المصاليت الأسود؟

يكبون العشار لمن أتاهم ... إذا [ما] لم يكن في الأرض عود

وكان ابن جدعان عقيما فادعى بنوة رجل فسماه زهيرا وكناه أبا مليكة، فولده كلهم ينسبون إلى أبي مليكة، ويقال: أبو مليكة ابن عبد الله بن جدعان.

وقال معاوية بن أبي سفيان: إنما تقسم الشرف بعد أبي زهير عبد الله بن جدعان.

١٥٢٥ - أبو الحارث الزبيدي الصحابي [- ٨٦] (١*)

[١٩٧ ب] عبد الله بن الحرث بن جزء بن عبد الله بن معدي كرب بن عمرو بن غشم بن عمرو بن عويج بن عمرو بن زبيد، الزبيدي، حليف أبي وداعةالسهمي، يكنى أبا الحارث، وهو ابن أخي محمية بن جزء الزبيدي، وأحد الصحابة الذين شهدوا فتح مصر، واختط بها.

وروى عنه عبد الملك بن مليل البلوي، ومسلم ابن يزيد الصدفي وعباس بن جليد الحجري، وعقبة بن مسلم التجيبي، ويزيد بن أبي حبيب وغيره.

ولأهل مصر عنه نحو عشرين حديثا. ولهم عنه حكايات.

وتوفي بقرية سفط القدور من عمل أسفل أرض مصر بعد ما عمر عمرا طويلا وعمي، في سنة ست

(١*) أعلام النبلاء، ٣/ ٣٨٧ (٥٨).." [1]

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٤/٢٦٩

"أربع وخمسين وثلاثمائة ليخلص من بني سليم ما أخذوا للحاج. فسار إلى تبوك، ولم يقدر على بني سليم، وعاد في المحرم سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وقد ظفر بمال مما أخذ للتجار فأودعه بزقاق القناديل (١) في مصر.

وخرج إلى الرملة في يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وقد فوض إليه الأستاذ كافور الإخشيدي تدبير الشام. فمات كافور في جمادى الأولى منها. وكتب الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات إليه، يأمره بالاجتماع مع الحسن بن عبيد الله بن طغج أمير الرملة ويعقد عليه البيعة لأبي الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد محمد بن طغج بمحضر من القضاة والعلماء والشهود، ففعل ذلك. فامتنع عليه الحسن بن عبيد الله، ثم أجاب على أنه يجتمع مع ثمال العقيلي، فأجابه عبد الله إلى ذلك. ومضى عبد الله إلى ثمال فدخل ثمال إلى الرملة فحاربا الحسن بن عبيد الله فحاربهما وهزمهما. فحكي عن عبد الله أنه دعا إلى نفسه وتسمى بالمهدي.

فلما قدمت القرامطة صار إليهم، إلى أن قدم المعز إلى القاهرة في شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، وسار القرامطة لحربه، وهو معهم. فشكاه المعز إلى أخيه أبي جعفر مسلم، وكتب إليه مع أبي جعفر أحمد بن نصر لصداقة كانت بينه وبين عبد الله. وكان القرمطي قد بعثه إلى الصعيد فنزل بنواحي أسيوط وأخميم وحاصر علي بن غفيانان وحاربه واستخرج الأموال. فثقل ذلك على المعز وعاتب الشريف مسلم فاعتذر إليه وتبرأ من أخيه عبد الله.

وأوغل عبد الله في الصعيد وقتل جماعة من المغاربة وأسر كثيرا، ثم عاد إلى إخميم. فبلغه هزيمة الجيش القرمطي بظاهر القاهرة. [ف] ركب البحر إلى عينونا (١*) ومضى إلى الحجاز فنزل المدينة. ثم خاف فسار إلى الأحساء ولحق بالقرامطة يستنهضهم لحرب المعز، فلم يجد فيهم قوة لذلك. فتركهم وسار إلى العراق، فبعثوا في إثره ابن سنبر (٢*) فسمه في لبن بموضع يقال له الجعفرية (٣*) على ميلين من البصرة، فقام مائتي مجلس في ليلة ومات في موضعه. فغسل وكفن وحمل إلى البصرة وصلى عليه ودفن بها. ثم حمل إلى المدينة.

وكان موته في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة (٤*).

١٥٣٩ - صفي الدين العسقلاني [- ٧٣١]

[٢٣٣ ب] عبد الله بن عبد الله بن إبراهيم بن هبة

---

(١) زقاق القناديل صار يطلق على محل الودائع من أموال اليتامى والغيب، ويبدو أن الاسم والموضع والوظيفة قديمة سبقت عهد الحاكم بكثير، خلافا لما في كتاب الولاة والقضاة، ٥٩٧ (ترجمة القاضي محمد بن النعمان).

(١*) عينون عند ياقوت وعين أنا، ونقل عن البكري أنها قرية يطؤها طريق **المصريين** إذا حجوا، وهو كلام من غير معجم ما استعجم.

(٢*) ابن سنبر: لعله سنبر بن الحسن بن سنبر أبو محمد، الذي ترجم له المرحوم عمر السعيدي في ذيول العيون والحدائق، ٥٤٧، وهو أحد وزراء أبي طاهر الجنابي القرمطي (انظر الإحالات في المرجع المذكور).

(٣*) هذه جعفرية البصرة ولم يذكرها ياقوت، وإنما ذكر جعفرية بغداد.

(٤*) نقل المقريزي هذه الأحداث باختصار شديد في الاتعاظ، ٢٠٣، كذلك فعل ابن القلانسي فيما يخص الأحداث بالرملة (ذيل، ٢).

وانضمام هذا الزعيم الحسيني إلى القرامطة يقابل تواطؤ أخيه أبي جعفر مع الفاطميين، وذكر المقريزي أخا ثالثا لهما يسمى عيسى (اتعاظ، ٢٠٢) لكنه لم يذكر له موقفا من المعز.." [1]

"محمد بن زيد، وعبد الله بن واقد، وأبو بكر بن عبيد الله، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وأبو صالح السمان، وزيد بن أسلم، ونافع مولاه، وآدم بن علي، وبكر بن عبد الله المزني، وجبلة بن سحيم، وثابت بن أبي حبيب، وزهرة بن معبد، وعبد الله بن دينار، وعمرو بن دينار، وأبو الزبير.

ومن **أهل مصر**: شراحيل بن بكيل، وابن طعمة، وثابت بن يزيد الخولاني، وقيصر مولى تجيب.

ولأهل مصر عنه سند بثمانية أحاديث كلها أغربوا بها.

وشهد عبد الله بن عمر فتح مصر مع عمرو بن العاص. ثم قدمها أيضا في خلافة عمر رضي الله عنه يريد غزو إفريقية، فغزاها مع عبد الله بن سعد ابن أبي سرح.

قال ابن يونس: شهد الفتح بمصر واختط بها، وروى عنه أكثر من أربعين رجلا من **أهل مصر**.

وكان مجاب الدعوة: لما كتب زياد بن أبيه إلى معاوية بن أبي سفيان: إني قد ضبطت العراق، شمالي ويميني فارغة، وسأله أن يوليه الحجاز والعروض، كره ابن عمر جور سلطانه وشق عليه. فاستقبل القبلة وقال: اللهم تجعل في القتال كفارة لمن تشاء من خلقك. اللهم، فموتا لابن سمية لا قتلا!

فخرجت على إصبعه طاعونة فما أتت عليه إلا جمعة حتى مات. فبلغ ذلك ابن عمر فقال:

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٤/٣٢٥

إليك ابن سمية، لا دنيا بقيت لك، ولا آخرة أدركت!

١٥٥٣ - شيخ الشيوخ تاج الدين الحمويي [٥٦٦ - ٦٤٢] (١)

[٢٥٢ أ] عبد الله- وقيل: عبد السلام- بن

عمر بن علي بن محمد بن حمويه بن محمد بن حموية بن علي، شيخ الشيوخ، تاج الدين، أبو محمد، ابن شيخ الشيوخ عماد الدين أبي الفتح، ابن الفقيه أصيل خراسان أبي الحسن، ابن الإمام الزاهد شيخ الإسلام علم الزهاد أبي عبد الله، الجويني الحمويي، الدمشقي.

ولد بدمشق في يوم الأحد رابع عشر شوال سنة ست وستين وخمسمائة. وسمع من الحافظ أبي القاسم ابن عساكر، ومن القطب مسعود النيسابوري.

وسمع في بغداد من فخر النساء شهدة بنت أحمد الأيوبي وجماعة.

وبرع في عدة علوم وأتقن الأصلين وكتب الأمالي والتخاريج. وصنف كتاب السياسة الملوكية برسم الملك الكامل محمد، وصنف كتاب المسالك والممالك.

وقدم إلى القاهرة، وسار منها إلى بلاد المغرب في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، ولقي هناك أبا محمد بن حوط الله (١*) وغيره، وأخذ عنهم. وعاد إلى مصر في سنة ستمائة. وسار إلى دمشق ثم إلى الرها، وأقام بها سنين عند الملك الأشرف موسى.

ثم عاد إلى دمشق وأقام بها إلى أن توفي يوم الأربعاء خامس صفر سنة اثنتين وأربعين وستمائة.

وكان متدينا شريف النفس قليل الطمع لا يلتفت إلى أحد من أبناء الدنيا. لا من أهله ولا من غيرهم.

ومن شعره قوله [البسيط]:

لم ألق مستكبرا إلا تحرك لي ... عند اللقاء له الكبر الذي فيه

---

(١) التكملة ٣/ ٦٣٧ (٣١٥٦). أعلام النبلاء، ٢٣/ ٩٦ (٧٢).

(١*) الحافظ عبد الله ابن حوط الله الأندي الأندلسي (ت ٦١٢): كحالة ٦/ ٦١.." (١)

"ولا حلا لي من الدنيا ولذتها ... إلا مقابلتي للتيه بالتيه

وقوله [السريع]:

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣٤٨/٤

يا ساهر المقلة لا عن كرى ... غفلت عن همي وأوصابي

لو لم يكن وجهك لي قبلة ... ما أصبح الحاجب محرابي

١٥٥٤ - أبو عبد الرحمن ابن غانم الرعيني [١٢٨ - ١٩٠] (١)

[٢٥٢ ب] عبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل ابن ثوبان، الرعيني، أبو عبد الرحمن- من أهل إفريقية- أورع أهل زمانه وأفقه **أهل مصره**.

رحل وقدم مصر حاجا ولقي مالك بن أنس. ثم عاد إلى القيروان وولي القضاء لإبراهيم بن الأغلب. فرفع إليه أن أبا موسى هارون مولى ابن الأغلب اشترى بغالا بخمسمائة دينار ومطل أربابها، فضم ديوانه وقام مع الشكاة إلى ابن الأغلب وعرفه الخبر. فأحضر هارون وسأله فأقر واعتذر بأنه إنما أخر المبلغ ليدفعه من خراج ضيعته. فألزمه بدفع المال في المجلس فدفعه لأربابه.

ودخل مرة على ابن الأغلب وفي يده قارورة بها دهن، فقال: كم يقول القاضي أن هذا الدهن يساوي؟ فذكر شيئا تافها. فقال ابن الأغلب: «إن ثمنه كذا وكذا» فذكر مبلغا عظيما. فقال ابن غانم: وما هو؟

فقال: إنه سم قاتل سريع.

فقال: أرنيه!

فناوله إياه، فضرب بها العمود فكسرها فقال له ابن الأغلب: ماذا الذي صنعت؟

فقال: لا أترك معك ما تقتل به الناس!

١٥٥٥ - أبو القاسم عبيد المقرئ [٢٩٥ - ٣٦٠] (١*)

[٢٥٣ أ] عبيد الله بن عمر بن أحمد، أبو القاسم، القيسي، البغدادي، المقرئ، الفقيه الشافعي، المعروف بعبيد، نزيل قرطبة.

أخذ القراءة عرضا عن أبي بكر ابن مجاهد، وأحمد بن يعقوب التائب، وإسحاق بن أبي عمران الإمام، وعن علي بن بدهن بمصر. وكان إماما في مذهب الشافعي كثير التصنيف في أصول الفقه وغير ذلك.

مات في شوال سنة ستين وثلاثمائة في آخره وله خمس وستون سنة.

١٥٥٦ - عبد الله بن عمر قاضي اليمن [٥٣٠ - ٦٢٦] (٢*)

[٢٥٤ أ] عبد الله بن عمر بن عبد الله، القاضي أبو محمد، المعروف بقاضي اليمن، الشافعي.
ولد بدمشق في سنة ثلاثين وخمسمائة تخمينا.
وسمع بالإسكندرية من السلفي وغيره.
وتوجه صحبة شمس الدولة توران شاه إلى بلاد اليمن، وأم به في الصلوات، وتقدم عنده واختص به، وولاه قضاء اليمن وحصل مالا كثيرا.

---

(١) رياض النفوس، ١/ ٢١٥ (٨٧) - تهذيب التهذيب، ٥/ ٣٣١ (٥٦٧) والتواريخ منهما. تهذيب الكمال ١٣/ ٨٤٣. كتاب العمر ١/ ٢٣٨ (٤١).
(١*) السبكي، ٣/ ٣٤٣ (٢١٧) - معرفة القراء الكبار ٣٤٢ (رقم ٢٦٧)، والترجمة منقولة عنها.
(٢*) التكملة ٣/ ٩٦ (١٩٢٢).." [(١)]

"وقيل: توفي بالطائف سنة خمس وخمسين.
والصحيح أنه مات بمصر كما تقدم وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.
وكان رجلا طوالا أحمر عظيم الساقين أبيض الرأس واللحية. وكان قد عمي في آخر عمره.
وقيل: كان يخضب بالسواد.
وخرج الحاكم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كانت أم عبد الله بن عمرو ريطة بنت منبه بن الحجاج، وكانت تلطف برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاها ذات يوم فقال: كيف أنت يا أم عبد الله؟
فقالت: بخير. فكيف أنت بأبي وأمي يا رسول الله؟
قال: بخير. (قال) وكيف عبد الله؟
قالت: بخير- وعبد الله رجل قد ترك الدنيا- (١).
قال له أبوه يوم صفين: اخرج فقاتل!
فقال: قد كان من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد سمعت.
قال: أنشدك بالله! أتعلم أن [هـ] مما كان من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليك أنه أخذ بيدك فوضعها في يدي فقال: أطع أباك عمرو بن العاص؟

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣٤٩/٤

قال: نعم.

قال: فإني آمرك أن تقاتل.

(قال) فخرج يقاتل. فلما وضعت الحرب أوزارها قال عبد الله [الطويل]:

فلو شهدت جمل مقامي ومشهدي ... بصفين يوما شاب منها الذوائب

عشية [جا] أهل العراق كأنهم ... سحاب ربيع صفقته الجنائب

إذا قلت: قد ولوا سراعا [بدت لنا] ... كتائب منهم وارجحنت كتائب

فقالوا لنا: إنا نرى أن تبايعوا ... عليا، فقلنا: بل نرى أن نضاربوا (١*)

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة له ففزع الناس فخرجت وعلي سلاحي فنظرت إلى سالم مولى أبي حذيفة عليه سلاحه يمشي وعليه السكينة فقلت: «لأقتدين بهذا الرجل الصالح! » فسرت معه حتى أتى فجلس عند باب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجلست معه. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا فقال:

يا أيها الناس، ما هذه الخفة! ما [٢٥٨ أ] هذا النزق؟

أعجزتم أن تصنعوا كما صنع هذان الرجلان المؤمنان؟

وقيل: كان اسم عبد الله بن عمرو «العاص» فغيره النبي صلى الله عليه وسلم وسماه عبد الله.

وقد روى عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة، وروى عن أبيه وأبي بكر وعمر ومعاذ وأبي الدرداء وغيرهم.

وروى عنه ابنه محمد على خلاف فيه (٢*)، وحفيده شعيب بن محمد وأبو أمامة بن سهل وجبير بن نفير وسعيد بن المسيب وأبو الخير اليزني ووهب بن منبه وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وخلائق.

ولأهل مصر عنه نحو مائة حديث.

١٥٥٩ - عبد الله المطرف [- ٩٦] (٣*)

[٢٥٩ أ] عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن

---

(١) الجملة مقحمة غير مفهومة. والاعتذار عن حضور صفين أوضح في الوافي ١٧/ ٣٨١: إنما شهد ذلك لعزمة أبيه [عمرو] عليه وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له: أطع أباك.

المقفى ج ٤* م ١٢

(١*) العقد، ٤/ ٣٣٤ والإكمال منه.

(٢*) ابنه محمد تأتي ترجمته برقم ٢٥٣٧.

(٣*) المعارف، ١٩٩، وهو جد الشاعر العرجي الذي ترجم له الصفدي، ١٧/ ٣٨٤ (٣١٦).." [(١)]

"مقدمة المقريزي لكتاب الدرر (١)

وبعد، فإني ما ناهزت من سني عمري الخمسين، حتى فقدت معظم الأصحاب والأقربين، فاشتد حزني لفقدهم، وتنغص عيشي من بعدهم، فعزيت النفس عن لقائهم بتذكارهم، وعوضتها عن مشاهدتهم باستماع أخبارهم، وأمليت ما حضرني من أنبائهم في هذا الكتاب، وسميته:

درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة

والله أسأل أن يبرد في مقر البلى مضجعهم، ويقر ليوم التنادي مهجعهم، ويجمعني وهم بدار كرامته في نعمته، ويمنعني وإياهم بالخلود مع الأبرار في جنته، بمنه وكرمه.

وفي ذلك أقول [الطويل]:

فقدت لعمري ما كان لي يحلو ... وأوحشني قوم بهم كان لي شغل

فلا غائب في الناس أرجو قدومه ... ولا زائر، همي بزورته يجلو

ولا صاحب أرجو لدفع كريهة ... إذا محن الأيام ما خطبها سهل

ولا مسعف بالرأي لي هو مرشد ... ولا منجد بالجاه قدري به يعلو [٢ أ]

ولا فارج عني الهموم بإنسه ... يطارحني هما يخف به الثكل

ولم يبق لي من صبوة وصبابة ... تلذ بها نفسي ويجتمع الشمل

وقد أعرضت نفسي عن اللهو جملة ... وملت لقاء الناس حتى وإن جلوا

وصار بحمد الله شغلي وشاغلي ... فوائد علم لست من شغلها أخلو

فطورا يراعي كاتب لفوائد ... بصحتها قد جاءنا العقل والنقل

واونة للعلم صدري جامع ... فتزكو به نفسي وعن همها تسلو

ثم إني رأيت بعد ذلك أن أجمع أخبار من أدركته، سواء غاب عني أو رأيته، من **أهل مصر** (١*) كان أو غيرها من البلدان، فأقيد أخبار الملوك والأمراء، وأعيان الكتاب والوزراء، وأذكر رواة الحديث والفقهاء، وحملة سائر العلوم والشعراء، ومن له ذكر شهير، أو قدر نبيه خطير، إما من رجال الدنيا أو طلاب الأخرى،

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٤/٣٥٣

من ابتداء سنة ستين وسبعمائة، وأورد في اسم كل ملك أولية دولته، ومن سلف من ملوك مملكته، كي يحيط الناظر فيه علما بدول الزمان، وملوك العصر والأوان، «فكأن قد» ولن تجد لسنة الله تبديلا [الأحزاب: ٦٢] وحسبي الله، وكفى به وكيلا.

---

(١) أدرجناها للتدليل على غرض المصنف، مما يبعد تراجمنا الثلاثين عن مادة درر العقود. والمخطوط بعد هذا كتب بخط المؤلف مثلما في المقفى والسلوك.

(١*) في المخطوط: مصري. وهذا التدقيق «أو غيرها من البلدان» يخرج تراجم العقود عن شرط دخول مصر، الذي بني عليه المقفى.." (١)

"عياش بن عباس القتباني وموسى بن أيوب الغافقي.

وولاه عبد الله بن عبد الملك بن مروان الشرط، وجمع له القضاء والشرط عوضا عن عبد الرحمن بن حديج عقيب قدومه إلى مصر أميرا عليها فيجمادى الآخرة سنة ست وثمانين. فلم يزل إلى أن أتى بمولى لعبد الله بن عبد الملك وهو سكران فأمر به فجلد الحد، فقيل له: لا تفعل إنه من خاصة عبد الله. فقال: لو كان ابنه لحددته.

وكان عبد الله حينئذ بالإسكندرية. فلما قدم وبلغه جلد عمران مولاه غضب وعزله وضيق عليه وأمر بقميص من قراطيس فكتب فيه عيوبه وما رفع عليه، ثم أمر أن يلبسه ويوقف للناس. فبينا هو في المسجد يخاف ذلك أدرجت الريح إليه سحاءة (١) فنظر فيها فإذا هو: فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم [البقرة: ١٣٧].

فأتى عبد الله خبر صرفه عن مصر فشغل عن عمران، وذلك في صفر سنة تسع وثمانين.

وقيل في سبب صرفه عن القضاء والشرط أن زرعة بن سعد الله ابن أبي زمزمة لما هجا عبد الله بن عبد الملك وأهدر دمه آواه عمران وأنه هجا عبد الله فقال [الطويل]:

أنا ابن [أبي] بدر بهجرة يثرب ... وهجرة أرض النجاشي أفخر (٢)

أمثلي على سني وفضل أبوتي ... نسيت وهذا نجل مروان يذكر؟

وأنه لما صرفه عبد الله وولى عبد الواحد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج [١٨٨ ب] القضاء عوضه، وكان غلاما حدثا، قال عمران يهجو عبد الله [الطويل]:

لحا الله قوما أمروك، ألم يروا ... بأعطافك التخنيث كيف يريب؟

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣٦١/٤

أتصرفني جهلا عن الحكم ظالما ... ووليته عجزا فتاة تخيب؟
ثكلتك من وال وأيضا ثكلته ... ألم يك في الناس الكثير نصيب؟
فأمر عند ذلك بعمل القميص من القراطيس.
وكانت ولاية عمران سنتين وخمسة أشهر. ثم ولى بحر مصر سنة ثلاث ومائة.
وتوفي بعد ذلك، وكان من أبناء البدريين وأهل العلم.

١٥٦١/ ٢٧ - عمير بن مالك الجداعي [- ٦٥] (١*)
[١٨٨ أ] أبو مالك، أحد فرسان **أهل مصر**.
أصيب مبارزة، قتله رجل من كلب في محاربة مروان بن الحكم **أهل مصر**. وكان رئيس هذيل في تلك الحرب، وذلك في ربيع الأول سنة خمس وستين. وفيه يقول المتنخل الهذلي [المتقارب]:
لعمرك ما إن أبو مالك ... بوان ولا بضعيف قواه
ولكنه هين لين ... كعالية الرمح عود القناه
أبو مالك قاصر فقره ... على نفسه ومشيع غناه (٢*)

---

(١) قراءة ظنية والسحاء جمع سحاءة وأسحية: غلاف رقيق يسل من ورق البردي، والورقة الصغيرة يكتب عليها كلام وجيز (دوزي).
(٢) كان من أبناء البدريين (الكندي ٣٢٨، وكذلك المقريزي بعد قليل). لذلك قرأنا: أنا ابن أبي بدر والعجز يظل مختلا.
المقفى ج ٤* م ١٣
(١*) درويش ٣٧٤.
(٢*) المتنخل الهذلي: مالك بن عويمر. ديوان الهذليين طبعة دار الكتب ٢/ ٢٩.." (١)
"١٥٦١/ ٢٨ - عيسى بن أبي عطاء الشامي الكاتب [- بعد ١٢٨] (١)
[١٨٣ - أ] من أهل الشام، وفي الطبقة الخامسة.
روى عن أبيه، وعمر بن عبد العزيز. روى عنه الوليد بن سليمان ابن أبي السائب، والوليد بن مسلم، ومحمد

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣٨٥/٤

بن شعيب بن شابور، وعبد الرحمن ابن إبراهيم المري المدني، وسحبل بن محمد.

وولي ديوان المدينة، وقدم إلى مصر متوليا خراجها يوم الثلاثاء لسبع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائة. وصرف حفص بن الوليد بن سيف الحضرمي عن الخراج فانفرد حفص بالصلاة وذلك في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

ثم وثب حفص على عيسى بمن معه من الناس وملك. فلما ولي مروان بن محمد الخلافة صرف حفص بن الوليد بحسان بن عتاهية وأعاد عيسى إلى الخراج. فوثب حفص **بأهل مصر** وأخرج عيسى ليومين بقيا من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين، وفر حسان. فلم يزل حفص على مصر إلى أن ولى مروان الحوثرة بن سهيل الصلاة، فقدم مصر ومعه عيسى على الخراج يوم الأربعاء لثنتي عشرة خلت من المحرم سنة ثمان وعشرين. فبنى عيسى الجامع بدمياط. ثم ولي الخراج بعد عيسى عبد الملك [بن مروان] بن موسى بن نصير.

١٥٦١/ ٢٩ - المجد ابن الخشاب المخزومي [٦٣٨ - ٧١١] (٢)

[١٨٢ أ] عيسى بن عمر بن خالد بن عبد

المحسن بن نشوان بن عبد الله بن عبد الرحيم بن عبد العزيز بن عبد المحسن بن عطاء الله بن خالد بن عمر بن خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام بن المغيرة، المخزومي، القاضي مجد الدين، أبو الروح، ابن أبي حفص، المعروف بابن الخشاب، المخزومي الشافعي.

كان أبوه خشابا صنعته بيع الخشب.

وولد سنة ثمان وثلاثين وستمائة، وسمع على الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري، والرشيد العطار، وأبي الحسين القرشي، والنجيب عبد اللطيف الحراني، في آخرين، وتفقه على عز الدين ابن عبد السلام. وقرأ القرآن العظيم بالروايات على الشيخ الصالح أبي الحسن علي بن موسى بن يوسف المعروف بالدهان المقرئ، وصحبه وخدمه. فتقدم ببركة ملازمته وخدمته وصارت له وجاهة. ودرس وأفتى وحدث وأقرأ القرآن، فقرأ عليه عبد الرحمن الزيلعي.

وولي حسبة القاهرة ووكالة بيت المال في [...] ثم عزل عن الحسبة في [...] وأبقي عليه التدريس والوكالة حتى مات. وولي نظر الأحباس وتدريس زاوية الشافعي وتدريس الناصرية وتدريس القراسنقرية.

وكان الوزير فخر الدين عمر ابن الخليلي يكرهه ويسبه. وكان إذا كتب ورقة وانتهى إلى كتابة الحسبلة لا يكتب سوى: حسبنا الله! من غير أن يكتب: ونعم الوكيل (١*)، فينتكي المجد ابن الخشاب أشد نكاية

ويخاطب الوزير فيه، فيكون جوابه له: يا مولانا مجد الدين، حسبنا الله! وعد هذا من لطافة ابن الخليلي.

---

(١) الكندي، ٨٣ - ٨٩. درويش ٣٧٨.

(٢) الدرر، ٣/ ٢٠٦ (٥٠١). السبكي، ١٠/ ٣٧٠ (١٤٠٤).

درويش ٣٧٩.

(١*) لأنه وكيل بيت المال.." (١)

"تجرد قوم لغدر الأمور ... حكيم والاشتر وابن الحمق

وجاريه اليوم يسدي الشكاة ... وكل على غير ذنب حنق

يعيبون سنة من قد مضى ... ضفادع في قعر بحر تنق

ولو قيل: هات، لمن عابها، ... معابك! - غص بها أو شرق

٥ وفي كل عيب لهم حجة ... هي أضوأ من صبحنا المنفلق

فلما تواعد السبائية على عثمان رضي الله عنه وخرج عبد الرحمن بن عديس [البلوي التجيبي] على ستمائة من أهل مصر، وخرج أهل البصرة في مثل عددهم، عليهم حرقوص بن علية (١) السعدي، وخرج أهل الكوفة في مثل ذلك، عليهم زيد بن صوحان العبدي والأشتر النخعي، في آخرين، فحصروا عثمان رضي الله عنه حتى قتل، وعرضوا البيعة على علي رضي الله عنه، فامتنع، فأتاه الأشتر فقال: ما يمنعك أن تجيب هؤلاء القوم إلى البيعة؟

قال: لا، إلا على ملإ وشورى.

فقال: أما والله لتعصرن غدا عينيك عليها.

[حمله الناس على مبايعة علي]

ثم لما اجتمع الناس بالمدينة على علي رضي الله عنه، ذهب الأشتر فجاء بطلحة رضي الله عنه فقال له طلحة: دعني حتى انظر ما يصنع الناس! - فلم يدعه وجاء به يدعه وجاء به يتله (٢) تلا عنيفا، فبايع.

ثم إن طلحة والزبير خرجا إلى مكة وسارا بأم

المؤمنين عائشة إلى البصرة وأخذاها، فسار علي يريدهم، وبعث محمد بن أبي بكر، ومحمد بن جعفر إلى

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٤/٣٨٦

أبي موسى الأشعري، وهو على الكوفة، يدعوه لطاعته. فامتنع حتى قتل قتلة عثمان، فبعث الأشتر ومعه عبد الله بن عباس وقال له: يا أشتر، أنت صاحبنا في أبي موسى والمعترض في كل شيء. اذهب أنت وعبد الله بن عباس فأصلح ما أفسدت.

فلم يجب أبو موسى، وعاد ابن عباس إلى علي بذلك، فبعث ابنه الحسن ومعه عمار بن ياسر إليه. فقدمت وفود الكوفة على علي، وسار بهم إلى البصرة ومعه الأشتر. فشهد وقعة الجمل، وكان لا يأخذ زمام عائشة يومئذ إلا معروف. فجاء عبد الله بن الزبير فأخذ الزمام، وقال: أنا عبد الله، أنا ابنك، أنا ابن أختك.

[مبارزته لابن الزبير يوم الجمل]

فقالت عائشة: وا ثكل أسماء! - تعني أختها.

فتقدم الأشتر إلى الجمل فخرج إليه [٢٤ أ] عبد الله بن حكيم بن حزام فاختلفا ضربتين فقتله الأشتر. فمضى إليه عبد الله بن الزبير فضربه [ف]- جرح رأسه جرحا شديدا. فضرب ابن الزبير الأشتر واعتنقا وخرا إلى الأرض يعتركان، فقال ابن الزبير: اقتلوني ومالكا! - وكان الأشتر يقول:

ما أحب أنه قال: «والأشتر»، وأن لي حمر النعم- فشد أناس من أصحاب علي ومن أصحاب عائشة فأنقذا كلا منهما من صاحبه- وكان الناس لا يعرفونه بمالك، ولو قال ابن الزبير: اقتلوني والأشتر! وكانت له ألف نفس ما نجا منها بشيء (٣).

---

(١) قد مر باسم ابن زهير، وكذلك عند الطبري ٤/ ٣٤٩.

(٢) تله (وزن نصر): صرعه.

(٣) قصة المناجزة جاءت عرضا في الوفيات ٧/ ١٩٥ (ترجمة صلاح الدين الأيوبي).." (١)

"وأن القوم لعلى الباطل يقاتلون مع معاوية، وأنتم مع البدريين قريب من مائة من أهل بدر ومن سوى ذلك من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كثير، معكم رايات قد كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع معاوية رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن يشك في هؤلاء، إلا ميت القلب؟ فإنما أنتم على إحدى الحسنيين: إما الفتح وإما الشهادة. عصمنا الله وإياكم بما عصم به من أطاعه واتقاه، وألهمنا وإياكم طاعته وتقواه، وأستغفر الله لي ولكم.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٥/٢١

ولما انهزمت ميمنة علي رضي الله عنه وقتل أهل الشام عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، أقبل علي نحو الميسرة يركض فمر بالأشتر، فقال له: يا مال!

قال: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: ائت هؤلاء القوم فقل لهم: أين فراركم من الموت الذي لن تعجزوه، إلى الحياة التي لا تبقى لكم؟

فمضى الأشتر فاستقبل الناس مهزومين ونادى:

إلي أيها الناس، أنا مالك بن الحارث، أيها الناس، أنا الأشتر، إلي أيها الناس!

فأقبلت إليه طائفة وذهبت عنه طائفة، فقال:

عضضتم بهن أمكم! ما أقبح ما قاتلتم اليوم! يا قوم، غضوا الأبصار وعضوا بالنواجذ، واستقبلوا القوم بهامكم ثم شدوا شدة قوم موتورين ثاروا بآبائهم وأبنائهم وإخوانهم، حنقا على عدوهم، قد وطنوا على الموت أنفسهم كيلا يسبقوا بثأر. إن هؤلاء القوم والله إن يقارعوكم إلا عن دينكم ليطفئوا السنة ويحيوا البدعة، ويدخلوكم في أمر قد أخرجكم الله منه بحسن البصيرة. فطيبوا عباد الله نفسا بدمائكم دون دينكم، فإن الفرار فيه سلب العز والغلبة على الفيء وذل المحيى والممات وعار الدنيا والآخرة.

فاجتمعت إليه مذحج، فقال: عضضتم بصم الجندل، ما أرضيتم ربكم ولا نصحتم له في عدوه، وكيف بذلك وأنتم أبناء الحرب وأصحاب الغارات، وفتيان الصياح وفرسان الطراد، وحتوف الأقران، ومذحج الطعان، الذين لم يكونوا يسبقون بثأرهم ولا تطل دماؤهم ولا يعرفو [ن] في موطن بخسف، وأنتم أجد **أهل مصركم** وأعد حي في قومكم؟ وما تفعلون في هذا اليوم فإنه مأثور بعد اليوم فأبقوا مآثر الأحاديث في غد واصدقوا عدوكم اللقاء، فإن الله مع الصادقين. والذي نفسي بيده، ما من هؤلاء- وأشار إلى أهل الشام- رجل على مثل جناح البعوضة من دين الله، لله أنتم! ما أحسنتم اليوم القراع! أجلوا سواد وجهي كي يرجع في وجهي دمي بهذا السواد الأعظم! فإن الله لو فضه تبعه من بجانبيه كما يتبع السيل مقدمه.

فقالوا له: خذ بنا حيث أحببت.

فصمد بهم وأخذ يزحف ويردهم. واستقبله الشبام [حي] من همدان وكانوا ثمانمائة مقاتل قد صبروا في الميمنة حتى أصيب منهم ثمانون ومائة رجل، وقتل أحد عشر رئيسا، كلما قتل منهم رجل أخذ الراية آخر، وانصرفوا وهم يقولون:

ليت لنا عدتنا من العرب يحالفو [ن] نا ثم نستقدم نحن وهم فلا ننصرف حتى نقتل أو نظفر! – فمروا بالأشتر وهم يقولون هذا، فقال لهم: إلي! إلي! أنا أحالفكم وأعاقدكم على أن لا نرجع أبدا أو نظفر أو

نهلك!

وزحف نحو الميمنة وثاب إليه الناس، وكان لا يصمد لكتيبة إلا كشفها [٢٩ ب]، ولا لجمع إلا ردة. فمر به (١) يزيد بن قيس [الأرحبي] وقد صرع، فقال: هذا والله الصبر الجميل، والفعل الكريم! ألا يستحي الرجل أن [ينصرف] لم يقتل أو

---

(١) مر به محمولا بعد مصرعه: وقعة صفين ٢٨٦.." (١)

"الدين فيه سالم من هفوة ... والرزق فوق كفاية المسترزق

والناس كلهم صديق صاحب ... داع، وطالب دعوة بترفق

وقال [الكامل]:

لما تمكن من فؤادي حبه ... عاتبت قلبي في هواه ولمته

فرثى له طرفي وقال أنا الذي ... قد كنت في شرك الهوى أوقعته

عاينت حسنا باهرا فاقتادني ... سرا إليه عند ما أبصرته

وقال [الوافر]:

أحن إلى زيارة حي ليلى ... وعهدي من زيارتها قريب [٤٧ أ]

وكنت أظن قرب العهد يطفي ... لهيب الشوق فازداد اللهيب

وقال الحافظ قطب الدين عبد الكريم بن منير الحلبي: وفيه رئاسة وتؤدة ولين جانب، وكيس أخلاق، ومحاضرة حسنة. قوي النفس في ذات الله، من بيت علم وزهادة وعبادة.

١٦٣٣ - أبو عبد الله البوشنجي [٢٠٤ - ٢٩١] (١)

محمد بن إبراهيم بن سعيد بن عبد الرحمن بن

موسى، أبو عبد الله، العبدي، البوشنجي، الماسوني (٢)، الفقيه، الأديب، أحد الفقهاء والحفاظ العلماء، شيخ أهل الحديث في عصره [بنيسابور].

مولده سنة أربع وثمانين ومائة. قال ابن يونس:

كان فقيه البدن (٣)، صحيح اللسان. كتب عن أهل الشام وأهل مصر والكوفة. كتب الحديث بمصر مع

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٥/٣٠

أبي زرعة، وبالشام مع أحمد بن سيار.
وقال الحاكم: نزل نيسابور وسكنها ومات بها.
وروى عن إبراهيم بن حمزة الزبيري، وإبراهيم بن المنذر الخزامي، وأحمد بن حنبل، وجماعة.
وسمع بمصر وبالحجاز وبالكوفة والبصرة وببغداد والشام. روى عنه محمد بن إسماعيل البخاري في آخر تفسير البقرة، فقال: ثنا محمد، ثنا النفيلي، ثنا مسكين عن شعبة عن خالد الحذاء عن مروان الأصفر عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم- وهو ابن عمر- أن [الآية]: وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء [البقرة: ٢٨٤] نسختها [الآية التي بعدها: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت [البقرة: ٢٨٦]] (٤).
حكى أبو نصر الكلاباذي عن الحاكم أن محمدا الذي روى البخاري عنه هذا هو محمد بن إبراهيم البوشنجي المذكور في [٤٧ ب] هذه الترجمة، وقال: وهذا مما أملاه البوشنجي بنيسابور.

---

(١) طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ١٨٩ (٥٢)، ولابن هداية الله ص ٣٣، الأعلام ٦/ ١٨٤، أعلام النبلاء ١٣/ ٥٨١ (٣٠٣)، وفيها أن مولده كان سنة ٢٠٤ وهو أقرب إلى الصواب، فلو عمر ١٠٧ سنين كما يفهم من أرقام المقريزي، لنبهنا المؤلف إلى ذلك. الوافي ١/ ٣٤٢ (٢٢٢)، شذرات ٢/ ٢٠٥ وفيهما أنه مالكي، العبر ٢/ ٩٦، طبقات السيوطي ٢٩١ (٦٥٦). وفي المعجم المشتمل (ترجمة ٧٥٠) نقلا عن الإكمال ١/ ٤٢٤:
البوسنجي بالمهملة.
(٢) بوشنج: بلدة على نحو عشر فراسخ من هراة (ياقوت).
والماسوني لعلها: المأموني أو المالكي.
(٣) فقيه البدن: أي عارف بالطب. انظر تاريخ الطب العربي التونسي للحكيم أحمد بن ميلاد تونس ١٩٨٠ ص ٣١، وقد مرت في الترجمة رقم ١٦٣٠.
(٤) الكلام مضطرب، والإكمال من صحيح البخاري ٦/ ٤١، ومن السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، طهران ١٣٧٧ ج ١/ ٣٧٤.." [1]

---

(١)

"كلي عين! بأي عضو أردت أن انظر به نظرت.

ودخل علي بعض نسائه يوما، فوجدته بصيرا نقي الجسم من الجذام، لما نظرته قال لها:

أتريدين أن أبقى لك هكذا؟

قالت له: يا سيدي، كن كيف شئت، أنا مقصودي خدمتك وبركتك.

وقال: هممت أن أدعو برفع الغلاء، فقيل لي:

لا تدع فما سمع لأحد منكم في هذا الأمر دعاء.

- فسافرت إلى الشام، فلما وصلت إلى بلد الخليل عليه السلام تلقاني رسول [الله] الخليل حين ورودي عليه، فقلت: يا رسول الله، اجعل ضيافتي عندك **أهل مصر!**

فدعا له ففرج عنهم.

١٦٧٥ - شمس الدين الأذرعي [٧٣٨ - ٨٠٥] (١)

[٥٧ أ] محمد بن أحمد [بن أحمد] بن إبراهيم [بن إبراهيم] بن داود بن حازم، الشيخ شمس الدين، الأذرعي، الحنفي، أخو الشيخة مريم وخطيب جامع شيخو.

ولد سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة بدمشق. وقدم القاهرة، واختص بالأمير سيف الدين شيخو العمري وغيره من الأمراء. وحدث عن التقي الصالح، وأبي الفتح الميدومي، والعز ابن جماعة، والقلانسي، وشمس الدين الموصلي.

وكان له سمت، وله شهرة بالدين والخير وجودة الرأي.

توفي ليلة الثلاثاء رابع عشر ذي القعدة سنة خمس وثمانمائة.

١٦٧٦ - ولي الدين الملوي المنفلوطي [- ٧٧٤] (٢)

محمد بن أحمد بن إبراهيم، الشيخ ولي الدين، أبو عبد الله، الملوي، المنفلوطي، الديباجي، الفقيه، الشافعي، العارف، ذو الفنون.

ولد [...] وبرع في الفقه والتفسير والأصول والتصوف، وسلك وتجرد وأفتى ودرس وألف وجمع. وولي تدريس المنصورية والسلطانية حسن.

وتوفي ليلة الجمعة خامس عشرين ربيع الأول سنة أربع وسبعين وسبعمائة- ودفن بالقرافة- عن بضع وستين سنة، وشهد جنازته عالم كثير، يقال:

بلغت عدتهم نحو الثلاثين ألفا.

١٦٧٧ - الأطروش الماذرائي [- ٣٢٢] (٣)

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن الحسن بن رستم، أبو عبد الله، الماذرائي، الأطروش.

قال ابن النجار: سكن مصر وحدث بها عن الزبير بن بكار، وعبيد الله بن سعد الزهري، وعمر بن شبة، وأبي العباس المبرد.

روى عنه ولده عثمان بن محمد، وأبو أحمد بن

---

(١) الضوء اللامع ٧/ ٣٩ (٨١) درر العقود ٣/ ٩٢ (٩٧٦).

هذا وقد وردت هذه الترجمة مقحمة بين صفحات الترجمة السابقة ترجمة أبي عبد الله القرشي، على ورقة طيارة ملصقة بالطول لا العرض.

(٢) الدرر ٣/ ٣٩٥ (٣٣٤١). درر العقود ٣/ ٣٣١ (١٢٦٣١).

(٣) الوافي ٢/ ٦٩ (٣٧١).." [١]

"أربع وعشرين وسبعمائة.

وعجلان، بكسر العين، قاله ابن سيد الناس.

١٧٧٣ - أبو الطاهر المديني العثماني [- ٣٠٣]

محمد بن أحمد بن عثمان، أبو الطاهر، ابن عبيد الله، الأموي، المديني، ينسب إلى ولاء عثمان بن عفان.

قال ابن يونس: قدم إلى مصر، وكان يحفظ الحديث ويفهم. روى أحاديث مناكير، أراه كان اختلط، وقد كان من أهل الرحلة والطلب، لا تجوز الرواية عنه.

وقال ابن عدي: كان يغلط ويثبت عليه ولا يرجع.

وقال أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم في كتاب الضعفاء عنه: وكان من نقاد **أهل مصر**.

وقال ابن يونس: توفي يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثمائة.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٥/٧٩

١٧٧٤ - عماد الدين الهكاري [- ٧٠٨] (١)

محمد بن أحمد بن عثمان بن عيسى بن عمر بن الخضر، أبو عبد الله، ابن أبي العباس، ابن أبي عمرو، ابن أبي الروح، عماد الدين، ابن بدر الدين، الهكاري.

كان فاضلا من بيت علم وديانة. سمع كثيرا وكتب بخطه كثيرا خطا حسنا.

وتوفي في أخريات رجب سنة ثمان وسبعمائة بالقاهرة (٢). وكان أخوه عز الدين قاضي المحلة.

١٧٧٥ - شمس الدين الذهبي [٦٧٣ - ٧٤٨] (٣)

محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله، شمس الدين، أبو عبد الله، التركماني، الفارقي، الدمشقي، الذهبي، الإمام، المحدث، الحافظ، المقرئ، الخطيب، الشافعي، صاحب التصانيف الكثيرة.

مولده في ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة بدمشق- وقيل سنة ثمان وسبعين- وتوفي بها يوم الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة.

وقدم إلى مصر وسمع بها من أبي المعالي أحمد بن محمد الأبرقوهي وغيره. وكان أولا يعمل الذهب مع والده. ثم في سنة تسعين أحب القراءات فقرأ التجويد، وقرأ للسوسي بالإدغام في سنة إحدى وتسعين، وقرأ لنافع على الشيخ محمد المزراب ولازمه، وحصل شرح الشاطبية. وفي أيام التشريق منها شرع في القراءات السبع جمعا على الشيخ جمال الدين إبراهيم بن داود الفاضلي. وذهب إلى الجمال إبراهيم بن علي البدوي فرسمه في كيفية الجمع. ومات الفاضلي وقد جمع عليه إلى [سورة] القصص سنة اثنتين وتسعين في [٩٠ أ] ربيع الآخر، فكمل على شمس الدين محمد بن [...] الدمياطي، ومحمد بن بصخان (٤)، وابن غدير، وقرأ عليه ختمة واحدة لابن عامر، وكمل القراءات على [الغرافي]

---

(١) الدرر ٣/ ٤٢٧ (٣٤١٤).

(٢) في الدرر ٣/ ٤٢٨: بالأشمونين.

(٣) الوافي ٢/ ١٦٣ (٥٢٣)، الدرر ٣/ ٤٢٦ (٣٤١٣)، السبكي ٩/ ١٠٠ (١٣٠٦)، شذرات ٦/ ١٥٣، النجوم ١٠/ ١٨٢، غاية النهاية ٢/ ٧١ (٢٧٥٢)، دائرة المعارف الإسلامية ٢/ ٢٢١، فوات ٣/

٣١٥ (٤٣٦)، أعيان العصر ٢/ ٤٣١، برنامج الوادي آشي ٩٦ (رقم ٦٨).

(٤) ابن بصخان بدر الدين، شيخ القراء بدمشق (ت ٧٤٣)، أعيان العصر ٢/ ٤٢٨.." [١]

"١٨٠٥ - أبو بكر القماح [- ٣٦٨]

محمد بن أحمد بن محمد بن الفرج، أبو بكر، القماح، السمسار.

روى عن أبي القاسم علي بن الحسن بن خلف بن قديد، ومحمد بن زبان. روى عنه علي بن منير الخلال، وعبد الغني بن سعيد.

وتوفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة.

١٨٠٦ - ابن أبي فروة الشعباني [- ٢٥٦]

محمد بن أحمد بن أبي فروة، أبو عبد الله، الشعباني، المصري.

توفي في صفر سنة ست وخمسين ومائتين. قال ابن يونس: والشعباني من بني شعبان بن عمرو بن قيس بن معاوية من حمير. **فأهل مصر** إذا نسبوا إليه قالوا: الأشعوبي. وأهل الكوفة يقولون: الشعبي. وأهل الشام يقولون: الشعباني. وأهل اليمن يقولون: ذو شعبين. وكلهم يريد شعبان بن عمرو بن قيس.

وقال ابن حبيب: شعبان اسمه حسان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل، وإنما قيل له «شعبان» لأنه لما مات [٩٨ ب] دفن بموضع يقال له «ذو شعبين»، وهو قبيل ينسب إليه.

وقال الجوهري: شعب جبل باليمن، وهو ذو شعبين نزله حسان بن عمرو الحميري وولده فنسبوا إليه.

وقال السمعاني: شعبان قبيلة من قيس، منها أنعم بن ذري بن يحمد بن معدي كرب بن أسلم بن منبه بن حيويل بن عمرو بن أشوط بن سعد بن ذي شعبين بن يعفر بن ضبع بن شعبان بن عمرو بن قيس بن معاوية الشعباني (١).

وقد وهم السمعاني حيث جعل شعبان قبيلة من قيس: فإن أراد قيسا المذكور في نسب أنعم، فلم يكن قيس بطنا، فكيف تكون منه قبيلة؟ وإن أراد قيس عيلان- وهو الذي يراد متى أطلق قيس- فليس شعبان منهم في شيء. وإنما هو قبيلة في حمير (٢).

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ١٢٣/٥

١٨٠٧ - أبو بكر الأدرستاني [- ٣٨٧]

محمد بن أحمد بن الفضل بن شهريار، أبو بكر، الأصبهاني، الأدرستاني، التاجر.

قال القراب عن الماليني: كتبت عنه بمصر.

توفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة. ذكره أبو نعيم.

١٨٠٨ - أبو علي الروذباري الصوفي [- ٣٢٢] (٣)

محمد بن أحمد بن القاسم بن منصور بن شهريار بن مهروذاذ بن فرغد بن كسرى، أبو علي، الروذباري، من كبار الصوفية.

سكن مصر، وكان من أهل الفضل والفهم، وله تصانيف حسان في التصوف نقلت عنه.

وقد قيل إن اسمه: الحسن بن همام، والأول أصح. وكان بغداديا من أبناء الرؤساء والوزراء والكتبة. فلزم الجنيد وصار من أئمة الزمان. وأقام بمصر وصار شيخ الصوفية ورئيسهم بها.

---

(١) في المخطوط: ابن ذي محمد، وابن أسوط. والإصلاح من الإكمال ٢/ ٣٨٢ ومن الأنساب (الشعباني).

(٢) هذا التعقيب لابن الأثير في اللباب.

(٣) طبقات السلمي ٣٥٤، ابن الملقن ٥٠ (١٣)، تاريخ بغداد ١/ ٣٢٩ (٢٣٨).." (١)

"تصدر بالملكية (١) من القاهرة ولازم الاشتغال بها.

و[كان] يأتيها ماشيا وتارة على حمار مكار، [وإذا ركب لا يكتري إلا دابة ضعيفة محتقرة ويقول: هذا [الحمار] ربما لا يقصده الناس كثيرا] (٢) فأنا أريد بره والغرض يحصل. وكان فقيرا ليس له سوى معلوم الملكية مبلغ ثمانين درهما في الشهر، حتى مات في الطاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة.

وكان إماما في الفقه، له حظ وافر من الذكاء والفهم، وصبر على إفادة الطلبة، يأمرهم بحفظ ما يقيده لهم وعرضه عليه. وكان مولعا بالألغازالفقهية، ويعظم الحاوي (٣) ويحث على شرحه.

وكان له اعتقاد في الفقراء يمشي إليهم ويتبرك بدعائهم. حكي أنه ركب مع مكار مرة فخطر له أن يملك جارية تركية وبغلة. فقال له المكاري: يا فقيه شوشت علينا: بغلة وجارية! يحصل لك ذلك! فلما ولي (٢)

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ١٣٦/٥

قضاء الإسكندرية ركب البغلة وملك جارية تركية مليحة.

وكانت دروسه لا تمل لكثرة تنقله من قصة إلى نحو إلى حكاية إلى شعر.

١٨٨٩ - ابن السليم قاضي الجماعة بقرطبة [٣٠٦ - ٣٦٧] (٤)

[١١٧ ب] محمد بن إسحاق بن منذر بن إبراهيم بن محمد بن السليم بن أبي عكرمة، أبو بكر، قاضي الجماعة بقرطبة.

مولده في سنة [ست] وثلاثمائة. وروى عن قاسم بن أصبغ وطبقته. ورحل في سنة اثنتين وثلاثين فسمع بمكة من ابن الأعرابي، وبمصر من أحمد بن مسعود الزنبري، وعبد الله بن جعفر البغدادي، وأبي جعفر ابن النحاس وغيره.

وعاد إلى الأندلس، فأقبل على الزهد ودراسة العلم. وولي قضاء قرطبة وحدث. فسمع منه الناس، وكان حافظا للفقه بصيرا بالاختلاف، حسن الخط والبلاغة، متواضعا.

وتوفي يوم الاثنين لخمس أو لسبع بقين من جمادى الأولى (٥) سنة سبع وستين وثلاثمائة.

وسليم بفتح السين المهملة وكسر اللام.

١٨٩٠ - محمد بن إسحاق صاحب السيرة [- ١٥١] (٦)

محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار - وقيل بدل خيار: كوثان - أبو بكر - وقيل: أبو عبد الله [الأحوال] - المطلبي، المدني، مولى قيس بن مخرمة بن المطلب.

كان جده يسار - بياء آخر الحروف ثم سين مهملة - من سبي عين التمر، وهو أول سبي دخل من العراق مع خالد بن الوليد.

وقدم محمد بن إسحاق إلى الإسكندرية سنة خمس عشرة ومائة. وروى عن جماعة من أهل مصر. وأدرك من الصحابة أنس بن مالك ورآه وعليه عمامة سوداء. ولقي سعيد بن المسيب،

---

(١) المدرسة الملكية تسمى أيضا الجوكندارية باسم الحاج آل ملك الجوكندار. الخطط ٢/ ٣٩٢.

(٢) الرواية مضطربة والتوضيح من السبكي ٩/ ١٢٩ - ١٣٠.

(٣) الحاوي الصغير في الفقه لنجم الدين القزويني عبد الغفار بن عبد الكريم (ت ٦٦٥). كشف الظنون ٦٢٥، الأعلام ٤/ ١٥٧.

(٤) نفح الطيب ٢/ ٢٢٠ (١٤٠) - المقتبس، ٨١ (٢١) - الديباج، ٢٦٠.
(٥) في الجذوة: مات في رجب.
(٦) الوافي ٢/ ١٨٨ (٥٥٠)، أعلام النبلاء ٧/ ٣٣ (١٥). وقد جمع الحافظ المنذري في آخر كتاب الترغيب والترهيب ٢/ ٣٥٥ جملة من الأقوال فيه، وفي غيره من الرواة المختلف فيهم.." (١)

"وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس: قدم مصر مع عبد الله بن العباس بن موسى الهاشمي سنة تسع وتسعين ومائة، وأقام بمصر وحدث بها بكتبه الفقهية، وكان كريما.

وقال أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب:

محمد بن إدريس بن عباس، أبو عبد الله، الشافعي، [١٣٠ ب] الإمام، زين الفقهاء، وتاج العلماء. ولد بغزة من بلاد الشام- وقيل: باليمن- ونشأ بمكة، وكتب العلم بها، وبمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقدم بغداد مرتين، وحدث بها.

وخرج إلى مصر فنزلها إلى حين وفاته.

[نشأة الشافعي]

وعن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: لما أن حملت أم الشافعي به، رأت كأن المشتري خرج من فرجها حتى انقض بمصر، ثم وقعت في كل بلد منه شظية، فتأول أصحاب الرؤيا أنه يخرج منها عالم يخص علمه **أهل مصر**، ثم يتفرق في سائر البلدان.

وعن ابن [عبد] الحكم: قال لي محمد بن إدريس الشافعي: ولدت بغزة سنة خمسين ومائة، وحملت إلى مكة، وأنا ابن سنتين.

وفي رواية: ولدت بغزة، وحملتني أمي إلى عسقلان.

(قال): وأخبرني غيره عن الشافعي قال: لم يكن لي مال، فكنت أطلب العلم في الحداثة، أذهب إلى الديوان أستوهب منه الظهور (١) وأكتب فيها.

وقال المزني: ما رأيت وجها أحسن من وجه الشافعي، ولا رأيت لحية أحسن من لحيته. وكان ربما قبض عليها فلا يفضل عن قبضته. ولقد سمعته يوما ينشد [الرجز]:

قوم يرون النبل تطويل اللحى ... لا علم دين عندهم ولا تقى

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ١٦٥/٥

ربوا صغارا ثم خلوهم سدى ... بعرة الجهل وآداب النسا

فلو ترى شيخهم إذا احتبى ... ثم ابتدا في رخص سعر وغلا

وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: كنت ألزم الرمي حتى كان الطبيب يقول لي: أخاف أن يصيبك السل من كثرة وقوفك في الحر.

(قال): وقال الشافعي: كنت أصيب من عشرة تسعة- أو نحوا مما قال.

وقال عمرو بن سواد [السرحي] (٢): قال الشافعي: ولدت بعسقلان. فلما أتى علي سنتان حملتني أمي إلى مكة. وكانت نهمتي في شيئين:

الرمي، وطلب العلم. فنلت من الرمي حتى كنت أصيب من عشرة عشرة.- وسكت عن العلم- فقلت له: أنت والله في العلم أكبر منك في الرمي.

وعن عبد الله بن وهب: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: ولدت باليمن، فخافت أمي علي الضيعة، فقالت: الحق بأهلك فتكون مثلهم، فإني أخاف أن تغلب على نسبك.

فجهزتني إلى مكة، فقدمتها وأنا يومئذ ابن عشر أو شبيه ذلك. فصرت إلى نسب لي، وجعلت أطلب العلم، فيقول لي: «لا تشتغل بهذا وأقبل على ما ينفعك! »، فجعلت لذتي في هذا العلم وطلبه حتى رزقني الله ما رزق.

[طلبه العلم]

[١٢١ أ] وذكر الزبير بن سليمان القرشي عن الشافعي قال: طلبت هذا الأمر عن خفة ذات يد.

---

(١) الظهور: الورقات البيضاء في طليعة الرسائل (دوزي).

(٢) البيهقي: مناقب ... ١/ ٧٤.." (١)

"هات قل لي أواني القارونة ... لا خزي ولا قماشي البزي

لا رزي لا غلتي المخزونة ... لا تاجر ولا لدين إن ناظر

غير شاعر بضاعته مغبونة ... تاج الدين ابن الوزير فخر الدين

زين الدين الدرة المكنونة

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ١٧٣/٥

ولما ثار الشريف ابن ثعلب ببلاد الصعيد ولاه الوزارة. فلما خرج الفارس أقطاي وهزم ابن ثعلب قبض على ابن بشائر ورسم بشنقه فترامت أمه على الوزير شرف الدين هبة الله ابن صاعد الفائزي فقال لأقطاي: نحن نطلب [منه] أموالا ومتى شنقت هذا ضاع المال.

فسلمه إليه وتناساه الوزير [فسلم].

وتوفي سنة اثنين وتسعين وستمائة.

١٩٤٠ - أبو بكر العكري الزنبري [٢٤٨ - ٣٣٢]

محمد بن بشر بن بطريق- ويقال لبطريق:

عبد الله- أبو بكر، العكري- بفتح العين المهملة والكاف ثم راء مهملة. ويقال له: الزنبري بزاي مفتوحة ثم نون ساكنة بعدها باء موحدة مفتوحة ثم راء مهملة، مولى عتيق بن مسلمة الزنبري (١).

كان أبوه بطريق رومي ا فأسلم على يد عتيق بن مسلمة. قال ابن يونس عنه: كان ثقة.

وقال ابن الطحان عنه: عند كثير من أهل العلم أنه مصري لأنه دخل به صغيرا.

ولد سنة ثمان وأربعين ومائتين بسرمن رأى، ودخل مع مزاحم الأمير إلى مصر سنة خمسين ومائتين. وأملى بجامع مصر وحدث عن أبي أمية محمد بن إبراهيم الطرسوسي، وبكار بن قتيبة القاضي، والربيع بن سليمان المرادي، وبحر بن نصر الخولاني، وإبراهيم بن أبي داود، ومحمد بن عبد الله بن عبد الملك وغيره.

وروى عنه جماعة، منهم أبو بكر ابن المقرئ، وأبو الحسن محمد بن المظفر الحافظ، وأبو محمد ابن النحاس، وأبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، وأبو محمد الحسن بن إسماعيل الضراب. قال ابن يونس: توفي يوم الخميس لسبع خلون من شوال سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، ولم يكن يشبه أهل العلم.

وقال مسلمة بن قاسم: كان يروي عن محمد (٢) وأشباهه من **أهل مصر**، وكان محدثهم والمملي عليهم يوم الجمعة في جامعها، وكان كثير الحديث.

فخرج محمد بن طغج بجيوشه إلى الشام لبعض حروبه، فخرج فشيعه وراكبه، وكان جعله أمينا على المارستان. فلما انصرف وجلس يوم الجمعة للحديث قام إليه أصحاب الحديث فنزعوه من موضعه وسبوه وهموا به وافترقوا عمته ومزقوا

---

(١) حاشية تعرف بعتيق في الهامش: عتيق بن مسلمة بن عتيق بن عامر بن عبد الله بن الزبير، وفي إكمال

ابن ماكولا ٤/ ٢٤٢ حاشية طويلة في الترجيح بين نسبتي الزنبري والزبيري.

(٢) قد مر في شيوخه محمدان: محمد بن إبراهيم ومحمد بن عبد الله.." (١)

"رواياتهم. ثم أخذوا الصموت (١) وأجلسوه في مكانه، فرأيته بعد ذلك لا يجتمع إليه رجلان، وهو عندي ثقة صدوق.

١٩٤١ - محمد بن بشير الأنصاري (٢)

قال ابن يونس: يقال: له صحبة. ذكر في **أهل مصر**، وليس هو بالمشهور من **أهل مصر**. وذكره أبو عبيد الله الربيع بن سليمان الجيزي فيمن دخل مصر وشهد فتحها.

وقال ابن الأثير في كتاب الصحابة: روى عنه ابن يحيي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أراد الله بعبد هوانا أنفق ماله في البنيان». وهو [١٤٣ ب] الذي شهد لخريم بن أوس الطائي يوم فتح خالد بن الوليد الحيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهب له الشيماء بنت بقيلة. وكان الشاهدان هو ومحمد بن مسلمة، وقيل: بل محمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر.

وذكره الأمير أبو نصر ابن ماكولا في بشير بفتح الباء الموحدة وكسر الشين المعجمة وياء آخر الحروف، وذكر له هذا الحديث وقال: قاله ابن وهب عن خلف بن حميد عن سلمة بن شريح عن يحيى بن محمد بن بشير عن أبيه.

١٩٤٢ - القاضي محمد ابن شراحيل الباجي [- ١٩٨] (٣)

محمد بن بشير بن محمد، المعافري- وقيل:

محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل. وقيل:

محمد بن بشير بن سرافيل (٤).

طلب العلم بقرطبة حتى أخذ منه حظا وافرا.

وخرج حاجا فلقي الإمام مالك بن أنس وجالسه وسمع منه. وطلب العلم بمصر. ثم انصرف فلزم ضيعته في باجة. وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة.

وكان قد ولي القضاء. وكان رجلا صالحا له أخبار تدل على دين وافر.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٥/٢٤٤

١٩٤٣ - ابن بطال اللورقي [- ٣٦٦] (٥)
محمد بن بطال بن وهب بن عبد الأعلى بن برعال بن مريد بن مرة، أبو عبد الله، التميمي، من أهل لورقة. رحل في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، ثم في سنة ست وأربعين وثلاثمائة. وسمع بمكة من ابن الأعرابي، وعبد الملك بن بحر الجلاب. وبمصر من أحمد بن مسعود الزبيري، وأبي القاسم ابن العلاف، ومحمد بن أيوب الصموت. وبتنيس من أبي عمرو عثمان بن محمد السمرقندي. وروى كتاب ابن المواز عن علي بن عبد الله بن أبي مطر بالإسكندرية.
وكان كثير الرواية مشهورا بالعناية (٦). حدث بقرطبة وسمع منه جماعة.

---

(١) الصموت: لعله محمد بن أيوب الرقي، أبو الحسين.
المذكور في الترجمة الآتية رقم ١٩٤٣. وانظر مختصر ابن عساكر ٢١/ ٤٤ (٤٠).
(٢) في أسد الغابة ٥/ ٨٢ (٤٧٠٤): ابن بشر. وفي ترجمة خريم بن أوس ٢/ ١٢٩ (١٤٣٨): ابن بشير. والشيماء بنت بقيلة أخت عبد المسيح بن بقيلة الغساني سيد أهل الحيرة اشتراها أخوها من خريم بن أوس وكانت حصلت له في السبي عند فتح الحيرة. وانظر أعلام الزركلي ٤/ ٢٩٧.
(٣) نفح الطيب ٢/ ١٤٣، والترجمة عنده طويلة، وهي موسومة أيضا بمحمد بن سعيد بن بشير. وستأتي في اللوحة ٢٤٩ أترجمة له باسم محمد بن ربيعة بن بشير تكرر ما في هذه، فاستغنينا عنها.
(٤) فوق سرافيل عبارة: كذا.
(٥) الديباج ٣٢١.
(٦) في المخطوط: بالعقائد، والإصلاح من الديباج.." (١)
"هذا فليس بأيادي، واسم جده شداد. (قال): ولي القضاء- يعني بمصر- من قبل أبي إسحاق المعتصم، قدم بولايته أبو الوزير صاحب الخراج يوم الأربعاء [١٩٥ أ] لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول سنة ست وعشرين ومائتين، وجلس في المسجد الجامع يوم الاثنين لثنتي عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر. وأخبرني ابن قديد عن يحيى بن عثمان أن دخول محمد بن أبي الليث مصر كان سنة خمس ومائتين وكان مقيما بها إلى أن ولي.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٥/٢٤٥

وكان قبل دخوله إلى مصر وراقا على باب الواقدي. وكان فقيها بمذهب الكوفيين. سألت ابن قديد: لم كنى محمد بن أبي الليث أباه، ولم يقل: محمد بن الحارث؟

فقال: كان محمد بن الحارث بن النعمان على قضاء فلسطين، ومحمد بن أبي الليث على قضاء مصر، فكان الكتاب إذا ورد من العراق قال كل واحد منهما: الكتاب إلي. فانفرد محمد بن أبي الليث بكنية أبيه عن [ابن النعمان] الإيادي.

(وقال): أخبرني محمد بن عبد الصمد عن أبي خيثمة علي بن عمرو بن خالد قال: لما استخلف الواثق، ورد كتاب على محمد بن أبي الليث بامتحان الناس أجمع، فلم يبق أحد من فقيه ولا محدث ولا مؤذن ولا معلم حتى أخذ بالمحنة، فهرب كثير من الناس، وملئت السجون ممن أنكر المحنة. وأمر ابن أبي الليث بالاكتتاب على المساجد: «لا إله إلا الله رب القرآن وخالقه».

فكتب بذلك على المساجد بفسطاط مصر [ومنع الفقهاء من أصحاب مالك والشافعي من الجلوس في المسجد وأمرهم أن لا يقربوه] (١).

ثم بعد ذلك سجن القاضي، إلى أن قدم يزيد

التركي رسولا من قبل المتوكل في استخراج أموال الجروي. فأخرج ابن أبي الليث من سجنه وأمره بالحكومة على بني عبد الحكم (٢)، فحكم عليهم.

(قال): ولما ولي المتوكل رفع إليه في ابن أبي الليث، فبعث قوصرة (٣) مكشفا عنه. فكتب قوصرة بما صح عنده من أمره. فأتى كتاب المتوكل بحبسه واستقصاء ماله، فأمر قوصرة بحبس ابن أبي الليث وأولاده وأصحابه وأعوانه، فاستقصيت أموالهم كلهم. ووثب أهل مصر على مجلس ابن أبي الليث فرموا خصه وغسلوا مواضعه بالماء، وذلك يوم الخميس لثنتي عشرة بقيت من شعبان سنة خمس وثلاثين ومائتين، وعزل يومئذ.

وورد كتاب المتوكل يأمر بلعن محمد بن أبي الليث، فلعنه مكرم بن حاجب [الإمام] على المنبر ولعنته العامة على إثر ذلك يوم الجمعة لأربع بقين من شعبان.

فكانت ولايته عليها تسع سنين. فأقام في السجن إلى يوم الأربعاء سلخ ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومائتين فأمر بتخليته من سجنه [١٩٥ ب] وذلك يوم الخميس، وخلى أولاده وأصحابه، وأمر بالحكومة في أموال الجروي على ما ثبت عنده فحكم.

ثم ورد كتاب المتوكل برده وأصحابه إلى السجون، فردوا وقبضت أموالهم.

ثم ورد كتاب المتوكل بحلق رأسه ولحيته

---

(١) الزيادة من الكندي ٤٥١.

(٢) بنو عبد الحكم امتحنوا بخلق القرآن وصودروا. انظر دائرة المعارف الإسلامية ٣/ ٦٩٦. والجروي هو عبد العزيز بن الوزير بن صابي الثائر على ولاة مصر (ت ٢٠٥)، الكندي ١٥١ - ١٥٩، الخطط ١/ ١٧٨، ٢١٢.

(٣) الكندي ٤٦٢: واسمه يعقوب بن إبراهيم، ولي بريد مصر سنة ٢٣٥.." (١)

"الإسلام. هاجر مع امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو القرشية العامرية إلى أرض الحبشة، وولدت له هناك محمد بن أبي حذيفة. ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة. فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة فشهد بدرا وأحدا والخندق والحديبية والمشاهد كلها، وقتل يوم اليمامة شهيدا وهو ابن ثلاث أو أربع وخمسين سنة.

فكفل عثمان بن عفان رضي الله عنه محمد بن أبي حذيفة بعد أبيه، وكان في حجره فرباه وأحسن تربيته. وقدم عليه مرة فأجازه بمائة ألف درهم (١).

... [١٩٩ أ] وكان فيما قيل قد أصاب شرابا فحده عثمان. ثم تنسك محمد وأقبل على العبادة.

وطلب من عثمان أن يوليه عملا بعد ما بويع بالخلافة، فقال: لست هناك، ولو كنت أهلا لذلك لوليتك. فقال: إني ركبت في غزو البحر فائذن لي في إتيان مصر. فأذن له وجهزه. فلما قدمها رأى الناس عبادته فلزموه وعظموه، حتى قدم عبد الله ابن السوداء [ابن سبأ] ودعا إلى بدعته، [ف] كان من أول من اشتمل عليه محمد. ثم خرج مع عبد الله بن سعد بن أبي سرح في غزوة ذات الصواري، فبدأ يتكلم في عثمان ويظهر عيبه هو ومحمد ابن أبي بكر ويقولان: قد خالف أبا بكر وعمر واستعمل عبد الله بن سعد، رجلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أباح دمه ونزل القرآن بكفره، وأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما من المدينة فأدخلهم إليها، ونزع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعمل

سعيد بن العاصي وابن عامر.

فبلغ ذلك ابن أبي سرح فقال: لا تركبا معنا! - فركبا في مركب ما معهما إلا القبط ولم يقاتلا.

فقيل لهما في ذلك، فقالا: كيف نقاتل مع ابن أبي سرح الذي استعمله عثمان، وقد فعل عثمان كذا وكذا؟

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٥/٢٧٨

فبعث ابن أبي سرح يتهددهما فلم يرجعا.

وكان محمد ركب مع كعب الأحبار في سفينة، فقال محمد يهزأ به: تجد في توراتك مجرى هذه السفينة؟ فقال: أجد في توراتي غلاما من قريش أشعر الإلـيتين يصبر كما يضبر الحمار في قيده فيقتل، وإياك أن تكونه!

وفسد الناس بمصر على عثمان لقول محمد بن أبي حذيفة وعبد الله ابن السوداء وتكلموا بما لم يكونوا ينطقون [١٩٩ ب] به. فكتب ابن أبي سرح إلى عثمان أن محمد بن أبي حذيفة قد أفسد علي البلاد هو ومحمد بن أبي بكر. فكتب إليه: أما ابن أبي بكر فإنه يوهب لأبيه ولعائشة. وأما ابن أبي حذيفة فإنه ابني وابن أخي وهو تربيتي وفرخ قريش.

فكتب إليه أن هذا الفرخ قد استوى ريشه ولم يبق إلا أن يطير.

فبعث عثمان إلى ابن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم وبجمل عليه كسوة. فوضع ذلك في المسجد وقال: يا معشر المسلمين، ألا ترون إلى عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني عليه؟

فازداد أهل مصر تعظيما له وطعنا على عثمان وبايعوه على رئاستهم. فكتب إليه عثمان يذكره بره وتربيته إياه وقيامه بشأنه، ويقول: إنككفرت إحساني أحوج ما كنت إلى شكري.

- أربعين نفرا. انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٥١.

(١) تتواصل الترجمة بكلام لا صلة له بما سبق: ... بمائة ألف درهم سعد بن أبي سرح من مصر. فانتقلنا إلى الصفحة ١٩٩ ألموالية حيث يتواصل الكلام بصفة منتظمة منطقية.." (١)

"فأبوا أن يدعوه، فقال: والله لوددت أني دخلت عليهم فأعلمتهم ما جئت به ثم مت- فانصرف إلى عسقلان.

وأجمع محمد بن أبي حذيفة على بعث جيش إلى عثمان، فقال: من يتشرط (١) في هذا البعث؟ فكثر عليه من يتشرط. فقال: إنما يكفينا منكم ستمائة رجل.- فتشرط من أهل مصر ستمائة رجل، على كل مائة منهم رئيس، وعلى جماعتهم عبد الرحمن ابن عديس البلوي، وهم: كنانة بن بشر بن سلمان التجيبي، وعروة بن شتيم الليثي، وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وسواد [٢٠٠ ب] بن رويان الأصبحي، وزرع بن يشكر اليافعي.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٥/٢٨٣

وسجن رجال من أهل مصر في دورهم، منهم بسر بن أرطاة، ومعاوية بن حديج. فبعث ابن أبي حذيفة إلى معاوية بن حديج وهو رمد ليكرهه على البيعة. فلما رأى ذلك كنانة بن بشر وكان رأس الشيعة الأولى، دفع عن معاوية بن حديج ما كره.

ثم قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين. وقدم الركب الذين انصرفوا إلى عثمان، فدخلوا الفسطاط ومرتجزهم يرتجز:

خذها إليك واحذرن أبا الحسن ... إنا نمر الحرب إمرار الرسن

بالسيف كي تخمد نيران الفتن

فلما دخلوا المسجد صاحوا: إنا لسنا قتلنا عثمان ولكن الله قتله!

فلما رأى ذلك شيعة عثمان قاموا وعقدوا لمعاوية بن حديج عليهم وبايعوه على الطلب بدم عثمان، وساروا معه إلى الصعيد. فبعث إليهم ابن

أبي حذيفة خيلا فالتقوا بكورة البهنسى فهزم أصحاب ابن أبي حذيفة. ومضى معاوية بن حديج حتى بلغ برقة، ثم رجع إلى الإسكندرية. وبعث ابن أبي حذيفة بجيش آخر عليهم قيس بن حرمل اللخمي، فاقتتلوا بخربتا أول يوم من شهر رمضان سنة ست وثلاثين، فقتل قيس وابن الخثماء [البلوي] وأصحابهما.

وسار معاوية بن أبي سفيان من الشام إلى مصر، فنزل سلمنت من كورة عين شمس في شوال منها، فخرج إليه ابن أبي حذيفة في أهل مصر، فمنعوا معاوية وأصحابه أن يدخلوا الفسطاط. فبعث إليه معاوية: إنا لا نريد قتل أحد، إنما جئنا نسأل القود لعثمان، ادفعوا إلينا قاتليه، وهم عبد الرحمن بن عديس، وكنانة بن بشر، وهما رأس القوم.

فامتنع ابن أبي حذيفة وقال: لو طلبت منا جديا أرطب السرة بعثمان ما دفعناه إليك!

فقال معاوية بن أبي سفيان لابن أبي حذيفة:

اجعل بيننا وبينكم رهنا فلا يكون بيننا وبينكم حرب! فقال ابن أبي حذيفة: فإني أرضى بذلك.

فاستخلف ابن أبي حذيفة على مصر الحكم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، وخرج في الرهن هو وابن عديس وكنانة بن بشر وأبو شمر بن أبرهة بن الصباح وغيرهم من قتلة عثمان رضي الله عنه.

فلما بلغوا لد سجنهم معاوية بن أبي سفيان بها، وسار إلى دمشق.

فهربوا من السجن، غير أبي شمر بن أبرهة فإنه قال: لا أدخله أسيرا وأخرج منه آبقا.

وتبعهم صاحب فلسطين، فقتل محمد بن أبي حذيفة رشدين مولى معاوية في ذي الحجة سنة ست وثلاثين،

وقتل معه ابن عديس وكنانة بن

---

(١) يتشرط في البعث: يتخرط فيه (ولم نجدها في القواميس).." (١)

"كان أديبا شاعرا مطبوعا مجودا. وصناعته عمل الشعر. أورد المسبحي (١) في تاريخه قطعة كبيرة من شعره مديحا في ياروج التركي، وفي الوزير يعقوب بن كلس، وفي أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أبي الجوع، وفي قائد القواد الحسين بن جوهر، وفي أبي علي ابن رشدين، والفضل بن صالح، وأبي محمد حمزة بن بدر، وأنشد له [الخفيف]:

نطقت بالضحى حمامة أيك ... فأثارت أسى وأجرت دموعا

ذكرت إلفها فحنت إليه ... فبكينا من الفراق جميعا

ومن شعره [البسيط]:

قوم كرام إذا سلوا سيوفهم ... في الروع لم يغمدوها في سوى المهج

إذا دجا الخطب أو ضاقت مذاهبه ... وجدت عندهم ما شئت من فرج

ومنه [السريع]:

ضاقت بي الدنيا على رحبها ... يا أحسن العالم إن لم أرك

لو أنصف المقدار ما بيننا ... صبرني عنك كما صبرك

[٢١٤ ب] وكان حافظا ضابطا حسن الأخذ.

جالسته (٢) في المسجد الجامع بمصر وغيره.

سمعت منه أحاديث.

وتوفي بمصر بعد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة.

٢١٠٦ - أبو عبد الله الفهري الشاعر [٣٩٠ - ٤٦٤]

محمد بن الحسن، أبو عبد الله، الفهري، المكي، الشاعر، المنجم، قدم مصر.

ولد سنة تسعين وثلاثمائة. وأراده **أهل مصر** أن يحدث فقال: شاعر منجم؟ لا يصلح لي هذا! - ولم يحدث.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٥/٢٨٥

توفي في رجب سنة أربع وستين وأربعمائة.

ومن شعره [المنسرح]:

سار وما والإله ودعني ... بل كمدا في الفؤاد أودعني

وأشمت الحاسدين فيه فوا ... حسرة قلبي عليه وا حزني!

وطالما كان مسعدي زمنا ... سقيا لذاك الزمان من زمن!

أيام لا أسمع العذول له ... تصغي له أذنه ولا أذني

٥ وحقه والهوى وحرمته ... والحسني بن جعفر حسن

لا حلت ما عشت عن محبته ... حتى يرى فوق أعظمي كفن [ي]

٢١٠٧ - أبو النضر القطان [- ٢٧٤]

محمد بن الحسن، أبو النضر، القطان.

يروي عن عبد الملك بن هشام مغازي محمد بن إسحاق. قال ابن يونس: مات سنة أربع وسبعين ومائتين.

- سوهاي ثم سهواج، ولعل اسم سوهاج الغالب اليوم عوض الاسمين جميعا.

(١) المسبحي توفي سنة ٤٢٠. انظر ترجمته رقم ٢٦٣٢.

(٢) هذا كلام المسبحي.." (١)

"٢١٢٢ - ابن رزين الحموي قاضي القضاة [٦٠٣ - ٦٨٠] (١)

[٢٢٠ أ] محمد بن الحسين بن رزين بن موسى بن عيسى بن نصر الله بن هبة الله، تقي الدين، أبو عبد الله، ابن أبي علي، ابن أبي البركات، العامري، الحموي، الشافعي، قاضي القضاة، حاكم الحكام، حجة الإسلام، مفتي الأنام، جلال الأحكام، قدوة الغرب، بقية السلف، عمدة الخلف، خالصة أمير المؤمنين.

ولد بحماه في يوم الثلاثاء سادس شعبان سنة ثلاث وستمائة. وتفقه على الشيخ تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، وبه تخرج وتميز في حياته، وسمع عليه الحديث، وعلى أبي الحسن محمد بن علي بن عبد الصمد السخاوي وقرأ عليه القراءات. وسمع أيضا على أبي القاسم عبد الله بن الحسين بن رواحة، وكريمة بنت عبد الوهاب القرشية وجماعة.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣٠٦/٥

وحدث عنه شرف الدين الدمياطي، وبدر الدين محمد ابن جماعة، في عدة من أهل مصر.
وحفظ في صباه كتاب التنبيه في الفقه، وكتاب الوسيط في الفقه، وكتاب المفصل في النحو.
ورحل من حماة إلى حلب فقرأ النحو على الموفق يعيش. ورجع فتصدر للإفتاء والتدريس، وعمره ثماني عشرة سنة.
وحفظ المستصفى وكتابي ابن الحاجب في الفقه والأصول (٢). وبرع في علم التفسير، وشارك في الخلاف والمنطق والحديث والبيان. وصار من
الفقهاء المقصودين للإفتاء.
وتخرج عليه جماعة، منهم البدر محمد ابن جماعة. وقدم إلى دمشق فولي بها وكالة بيت المال في أيام الناصر صلاح الدين الأيوبي صاحب حلب ودمشق، وتدريس الشامية البرانية وغيرها.
ثم رحل إلى القاهرة في جفل التتار سنة ثمان وخمسين وستمائة، فأقام بها، وولي تدريس المدرسة الظاهرية عند فراغها في صفر سنة ثنتي وستين وستمائة. وفوض إليه قضاء القاهرة والوجه البحري بعد وفاة قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، في يوم [...] شعبان سنة خمس وستين [وستمائة]، واستقر محيي الدين عبد الله ابن عين الدولة في قضاء مصر والوجه القبلي ثم صرف ابن عين الدولة عن قضاء مصر، وأضيف إلى ابن رزين في ثامن عشر ذي القعدة سنة ست وسبعين، فكمل له قضاء القضاة بديار مصر كلها، إلى أن عزل بصدر الدين عمر بن عبد الوهاب ابن بنت الأعز في نصف جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين. ثم أعيد إلى قضاء القضاة بعد عزل صدر الدين عمر ابن بنت الأعز في يومالسبت سادس عشرين شهر رمضان سنة تسع وسبعين. فاستمر إلى أن مات، وهو قاض، في ليلة الأحد ثالث شهر رجب الفرد سنة ثمانين وستمائة بالقاهرة، ودفن من الغد بالقرافة.
وكان فقيها عارفا بالأحكام، مدرسا بالمدرسة جوار قبر الشافعي من القرافة، وبالمدرسة الصالحية والظاهرية وكان يسكنها. وامتنع من أخذ الجامكية على القضاء تورعا وتدينا. وكانت الفتاوى ترد إليه من الأقطار، فيجيد الكتابة عليها، مع اليد الطولى في علم التفسير، وحسن السيرة في القضاء.
وكانت علامته: الحمد لله الكافي وحده. وكان يذهب إلى الوجه الذي حكاه صاحب [٢٢٠ ب]

---

(١) الوافي ٣/ ١٨ (٨٧٩)، شذرات ٥/ ٣٦٨، حسن المحاضرة ١/ ٤١٧ (١٠٩)، ابن قاضي شهبة ٢/ ١٨٧ (٤٤٩)، السبكي ٨/ ٤٦ (١٠٧١).

(٢) المستصفى للغزالي. وكتابا أبي عمرو ابن الحاجب (ت ٦٤٦) لعلهما: منتهى السول في الأصول، وجامع الأمهات: كحالة ٦/ ٢٦٥.." (١)

"٢٢٠٥ - محمد بن خطاب العمري [- بعد ٦٧٩]

[٢٣٨ ب] محمد بن خطاب بن أحمد بن عبد الله بن سديلة، أبو عبد الله، العمري.

سمع بمصر من أبي العباس أحمد بن طارق بن سنان، الكركي، البغدادي، سنة تسع وسبعين وستمائة.

٢٢٠٦ - محمد بن خطاب الأزرق [- بعد ٢١٦]

روى عن العلاء بن هلال الرقي، وعبيد الله بن موسى العبسي.

ذكره ابن أبي حاتم وقال: كتب عنه أبي بمصر سنة ست عشرة ومائتين.

٢٢٠٧ - ابن خفيف السمرقندي المؤذن [- ٣٤٦]

محمد بن خفيف، أبو بكر، المؤذن، السمرقندي.

قال القراب: في عداد أهل مصر. توفي سنة ست وأربعين وثلاثمائة.

٢٢٠٨ - ابن الشمني القسنطيني [٥٩٣ - بعد ٦٧٤] (١)

محمد بن خلف الله بن خليفة بن محمد، التميمي، القسنطيني، الشافعي. المعروف بابن الشمني- بشين معجمة مضمومة بعدها ميم مضمونة ثم نون مكسورة مشددة.

ولد بقسنطينة الهوا (٢) سنة ثلاث وتسعين

وخمسمائة، وقدم مصر فسمع من أبي الحسن علي بن هبة الله بن الجميزى، وحدث. ذكره أبو الحسين القرشي في معجم شيوخه وقال: من الفقهاء الأفاضل، ذو فنون متعددة، حسن المذاكرة. وهو أحد المتصدرين بجامع مصر لإقراء الفقه والأدب، وأحد [٢٤٠ أ] الشهود المعدلين بها. كان موجودا سنة أربع وسبعين وستمائة (٣).

٢٢٠٩ - محمد بن خفيف الشيرازي الزاهد [- ٣٧١] (٤)

[٢٣٩ أ] محمد بن خفيف بن أسفكشاد، أبو عبد الله، الشيرازي، شيخ الشيوخ وأوحد وقته.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٥/ ٣١١

كان من أولاد الأمراء فتزهد حتى قال: كنت أذهب وأجمع الخرق من المزابل وأغسلها وأصلح منها ما ألبسه.

حدث عن حماد بن مدرك، والنعمان بن أحمد الواسطي، ومحمد بن جعفر التمار، وحسين المحاملي، وجماعة، وصحب رويما، والجريري (٥)، وطاهر المقدسي، وأبا العباس ابن عطاء ولقي الحسين بن منصور (٦).

وروى عنه أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي، والحسين بن حفص الأندلسي، ومحمد بن عبد الله بالكوفة، والقاضي أبو بكر الباقلاني، وطائفة.

---

(١) معجم أعلام الجزائر ١٥٠، بغية الوعاة ٤١.

(٢) قسنطينة الهوي في المخطوط، وهي قسنطينة شرق الجزائر المعروفة. وعند ياقوت: قسنطينية الهواء، ولم يشرح الهواء.

(٣) وخمسمائة في المخطوط.

(٤) طبقات ابن الملقن ٢٩٠، طبقات الشعراني ١/ ١٢٠ (٢٣٣)، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٠٥، شذرات ٣/ ٧٦، العبر ٢/ ٣٦٦، ياقوت في شيراز، المنتظم ٧/ ١١٢، تلبيس إبليس ٣٦٩، ابن بطوطة ٢١٣، السبكي ٢/ ١٥٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٥ (٦٦٠).

(٥) رويم بن أحمد وأبو محمد الجريري، انظر: الحلية ٢٩٦ (٥٧٤) و ٣٤٧ (٦١٧).

(٦) هو الحلاج (ت ٣٠٩).." (١)

"٢٣٣٦ - محمد بن سلام البزاز الأصغر [- بعد ٢٣١]

محمد بن سلام- بالتشديد أيضا- أبو عبد الله، المصري، الأصغر، الحمزاوي، البزاز، من **أهل مصر**.

يروي عن يحيى بن عبد الله بن بكير (١) حديثا منكرا: ثنا مالك عن محمد بن عمرو بن علوان عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من الذنوب ذنوبا لا تكفرها الصلاة ولا الوضوء ولا الحج ولا العمرة.

فقيل: فما يكفرها يا رسول الله؟

قال: تكفرها الهموم في طلب المعيشة.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٣٣٤/٥

رواه الدارقطني وقال: والحديث باطل على مالك، والحمل فيه على محمد بن سلام.

٢٣٣٧ - أبو بكر بن شاذان [- ٢٧٤] (٢)

محمد بن شاذان بن زكريا، أبو بكر. بصري.

قدم مصر وصحب القاضي بكار بن قتيبة، وجعله خليفته على مصر حين خرج إلى الشام.

توفي بمصر في المحرم سنة أربع وسبعين ومائتين، وكان يرى رأي أبي حنيفة رحمه الله.

٢٣٣٨ - أبو بكر ابن شاذي الإسفهسلار [- بعد ٤٣٢]

[٢٧٤ ب] محمد بن شاذي بن عبد الله، أبو عبد الله، الغارمي، الطرسوسي، الإسفهسلار.

حدث بمصر في الجامع سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة عن أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي الصوفي، وعن الفقيه أبي محمد جعفر بن محمد بن علي بن الحسن المروروذي عن الخطابي بكتاب العزلة له، وبكتاب زلل الفقراء ومواجب آدابهم للسلمي.

روى عنه أبو الفتح أحمد بن بابشاذ الجوهري، وأبو رجاء هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي الحافظ، وشرف بن علي بن الخضر التمار.

٢٣٣٩ - الملك الحافظ غياث الدين [٦١٦ - ٦٩٣] (٣)

[٢٧٥ أ] محمد بن شاهنشاه بن بهرام شاه بن فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي بن مروان، الملك الحافظ، غياث الدين، أبو عبد الله، وأبو المعالي، ابن أبي محمد الملك السعيد، ابن الملك الأمجد صاحب بعلبك.

ولد في حادي عشر ذي الحجة سنة ست عشرة وستمائة. سمع أبا عبد الله الحسين ابن الزبيدي، وأبا المنجى ابن اللتي، وكان خيرا كثير المكارم.

توفي بدمشق يوم الخميس خامس شعبان سنة ثلاث وتسعين وستمائة.

٢٣٤٠ - ابن الصنوبري النيسابوري [- بعد ٥٠٧]

[٢٧٥ ب] محمد بن شافعي بن محمد بن طاهر، أبو بكر، الفقيه الشافعي، المعروف بابن الصنوبري، من أهل نيسابور.

سمع أبا القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، وأبا المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، وبالري وبغداد ودمشق من جماعة.

وقدم مصر سنة تسعين وأربعمائة، فسمع أبا

---

(١) يحيى بن عبد الله القرشي (ت ٢٣١). انظر أعلام النبلاء ١٠/ ٦١٢ (٢١٠).

(٢) الكندي ٥١٣ وسماه «الجوهري»، الجواهر المضيئة ١٧٢ (١٣٢٥).

(٣) الوافي ٣/ ١٤٧ (١٠٩٧)، تالي وفيات الأعيان ١٥٢ (٢٤٧).." [١]

"فقالت: أستودعك الله خير مستودع.

فتودعت منها وخرجت. ثم عدت إلى مصر بعد سنين وسألت عنها، فقيل لي: هي على أفضل ما تركتها [عليه] من العبادة والاجتهاد.

٢٣٤٤ - محمد بن شريح الإشبيلي [٣٩٢ - ٤٧٦] (١)

[٢٧٦ ب] محمد بن شريح بن أحمد بن محمد بن شريح بن يوسف بن عبد الله بن شريح، أبو عبد الله، الرعيني، الإشبيلي.

قدم مصر وسمع بها من أبي العباس أحمد بن سعيد بن أحمد بن نفيس، وأبي العباس أحمد بن علي بن هاشم، وأبي علي الحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادي، وأبي جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز النحوي، وأبي القاسم محمد بن الطيب البغدادي الكاتب وبمكة من أبي ذر عبد بن أحمد الهروي. وروى بإشبيلية. قال ابن بشكوال:

كان من جلة المقرئين وخيارهم، ثقة في روايته، وكانت رحلته إلى المشرق سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة. ومولده يوم الأضحى سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة. وتوفي يوم الجمعة الرابع من شوال سنة ست وسبعين وأربعمائة، وله من العمر أربع وثمانون سنة إلا خمسة وخمسين يوما.

٢٣٤٥ - ابن شريح المهري [- ١٢٨] (٢)

محمد بن شريح بن ميمون، أبو أحمد، المهري. كان ممن رأس بمصر.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٥/ ٣٨٠

فلما قدم حوثرة بن سهيل أميرا على مصر، وقبض رجاء بن الأشيم وحفص بن الوليد وقيدهما، انهزم أهل مصر، فبعث الخيل في طلب رؤساء الفتنة ووجوههم، فجمعوا عامتهم، وفيهم محمد بن شريح هذا، فقتله فيمن قتل في المحرم سنة ثمان وعشرين ومائة.

٢٣٤٦ - أبو الحسن ابن شريح [- ٤٣١]

محمد بن شريح، أبو الحسن، ابن أبي شريح.

سمع من القاضي أبي الطاهر الذهلي، وأبي الحسن النيسابوري وطبقتهما. وكان معدلا.

توفي يوم الاثنين تاسع جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة.

٢٣٤٧ - ابن الوحيد الزرعي الخطاط [٦٤٧ - ٧١١] (٣)

[٢٧٧ أ] محمد بن شريف بن يوسف، شرف الدين، أبو عبد الله، ابن الوحيد، الزرعي، الدمشقي.

ولد ليلة العاشر من جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وستمائة. وصار شيخ التجويد (٤) يضرب بجودة خطه المثل. ورتب من جملة كتاب الإنشاء بديار مصر، وسكن القاهرة. وعرف بالشجاعة والإقدام. قال الذهبي: كان مقداما متكلما ملسنا، يتهم في دينه ويرمى بعظائم.

وقال الصلاح خليل بن أبيك الصفدي: كان صاحب الخط الفائق، والنظم والنثر الجيد الرائق، تام الشكل، حسن البزة، موصوفا بالشجاعة،

---

(١) الصلة ٥٢٣ (١٢١٢)، وقد نقل عنها باختصار، أعلام النبلاء ١٨/ ٥٥٤ (٢٨٤)، غاية النهاية ٢/ ١٥٣ (٣٠٦٢).

(٢) الكندي ٩٠.

(٣) الوافي ٣/ ١٥٠ (١١٠٤)، الدرر ٣/ ٣ (٣٧٤٠)، فوات ٣/ ٣٩٠. أعيان العصر رقم ١٥٩١.

(٤) التجويد: تحسين الخط، والمجود: الخطاط.." (١)

"توفي بالقيروان سنة ست وخمسين ومائتين.

ورثي [بثلاثمائة] (١) قصيدة.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٥/٣٨٢

٢٤٨٠ - ابن سلطان القليبي

محمد بن عبد السلام بن سلطان، أبو عبد الله، ابن أبي محمد، القليبي. كان شيخا صالحا. وأبوه الإمام المعتقد عبد السلام القليبي.

٢٤٨١ - أبو الحسن السراج [- بعد ٢٩٦]

[٣٠ ب] محمد بن عبد السلام ابن أبي السوار، أبو الحسن، السراج، المصري.

روى عن أبي صالح عبد الله بن صالح، كاتب الليث، نسخة إبراهيم بن سعد الزهري. سمع منه أبو محمد الحسن بن رشيق العسكري [...] في شعبان سنة ست وتسعين ومائتين.

٢٤٨٢ - ابن الزيات الطرابلسي

محمد بن عبد السلام بن عبد الحميد بن الزيات، أبو عبد الله، الطرابلسي.

من شعره [الطويل]:

تشيب إذا ما غبت عنك مفارقي ... ويعظم عندي أن أراك مفارقي

وتذرف عيني بالدموع كأسحب ... هما وابل منها بلمعة بارق

وتصبح نفسي في يديك رهينة ... تقول لقلبي: كيف ما أنت لاحقي؟

فيرحل قلبي نحوها متوجها ... وأرحل عن نفسي وقلبي بما بقي

٥ فما القلب إن ودعت عنك براحل ... ولا الجسم من بعد الرحيل بناطق

٢٤٨٣ - أبو بكر الفزاري الدمشقي [- ٣١٧]

محمد بن عبد السلام بن عثمان بن محمد بن عبد الكريم بن سهل، أبو بكر، الفزاري، الدمشقي.

رحل وسمع الكثير، وحدث به. وروى عن إبراهيم بن أبي داود البرلسي، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، وأحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي، وإبراهيم بن مرزوق بن دينار، **المصريين**، وجماعة أخر.

قال ابن يونس: قدم مصر سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة. كتبنا عنه. حدث عن العباس بن الوليد بن مزيد البيروتي، وطبقة نحوه، وعن جماعة من **أهل مصر**، مثل محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وطبقة نحوه. ذكر ابن زبر أنه توفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة.

٢٤٨٤ - سبط الرشيد ابن نشوان [٦٢٣ - ٦٨٩]

محمد بن عبد السلام بن علي بن عبد الله بن عبد الكريم بن محمد [٣١ ب] بن عبد السلام، أبو عبد الله، ابن أبي أحمد، القرشي، الشافعي، سبط الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان، السعدي.

ولد بالقاهرة سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

سمع من أبي الحسن ابن المقير، وأبي الفضل جعفر بن أبي الحسن الهمذاني، وأبي الفضل يوسف بن عبد المعطي بن المخيلي، وحدث.

مات بالقاهرة يوم الجمعة سادس عشرين صفر سنة تسع وثمانين وستمائة.

---

(١) زيادة من الرياض ١/ ٤٥٨.." (١)

"الأصبهاني، صاحب الإمام الشافعي، وراق الربيع بن سليمان.

قال ابن يونس: قدم مصر وحدث بها. توفي في رجب سنة اثنتين وستين ومائتين. وروى عنه الفضل بن الخصيب الأصبهاني، وأبو بكر بن راشد.

روى عن قتيبة بن سعيد، وكثير بن عبيد، والجنائزي، وغيرهم. وحدث عنه ابن جوصا.

٢٥٧٣ - الحافظ أبو سيار البغدادي [- ٢٦٢] (١)

محمد بن عبد الله بن المستورد، أبو بكر، البغدادي، الحافظ، الشافعي، المعروف بأبي سيار.

رحال. سمع بمصر يوسف بن عدي، ويحيى بن بكير [المقرئ]. وروى عن أبي صالح، والحسن بن بشر بن عبيد الدارمي، وموسى بن أيوب. وسمع بدمشق سليمان بن عبد الرحمن، وبالجزيرة أبا جعفر عبد الله بن محمد النفيلي، والحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحراني، والمعافى بن سليمان الرسعني. وسمع بالعراق أبا نعيم الفضل بن دكين، وجماعة.

قال الدارقطني: كان من الحفاظ.

وقال ابن ماكولا: أبو سيار: أوله سين مهملة، ثم ياء معجمة باثنتين من تحتها وآخره راء. فهو أبو سيار محمد بن عبد الله بن المستورد، أحد الحفاظ.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٤١/٦

وقال أبو بكر الخطيب عنه: ثقة مأمون. مات سنة اثنتين وستين ومائتين في شوال.

٢٥٧٤ – عتبة الزاهد [– ٣٥٣] (٢)

محمد بن عبد الله بن معد، أبو عبد الله، الواعظ، المعروف بعتبة الزاهد، المصري.

قال أبو محمد عبد الله بن خلف بن رافع المسكي في كتاب زيارات القرافة: كان يعظ بالجامع العتيق بمصر قبل دخول المعز. قال يوما في مجلس وعظه، وهو آخر ما تكلم به: يا **أهل مصر**، تظهرون مساكين، وتعلمون نساءكم الغناء، وتركبون في الزوارق، وتشتغلون بالملاهي! وعتبة راحل عنكم، ومخلف عليكم بعده ثلاثا: جوعا، وطاعونا، وسيوف الروافض.

وهو الذي غسل أبا الحسن الفقاعي الرجل الصالح. وحل بعده بأهل [٥٩ ب] مصر جميع ما ذكره. ومات في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة بمصر، وقبره ملاصق لقبر الفقاعي.

٢٥٧٥ – ابن عبد الله بن المقفع (٣)

[٦٠ أ] محمد بن عبد الله بن المقفع– واسم المقفع ذاذويه، كان من أشراف أهل فارس، وعمل للحجاج، فخرج عليه مال فعذبه به حتى تقفعت يده فغلب عليه اسم المقفع. وكان ينزل البصرة.

وأدب ابنه عبد الله، فاتصل ببني علي بن عبد الله بن علي بن عباس وكتب لهم، وأسلم على يد عيسى بن علي (٤). وكانت له حال جميلة وغلة تأتيه من فارس تكفيه. وكانت له مروج تأتيه منها

---

(١) الوافي ٣/ ٣٠٧ (١٣٥٤)، شذرات ٢/ ١٤٦، تاريخ بغداد ٥/ ٤٢٧ (٢٩٣٩).

(٢) الكواكب السيارة ٢٩.

(٣) الوفيات ٢/ ١٥٤ أثناء ترجمة الحلاج وقد ذكر محمد هذا في ص ١٥٤، ثم ذكر في ٣/ ٤٦٩ بشعر منسوب إليه.

أما تراجم عبد الله الوالد فكثيرة.

(٤) عيسى بن علي هو عم المنصور والسفاح.." (١)

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٦/ ٧٠

"القرآن على البرهان إبراهيم بن علي الحكري، ولازم قاضي القضاة علاء الدين علي [بن عثمان ابن] التركماني، وأخذ عنه الحديث والفقه وكثيرا من مصنفاته. وقرأ الهداية في الفقه على الشيخ قوام الدين أمير كاتب الأتقاني، وناب في الحكم وأقرأ وحدث وأفاد.

توفي يوم السبت رابع عشرين رجب سنة سبع وتسعين وسبعمائة.

٢٧٢٠ - أبو عبد الله الأبلي [- ٣٢٩] (١)

[١١٣ أ] محمد بن علي بن إسماعيل بن الفضل، أبو عبد الله الأبلي، نسبة إلى الأبلة بضم الهمزة والباء الموحدة.

سكن بغداد، ورحل إلى مصر. وحدث ببغداد عن عبد الله بن روح المدائني، ويحيى بن عثمان بن صالح، وأحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين، وعبد الملك بن يحيى بن بكير، ويحيى بن أيوب المعافري، وأزهر بن زفر الحضرمي، ومقدام بن داود بن عيسى الرعيني، **المصريين**، وبكر بن سهل الدمياطي، وجماعة من **أهل مصر** والشام واليمن والعراق.

روى عنه الدارقطني، وأبو بكر بن شاذان، وغيره. وكان ثقة.

توفي في شوال لثمان بقين من سنة تسع وعشرين وثلاثمائة.

٢٧٢١ - ابن القطاع الصقلي اللغوي [- ٥١٦] (٢)

[١١٣ ب] محمد بن علي بن جعفر بن علي بن

محمد بن عبد الله بن الحسن بن أحمد، أبو علي، ابن أبي القاسم، السعدي، الصقلي، اللغوي، المعروف بابن القطاع، المالكي، ولد أبي القاسم اللغوي صاحب التصانيف.

سمع بمصر من أبيه، وروى عنه السلفي وقال:

كانت له حلقة بجامع مصر لإقراء اللغة. وكان دمث الأخلاق، حسن الصحبة، مالكي المذهب، مائلا إلى الحديث وأهله. وله أدب وشعر كما لأبيه. علقت عنه فوائد.

توفي في شهر رمضان سنة ست عشرة وخمسمائة من غير مرض.

٢٧٢٢ - صفي الدين ابن فلاح [- بعد ٥١٥]

[١١٤ أ] محمد بن علي بن جعفر بن فلاح بن مروان، الكتامي، القائد صفي الدولة، أبو عبد الله، ابن

وزير الوزراء أبي [الحسن علي بن جعفر] (٣)، كان من قواد مصر وأعلام أمرائها. ورث السيادة عن أبيه وجده كما ذكر في ترجمتهما (٤).

كان حيا في سنة خمس عشرة وأربعمائة (٥).

ومن شعره [المجتث]:

قرنت بالورد خدا ... أرق منه وأندى

فضارع النور نورا ... وعانق الورد وردا (٦)

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٧٧ (١٠٥٤).

(٢) الوافي ٤/ ١٤٧ (١٦٧٢).

(٣) الزيادة من ترجمة أبيه (الإشارة ٣٠).

(٤) ترجمة أبيه في حرف العين مفقودة. أما ترجمة الجد فقد مرت برقم ١٠٧٨.

(٥) هذا التاريخ منقول عن المسبحي (انظر النجوم لابن سعيد ٢٢٦)، وبعد هذا التاريخ بياض بالمخطوط بقدر أربعة أسطر، كأن المقريزي احتاط به لزيادة معلومات.

(٦) في المخطوط: فزارع، والإصلاح من النجوم لابن سعيد ٢٢٦.." [(١)]

"أيضا عن ابن جريج، وهو رجل آخر يعرف باليافعي، شيخ من **أهل مصر** مشهور.

وذكره البخاري في التاريخ الكبير، وقال: عن ابن جريج (١). سمع منه ابن وهب.

وقال عبد الرحمن ابن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة عنه فقالا: شيخ لابن وهب (٢).

وروى له أبو حاتم ابن حبان في التقاسيم والأنواع (٣)، وقال: شيخ ثقة مصري.

وخرج له مسلم والنسائي.

٢٩٥٦ - محمد بن عمروس، أبو عبد الله، القرطبي [- ٤٠٠] (٤)

[١٩٧ أ] سمع على أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج، وغيره من شيوخ قرطبة. وقدم مصر فأخذ بها عن أبي بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل المهندس، وأبي علي الحسن بن إسماعيل، وأبي الطيب أحمد بن سليمان بن عمرو الحريري.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ١٣٨/٦

وحج ودخل العراق. وسمع من أبي بكر محمد بن عبد الله الأبهري، وأبي الحسن الدارقطني، وجماعة.
وعاد إلى الأندلس، وشهر بالعلم والمال،
وولي الأحباس بقرطبة. حدث عنه أبو عمر بن عبد البر وغيره.
ومات في جمادى الآخرة سنة أربعمائة.

٢٩٥٧ - محمد بن عمير الجهني [- ٣٣١]
محمد بن عمير بن أحمد بن سعيد بن عمير بن محمد بن مسلم بن عبد الله، أبو عمر- ويقال: أبو عمرو، ويقال: أبو علي- الجهني، مولاهم، ابن بنت محمد بن ملاس، النميري.
روى عن محمد بن سليمان ابن بنت مطر ويونس بن عبد الأعلى.
روى عنه أبو علي محمد بن هارون بن شعيب، وأبو الحسين محمد بن عبد الله الرازي، والد تمام، وجماعة.
توفي في رمضان سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة.

٢٩٥٨ - أبو بكر الحطاب [- نحو ٣٥٠] (٥)
محمد بن عمير بن إسماعيل بن الفرج بن مرزوق بن مسرور، أبو بكر، الحطاب.
حدث بمصر عن أبي زكريا يحيى بن أيوب بن بادي العلاف، وأبي العلاء محمد بن أحمد بن جعفر الوكيعي الكوفي، وأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، وأبي بكر محمد بن

---

(١) أي: يروي عنه.
(٢) الجرح والتعديل ٨/ ٣٢ (١٤٤)، وابن وهب توفي سنة ١٩٧. وابن جريج سنة ١٥٠، فيكون صاحب الترجمة عاش بين هذين التاريخين.
(٣) كتاب التقاسيم والأنواع هو المعروف بصحيح ابن حبان (ت ٣٥٤). انظر الرسالة المستطرفة ٢٠، وسزكين تاريخ التراث العربي ١/ ١/ ٣٨٠.
(٤) الصلة ٤٦٢ (١٠٥٣)، نفح ٢/ ٦١ (٣٤)، شجرة النور ١٠٢ (٢٥٦).
(٥) تحديد سنة الوفاة أمر عسير، للبون الشاسع بين وفيات شيوخه: العلاف سنة ٢٨٩، والوكيعي سنة

٣٠٠، والبزار ٢٩٢ من جهة، ووفيات من روى عنه كالوائلي سنة ٤٤٤، وعبد الغني بن سعيد سنة ٤٠٩، فلذلك افترضنا سنة ٣٥٠.." (١)

"ولقي مشيخة مصر وأخذ عنهم.

وقتل ببلاده صدر سنة أربعمائة.

وكان من أهل العلم والصلاح والشجاعة.

٢٩٩١ - الحافظ أبو نصر السمرقندي

محمد بن عيسى، أبو نصر، السمرقندي، الحافظ.

سكن مكة. وسمع بمصر من علي بن أحمد علان، وحدث عنه وعن غيره. قال مسلمة: كان حافظا فهما بالحديث جماعا للعلم. وكان يكتب معنا الحديث عند الشيوخ بمكة. وقدم مصر وأنا بها، وحدث، وكتب عنه **أهل مصر**. وكان عندنا ثقة.

٢٩٩٢ - محمد بن عيسى الجباس [- ٣٢٢]

أبو طاهر. توفي بمصر لثماني عشرة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

٢٩٩٣ - ابن التركماني [- ٧٣٨] (١)

[٢٠٢ ب] محمد بن عيسى بن [...]، الأمير بدر الدين، ابن فخر الدين، المعروف بابن التركماني.

ترقى في الخدم إلى أن ولي الجيزة. ثم نقل منها في صفر سنة ثلاث عشرة وسبعمائة إلى شد الدواوين رفيقا للوزير الصاحب أمين الملك عبد الله بن غنام. فعمل عليه حتى صرف من الوزارة بمساعدة كريم الدين عبد الكريم ناظر الخاص، وأبطل السلطان الوزارة بعد ابن الغنام.

وباشر ابن التركماني هو ونظار الدولة بغير وزير،

فتوفرت حرمته وعظمت مكانته وفخم أمره، إلى أن صرف في حادي عشرين صفر سنة ثماني عشرة، ونزل إلى داره.

ثم جرد إلى مكة على عسكر ليقيم حتى يقدم الركب في الموسم، ويجتهد في القبض على حميضة بن أبي

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٦/٢٤٤

نمي. فنزل مكة، ومنع أهلها من حمل السلاح، وطرد العبيد عنها، ونادى في الناس بالعدل. فلما كان الموسم قبض الأمير مغلطاي الجمالي على الشريف رميثة بن أبي نمي وسار به إلى مصر. وتأخر ابن التركماني بمكة يدبر أمرها بمعرفة، إلى أن قدم عليه الشريف عطيفة بن أبي نمي بولاية مكة، فانتزح حميضة إلى اليمن.

وعاد إلى مصر وقدم يوم الجمعة سابع عشرين رجب سنة تسع عشرة. ثم تنكر عليه كريم الدين الكبير، فأخرج من مصر أميرا بدمشق في أخريات سنة عشرين. ونقل منها إلى شد الدواوين بطرابلس في سنة ست وعشرين، وأنعم بخبزه على استقمر، من أمراء حلب (٢).

٢٩٩٤ - ابن الصفار القرطبي مفتي الأندلس [- ٢٩٥] (٣)

[٢٠٣ أ] محمد بن غالب بن الصفار، أبو عبد الله، الأندلسي، القرطبي.

روى بقرطبة عن ابن وضاح وغيره. ورحل فسمع من ابن سحنون، ومحمد بن صالح الكوفي، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم،

---

(١) الخطط ٤/ ١١٣ ومنها أصلحنا سنة الوفاة.

(٢) ترجمة الخطط أطول: عاد من طرابلس فكلف بكشف الوجه البحري وأعطي إمرة طبلخاناه، وأعطى أخوه علي إمرة عشرة، وابنه إبراهيم أيضا إمرة عشرة، ومات سنة ٧٣٨ وهو وزير.

(٣) ابن الفرضي ٢/ ٢٢ (١١٤٨)، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٨٩ (٤٨).." (١)

"[منعه بيع الخمر]

وأمر في آخر جمادى الآخرة أن تغلق جميع قاعات الخمارين بالقاهرة ومصر وتختم، ويحذر من بيع الخمر، كما جرت به العادة في كل سنة احتراما للأشهر الشريفة. فرأى المأمون أن يكتب بذلك إلى جميع ولاة الأعمال، فكتب به، ونودي:

من تعرض لبيع مسكر أو شرائه سرا أو جهرا فقد عرض نفسه لتلافها، وبرئت الذمة من هلاكها.

[تعظيمه للمواسم الدينية]

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٢٥٢/٦

وعمل الأسمطة الجاري بها العادة ليلة أول شهر رجب. فلما جلس الخليفة على الأسمطة ومعه الوزير، بالغ في الثناء عليه وقال: قد أعدت لدولتي بهجتها، وجددت فيها من المحاسن ما لم يكن. وقد أخذت الأيام نصيبها من ذلك، وبقيت الليالي. فقد كان بها مواسم زال حكمها، وكان فيها توسعة وبر ونفقات وصدقات، وهي: ليالي الوقود الأربع، وقد آن وقتهن فأشتهي نظرهن.

فامتثل الأمر وحمل إلى القاضي خمسين دينارا لثمن الشمع وأن يعتد للركوب في الأربع الليالي، وهي: ليلة أول رجب ونصفه، وليلة مستهل شعبان ونصفه. وتقدم [٢٠٩ ب] لمتولي بيت المال بعمل الحلاوات برسم هذه الليالي.

واستجد في الأيام المأمونية أيضا في كل ليلة على الاستمرار برسم الخاصين، الآمري والمأموني، قنطار سكر، ومثقالان مسك، وديناران برسم المونة تعمل خشكنان وبسندود وغيره، في قعاب وسلال صفصاف، وهي التي تسمي اليوم العلب، فيحمل ثلثا ذلك إلى القصر، وثلثه إلى الدار المأمونية. وعمل أسمطة شهر رمضان (١).

فلما انقضت خلع عليه خلعا عظيمة. ونزل إلى داره فمدحه عدة من الشعراء. وحضرت كسوة الشتاء ففرقت، وكانت جملتها أربعة عشر ألف قطعة وثلاثمائة وخمس قطع. ووصلت كسوة العيد في آخر شهر رمضان، وهي بنحو عشرين ألف دينار. وعمل شعار عيد الفطر وأسمطته بزيادة كثيرة في التجمل، وقد ذكرت ذلك في كتاب المواعظ والاعتبار.

[الاحتفال بشهر رمضان]

ثم عاد المأمون إلى داره، فمدحته الشعراء، فأسنى جوائزهم. وبلغت النفقة على أسمطة شهر رمضان لتسع وعشرين ليلة ستة عشر ألفا وأربعمائة وستة وثلاثين دينارا، وبرسم القعبة (٢) الخاصة تسعة وثمانون قنطارا سكرا ومائة وثمانية وسبعين دينارا، وبرسم المقرئين والمؤذنين والمسحرين تسعة وعشرين قنطارا سكرا وثمانية وخمسين دينارا. والمنفق في شهر رمضان برسم الصدقات والرسوم والتوسعة المطلقة برسم الحاشية والأمراء وصدقات الأقوات بالباب والأعمال والفطرة، والكسوات المختصة بالغرة والعيد ما ينيف على ستين ألف دينار ويبلغ مائة ألف دينار. وضرب برسم خميس العدس ما جرت به العادة، وهو خمسمائة دينار عن عشرين ألف خروبة. فعمل المأمون ذلك ألف دينار ضربت عشرين ألف خروبة فرقت على أربابها.

[احتياطه للتمرد النزاري]

ولما تنبه ذكر الطائفة النزارية، ووصلت الأخبار بأنهم قد سيروا مالا مع التجار إلى قوم بأسمائهم، من أهل مصر والقاهرة، تقدم بالفحص وحفظ الدروب والأسواق حتى وجد خمسة

---

(١) ابن المأمون ٦٣.

(٢) القعبة: جفنة كبيرة.." (١)

"عبد الله، الحلبي، المقرئ.

روى عن أبي العباس بن عبد الدائم. وسمع الكثير بالقاهرة من النجيب عبد اللطيف الحراني.

وبالإسكندرية من أحمد النحاس وغيره. وكان يقرأ بصوت حسن وينشد أشعارا.

توفي بدمشق يوم السبت العشرين من ربيع الأول سنة ثلاث وسبعمائة.

٣٠٤٠ - ابن أبي رؤبة البوبشتري [- بعد ٤٤٤]

محمد بن قاسم بن حازم، أبو عبد الله، الأزدي، البوبشتري، من بوبشتر أحد حصون الأندلس، عرف بابن أبي رؤبة.

حدث بالإسكندرية عن أبي الحسن محمد بن علي بن صخر سنة أربع وأربعين وأربعمائة.

٣٠٤١ - أبو بكر التجيبي [- ٣١٥]

محمد بن القاسم بن سعيد بن جعفر بن عبد الغفار بن عبد الله بن عبد الوهاب بن مطير بن يزيد، أبو بكر، التجيبي.

يروي عن إسحاق الديري.

توفي يوم الأربعاء رابع شوال سنة خمس عشرة وثلاثمائة. ذكره ابن يونس.

٣٠٤٢ - أبو إسحاق القرطي [٢٨٤ - ٣٥٥] (١)

محمد بن قاسم بن شعبان بن محمد بن ربيعة بن سليمان بن داود بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر الصحابي، أبو إسحاق، الفقيه المالكي، القرطي، المصري.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٦/٢٦٢

مولده سنة أربع وثمانين ومائتين. حدث عن إسحاق بن إبراهيم بن يونس البغدادي، وإبراهيم بن عمار بن سعيد الخشاب، ومحمد بن أحمد بن حماد زغبة، وأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، وأبي العلاء محمد بن أحمد بن جعفر الوكيعي الكوفي، وداود بن إبراهيم بن داود البغدادي، وجماعة.

وروى عنه أبو العباس منير بن أحمد بن الحسن، وأحمد بن عبد الله البلدي، وأبو محمد ابن النحاس، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن عبيد بن موسى الوشاء. وصار أفقه **أهل مصر** على مذهب أهل المدينة، وانتهت إليه رئاسة الفقه بها. وصنف كتاب «أحكام القرآن»، وكتاب «الزاهي في الفقه».

توفي يوم السبت سادس عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين وثلاثمائة بمصر، ودفن بالقرافة.

والقرطي بضم القاف وسكون الراء ثم طاء مهملة، قال السمعاني: نسبة إلى القرط. وقال الرشاطي في هذه النسبة: في القبائل في كلب، من قضاعة، وفي مهرة، وفي كلاب من قيس عيلان.

٣٠٤٣ - «صناجة الدوح» (٢)

[٢٢٤ أ] محمد بن قاسم بن عاصم، المعري، الشاعر، يلقب صناجة الدوح.

كان الحاكم العبيدي يقدمه على غيره من الشعراء. وله فيه غرر المدائح. ومن قوله لما زلزلت مصر [البسيط]:

بالحاكم العدل أضحى الدين معتليا ... نجل الهدى وسليل السادة الصلحا

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٦/ ٧٨ (٦٠) وسماه: ابن القرطبي.

(٢) الوافي ٤/ ٣٥١ (١٩١١).." (١)

"٣٠٦٢ - بكير الجبان [- ٣٤٦]

محمد بن القاسم بن هارون، أبو بكر، الجبان، المصري، يعرف ببكير.

حدث عن أبي يزيد القراطيسي، وكان ثقة.

توفي سنة ست وأربعين وثلاثمائة، عن ابن يونس.

٣٠٦٣ - محمد بن القاسم الإسكندراني المقرئ [- بعد ٢٩٨] (١)

محمد بن القاسم بن يزيد، أبو عبد الله، الإسكندراني، المقرئ.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٦/٢٨١

قرأ بدمشق القرآن بحرف عبد الله بن عامر على عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان سنة أربعين ومائتين.
قرأ عليه أبو العباس الحسن بن سعيد الفارسي المقرئ المفسر [المطوعي سنة ثمان وتسعين ومائتين].

٣٠٦٤ - أبو بكر الآدمي [- ٤٠٦]
محمد بن القاسم، أبو بكر، أخو أبي حفص الآدمي.
حدث بمصر. ومات بها سنة ست وأربعمائة.

٣٠٦٥ - ماني الموسوس [- ٢٤٥] (٢)
محمد بن القاسم، أبو القاسم وأبو الحسين، المعروف بماني الموسوس، من أهل مصر، سكن بغداد في أيام المتوكل على الله. وله شعر رقيق في الغزل.
روى عنه بعض شعره وأخباره أحمد بن عبيد الله بن عماد [٢٢٦ ب] الثقفي، وأحمد بن القاسم. قال الصولي في «شعراء مصر»: ولد بمصر ونشأ بها، وأبواه منها. وأحب وهو صبي قبل أن يقول الشعر، فلقب بماني لأنه كان [...] كثيرا. وقد مدح المأمون والمعتصم والواثق. وله قصيدة في المعتصم لما فتح عمورية.
ودخل على محمد بن عبد الله بن طاهر فقال له: أما حان أن تزورنا مع شوقنا إليك؟
فقال: أعز الله الأمير، الشوق شديد، والود عتيد، والحجاب صعب، والبواب فظ، ولو سهل علينا الإذن لسهلت علينا الزيارة.
وغني ابن طاهر [الخفيف]:
حجبوها عن الرياح لأني ... قلت: يا ريح بلغيها السلاما
لو رضوا بالحجاب هان، ولكن ... منعوها عند الهبوب الكلاما
فزاد ماني:
فتنفست ثم قلت لطيفي ... ويك! إن زرت طيفها إلماما
حيها بالسلام سرا، وإلا ... منعوها لشقوني أن تناما (٣)
ولماني [الرمل]: ... بحر يفيض على الضعيف
وله [الطويل]:
بكفيك تقريب القلوب وإنني ... لفي ترح مما أقاسي فما ذنبي؟
خلقت وجوها كالمصابيح فتنة ... وقلت: اهجروها! قل ذلك من خطب

فإما أبحت الصب ما قد خلقته ... له أو زجرت القلب من لوعة الصب

---

(١) غاية النهاية ٢/ ٢٣٢ (٣٣٧٥)، والزيادة منها وكنيته فيها أبو علي.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ١٦٩ (١٢١٤)، الوافي ٤/ ٣٤٦ (١٩٠٦)، الأغاني ٢٣/ ٥٦، فوات ٤/ ٣٢ (٤٩٢).

(٣) وعارض الشاعر صالح السويسي (ت ١٩٤١ م) القيرواني البيتين فقال (ديوانه ٨٥):

فرنوت إلى السماء بجفن ... شابه النهر سكبه والغماما

قلت للبدر إن طلعت عليها ... فاقرها أيها الشبيه السلاما." (١)

"ولد سنة خمس وستين وستمائة، وحفظ كتاب التنبيه في الفقه، على مذهب الإمام الشافعي (١)، والجزولية في النحو، ومقامات الحريري، وقال الشعر. وولي كتابة السر بطرابلس، وبها مات.

٣٠٨٦ - ابن الباغندي [- ٣١٢] (٢)

[١٧ ب] محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث بن عبد الرحمن، أبو بكر، الأزدي، المعروف بابن الباغندي، الواسطي.

سمع بمصر أحمد بن عمرو بن السرح، ويونس بن عبد الأعلى، وعبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد، وروى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، ومحمد بن عبد الله بن نمير، وأبي بكر وعثمان ابني أبي شيبة [الكوفيين]، وشيبان بن فروخ [الأبلي]، وعلي ابن المديني، وجماعة من أهل مصر والشام والكوفة وبغداد والبصرة.

سمع منه الطبراني.

وكان كثير الحديث، رحل فيه إلى الأمصار البعيدة، وعني به العناية العظيمة، وأخذ عنه الحفاظ والأئمة كالحسين بن إسماعيل المحاملي، ومحمد بن مخلد الدوري، و أبي بكر الشافعي، ودعلج بن أحمد، والحاكم أبي أحمد، وأبي بكر الإسماعيلي، في آخرين.

قال الخطيب: وكان قيما حافظا عارفا. وبلغني أن عامة ما حدث به كان يرويه من حفظه.

وقال أبو بكر الأبهري: سمعت الباغندي

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٢٨٦/٦

يقول: أنا أجيب عن ثلاثمائة ألف مسألة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وكان يسرد الحديث من حفظه. ويهذه (٣) مثل تلاوة قارئ القرآن السريع القراءة.
وكان يقول: حدثنا فلان، وحدثنا فلان، وهو يحرك رأسه حتى تسقط عمامته.
وقام مرة ليصلي فكبر ثم قال: حدثنا محمد بن سليمان لوين، ثم قال: باسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين.
وسئل أبو بكر ابن عبدان عنه هل يدخل في الصحيح؟
فقال: لو خرجت الصحيح لم أدخله فيه.
قيل له: لم؟
قال: لأنه كان يخلط ويدلس.
وقال [أبو بكر] الإسماعيلي: لا أتهمه في قصد الكذب، ولكنه خبيث التدليس، ومصحف أيضا.
قال الخطيب: لم يثبت من أمر ابن الباغندي [ما يعاب به] سوى التدليس ورأيت كافة شيوخنا يحتجون بحديثه ويخرجونه بالصحيح.
توفي يوم الجمعة لعشر بقين من ذي الحجة سنة ثنتي عشرة وثلاثمائة ببغداد.

٣٠٨٧ - تقي الدين ابن وهيب [- ٧٣٣]
محمد بن محمد بن سليمان بن أبي العز بن وهيب، تقي الدين، ابن محيي الدين، ابن صدر الدين.
قدم إلى القاهرة واشتغل وحصل، ومات، ولم

---

(١) لعله كتاب أبي إسحاق الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦.
(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٢٠٩ (١٢٥٨) والزيادة منه. الوافي ١/ ٩٩ (رقم ١). أعلام النبلاء ١٤/ ٣٨٣ (٢١٥)، لسان الميزان ١١٨٠.
(٣) هذ الحديث يهذه بالضم: سرده بسرعة.." (١)
"وكان من سامرا.
وقال السمعاني: كان ثقة ثبتا.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ١٥/٧

وقال العقيلي: ثقة.

وتوفي يوم الثلاثاء العشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع عشرة وثلاثمائة.

٣٠٩٦ - أبو جعفر الجمال البغدادي [- ٣٤٦] (١)

محمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة بن جميل، أبو جعفر، الجمال، نسبة إلى الجمال، فإنه كان صاحب جمال يكريها، البغدادي.

قال السمعاني: سكن سمرقند، وحدث بها عن أحمد بن عبيد الله النرسي، وجعفر بن محمد بن شاكر الصائغ، وغيرهما.

وقال الخطيب: كان ثبتا صحيح السماع. سافر الكثير، وكتب بمصر والحجاز واليمن. خرج عن بغداد قديما، وحصل حديثه عند الخراسانيين وما وراء النهر.

سمع بالعراق من أحمد بن محمد بن عيسى البرقي، وأبي محمد ابن أبي الدنيا. وباليمن من عبيد بن محمد الكشوري، وعلي بن مبارك، وبمصر من أبي علاثة محمد بن عمرو [٢١ ب] بن خالد، وخير بن عرفة، ويحيى بن عثمان بن صالح، وهاشم بن يونس العصار، ويحيى بن أيوب بن بادي العلاف، وبكر بن سهل الدمياطي، وبدمشق من أبي زرعة الدمشقي، وغيرهم من أهل مصر والشام والعراق.

وكان ثقة بالحديث فاضلا، انتخب عليه أبو بكر النيسابوري، وكتب عنه الحفاظ.

مات بسمرقند في سنة ست وأربعين وثلاثمائة.

وقال الحاكم: هو محدث خراسان في عصره، وأكثر مشايخنا رحلة وأثبتهم أصولا وأصحهم سماعا.

٣٠٩٧ - ابن حافي رأسه الزناتي [- ٧٢٥] (٢)

محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز، المعروف بابن حافي رأسه، الزناتي.

كتب عنه بالإسكندرية الشهاب أحمد بن أيبك الدمياطي.

مات في شهر رجب سنة خمس وعشرين وسبعمائة.

٣٠٩٨ - ابن صاحب الألفية [- ٦٨٦] (٣)

محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك، بدر الدين، أبو عبد الله، ابن الشيخ جمال الدين، ابن عبد الله، الطائي، الجياني ثم الدمشقي.

أخذ عن أبيه فبرع في علم النحو وفي المعاني والبيان والبديع والعروض والمنطق. وشارك في الفقه والأصول مشاركة جيدة. وكان ذكيا فهما حاد الخاطر له معرفة تامة بالعلوم الأدبية، ومع ذلك لم يقدر على نظم بيت واحد.

كتب إليه بعض أصحابه أبياتا فحاول أن يجيبه عنها، وجلس في بيته يوما كاملا فلم يفتح عليه

---

(١) أعلام النبلاء ١٥/ ٥٤٧ (٣٢٥)، تاريخ بغداد ٣/ ٢١٧ (١٢٧١)، الوافي ١/ ١١٤ (١٤).

(٢) الدرر ٤/ ٣١٠ (٤٣٧٧)، وأبوه حافي رأسه (٦٠٦ - ٦٨٠) له ترجمة في شجرة النور ٢٠١ (٦٨٩)، وانظر ج ٦/ ١٦٤ هـ ١.

(٣) الأعلام ٧/ ٢٦٠، بغية الوعاة ٩٦، شذرات ٥/ ٣٩٨، الوافي ١/ ٢٠٤ (١٢٩).." [(١)]

"ولا تفارق أبدا بابه ... فمنه جاء العطاء الجزيل

واشكر على الإنعام فيما مضى ... كم أسبل الستر زمانا طويل

واخيبة المعرض عن بابه ... خلا كريما ثم أم البخيل (١)

٥ فقل لمن عدد إنعامه ... كل لسان عند هذا كليل

وله موشح [المشهور بين أهل مصر التزم فيه الحاء قبل اللام في أقفاله، وهو]:

قد أنحل الجسم أسمر أكحل ... وأوحل القلب فيه مذ حل

أميل له فلا يميل ... يحول عنه ولا أحول

أقول إذا زادني النحول ... أما حل عقل الصدود ينحل

ويرحل من نجمي المزحل ... برغمي كم يستبيح ظلمي

ويرمي من حربه لسلمي ... فجسمي من التزام سقمي

منحل وقد غدا مزحل ... فلم حل سفك دمي وما حل؟

متوج بالحسن هذا الأبلج ... مدبج عذاره البنفسج

مفلج يرنو بطرف أدعج ... مكحل وريقه المنحل

مفحل بعنبر محلحل ... قلاني واشتط ذا الفلاني (٢)

رماني في حبه زماني ... براني أشكو لمن يراني

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ١٩/٧

قد أنحل الجسم أسمر أكحل ... وأوحل القلب فيه مذ حل

وقوله أيضا (٣):

بالله انشدوا لي فؤادي ... قد ضاع وقت الرحيل

واستخبروا كل حاد ... واستوقفوهم قليل

لا أوحش الله منكم ... يا أهل وادي العقيق

والله مذ غبت عنكم ... إنسان عيني غريق

والقلب قد سار معكم ... رفقا بذاك الرفيق!

غربتموه عن بلادي ... والظن فيكم جميل

يهيم في كل واد ... ما ترحموا ابن السبيل

قد ذاب قلبي وطوى ... وشرح حالي يطول

ما تنظرون ضعفي ... أو تسمعوا ما أقول

يا جفن كم صرت تعفى ... ما أشتكي عن عذول

أشمت بي الأعادي ... كم ذا عليهم تسيل

قد سار عني رقادي ... وصار ليلي طويل

يا سعد إن جزت نجدا ... فاقرأ عليها السلام

وجز ديارا لسعدى ... وانزل بتلك الخيام

---

(١) قراءة ملتبسة.

(٢) قراءة ظنية، وفي الوافي: الحاني، ولا تزن.

(٣) لم نتبين لهذه الموشحة وزنا واضحا.." (١)

"فأجابه الأمير قبجق نائب حماة بأني مع الأمير قراسنقر نائب حلب، موافق له في كل ما يرى.

وبعث قراسنقر نائب حلب جوابه يقول فيه بأني مملوك مولانا السلطان ويمتثل جميع ما يرسم به.

وسأل أن يبعث إليه من المماليك من يوثق به.

وأما الأمير بكتمر الجوكندار نائب صفد، فلم يمكن القاصد من الاجتماع به وطرده عنه. فبعث الملك

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٦٤/٧

الناصر مملوكه أيتمش المحمدي بملطفين إلى الأمير قطلبوك المنصوري، وإلى الأمير بكتمر الحسامي الحاجب بدمشق. فنزل عند بعض مماليك قطلوبك مختفيا، وأعلمه بما جاء فيه.

فلما بلغ ذلك قطلوبك نفر منه وعزم على أخذه وإحضاره إلى الأمير آقوش الأفرم نائب الشام.

فنجا أيتمش بنفسه، وأتى ليلا بهادر آص وأعلمه بخبره وما عزم عليه قطلوبك من قبضه، فأمنه وأمره أن يبيت عنده ويحضر من الغد إلى موكبالنائب ويتكلم بما يختار من غير خوف. وتكفل بمساعدته، فبات عنده في أعز كرامة. وأركبه معه إلى الموكب فرسا من خيله. وكان قطلوبك [٩٧ ب] قد بادر وأعلم النائب بمجيء قاصد الملك الناصر إليه، وأنه هرب لخوفه منه. فقلق النائب من ذلك قلقا زائدا وألزم متولي مدينة دمشق بإحضار قاصد الملك الناصر، وإلا كانت روحه عوضه. فقال بهادر آص: ما يحتاج إلى هذا: قد أتاني المذكور في الليل وعرفني أن معه مشافهة لا يقولها إلا لمولانا ملك الأمراء بحضرته، وهذا هو- وأشار لأيتمش. فقام على قدميه وقال: السلطان الملك الناصر يسلم عليكم.

فلم يرد أحد من الأمراء السلام، إلا نائب الشام وحده.

ثم قال: يقول لكم الملك الناصر: ما منكم أحد إلا وأكل من خبز الشهيد والده، ومن خبزه.

وما منكم إلا من [كثر] إنعامه عليه. وأنتم تربية الشهيد والده مثلما رباه، وإني قاصد الدخول إلى دمشق و [أن] أقيم فيها، فإن كان فيكم من يقاتلني ويمنعني فعرفوني.

فلم يتم كلامه حتى بكى الكوكندي الزراق أحد الأمراء، وصاح: وا ابن أستاذاه! وا ابن أستاذاه! يا مسكين! – فبكى الأمراء بأجمعهم لبكائه، فغضب النائب، وأخرج الزراق وقال لأيتمش: قل له- يعني الملك الناصر- : كيف تجيء إلى الشام أو إلى غيرها، تحسب أن الشام الآن تحت ملكك؟

أنا لما أرسل الملك المظفر إلي لأحلف له أخرت الحلف حتى بعثت إليه أقول له: يا خوند، لا تخل ملكك! – فأرسل يقول: أنا ما بقيت لي رغبة في السلطنة، وكتب خطه، وأشهد عليه بنزوله عن الملك، [ف] حلفت بعد هذا للمظفر، ثم يبعث الآن يقول: من يردني عن الشام؟

وأمر به، فأخذ ووكل به، وانفض المجلس، فلما كان الليل استدعاه وأعطاه خمسين دينارا، وقال له: قل للسلطان: لا يرجع يذكر الخروج من الكرك. وأنا أبعث إلى الملك المظفر بسبب ما طلبه منه (١) وأرجعه عنه- وترك أيتمش فعاد إلى الكرك.

وبلغ أهل مصر حركة الملك الناصر، فسار إليه الأمير نوغاي القبجاقي، والأمير مغلطاي القازاني في ستين مملوكا. فسر بهم سرورا كثيرا. ثم قدم عليه من المنصورية والأشرفية والأويراتية مائة وعشرون مملوكا بخيولهم

وأسلحتهم. فقوي بأسه بهم. وبعث أيتمش المحمدي إلى قبجق نائب حماة والي قراسنقر نائب حلب يدعوهما إلى القيام معه. فكتب إليه قراسنقر بالسمع والطاعة، وأن

---

(١) أي استعادة المال والمماليك والخيل.." (١)

"القيسي، الراوية، العدل [١١٨ ب]، من أهل مرسية وسكن المرية.

وروى عن أبي محمد بن عتاب، وأبي عبد الله أحمد بن محمد الخولاني، وأبي علي [الحسين بن محمد] الصدفي، وأكثر عنه. ولقي في رحلته أبا بكر الطرطوشي، وأبا عبد الله الرازي، وكان فاضلا.

توفي بالمرية في جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة.

٣٢٨٩ - أبو بكر المأموني المحدث [٢٦٨ - ٣٤٢]

محمد بن موسى بن يعقوب ابن أمير المؤمنين عبد الله المأمون، ابن هارون الرشيد، ابن محمد المهدي، ابن أبي جعفر عبد الله المنصور، ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، أبو بكر، الهاشمي، العباسي، المأموني، الفقيه، المحدث.

ولد بمكة في ربيع الأول سنة ثمان وستين ومائتين. روى عن علي بن عبد العزيز عن القعنبي، موطأ مالك، وعن أبي بكر محمد بن جعفر ابن الإمام، وعن أبي عبد الرحمن النسائي، وجماعة.

روى عنه أبو بكر (١) عبد الرحمن بن عمر ابن النحاس، وأبو عبد الله ابن مندة، والوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات، لما قدم إلى مصر.

وكف بصره في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة.

وكان ثقة نبيلا.

توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة.

وله تواليف، منها: فقه عبد الله بن عباس، مجردا على أبواب الفقه، في عشرين كتابا.

٣٢٩٠ - الملك الكامل الأيوبي [٦٥٩ - ٦٩٢]

[١١٩ أ] محمد بن موسى بن يوسف بن أقسيس بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي، الملك

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ١٠٩/٧

الكامل، ناصر الدين، ابن الملك الأشرف مظفر الدين، ابن الملك الناصر صلاح الدين، ابن الملك المسعود صلاح الدين، ابن الملك الكامل ناصر الدين، ابن الملك العادل سيف الدين، ابن نجم الدين، الأيوبي.

ولد بالكرك ليلة الأربعاء سادس عشر شوال سنة تسع وخمسين وستمائة.

وتوفي يوم الخميس خامس شهر رجب سنة اثنتين وتسعين وستمائة.

٣٢٩١ - أبو بكر صقلاب

محمد بن موسى، أبو بكر، يلقب صقلاب.

كان مقبولا عند القاضي بكار بن قتيبة وغيره من قضاة مصر.

٣٢٩٢ - أبو علي الواسطي [- ٣٢٠]

محمد بن موسى، أبو علي، الواسطي، قاضي الرملة، قدم مصر.

قال ابن يونس: كان من أهل العلم باللغة وتفسير القرآن. وكان من المتفقهة على مذهب أهل الظاهر. وكان **أهل مصر** يرمونه بالقدر.

توفي بمصر في النصف من شهر ربيع الأول سنة عشرين وثلاثمائة.

---

(١) هو أبو محمد في الحقيقة كما مر ص ٨٧ وكما يأتي في ص ٢٦٥. وانظر أعلام النبلاء ١٧/ ٣١٣ (١٩٠)، والحبال في وفيات ٤١٦ (رقم ٢١٧).." (١)

"يحضرون القضاة إلى مجالسهم، فبعث إليه عبد الله بن المسيب يأمره بالحضور إلى مجلسه فقال: لو كنت تقدمت إليك في هذا لفعلت وفعلت يا كذا وكذا! - فانقطع حضور القضاة مجلس الأمراء من يومئذ.

واتخذ أيضا قوما من **أهل مصر** للشهادة ورسمهم بها، وأوقف سائر الناس، فوثبوا به ووثب بهم فشتموه وشتمهم. وكان منه هنات إلى أشرافهم. وخوصم هاشم بن حديج إليه فقال له:

إنما أنت من [١٢٤ أ] السكون ولست من الملوك.

فقال له هاشم: ليس لهذا حضرنا. والله لا حضرت مجلسا لك أبدا! ومن تظلم إليك مني فأعده علي واقض

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ١٢٥/٧

له في مالي بما يرغبه.

وكانت أموال اليتامى والأوقاف والغيب ترد إلى بيت المال منذ زمن أبي جعفر المنصور إلى زمن الرشيد. فلما ولي محمد بن مسروق وتحامل على الناس، أساءوا عليه الثناء والذكر، وأشاعوا عليه أنه عزم على حمل ما في بيت المال من هذه الأموال إلى هارون الرشيد ببغداد فقام أبو إسحاق الحوفي ونادى بالمسجد الجامع ودعا على محمد بن مسروق، فأحضره ابن مسروق وناله بمكروه. فزاد **أهل مصر** في مقته، فعند ما أكثر أهل المسجد في ذمه وقف على باب المقصورة ونادى بصوته: أين أصحاب الأكسية العسلية؟ أين بنو البغايا؟ لم لا يتكلم منهم متكلم بما شاء حتى يرى ويسمع؟

فما تكلم أحد بكلمة.

وكان القضاة بمصر لا يقضون على النصارى بالمسجد، وإنما يجعلون لهم يوما في منازلهم.

وأول من أدخلهم المسجد محمد بن مسروق.

وكان هارون بن سليمان بن عياض القرشي يتكلم في طائفة معه في العصبية، فأرسل إليه محمد بن مسروق يوما: ما يؤمنك أن أكتب فيك إلى أمير المؤمنين بما تضرب به بين الناس؟ - ثم أخذ جمعا من جلسائه فضربهم وطاف بهم.

ثم إن ابنه محمدا قدم عليه ففضحه: وذلك أنه كان يأتي [إلى] من عنده مال من الودائع، فيقول: أعطنيه حتى أتجر فيه وآخذ الفضل! - فتلف على يديه شيء كثير. وكان الناس قبل قدوم ابنه لا يكادون يتعلقون عليه بشيء فوجدوا به السبيل إلى الطعن عليه.

ولم يكن قبله لقضاة مصر قمطر، وإنما كان كاتب القاضي يحضر ومعه الكتب في منديل، فأول من جعل له القمطر بمصر محمد بن مسروق، وكان يختم القمطر ويودعه، فإذا جلس أحضره. وكان يروح [إلى الجمعة من دار أبي عون] بالموقف إلى المسجد ماشيا.

وخوصم إليه عبد الرحمن وكيل السيدة زبيدة بنت جعفر ابن أبي جعفر المنصور، امرأة الرشيد، فأمره بإحضاره، فجلس مع خصمه متربعا فأمربه فبطح وضرب عشرا، فبغاه إلى مولاته زبيدة.

وتشدد أيضا على عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف [فخافه] فشخص من مصر إلى الرقة وبغاه ورفده القرشيون هناك. وكلم فيه أبا البختري حتى عزله.

فلما بلغه العزل خرج من مصر [١٢٤ ب] قبل أن يقدم الذي استقضاه أبو البختري، واستخلف على مصر إسحاق بن الفرات، غضبا عليهم، وذلك سنة أربع وثمانين- وقيل: سنة خمس وثمانين- ومائة. ويقال: إنه

مات فيها.

سئل عنه أبو زرعة فقال: شيخ حدث عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل عن سعيد بن زيد." (١)

"وقدم مصر. وكان حيا في سنة ثمان وستين وستمائة.

ومن شعره، لغز في ناقة صالح [المجتث]:

يا من يحل المعمى ... ولا يسائل عما

ما آية هي حرف ... والحرف كل المعمى؟

٣٣٠٩ - أبو بكر محمد بن مسعود الأزدي [- ٣٨٠]

مات بمصر أول شهر رمضان سنة [١٢٥ ب] ثمانين وثلاثمائة.

٣٣١٠ - محمد بن مسكين

[١٢٦ أ] محمد بن مسكين بن صالح، جد علي ابن الحسن بن قديد.

يروي عن زياد بن يونس، قال: رأيت مالك بن أنس، قليل الكلام، كثير الصمت، متحفظا للسانه.

روى عنه أبو جعفر أحمد بن محمد بن هارون الأسواني.

٣٣١١ - محمد بن مسكين [٢١٧ - ٢٩٩] (القيرواني)

محمد بن مسكين بن منصور، أبو عبد الله، أخو القاضي عيسى بن مسكين.

ولد سنة سبع عشرة ومائتين. وسمع محمد بن سنجر، والحارث بن مسكين، وسحنون، وجماعة من **المصريين**.

مات بعد أخيه سنة تسع وتسعين ومائتين.

وكان شيخا عاقلا.

٣٣١٢ - ابن نميلة الحراني [- ٢٨٩] (١)

محمد بن مسكين بن نميلة، أبو الحسن، اليمامي، الحراني.

روى عن بشر بن أبي بكر التنيسي، ويحيى بن حسان، وسعيد بن كثير بن عفير.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ١٣٠/٧

روى عنه البخاري ومسلم وأحمد بن صالح المصري وجماعة. قال البخاري: ثقة مأمون، وقال أبو داود: كان ثقة رحمه الله.

وقال النسائي: كتبنا عنه بالبصرة.

وذكره ابن حبان في الثقات.

٣٣١٣ - الشريف «ابن خداع» [- نحو ٣٥٧]

[١٢٦ ب] محمد بن مسلم بن إسماعيل بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الشريف أبو عبد الله، المعروف بابن خداع، أخو أبي القاسم الحسن.

أمهما زينب بنت محمد بن الحسن بن أحمد بن علي بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر.

وهو أيضا والد طاهر بن محمد بن مسلم.

أقام هو وأخوه الحسن بمصر سنين في أيام كافور الإخشيدي (٢). وكان ابنه طاهر بمصر سنة ثمان وعشرين وأربعمائة.

وخداع داية كانت له، لها شر، فكان الصبيان يتقون اللعب مءه لشرها، فقيل: ابن خداع (٣).

---

(١) تهذيب التهذب ٩/ ٤٤٠ (٧٢٦)، ومنه تاريخ الوفاة.

(٢) مات كافور سنة ٣٥٧.

(٣) انظر ص ١١٩ هـ ١ عن ابن خداع النسابة العلوي.." [1]

"٣٣٨٨ - محمد بن مهدي الإخميمي [- ٢٣٦]

محمد بن مهدي بن يونس، مولى الأنصار، الإخميمي.

روى عن عيينة بن خالد ويزيد بن يونس بن يزيد الأيلي.

روى عنه ابن أخيه القاسم بن عبد الله بن مهدي.

توفي سنة ست وثلاثين ومائتين.

٣٣٨٩ - محمد بن مهدي أبو جعفر المصري، العطار [- ٢٦٣]

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ١٣٢/٧

توفي في ربيع الأول سنة ثلاث وستين ومائتين.

٣٣٩٠ - أبو صالح ابن مهدي الرحالة

محمد بن مهدي، أبو صالح، من الرحالة.

كتب بمصر والشام والعراقين.

قال أبو نعيم الأصبهاني: مات قديما.

حدث عن الحارث بن مسكين.

روى عند محمد بن يحيى بن مندة.

٣٣٩١ - ابن خطيب حلب [- بعد ٦٦٤]

[١٥٢ أ] محمد بن مهذب بن الحسن بن أحمد بن أبي الفضل، عفيف الدين، أبو عبد الله، ابن مهذب الدين، الحلبي، الشهباوي، عرف بابن خطيب حلب.

قدم مصر وحدث بها سنة أربع وستين وستمائة.

كتب عنه أبو صادق محمد الرشيد بن يحيى العطار.

٣٣٩٢ - محمد بن مهران الدق؛ق الشاعر (١)

من شعراء مصر. أنشد له أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني في معجم الشعراء قوله [الرمل]:

صدع البين فؤادي ... ونفى عني رقادي

وأراه سالكا بي ... غير أسباب الرشاد

فإلى ذي العرش أشكو ... ضر جسمي واجتهادي

وحبيبا غاب عني ... كان صبا في فؤادي

٣٣٩٣ - محمد بن المهلب المصري الصيدلاني [٢٩٠ - ٣٧٠] (٢)

محمد بن المهلب بن محمد، أبو بكر، الصيدلاني، المصري، العدل. ولد سنة تسعين ومائتين. وشهد في المحضر الذي كتبه القائد جوهر أمانا **لأهل مصر** في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

وتوفي في صفر سنة سبعين، وقيل: سنة تسع وستين وثلاثمائة.

٣٣٩٤ - أبو المعالي ابن مهلهل الحنبلي [٥٩٢ - ٦٧٤]

[١٥٢ ب] محمد بن مهلهل بن بدران بن يوسف بن عبد الله بن رافع بن يزيد بن أبي الحسن بن علي بن سلامة بن طارق بن ثعلب بن

---

(١) معجم الشعراء ٤١٣.

(٢) اتعاظ ١/ ١٥٣، عيون الأخبار للداعي إدريس ٦٧٨ وكناه أبا بكر.." (١)

"فلحقه وقال: الشريف معتذر.

فقال: يدع حديثي ويقبل على الجمل الأجرب؟

- فسمي سابور «الجمل الأجرب» إلى أن مات.

وبلغ المتنبي أن سيبويه يقع فيه، فمر به وهو على باب المسجد، فقال وقد وقف عليه: أيها الشيخ، قد كنت أحب أن أراك.

فقال: رعاك الله وأبقاك.

فقال: بلغني أنك أنكرت علي قولي [الطويل]:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدوا له ما من صداقته بد

فما كان الصواب عندك؟

قال: العداوة ضد الصداقة، ولكن لو قلت:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدوا له ما من مداراته بد

وهذا رجل منا قد قال [الوافر]:

أتاني في قميض اللاذ (١) يسعى ... عدو لي يلقب بالحبيب

[١٥٩ ب] فقال المتنبي: مع هذا غيره؟

قال: نعم:

فقلت له: استعملت هذا ... لقد أقبلت في زي عجيب (٢)

فقال: الشمس أهدت لي قميصا ... مليح اللون من شفق الغروب

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ١٦٧/٧

فثوبي والمدام ولون خدي ... قريب من قريب من قريب

فتبسم المتنبي وانصرف، وسيبويه يصيح به.

وكان يشبه في حضور جوابه وخطابه وحسن

عبارته وكثرة روايته بأبي العيناء. وكان قد تناول البلاذر فعرضت له منه لوثة. وكان أكثر الناس يتبعونه ويكتبون عنه ما يقول، قال يوما: يا **أهل مصر**، أصحابنا البغداديون أحزم منكم، لا يقولون بالولد حتى يتخذوا له العقد والعدد، فهم أبدا يعتزلون.

ولا يقولون باتخاذ العقار خوفا من أن يملكهم سوء الجوار، فهم أبدا يكترون.

ولا يقولون باتخاذ المهائر (٣) خوف أن تتوق أنفسهم إلى السراري، فهم أبدا يتسررون.

ولا يقولون بإظهار الغنى في مكان غرفوا فيه بالفقر، فيهم أبدا يسافرون.

ووقف يوما بالجامع، وقد أخذت الحلق مأخذها، فقال: يا **أهل مصر**، حيطان المقابر أنفع منكم: يستند بها من التعب، ويستدفأ بها من الريح، ويستظل بها من الشمس. والبهائم خير منكم: تمتطى ظهورها، وتحتذى جلودها، وتؤكل لحومها.

وكان الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابة ربما رفع أنفه تيها. فقال له سيبويه وقد رآه فعل ذلك: «أشم الوزير رائحة كريهة فشمر أنفه؟ » فأطرق.

وخرج سيبويه فقال له رجل: من أين أقبلت؟

فقال: من عند الزاهي بنفسه، المدل بعرسه- يعني أنه متزوج بابنة الإخشيد- المستطيل على أبناء جنسه.

واستأذن على الشريف مسلم فحجب عنه، فقال: قولوا له: يرجع إلى لبس العبا، ومص النوى، وسكنى الفلا، فهو أشبه [به] من نعيم

---

(١) اللاد جمع لاذة: وهو الثوب الأحمر من حرير.

(٢) الشطر الأول غير موزون وقراءتنا ظنية.

(٣) المهائر ج مهيرة: الحرة من النساء ذات المهر الغالي.." (١)

"[...] ثم عاد إلى بلاد الروم في سنة ست عشرة بأبي إسحاق فأخذ حصنا، وأتى مصر في حر شديد (١).

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ١٧٤/٧

وولي على مصر عبدويه بن جبلة من الأبناء، وخرج عليه ناس من لخم بالحوف وحاربوه في شعبان، فقاتلهم عيسى بن منصور الرافقي والي الحوف فظفر بهم.

[تكليفه الأفشين بقتال ثوار برقة والصعيد]

ثم قدم الأفشين- واسمه خيذر بن كاوس الصغدي- ومعه علي بن عبد العزيز الحبروي في ثالث ذي الحجة فقتله يوم الأضحى، وصرف عبدويه، وخرج إلى برقة، وولي عيسى بن منصور الرافقي، فانتقضت أسفل الأرض كلها عربها وقبطها في جمادى الأولى سنة ست عشرة [ومائتين]، وأخرجوا العمال وخلعوا الطاعة. وكان ذلك لسوء سيرة العمال فيهم، فقدم الأفشين من برقة للنصف من جمادى الآخرة فأقام بالفسطاط لأن النيل كان في مده.

ثم خرج ومعه عيسى بن منصور في شوال فحاربا القوم بناحية اشليم، وقد عقدوا عليهم لابن عبيدس الفهري فهزموا، وأسر منهم كثير، ومضى الأفشين في إثرهم يقتلهم. وبعث عبيد الله بن يزيد بن مزيد فقاتلهم فهزموه إلى الإسكندرية فحصروه بها. وقاتل طائفة منهم الأفشين بمحلة أبي الهيثم (٢) فظفر بهم وقتل كبيرهم أبا ثور اللخمي، ومضى إلى دميرة، فحاربهم في ذي القعدة فظفر بهم. وقاتل عيسى بن منصور أهل تمى وهزمهم، فمضى الأفشين إلى الإسكندرية

وقاتل بني مدلج بخربتا وهزمهم. ثم واقع آخرين وقتل وأسر حتى دخل الإسكندرية وقد فر منه رؤساء القوم. ثم خرج منها إلى أهل البشرود (٣) فواقفهم حتى قدم أمير المؤمنين المأمون، ومعه أخوه الأمير أبو إسحاق لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة. فسخط على عيسى بن منصور كما ذكر في ترجمته (٤) وأوقع بأهل الصعيد وبأهل البشرود (٥)، حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين فحكم بقتل الرجال وبيع النساء والأطفال، فقتل الرجال وباع النساء والأطفال [١٧٩ أ] وسبى أكثرهم. وتتبع أهل الخلاف فقتل كثيرا. ثم سار عن مصر لثماني عشرة من صفر وولى علمصر كيذر بن نصر (٦).

[امتحان أهل مصر بخلق القرآن]

فورد كتاب أبي إسحاق على كيذر بأخذ الناس بالمحنة في جمادى الآخرة سنة ثماني عشرة [ومائتين]، والقاضي يومئذ بمصر هارون بن عبد الله الزهري، فأخذ كيذر بذلك فأجاب بخلق القرآن. وأخذ الشهود به فأجابوا، فمن وقف منهم سقطت شهادته. وأخذ بها القضاة والمحدثون والمؤذنون. وكان الناس على ذلك إلى أن قام المتوكل سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، مدة أربع عشرة سنة.

ثم عزل المأمون أخاه أبا إسحاق عن مصر من أجل أن يحيى بن أكثم القاضي وشى به.
ولم يزل أبو إسحاق مع أخيه المأمون إلى أن مرض المأمون بالبذنون على طريق طرسوس، فعهد إليه لرؤيا رآها من النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر أن تكتب

---

(١) قراءة تقريبية.

(٢) محلة أبي الهيثم: قال ياقوت: أظنها بالحوف من ديار مصر.

(٣) البشرود: من كور أسفل الأرض (ياقوت).

(٤) ترجمة عيسى بن منصور مفقودة.

(٥) كلام مطموس هنا لم نفهمه.

(٦) عند الكندي ١٩٣: كيدر هو نصر (بن عبد الله).." (١)

"الشيرازي الأصل- الدمشقي المولد والدار، الشافعي.

ولد في أواخر ذي القعدة سنة تسع وأربعين وخمسمائة. سمع من أبي البركات الخضر بن شبل الحارثي، وأبي الطاهر إبراهيم بن الحسن الحصني، وأبي يعلى حمزة بن علي بن الحبوبي، والحافظين أبي الحسين هبة الله، وأبي القاسم علي، ابني الحسن بن هبة الله الدمشقيين، في آخرين. وحدث بالكثير [بدمشق].
وقدم إلى مصر، وحدث بها. وولي الحكم بالبيت المقدس وغيره ودرس وأفتى وحكم بدمشق نيابة واستقلالا.
وهو آخر من حدث عن الفقيه أبي البركات الخضر بن شبل، والصائن أبي الحسين هبة الله [ابن عساكر]، وأبي الطاهر الحصني. وانفرد برواية ما يزيد على مائتي جزء من كتاب تاريخ دمشق عن مصنفه.
ومات بدمشق ليلة [الثاني] من جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وستمائة.
ومميل بفتح الميم الأولى وكسر الثانية وياء آخر الحروف ساكنة بعدها لام- وهي بلغتهم: محمد.

٣٤٦٥ - أبو بكر الدندري الشافعي [- ١٧٤]

محمد بن هبة الله بن جعفر بن هبة الله، سراج الدين، أبو بكر، الدندري، الربعي، الشافعي.
برع في الفقه، والأصلين، والتفسير. وولي الحكم بأدفو ودندرا ببلاد الصعيد. وله مصنف في الوراقة.
توفي ببلده سنة أربع وسبعين ومائة (١).

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ١٩٧/٧

٣٤٦٦ - تاج الدين ابن صدقة الحموي [٥٤٦ - ٥٩٩] (٢)

[١٨٩ أ] محمد بن هبة الله بن مكي بن صدقة بن هبة الله، تاج الدين، أبو عبد الله، الحموي، الشافعي.

سمع بمصر من أبي نزار ربيعة بن الحسن اليمني، وأبي محمد القاسم ابن عساكر، وأبي عبد الله محمد بن حمد بن حامد الأرتاحي، في سنة خمس وثمانين وخمسمائة. ودرس بالمدرسة الناصرية بجوار الجامع العتيق بمصر في سنة إحدى وتسعين [وخمسمائة]. وخطب بالقاهرة. وكتب بخطه كتبا كثيرة في الحديث. وتفقه على أبي الطاهر محمد بن الحسين بن عبد الرحمن المحلي.

وتوفي بمصر يوم الأحد سادس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وخمسمائة.

وكان فقيها فرضيا نحويا متكلما أشعريا، إليه مرجع **أهل مصر** في الفتوى.

وله شعر كثير، منه أرجوزة سماها «حدائق الفصول، وجواهر الأصول»، نظمها للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب (٣). وله أرجوزة في الفرائض سماها «روضة الرياض ونزهة الفراض» نظمها للقاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي.

وكان كثير الاشتغال بالعلم دائم التحصيل له.

قال الحافظ عبد العظيم المنذري: دخلت عليه يوما وهو في سرب تحت الأرض لأجل شدة الحر، وهو يشتغل. فقلت له: في هذا المكان؟

وعلى هذه الحال؟

فقال: إذا لم أشتغل بالعلم، ماذا أصنع؟

(قال): ووجد في تركته محابر تسع واحدة منها

---

(١) هكذا في المخطوط، ولعله شافعي النسب، لا المذهب، فالشافعي توفي سنة ٢٠٤.

(٢) المنذري ١/ ٤٥٨ (٧٣١) ومنه سنة الولادة. السبكي ٧/ ٢٣ (٧١٥).

(٣) نقل السبكي أبياتا منها ومن اللاحقة.." (١)

"ولد بمصر، وحدث بها عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، وإسحاق بن وهب الطهرمسي (١)، والربيع ابن سليمان، ويحيى بن عثمان بن صالح، وإبراهيم ابن أبي داود، ويونس بن عبد الأعلى، وغيرهم.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٢١٢/٧

روى عنه أبو الحسين محمد بن عبد الله الرازي، والد تمام. وسمع منه بمصر أبو أحمد بن عدي، والحسن بن رشيق، وجماعة.

توفي في ذي الحجة سنة ثماني عشرة وثلاثمائة بمصر. وكان له ستر وصيانة، إلا أنه كان يتهم بالميل إلى مسألة اللفظ بالقرآن، فاستحضره القاضي أبو عبيد علي بن الحسين بن حربويه وحادثه، فأعجبه وهم بقبوله. فبلغ ذلك الشهود، فقام محمد بن الربيع الجيزي منهم مع القاضي حتى أوقفه عن ذلك. فعمل محمد بن يحيى بن آدم رسالة في محمد بن [الربيع] نحو ثلاثين ورقة، ورسالة أخرى في تفضيل **أهل مصر** في الرقيق [...] الدواب، على الذين تكلموا فيه من الأمناء والشهود.

٣٥٠٧ - أبو مزاحم المحتسب [- ٢٠٢]

محمد بن يحيى بن إسماعيل، أبو عبد الله، ابن أبي زكير، الصدفي، مولاهم، المصري، ويقال له: أبو مزاحم المحتسب.

كان فقيها من أصحاب ابن وهب، وحدث عنه. روى عنه أحمد بن يحيى بن خالد، ومحمد بن وضاح بن بزيع القرطبي.

توفي يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين ومائتين.

وزكير بزاي في أوله وراء مهملة في آخره.

٣٥٠٨ - صفي الدين الأسواني [٦٠٢ - ٦٨٦] (٢)

[٢٠٣ أ] محمد بن يحيى بن أبي بكر بن زكريا بن إدريس، [صفي الدين] أبو عبد الله، ابن أبي زكريا، الهرغي، المغربي الأصل، الأسواني.

قدم أبوه من بلاد المغرب، وأقام بأسوان، وبها مات سنة تسع عشرة وستمائة.

ونشأ أبو عبد الله بإخميم، واشتهر بالصلاح، واعتقد الناس بركته، ونقلت عنه كرامات عديدة.

كتب عنه الشيخ تقي الدين أبو الفتح محمد ابن دقيق العيد، وأبو بكر محمد بن عبد الباقي الخطيب، والشيخ أبو عبد الله محمد بن النعمان، وقطب الدين محمد بن أحمد ابن القسطلاني.

وذكره قطب الدين عبد الكريم الحلبي وقال في حقه: الشيخ الصالح العارف القدوة، كان من الصالحين.

وقال الكمال جعفر الأدفوي: كان يدعي أنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم ويجتمع به. ويقول: ما يبقى في النار أحد، ولا اليهود، ولا النصارى! جاءني النبي صلى الله عليه وسلم وقال لي كذا.

فبلغت مقالته بعض قضاة القضاة، فأرسل إلى قاضي إخميم أن يحضره ويعمل معه حكم الشرع.

وكان الحاكم بها ابن المطوع، وكان عاقلا فيه سياسة، فأحضره، والعوام تعتقده، وقال: يا شيخ أبا عبد الله، تائبون كلنا إلى الله تعالى؟

قال: نعم، نقول كلنا: اللهم إنا تائبون إليك.

فقال ذلك، فتركه، وكتب إلى قاضي القضاة أنه أحضره وأنه تاب. وذكر حاله وقيام العامة معه،

---

(١) طهرمس قرية من جيزة الفسطاط، قاله السمعاني وذكر إسحاق هذا بإطناب (ت ٢٥٩).

(٢) الوافي ٥/ ٢٠٨ (٢٢٧٤).." [١]

"الحسين [حربويه]. وكان جلدا. وكانت فتيا أكثر **أهل مصر** في وقته إليه، وحدث بشيء يسير.

وقال ابن الطحان: يروي عن محمد بن عمر الأندلسي، وكان من أهل الستر والتعبد.

وقال ابن حارث: كان فقيه مصر في وقته، وكانت له حلقة في جامعها، وبه يلوذ كل مالكي بها إلا قليلا. وتناظر [٢١٩ ب] عنده فقهاء من القرويين.

وكان يجلس للتفقه بجامع الفسطاط من صلاة الصبح إلى الزوال، ومن الظهر إلى العصر.

وقال الشيخ أبو إسحاق [الشيرازي في طبقات الفقهاء]: تفقه على يوسف بن يحيى المغامي (١)، وسمع منه أبو الطاهر محمد بن عبد الغني.

وقد تقلد أبو الذكر هذا قضاء مصر مرتين:

الأولى بعد أبي عبيد ابن [حربويه] [إذا] استخلفه أبو يحيى عبد الله بن إبراهيم بن مكرم البغدادي، قاضي بغداد وفلسطين والرملة ومصر من قبل المقتدر بالله. وذلك أن ابن مكرم لما تقلد القضاء [ببغداد] كتب [كتابا] إلى أبي الحسين محمد بن عبد الوهاب صاحب خراج مصر [ومدبر أمرها] وضمنه كتاب السلطان إلى أبي عبيد [بن حربويه] بالتسليم [والصرف]، وكتب أيضا إلى أربعة [من **أهل مصر**- منهم أبو جعفر الطحاوي] أن ينظروا رجلا يصلح للقضاء.

فلما ورد الكتاب بصرف أبي عبيد لم يكن في نفس أبي الحسين بن عبد الوهاب [عامل مصر] أنفس من أبي جعفر الطحاوي فأرسل إليه ودفع له الكتاب فأخذه أبو جعفر، واشتهر أمر الكتاب فأمسك أبو عبيد عن الحكم.

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٧/٢٢٩

وخشي الجماعة أن يحتوي أبو جعفر على الأمر كله ويصيروا أتباعا له، فاتفقوا على أن لا ينظر واحد منهم واجتمعوا عند أبي الحسن علان بن سليمان أحد الشهود، ونظروا من يصلح فوقع اختيارهم على أبي بكر محمد بن علي العسكري الشافعي أحد الشهود وسألوه فامتنع.

هذا وكلهم لا يريد الطحاوي، فقال لهم أبو العباس موسى بن عبد الملك: أنا أعرف لكم رجلا طوع أيديكم، فأنا أراعيه كل ليلة ينظر في حلقة المالكيين، وقد كنت عرضت عليه النظر في الأحباس فامتنع.

قالوا: من هو؟

قال: أبو الذكر التمار.

قالوا: يصلح.

وتعصبوا له لأنه لم يكن فيهم إلا مالكي، فاحتالوا على الطحاوي حتى أخذوا الكتاب منه ومضوا به إلى أبي عبيد، فلما دخلوا عليه بأبي الذكر ليتسلم منه قال له: «تسم! » فتسمى له، فقال لهم: أليس الرجل الذي طلبته منكم لقضاء أسوان فما رضيتموه؟ أتيتموني في ساعة واحدة بقاضي مصر!

ثم دعا بالديوان فسلمه إليه لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة.

فنظر في الأحكام والأموال، وتصلب في طلب الحساب من الأمناء وبالغ في ذلك، فكان من جملة المطلوبين في ذلك الفقيه أبو بكر محمد بن أحمدالحداد.

وقلق جماعة من أهل البلد بخروج القاضي أبي عبيد [بن حربويه] من القضاء والبلد وتأسفوا على فراقه فأخذوا في تشييعه. فأرسل إليهم [أبو الذكر] يمنعهم من ذلك وقال لهم: «في أيديكم أموال فسلموها! » [٢٢٠ أ] وأسمعهم المكروه. فتأخروا

---

(١) المغامي القرطبي (ت ٢٨٨): أعلام النبلاء ١٣/ ٣٣٦ (١٥٥).." (١)

" يحيى لا يحدث عنه ، وكان عبد الرحمن يحدث عنه . قال / ابن عدي : وأرجو أنه مستقيم في رواياته .

[٥٣٠] حبيب بن جحدر أخو خصيب بن جحدر - بصري . قال ابن معين : كذاب ، ليس [بشيء] . وقال أحمد : كذاب لا يكتب حديثه .

---

(١) المقفى الكبير المقريزي ٢٤٦/٧

[٥٣١] حبيب بن أبي حبيب واسمه حبيب بن رزيق الحنفي ، مصري ، أبو محمد ، كاتب مالك بن أنس يضع الحديث . قال ابن معين : أشر السماع من مالك عرض حبيب ، كان يقرأ على مالك ، فإذا انتهى إلى آخر القراءة صفح أوراقا وكتب ' بلغ ' ! وعامة سماع المصريين عرض حبيب . وفي موضع قال : ليس بشيء . ومرة قال : وكان ابن بكير قد سمع من مالك بعرض حبيب ، وهو شر العرض . وقال أحمد : ليس بثقة ، كان يحيل الحديث ويكذب ، وأثنى عليه شرا وسوءا . وقال النسائي : متروك الحديث . وقال ابن عدي : أحاديثه كلها موضوعة عن مالك وعن غيره . ومرة قال : وعامة حديث حبيب موضوع المتن مقلوب الإسناد ، ولا يحتشم في وضع الحديث على الثقات ، وأمره بين في الكذابين .

[٥٣٢] حبيب بن (حبيب) أخو حمزة ، الزيات – كوفي . حدث بأحاديث لا يرويها غيره عن الثقات . قال الترمذي : نا وهب بن زمعة عن عبد الله بن المبارك أنه ترك حديث حبيب .

". (١)

" ابن زريع وخلف بن خليفة ، وإنما ذكرته لأنه مجهول غير معروف .

[١٧٠٧] محمد بن أبي عبيدة الكوفي قال ابن معين : ليس لي به علم ولا بأبيه . وقال سهل بن عثمان : رأيته ولم أكتب عنه . وقال ابن عدي : ولابن أبي عبيدة عن أبيه عن الأعمش غرائب وإفرادات ، وهو عندي لا بأس به .

[١٧٠٨] محمد بن يحيى بن قيس المأربي قال ابن عدي : أحاديثه / مظلمة منكرة .

[١٧٠٩] محمد بن أبي الشمال العطاردي البصري عن أم طلحة عن عائشة في ' دم الحيض ' ، لا يصح – قاله البخاري . وقال ابن عدي : ومحمد هذا ليس بالمعروف ، ولم أر له من الحديث ما يتبين ضعفه من صدقه .

[١٧١٠] محمد بن أبي صالح قال [الدارمي : قلت] لابن معين : فنافع بن سليمان . . كيف حديثه ؟ قال : ثقة . قلت : يروي عن محمد بن أبي صالح ، ما حاله ؟ قال : لا أعرفه . وقال ابن عدي : وهذا الذي قاله يحيى أن محمد بن أبي صالح لا يعرفه فإن كان صاحب حديث ' الإمام ضامن ' ، فإن محمد بن أبي صالح يروي عن أبيه عن عائشة ترفعه ' الإمام ضامن ' ، (فإن علل من علل من هذا

---

(١) مختصر الكامل في الضعفاء، ص/٢٨٨

الحديث بأنه [لا يصح عن النبي [ ] ، فإن [أهل مصر رووه عن محمد بن أبي صالح عن أبيه عن عائشة ، ورواه سهيل عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ، فالذي لم يصحح هذا الحديث

". (١)

"وفي كتاب هردوشيش: بلد مصر الأدنى شرقه فلسطين، وغربه أرض ليبية، وأرض مصر الأعلى تمتد إلى ناحية الشوق، وحده في الشمال خليج الغرب، وفي الجنوب البحر المحيط، وفي الغرب مصر الأدنى، وفي الشرق بحر القلزم، وفيه من الأجناس ثمانية وعشرون جنسا.

ذكر حدود مصر وجهاتها

اعلم أن التحديد هو صفة المحدود على ما هو عليه، والحد هو نهاية الشيء، والحدود تكثر وتقل بحسب المحدود والجهات التي تحد بها المساكن. والبقاع أربع جهات وهي: جهة الشمال: التي هي إشارة إلى موضع قطب الفلك الشمالي المعروف من كواكبه الجدي، والفرقدان، ويقابل جهة الشمال الجهة الجنوبية، والجنوب عبارة: عن موضع قطب الفلك الجنوبي الذي يقرب منه سهيل، وما يتبعه من كواكب السفينة، والجهة الثالثة: جهة المشرق وهو مشرق الشمس في الاعتدالين اللذين هما رأس الحمل أول فصل الربيع، ورأس الميزان أول فصل الخريف، والجهة الرابعة: جهة المغرب وهو مغرب الشمس في الاعتدالين المذكورين، فهذه الجهات الأربع ثابتة بثبوت الفلك غير متغيرة بتغير الأوقات وبها تحد الأراضي ونحوها من المساكن، وبها يهتدي الناس في أسفارهم وبها يستخرجون سمت محاريبهم.

فالمشرق والمغرب معروفان، والشمال والجنوب جهتان مقاطعتان لجهتي المشرق والمغرب على تربيع الفلك، فالخط المار بنقطتي الشمال والجنوب يسمى: خط نصف النهار، وهو مقاطع للخط المار بنقطتي المشرق والمغرب المسمى: بخط الاستواء على زوايا قائمة، وأبعاد ما بين هذين الخطين متساوية فالمستقبل للجنوب يكون أبدا مستدبرا للشمال، ويصير المغرب عن يمينه، والمشرق عن يساره، وهذه الجهات الأربع هي التي ينسب إليها ما يحد من البلاد، والأراضي والدور إلا أن أهل مصر يستعملون في تحديدهم بدلا من الجهة الجنوبية لفظة القبلية، فيقولون الحد القبلي ينتهي إلى كذا، ولا يقولون الحد الجنوبي، وكذلك يقولون الحد البحري ينتهي إلى كذا، ويريدون بالبحري الحد الشمالي، وقد يقع في هاتين الجهتين الغلط في بعض البلاد وذلك أن البلاد التي توافق عروضها عرض مكة إذا كانت أطوالها أقل من طول مكة، فإن

(١) مختصر الكامل في الضعفاء، ص/٦٨٢

القبلة تكون في هذه البلاد نفس الشرق بخلاف التي توافق عروضها عرض مكة، إلا أن أطوالها أطول من طول مكة، فإن القبلة في هذه البلاد تكون نفس الغرب، فمن حدد في شيء من هذه البلاد أرضا أو مسكنا بحدود أربعة، فإنه يصير حدان منها حدا واحدا، وكذلك جهة البحر لما جعلوها قبالة جهة القبلة، وحددوا ما بينهما من الأراضي، والدور بما يسامتها منه، فإنهم أيضا ربما غلطوا، وذلك أن القبلة والبحر يكونان في بعض البلاد في جهة واحدة، فإذا عرفت ذلك فاعلم أن أرض مصر: لها حد يأخذ من بحر الروم ومن الإسكندرية، وزعم قوم من برقة في البر حتى ينتهي إلى ظهر الواحات، ويمتد إلى بلد النوبة، ثم يعطف على حدود النوبة في حد أسوان على حد أرض السبخة في قبلي أسوان حتى ينتهي إلى بحر القلزم، ثم يمتد على بحر القلزم ويجاوز القلزم إلى طور سينا، ويعطف على تيه بني إسرائيل مارا إلى بحر الروم في الجفار خلف العريش ورفح، ويرجع إلى الساحل مارا على بحر الروم إلى الإسكندرية، ويتصل بالحد الذي قدمت ذكره من نوحي برقة.." (١)

"وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز في رسالته المصرية: أرض مصر بأسرها واقعة في المعمورة في قسمي الإقليم الثاني، والإقليم الثالث، ومعظمها في الثالث، وحكى المعتنون بأخبارها وتواريخها أن حدها في الطول من مدينة برقة التي في جنوب البحر الرومي إلى أيلة من ساحل الخليج الخارج من بحر الحبشة والزيج والهند والصين، ومسافة ذلك قريب من أربعين يوما، وحدها في العرض من مدينة أسوان وما سامتها من الصعيد الأعلى المتآخم لأرض النوبة إلى رشيد، وما حاذاها من مساقط النيل في البحر الرومي ومسافة ذلك قريب من ثلاثين يوما، ويكتنفها في العرض إلى منتهاها جبلان أحدهما في الضفة الشرقية من النيل، وهو المقطم، والآخر في الضفة الغربية منه، والنيل متسرب فيما بينهما، وهما جبلان أجردان غير شامخين يتقاربان جدا في وضعهما من لدن أسوان إلى أن ينتهيا إلى الفسطاط، ثم يتسع ما بينهما، وينفرج قليلا، ويأخذ المقطم منهما مشرقا والآخر مغربا على وراب في مأخذيهما، وتفريج في مسلكيهما، فتتسع أرض مصر من الفسطاط إلى ساحل البحر الرومي الذي عليه الفرماء وتنيس ودمياط ورشيد والإسكندرية، فهناك تتقطع في عرضها الذي هو مسافة ما بين أوغلها في الجنوب، وأوغلها في الشمال، وإذا نظرنا بالطريق البرهانية في مقدار هذه المسافة من الأميال لم تبلغ ثلاثين ميلا، بل تنقص عنها نقصانا ما له قدر، وذلك لأن فضل ما بين عرض مدينة أسوان التي هي أوغلها في الجنوب، وعرض مدينة تنيس التي هي أوغلها في الشمال تسعة أجزاء ونحو سدس جزء وليس بين طوليها فضل له قدر يعتد به، وينوب ذلك نحو خمسمائة

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/١٧

وعشرين ميلا بالتقريب، وذلك مسافة عشرين يوما أو قريب منها وفي هذه المدة من الزمان تقطع السفار ما بين البلدين بالسير المعتدل أو كثر من ذلك لما في الطريق من التعويج وعدم الاستقامة.

وقال القضاعي: الذي يقع عليه اسم مصر من العريش إلى آخر لوبية ومراقيه وفي آخر أرض مراقيه تلقى أرض انطابلس وهي برقة، ومن العريش فصاعدا يكون ذلك مسيرة أربعين ليلة، وهو ساحل كله على البحر الرومي، وهو بحري أرض مصر، وهو مهب الشمال منها إلى القبلة شيئا ما فإذا بلغت آخر أرض مراقيه عدت ذات الشمال، واستقبلت الجنوب، وتسير في الرمل وأنت متوجه إلى القبلة يكون الرمل من مصبه عن يمينك إلى إفريقية وعن يسارك من أرض مصر إلى أرض الفيوم منها وأرض الواحات الأربعة فذلك غربي مصر، وهو ما استقبلته منه ثم تعوج من آخر أرض الواحات، وتستقبل المشرق سائرا إلى النيل تسير ثماني مراحل إلى النيل، ثم على النيل فصاعدا وهي آخر أرض الإسلام هناك، ويليها بلاد النوبة ثم ينقطع النيل فتأخذ من أسوان في المشرق منكبا عن بلد أسوان إلى عيداب ساحل البحر الحجازي، فمن أسوان إلى عيداب خمس عشرة مرحلة، وذلك كله قبلي أرض مصر ومهب الجنوب منها ثم ينقطع البحر الملح من عيداب إلى أرض الحجاز فينزل الحوراء أول أرض مصر وهي متصلة بأعراض مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا البحر المحدود: هو بحر القلزم، وهو داخل في أرض مصر بشرقيه وغربيه وبحريه فالشرقي منه أرض الحوراء وطنسه والنبك وأرض مدين وأرض أيلة فصاعدا إلى المقطم بمصر، والغربي منه ساحل عيداب إلى بحر النعام إلى المقطم، والبحري منه مدينة القلزم وجبل الطور ومن القلزم إلى الفرماء مسيرة يوم وليلة وهو الحاجز فيما بين البحرين طحر الحجاز وبحر الروم وهذا كله شرقي أرض مصر من الحوراء إلى العريش، وهو مهب الصبا منها فهذا المحدود من أرض مصر، وما كان بعد هذا من الحد الغربي، فمن فتوح أهل مصر، وثغورهم من البرقة إلى الأندلس.

ذكر بحر القلزم

القلازم: الدواهي والمضايقة ومنه بحر القلزم لأنه مضيق بين جبال، ولما كانت أرض مصر منحصرة بين بحرين هما بحر القلزم من شرقيها وبحر الروم من شماليها، وكان بحر القلزم داخلا في أرض مصر كما تقدم صار من شرط هذا الكتاب التعريف به.." (١)

"وبنى نقراوس مصر وسماها باسم أبيه مصريم وكان نقراوص جبارا له قوة، وكان مع ذلك عالما وله ائتمر الجن في هلاك بني أبيه ولم يزل مطاعا وقد كان وقع إليه من العلوم التي كان زواميل علمها لآدم عليه

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٨/١

السلام ما قهر به الجبابرة الذين كانوا قبله وملوكهم، ثم أمر حين ملك ببناء مدينة في موضع خيمته فقطعوا له الصخور من الجبال، وأثاروا معادن الرصاص وبنوا مدينة سماها: أمسوس وأقاموا فيها أعلاما طول كل لم منها: مائة ذراع وزرعوا وعمروا الأرض، ثم أمرهم ببناء المدائن، والقرى وأسكن كل ناحية من الأرض من رأى ثم حفروا النيل حتى أجروا ماءه إليهم ولم يكن قبل ذلك معتدل الجري إنما كان ينبطح ويتفرق في الأرض حتى يتوجه إلى النوبة فهندسوه وساقوا منه أنهارا إلى مواضع كثيرة من مدنهم التي بنوها، وساقوا منه نهرا إلى مدينتهم أمسوس يجري في وسطها، ثم سميت مصر بعد الطوفان بمصر بن بنصر بن حام بن نوح وذلك أن قليمون الكاهن خرج من مصر ولحق بنوح عليه السلام وآمن به هو وأهله وولده وتلامذته وركب معه في السفينة، وزوج ابنته من بنصر بن حام بن نوح فلما خرج نوح من السفينة وقسم الأرض بين أولاده، وكانت ابنة قليمون قد ولدت لبنصر ولد أسماه مصرايم، فقال قليمون لنوح: ابعث معي يا نبي الله ابني حتى أمضي به بلدي، وأظهره على كنوزي وأوقفه على علومه ورموزه فأنفذه معه في جماعة من أهل بيته وكان غلاما مرفها فلما قرب من مصر بنى له عريشا من أغصان الشجر، وستره بحشيش الأرض ثم بنى له بعد ذلك في هذا الموضع مدينة وسماها: درسان أي باب الجنة، فزرعوا وغرسوا الأشجار والأجنة من درسان إلى البحر فصارت هناك زروع وأجنة وعمارة وكان الذي مع مصرايم جبابرة فقطعوا الصخور وبنوا المعالم والمصانع وأقاموا في أرغد عيش ويقال: إن أهل مصر أقاموا عليهم مصرايم بن بنصر ملكا في أيام تالغ بن عابر بن شامخ بن أرفخشد بن سام بن نوح فملك مصر وهي مدينة منيعة على النيل وسماها باسمه ويقال: إن مصرايم غرس الأشجار بيده وكانت ثمارها عظيمة بحيث يشق الأترجة نصفين فيحمل على البعير نصفها وكان القثاء في طول أربعة عشر شبرا ويقال: إنه أول من صنع السفن بالنيل وإن أول سفينة كانت ثلثمائة ذراع طولا في عرض مائة ذراع.." (١)

"ولمصر فضائل كثيرة منها: أن الله عز وجل ذكرها في كتابه العزيز بضعا وعشرين مرة تارة بصريح الذكر وتارة إيماء. قال تعالى: " اهبطوا مصر فإن لكم ما سألتم " البقرة٦١، قال أبو محمد عبد الحق بن عطية في تفسيره: وجمهور الناس يقرؤون مصرا بالتنوين وهو خط المصاحف إلا ما حكي عن بعض مصاحف عثمان رضي الله عنه، وقال مجاهد وغيره: من صرفها أراد مصرا من الأمصار غير معين، واستدلوا بما اقتضاه القرآن من أمرهم بدخول القرية، وبما تظاهرت به الرواية أنهم سكنوا الشام بعد التيه، وقالت طائفة ممن صرفها: أراد مصر فرعون بعينها واستدلوا بما في القرآن أن الله تعالى أورث بني إسرائيل ديار

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٢/١

فرعون وآثاره، وأجازوا صرفها. قال الأخفش: لخفتها وشبهها بهند ودعد، وسيبويه لا يجير هذا. وقال غير الأخفش: أراد المكان فصرف. وقرأ الحسن وأبان بن ثعلب وغيرهما: اهبطوا مصر بترك الصرف، وكذلك هي في مصحف أبي بن كعب. وقال: هي مصر فرعون . قال الأعمش: هي مصر التي عليها صالح بن علي، وقال أشهب: قال لي مالك: هي عندي مصر قريتك مسكن فرعون، قال تعالى: " ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين " يوسف٩٩،. قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن فرقد الشيخي.

قال: خرج يوسف عليه السلام يتلقى يعقوب عليه السلام، وركب **أهل مصر** مع يوسف، وكانوا يعظمونه فلما دنا أحدهما من صاحبه وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على رجل من ولده يقال له: يهوذا فنظر يعقوب إلى الخيل، وإلى الناس، فقال: يا يهوذا هذا فرعون مصر. قال: لا، هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه قال يعقوب عليه السلام: عليك يا ذاهب الأحزان عني . هكذا قال: يا ذاهب الأحزان عني.

وقال تعالى: " وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة " يونس ٨٧،. قال الطبري عن ابن عباس وغيره: كانت بنو إسرائيل تخاف فرعون، فأمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها . قال قتادة: وذلك حين منعهم فرعون الصلاة فأمروا أن يجعلوا مساجدهم في بيوتهم وأن يوجهوا نحو القبلة، وعن مجاهد: بيوتكم قبلة قال: نحو الكعبة حين خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا في الكنائس الجامعة فأمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرا، وعن مجاهد في قوله: " أن تبوا لقومكما بمصر بيوتا " يونس٨٧، قال: مصر: الإسكندرية. وقال تعالى مخبرا عن فرعون أنه قال: " أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون " الزخرف ٥١،. قال ابن عبد الحكم، وأبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس، وغيرهما عن أبي رهم السماعي أنه قال في قوله تعالى: " أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي " الزخرف٥١، قال: ولم يكن يومئذ في الأرض ملك أعظم من ملك مصر، وكان جميع أهل الأرضيين يحتاجون إلى مصر، وأما الأنهار فكانت قناطر وجسورا بتقدير وتدبير حتى أن الماء يجري من تحت منازلها وأفنيتها فيحبسونه كيف شاءوا، فهذا ما ذكره الله سبحانه في مصر من آي الكتاب العزيز بصريح الذكر.

وأما ما وقعت إليه الإشارة فيه من الآيات فعدة.." (١)

"وقد جاء في فضل مصر أحاديث: روى عبد الله بن لهيعة من حديث عمرو بن العاص أنه قال: حدثني عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إذا فتح الله

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٨/١

عليكم بعدي مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض " قال أبو بكر رضي الله عنه: ولم ذلك يا رسول الله. قال " لأنهم في رباط إلى يوم القيامة " لما وعن عمرو بن الحمق: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم قال: " .... تكون فتنة أسلم الناس فيها أو خير الناس فيها الجند الغربي... . " قال: فلذلك قدمت عليكم مصر، وعن تبيع بن عامر الكلاعي قال: أقبلت من الصائفة فلقيت أبا موسى الأشعري رضي الله عنه فقال لي: من أين أنت. فقلت: من أهل مصر، قال: من الجند العربي. فقلت: نعم، قال: الجند الضعيف؟ قال: قلت: أهو الضعيف؟ قال: نعم، قال: أما إنه ما كادهم أحد إلا كفاهم الله مؤنته، اذهب إلى معاذ بن جبل حتى يحدثك قال: فذهبت إلى معاذ بن جبل فقال لي: ما قال لك الشيخ فأخبرته، فقال لي: وأي شيء تذهب به إلى بلادك أحسن من هذا الحديث، أكتبت في أسفل ألواحك، فلما رجعت إلى معاذ أخبرني أن بذلك أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى ابن وهب من حديث صفوان بن عسال قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ... فتح الله بابا للتوبة في الغرب عرضه سبعون عاما لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه... " . وروى ابن لهيعة من حديث عمرو بن العاص: حدثني عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " إن الله عز وجل سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لهم منكم صهرا وذمة. وروى ابن وهب قال: أخبرني حرملة بن عمران التجيبي عن عبد الرحمن بن شماسة المهري قال: سمعت أبا ذر رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " : إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة فأخرجوا منها... " . قال: فمر بربيعة وعبد الرحمن ابني شرحبيل يتنازعان في موضع لبنة فخرج منها، وفي رواية: ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فإذا افتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما أو قال: ذمة وصهرا الحديث، ورواه مالك، والليث وزاد: فاستوصوا بالقبط خيرا. أخرجه مسلم في الصحيح عن أبي الطاهر عن ابن وهب. قال ابن شهاب: وكان يقال إن أم إسماعيل منهم، قال الليث بن سعد: قلت لابن شهاب: ما رحمهم، قال: إن أم إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما منهم، وقال محمد بن إسحاق: قلت للزهري: ما الرحم التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كانت هاجر أم إسماعيل منهم، وروى ابن لهيعة من حديث أبي سالم الجيشاني: أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " إنكم ستكونون أجنادا وإن خير أجنادكم أهل الغرب منكم فاتقوا الله في القبط لا تأكلوهم أكل الخضر " ، وعن مسلم بن يسار: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " استوصوا

بالقبط خيرا فإنكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال العدو " ، وعن يزيد بن أبي حبيب: أن أبا سلمة ابن عبد الرحمن حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى عند وفاته أن تخرج اليهود من جزيرة العرب، وقال : الله الله في قبط مصر فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة، وأعوانا في سبيل الله " ، وروى ابن وهب عن موسى بن أيوب الغافقي عن رجل من الرند: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض فاغمي عليه ثم أفاق فقال: " استوصوا بالأدم الجعد " ثم أغمي عليه الثانية، ثم أفاق فقال مثل ذلك، ثم أغمي عليه الثالثة، فقال مثل ذلك، فقال القوم : لو سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأدم الجعد، فأفاق فسألوه، فقال: " قبط مصر، فإنهم أخوال، وأصهار، وهم أعوانكم على عدوكم وأعوانكم على دينكم " ، قالوا: كيف يكونون أعواننا على ديننا يا رسول الله؟ قال: " يكفونكم أعمال الدنيا وتتفرغون للعبادة فالراضي بما يؤتى إليهم كالفاعل بهم والكاره لما يؤتى إليهم من الظلم كالمتنزه عنهم " ، وعن عمرو بن حريب وأبي عبد الرحمن الحلبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إنكم ستقدمون على قوم جعد رؤوسهم فاستوصوا." (١)

"وقال عمرو بن العاص: ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة يعني إذا جمع الخراج مع الإمارة، وقال أحمد بن مدبر: تحتاج مصر إلى ثمانية وعشرين ألف ألف فدان، وإنما يعمر منها ألف ألف فدان، وقد كشفت أرض مصر، فوجدت غامرها أضعاف عامرها، ولو اشتغل السلطان بعمارتها لوفت له بخراج الدنيا. وقال بعضهم: إن خراج العراق لم يكن قط أوفر منه في أيام عمر بن عبد العزيز، فإنه بلغ ألف ألف درهم وسبعة عشر ألف ألف درهم، ولم تكن مصر قط أقل من خراجها في أيام عمرو بن العاص، وأنه بلغ اثني عشر ألف ألف دينار، وكانت الشامات بأربعة عشر ألف ألف سوى الثغور. ومن فضائل مصر: أنه ولد بها من الأنبياء موسى، وهارون، ويوشع عليهم السلام، ويقال: إن عيسى بن مريم صلوات الله عليه أخذ على سفح الجبل المقطم، وهو سائر إلى الشام، فالتفت إلى أمه وقال: يا أماه هذه مقبرة أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ويذكر أنه ولد في قرية أناس من نواحي صعيد مصر وأنه كانت به نخلة يقال: إنها النخلة المذكورة في القرآن بقوله سبحانه وتعالى: " وهزي إليك بجذع النخلة " مريم٢٥، وهذا القول وهم، فإنه لا خلاف بين علماء الأخبار من أهل الكتاب، ومن يعتمد عليه من علماء المسلمين أن عيسى صلوات الله عليه ولد بقرية بيت لحم من بيت المقدس، ودخل مصر من الأنبياء، إبراهيم خليل الرحمن، وقد ذكر خبر ذلك عند ذكر خليج القاهرة من هذا الكتاب. ودخلها أيضا يعقوب ويوسف والأسباط، وقد ذكر ذلك في خبر الفيوم،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٠/١

ودخلها أرميا، وكان من أهلها مؤمن آل فرعون الذي أثنى عليه الله جل جلاله في القرآن.

ويقال : إنه ابن فرعون لصلبه، وأظنه أنه غير صحيح، وكان منها جلساء فرعون الذين أبان الله فضيلة عقلهم بحسن مشورتهم في أمر موسى وهارون عليهما السلام، لما استشارهم فرعون في أمرهما فقال تعالى: " قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم " الشعراء ٣٤ – ٣٧، وأين هذا من قول أصحاب النمرود في إبراهيم صلوات الله عليه، حيث أشاروا بقتله قال تعالى حكاية عنهم: " قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين " الأنبياء٦٨، ومن **أهل مصر**، امرأة فرعون التي مدحها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله: " وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين " التحريم١١، ومن أهلها، ماشطة بنت فرعون وآمنت بموسى عليه السلام، فمشطها فرعون بأمشاط الحديد كما يمشط الكتان، وهي ثابتة على إيمانها بالله.

وقال صاعد اللغوي في كتاب طبقات الأمم: إن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان إنما صدرت عن هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى، وهو أول من تكلم في الجواهر العلوية، والحركات النجومية، وهو أول من ابتنى الهياكل، ومجد الله فيها، وأول من نظر في علم الطب، وألف لأهل زمانه قصائد موزونة في الأشياء الأرضية والسماوية، وقالوا: إنه أول من أنذر بالطوفان، ورأى أن آفة سماوية تصيب الأرض من الماء، والنار فخاف ذهاب العلم، واندراس الصنائع فبنى الأهرام، والبرابي التي في صعيد مصر الأعلى، وصور فيها جميع الصنائع، والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصا على تخليدها لمن بعده، وخيفة أن يذهب رسمها من العالم، وهرمس هذا هو: إدريس عليه السلام.

وقال أبو محمد الحسن بن إسماعيل بن الفرات في أخبار مصر: إن الخضر جاز البحر مع موسى عليه السلام، وكان مقدما عنده، وكان بمصر من الحكماء جماعة ممن عمرت الدنيا بكلامهم وحكمهم وتدبيرهم، وكان من علومهم علم الطب، وعلم النجوم، وعلم المساحة، وعلم الهندسة، وعلم الكيمياء، وعلم الطلسمات، ويقال: كانت مصر في الزمن الأول يسير إليها طلاب العلوم لتزكو عقولهم، وتجود أذهانهم ويتميز عندهم الذكاء وتدق الفطنة.." (١)

"ومن فضائل مصر: أنها تمير أهل الحرمين وتوسع عليهم ومصر فرضة الدنيا يحمل خيرها إلى ما سواها، فساحلها بمدينة القلزم يحمل منه إلى الحرمين واليمن والهند والصين وعمان والسند والشحر،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٤/١

وساحلها من جهة تنيس ودمياط والفرما فرضة بلاد الروم، والإفرنج، وسواحل الشام والثغور إلى حدود العراق، وثغر إسكندرية فرضة أقريطس وصقلية وبلاد المغرب، ومن جهة الصعيد يحمل إلى بلاد الغرب والنوبة والبجة والحبشة والحجاز واليمن، وبمصر عدة من الثغور المعدة للرباط في سبيل الله تعالى وهي: البراس ورشيد والإسكندرية وذات الحمام والبحيرة واخنا ودمياط وشطا وتنيس والأشتوم والفرما والواردة والعريش وأسوان وقوص والواحات، فيغزى من هذه الثغور الروم والفرنج والبربر والنوبة والحبشة والسودان. وبمصر عدة مشاهد وكثير من المساجد، وبها النيل، والأهرام والبرابي والأديار والكنائس وأهلها يستغنون بها عن كل بلد حتى أنه لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسوره لاستغنى أهلها بما فيها عن جميع البلاد. وبمصر دهن البلسان الذي عظمت منفعته، وصارت ملوك الأرض تطلبه من مصر، وتعتني به وملوك النصرانية تترامى على طلبه، والنصارى كافة تعتقد تعظيمه وترى أنه لا يتم تنصر نصراني إلا بوضع شيء من دهن البلسان في ماء المعمودية عند تغطيسه فيها، وبها السقنقور ومنافعه لا تنكر وبها النمس والعرس، ولهما في أكل الثعابين فضيلة لا تنكر فقد قيل : لولا العرس والنمس لما سكنت مصر من كثرة الثعابين، وبها السمكة الرعادة ونفعها في البرء من الحمى إذا علقت على المحموم عجيب، وبمصر حطب السنط، ولا نظير له في معناه فلو وقد منه تحت قدر يوما كاملا لما بقي منه رماد، وهو مع ذلك صلب الكسر سريع الاشتعال بطيء الخمود. ويقال: إنه أبنوس غيرته بقعة مصر فصار أحمر. وبها الأفيون عصارة الخشخاش، ولا يجهل منافعه إلا جاهل، وبها البنج وهو ثمر قدر اللوز الأخضر كان من محاسن مصر إلا أنه انقطع قبل سنة سبعمائة من الهجرة، وبها الأترج. قال أبو داود صاحب السير في كتاب الزكاة: شبرت قثاءة بمصر ثلاثة عشر شبرا، ورأيت أترجة على بعير قطعتين، وصيرت مثل عدلين. قال المسعودي في التاريخ: والأترج المدور حمل من أرض الهند بعد الثلاثمائة من سني الهجرة، وزرع بعمان، ثم نقل منها إلى البصرة والعراق والشام، حتى كثر في دور الناس بطرسوس، وغيرها من الثغور الشامية، وفي أنطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر، وما كان يعهد ولا يعرف فعدمت منه الأراهج الحمراء الطيبة، واللون الحسن الذي كان فيه بأرض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة وخاصية البلد. وفي مصر معدن الزمرد، ومعدن النفط والشب والبرام ومقاطع الرخام، ويقال: كان بمصر من المعادن ثلاثون معدنا، **وأهل مصر** يأكلون صيد بحر الروم، وصيد بحر اليمن طريا لأن بين البحرين مسافة ما بين مدينة القلزم، والفرما، وذلك يوم وليلة، وهو الحاجز المذكور في القرآن قال تعالى : " وجعل بين البحرين حاجزا " النمل ٦١، قيل: هما بحر الروم، وبحر القلزم، وقال تعالى: " مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان " الرحمن١٩. قال بعض المفسرين: البرزخ ما بين القلزم والفرما.

ومن محاسن مصر: أنه يوجد بها في كل شهر من شهور السنة القبطية صنف من المأكول والمشموم دون ما عداه من بقية الشهور فيقال : رطب توت، ورمان بابه، وموزها تور، وسمك كيهك، وماء طوبة، وخروف امشير، ولبن برمهات، وورد برمودة، ونبق بشنس، وتين بؤنة، وعسل أبيب، وعنب مسرى، ومنها: أن صيفها خريف لكثرة فواكهه وشتاءها ربيع لما يكون بمصر حينئذ من القرظ والكنان.

ومن محاسنها: أن الذي ينقطع من الفواكه في سائر البلدان أيام الشتاء يوجد حينئذ بمصر. ومنها: أن أهل مصر لا يحتاجون في حر الصيف إلى استعمال الخيش والدخول في جوف الأرض كما يعاني أهل بغداد، ولا يحتاجون في برد الشتاء إلى لبس الفرو، والاصطلاء بالنار الذي لا يستغني عنه أهل الشام. كما أنهم أيضا في الصيف غير محتاجين إلى استعمال الثلج، ويقال: زبرجد مصر، وقباطي مصر، وحمير مصر، وثعابين مصر، ومنافعها في الدرياق جليلة.." (١)

"وذكر ابن نصر المصري: أنه كان على باب القصر الكبير الذي يقال له باب الريحان عند الكنيسة المعلقة صنم من نحاس على خلقة الجمل، وعليه رجل راكب عليه عمامة منتكب قوسا عربية، وفي رجليه نعلان كانت الروم والقبط وغيرهم إذا تظالموا بينهم، واعتدى بعضهم على بعض تجاروا إليه حتى يقفوا بين يدي ذلك الجمل، فيقول المظلوم للظالم: انصفني قبل أن يخرج هذا الراكب الجمل، فيأخذ الحق لي منك شئت أم أبيت يعنون بالراكب النبي محمدا صلى الله عليه وسلم.

فلما قدم عمرو بن العاص غيبت الروم ذلك الجمل لئلا يكون شاهدا عليهم. قال ابن لهيعة: بلغني أن تلك الصورة في ذلك الموضع قد أتى الآن عليها سنين لا تدرى من عملها.

قال القضاعي: فهذه عشرون أعجوبة من جملتها ما يتضمن عدة عجائب، فلو بسطت لجاء منها عدد كثير، ويقال: ليس من بلد فيه شيء غريب إلا وفي مصر مثله أوشبيه به. ثم تفضل مصر على البلدان بعجائبها التي ليست في بلد سواها. وفي كتاب تحفة الألباب: أنه كان بمصر بيت تحت الأرض فيه رهبان من النصارى، وفي البيت سرير صغير من خشب تحت صبي ميت ملفوف في نطع أديم مشدود بحبل، وعلى السرير مثل الباطية فيها أنبوب من نحاس فيه فتيل إذا اشتعل الفتيل بالنار وصار سراجا خرج من ذلك الأنبوب الزيت الصافي الحسن الفائق حتى تمتلئ تلك الباطية، وينطفي السراج بكثرة الزيت فإذا انطفأ لم يخرج من الدهن شيء، فإذا خرج الصبي الميت من تحت السرير لم يخرج من الزيت شيء والباطية يريقها الإنسان فلا يرى تحتها شيئا، ولا موضعا فيه ثقب، وأولئك الرهبان يتعيشون من ذلك الزيت يشتريه

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٥/١

الناس منهم فينتفعون به.

وقال الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه: عديم الملك ابن تقطريم كان جبارا لا يطاق عظيم الخلق، فأمر بقطع الصخور ليعمل هرما كما عمل الأولون، وكان في وقته الملكان اللذان أهبطا من السماء، وكانا في بئر يقال له افتارة، وكانا يعلمان **أهل مصر** السحر.

وكان يقال: إن الملك عديم بن البودشير استكثر من علمهما، ثم انتقلا إلى بابل، **وأهل مصر** من القبط يقولون: إنهم شيطانان يقال لهما: مهلة وبهالة، وليس هما الملكين والملكان ببابل في بئر هناك يغشاها السحرة إلى أن تقوم الساعة. ومن ذلك الوقت عبدت الأصنام وقال قوم: كان الشيطان يظهر وينصبها لهم. وقال قوم: أول من نصبها بدوره وأول صنم أقامه صنم الشمس، وقال آخرون: بل النمرود الأول أمر الملوك بنصبها، وعبادتها وعديم أول من صلب، وذلك أن امرأة زنت برجل من أهل الصناعات، وكان لها زوج من أصحاب الملك، فأمر بصلبهما على منارين، وجعل ظهر كل واحد منهما إلى ظهر الآخر وزبر على المنارين اسمهما وما فعلاه، وتاريخ الوقت الذي عمل ذلك بهما فيه، فانتهى الناس عن الزنى وبنى أربع مداين، وأودعها صنوفا كثيرة من عجائب الأعمال والطلسمات، وكنز فيها كنوزا كثيرة وعمل في الشرق منارا وأقام على رأسه صنما موجها إلى الشرق مادا يديه يمنع دواب البحر والرمال أن تتجاوز حده، وزبر في صدره تاريخ الوقت الذي نصبه فيه ويقال: إن هذا المنار قائم إلى وقتنا هذا. ولولا هذا لغلب الماء الملح من البحر الشرقي على أرض مصر وعمل على النيل قنطرة في أول بلد النوبة، ونصب عليها أربعة أصنام موجهة إلى أربع جهات الدنيا في يدي كل واحد من الأصنام حربتان يضرب بهما إذا أتاهم آت من تلك الجهة فلم تزل بحالها إلى أن هدمها فرعون موسى عليه السلام، وعمل البربا على باب النوبة، وهو هناك إلى وقتنا هذا، وعمل في إحدى المداين الأربع التي ذكرناها حوضا من صوان أسود مملوء ماء لا ينقص طول الدهر، ولا يتغير ماؤه لأنه اجتلب إليه من رطوبة الهواء، وكان أهل تلك الناحية، وأهل تلك المدينة يشربون منه ولا ينقص ماؤه، وعمل ذلك لبعدهم عن النيل.

وذكر بعض كهنة القبط أن ذلك الماء ثم لقربه من البحر المالح فإن الشمس ترفع بحرها بخار البحر فينحصر من ذلك البخار جزء بالهندسة، أو بالسحر، وتجعله ينحط ذلك في ذلك الموضع بالجوهر مثل الظل، وتمده بالهواء فلا ينقص بذلك ماؤه على الدهر، ولو شرب منه العالم وعمل قدحا لطيفا على مثل

هذا العمل، وأهداه حوميل الملك إلى إسكندر اليوناني وملكهم عديم مائة وأربعين سنة، ومات وهو ابن سبعمائة وثلاثين سنة، ودفن في إحدى المدائن ذات العجائب وقيل: في صحراء قفط.." (١)

"قال المسعودي وقيل: إنما ينته خوفا على ولدها، وكان كثير القنص فخافت عليه سباع البر والبحر، واغتيال من جاور أرضهم من الملوك والبوادي، فحوطت الحائط من التماسيح، وغيرها. وقد قيل غير ما وصفنا. فملكتهم ثلاثين سنة في قول. قال المؤلف رحمه الله: قد بقي من حائط العجوز هذا في بلاد الصعيد بقايا. أخبرني الشيخ المعمر محمد بن المسعودي: أنه سار في بلاد الصعيد على حائط العجوز ومعه رفقة فاقتلع أحدهم منها لبنة فإذا هي كبيرة جدا تخالف المعهود الآن من اللبن في المقدار، فتناولها القوم واحدا بعد واحد يتأملونها، وبينما هم في رؤيتها إذ سقطت إلى الأرض، فانفلقت عن حبة فول في غاية الكبر الذي يتعجب منه لعدم مثله في زماننا، فقشروا ما عليها فوجدوها سالمة من السوس، والعيب، كأنها قريبة عهد بحصادها لم يتغير فيها شيء ألبتة فأكلها الجماعة قطعة قطعة. وكأنها إنما خبئت لهم من الزمن القديم، والأعصر الخالية. إنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها.

قال ابن عبد الحكم: وكان ثم عجوز ساحرة يقال لها: بدور وكانت السحرة تعظمها، وتقدمها في علمهم وسحرهم فبعثت إليها دلوكة ابنة زبا: إنا قد احتجنا إلى سحرك، وفزعنا إليك، ولا نأمن أن يطمع فينا الملوك، فاعملي لنا شيئا نغلب به من حولنا. فقد كان فرعون يحتاج إليك، فكيف وفد ذهب أكابرنا، يعني في الغرق مع فرعون موسى وبقي أقلنا، فعملت بربا من حجارة في وسط مدينة منف، وجعلت لها أربعة أبواب كل باب منها إلى جهة القبلة، والبحر والغرب والشرق، وصورت فيه صور الخيل، والبغال والحمير والسفن والرجال، وقالت لهم: قد عملت لكم عملا يهلك به كل من أرادكم من كل جهة تؤتون منها برا أو بحرا، وهذا يغنيكم عن الحصن، ويقطع عنكم مؤنة من أتاكم من كل جهة فإنهم إن كانوا في البر على خيل أو بغال أو إبل أو في سفن أو رجالة، تحركت هذه الصور من جهتهم التي يأتون منها فما فعلتم بالصور من شيء أصابهم ذلك في أنفسهم على ما تفعلون بهم. فلما بلغ الملوك حولهم أن أمرهم قد صار إلى ولاية النساء، طمعوا فيهم، وتوجهوا إليهم، فلما دنوا من عمل مصر تحركت تلك الصور التي في البربا فطفقوا لا يهيجون تلك الصور بشيء، ولا يفعلون بها شيئا إلا أصاب ذلك الجيش الذي كان أقبل إليهم مثله إن كان خيلا. فما فعلوا بتلك الخيل المصورة في البربا من قطع رؤوسها أو سوقها أو فقء عيونها أو بقر بطونها أثر مثل ذلك بالخيل التي أرادتهم، وإن كانت سفنا أو رجالة، فمثل ذلك وكانوا أعلم الناس بالسحر، وأقواهم

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٤٠

عليه وانتشر ذلك فتبادرهم الناس، وكان نساء أهل مصر حين غرق فرعون وقومه، ولم يبق إلا العبيد والأجراء لم يصبرن عن الرجال. فطفقت المرأة تعتق عبدها، وتتزوجه وتتزوج الأخرى أجيرها، وشرطن على الرجال أن لا يفعلوا شيئا إلا بإذنهن، فأجابوهن في ذلك فكان أمر النساء على الرجال.

قال يزيد بن حبيب : إن نساء القبط على ذلك إلى اليوم اتباعا لمن مضى منهم. لا يبيع أحد منهم، ولا يشتري إلا قال: استأمر امرأتي فملكتهم دلوكة بنت، زبا عشرين سنة. تدبر أمرهم بمصر حتى بلغ صبي من أبناء أكابرهم، وأشرافهم يقال له: دركون بن بلوطس، فملكوه عليهم فلم تزل مصر ممتنعة بتدبير تلك العجوز نحوا من أربعمائة سنة.

وكلما انهدم من ذلك البربا الذي صور فيه الصور لم يقدر أحد على إصلاحه إلا تلك العجوز، وولدها وولد ولدها، وكانوا أهل بيت لا يعرف ذلك غيرهم فانقطع أهل ذلك البيت، وانهدم من البربا موضع في زمان لقاس بن مرنيوس. فلم يقدر أحد على إصلاحه، ومعرفة علمه وبقي على حاله وانقطع ما كان يقهرون به الناس. وبقوا كغيرهم إلا أن الجمع كثير والمال عندهم. فلما قدم بخت نصر بيت المقدس وظهر على بني إسرائيل، وسباهم، وخرج بهم إلى أرض بابل قصد مصر، وخرب مدائنها، وقراها، وسبى جميع أهلها ولم يترك بها شيئا، حتى بقيت مصر أربعين سنة خرابا ليس فيها ساكن يجري نيلها ويذهب لا ينتفع به ثم رد أهل مصر إليها بعد أربعين سنة، فعمروها ولم تزل مقهورة من يومئذ.." (١)

"وقال بعض الحكماء: رأيت البرابي وأخذت أتأملها، فوجدتها مستحكمة على جميع أشكال الفلك، والذي ظهر لي أنه لم يعملها حكيم واحد بل تولى عملها قوم بعد قوم، حتى تكاملت في دور كامل. وهو ستة وثلاثون ألف سنة شمسية، لأن مثل هذه الأعمال لا تعمل إلا بالأرصاد، ولا يتكامل رصد المجموع في أقل من هذه المدة المذكورة، وكانوا يجعلون الكتاب حفرا، ونقرا في الصخور، ونقشا في الحجارة، وحلقة مركبة في البنيان، وربما كان الكتاب هو الحفر إذا كان متضمنا لأمر جسيم، أو عهدا لأمر عظيم، أو موعظة يرتجى نفعها أو إحياء شرف يريدون تخليد ذكره. وقد كتب غير المصريين كذلك كما كتبوا على قبة غمدان، وعلى باب القيروان، وعلى باب سمرقند، وعلى عمود مأرب، وعلى ركن المستقر، وعلى الأبلق المفرد، وعلى باب الرها، وكانوا يعمدون إلى الأماكن الشريفة، والمواضع المذكورة فيضعون الخط في أبعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس، وأجمر أن يراها من مر بها، ولا ينسى على طول الدهر.

وقال المسعودي : واتخذت دلوكة بمصر البرابي والصور وأحكمت آلات السحر، وجعلت في البرابي صور

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٨/١

من يرد من كل ناحية ودوابهم إبلا كانت أو خيلا، وصورت فيها من يرد من البحر في المراكب من بحر الغرب، والشام وجمعت في هذه البرابي العظيمة المشيدة البنيان أسرار الطبيعة، وخواص الأحجار، والنباتات والحيوانات، وجعلت ذلك في أوقات فلكية واتصالها بالمؤثرات العلوية، وكانوا إذا ورد إليهم جيش من نحو الحجاز، واليمن عورت تلك الصور التي في البربا من الإبل وغيرها فيتعور ما في ذلك الجيش وينقطع عنهم ناسه، وحيوانه وإذا كان الجيش من نحو الشام فعل في تلك الصور التي من تلك الجهة التي أقبل منها جيش الشام ما فعل بما وصفنا. فيحدث في ذلك الجيش من الآفات في ناسه وحيوانه ما صنع في تلك الصور التي من تلك الجهة، وكذلك من ورد من جيوش الغرب، ومن ورد في البحر من رومية والشام، وغير ذلك من الممالك. فهابهم الملوك والأمم ومنعوا ناحيتهم من عدوهم واتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز وإتقانها لزم أقطار المملكة وأحكامها السياسية.

وقد تكلم من سلف وخلف في هذه الخواص وأسرار الطبيعة التي كانت ببلاد مصر وهذا الخبر من فعل العجوز مستفيض لا يشكون فيه والبرابي بمصر من صعيدها وغيره باقية إلى هذا الوقت وفيها أنواع الصور مما إذا صورت في بعض الأشياء أحدثت أفعالا على حسب ما رسمت له، وصنعت من أجله على حسب قولهم في الطبائع والله أعلم بكيفية ذلك.

قال: وأخبرني غير واحد من بلاد اخميم من صعيد مصر عن أبي الفيض في النون بن إبراهيم المصري الإخميمي الزاهد: وكان حكيما وكانت له طريقة يأتيها، ونحلة يقصدها، وكان ممن يقر على أخبار هذه البرابي وامتحن كثيرا مما صور فيها ورسم عليها من الكتابة، والصور، قال: رأيت في بعض البرابي كتابا تدبرته فإذا هو: أحذر العبيد المعتقين، والأحداث والجند المتعبدين، والنبط المستعربين، ورأيت في بعضها كتابا تدبرته فإذا فيه: يقدر المقدر والقضاء يضحك. وفي آخره كتابة تثبتها في ذلك العلوم فوجدتها:

تدبر بالنجوم ولست تدري ... ورب النجم يفعل ما يريد

قال: وكانت هذه الأمة التي اتخذت هذه البرابي لهجة بالنظر في أحكام النجوم من المواظبين على معرفة أسرار الطبيعة، وكان عندها مما دلت عليه أحكام النجوم: أن طوفانا سيكون في الأرض، ولم يقطع على ذلك الطوفان ما هو؟ أنار تأتي على الأرض فتحرق ما عليها. أو ماء يغرقها، أو سيف يبيد أهلها، فخافت دثور العلوم، وفناءها بفناء أهلها، فاتخذت هذه البرابي ورسمت فيها علومها من الصور والتماثيل والكتابة، وجعلت بنيانها نوعين طينا وحجارة وفرزت ما بني بالطين مما بني بالحجارة، وقالت: إن كان هذا الطوفان نارا استحجر ما بني بالطين، وإن كان الطوفان الوارد ماء أذهب ما بنينا بالطين، ويبقى ما بني بالحجارة،

وإن كان الطوفان سيفا بقي كل من النوعين مما هو من الطين وما هو من الحجر. وهذا ما قيل، والله أعلم. إنه كان قبل الطوفان، وإن الطوفان الذي كانوا يرقبونه ولم يعينوه أنار هو أم ماء أم سيف. كان سيفا أتى على جميع أهل مصر من أمة غشيتها، وملك نزل عليها فأباد أهلها.." (١)

"ومنهم من رأى أن ذلك الطوفان كان وباء عم أهلها. ومصداق ذلك ما يوجد ببلاد تنيس من التلال المتقذرة من الناس من صغير وكبير، وذكر وأنثى، كالجبال العظام، وهي المعروفة ببلاد تنيس من أرض مصر بذات الكوم، وما يوجد ببلاد مصر، وصعيدها من الناس المنكسين بعضهم على بعض في الكهوف والغيران والنواويس، ومواضع كثيرة من الأرض لا يدرى من أي الأمم هم، فلا النصارى تخبر عنهم أنهم من أسلافهم، ولا اليهود تقول إنهم من أوائلهم ولا المسلمون يدرون من هؤلاء، ولا تاريخ ينبئ عن حالهم، وعليهم أثوابهم وكثيرا ما يوجد في تلد البرابي والجبال من حليتهم. والبرابي ببلاد مصر بنيان قاتم عجيب كالبربا التي بأخميم والتي بسمنود وغير ذلك.

ذكر الدفائن والكنوز

التي تسميها أهل مصر المطالب

الأصل في جواز تتبع الدفائن ما رواه أبو عمرو بن عبد البر والبيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما انصرف من الطائف مر بقبر أبي رغال فقال: هذا قبر أبي رغال، وهو أبو ثقيف كان إذا هلك قوم صاح في الحرم فمنعه الله. فلما خرج من الحرم رماه بقارعة، وآية ذلك أنه دفن معه عمود من ذهب فابتدر المسلمون قبره فنبشوه واستخرجوا العمود منه.

ومن حديث عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه إلى الطائف فمررنا بقبر، فقال: هذا قبر أبي رغال وكان بهذا الحرم يدفع عنه، فلما أخرج أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه عصا من ذهب إن نبشتم عليه أصبتموه معه، فابتدره الناس فأخرجوا العصا الذي كان معه. وبمصر كنوز يوسف عليه السلام، وكنوز الملوك من قبله، والملوك من بعده لأنه كان يكنز ما يفضل عن النفقات، والمؤن لنوائب الدهر، وهو قول الله عز وجل : " فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز " الشعراء٥٨، ويقال: إن علم الكنوز في كنيسة القسطنطينية نقلت إليها من طليطلة.

ويقال: إن الروم لما خرجت من الشام ومصر، اكتنزت كثيرا من أموالها في مواضع أعدتها لذلك، وكتبت

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٩/١

كتبا بأعلام مواضعها، وطرق الوصول إليها، وأودعت هذه الكتب قسطنطينية، ومنها يستفاد مجرفة ذلك، وقيل: إن الروم لم تكتب، وإنما ظفرت بكتب معالم كنوز من ملك قبلها من اليونانيين والكلدانيين، والقبط. فلما خرجوا من مصر والشام، جملوا تلك الكتب معهم، وجعلوها في الكنيسة وقيل: إنه لا يعطى من ذلك أحد حتى يخدم الكنيسة مدة. فيدفع إليه ورقة تكون حظه.

قال المسعودي: ولمصر أخبار عجيبة من الدفائن والبنيان، وما يوجد في الدفائن من بالمطالب إلى هذه الغاية وقد أتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا.

فمن أخبارها ما ذكره يحيى بن بكير قال: كان عبد العزيز بن مروان، عاملا على مصر لأخيه عبد الملك بن مروان، فأتاه رجل متنصح فسأله عن نصحه فقال: بالقبة الفلانية كنز عظيم. قال عبد العزيز: وما مصداق ذلك. قال: هو أن يظهر لنا بلاط من المرمر والرخام عند يسير من الحفر. ثم ينتهي بنا الحفر إلى باب من الصفر تحته عمود من الذهب على أعلاه ديك عيناه ياقوتتان تساويان ملك الدنيا، وجناحاه مضرجان بالياقوت، والزمرد ورأسه على صفائح من الذهب على أعلى ذلك العمود، فأمر له عبد العزيز بنفقة لأجرة من يحفر من الرجال في ذلك ويعمل فيه. وكان هناك تل عظيم، فاحتفروا حفيرة عظيمة في الأرض، والدلائل المقدم ذكرها من الرخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصا على ذلك، وأوسع في النفقة وأكثر من الرجالة، ثم انتهوا في حفرهم إلى ظهور رأس الديك، فبرق عند ظهوره لمعان عظيم. لما في عينيه من الياقوت، ثم بان جناحاه، ثم بانت قوائمه، وظهر حول العمود عمود من البنيان بأنواع الحجارة، والرخام وقناطر مقنطرة، وطاقات على أبواب معقودة، ولاحت منها تماثيل، وصور أشخاص من أنواع الصور الذهب وأجرنة من الأحجار قد أطبق عليها أغطيتها، وسبكت.." (١)

"وركب أحمد بن طولون يوما إلى الأهرام، فأتاه الحجاب بقوم عليهم ثياب صوف، ومعهم المساحي والمعاول، فسألهم عن ما يعملون فقالوا: نحن قوم نطلب المطالب، فقال لهم: لا تخرجوا بعدها إلا بمشورتي أو رجل من قبلي وأخبروه أن في سمت الأهرام مطلبا قد عجزوا عنه فضم إليهم الرافقي وتقدم إلى عامل الجيزة في إعانتهم بالرجال والنفقات، وانصرف فأقاموا مدة يعملون حتى ظهر لهم، فركب أحمد بن طولون إليهم وهم يحفرون، فكشفوا عن حوض مملوء دنانير، وعليه غطاء مكتوب عليه بالبربطية فأحضر من قرأه: فإذا فيه أنا فلان بن فلان الملك الذي ميز الذهب من غشه ودنسه فمن أراد أن يعلم فضل ملكي على ملكه فلينظر إلى فضل عيار ديناري على عيار ديناره، فإن مخلص الذهب من الغش مخلص في حياته وبعد

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/ ٥٠

وفاته، فقال أحمد بن طولون: الحمد لله أن ما نبهتني عليه هذه الكتابة أحب إلي من المال، ثم أمر لكل من القوم المطالبية بمائتي دينار منه ولكل من الصناع بخمسة دنانير بعد توفية أجرة عمله، وللرافقي بثلثمانة دينار، ولنسيم الخادم بألف دينار وحمل باقي الدنانير، فوجدها أجود من كل عيار، وشدد من حينئذ في العيار بمصر. حتى صار عيار ديناره الذي عرف بالأحمدي أجود عيار، وكان لا يطلى إلا به.

ذكر هلاك أموال أهل مصر

قال الله عز وجل: " وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيبت دعوتكما " يونس٨٨، ٨٩، هذا دعاء من موسى عليه السلام، على فرعون وقومه من أهل مصر، لكفرهم أن يهلك الله أموالهم. قال الزجاج: طمس الشيء: إذهابه عن صورته.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وعن محمد بن كعب القرظي أنهما قالا: صارت أموال أهل مصر ودراهمهم حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا، وأثلاثا وأنصافا، فلم يبق معدن إلا طمس الله عليه فلم ينتفع به أحد بعدهم. وقال قتادة: بلغنا أن أموالهم وزروعهم صارت حجارة. وقال مجاهد: وعطية أهلكها الله تعالى حتى لا ترى يقال: عين مطموسة أي ذاهبة، وطمس الموضع: إذا عفا ودرس. وقال ابن زيد: صارت دنانيرهم ودراهمهم وفرشهم وكل شيء لهم حجارة. وقال محمد بن كعب : وكان الرجل منهم يكون مع أهله وفراشه وقد صارا حجرين. قال: وقد سألني عمر بن عبد العزيز، فذكرت ذلك فدعا بخريطة أصيبت بمصر، فأخرج منها الفواكه والدراهم والدنانير وإنها لحجارة.

وقال محمد بن شهاب الزهري: دخلت على عمر بن عبد العزيز فقال : يا غلام ائتني بالخريطة. فجاء بخريطة نثر ما فيها، فإذا فيها دراهم ودنانير وتمر وجوز وعدس وفول. فقال: كل يا ابن شهاب فأهويت فإذا هو حجارة فقلت: ما هذا يا أمير المؤمنين. قال: هذا مما أصاب عبد العزيز بن مروان في مصر إذ كان عليها واليا وهو مما طمس الله عليه من أموالهم.." (١)

"وقال المضارب بن عبد الله الشامي: أخبرني من رأى النخلة بمصر مصروعة وإنها لحجر. ولقد رأيت ناسا كثيرا قياما وقعودا في أعمالهم لو رأيتهم ما شككت فيهم قبل أن تدنو منهم إنهم أناس وإنهم لحجارة. ولقد رأيت الرجل من رقيقهم وإنه لحارث على ثورين وإنه وثوريه لحجارة. ونقل وسمة بن موسى في قصص الأنبياء: أن فرعون لما هلك وقومه وآمنت بنو إسرائيل غائلته ندب موسى عليه السلام، من

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٥٢/١

نقبائه الإثني عشر نقيبين: أحدهما: كالب بن موقيا، والآخر: يوشع بن نون، مع كل واحد من سبطه اثنا عشر ألفا وأرسلهما إلى مصر. وقد خلت من حاميها لغرق أهلها مع فرعون فأخذوا ذخائر فرعون وكنوزه، وعادوا إلى موسى. فذلك توريثهم أرض مصر يعني قول الله عز وجل عن قوم فرعون: " فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم " الشعراء ٥٨، كذلك وأورثناها قوما آخرين " الدخان٢٨، وقوله تعالى: " وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها " الأعراف ١٣٧، يعني أرض مصر أورثناها بني إسرائيل لأنهم هم المستضعفون الذين كانوا فيها بدليل قوله تعالى: " ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض " القصص٥،. قال جامعه ومؤلفه رحمه الله تعالى: أخبرني داود بن رزق بن عبد الله وكانت له سياحات كثيرة بأرض مصر أنه عبر إلى واد بالقرب من القلمون بالوجه القبلي فرأى فيه مقاتات كثيرة ما بين بطيخ وقثاء وتفاح وكلها حجارة وكان قد أخبرني قديما بعض الأعيان أنه شاهد في سفره إلى البلاد من أرض مصر بطيخا كثيرا كله حجارة وكذلك البطيخ من الصنف الذي يقال له العبدلي.

ذكر أخلاق أهل مصر

وطبائعهم وأمزجتهم

قال أبو الحسن علي بن رضوان الطبيب: مصر، اسم فيما نقلت الرواة يدل على أحد أولاد نوح النبي عليه السلام، فإنهم ذكروا أن مصر هذا نزل بهذه الأرض فانسل فيها، وعمرها فسميت باسمه، والذي يدل عليه هذا الاسم اليوم هو الأرض التي يفيض عليها النيل، ويحيط بها حدود أربعة، وهي: أن الشمس تشرق على أقصى العمارة بالشرق قبل أن تغيب عن آخر العمارة بالغرب بثلاث ساعات، وثلثي ساعة. فيجب من ذلك أن تكون هذه الأرض في النصف الغربي من الربع العامر، والنصف الغربي من الربع العامر على ما قال أبقراط، وبطليموس: أقل حرارة وأكثر رطوبة من النصف الشرقي. لأنه قسم كوكب القمر، والنصف الشرقي في قسم كوكب الشمس، وذلك أن الشمس تشرق على النصف الشرقي قبل شروقها على النصف الغربي، والقمر يهل على النصف الغربي قبل النصف الشرقي.

وقد زعم قوم من القدماء أن أرض مصر في وسط الربع من المعمور من الأرض بالطبع، فأما بالقياس فعلى ما ذكرنا من أنها في النصف الغربي، والحد الثالث هو أن أول بعد هذه الأرض عن خط الاستواء في جهة الجنوب أسوان وبعدها عن خط الاستواء اثنان وعشرون درجة ونصف، فالشمس تسامت رؤوس أهلها مرتين في السنة عند كونها في آخر الجوزاء، أو في أول السرطان، وفي هذين الوقتين لا يكون للقائم بأسوان

نصف النهار ظل أصلا، فالحرارة واليبس والإحراق غالب على مزاجها لأن الشمس تنشف رطوبتها، ولذلك صارت ألوانهم سودا وشعورهم جعدة لاحتراق أرضهم.." (١)

"والحد الرابع هو : أن آخر بعد أرض مصر عن خط الاستواء في جهة الشمال طرف بحر الروم، وعليه من أرض مصر بلدان كثيرة كالإسكندرية ورشيد ودمياط وتنيس والفرما. وبعد دمياط عن خط الاستواء في الشمال أحد وثلاثون جزءا وثلث، وهذا البعد هو آخر الإقليم الثالث، وأول الإقليم الرابع. فالشمس لا تبعد عنهم كل البعد، ولا تقرب منهم كل القرب فالغالب عليهم الاعتدال مع ميل يسير إلى الحرارة فإن الموضع المعتدل على الصحة من البلدان العامة وهو أول وسط الإقليم الرابع، وأيضا فمجاورة دمياط للبحر وإحاطته بها تجعلها معتدلة بين الحر والبرد خارجة عن الاعتدال إلى الرطوبة، فيكون الغالب عليها المزاج الرطب الذي ليس بحار ولا بارد، ولذلك صارت ألوانهم سمرا وأخلاقهم سهلة وشعورهم سبطة، وإذا كان أول مصر من جهة الجنوب الغالب عليه الاحتراق وآخرها من جهة الشمال الغالب عليها الاعتدال مع ميل يسير نحو الحرارة فما بين هذين الموضعين من أرض مصر الغالب عليه الحرارة، وتكون قوة حرارته بقدر بعده من أسوان، وقربه من بحر الروم.

ومن أجل هذا قال أبقراط وجالينوس: إن المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة قال: وجبل لوقا في مشرق هذه الأرض يعوق عنها ريح الصبا، فإنه لم يوجد بفسطاط مصر صبا خالصة، لكن متى هبت الصبا عندهم، هبت نكبا بين المشرق والشمال، أو المشرق والجنوب، وهذه الرياح يابسة مانعة من العفن. وقد عدمت أهل مصر هذه الفضيلة ومن أجل ذلك صارت المواضع التي تهب فيها ريح الصبا من أرض مصر أحسن حالا من غيرها كالإسكندرية وتنيس، ويعوق أيضا هذا الجبل إشراق الشمس على أرض مصر إذا كانت على الأفق فيكون زمان لبث الشعاع على هذه الأرض أقل من الطبيعي. ومثل هذه الحال سبب لركود الهواء وغلظه.

وأرض مصر أرض كثيرة الحيوان والنبات جدا لا تكاد تجد فيها موضعا خلوا من الحيوان والنبات. وهي أرض متخلخلة فإنك تراها عند انصراف النيل بمنزلة الحمأة، فإذا حلت الحرارة ما فيها من الرطوبة تشققت شقوقا عظاما، والمواضع الكثيرة الحيوان والنبات أرض كثيرة العفونة، وقد اجتمع على أرض مصر حرارة مزاجها وكثرة ما فيها من الحيوان والنبات، فأوجب ذلك احتراقها وسواد طينها، فصارت أرضا سوداء. وما قرب منها من الجبل سبخ إما بورقي أو مالح. ويظهر من أرض مصر بالعشيات بخار أسود أو أغبر وخاصة

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٥٣/١

في أيام الصيف. وأرض مصر ذات أجزاء كثيرة ويختص كل جزء منها بشيء دون غيره، وعلة ذلك ضيق عرضها واشتمال طولها على عرض الإقليم الثاني والثالث، فإن الصعيد فيه من النخل والسنط وآجام القصب والبردي ومواضع إحراق الفحم وغير ذلك شيء كثير. والفيوم فيه من النقائع وآجام القصب ومواضع تعطين الكتان شيء كثير.

وأسفل أرض مصر فيه من النبات أنواع كثيرة كالقلقاس والموز وغير ذلك. وبالجملة، فكل بقعة من أرض مصر لها أشياء تختص بها وتتفضل عن غيرها. قال: والنيل يرطب يبس الصيف والخريف فقد استبان أن المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة والرطوبة الفصلية وإنها ذات أجزاء كثيرة. وأن هواءها وماءها رديئان، وقد بين الأوائل أن المواضع الكثيرة العفن يتحلل منها في الهواء فضول كثيرة لا تدعه يستقر على حال لاختلاف تصعدها.

وقد كان استبان أن هواء أرض مصر يسرع إليه التغير لأن الشمس لا يثبت على أرض مصر شعاعها المدة الطبيعية، فمن أجل هذين كثر اختلاف هواء أرض مصر، فصار يوجد في اليوم الواحد على حالات مختلفة مرة حر، ومرة برد، ومرة يابس، وأخرى رطب، ومرة متحرك، وأخرى ساكن، ومرة الشمس صاحية، ومرة قد سترها الغيم.." (١)

"وبالجملة هواء مصر كثير الاختلاف غير لازم لطريقة واحدة فيصير من أجل ذلك في الأوعية والعروق من أخلاط البدن لا يلزم حدا واحدا وأيضا فإن ما يتحلل كل يوم من البخار الرطب بأرض مصر يعوقه اختلاف الهواء وقلة سمك الجبال، وكثرة حرارة الأرض عن الاجتماع في الجو، فإذا برد الهواء ببرد الليل انحدر هذا البخار على وجه الأرض فيتولد عنه الضباب الذي يحدث عنه الطل والندا، وربما تحلل هذا البخار بالتحلل الخفي فإذا يتحلل كل يوم ما كان اجتمع من البخار في اليوم الذي قبله فمن أجل هذا لا يجتمع الغيم الممطر بأرض مصر إلا في الندرة. وظاهر أيضا، أن أرض مصر يترطب هواؤها في كل يوم بما يترقى إليه من البخار الرطب وما يتحلل.

وقد قال بعض الناس: أن الضباب يتكون من استحالة الهواء إلى طبيعة الماء فإذا انضاف هذا إلى ما قلناه كان أزيد في بيان سرعة تغير الهواء بأرض مصر، وكثرة العفونة فيها وقد استبان أن أرض مصر كثيرة الاختلاف كثيرة الرطوبة الفضلية التي يسرع إليها العفن. والعلة القصوى في جميع ذلك هو أن أخص الأوقات بالجفاف في الأرض كلها يكثر فيه بمصر الرطوبة لأنها تترطب في الصيف والخريف بمد النيل

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٥٤/١

وفيضه. وهذا بخلاف ما عليه البلدان الأخر.

وقد علمنا أبقراط أن رطوبة الصيف والخريف فضلية أعني: خارجة عن المجرى الطبيعي كرطوبة المطر الحادث في الصيف، ومن أجل هذه قلنا : إن رطوبة مصر فضلية، وذلك أن الحرارة واليبس هو بالحقيقة مزاج مصر الطبيعي، وإنما عرض له ما أخرجه عن اليبس إلى الرطوبة الفضلية بمد النيل في الصيف والخريف. ولذلك كثرت العفونات بهذه الأرض فهذا هو السبب الأعظم في أن صارت أرض مصر على ما هي عليه من سخافة الأرض، وكثرة العفن، ورداءة الماء، والهواء. إلا أن هذه الأشياء لا تحدث في أبدان المصريين استحالة محسوسة إذا جرت على عادتها من أجل إلف المصريين لهذه الحال، ومشاكلة أبدانهم لها، فإن كل ما يتولد بأرض مصر من الحيوان والنبات مشابه لما عليه مصر في سخافة الأبدان وضعف القوى، وكثرة التغير وسرعة الوقوع في الأمراض، وقصر المدة كالحنطة بمصر فإنها وشيكة الزوال سريع إليها العفن في المدة اليسيرة ولا مطعن أن أبدان الناس وغيرهم تخالف ما عليه الحنطة من سرعة الاستحالة، وكيف لا يكون الأمر كذلك وأبدانهم مبنية من هذه الأشياء فحال ما يتولد بأرض مصر من النبات، والحيوان في السخافة، وكثرة الفضول، والعفن وسرعة الوقوع في الأمراض كحال سخافة أرضها وعفنها، وفضولها وسرعة استحالتها لأن النسبة واحدة. ولذلك أمكن حياة الحيوان فيها ونبات النبات بها فإن هذه الأشياء من حيث ناسبتها ولم تبعد من مشاكلتها أمكن حياتها.

فأما الأشياء الغريبة فإنها إذا دخلت إلى مصر تغيرت في أول لقائها لهذا الهواء حتى إذا استقرت وألفت الهواء، واستمرت عليه صحت مشاكلة لأرض مصر.

قال: وأما جنس ما يؤكل، ويشرب بأرض مصر. فإن الغلات سريعة التغير سخيفة متخلخلة تفسد في الزمان اليسير كالحنطة والشعير والعدس والحمص والباقلاء والجلبان. فإن هذه تسوس في المدة القليلة ليس لشيء من الأغذية التي تعمل منها لذاذة ما لنظيره في البلدان الأخر. وذلك أن الخبز المعمول من الحنطة بمصر متى لبث يوما واحدا بليلته لا يؤكل وإن أكل لم يوجد له لذاذة ولا تماسك لبعضه ببعض ولا يوجد فيه علوكة، ولكنه يتكرج في الزمان اليسير وكذلك الدقيق، وهذا خلاف أخبار البلدان الأخر، وكذلك الحال في جميع غلات مصر وفواكهها، وما يعمل فيها فإنها وشيكة الزوال سريعة الاستحالة والتغير. فأما ما يحمل من هذه إلى مصر فظاهر أن مزاجها يتبدل باختلاف الهواء عليها ويستحيل عما كانت عليه إلى مشاكلة أرض مصر إلا أن ما كان حديثا قريب العهد بالسفر، فقد بقيت فيه من جودته بقايا صالحة فهذا حال الغلات.

وأما الحيوان الذي يكله الناس، فالبلدي منه مزاجه مشاكل لمزاج الناس بهذه الأراضي في السخافة وسرعة الاستحالة فهو على هذا ملائم لطبائعهم، والمجلوب كالكباش البرقية فالسفر يحدث في أبدانها قحلا ويبسا وأخلاطا لا تشاكل أخلاط **المصريين**. ولها إذا دخلت مصر مرض كثرها. فإذا استقرت زمانا صالحا تبدل مزاجها ووافق مزاج **المصريين**.." (١)

"**وأهل مصر** يشرب الجمهور منهم من ماء النيل وقد قلنا في ماء النيل ما فيه كفاية وبعضهم يشرب مياه الآبار، وهي قريبة من مشاكلتهم والمياه المخزونة فقل من يشربها بأرض مصر. وأجود الأشربة عندهم الشمسي: لأن العسل الذي فيه يحفظ قوته ولا يدعه يتغير بسرعة والزمان الذي يعمل فيه خالص الحر فهو ينضجه والزبيب الذي يعمل منه مجلوب من بلاد أجود هواء. وأما الخمر فقل من يعتصرها إلا ويلقي معها عسلا وهي معتصرة من كرومهم، فتكون مشاكلة لهم، ولهذا صاروا يختارون الشمسي عليها وما عدا الشمسي والخمر من الشراب بأرض مصر فرديء لا خير فيه لسرعة استحالته من فساد مادته، كالنبيذ التمري، والمطبوخ والمزر المعمول من الحنطة.

وأغذية **أهل مصر** مختلفة فإن أهل الصعيد يغتذون كثيرا بتمر النخل، والحلاوة المعمولة من قصب السكر، ويحملونها إلى الفسطاط وغيرها. فتباع هناك وتؤكل، وأهل أسفل الأرض يغتذون كثيرا بالقلقاس والجلبان ويحملون ذلك إلى مدينة الفسطاط وغيرها. فتباع هناك وتؤكل وكثير من **أهل مصر** يكثرون أكل السمك طريا ومالحا وكثير يكثرون أكل الألبان، وما يعمل منها وعند فلاحيهم نوع من الخبز يدعى كعكا يعمل من جريش الحنطة، ويجفف وهو أكثر أكلهم السنة كلها. وبالجملة فكل قوم قد ابتنت أبدانهم من أشياء بأعيانها وألفتها. ونشأت عليها إلا أن الغالب على **أهل مصر** الأغذية الرديئة وليست تغير مزاجهم ما دامت جارية على العادة. وهذا أيضا مما يؤكد أمرهم في السخافة وسرعة الوقوع في الأمراض. وأهل الريف أكثر حركة رياضة من أهل المدن ولذلك هم أصح أبدانا لأن الرياضة تصلب أعضاءهم، وتقويها وأهل الصعيد أخلاطهم أرق وأكثر دخانية وتخلخلا وسخافة لشدة حرارة أرضهم من أسفل الأرض، وأهل أسفل الأرض بمصر أكثر استفراغ فضولهم، بالبراز والبول لفتور حرارة أرضهم واستعمالهم للأشياء الباردة، والغليظة كالقلقاس. وأما أخلاط **المصريين** فبعضها شبيه ببعض لأن قوى النفس تابعة لمزاج البدن، وأبدانهم سخيفة سريعة التغير قليلة الصبر والجلد، وكذلك أخلاقهم يغلب عليها الاستحالة والتنقل من شيء إلى شيء والدعة والجبن والقنوط والشح وقلة الصبر والرغبة في العلم وسرعة الخوف والحسد والنميمة والكذب والسعي إلى

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٥٥

السلطان وذم الناس. وبالجملة فيغلب عليهم الشرور الدنية التي تكون من دناءة الأنفس وليس هذه الشرور عامة فيهم ولكنها موجودة في أكثرهم، ومنهم: من خصه الله بالفضل وحسن الخلق وبرأه من الشرور، ومن أجل توليد أرض مصر، الجبن والشرور الدنيئة في النفس لم تسكنها الأسد وإذا دخلت ذلت ولم تتناسل وكلابها أقل جرأة من كلاب غيرها من البلدان. وكذلك سائر ما فيها أضعف من نظيره في البلدان الأخر ما خلا ما كان منها في طبعه ملائمة لهذه الحال كالحمار والأرنب. وقال: إن جالينوس يرى أن فصل الربيع طبيعته الاعتدال، ويناقض من ظن أنه حار رطب، ومن شأن هذا الفصل أن تصح فيه الأبدان، ويجود هضمها وتنتشر الحرارة لغريزية فيه، ويصفو الروح الحيواني لاعتدال الهواء وصفائه ومساواة ليله لنهاره، وغلبة الدم والهواء المعتدل هو الذي لا يحس فيه ببرد ظاهر ولا حر ولا رطوبة ولا يبس، ويكون في نفسه صافيا نقيا فيقوى فيه الروح الحيواني لهذا السبب، وتصح الأبدان ويكثر نشاط الحيوان وتنمو الأشياء وتزيد وتتوالد. وإذا طلبنا بأرض مصر مثل هذا الهواء لم نجده في وقت من السنة إلا في امشير وبرمهات وبرمودة وبشنس، عندما تكون الشمس في النصف الأخير من الدلو والحوت والحمل والثور. فإنا نجد بمصر في هذا الزمان أياما معتدلة نقية صافية لا يحس فيها بحر ظاهر، ولا برد ولا رطوبة ولا يبوسة، وتكون الشمس فيها نقية من الغيوم، والهواء ساكنا لا يتحرك إلا أن يكون ذلك في برمودة وبشنس فإنه يحتاج إلى أن تهب ريح الشمال ليعتدل ببردها حر الشمس.." (١)

"وفي هذا الزمان تكثر حركة الحيوان وسفاده وتحسن أصواته، وتورق الأشجار ويعقد الزهر، وتقوى القوة المولدة ويغلب كيموس الدم. وهذا الفصل في أرض مصر يتقدم زمانه الطبيعي بمقدار ما ينقص عن آخره، وعلة ذلك قوة حرارة هذه الأرض، وقد يعرض في أول هذا الفصل أيام شديدة البرودة وذلك في أمشير إذا هبت ريح الشمال، وكانت الشمس غير نقية من الغيوم، وعلة ذلك دخول فصل الربيع في فصل الشتاء. فإذا هبت ريح الشمال برد ببردها الهواء، فأعادته بعد الاعتدال إلى البرد ولكثرة ما يصعد من الأرض في هذا الزمان من البخار الرطب يرطب الهواء، ويعود إلى حاله في فصل الشتاء، وربما برد الهواء من هبوب رياح أخر فإن ريح الجنوب التي هي أشد الرياح حرارة إذا هبت في هذا الزمان اكتسبت برودة من الأرض، والماء الذين قد بردهما هواء الشتاء.

فإذا مرت بشيء بردته ببرودتها العرضية حتى إذا دام هبوبها أياما كثيرة متوالية عادت إلى حرارتها، وأسخنت الهواء، وأحدثت فيه يبسا. والدليل على أن برد رياح الجنوب التي تعرفها **المصريون** بالمريسي يتولد من برد

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٥٦/١

مياه مصر، وأرضها لا بشيء طبيعي لها أنه لا يجتمع في الجو في أيام هبوبها الضباب الذي يجتمع من تحليل الحرارة للبخار الرطب بالنهار. وجمع البرودة له بالليل. فحرارة ريح الجنوب تفرق البرودة عن جمعه، وتبدده في الهواء، وإذا دام هبوب هذه الريح أسخنت الماء، والأرض وعادت إلى طبيعتها في الحرارة. وإذا كان فصل الربيع يتقدم زمانه الطبيعي، ويختلف هذا الاختلاف. والهواء في الأصل بمصر يختلف بكثرة استحالته، وما يرقى إليه من البخار فما ظنك بغيره من الفصول ولذلك كثرت فيه الرياح.

وأخر الأطباء فيه سقي الأدوية المسهلة إلى أن يستقر أمره في شمس الحمل مع الثور، ثم يدخل فصل الصيف في آخر بشنس وبؤنة وأبيب وبعض مسرى. عندما تكون الشمس في الجوزاء والسرطان والأسد وبعض السنبلة، فيشتد الحر واليبس في هذا الزمان وتجف الغلات وتنضج الثمار ويجتمع من أكلها في الأبدان كيموسات رديئة وإذا نزلت الشمس في السرطان أخذ النيل في الزيادة، والفيض على أرض مصر. فيتغير مزاج الصيف الطبيعي بكثرة ما يترقى إلى الهواء من بخار الماء، ويوجد في أول هذا الفصل عندما تكون الشمس في الجوزاء أيام يشاكل هواؤها هواء الربيع عندما تكون الشمس مستوردة بالغيوم أو تكون الريح الشمال هاوية. ولهذا يغلط كثير من الأطباء ويسقي الأدوية المسهلة في هذا الزمان، لظنه أن فصل الربيع لم يخرج إلا من كان منهم أحذق فهو يختار ما كان من هذه الأيام أسكن حرارة والأكثر لا يشعرون ألبتة بهذه الحال.

وفي آخر الصيف يكون فيض النيل فظاهر أن هذا الفصل يتقدم دخوله الزمان الطبيعي بقدر ما يتقدم آخره وأنه كثير الاضطراب بكثرة ما يرقى إليه من بخار الأرض. فلولا استمرار أبدانهم على هذا الاختلاف، ومشاكلتهم لهذه الحال لحدثت فيهم الأمراض التي ذكر أبقراط: أنها تحدث إذا كان الصيف رطبا.." (١)

"ثم يدخل فصل الخريف وطبيعته يابسة من النصف الأخير من مسرى ثم توت وبابة وبعض أيام هاتور. وتكون الشمس في آخر السنبلة والميزان والعقرب، فتكمل زيادة النيل في أول هذا الفصل ويطلق على الأرضين فيطبق أرض مصر ويرتفع منه في الجو بخار كثير، فينتقل مزاج الخريف عن اليبس إلى الرطوبة حتى أنه ربما وقع فيه الأمطار، وكثرة الغيم في الجو. ويوجد في هذا الفصل أيام شديدة الحر لأنها على الحقيقة صيفية. فإذا نقي الجو من البخار الرطب عادت إلى طبيعتها من الحرارة. وفيه أيضا أيام شديدة الشبه بأيام الربيع تكون عندما يساوي الليل النهار ويرطب الماء يبس الهواء، ويشتد في هذا الفصل اضطراب الهواء بكثرة ما يرتقى إليه من البخار الرطب، فيكون مرة حارا أو أخرى باردا ومرة يابسا، وأكثر أوقاته يغلب

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٥٧/١

عليه الرطوبة فلا يزال كذلك يتمزج حتى يغلب عليه رطوبة الماء في آخر الأمر ويصاد في أيام الخريف من النيل أسماك كثيرة جدا يولد أكلها في الأبدان أخلاطا لزجة. وكثيرا ما يستحيل إلى الصفر إذا صادفت في البدن خلطا صفراويا. فمن أجل ذلك يضطرب ما في الأبدان من الروح الحيواني، وتهيج الأخلاط، ويفسد الهضم في البطون والأوعية والعروق ويتولد من ذلك كيموسات رديئة كثيرة الأخلاط بعضها مرة صفراء وبعضها مرة سوداء وبعضها بلغم لزج وبعضها خلط خام وبعضها مرة محترقة، وكثير منها يتركب من هذه الأشياء فتثير الأمراض حتى إذا انصرف النيل في آخر الخريف، وانكشفت الأرض وبرد الهواء، وكثرت الأسماك واحتقن البخار، وكثر ما يرتفع به من الأرض من العفونة، واستحكم عند ذلك وجود العفن تزايدت الأمراض. ولولا إلف أهل مصر لهذه الأشياء لكان ما يحدث فيهم من الأمراض أكثر من ذلك.

ثم يدخل فصل الشتاء، وطبيعته باردة رطبة من النصف الآخر من هاتور ثم كيهك وطوبة، وذلك عندما تكون الشمس في القوس والجلي، وبعض الدلو ودلك أقل من ثلاثة أشهر والعلة في ذلك قوة حرارة أرض مصر، وكون الأبدان مضطربة، وتنكشف الأرض في أول هذا الفصل وتحرث وتعفن بالجملة لكثرة ما يلقي فيها من البزور وما فيها من أزبال الحيوان، وفضولها ولأنها سخيفة. وهي كالحمأة في هذا الزمان فيتولد فيها من أنواع الفار والدود والنبات والعشب وغير ذلك ما لا يحصى كثرة. وينحل منها في الجو أبخرة كثيرة حتى يصير الضباب بالغدوات ساترا للأبصار عن الألوان القريبة، ويصاد أيضا من الأسماك المحبوسة في المياه المخزونة شيء كثير، وقد داخلها العفن لقلة حركتها فيولد أكلها في الأبدان فضولا كثيرة لزجة شديدة الاستعداد للعفن فتقوي الأمراض في أول هذا الفصل. حتى إذا اشتد البرد، وقوي الهضم في الأبدان، واستقر الهواء على شيء واحد، وعادت الحرارة الغريزية إلى داخل، وتطبقت الأرض بالنبات، وسكنت عفونتها صحت عند ذلك الأبدان. وهذا يكون في آخر كيهك أو في طوبة فقد استبان أن الفصول بأرض مصر كثيرة الاختلاف وإن أردأ أوقات السنة عندهم وكثرها أمراضا هو آخر الخريف وأول الشتاء وذلك في شهر هاتور وكيهك، فإذا اختلاف الفصول مشاكل لما عليه أرضهم من الرداءة. فمضرة الفصول إذا بالأبدان في أرض مصر أقل منها في البلدان الأخر إذا اختلفت هذا الاختلاف، واستبان أيضا أن السبب الأول في ذلك هو: مد النيل في أيام الصيف، وتطبيقه الأرض في أيام الخريف بخلاف ما عليه مياه الأنهار في العمارة كلها فإنها إنما تمتد في أخص الأوقات بالرطوبة وهو الشتاء والربيع.

قال: وقد استبان مما تقدم أن الرطوبة الفضلية بأرض مصر كثيرة وظاهر أن أمراضهم البلدية تكون من نوع هذه الرطوبة. فإني أنا قلما رأيت أمراضهم البلدية تكون من نوع هذه كلها لا يشوبها في أول أمرها البلغم

والخلط الخام. والأمراض كلها تحدث عندهم في الأوقات كلها كما قال أبقراط، وأكثر أمراضهم هي الفضلية، أعني العفنة من أخلاط صفراوية وبلغمية على ما يشاكل كل مزاج أرضهم.." (١)

"وما ذكرناه فيما تقدم يوجب حدوث الأمراض كثيرا إلا أن مشاكلة هذه بعضها بعضا واتفاقها في سنة واحدة تمنع من أن تكون في أنفسها ممرضة متى لزمت العادة فأما إذا خرجت عن عادتها فهي تحدث مرضا وخروجها عن عادتها بمصر هو الذي أعلى اختلافا ممرضا لا الاختلاف الموجود فيها على الدائم، والنيل ليس يحدث في الأبدان كل سنة مرضا، ولكنه إذا أفرطت زيادته ودام مدة تزيد على العادة كان ذلك سببا لحدوث المرض الوافد. فإن قيل : إذا كانت أبدان الناس بأرض مصر من السخافة على ما ذكرت فلعلها في مرض دائم. فالجواب: لسنا نبالي بهذا كيف كان، لأن المرض هو ما يضر بالفعل ضررا محسوسا من غير توسط. فمن أجل ذلك ليس أبدان **المصريين** في مرض دائم ولكنها كثيرة الاستعداد نحو الأمراض.

قال: أما أمراض مصر البلدية فقد ذكرنا من أمرها ما فيه كفاية وظهر أن أكثرها الأمراض الفضلية التي يشوبها صفراء وخام على أن باقي الأمراض تحدث عندهم بسرعة، وقرب وخاصة في آخر الخريف وأول الشتاء.

وأما الأمراض الوافدة: ومعنى المرض الوافد: هو ما يعم خلقا كثيرا في بلد واحد وزمان واحد ومنه نوع يقال له: الموتان، وهو الذي يكثر معه الموت، وحدوث الأمراض الوافدة تكون عن أسباب كثيرة يجتمع في أجناس أربعة وهي تغير كيفية الهواء، وتغير كيفية الماء، وتغير كيفية الأغذية، وتغير كيفية الأحداث النفسانية. فالهواء تغير كيفيته على ضربين: أحدهما تغيره الذي جرت به العادة، وهذا لا يحث مرضا وافدا، وليس تغيرا ممرضا. والثاني: التغير الخارج عن مجرى العادة وهذا هو الذي يحدث المرض الوافد. وكذلك الحال في الأجناس الباقية وخروج تغير الهواء عن عادته يكون: إما بأن يسخن أكثر، أو يبرد أو يرطب، أو يجفف أو يخالطه حال عفنة، والحالة العفنة إما أن تكون قريبة أو بعيدة. فإن أبقراط وجالينوس يقولان: إنه ليس يمنع مانع من أن يحدث ببلد اليونانيين مرض وافد عن عفونة اجتمعت في بلاد الحبشة، وتراقت إلى الجو وانحدرت على اليونانيين، فأحدثت فيهم المرض الوافد.

وقد يتغير أيضا مزاج الهواء عن العادة بأن يصل وفد كثير قد أنهك أبدانهم طول السفر، وساءت أخلاطهم فيخالط الهواء منها شيء كثير، ويقع الأعداء في الناس، ويظهر المرض الوافد. والماء ضا قد يحدث المرض الوافد إما بأن يفرط مقداره في الزيادة أو النقصان، أو يخالطه حال عفنة ويضطر الناس إلى شربه، ويعفن به أيضا الهواء المحيط بأبدانهم، وهذه الحال تخالطه إما قريبا أو بعيدا بمنزلة ما يمر في جريانه بموضع خرب

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٥٨/١

قد اجتمع فيه من جيف الموتى شيء كثير، أو بمياه تقاطع عفنة فيحذرها معه ويخالط جسمه، والأغذية تحدث المرض الوافد. إما إذا لحقها اليرقان، وارتفعت أسعارها، واضطر الناس إلى أكلها، وإما إذا كثر الناس منها في وقت واحد، كالذي يكون في الأعياد فيكثر فيهم التخم، ويمرضون مرضا متشابها. وإما من قبيل فساد مرعى الحيوان الذي يؤكل، أو فساد الماء الذي يشرب، والأحداث النفسانية تحدث المرض الوافد متى حدث في الناس خوف عام من بعض الملوك فيطول سفرهم وتفكرهم في الخلاص منه، وفي وقوع البلاء، فيسوء هضمهم وتتغير حرارتهم الغريزية. وربما اضطروا إلى حركة عنيفة في هذه الحال، أو يتوقعوا قحط بعض السنين فيكثرون الحركة والاجتهاد في ادخار الأشياء، ويشتد غمهم بما سيحدث. فجميع هذه الأشياء تحدث في أبدان الناس المرض الوافد متى كان المتعرض لها خلق كثير في بلد واحد ووقت واحد. وظاهر أنه إذا كثر في وقت واحد المرضى بمدينة واحدة، ارتفع من أبدانهم بخار كثير فيتغير مزاج الهواء فإذا صادف بدنا مستعدا أمرضه، وإن كان صاحبه لم يتعرض لما يتعرض إليه الناس.." (١)

"فالأمراض الوافدة بمصر تحدث إما عن فساد لم تجر بع العادة يعرض للهواء سواء كان مادة فساده من أرض مصر، أو من البلاد التي تجاوزتها كالسودان والحجاز والشام وبرقة، أو يعرض للنيل بأن تفرط زيادته، فتكثر زيادة الرطوبة والعفن، أو تقل زيادته جدا فيجف الهواء عن مقدار العادة، ويضطر الناس إلى شرب مياه رديئة أو يخالطه عفونة تحدث عن جرب يكون بأرض مصر أو ببلاد السودان أو غيرها يموت فيها خلق كثير، ويرتفع بخار جيفهم في الهواء فيعفنه، ويتصل عفنه إليهم، أو يسيل الماء، ويحمل معه العفن، أو يغلو السعر أو يلحق الغلات آفة، أو يدخل على الكبش ونحوها مضرة أو يلحق الناس خوف عام أو قنوط. وكل واحد من هذه الأسباب يحدث في أرض مصر مرضا وافدا يكون قوته بمقدار قوة السبب المحدث له وإن كان أكثر من سبب واحد كان ذلك المرض أشد وأقوى وأسرع في القتل.

قال: فمزاج أرض مصر حار رطب بالرطوبة الفضلية، وما قرب من الجنوب بأرض مصر كان أسخن، وأقل عفنا في ماء النيل مما كان منها في الشمال، ولا سيما من كان في شمال الفسطاط. مثل أهل البشمور فإن طباعهم أغلظ، والبله عليهم أغلب، وذلك أنهم يستعملون أغذية غليظة جدا ويشربون من الماء الرديء. وأما الإسكندرية وتنيس وأمثال هذه، فقربها من البحر، وسكون الحرارة، والبرد عنهم، وظهور الصبا فيهم مما يصلح أمرهم، ويرق طباعهم، ويرفع هممهم ولا يعرض لهم ما يعرض لأهل البشمور من غلظ الطبع، والجمادية وإحاطة البحر بمدينة تنيس، توجب غلبة الرطوبة عليها ما يسر أخلاق أهلها قال: إنه لما كانت

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٥٩/١

أرض مصر، وجميع ما فيها سخيفة الأجسام سريعا إليها التغير، والعفن وجب على الطبيب أن يختار من الأغذية، والأدوية وما كان قريب العهد حديثا، لأن قوته بعد باقية عليه، لم تتغير كل التغير، وأن يجعل علاجه ملائما لما عليه الأبدان بأرض مصر، ويجتهد أن يجعل ذلك إلى الجهة المضادة أميل قليلا، ويتجنب الأدوية القوية الإسهال، وكل ما له قوة مفرطة، وإن نكاية هذه الأبدان سريعة. سيما وأن أبدان **المصريين** سريعة الوقوع في النكايات، ويختار ما يكون من الأدوية المسهلة، وغيرها ألين قوة حتى لا يكون على طبيعة **المصريين** منها كلفة، ولا يلحق أبدانهم مضرة، ولا يقدم على الأدوية الموجودة في كتب أطباء اليونانيين والفرس. فإن أكثرها عملت لأبدان قوية البنية عظيمة الأخلاط، وهذه الأشياء قلما توجد بمصر. فلذلك يجب، على الطبيب أن يتوقف في إعطاء هذه الأدوية للمرضى، ويختار ألينها وينقص عن مقدار شربها ويبدل كثيرا منها بما يقوم مقامه، ويكون ألين منه، فيتخذ السكنجبين السكري في مقام العسلي، والجلاب بدلا من ماء العسل. واعلم أن هواء مصر يعمل في المعجونات، وسائر الأدوية ضعفا في قوتها فأعمار الأدوية المفردة والمركبة المعجون منها، وغير المعجون بمصر أقصر من أعمارها في غير مصر. فيحتاج الطبيب بمصر إلى تقدير ذلك وتمييزه حتى لا يشتبه عليه شيء مما يحتاج إليه. وإذا لم يكتف في تنقية البدن بالدواء المسهل دفعة واحدة، فلا بأس بإعادته بعد أيام، فإن ذلك أحمد من إيراد الدواء الشديد القوة في دفعة واحدة. قال: ولكون أرض مصر تولد في الأجسام سخافة، وسرعة قبول للمرض وجب أن تكون الأبدان على الهيئة الفاضلة بأرض مصر قليلة جدا. فأما الأبدان الباقية فكثيرة وأن تكون الصحة التامة عندهم على الأمر الأكثر في القريبة من الهيئة الفاضلة، والطريق الأولى التي تدبر بها الأبدان في الهيئة الفاضلة يحتاج فيها بأرض مصر إلى أن يدبر الهواء، والغذاء والماء وسائر الأشياء تدبيرا يصير به في غاية الاعتدال. ولأن الهضم كثيرا ما يسوء بأرض مصر. وكذلك الروح الحيواني، فيجب صرف العناية إلى مراعاة أمر القلب والدماغ والكبد والمعدة والعروق وسائر الأعضاء الباطنة في تجويد الهضم، وإصلاح أمر الروح الحيواني وتنظيف الأوساخ الأحجة.." (١)

"وقال في شرح كتاب الأربع لبطليموس: وأما سائر أجزاء الربع الذي يميل إلى وسط جميع الأرض المسكونة أعني بلاد برقة، وسواحل البحر من مريوط إلى الإسكندرية ورشيد ودمياط وتنيس والفرما، وأسفل الأرض بمصر، ونواحي مدينة منف ومدينة الفسطاط، وما يلي شرقي النيل من صعيد مصر والفيوم إلى أعلى الصعيد مما في غرب النيل وأرض الواحات، وأرض النوبة والبجة والأرض التي على البحر في شرقي بلاد

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/ ٦٠

النوبة، والحبشة. فإن هذه البلاد موضوعة في الزاوية التي تؤثر في جميع الربع الموضوع فيما بين الدبور والجنوب. وهي من جملة النصف الغربي من الربع المعمور والكواكب الخمسة المتحيرة تشترك في تدبيرها. فصار أهلها محبين لله، ويعظمون الجن، ويحبون النوح، ويدفنون موتاهم في الأرض، ويخفونهم ويستعملون سننا مختلفة، وعادات وآراء شتى لميلهم إلى الأسرار التي تدعو كل طائفة منهم إلى أمر من الأمور الخفية، فيعتقده ويوافقه جماعة ومن أجل هذه الأسرار كان المستخرج للعلوم الدقيقة، كالهندسة والنجوم وغيرها في الزمان الأول أهل مصر، ومنهم تفرقت في العالم وإذا ساسهم غيرهم كانوا أذلاء. والغالب عليهم الجبن والاستحذاء في الكلام وإذا ساسوا غيرهم كانت أنفسهم طيبة، وهممهم كثيرة، ورجالهم يتخذون نساء كثيرة، وكذلك نساؤهم يتخذن عدة رجال. وهم منهمكون في الجماع، ورجالهم كثيرو النسل، ونساؤهم سريعات الحمل، وكثير من ذكرانهم تكون أنفسهم ضعيفة مؤنثة.

وقال أبو الصلت: وأما سكان أرض مصر فأخلاط من الناس مختلفوا الأصناف والأجناس من قبط وروم وعرب وأكراد وديلم وحبشان، وغير ذلك من الأصناف إلا أن جمهورهم قبط قالوا: والسبب في اختلاطهم تداول المالكين لها، والمتغلبين عليها من العمالقة واليونانيين والروم، وغيرهم. فلهذا اختلطت أنسابهم، واقتصروا من التعريف بأنفسهم على الإشارة إلى مواضعهم، والانتماء إلى مساقطهم فيها.

وحكى أنهم كانوا في الزمن السالف عباد أصنام ومدبري هياكل إلى أن ظهر دين النصرانية، وغلب على أرض مصر. فتنصروا وبقوا على ذلك إلى أن فتحها المسلمون، فأسلم بعضهم، وبقي بعضهم على دين النصرانية.

وأما أخلاقهم فالغالب عليها اتباع الشهوات والانهماك في اللذات والاشتغال بالترهات والتصديق بالمحالات وضعف المرائر والعزمات، ولهم خبرة بالكيد والمكر، وفيهم بالفطرة قوة عليه وتلطف فيه وهداية إليه لما في أخلاقهم من الملق والبشاشة التي أربوا فيها على من تقدم وتأخر. وخصوا بالإفراط فيها دون جميع الأمم. حتى صار أمرهم في ذلك مشهورا والمثل بهم مضروبا وفي خبثهم ومكرهم يقول أبو نواس:

محضتكم يا أهل مصر نصيحتي ... ألا فخذوا من ناصح بنصيب

رماكم أمير المؤمنين بحية ... أكول لحيات البلاد شروب

فإن يك باق أفك فرعون فيكم ... فإن عصا موسى بكف خصيب

قال مؤلفه رحمه الله تعالى: وقد مر لي قديما أن منطقة الجوزاء تسامت رؤوس أهل مصر. فلذلك يتحدثون بالأشياء قبل كونها، ويخبرون بما يكون وينذرون بالأمور المستقبلة. ولهم في هذا الباب أخبار مشهورة.

قال ابن الطوير: وقد ذكر استيلاء الفرنج على مدينة صور، فعاد الحفظ والحراسة على مدينة عسقلان فما زالت محمية بالأبدال المجردة إليها من العساكر والأساطيل. والدولة تضعف أولا فأولا باختلاف الآراء فثقلت على الأجناد وكبر أمرها عندهم، واشتغلوا عنها فضايقها الفرنج حتى أخذوها في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، ولقد سمعت رجلا قبل ذلك بسنين يحدث بهذه الأمور ويقول في سنة ثمان تؤخذ عسقلان بالأمان.

ومن هذا الباب واقعة الكنائس التي للنصارى، وذلك أنه لما كان يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، والناس في صلاة الجمعة كأنما نودي في إقليم مصر كله من قوص إلى الإسكندرية بهدم الكنائس. فهدم في تلك الساعة بهذه المسافة الكبيرة عدد كثير من الكنائس كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب، عند ذكر كنائس النصارى.." (١)

"ومن هذا الباب واقعة ألدمر وذلك: أنه خرج الأمير ألدمر أمير جندار يريد الحج من القاهرة في سنة ثلاثين وسبعمائة، وكانت فتنة بمكة قتل فيها ألدمر يوم الجمعة رابع عشر في الحجة فأشيع في هذا اليوم بعينه في القاهرة ومصر وقلعة الجبل بأن وقعة كانت بمكة قتل فيها ألدمر فطار هذا الخبر في ريف مصر واشتهر، فلم يكترث الملك الناصر محمد بن قلاوون بهذا الخبر. فلما قدم المبشرون على العادة أخبروا بالواقعة. وقتل الأمير سيف الدين ألدمر في ذلك اليوم الذي كانت الإشاعة فيه بالقاهرة. قال جامع السيرة الناصرية: كنت مع الأمير علم الدين الخازن في الغربية وقد خرج إليها كاشفا، فلما صليت أنا وهو صلاة الجمعة، وعدنا إلى البيت قدم بعض غلمانه من القاهرة فأخبرنا أنه أشيع بأن فتنة كانت بمكة، قتل فيها جماعة من الأجناد، وقتل فيها الأمير ألدمر أمير جندار. فقال له الأمير علم الدين: هل حضر أحد من الحجاز بهذا الخبر. قال: لا، فقال : ويحك، الناس ما تحضر من منى بمكة إلا ثالث يوم بعد عيد النحر، فكيف سمعتم هذا الخبر الذي لا يسمعه عاقل. فقال: قد استفيض ذلك وكان الأمر كما أشيع.

ووقع لي في شهر رمضان من شهور سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، أني مررت في الشارع بين القصرين بالقاهرة بعد العتمة فإذا العامة تتحدث بأن الملك الظاهر برقوق خرج من سجنه بالكرك واجتمع عليه الناس فضبطت ذلك، فكان اليوم الذي خرج فيه من السجن وفي هذا الباب من هذا كثير.

ومن أخلاق **أهل مصر**: قلة الغيرة وكفاك ما قصه الله سبحانه وتعالى من خبر يوسف عليه السلام ومراودة امرأة العزيز له عن نفسه، وشهادة شاهد من أهلها عليها بما بين لزوجها منها السوء، فلم يعاقبها على ذلك

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٦١/١

بسوى قوله: " استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين " يوسف٢٩،.

وقال ابن عبد الحكم: وكان نساء أهل مصر حين غرق من غرق منهم، مع فرعون ولم يبق إلا العبيد والأجراء لم يصبروا عن الرجال فطفقت المرأة تعتق عبدها، وتتزوجه. وتتزوج الأخرى أجيرها وشرطن على الرجال أن لا يفعلوا شيئا إلا بإذنهن، فأجابوهن إلى ذلك. فكان أمر النساء على الرجال.

فحدثني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب: أن نساء القبط على ذلك إلى اليوم إتباعا لمن مضى منهم لا يبيع أحدهم ولا يشتري إلا قال: استأمر امرأتي. وقال: إن فرعون لما غرق ومعه أشراف مصر. لم يبق من الرجال من يصلح للمملكة، فعد الناس في مراتبهم بنت الملك، ملكة وبنت الوزير وزيرة وبنت الوالي وبنت الحاكم على هذا الحكم، وكذلك بنات القواد، والأجناد فاستولت النساء على المملكة مدة سنين وتزوجن بالعبيد واشترطن عليهم أن الحكم والتصرف لهن. فاستمر ذلك مدة من الزمان، ولهذا صارت ألوان أهل مصر سمرا من أجل أنهم أولاد العبيد السود الذين نكحوا نساء القبط بعد الغرق، واستولدوهن. وأخبرني الأمير الفاضل الثقة ناصر الدين محمد بن محمد بن الغرابيلي الكري رحمه الله تعالى: أنه مذ سكن مصر يجد من نفسه رياضة في أخلاقه وترخصا لأهله ولينا ورقة طبع من قلة الغيرة، ومما لم نزل نسمعه دائما بين الناس إن شرب ماء النيل ينسي الغريب وطنه.." (١)

"ومن أخلاق أهل مصر الإعراض عن النظر في العواقب فلا تجدهم يدخرون عندهم زادا كما هي عادة غيرهم من سكان البلدان بل يتناولون أغذية كل يوم من الأسواق بكرة وعشيا. ومن أخلاقهم: الانهماك في الشهوات والإمعان من الملاذ وكثرة الاستهتار وعدم المبالاة قال لي شيخنا الأستاذ أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله تعالى: أهل مصر كأنما فرغوا من الحساب. وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه سأل كعب الأحبار عن طبائع البلدان، وأخلاق سكانها فقال: إن الله تعالى لما خلق الأشياء – جعل كل شيء لشيء فقال العقل: أنا لاحق بالشام، فقالت الفتنة: وأنا معك، وقال الخصب: أنا لاحق بمصر، فقال الذل: وأنا معك، وقال الشقاء: أنا لاحق بالبادية، فقالت الصحة: وأنا معك. ويقال: لما خلق الله الخلق خلق معهم عشرة أخلاق: الإيمان والحياء والنجدة والفتنة والكبر والنفاق والغنى والفقر والذل والشقاء، فقال الإيمان: أنا لاحق باليمن، فقال الحياء: وأنا معك. وقالت النجدة: أنا لاحقة بالشام، فقالت الفتنة : وأنا معك. وقال الكبر : أنا لاحق بالعراق، فقال النفاق: وأنا معك. وقال الغنى: أنا لاحق بمصر، فقال الذل: وأنا معك. وقال الفقر: أنا لاحق بالبادية، فقال الشقاء: وأنا معك.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٦٢/١

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: المكر عشرة أجزاء. تسعة منها في القبط وواحد في سائر الناس. ويقال: أربعة لا تعرف في أربعة: السخاء في الروم، والوفاء في الترك، والشجاعة في القبط، والعمر في الزنج.

ووصف ابن العربية **أهل مصر** فقال: عبيد لمن كلب. أكيس الناس صغارا، وأجلهم كبارا. وقال المسعودي: لما فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر، وغير ذلك، كتب إلى حكيم من حكماء العصر: إنا لناس عرب قد فتح الله علينا البلاد، ونريد أن نتبوأ الأرض، ونسكن البلاد، والأمصار. فصف لي المدن وأهويتها ومسا كنها وما تؤثره الترب والأهوية في سكانها. فكتب إليه: وأما أرض مصر، فأرض قوراء غوراء ديار الفراعنة، ومساكن الجبابرة ذمها أكثر من مدحها، هواؤها كدر، وحرها زائد، وشرها مائد تكدر الألوان والفطن وتركب الإحن وهي معدن الذهب والجوهر، ومغارس الغلات. غير أنها تسمن الأبدان وتسود الإنسان وتنمو فيها الأعمار وفي أهلها مكر ورياء وخبث ودهاء وخديعة. وهي بلدة مكسب ليست بلدة مسكن لترادف فتنها واتصال شرورها.

وقال عمر بن شبه: ذكر ابن عبيدة في كتاب أخبار البصرة عن كعب الأحبار: خير نساء على وجه الأرض: نساء أهل البصرة إلا ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من نساء قريش، وشر نساء على وجه الأرض: نساء **أهل مصر**. وقال عبد الله بن عمرو: لما أهبط إبليس، وضع قدمه بالبصرة، وفرخ بمصر. وقال كعب الأحبار: ومصر أرض نجسة كالمرأة العاذل يطهرها النيل كل عام.

وقال معاوية بن أبي سفيان : وجدت **أهل مصر** ثلاثة أصناف: فثلث ناس، وثلث يشبه الناس، وثلث لا ناس. فأما الثلث الذين هم الناس: فالعرب، والثلث الذين يشبهون الناس: فالموالي، والثلث الذين لا ناس: المسالمة يعني القبط.

ذكر شيء من فضائل النيل

أخرج مسلم من حديث أنس رضي الله عنه في حديث المعراج: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ثم رفعت لي سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة. قلت : ماذا يا جبريل؟ قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران. فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات. وفي التوراة: وخلق فردوسا في عدن، وجعل الإنسان فيه وأخرج منه نهران فقسمهما أربعة أجزاء: جيحون المحيط بأرض حويلا، وسيحون المحيط بأرض كوش وهو نيل مصر ودجلة الأخذ إلى العراق والفرات.

وروى ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: نيل مصر سيد الأنهار سخر الله له

كل نهر بين المشرق والمغرب، فإذا أراد الله أن يجري نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فتمده الأنهار بمائها وفجر الله له الأرض عيونا فأجرته إلى ما أراد الله عز وجل. فإذا انتهت جريته أوحى إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره.." (١)

"ومنها: أن ماء البحر يصعد أكثر من عشرين ميلا في حلق رشيد وتنيس ودمياط، كما يفعل في سائر الأودية التي تدخل المد والجزر، فلو كان النيل خاليا من الماء العذب، وصل البحر من أسوان إلى منتهى بلوغ الردع، لأن الماء يطلب بطبعه ما انخفض من الأرض وأن يكون في صفحة كرة مستوية الخطوط الخارجة من النقطة إلى المحيط متساوية.

ومنها: أنها إذا فتحت تلك الأسداد، وكسرت الخلج، وفاض النيل على بطائح أرض مصر. شعر بذلك أهل أسوان للحين، وقالوا في هذه الساعة كسرت الخلج، وفاض ماء النيل على أرض مصر، لأن ذلك يتبين لهم بتحول الماء دفعة، فلو كان سيلا وهم على أعلى المصب لقالوا: قد ارتفع المطر عن الأرض التي يسيل منها السيل.

ومنها: أن قسميه الذي يمر ببلاد الحبشة المنبعث وإياه من جبل القمر لا يفيض كمدة فيض النيل ثلاثة أشهر، ولا يقيم على وجه الأرض مدة مقامه. لكنه إذا كثر فيه السيل غمر جوانبه على قدر انبساطها، وإذا نصبت مادته أردع عليه، فلو كان فيض النيل عن السيل وهما من شعب واحد لكان شأنهما واحدا، ولا نقول: إن فيض النيل بسبب فيض البحر فقط إذ لولا كونه سيل ماء لما دخل ردع البحر إليه ولكان شاطئ ديار مصر كسائر السواحل المجاورة له. ولولا السيل السائل فيه لردمه البحر إذ عادة البحر ردم السواحل، وإنما دخل الشك على أهل مصر في أيام النيل، لأنهم لم يشاهدوا منشأه، ولا عاينوا مبدأه من جبل القمر. لأنه في موضع لا ساكن عليه، ولا تحققوا المد السنوي الرادع له، فلم يتحققوا شيئا من أمره، لأنه بعيد من أذهان العامة أن يعلموا: أن ماء البحر يعظم في أيام الصيف، لأن المعهود عندهم في البحر أن يعظم في أيام الشتاء، وطمو البحر في الشتاء إنما يكون عن الرياح الهابة عليه من أحد جانبيه، فيفيض ويخرج إلى الجانب الآخر، إلا ما كان من البحر المحيط فإنه. يتحرك أبدا من داخل البحر إلى البر.

وهو أن المحيط يطلب بطبعه أن يكون على وجه الأرض، والأرض ليست بسيطة، فهي تمانعه بما فيها من التركيب فهو يطلب أبدا أن يعلوها ويركبها ببردها. قال: والسبب في عظم المد والجزر كثرة الأشعة. فإذا زاحمت الشمس والقمر، الكواكب السيارة عظم فيض البحر، وإذا عظم فيض البحر فاضت الأنهار، وكذلك

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٦٣/١

إذا نهض القمر لمقابلة أحد السيارة ارتفع البخار، وصعد إلى كورة الزمهرير، ونزل المطر فإذا فارق القمر الكواكب ارتفع المطر لكثرة التحليل. كما يكون في نصف النهار عند توسط الشمس لرؤوس الخلق، وكما يكون عند حلول الكواكب الكبيرة على وسط خط أرين، والله تعالى أعلم بالصواب.

كال مؤلفه رحمه الله تعالى: الذي تحصل من هذا القول إن النيل مخرجه من جبل القمر. وأن زيادته إنما هي من فيض البحر عند المد فأما كون مخرجه من جبل القمر فمسلم، إذ لا نزاع في ذلك.." (١)

"وأن القبط كانت تقيس عليه إلى أن بطل ومن بعده دلوكة العجوز بنت مقياسا بانصنا، وهو صغير الذرع وآخر بأخميم وهي التي بنت الحائط المحيط بمصر. وقيل: إنهم كانوا يقيسون الماء قبل أن يوضع المقياس بالرصاصة فلم يزل المقياس فيما مضى قبل الفتح بقيسارية الأكسية ومعالمه هناك إلى أن ابتنى المسلمون بين الحصن، والبحر أبنيتهم الباقية الآن. وكان للروم أيضا مقياس بالقصر خلف الباب يمنة من دخل منه في داخل الزقاق أثره قائم إلى اليوم وقد بني عليه وحواليه.

ثم بنى عمرو بن العاص عند فتحه مصر مقياسا بأسوان ثم بنى بموضع يقال له: دندرة، ثم بنى في أيام معاوية مقياس بانصنا، فلم يزل يقاس عليه إلى أن بنى عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان وكانت منزله، وكان هذا المقياس صغير الذرع. فأما المقياس القديم الذي بنى في الجزيرة فالذي وضعه أسامة بن زيد. وقيل: إنه كسر فيه ألفي أوقية، وهو الذي بنى بيت المال بمصر. ثم كتب أسامة بن زيد التنوخي، عامل خراج مصر لسليمان بن عبد الملك ببطلانه، فكتب إليه سليمان بأن ينبي مقياسا في الجزيرة فبناه في سنة سبع وتسعين، ثم بنى المتوكل فيها مقياسا في أول سنة سبع وأربعين ومائتين في ولاية يزيد بن عبد الله التركي على مصر. وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد وأمر بأن يعزل النصارى عن قياسه، فجعل يزيد بن عبد الله التركي على المقياس أبا الرداد المعلم واسمه: عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي الرداد المؤذن. كان يقول القمي : أصله بالبصرة قدم مصر وحدث بها وجعل على قياس النيل، وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج مصر يومئذ سبعة دنانير في كل شهر فلم يزل المقياس من ذلك الوقت في يد أبي الرداد وولده إلى اليوم، وتوفي أبو الرداد سنة ست وستين ومائتين.

ثم ركب أحمد بن طولون سنة تسع وخمسين ومائتين، ومعه أبو أيوب صاحب خراجه، وبكار بن قتيبة القاضي فنظر إلى المقياس، وأمر بإصلاحه وقدر له ألف دينار فعمرو بني الحارث في الصناعة مقياسا وأثره باق لا يعتمد عليه.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٧٠/١

وقال ابن عبد الحكم: ولما فتح عمرو بن العاص مصر، أتى أهلها إلى عمرو حين دخل بؤنة من أشهر العجم، فقالوا له: أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها. فقال لهم: وما ذاك؟ قالوا: إنه إذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها، فأرضينا أبويها، وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في النيل. فقال لهم عمر: وإن هذا لا يكون في الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله، فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى، وهو لا يجري قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء، فلما رأى عمرو ذلك كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك فكتب إليه عمر: أن قد أصبت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وقد بعثت إليك ببطاقة، فألقها في داخل النيل إذا أتاك كتابي. فلما قدم الكتاب إلى عمرو فتح البطاقة فإذا فيها: من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد: فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك. فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم، وقد تهيأ **أهل مصر** للجلاء والخروج منها لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل، وأصبحوا يوم الصليب، وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا في ليله، وقطع تلك السنة السوء عن **أهل مصر**.." (١)

"وذكر بعضهم: أن جاحلا الصدفي هو الذي جاء ببطاقة عمر رضي الله عنه إلى النيل حين توقف، فجرى بإذن الله تعالى. وقال يزيد بن أبي حبيب: أن موسى عليه السلام دعا على آل فرعون، فحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء، فطلبوا إلى موسى أن يدعو الله، فدعا الله رجاء أن يؤمنوا، وذلك ليلة الصليب، فأصبحوا، وقد أجراه الله في تلك الساعة ستة عشر ذراعا، فاستجاب الله بطوله لعمر بن الخطاب كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام. قال القضاعي: ووجدت في رسالة منسوبة إلى الحسن بن محمد بن عبد المنعم، قال : لما فتحت العرب مصر عرف عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما يلقي أهلها من الغلاء عند وقوف النيل عن حده في مقياس لهم فضلا عن تقاصره، وإن فرط الاستشعار يدعوهم إلى الاحتكار، وأن الاحتكار يدعو إلى تصاعد الأسعار بغير قحط، فكتب عمر إلى عمرو يسأله عن شرح الحال، فأجابه: إني وجدت ما تروي به مصر حتى لا يقحط أهلها أربعة عشر ذراعا، والحد الذي يروى منه سائرها حتى يفضل عن حاجتهم، ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ستة عشر ذراعا، والنهايتان المخوفتان في الزيادة والنقصان وهما الظمأ والاستئجار اثنا عشر ذراعا في النقصان وثمانية عشر ذراعا في الزيادة هذا، والبلد في ذلك الوقت محفور الأنهار معقود الجسور عندما تسلموه من القبط، وخميرة العمارة فيه.

(١) المواعظ والاعتبار، ٧٣/١

فاستشار أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، عليا رضي الله عنه في ذلك فأمره أن يكتب إليه أن يبني مقياسا وأن ينقص ذراعين من اثني عشر ذراعا، وأن يمر ما بعدها على الأصل، وأن ينقص من كل ذراع بعد الستة عشر ذراعا إصبعين، ففعل ذلك، وبناه بحلوان فاجتمع له بذلك كل ما أراد من حل الإرجاف، وزوال ما منه كان يخاف بأن جعل الإثني عشر ذراعا أربع عشرة لأن كل ذراع أربع وعشرون إصبعا، فجعلها ثمانيا وعشرين من أولها إلى الإثني عشر ذراعا يكون مبلغ الزيادة على الإثني عشر ثمانيا وأربعين إصبعا وهي الذراعان، وجعل الأربع عشرة ست عشرة والست عشرة ثماني عشرة والثماني عشرة عشرين.

قال القضاعي: وفي هذا الحساب نظر في وقتنا لزيادة فساد الأنهار وانتقاض الأحوال وشاهد ذلك: أن المقاييس القديمة الصعيدية من أولها إلى آخرها أربع وعشرون إصبعا، كل ذراع، والمقاييس الإسلامية على ما ذكر منها المقياس الذي بناه أسامة بن زيد التنوخي بالجزيرة، وهو الذي هدمه الماء وبنى المأمون آخر بأسفل الأرض بالبروذات وبنى المتوكل آخر بالجزيرة، وهو الذي يقاس عليه الماء الآن وقد تقدم ذكره.

قال ابن عفير عن القبط المتقدمين إذا كان الماء في اثني عشر يوما من مسرى اثنتي عشرة ذراعا فهي سنة ماء وإلا فالماء ناقص، وإذا تم ست عشرة ذراعا قبل النوروز فالماء يتم فاعلم ذلك. وقال أبو الصلت: وأما النيل وينبوعه فهو من وراء خط الاستواء من جبل هناك يعرف بجبل القمر، فإنه يبتدئ في التز ا يد في شهر أبيب، **والمصريون** يقولون: إذا دخل أبيب كان للماء لحبيب، وعند ابتدائه في التزايد يتغير جميع كيفياته، ويفسد. والسبب في ذلك مروره بنقائع مياه آجنة يخالطها فيجتلبها معه إلى غير ذلك مما يحتمله فإذا بلغ الماء خمسة عشر ذراعا وزاد من السادس عشر إصبعا واحدا كسر الخليج، ولكسره يوم معدود، ومقام مشهود، ومجتمع خاص يحضره العام والخاص، فإذا كسر فتحت الترع وهي فوهات الخلجان ففاض الماء، وساح وغمر القيعان والبطاح، وانضم الناس إلى أعالي مساكنهم من الضياع والمنازل وهي على آكام وربا لا ينتهي الماء إليها ولا يتسلط السيل عليها، فتعود أرض مصر بأسرها عند ذلك بحرا غامرا لما بين جبليها ريثما يبلغ الحد المحدود في مشيئة الله عز وجل له، وأكثر ذلك يحوم حول ثماني عشرة ذراعا، ثم يأخذ عائدا في صبه إلى مجرى النيل ومسربه، فينضب أولا عما كان من الأرض عاليا ويصير فيما كان منها متطامنا، فيترك كل قرارة كالمرهم، ويغادر كل ملقة كالبرد المسهم.

وقال القاضي أبو الحسن علي بن محمد الماوردي في كتاب الأحكام السلطانية: وأما الذراع السوداء فهي أطول من ذراع الدور بأصبع وثلثي إصبع، وأول من وضعها أمير المؤمنين هارون الرشيد قدرها بذراع خادم

أسود كان على رأسه قائما، وهي التي تتعامل الناس بها في ذرع البز والتجارة والأبنية، وقياس نيل مصر.." (١)

"وأكثر ما وجد في القياس من النقصان سنة سبع وتسعين ومائة وجد في المقياس تسعة أذرع وأحد وعشرون إصبعا. وأقل ما وجد منه سنة خمس وستين ومائة فإنه وجد فيه ذراع واحد وعشر أصابع، وكثر ما بلغ في الزيادة سنة تسع وتسعين ومائة فإنه بلغ ثمانية عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعا، وأقل ما كان في سنة ست وخمسين وثلثمائة الهلالية فإنه بلغ اثني عشر ذراعا وتسع عشرة إصبعا، وهي أيام كافور الإخشيدي. والمقياس عمود رخام أبيض مثمن في موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه إليه، وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعا، كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسما متساوية تعرف بالأصابع ما عدا الإثني عشر ذراعا الأولى، فإنها مفصلة على ثمان وعشرين إصبعا كل ذراع.

وقال المسعودي: قالت الهند: زيادة النيل ونقصانه بالسيول ونحن نعرف ذلك بتوالي الأنواء وكثرة الأمطار.

وقالت الروم: لم يزد قط ولم ينقص وإنما زيادته، ونقصانه من عيون كثرت واتصلت.

وقالت القبط: زيادته ونقصانه من عيون في شاطئه يراها من سافر ولحق بأعاليه. وقيل: لم يزد قط وإنما زيادته بريح الشمال إذا كثرت، واتصلت تحبسه، فيفيض على وجه ا لأرض.

وقال قوم: سبب زيادته هبوب ريح تسمى ريح الملتن، وذلك أنها تحمل السحاب الماطر من خلف خط الاستواء فيمطر ببلاد السودان، والحبشة، والنوبة فيأتي مدده إلى أرض مصر بزيادة النيل، ومع ذلك فإن البحر الملح يقف ماؤه على وجه النيل، فيتوقف حتى يروي البلاد وفي ذلك يقول:

فاسمع فللسامع أعلى يدا ... عندي وأسمى من يد المحسن

فالنيل ذو فضل ولكنه ... الشكر في ذلك للملتن

ويبتدئ النيل بالتنفس، والزيادة بقية بؤنة وهو حزيران، وأبيب وهو تموز، ومسرى وهو آب، فإذا كان الماء زائدا زاد شهر توت كله، وهو أيلول إلى انقضائه. فإذا انتهت الزيادة إلى الذراع الثامن عشرة ففيه تمام الخراج وخصب الأرض وهو ضار بالبهائم لعدم ،الرعي والكلا.

وأتم الزيادات كلها العامة النفع للبلد كله سبعة عشر ذراعا وفي ذلك كفايتها وري جميع أرضها، وإذا زاد على ذلك، وبلغ ثمانية عشر ذراعا، وغلقها استبحر من أرض مصر الربع. وفي ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا من الاستبحار، وإذا كانت الزيادة على ثمانية عشر ذراعا كانت العاقبة في انصرافه حدوث وباء وأكثر

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٧٤/١

الزيادات ثمان عشرة ذراعا.

وقد بلغ في خلافة عمر بن عبد العزيز اثني عشر ذراعا، ومساحة الذراع إلى أن يبلغ اثنتي عشرة ذراعا، ثمان وعشرون أصبعا، ومن اثنتي عشرة ذراعا إلى ما فوق ذلك يكون الذراع أربعا وعشرين إصبعا، وأقل ما يبقى في قاع المقياس من الماء ثلاثة أذرع، وفي تلك السنة يكون الماء قليلا، والأذرع التي يستسقى عليها بمصر هي ذراعان تسميان منكرا ونكيرا، وهي الذراع الثالث عشر، والذراع الرابع عشر، فإذا انصرف الماء عن هذين الذراعين وزيادة نصف ذراع من الخمس عشرة استسقى الناس بمصر. فكان الضرر الشامل لكل البلدان، وإذا تم خمس عشرة ودخل في ست عشرة ذراعا كان فيه صلاح لبعض الناس، ولا يستسقى فيه وكان ذلك نقصا من خراج السلطان، والنبيذ يتخذ بمصر من ماء طوبة، وهو كانون الثاني بعد الغطاس، وهو لعشرة تمضي من طوبة، وأصفى ما يكون ماء النيل في ذلك الوقت، **وأهل مصر** يفتخرون بصفاء ماء النيل في هذا الوقت، وفيه يخزن الماء أهل تنيس ودمياط وتونة وسائر قرى البحيرة.

وقد كانت مصر كلها تروي من ست عشرة ذراعا، غامرها وعامرها لما أحكموا من جسورها وبناء قناطرها، وتنقية خلجانها، وكان الماء إذا بلغ في زيادته تسع أذرع، دخل خليج المنهي، وخليج الفيوم، وخليج سردوس، وخليج سخا.." (١)

"قال: والمعمول عليه في وقتنا هذا، وهو سنة خمس وأربعين وثلثمائة إنه إن زاد على الستة عشر ذراعا أو نقص عنها نقص من خراج السلطان، وقد تغير في زماننا هذا عامة ما تقدم ذكره لفساد حال الجسور والترع والخلجان وقانون اليوم: أنه يزيد في القيظ إذا حلت الشمس برج السرطان والأسد والسنبلة حين تنقص عامة الأنهار التي في المعمور، ولذلك قيل: إن الأنهار تمده بمائها عند غيضها، فتكون زيادته وتبتدئ الزيادة من خامس بؤنة، وتظهر في ثاني عشره، وأول دفعه في الثاني من أبيب وتنتهي زيادته في ثامن بابه، ويؤخذ في النقصان من العشرين منه. فتكون مدة زيادته من ابتدائها إلى أن ينقص ثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوما. وهي: أبيب ومسرى وتوت وعشرون يوما من بابه، ومدة مكثه بعد انتهاء زيادته اثنا عشر يوما ثم يأخذ في النقصان.

ومن العادة أن ينادى عليه دائما في اليوم السابع والعشرين من بؤنة بعدما يؤخذ قاعه، وهو ما بقي من الماء القديم في ثالث عشر بؤنة، وبفتح الخليج الكبير إذا أكمل الماء ستة عشر ذراعا وأدركت الناس يقولون: نعوذ بالله من إصبع من عشرين وكنا نعهد الماء إذا بلغ أصابع من عشرين ذراعا فاض ماء النيل، وغرق

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٧٥/١

الضياع والبساتين وفارت البلاليع، وها نحن في زمن منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة إذا بلغ الماء في سنة إصبعا من عشرين لا يعم الأرض كلها لما قد فسد من الجسور، وكان إلى ما بعد الخمسمائة من الهجرة قانون النيل ستة عشر ذراعا في مقياس الجزيرة، وهي في الحقيقة ثمانية عشر ذراعا، وكانوا يقولون: إذا زاد على ذلك ذراعا واحدة، زاد خراج مصر مائة ألف دينار لما يروي من الأراضي العالية، فإن بلغ ثمانية عشر ذراعا كانت الغاية القصوى، فإن الثمانية عشر ذراعا في مقياس الجزيرة اثنان وعشرون ذراعا في الصعيد الأعلى، فإن زاد على الثمانية عشر ذراعا واحدا نقص من الخراج مائة ألف دينار لما يستبحر من الأرض المنخفضة.

قال ابن ميسر في حوادث سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وفيها بلغت زيادة ماء النيل تسعة عشر ذراعا وأربعة أصابع، وبلغ الماء الباب الجديد أول الشارع خارج القاهرة، وكان الناس يتوجهون إلى القاهرة من مصر من ناحية المقابر، فلما بلغ الخليفة الحافظ لدين الله أبا الميمون عبد المجيد بن محمد أن الماء وصل إلى الباب الجديد أظهر الحزن، والانقطاع فدخل إليه بعض خواصه، وسأله عن السبب، فأخرج له كتابا فإذا فيه: إذا وصل الماء بالباب الجديد انتقل الإمام عبد المجيد، ثم قال: هذا الكتاب الذي تعلم منه أحوالنا وأحوال دولتنا، وما يأتي بعدها فمرض الحافظ في آخر هذه السنة، ومات في أول سنة أربع وأربعين وخمسمائة. وقال القاضي الفاضل: في متجددات سنة ست وسبعين وخمسمائة وفي يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر ربيع الأول، وهو السادس عشر من مسرى. وفي النيل على ستة عشر ذراعا، وهو الوفاء ولا يعرف وفاؤه بهذا التاريخ في زمن متقدم، وهذا أيضا مما تغير فيه قانون النيل في زماننا فإنه صار يوفي في أوائل مسرى ولقد كان الوفاء في سنة اثنتي عشرة، وثمانمائة في اليوم التاسع والعشرين من أبيب قبل مسرى بيوم، وهذا من أعجب ما يؤرخ في زيادات النيل، واتفق أن في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة تسع وسبعمائة، وفي النيل وكان ذلك اليوم التاسع عشر من بابه بعد النوروز بتسعة وأربعين يوما. قال: وفي تاسع عشرة يعني شوال سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة. كسر بحر أبي المنجى وباشر الملك العزيز عثمان كسره وزاد النيل فيه إصبعا وهي الأصبع الثامنة عشرة من ثمان عشرة ذراعا، وهذا الحد يسمى عند **أهل مصر** اللجة الكبرى. فانظر كيف يسمي القاضي الفاضل هذا القمر اللجة الكبرى، وإنه والعياذ بالله لو بلغ ماء النيل في سنة هذا القمر فقط لحل بالبلاد غلاء يخاف منه أن يهلك فيه الناس، وما ذاك إلا لما أهمل من عمل الجسورة ويحصل **لأهل مصر** بوفاء النيل ست عشرة ذراعا فرح عظيم، فإن ذلك

كان قانون الري في القديم واستمر ذلك إلى يومنا هذا. ويتخذ ذلك البوم عيدا يركب فيه السلطان بعساكره، وينزل في المراكب لتخليق المقياس.." (١)

"وقد ذكرنا ما كان في الدولة الفاطمية من الاهتمام بفتح الخليج عند ذكر مناظر اللؤلؤة. وقال بعض المفسرين رحمهم الله تعالى: إن يوم الوفا هو اليوم الذي وعد فرعون موسى عليه السلام بالاجتماع في قوله تعالى: " قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى " طه٥٩.

وقد جرت العادة أن اجتماع الناس للتخليق يكون في هذا الوقت. ومن أحسن السياسات في أمر النداء على النيل ما حكاه الفقيه ابن زولاق في سيرة المعز لدين الله قال : وفي هذا الشهر، يعني شوال، سنة اثنتين وستين وثلثمائة منع المعز لدين الله من النداء بزيادة النيل، وأن لا يكتب بذلك إلا إليه، وإلى القائد جوهر، فلما تم أباح النداء، يعني لما تم ست عشرة ذراعا، وكسر الخليج فتأمل ما أبدع هذه السياسة، فإن الناس دائما إذا توقف النيل في أيام زيادته، أو زاد قليلا يقلقون، ويحدثون أنفسهم بعدم طلوع النيل، فيقبضون أيديهم على الغلال، ويمتنعون من بيعها رجاء ارتفاع السعر، ويجتهد من عنده مال في خزن الغلة، إما لطلب السعر، أو لطلب ادخار قوت عياله، فيحدث بهذا الغلاء. فإن زاد الماء انحل السعر وإلا كان الجدب والقحط ففي كتمان الزيادة عن العامة أعظم فائدة، وأجل عائدة.

وقال المسبحي في تاريخ مصر : وخرج أمر صاحب القصر إلى ابن حيران بتحرير ما يستفتح به القياسون كلامهم إذا نادوا على النيل، فقال: نعم لا تحصى من خزائن الله لا تفنى زاد الله في النيل المبارك كذا، ومن عادة نيل مصر إذا كان عند ابتداء زيادته اخضر ماؤه، فتقول عامة أهل مصر: قد توحم النيل، ويرون أن الشرب منه حينئذ مضر. ويقال في سبب اخضراره: إن الوحوش سيما الفيلة ترد البطيحات التي في أعالي النيل، وتستنقع فيها مع كثرة عددها لشدة الحر هناك، فيتغير ماء تلك البطيحات، فإذا وقع المطر في الجهة الجنوبية في أوقاته عندهم تكاثرت السيول حينئذ في البطيحات، فخرج ما كان فيها من الماء الذي قد تغير، ومر إلى مصر، وجاء عقيبه الماء الجديد، وهو الزيادة بمصر وحينئذ يكون الماء محمرا لما يخالطه من الطين الذي تأتي به السيول فإذا تناهت زيادته غشي أرض مصر، فتصير القرى التي في الأقاليم فوق التلال والروابي، وقد أحاط بها الماء، فلا يتوصل إليها إلا في المراكب، أو من فوق الجسور الممتدة التي يصرف عليها إذا عملت كما ينبغي ربع الخراج ليحفظ عند ذلك ماء النيل حتى ينتهي ري كل مكان إلى الحد المحتاج إليه، فإذا تكامل ري ناحية من النواحي قطع أهلها الجسور المحيطة بها من أمكنة

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٧٦/١

معروفة عند خولة البلاد، ومشايخها في أوقات محدودة لا تتقدم، ولا تتأخر عن أوقاتها المعتادة على حسب ما يشهد به قوانين كل ناحية من النواحي، فتروى كل جهة مما يليها مع ما يجتمع فيها من الماء المختص، ولولا إتقان ما هنالك من الجسور، وحفر الترع والخلجان لقل الانتفاع بماء النيل كما قد جرى في زماننا هذا. وقد حكى أنه كان يرصد لعمارة جسور أراضي مصر في كل سنة ثلث الخراج لعنايتهم في القديم بها من أجل أنه يترتب على عملها ري البلاد الذي به مصالح العباد، وستقف إن شاء الله تعالى عن قريب على ما كان من أعمال القدماء، ومن بعدهم في ذلك، وكان للمقياس في الدولة الفاطمية رسوم لكنس مجاري الماء خمسون دينارا في كل سنة تطلق لابن أبي الرداد،

ذكر الجسر الذي كان يعبر عليه في النيل

اعلم أنه كان في النيل جسر من سفن فيما بين الفسطاط والجزيرة التي تعرف اليوم: بالروضة، وكان فيما بين الجزيرة، والجيزة أيضا جسر في كل جسر منهما ثلاثون سفينة.

ذكر ما قيل في ماء النيل من مدح وذم." (١)

"قال أبو بكر ابن وحشية في كتاب الفلاحة النبطية: وأما ماء النيل فمخرجه من جبال وراء بلاد السودان يقال لها جبال القمر، وحلاوته وزيادته يدلان على موقعه من الشمس أنها أحرقته لا كل الإحراق، بل أسخنته إسخانا طويلا لينا لا تزعجه الحرارة، ولا تقوى عليه بحيث تبدد أجزاءه الرطبة وتبقى أجزاءه الراسخة، بل يعتدل عليه فصار ماؤه لذلك حلوا جدا، وصار كثرة شربه يعفن البدن، ويحدث البثور، والدماميل والقروح، وصار **أهل مصر** - الشاربون منه دمويين محتاجين إلى استفراغ الدم عن أبدانهم في كل مدة قصيرة، فمن كان عالما منهم بالطبيعة، فهو يحسن مداواة نفسه حتى يدفع عن جسمه ضرر ماء النيل، وإلا فهو يقع فيما ذكرنا من العفونات وانتشار البثر والدماميل.

وذلك أن هذا الماء ناقص البرد عن سائر المياه قد صير له الطبخ قواما هو أثخن من قوام الماء، فصار إذا خالط الطعام في الأبدان كثر فيها الفضول الردية العفنة، فيحدث من ذلك ما ذكرناه. ودواء **أهل مصر** الذي يدفع عنهم ضرر ماء النيل، إدمان شرب ربوب الفاكهة الحامضة القابضة، وأخذ الأدوية المستفرغة للفضول ولو زادت حرارة الشمس على ماء النيل، وطال طبخها له لصار مالحا بمنزلة ماء البحار الراكدة التي لا حركة لها إلا وقت جزر البحر، وهبوب الرياح، وهو أوفق للزروع والمنابت من الحيوان.

وقال ابن رضوان : والنيل يمر بأمم كثيرة من السودان، ثم يصير إلى أرض مصر، وقد غسل ما في بلاد

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٧٧/١

السودان من العفونات، والأوساخ ويشق مارا بوسط أرض مصر من الجنوب إلى الشمال إلى أن يصب في بحر الروم. ومبدأ زيادته في فصل الصيف، وتنتهي زيادته في فصل الخريف، ويرتقي في الجو منه في أوقات مدة رطوبات كثيرة بالتحلل الخفي، فيرطب ذلك يبس الصيف، والخريف، وإذا مد النهر فاض على أرض مصر فغسل ما فيها من الأوساخ نحو جيف الحيوانات، وأزبالها وفضول الآجام، والنبات ومياه النقائع، وأحدر جميع ذلك معه،. وخالطه من تراب هذه الأرض، وطينها مقدار كثير من أجل سخافتها وباض فيه من السمك الذي تربى فيه وفي مياه النقائع، ومن قبل ذلك تراه في أول مدة يخضر لونه بكثرة ما يخالطه من مياه النقائع العفنة التي قد اجتمع فيها العرمض، والطحلب واخضر لونها من عفنها ثم يتعكر حتى يصير آخر أمره مثل الحمأة، وإذا صفا اجتمع منه في الإناء طين كثير، ورطوبة لزجة لها سهوكة، ورائحة منكرة. وهذا من أوكد الأشياء في ظهور رداءة هذا الماء، وعفنه.

وقد بين بقراط وجالينوس: أن أسرع المياه إلى العفن ما لطفته الشمس بمياه الأمطار ومن شأن هذا الماء أن يصل إلى أرض مصر، وهو في الغاية من اللطافة من شدة حرارة بلاد السودان، فإذا اختلط به عفونات أرض مصر زاد ذلك في استحالته، ولذلك يتولد منه من أنواع السمك شيء كثير جدا فإن فضول الحيوانات والنبات وعفونة هذا الماء، وبيض السمك يصير جميعها موادا في تكون هذه الأسماك.

كما قال أرسطاطالس في كتاب الحيوان: وذلك شيء ظاهر للحس فإن كل شيء يتعفن يتولد من عفونته الحيوان، ولهذا صار ما يتولد من الدود، والفأر والثعابين والعقارب والزنابير والذباب، وغيرها بأرض مصر كثيرا، فقد استبان أن المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة والرطوبة الفضلية. وإنها ذات أجزاء كثيرة، وإن هواءها وماءها رديان، وربما انقطع النيل في آخر الربيع وأول الصيف من جهة الفسطاط. فيعفن بكثرة ما يلقي فيه إلى أن يبلغ عفنه إلى أن يصير له رائحة منكرة محسوسة. وظاهر أن هذا الماء إذا صار على هذه الحالة غير مزاج الناس تغيرا محسوسا، وينبغي أن يستقي ماء النيل من الموضع الذي فيه جريه أشد، والعفونة فيه أقل، ويصفي كل إنسان هذا الماء بحسب ما يوافق مزاجه. أما المحرورون في أيام الصيف فبالطباشير، والطين الأرمني، والمغرة والنبق المرضوض، والزعرور المرضوض، والخل. وأما المبرودون في أيام الشتاء فباللوز المر، داخل نوى المشمش، والصعتر والشب. وينبغي أن ينظف ما يروق ويشرب وإن شئت أن تصفيه بأن تجعله في آنية الخزف، والفخار والجلود، وما يمصل من ذلك بالرشح، وإن شئت طبخته بالنار، وجعلته في هواء الليل حتى يروق، ثم نظفت منه ما يروق واستعملته.." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٨١/١

"وإذا ظهرت فيه كيفيات رديئات فاطبخه بالنار ثم برده تحت السماء في برودة الليل، وصفه بأخلاط الأدوية التي ذكرتها وأجود ما اتخذ هذا الماء أن يصفى مرارا، وذلك بأن يسخنه أو يطبخه، ثم يبرده في هواء الليل، ويقطف ما يروق منه فتصفيه أيضا ببعض الأدوية ثم تأخذ ما يروق فتجعله في آنية تمصل في برد الليل، وتأخذ الرشح فتشربه، واجعل آنية هذا الماء في الصيف الخزف، والفخار المعمولين في طوبة والظروف الحجرية، والقرب ونحوها مما يبرد. وفي الشتاء الآنية الزجاج والمدهون، وما يعمل في الصيف من الفخار، والخزف ويكون موضعه في الصيف تحت الأسراب وفي مخاريق ريح الشمال، وفي الشتاء بالمواضع الحارة، ويبرد في الصيف بأن يخلط معه ماء الورد، ويؤخذ خرقة نظيفة ويشد فيها طباشير وبزر رجلة أو خشخاش أبيض أو طين أرمني، أو مغرة ويلقي فيه كيما يأخذ من بردها، ولا يخالطه جسمها، وتغسل ظروفه في الصيف بالخزف المدقوق وبدقيق الشعير، والباقلاء والصندل.

وفي الشتاء بالأشنان والسعد ويبخر بالمصطكى، والعود. وأردأ ما يكون ماء النيل بمصر عند فيضه، وعند وقوف حركته، فعند ذلك ينبغي أن يطبخ ويبالغ في تصفيته بقلوب نوى المشمش وسائر ما يقطع لزوجته. وأجود ما يكون في طوبة عند تكامل البرد، ومن أجل هذا عرفت المصريون بالتجربة أن ماء طوبة أجود المياه حتى صار كثير منهم يخزنه في القوارير الزجاج والصيني ويشربه السنة كلها، ويزعم أنه لا يتغير وصاروا أيضا لا يصفونه في هذا الزمان لظنهم أنه على غاية الخلاص، وأما أنت فلا تسكن إلى ذلك وصفه على أي حالة كان فالماء المخزون لا بد أن يتغير فهذا ما عندي من ذم ماء النيل. وحاصله: أن الماء تتغير كيفيته بما يمر عليه، لا أن ذاته ردية، فلا يهولنك ما تسمع، فما الأمر إلا ما قلت لك، وإذا كان الضرر بحسب ما تغير من كيفيته لا من كميته، فقد عرفت ما تعالجه به كي يزول ما يخالطه من الكيفيات الردية، والله الموفق بمنه وكرمه.

ذكر عجائب النيل

ومن عجائب النيل فرس البحر. قال عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني في كتاب أخبار النوبة: ومسافة ما بين دنقلة إلى أول بلد علوة أكثر مما بين دنقلة وأسوان، وفي ذلك من القرى والضياع والجزائر، والمواشي والنخل والشجر والمقل والزرع والكرم. أضعاف ما في الجانب الذي يلي أرض الإسلام.

وفي هذه الأماكن جزائر عظام مسيرة أيام فيها الحيات والوحوش والسباع، ومفاوز يخاف فيها العطش، وماء النيل ينعطف من هذه النواحي إلى مطلع الشمس، وإلى مغربها مسافة أيام حتى يصير الصعيد كالمنحدر، وهي الناحية التي تبلغ العطوف من النيل إلى المعدن المعروف بالشتكة وهي بلد معروف

بشنقير، ومنه يخرج القمري وفرس البحر يكثر في هذا الموضع.
وحدثني سيمون صاحب عهد علوة أنه أحصى في جزيرة سبعين دابة منها، وهي من دواب الشطوط في خلق الفرس في غلظ الجاموس قصيرة القوائم لها خف، وهي في ألوان الخيل بأعراف وآذان صغار كآذان الخيل، وأعناقها كذلك، وأذنابها مثل أذناب الجواميس، ولها خرطوم عريض يظن الناظر إليها أن عليها مخلاة لها صهيل وأنياب لا يقوم حذاءها تمساح، وتعترض المراكب عند الغضب فتغرقها ورعيها في البر العشب، وجلدها فيه متانة عظيمة يتخذ منه دبابيس، انتهى.
وهو كفرس البر إلا أنه أكبر عرفا وذنبا وأحسن لونا وحافره مشقوق كحافر البقر، وجثته أكبر من الحمار بقليل، وهو يأكل التمساح أكلا ذريعا، ويقوى عليه قوة ظاهرة، وربما خرج من الماء ونزا على فرس البر، فيتولد بينهما فرس في غاية الحسن.
واتفق أن بعض الناس نزل على طرف النيل ومعه حجرة، فخرج من الماء فرس أدهم عليه نقط بيض، فنزا على الحجرة، فحملت منه، وولدت مهرا عجيب الصورة، فطمع في مهر آخر. فجاء بالحجرة والمهر إلى ذلك الموضع، فخرج الفرس من الماء، وشم المهر ساعة، ثم وثب إلى الماء، ومعه المهر فصار الرجل يتعهد ذلك المكان كثيرا فلم يعد الفرس ولا المهر إليه.." (١)

"وقال ابن البيطار: هو جنس من الجراد يحفف في الخريف إذا شرب منه وزن درهمين من المرضع الذي يلي كلاه بشراب أنهض الجماع، وهو شديد الشبه بالورن. يوجد بالرمال التي تلي نيل مصر في نواحي صعيدها، وهو مما يسعى في البر، ويدخل في الماء يعني النيل، ولهذا قيل له: الورن المائي لشبهه به، ولدخوله في الماء وهو يتولد من ذكر وأنثى، ويوجد للذكر خصيتان كخصيتي الديك في خلقهما وموضعهما، وإنانة تبيض فوق العشرين بيضة وتدفنها في الرمل، وللذكر من السقنقور إحليلان، وللأنثى فرجان، والسقنقور يعض الأنسان، ويطلب الماء فإن وجده دخل فيه وإن لم يجده بال، وتمرغ في بوله، وإذا فعل ذلك مات المعضوض لوقته وسلم السقنقور، فإن اتفق أن سبق المعضوض إلى الماء فدخله تبل دخول السقنقور الماء وتمرغه في بوله مات السقنقور لوقته وسلم المعضوض. والأفضل الذكر منه والأبلغ في نفع الباه بل هو المخصوص بذلك دون الأنثى. والمختار من أعضائه ما يلي أصل ذنبه ومحاذى سرته، والوقت الذي يصاد فيه : الربيع فإنه يكون فيه هائجا للسفاد، فيكون في هذا الوقت أبلغ نفعا فإذا أخذ ذكى في يوم صيده فإنه إن ترك حيا زال شحمه، وهزل لحمه، وضعف فعله، ثم يقطع رأسه وطرف ذنبه من غير استئصال ويشق

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٨٢/١

جوفه طولا ويلقي ما فيه إلا كلاه، وكيسه فإذا نظف حشي ملحا وخيط الشق، وعلق منكوسا في ظل معتدل الهواء حتى يجف ويؤمن فساده، ثم يرفع في إناء متخرق للهواء كالسلال المضفورة من قضبان شجر الصفصاف، والخوص ونحوه إلى وقت الحاجة. ولحمه طريا حار رطب والمجفف أشد حرارة، وأقل رطوبة ولا يوافق استعماله من مزاجه حار يابس. وإنما يوافق ذوي الأمزجة الباردة الرطبة، وخاصة لحمه وشحمه. إنهاض شهوة الجماع، ويهيج الشبق ويقوي الإتعاظ، وينفع أمراض العصب الباردة وخاصة ما يلي سرته، ويحاذي ذنبه وينفع مفردا ومركبا، واستعماله مفردا أبلغ والمقدار منه بعد تجفيفه من مثقال إلى ثلاثة مثاقيل بحسب السن، والمزاج والبلد والوقت الحاضر يسحق ويذاب بشراب أو ماء العسل، أو نقيع الزبيب أو يذر على صفرة بيض الدجاج التيمرشت ويتحسى، وكذلك يفعل بلحمه، إذا أخذ منه من درهم إلى درهمين، وذر على صفرة البيض بمفرده أو مع مثله بزر جرجير مسحوق، ولا يوجد السقنقور إلا في بلاد الفيوم خاصة وأكثر صيده في الأربعينات إذا اشتد البرد، وخرج من الماء إلى البر فحينئذ يصاد.

وقال المسعودي: والفرس الذي يكون في نيل مصر إذا خرج من الماء وانتهى وطؤه إلى بعض المواضع من الأرض، علم **أهل مصر** أن النيل يزيد إلى ذلك الموضع بعينه غير زائد عليه، ولا مقصر عنه لا يتخلف ذلك عندهم لطول العادات، والتجارب وفي ظهوره من الماء ضرر بأرباب الأرض والغلات لرعيه الزرع، وذلك أنه يظهر من الماء في الليل، فينتهي إلى موضع من الزرع ثم يولي عائدا إلى الماء، فيرعى في حال رجوعه من الموضع الذي انتهى إليه مسيره، ولا يرعى من ذلك الذي قد رعاه شيئا في ممره، وإذا رعى ورد الماء وشرب ثم قذف ما في جوفه في مواضع شتى فينبت ذلك مرة ثانية، وإذا كثر ذلك من فعله واتصل ضرره بأرباب الضياع طرحوا له من الترمس في الموضع الذي يعرف خروجه منه مكاكي كثيرة مبدرا مبسوطا فيكله ثم يعود إلى الماء، فإذا شرب منه ربا الترمس في جوفه وانتفخ، فينشق جوفه منه، ويموت ويطفو على الماء، ويقذف به إلى الساحل والموضع الذي يرى فيه لا يرى به تمساح، وهو على صورة الفرس إلا أن حوافره وذنبه بخلاف ذلك، وجبهته واسعة.

وقال المسبحي : إن الصنف المعروف بالبلطي من أصناف السمك أول ما عرف بنيل مصر في أيام الخليفة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله – ولم يكن يعرف قبله في النيل، وظهر في أيامه أيضا سمك يعرف باللبيس، وإنما سمي باللبيس لأنه يشبه البووي الذي بالبحر الملح، فالتبس به وغالب الظن أنها من أسماك البحر الملح دخلت في الحلو.

ومن حيوان البحر: التمساح. قال ابن البيطار: التمساح حيوان معروف يكون في الأنهار الكبار. وفي النيل كثيرا ويوجد في نهر مهران، وقد يوجد في بلاد السودان، وهو الورن النيلي.." (١)

"وقال أبو معشر: ينظر عند انتقال الشمس إلى برج السرطان للزهرة وعطارد والقمر، فإن كانت في سيرها الأكبر فإن زيادة النيل عظيمة، وإن كانت في سيرها الأوسط فاعرف كم أكثر مسيرها، وكم أقله وأنسبه بحسب ما تراه، وإن كانت بطيئة السير فزيادة النيل قليلة، وإن اختلف مسير هذه الثلاثة فكان بعضها في مسيره الأكبر، وبعضها بطيء السير، فغلب أقواها وأمزج الدلالة وقل بحسب ذلك.

وقالت القبط: ينظر أول يوم من شهر برمودة ما الذي يوافقه من أيام الشهر العربي، فما كان من الأيام فزد عليه خمسة وثمانين، فما بلغ خذ سدسه فإنه يكون عدد مبلغ النيل من الأذرع في تلك السنة.

قالوا: ومن المعتبر أيضا في أمر النيل أن تنظر اليوم الذي تفطر فيه النصارى اليعاقبة بمصر وما بقي من الشهر العربي فزد عليها أربعا وثلاثين، فما بلغ أسقطه اثني عشر فإن بقي بعد ذلك الإسقاط من العدد زيادة على اثني عشر، فهو زيادة النيل من الأذرع في تلك السنة، مع الإثني عشر وإن بقي اثني عشر فهي سنة رديئة. قالوا: وإذا كان العاشر من الشهر العربي موافقا لشهر أبيب، والقمر في برج العقرب، فإن كان مقارنا لقلب العقرب كان النيل مقصرا وإلا فهو جيد. قالوا: وينظر أول يوم من بؤنة فإن هبت الريح شمالا في بكرة النهار كان النيل عاليا، وإن هبت وسط النهار فإنه متوسط، وإن هبت آخر النهار كان نيلا قاصرا، وإن لم تهب لم يطلع تلك السنة. وقيل: يعتبر هكذا أول خميس من بؤنة.

ومن المعتبر الذي جربته أنا سنين، وأخبرني بعض شيوخنا: أنه جربه وأخبره به من جربه فصح أن ينظر أول يوم من مسرى كم مبلغ النيل، فزد عليه ثمانية أذرع، فما بلغ فهو زيادة النيل في تلك السنة، ومما اشتهر عند أهل مصر وجربته أيضا، فصح أن يؤخذ قبل عيد ميكائيل بيوم في وقت الظهر من الطين الذي مر عليه ماء النيل قطعة زنتها ستة عشر درهما سواء، وترفع في إناء مغطى إلى بكرة يوم عيد ميكائيل وتوزن فما زاد على وزنها من الخراريب كان مبلغ النيل في تلك السنة بقدر عدد تلك الخراريب لكل خروبة ذراع، ومن ذلك أخذ شيء من دقيق القمح، وعجنه بماء النيل في إناء فخار، وقد عمل من طين مر عليه النيل، وتركه مغطى طول ليلة عيد ميكائيل، فإذا وجد بكرة يوم العيد قد اختمر بنفسه، كان النيل تاما وافيا، وإن وجده لم يختمر دل على قصور هذا النيل، ثم ينظرون مع ذلك بكرة يوم عيد ميكائيل إلى الهواء، فإن هبت طيابا فهو نيل كبير، وإن هبت غير طياب فهو نيل مقصر، لا سيما إن هبت مريسيا فإنه يكون نيلا غير كاف،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٨٤/١

والشأن عندهم إنما هو في دلالة العلامات الثلاث على شيء واحد، فأما إذا اختلف فالحكم لا يكاد يصح.

وقال أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية، وذكر أصحاب التجارب: أنه إذا تقدم فعمد إلى لوح وزرع عليه من كل زرع ونبات حتى إذا كانت الليلة الخامسة والعشرون من شهر تموز أحد شهور الروم وهي آخر أيام الباحور، ثم وضع اللوح بارزا لطلوع الكواكب، وغروبها لا يحول بينه وبين السماء شيء، فإن كل ما لا يزكو في تلك السنة من الزروع يصبح أصفر، وما يصلح ريعه منها يبقى أخضر، وكذلك كانت القبط تفعل ذلك وقد جربت أنا على ما أفادنيه بعض الكتاب أنه إذا حصل مطر ولو قل في شهر بابة ينظر ما ذلك اليوم من الشهر القبطي فإنه يبلغ سعر الويبة القمح تلك السنة من الدراهم بعدد ما مضى من أيام شهر بابة. وأول ما جربت هذا أنه وقع مطر في بابة يوم الخميس الخامس عشر منها فبيعت الويبة تلك السنة بخمسة عشر درهما.

ذكر عيد الشهيد

ومما كان يعمل بمصر عيد الشهيد، وكان من أنزه فرج مصر، وهو اليوم الثامن من بشنس أحد شهور القبط، ويزعمون أن النيل بمصر لا يزيد في كل سنة حتى يلقي النصارى فيه تابوتا من خشب فيه أصبع من أصابع أسلافهم الموتى. ويكون ذلك اليوم عيدا ترحل إليه النصارى من جميع القرى، ويركبون فيه الخيل، ويلعبون عليها، ويخرج عامة أهل القاهرة، ومصر على اختلاف طبقاتهم، وينصبون الخيم على شطوط النيل وفي الجزائر، ولا يبقى مغن ولا مغنية، ولا صاحب لهو، ولا رب ملعوب، ولا بغي ولا مخنث ولا ماجن، ولا خليع ولا فاتك ولا فاسق إلا ويخرج لهذا العيد، فيجتمع عالم عظيم لا يحصيهم إلا خالقهم.." (١)

"قال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب: وكانت فريضة مصر بحفر خليجها، وإقامة جسورها، وبناء قناطرها، وقطع جزائرها مائة ألف وعشرين ألفا. معهم المساحي والطوريات والأداة يعتقبون ذلك لا يدعونه شتاء ولا صيفا.

وعن أبي قبيل قال: زعم بعض مشايخ أهل مصر: أن الذي كان يعمل به مصر على عهد ملوكها أنهم كانوا يقرون القرى في أيدي أهلها كل قرية، بكراء معلوم لا ينقص عنهم إلا في كل أربع سنين من أجل الظمأ، وتنقل اليسار فإذا مضت أربع سنين نقض ذلك، وعدل تعديلا جديدا، فيرفق بمن استحق الرفق ويزاد على من احتمل الزيادة، ولا يحمل عليهم من ذلك ما يشق عليهم، فإذا جبي الخراج وجمع كان للملك من ذلك

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٨٦/١

الربع خالصا لنفسه يصنع به ما يريد، والربع الثاني لجنده ومن يقوى به على حربه وجباية خراجه ودفع عدوه، والربع الثالث في مصلحة الأرض وما تحتاج إليه من جسورها وحفر خلجها، وبناء قناطرها والقوة للزارعين على زرعهم وعمارة أرضهم، والربع الرابع يخرج منه ربع ما يصيب كل قرية من خراجها، فيدفن ذلك لنائبة تنزل أو جائحة بأهل القرية، فكانوا على ذلك، والذي يدفن في كل قرية من خراجها هي: كنوز فرعون التي يتحدث الناس بها أنها ستظهر فيطلبها الذين يتتبعون الكنوز.

وذكر أن بعض فراعنة مصر جبى خراج مصر اثنين وسبعين ألف ألف دينار، وأن من عمارته أنه أرسل ويبة قمح إلى أسفل الأرض وإلى الصعيد في وقت تنظيف الأرض والترع من العمارة، فلم يوجد لها أرض فارغة تزرع فيها، وذكر أنه كان عند تناهي العمارة يرسل بأربع ويبات برسيم إلى الصعيد، وإلى أسفل الأرض وإلى أي كورة، فإن وجد لها موضعا خاليا فزرعت فيه، ضرب عنق صاحب الكورة، وكانت مصر يومئذ عمارتها متصلة أربعين فرسخا في مثلها، والفرسخ: ثلاثة أميال، والبريد: أربعة فراسخ، فتكون عشرة برد في مثلها، ولم تزل الفراعنة تسلك هذا المسلك إلى أيام فرعون موسى فإنه عمرها عدلا وسماحة، وتتابع الظمأ ثلاث سنين في أيامه، فترك **لأهل مصر** خراج ثلاث سنين، وأنفق على نفسه وعساكره من خزائنه، ولما كان في السنة الرابعة أضعف الخراج واستمر فاعتاض ما أنفق وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن اسئل المقوقس عن مصر، من أين تأتي عمارتها وخرابها. فسأله عمرو، فقال له المقوقس: عمارتها وخرابها من وجوه خمسة: أن يستخرج خراجها في إبان واحد عند فراغ أهلها من زروعهم، ويرفع خراجها في إبان واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومهم، ويحفر في كل سنة خلجانها، وتسد ترعها وجسورها، ولا يقبل مطل أهلها يريد البغي، فإذا فعل هذا فيها أ عمرت وإن عمل فيها بخلافه خربت.

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : لما استبطأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عمرو بن العاص رضي الله عنه، في الخراج كتب إليه: أن ابعث إلي رجلا من **أهل مصر**، فبعث إليه رجلا قديما من القبطة فاستخبره عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن مصر وخراجها قبل الإسلام فقال: يا أمير المؤمنين مصر كان لا يؤخذ منها شيء إلا بعد عمارتها، وعاملك لا ينظر إلى العمارة، وإنما يأخذ ما ظهر له كأنه لا يريدها إلا لعام واحد، فعرف عمر رضي الله عنه ما قال، وقبل من عمرو ما كان يعتذر به.

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه للمقوقس: أنت وليت مصر فبم تكون عمارتها؟ فقال: بخصال أن تحفروا خلجانها، وتسد جسورها وترعها، ولا يؤخذ خراجها إلا من غلتها، ولا يقبل مطل أهله، ويوفي لهم بالشروط، ويمر الأرزاق على العمال لئلا يرتشوا، ويرتفع عن أهله المعاون والهدايا، ليكون قوة لهم، فبذلك

تعمر ويرجى خراجها.
ويقال : إن ملوك مصر من القبط كانوا يقسمون الخراج أربعة أقسام: قسم لخاصة الملك، وقسم لأرزاق الجند، وقسم لمصالح الأرض، وقسم يدخر لحادثة تحدث فينفق فيها.
ولما ولي عبيد الله بن الحبحاب خراج مصر، لهش،ام بن عبد الملك خرج بنفسه، فمسح أرض مصر كلها عامرها وغامرها مما يركبه النيل، فوجد فيها مائة ألف ألف فدان، والباقي استبحر وتلف، واعتبر مدة الحرث، فوجدها ستين يوما، والحراث يحرث خمسين فدانا، وكانت محتاجة إلى أربعمائة ألف وثمانين ألف حراث.
ذكر مقدار خراج مصر
في الزمن الأول." (١)

"وعن هشام بن أبي رقية اللخمي: أن عمرو بن العاص لما فتح مصر قال لقبط مصر: إن من كتمني كنزا عنده فقدرت عليه قتلته، وإن قبطيا من أرض الصعيد يقال له: بطرس، ذكر لعمرو: إن عنده كنزا فأرسل إليه فسأله، فأنكر، وجحد فحبسه في السجن، وعمرو يسأل عنه: هل تسمعونه يسأل عن أحد؟ فقالوا: لا، إنما سمعناه يسأل عن راهب في الطور، فأرسل عمرو إلى بطرس، فنزع خاتمه، ثم كتب إلى ذلك الراهب : أن ابعث إلي بما عندك، وختمه بخاتمه، فجاء الرسول بقلة شامية مختومة بالرصاص، ففتحها عمرو، فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها : ما لكم تحت الفسقية الكبيرة فأرسل عمرو إلى الفسقية، فحبس عنها الماء، ثم قلع البلاط الذي تحتها، فوجد فيها اثنين وخمسين أردبا ذهبا مصريا مضروبة، فضرب عمرو رأسه عند باب المسجد، فأخرج القبط كنوزهم شفقا أن يبغي على أحد منهم، فيقتل كما قتل بطرس.
وعن يزيد بن أبي حبيب: إن عمرو بن العاص، استحل مال قبطي من قبط مصر لأنه استقر عنده أنه يظهر الروم على عورات المسلمين، ويكتب إليهم بدلك، فاستخرج منه بضعا وخمسين أردبا دنانير.
قال ابن عبد الحكم: وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه، يبعث إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجزية بعد حبس ما كان يحتاج إليه، وكانت فريضة مصر لحفر خلجها، وإقامة جسورها، وبناء قناطرها، وقطع جزائرها مائة ألف وعشرين ألفا معهم الطور والمساحي والأداة يعتقبون ذلك لا يدعون ذلك صيفا ولا شتاء، ثم كتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن تختم في رقاب أهل الذمة بالرصاص، ويظهروا مناطقهم، ويجزوا نواصيهم ويركبوا على الأكف عرضا، ولا يضربوا الجزية إلا على من جرت عليه الموسى، ولا يضربوا على النساء، ولا على الولدان، ولا تدعهم يتشبهون بالمسلمين في ملبوسهم.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٩٣/١

وعن يزيد بن أسلم : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى أمراء الأجناد: أن لا يضربوا الجزية إلا على من جرت عليه الموسى، وجزيتهم أربعون درهما على أهل الورق، وأربعة دنانير على أهل الذهب، وعليهم من أرزاق المسلمين من الحنطة والزيت مدان من حنطة، وثلاثة أقساط من زيت في كل شهر لكل إنسان من أهل الشام، والجزيرة، وودك وعسل لا أدري كم هو، ومن كان من **أهل مصر**، فأردب في كل شهر لكل إنسان، ولا أدري كم الودك والعسل، وعليهم من البز الكسوة التي يكسوها أمير المؤمنين الناس ويضيفون من نزل بهم من أهل الإسلام ثلاثة أيام وعلى أهل العراق خمسة عشر صاعا لكل إنسان، ولا أدري كم لهم من الودك، وكان لا يضرب الجزية على النساء والصبيان، وكان يختم في أعناق رجال أهل الجزية، وكانت ويبة عمر في ولاية عمرو بن العاص: ستة أمداد.

قال: وكان عمرو بن العاص، لما استوثق له الأمر أقر قبطها على جباية الروم، فكانت جبايتهم بالتعديل إذا عمرت القرية، وكثر أهلها زيد عليهم، وإن قل أهلها وخربت نقصوا، فيجتمع عرافوا كل فرية وأمراءها ورؤساء أهلها فيتناظرون في العمارة والخراب حتى إذا أقروا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة إلى الكور، ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى، فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع ثم يجتمع كل قرية بقسمهم فيجمعون قسمهم وخراج كل قرية، وما فيها من الأرض العامرة، فيبتدئون ويخرجون من الأرض فدادين لكنائسهم وحماياتهم ومعدياتهم من جملة الأرض، ثم يخرج منها عدد الضيافة للمسلمين، ونزول السلطان فإذا فرغوا نظروا لما في كل قرية من الصناع والأجراء فقسموا عليهم بقدر احتمالهم، فإن كانت فيهم جالية قسموا عليها بقدر احتمالها، وقلما كانت تكون إلا لرجل الشاب أو المتزوج ثم ينظرون ما بقي من الخراج، فيقسمونه بينهم على عدد الأرض، ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع منهم على قدر طاقتهم، فإن عجز أحد منهم وشكا ضعفا عن زرع أرضه، وزعوا ما عجز عنه على ذوي الاحتمال، وإن كان منهم من يريد الزيادة أعطي ما عجز عنه أهل الضعف، فإن تشاحوا قسموا ذلك على عدتهم، وكانت قسمتهم على قراريط الدنانير أربعة وعشرين قيراطا يقسمون الأرض على ذلك. ولذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: " إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرا " .." (١)

"وجعل لكل فدان عليهم: نصف أردب قمح، ويبتين من شعير إلا القرظ فلم يكن عليه ضريبة، والويبة ستة أمداد، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأخذ ممن صالحه من المعاهدين ما سمى على نفسه لا يضع من ذلك شيئا، ولا يزيد عليه، ومن نزل منهم على الجزية ولم يسم شيئا يؤديه نظر عمر في أمره فإذا

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٩٦/١

احتاجوا خفف عنهم، وإن استغنوا زاد عليهم بقدر استغنائهم.
وقال هشام بن أبي رقية اللخمي: قدم صاحب أخنا على عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال له : أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فنصير لها. فقال عمرو، وهو يشير إلى ركن كنيسة : لو أعطيتني من الأرض إلى السقف ما أخبرتك ما عليك إنما أنتم خزانة لنا إن كثر علينا كثرنا عليكم، وإن خفف عنا خففنا عنكم، ومن ذهب إلى هذا الحديث ذهب إلى أن مصر فتحت عنوة.
وعن يزيد بن أبي حبيب قال : قال عمر بن عبد: العزيز أيما ذمي أسلم فإن إسلامه يحرز له نفسه وماله، وما كان من أرض فإنها من فيء الله على المسلمين، وأيما قوم صالحوا على جزية يعطونها فمن أسلم منهم كانت داره وأرضه لبقيتهم.
وقال الليث: كتب إلي يحيى بن سعيد: أن ما باع القبط في جزيتهم، وما يؤخذون به من الحق الذي عليهم من عبد أو وليدة أو بعير أو بقرة أو دابة فإن ذلك جائز عليهم، فمن ابتاعه منهم فهو غير مردود عليهم أن أيسروا وما أكروا من أرضهم فجائز كراؤه إلا أن يكون يضر بالجزية التي عليهم فلعل الأرض إن ترد عليهم أن أضرت بجزيتهم وإن كان فضلا بعد الجزية، فإنا نرى كراءها جائزا لمن يكراها منهم.
قال يحيى: فنحن نقول: الجزية جزيتان: جزية على رؤوس الرجال، وجزية جملة تكون على أهل القرية يؤخذ بها أهل القرية، فمن هلك من أهل القرية التي عليهم جزية مسماة على القرية ليست على رؤوس الرجال، فإنا نرى أن من هلك من أهل القرية ممن لا ولد له ولا وارث إن أرضه ترجع إلى قريته في جملة ما عليهم من الجزية، ومن هلك ممن جزيته على رؤوس الرجال، ولم يدع وارثا فإن أرضه للمسلمين.
وقال الليث عن عمر بن العزيز: الجزية على الرؤوس وليست على الأرضين، يريد أهل الذمة.
وكتب عمر بن عبد العزيز إلى حيان بن شريح: أن يجعل جزية موتي القبط على أحيائهم، وهذا يدل على أن عمر كان يرى أن أرض مصر فتحت عنوة، وأن الجزية إنما هي على القرى، فمن مات من أهل القرى كانت تلك الجزية ثابتة عليهم وإن موت من مات منهم لا يضع عنهم من الجزية شيئا. قال: ويحتمل أن تكون مصر فتحت بصلح فذلك الصلح ثابت على من بقي منهم وإن موت من مات منهم لا يضع عنهم ممن صالحوا عليه شيئا.
قال الليث: وضع عمر بن عبد العزيز الجزية على من أسلم من أهل الذمة من **أهل مصر**، وألحق في الديوان صلح من أسلم منهم في عشائر من أسلموا على يديه، وكانت تؤخذ قبل ذلك ممن أسلم، وأول من أخذ الجزية ممن أسلم من أهل الذمة: الحجاج بن يوسف، ثم كتب عبد الملك بن مروان إلى عبد العزيز بن

مروان: أن يضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة، فكلمه ابن حجيرة في ذلك فقال: أعيذك بالله أيها الأمير أن تكون أول من سن ذلك بمصر، فوالله إن أهل الذمة ليتحملون جزية من ترهب منهم، فكيف نضعها على من أسلم منهم فتركهم عند ذلك.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى حيان بن شريح: أن تضع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة، فإن الله تبارك وتعالى قال: " فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم " التوبة٥، وقال : " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " التوبة ٢٩،.

وكتب حيان بن شريح إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد: فإن الإسلام قد أضر بالجزية حتى سلفت من الحارث بن ثابتة عشرين ألف دينارا تمت بها عطاء أهل الديوان، فإن ر أى أمير المؤمنين أن يأمر بقضائها فعل، فكتب إليه عمر: أما بعد: فقد بلغني كتابك، وقد وليتك جند مصر، وأنا عارف بضعفك، وقد أمرت رسولي بضربك على رأسك عشرين سوطا، فضع الجزية عن من أسلم قبح الله رأيك فإن الله إنما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يبعثه جابيا، ولعمري لعمر أشقى من أن يدخل الناس كلهم الإسلام على يديه.." (١)

"والطلب بلغة الغز هو: الأمير المقدم الذي له علم معقود، وبوق مضروب، وعدة من مائتي فارس إلى مائة فارس إلى سبعين فارسا إلى أن انقضى النهار، ودخل الليل، وعاد ولم يكمل عرضهم، وكانت العدة الحاضرة مائة وسبعة وأربعين طلبا والغائب منها عشرون طلبا، وتقدير العدة يناهز أربعة عشر ألف فارس أكثرها طواشية، والطواشي: من رزقه من سبعمائة إلى ألف إلى مائة وعشرين، وما بين ذلك وله برك من عشرة رؤوس إلى ما دونها ما بين فرس، وبرذون وبغل وجمل وله، غلام يحمل سلاحه وقرا غلامية تتمة الجملة.

قال: وفي هذه السفرة عرض العربان الخدامين، فكانت عدتهم سبعة آلاف فارس واستقرت عدتهم على ألف وثلثمائة فارس لا غير. وأخذ بهذا الحكم عشر الواجب، وكان أصله ألف ألف دينار على حكم الاعتداد الذي يتأصل ولا يتحصل وكلف التغالبة ذلك، فامتعضوا ولوحوا بالتحيز إلى الفرنج.

وقال في متجددات شهر رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة، استمر انتصاب السلطان صلاح الدين في هذه السنة للنظر في أمور الإقطاعات، ومعرفة عبرها والنقص منها، والزيادة فيها وإثبات المحروم وزيادة

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٩٧/١

المشكور إلى أن استقرت العدة على ثمانية آلاف وستمائة وأربعين فارسا أمراء مائة وأحد عشر أميرا طواشية ستة آلاف وتسعمائة وستة وسبعون قراغلامية ألف وخمسمائة وثلاثون وخمسون، والمستقر لهم من المال ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف وسبعون ألفا وخمسمائة دينار، وذاك خارج عن المحلولين من الأجناد الموسومين بالجوالة على العشر، وعن عدة العربان المقطعين بالشرقية والبحيرة، وعن الكاتبين **والمصريين** والفقهاء والقضاة والصوفية، وعما يجري بالديوان ولا يقصر عن ألف ألف دينار.

وقال في متجددات سنة خمس وثمانين وخمسمائة أوراق بما استقر عليه عبر البلاد من إسكندرية إلى عيذاب إلى آخر الرابع والعشرين من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة خارجا عن الثغور وأبواب الأموال الديوانية والأحكار والحبس ومنفلوط ومنقباط، وعدة نواح أوردت أسماءها ولم يعين لها في الديوان عبرة من جملة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف وثلاثة وخمسين ألفا وتسعة عشر دينارا. بعدما يجري في الديوان العادلي السعيد وغيره عن الشرقية والمرتاحية والدقهلية وبوش وغير ذلك، وهو ألف ألف ومائة ألف وتسعون ألفا وتسعمائة وثلاثة وعشرون دينارا.

تفصيل ذلك: الديوان العادلي: سبعمائة ألف وثمانية وعشرون ألفا ومائتان وثمانية وأربعون دينارا. الأمراء والأجناد المرسوم بإبقاء إقطاعاتهم بالأعمال المذكورة مائة ألف وثمانية وخمسون ألفا ومائتان وثلاثة دنانير. ديوان السور المبارك والأشراف: ثلاثة عشر ألفا وثمانمائة وأربعة دنانير، العربان: مائتا ألف وأربعة وثلاثون ألفا ومائتان وستة وتسعون دينارا. الكنانية: خمسة وعشرون ألفا وأربعمائة واثنا عشر دينارا، القضاة والشيوخ : سبعة آلاف وأربعمائة وثلاثة دنانير، القيمارية والصالحية والأجناد **المصريون** : اثنا عشر ألفا وخمسمائة وأربعة دنانير، الغزاة والعساقلة المركزة بدمياط وتنيس وغيرهم: عشرة آلاف وسبعمائة وخمسة وعشرون دينارا، البارز: ثلاثة آلاف ألف وأربعمائة ألف واثنان وستون ألفا وخمسة وتسعون دينارا.

الوجه البحري : ألف ألف ومائة ألف واحد وخمسون ألفا وثلاثة وخمسون دينار تفصيله ضواحي ثغر الإسكندرية وثمانية وثلاثون دينارا، ثغر رشيد: ألفا دينار، البحيرة: مائة ألف وخمسة عشر ألفا وخمسمائة وستة وسبعون دينارا، حوف رمسيس: اثنان وتسعون ألفا وأربعمائة وثلاثة دنانير، فوه والمزاحميتين : عشرة آلاف ومائة وخمسة وعشرون دينارا، النبراوية: خمسة عشر ألفا وثلثمائة وخمسة دنانير، جزيرة بني نصر: مائة ألف واثنا عشر ألفا وستمائة وستة وأربعون دينارا، جزيرة قوسنينا: مائة ألف وثلاثون ألفا وخمسمائة واثنان وتسعون دينارا، الغربية: ستمائة ألف و أربعة وسبعون ألفا وستمائة وخمسة دنانير، السمنودية : مائتا ألف وخمسة وأربعون ألفا وأربعمائة وتسعة وسبعون دينارا، الدنجماوية: ستة وأربعون ألفا ومائتا وأربعة

وسبعون دينارا، المنوفية: مائة ألف وثمانية وأربعون ألفا وثلثمائة وسبعة وأربعون دينارا.

الوجه القبلي: ألف ألف وستمائة وعشرة آلاف وأربعمائة وأحد وأربعون دينارا.." (١)

"فلما انقرضت دولة بني أمية وغلبت المسودة بنو العباس أحدثوا أشياء حتى إذا مات عبد الله المأمون بن هارون الرشيد لسبع خلون من رجب سنة ثماني عشرة ومائتين، وبويع أخوه المعتصم، أبو إسحاق محمد بن هارون كتب إلى كندر بن نصر الصفدي أمير مصر، يأمره بإسقاط من في ديوان مصر من العرب، وقطع العطاء عنهم ففعل ذلك، وكان مروان بن محمد الجعدي آخر خلائف بني أمية قطع عن **أهل مصر** العطاء سنة، ثم كتب إليهم كتابا يعتذر فيه: إني إنما حبست عنكم العطاء في السنة الماضية لعدو حضرني، فاحتجت إلى المال، وقد وجهت إليكم بعطاء السنة الماضية، وعطاء هذه السنة فكلوه هنيئا مريئا، وأعوذ بالله أن أكون أنا الذي يجري الله قطع العطاء على يديه، ولما قطع كندر عطاء **أهل مصر** خرج يحيى بن الوزير الجروي في جمع من لخم وجذام وقال له: هذا أمر لا يقوم فينا أفضل منه لأنا منعنا حقنا وفيئنا، فاجتمع إليه نحو خمسمائة رجل.

ومات كندر في ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين، وولي ابنه المظفر مصر من بعده، فسار إلى يحيى، وقاتله في بحيرة تنيس، وأخذه أسيرا فانقرضت دولة العرب من مصر، وصار جندها العجم والموالي من عهد المعتصم إلى أن ولي الأمير أبو العباس أحمد بن طولون مصر، فاستكثر من العبيد، وبلغت عدتهم زيادة على أربعة وعشرين ألف غلام تركي، وأربعين ألف أسودا وسبعة آلاف حر مرتزق، ثم استجد ابنه الأمير أبو الجيش خمارويه بعده عدة من شناترة حوف مصر، فلما كانت إمارة الأمير أبي بكر محمد بن طغج الإخشيد على مصر، بلغت عدة عساكره بمصر والشام أربعمائة ألف تشتمل على عدة طوائف.

ثم إن الأستاذ أبا المسك كافورا الإخشيدي استجد عدة من السودان في أيام تحكمه بمصر، فلما تغلب الإمام المعز لدين الله أبو تميم معد الفاطمي على مصر صارت عساكرها ما بين كتامة وزويلة ونحوها من طوائف البربر، وفيهم الروم والصقالبة، وهم في العدد كما قيل. ومنهم معد ولم تكن جيوشه تعد، ولا لما أوتيه كان حد، من كل ما يسعد فيه جد، وحتى قيل : إنه لم يطأ الأرض بعد جيش الإسكندر بن فليبس المقدوني أكثر عددا من جيوش المعز، فلما قام في الخلافة بمصر من بعده ابنه العزيز بالله أبو منصور نزار استخدم الديلم والأتراك واختص بهم.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/١٠٩

وذكر الأمير المختار عبد الملك المسبحي في تاريخه: أن خزانة الخاص حملها لما خرج العزيز إلى الشام عشرون ألف جمل خارجا عن خزائن القواد وأكابر الدولة.." (١)

"وذكر ابن ميسر في تاريخه: أن عبيد السيدة أم المستنصر بالله أبي تميم، معد بن الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن علي بن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور بن العزيز بالله خاصة كانت عدتهم خمسين ألف عبد سوى طوائف العسكر، ورأيت بخط الأسعد بن مماتي أن عدة الجيوش بمصر في أيام رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك كانت أربعين ألف فارس، وستة وثلاثين ألف راجل، وزاد غيره، وعشرة شواني بحرية فيها عشرة آلاف مقاتل، وهذا عند انقراض الدولة الفاطمية، فلما زالت دولتهم على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، أزال جند مصر من العبيد السود والأمراء المصريين والعربان والأرمن، وغيرهم واستجد عسكرا من الأكراد والأتراك خاصة، وبلغت عدة عساكره بمصر اثني عشر ألف فارس لا غير، فلما مات، افترقت من بعده، ولم يبق بمصر مع ابنه الملك العزيز عثمان سوى ثمانية آلاف فارس، وخمسمائة فارس إلا أن فيهم من له عشرة أتباع، وفيهم من له عشرون، وفيهم من له أكثر من ذلك إلى مائة تبع لرجل واحد من الجند، فكانوا إذا ركبوا ظاهر القاهرة يزيدون على مائتي ألف، ثم لم يزالوا في افتراق، واختلاف حتى زالت دولتهم بقيام عبيدهم المماليك الأتراك، فحذوا حذو مواليهم بني أيوب، واقتصروا على الأتراك وشيء من الأكراد، واستجدوا من المماليك التي تجلب من بلاد الترك شيئا كثيرا حتى يقال : إن عدة مماليك الملك المنصور قلاون كانت سبعة آلاف مملوك، ويقال: اثني عشر ألفا، وكانت عدة مماليك ولده الأشرف خليل بن قلاون اثني عشر ألف مملوك، لم تبلغ بعد ذلك قريبا من هذا إلى أن زالت دولة بني قلاون في شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة بالملك الظاهر برقوق، فأخذ في محو المماليك الأشرفية، وأنشأ لنفسه دولة من المماليك الجركسية بلغت عدتهم ما بين مشترى ومستخدم أربعة آلاف أو تزيد قليلا، فلما قدم من بعده ابنه الناصر فرج، افترقوا واختلفوا، فلم يقتل حتى هلك كثير منهم بالقتل وغيره. وعساكر مصر في الدولة التركية على قسمين : أجناد الحلقة، والمماليك السلطانية، وأكثر ما كانت أجناد الحلقة في أيام الناصر محمد بن قلاون، فإنها بلغت على ما رأيته في جرائد ديوان الجيش بأوراق الروك الناصري أربعة وعشرين ألف فارس، ثم ما زالت تنقص حتى صارت اليوم مع قلة عدتها سواء منها الألف والواحد فإنها لا تنفع ولا تدفع، وأما المماليك، فإنها اليوم قليل عددها بحيث لو جمعت أجناد الحلقة مع المماليك السلطانية لا تكاد أن تبلغ خمسة آلاف فارس يصلح منها لأن يباشر القتال ألف أو دونها، وهي

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١١٩/١

اليوم قسمان : أجناد الحلقة، والمماليك السلطانية.
والمماليك السلطانية ثلاثة أقسام: ظاهرية وناصرية ومؤيدية، والمؤيدية ما بين حكمية ونوروزية، ومن استجده المؤيد وإن خوفي ليكثر أن يكون الحال بعد الملك المؤيد، أبي النصر شيخ خلد الله ملكه يتلاشى إلى أن يؤيد الله الملك بابنه الأمير، صارم الدين إبراهيم شد الله به أزره فإنه فتح من البلاد الرومية ما لا ملكه أحد من ملوك مصر في الدولة الإسلامية قبله.
والشبل في المخبر مثل الأسد، وابن السري إذا سري أسراهما. ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده،
بأبه اقتدى عدي في الكرم ... ومن يشابه أبه فما ظلم
إن الأصول عليها ينبت الشجر.
ثم لما ملك الأشرف برسباي صارت المماليك سبع طوائف: ظاهرية وناصرية ومؤيدية ونوروزية وحكمية وططرية وأشرفية، كل طائفة منها مباينة لجميعها، فلذلك اضمحلت شوكتهم، وانكسرت حدتهم، وأمنت على السلطان غائلتهم، ولم يخف ثورتهم لتفرقهم، وإن كانوا مجتمعين وتباينهم وإن كانوا في الظاهر متفقين.." (١)
"قال سيف بن ثابت بن هزيمة عن سويد بن غفلة قال: استقطت عليا، فقال: اكتب هذا ما أقطع علي سويدا أرضا لدوابه ما بين كذا وكذا ما شاء الله، وذكر أبا القاسم، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ما أقطعه معاوية بن أبي سفيان ومن بعده من الخلفاء من دور مصر، فأورد شيئا كثيرا.
وقد كان خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس يقطعون الأراضي من أرض مصر، والنفر من خواصهم لا كما هو الحال اليوم، بل يكون مال خراج أهل مصر يصرف من أعطية الجند، وسائر الكلف، ويحمل ما يفضل إلى بيت المال، وما أقطع من أراضي فإنه بيد من أقطعه. وأما منذ كانت أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى يومنا هذا. فإن أراضي مصر كلها صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده.
وأرض مصر اليوم على سبعة أقسام: قسم يجري في ديوان السلطان، وهذا القسم ثلاثة أقسام، منه ما يجري في ديوان الخاص، ومنه ما يجري في ديوان المفرد، وقسم من أراضي مصر قد أقطع الأمراء والأجناد، وقد ذكر تفصيل ذلك عند ذكر الروك الناصري، وقسم ثالث جعل وقفا محبسا على الجوامع والمدارس والخوانك، وعلى جهات البر، وعلى ذراري واقفي تلك الأراضي وعتقائهم، وقسم رابع يقال له: الأحباس يجري فيه أراض بأيدي قوم يأكلونها. إما عن قيامهم بمصالح مسجد أو جامع، وإما يكون لهم لا في مقابلة عمل،

(١) المواعظ والاعتبار، ١٢٠/١

وقسم خامس قد صار ملكا يباع ويشتري ويورث ويوهب لكونه اشترى من بيت المال، وقسم سادس لا يزرع للعجز عن زراعته فترعاه المواشي أو ينبت الحطب ونحوه، وقسم سابع لا يشمله ماء النيل، فهو قفر وهذا القسم منه ما لم يزل كذلك منذ عرفت أحوال الخليفة، ومنه ما كان عامرا في الدهر الأول ثم خرب، وسائر هذه الأقسام في هذا الكتاب تجدها إن أنت تأملته إن شاء الله تعالى.

وقال أبو عبد الله القاسم بن سلام في كتاب الأموال في الكلام على حديث معمر عن عبد الله بن طاوس عن أبيه طاوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عادي الأرض لله ولرسوله ثم هي لكم " . قلت: ما معنى ذلك؟ قال: تكون إقطاعا، هذا الخبر أصل في الإقطاع والعادي كل أرض كان لها سكان فانقرضوا، أي صارت خرابا فإن حكمها إلى الإمام قال: وأما الأرض التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الناس وهي عامرة لها أهل فإعطاء الإمام يكون على وجه النفل، ومن ذلك ما أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم تميما الداري، فإنه أعطاه أرضا بالشام من قبل أن يفتح الشام، وقبل أن يملكها المسلمون، فجعلها له نفلا من أموال أهل الحرب إذا ظهر عليهم، كما فعل نائبه، نفيلة، لما وهبها الشيباني قبل افتتاح الحيرة، فأمضاها له خالد بن الوليد رضي الله عنه، وكذلك أمضى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتميم الداري لما فتحت فلسطين، ما كان النبي صلى الله عليه وسلم نفله، انتهى.

فقد خرج أبو عبد الله، هذه العطية المعلقة مخرج النفل الذي ينفله الإمام بعض المقاتلة.

وقال أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي في الأحكام السلطانية: والإقطاع ضربان: إقطاع استغلال، إقطاع تمليك. والثاني ينقسم إلى موات وعامر، والثاني ضربان: أحدهما: ما يتعين مالكه ولا نظر للسلطان فيه إلا بتلك الأرض في حق لبيت المال إذا كانت في دار الإسلام فإن كانت في دار الحرب حيث لم يثبت للمسلمين عليها يد، فأراد الإمام أن يقطعها ليملكها المقطع عند الظفر بها، فإنه يجوز فقد سأل تميم الداري، رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيه عيون البلد الذي كان منه قبل أن يفتح الشام ففعل، وسأله أبو ثعلبة الخشني أن يقطعه أرضا كانت بيد الروم فأعجبه ذلك وقال: ألا تسمعون ما يقول هذا. فقال: والذي بعثك بالحق ليفتحن عليك، فكتب له بذلك كتابا.

قال الماوردي: وهكذا لو استوهب أحد من الإمام مالا في دار الحرب وهو على ملك أهلها أو استوهبه شيئا من سبيها أو ذراريها ليكون أحق به إذا فتحت جاز وصحت العطية منه مع الجهالة بها لتعلقها بالأمور العامة.." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٢٣/١

"أول من جبى خراج مصر في الإسلام، عمرو بن العاص رضي الله عنه، فكانت جبايته اثني عشر ألف ألف دينار، بفريضة دينارين دينارين من كل رجل، ثم جبى، عبد الله بن سعد ابن أبي سرح مصر أربعة عشر ألف ألف دينار، فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله درت اللقحة بأكثر من درها الأول، فقال: أضررتم بولدها، وهذا الذي جباه عمرو، ثم عبد الله إنما هو من الجماجم خاصة دون الخراج، وانحط خراج مصر بعدهما لنمو الفساد مع الزمان، وسريان الخراب في أكثر الأرض، ووقوع الحروب، فلم يجبها بنو أمية، وخلفاء بني العباس إلا دون الثلاثة آلاف ألف، ما خلا أيام هشام بن عبد الملك، فإنه وصى عبيد الله بن الحبحاب عامل مصر بالعمارة فيقال: إنه لم يظهر من خراج مصر بعد تناقصه كثرة إلا في وقتين، أحدهما في خلافة هشام بن عبد الملك عندما ولي الخراج عبيد الله بن الحبحاب، فخرج بنفسه ومسح العامر من أراضي مصر، والغامر مما يركبه ماء النيل، فوجد قانون ذلك ثلاثين ألف ألف فدان سوى ارتفاع الجرف ووسخ الأرض فراكها كلها، وعدل لها غاية التعديل، فعقدت معه أربعة آلاف ألف دينار هذا والسعر راخ، والبلد بغير مكس، ولا ضريبة.

وفي سنة سبع ومائة لأول أيام هشام بن عبد الملك، وظف ابن الحبحاب بمصر، طبقات معلومة منسوبة في الدواوين، ولم تزل إلى ما بعد ذهاب بني أمية، ومبلغها ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار وثمانمائة وسبعة وثلاثون دينارا منها على كور الصعيد: ألف ألف وأربعمائة دينار وعشرون دينارا. ونصف والباقي على كور أسفل الأرض. ويقال: إن أسامة بن زيد جباها في خلافة سليمان بن عبد الملك، مبلغ اثني عشر ألف ألف دينار.

والوقت الثاني في إمارة أحمد بن طولون لما تسلم أرض مصر من أحمد بن محمد بن مدبر، وقد خربت أرض مصر حتى بقي خراجها ثمانمائة ألف ألف دينار، فاستقصى أحمد بن طولون في العمارة، وبالغ فيها، فعقدت معه أربعة آلاف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار، وجباها ابنه الأمير أبو الجيش، خمارويه بن أحمد أربعة آلاف ألف دينار مع رخاء الأسعار أيامئذ، فإنه ربما بيع في الأيام الطولونية القمح كل عشرة أرادب بدينار.

وذكر ابن خرداذبه أن خراج مصر في أيام فرعون، كان ستة وتسعين ألف ألف دينار، وأن ابن الحبحاب، جباها الذي ألف ألف وسبعمائة ألف وثلاثة وعشرين ألفا وثمانمائة وتسعة وثلاثين دينارا، وهذا وهم منه، فإن هذا القدر هو ما حمله إلى بيت المال بدمشق بعد أعطية أهل مصر، وكلفها قال: وحمل منها موسى بن عيسى الهاشمي الذي ألف ومائة ألف وثمانين ألف دينار، يعني بعد العطاء والمؤن وسائر الكلف، قال:

وكان خراج مصر إذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع أربعة آلاف ألف دينار ومائتي ألف وسبعة وخمسين ألف دينار، والمقبوض عن الفدان دينارين في خلافة المأمون وغيره.." (١)

"وأنجب ما يكون الكتان ذا زرع في البرش، ويحتاج أن يسبخ بتراب سباخ، وهو إذا طال رقد، ويقلع قضبانا ويسمى حينئذ: أسلافا وينشر في موضعه حتى يجف، فإذا جف حمل وهدر وعزل جوزه، فيخرج منه بزر الكتان، ويستخرج منه الزيت الحار، ويزرع الكتان في شهر هتور، ويحتاج الفدان أن يبذر فيه من البزر ما بين أردب وثلث إلى ما دون ذلك، ويدرك في شهر برموده، ويخرج من الفدان ما بين ثلاثين شدة إلى ما دون ذلك، ومن البزر من ستة أرادب إلى ما دونها، وكانت قطيعة الفدان منه في القديم بأرض الصعيد، من خمسة دنانير إلى ثلاثة، وفي دلاص ثلاثة عشر دينارا، وفيما عدا ذلك ثلاثة دنانير.

ويزرع القرط عند أخذ ماء النيل في النقصان، ولا ينبغي تأخير زرعه إلى أوان هبوب الريح الجنوبية التي يقال لها: المريسية وأول ما يبذر في شهر بابه، وربما زرع بعد النوروز، والحراثي منه، يزرع في كيهك وطوبة، ويزرع أحيانا في هتور ويبذر في كل فدان من ويبتين ونصف إلى ما حولها، ويدرك الأخضر منه في آخر شهر كيهك، ويدرك الحراثي في طوبة وأمشير، ويتحصل من الفدان الحراثي ما بين أردبين إلى أربع ويبات.

ويزرع البصل والثوم من شهر هتور إلى نصف كيهك، ويبذر في فدان البصل، من نصف وربع ويبة إلى ويبة، والثوم من مائة حزمة إلى مائة وخمسين حزمة، ويدرك ذلك في برموده، والبصل الذي يخرج ليزرع زريعة فإنه يزرع من أول كيهك إلى العاشر من طوبة، ويخرج من زريعته، عشرة أرادب من الفدان ويحرك في بشنس.

ويزرع الترمس في طوبة وزريعته بكل فدان أردب، ويدرك في برموده، ويتحصل من الفدان ما بين عشرين أردبا إلى ما دونها، وهذه هي الأصناف الشتوية.

وأما الأصناف الصيفية: فإن البطيخ واللوبيا يزرعان من نصف برمهات إلى نصف برموده، ويزرع في الفدان قدحان ويدرك في بشنس، ويزرع السمسم في برموده وزريعته ربع ويبة للفدان، ويدرك في أبيب ومسري، ويتحصل من الفدان ما بين أردب إلى ستة أرادب.

ويزرع القطن في برموده وزريعته أربع ويبات حب للفدان، ويحرك في توت فيخرج من الفدان، من ثمانية قناطير بالجروي إلى ما دونها.

ويزرع قصب السكر من نصف برمهات في أثر الباق والبرش وتبرش أرضه سبع سكك، وأنجبه ما تكامل له ثلاث غرقات قبل انقضاء شهر بشنس، ومقدار زريعته ثمن فدان وما حوله لكل فدان، ويحتاج القصب إلى

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/١٢٥

أرض جيدة دمثة قد شملها الري، وعلاها ماء النيل، وقلع ما بها من الحلفاء ونظفت، ثم برشت بالمقلقلات وهي محاريث كبار ستة وجوه، وتجرف حتى تتمهد، ثم تبرش ستة وجوه أخرى وتجرف، ومعنى البرش: الحرث. فإذا صلحت الأرض وطابت ونعمت وصارت ترابا ناعما، وتساوت بالتحريف شقت حينئذ بالمقلقلات ويرمي فيها القصب قطعتين، قطعة مثناة، وقطعة مفردة بعد أن تجعل الأرض أحواضا وتفرز لها جداول يصل الماء إلى الأحواض، ويكون طول. كل قطعة من القصب ثلاثة أنابيب كوامل، وبعض أنبوبة من أعلى القطعة وبعض أخرى من أسفلها، ويختار ما قصرت أنابيبه وكثرت كعوبه من القصب ويقال لهذا الفعل: النصب، فإذا كمل نصب القصب أعيد التراب عليه، ولا بد في النصب أن تكون القطعة ملقاة لا قائمة، ثم يسقي من حين نصبه في أول فصل الربيع لكل سبعة أيام مرة فإذا أنبت القصب، وصار أوراقا ظاهرة نبتت معه الحلفاء والبقلة الحمقاء التي يسميها **أهل مصر**، الرجلة، فعند ذلك تعزق أرضه، ومعنى العزاق: أن تنكش أرض القصب، وينظف ما نبت مع القصب ولا يزال يتعاهد ذلك حتى يغزر القصب ويقوى ويتكاثف، فيقال عند ذلك: طرد القصب غزاقه فإنه لا يمكن عزاق الأرض، ولا يكون هذا حتى يبرز الأنبوب منه، ومجموع ما يسقي بالقادوس ثمانية وعشرون ماء، والعادة أن الذي ينصب من الأقصاب على كل مجال بحراني أي مجاور للبحر إذا كانت مزاحة الغلة بالأبقار الجياد مع قرب رشا الآبار ثمانية أفدنة، ويحتاج إلى ثمانية أرؤس بقر، فإن كانت الآبار بعيدة عن مجرى النيل لا يمكن حينئذ أن يقوم المجال بأكثر من ستة أفدنة إلى أربعة، فإذا طلع النيل وارتفع سقى القصب عند ذلك ماء الراحة.." (١)

"قال القاضي الفاضل في متجددات سنة تسعين وخمسمائة، وكان قد تتابع في شعبان **أهل مصر** والقاهرة في إظهار المنكرات، وترك الإنكار لها، وإباحة أهل الأمر والنهي لها، وتفاحش الأمر فيها إلى أن غلا سعر العنب لكثرة من يعصره، وأقيمت طاحون بحارة المحمودية لطحن حشيش المزر، وأفردت برسمه وحميت بيوت المزر، وأقيمت عليها الضرائب الثقيلة، فمنها ما انتهى أمره في كل يوم إلى ستة عشر دينارا، ومنع المزر البيوتي ليتوفر الشراء من البيوت المحمية، وحملت أواني الخمر على رؤوس الأشهاد، وفي الأسواق من غير منكر، وظهر من عاجل عقوبة الله عز وجل، وقوف زيادة النيل عن معتادها، وزيادة سعر الغلة في وقت ميسورها.

وقال في متجددات سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، وآل الأمر إلى وقوف وظيفة الدار العزيزية من خبز ولحم إلى أن يتحمل في بعض الأوقات لآكلها لبعض ما يتبلغ به من خبز، وكثر ضجيجهم، وشكواهم فلم يسمع.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٢٩/١

ووقف الحال فيما ينفق في دار السلطان، وفيما يصرف إلى عياله، وفيما يقتات به أولاده، وما يغصب من أربابه، وأفضى هذا إلى غلاء الأسعار، فإن المتعيشين من أرباب الدكاكين يزيدون في أسعار المأكولات العامة بمقدار ما يؤخذ منهم للدار السلطانية، فأفضى ذلك إلى النظر في المكاسب الخبيثة، وضمن المزر والخمر باثني عشر ألف دينار.

وفسح في إظهار منكره والإعلان به والبيع له في القاعات والحوانيت، مع قرب استهلال رجب، وما استطاع أحد من العامة الإنكار لا باليد ولا باللسان، وصار هذا السحت مما ينفرد السلطان به لنفقته وطعامه، وانتقل مال الثغور، ومال الجوالي الحل الطيب إلى أن يصير حوالات لمن لا يبالي من أين أخذ المال، ولا يفرق بين الحرام والحلال، وفي شهر رمضان: غلا سعر الأعناب لكثرة العصير منها، وتظاهر به أربابه لتحكير تضمينه السلطاني، واستيفاء رسمه بأيدي مستخدميه، وبلغ ضمانه سبعة عشر ألف دينار، وحصل منه شيء حمل إليه، فبلغني أنه صنع به آلات للشراب ذهبيات وفضيات، وكثر اجتماع النساء والرجال في شهر رمضان لا سيما على الخليج لما فتح، وعلى مصر لما زاد الماء وتلقى فيه النيل بمعاص نسأل الله أن لا يؤاخذنا بها، وأن لا يعاقبنا عليها بجرأة أهلها.

وقال جامع السيرة التركية: ولما استقل الملك المعز عز الدين أيبك التركماني الصالحي بمملكة مصر في سنة خمسين وستمائة، بعد انقراض دولة بني أيوب استوزر شخصا من نظار الدواوين يعرف بشرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي، أحد كتاب الأقباط، وكان قد أظهر الإسلام من أيام الملك الكامل، وترقى في خدمة الكتابة، فقرر في وزارته أموالا على التجار، وذوي اليسار، وأرباب العقار، ورتب مكوسا وضمانات سموها: حقوقا ومعاملات.

ولما ولي الملك المظفر سيف الدين قطز: مملكة مصر، بعد خلعه الملك المنصور، علي بن المعز أيبك أحدث عند سفره الذي قتل فيه مظالم كثيرة لأجل جمع المال، وصرفه في الحركة لقتال جموع التتر، منها: تصقيع الأملاك، وتقويمها وزكاتها، وأحدث على كل إنسان دينارا يؤخذ منه، وأخذ ثلث التركات الأهلية، فبلغ ذلك ستمائة ألف دينار في كل سنة.

فلما قتل قطز وجلس الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بعده على سرير الملك بقلعة الجبل، أبطل ذلك جميعه، وكتب به مساميح قرئت على المنابر، ثم أبطل ضمان المزر وجهاته في سنة اثنتين وستين وستمائة. وكتب وهو بالشام إلى الأمير عز الدين الحلي نائب السلطنة بمصر: أن يبطل بيوت المزر، ويعفي آثاره، ويخرب بيوته، ويكسر مواعينه، ويسقط ارتفاعه من الديوان. فإن بعض الصالحين تحدث معي في ذلك،

وقال: القمح الذي جعله الله تعالى يداس بالأرجل، وقد تقربت إلى الله تعالى بإبطاله، ومن ترك شيئا لله عوضه خيرا منه، ومن كان له على هذه الجهة شيء يعوضه الله من المال الحلال، فأبطل الحلي ذلك، وعوض المقطعين عليه بدله.

وفي سنة ثلاث وستين أبطل حراسة النهار بالقاهرة ومصر، وكانت جملة مستكثرة، وكتب بذلك توقيعا، وأبطل من أعمال الدقهلية والمرتاحية عن رسوم الولاية، أربعة وعشرين ألف دينار، وفي خامس عشري شهر رمضان سنة اثنتين وستين وستمائة، قرئ بجامع مصر مكتوب بإبطال ما قرر على رسوم ولاية مصر من الرسوم، وهي مائة ألف درهم مصرية، فبطل ذلك، وأبطل ضمان الحشيش من ديار مصر كلها في سنة خمس وستين وستمائة.." (١)

"وأمر بإراقة الخمور، وإبطال المنكرات، وتعفية بيوت المسكرات، ومنع الخانات والخواطئ بجميع أقطار مملكة مصر والشام، فطهرت من ذلك البقاع، ولما وردت المراسيم بذلك على القاضي ناصر الدين أحمد بن المنير قال:

ليس لإبليس عندنا أرب ... غير بلاد الأمير مأواه

حرفته الخمر والحشيش معا ... حرمتا ماؤه ومرعاه

وقال الأديب الفاضل أبو الحسين الجزار:

قد عطل الكوب من حبابه ... وأخلى الثغر من رضابه

وأصبح الشيخ وهو يبكي ... على الذي فات من شبابه

وفي تاسع جمادى الآخرة سنة ست وستين وستمائة، أمر الملك الظاهر بيبرس بإراقة الخمور وإبطال الفساد، ومنع النساء الخواطئ من التعرض للبغاء من جميع القاهرة ومصر، وسائر الأعمال المصرية، فتطهرت أرض مصر من هذا المنكر، ونهبت الخانات التي كانت معدة لذلك، وسلب أهلها جميع ما كان لها، ونفى بعضهم، وحبست النساء حتى يتزوجن.

وكتب إلى جميع البلاد بمثل ذلك، وحط المال المقرر على البغايا من الديوان، وعوض الحاشية من جهات حل بنظيره، وفي سابع عشر ذي الحجة سنة تسع وستين وستمائة، أريقت الخمور، وأبطل ضمانها، وكان كل يوم ألف دينار، وكتب توقيع بذلك قرئ على المنابر، وافتتح سنة سبعين بإراقة الخمور، والتشدد في إزالة المنكرات، وكان يوما مشهودا بالقاهرة، وبلغه في سنة أربع وسبعين عن الطواشي شجاع الدين عنبر

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٣٣/١

المعروف: بصدر الباز، وكان قد تمكن منه تمكنا كثيرا أنه يشرب الخمر، فشنقه تحت قلعة الجبل.

ولما ولي الملك المنصور سيف الدين قلاون الإلفي، مملكة مصر أبطل زكاة الدولة، وهو ما كان يؤخذ من الرجل عن زكاة ماله أبدا، ولو عدم منه، وإذا مات يؤخذ من ورثته، وأبطل ما كان يجبى من أهل إقليم مصر كله إذا حضر مبشر بفتح حصن، أو نحوه، فيؤخذ من الناس بالقاهرة ومصر على قدر طبقاتهم، ويجتمع من ذلك مال كثير، وأبطل ما كان يجبى من أهل الذمة، وهو دينار سوى الجالية برسم نفقة الأجناد في كل سنة، وأبطل مقرر جباية الدينار من التجار عند سفر العسكر والغزاة، وكان يؤخذ من جميع تجار القاهرة ومصر من كل تاجر دينار، وأبطل ما كان يجبى عند وفاء النيل مما يعمل به شوى وحلوى وفاكهة في المقياس، وجعل مصر ذلك من بيت المال، وأبطل أشياء كثيرة من هذا النمط.

وأبطل الملك الناصر، محمد بن قلاون عدة جهات قد ذكرت في الروك الناصري، وآخر ما أدركنا إبطاله ضمان الأغاني، وضمان القراريط في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة، على يد الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون.

فأما ضمان الأغاني فكان بلاء عظيما، وهو عبارة عن أخذ مال من النساء البغايا، فلو خرجت أجل امرأة في مصر تريد البغاء حتى نزلت اسمها عند الضامنة، وقامت بما يلزمها لما قدر أكبر أهل مصر على منعها من عمل الفاحشة، وكان على النساء، إذا تنفسن أو عرسن امرأة أو خضبت امرأة يدها بحناء، أو أراد أحد أن يعمل فرحا لا بد من مال بتقرير تأخذه الضامنة، ومن فعل فرحا بأغان أو نفس امرأته من غير إذن الضامنة حل به بلاء لا يوصف.

وأما ضمان القراريط، فإنه كان يؤخذ من كل من باع ملكا عن كل ألف درهم، عشرون درهما، وكان متحصل هاتين الجهتين مالا كثيرا جدا.

وأبطل الملك الظاهر برقوق، ما كان يؤخذ من أهل البرلس وشورى وبلطيم شبه الجالية في كل سنة ستين ألف درهم، وأبطل ما كان على القمح من مكس، يؤخذ من الفقراء بثغر دمياط ممن يبتاع من أردبين، فما دونهما، وأبطل ما كان يؤخذ مكسا من معمل الفروج بالنحريرية، والأعمال الغربية، وأبطل ما كان يؤخذ تقدمة لمن يسرح إلى العباسة من الخيل والجمال والغنم وغير ذلك، وأبطل ما كان يؤخذ على المريس والحلفاء بباب النصر خارج القاهرة، وأبطل ضمان الأغاني بمنية ابن خصيب بأعمال الأشمونين، وبزفتا بالأعمال الغربية، وأبطل الأبقار التي كانت ترمي بالوجه البحري عند فراغ الجسور، وأبطل الأمير بلبغا السالمي، لما ولي استادار السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق في سنة إحدى وثمانمائة تعريف الغلال

بمنية ابن خصيب، وضمان العرصة بها وأخصاص الغسالين، وكانت من المظالم القبيحة، وأبطل من القاهرة ضمان بحيرة البقر، ثم أعاده القبط من بعده.." (١)

"فقال عظيم الكهان، ويقال له: إقليمون: إن أحلام الملوك لا تجري على محال لعظم أقدارهم، وأنا أخبر الملك برؤيا رأيتها منذ سنة، ولم أذكرها لأحد من الناس، رأيت كأني قاعد مع الملك على وسط المنار الذي بأمسوس، وكأن الفلك قد انحط من موضعه حتى قارب رؤوسنا، وكان علينا كالقبة المحيطة بنا، وكأن الملك قد رفع يديه نحو السماء، وكواكبها قد خالطتها في صور شتى مختلفة الأشكال، وكأن الناس قد جفلوا إلى قصر الملك، وهم يستغيثون به، وكأن الملك قد رفع يديه حتى بلغتا رأسه، وأمرني أن أفعل كما فعل، ونحن على وجل شديد، إذ رأينا منها موضعا قد انفتح، وخرج منه نور مضيء، وطلعت علينا منه الشمس، وكأنا استغثنا بالشمس، فخاطبتنا أن الفلك سيعود إلى موضعه، فانتبهت مرعوبا، ثم نمت فرأيت كأن مدينة أمسوس قد انقلبت بأهلها والأصنام تهوي على رؤوسها، وكأن أناسا نزلوا من السماء بأيديهم مقامع من حديد يضربون الناس بها، فقلت لهم: ولم تفعلون بالناس كذا؟ قالوا: لأنهم كفروا بإلههم قلت: فما بقي لهم من خلاص؟ قالوا: نعم، من أراد الخلاص، فليلحق بصاحب السفينة، فانتبهت مرعوبا فقال الملك: خذوا الارتفاع للكواكب، وانظروا هل من حادث؟ فبلغوا غايتهم في استقصاء ذلك، وأخبروا بأمر الطوفان، وبعده بالنار التي تخرج من برج الأسد تحرق العالم، فقال الملك: انظروا هل تلحق هذه الآفة بلادنا. فقالوا: نعم، تأتي في الطوفان على أكثره ويلحقه خراب يقيم عدة سنين. قال: فانظروا هل يعود عامرا كما كان؟ أو يبقى مغمورا بالماء دائما، قالوا: بل تعود البلاد كما كانت وتعمر، قال: ثم ماذا؟ قالوا: يقصدها ملك يقتل أهلها، ويغنم مالها، قال: ثم ماذا؟ قالوا: يقصدها قوم مشوهون من ناحية جبل النيل، ويملكون أكثرها، قال: ثم ماذا. قالوا: ينقطع نيلها وتخلو من أهلها، فأمر عند ذلك: بعمل الأهرام، وأن يعمل لها مسارب يدخل منها النيل إلى مكان بعينه، ثم يفيض إلى مواضع من أرض الغرب وأرض الصعيد، وملأها طلسمات وعجائب وأموالا وأصناما، وأجساد ملوكهم، وأمر الكهان فزبروا عليها جميع ما قالته الحكماء، وزبر فيها وفي سقوفها وحيطانها وأسطواناتها جميع العلوم الغامضة التي يدعيها **أهل مصر**، وصور فيها صور الكواكب كلها، وزبر عليها أسماء العقاقير ومنافعها ومضارها وعلم الطلسمات وعلم الحساب والهندسة، وجميع علومهم مفسرا لمن يعرف كتابتهم ولغتهم.

ولما شرع في بنائها أمر بقطع الأسطوانات العظيمة ونشر البلاط الهائل، واستخراج الرصاص من أرض

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/١٣٤

المغرب وإحضار الصخور من ناحية أسوان، فبنى بها أساس الأهرام الثلاثة، الشرقي والغربي والملون، وكانت لهم صحائف، وعليها كتابة، إذا قطع الحجر وتم إحكامه وضعوا عليه تلك الصحائف وضربوه، فيبعد بتلك الضربة قدر مائة سهم، ثم يعاودون ذلك حتى يصل الحجر إلى الأهرام، وكانوا يمدون البلاطة، ويجعلون في ثقب بوسطها قطبا من حديد قائما، ثم يركبون عليها بلاطة أخرى مثقوبة الوسط، ويدخلون القطب فيها، ثم يذاب الرصاص ويصب في القطب حول البلاطة بهندام وإتقان إلى أن كملت.." (١)

"ومنها عند مدينة فرعون يوسف، هرم أعظم، وأكبر دوره ثلاثة آلاف ذراع، وعلوه سبعمائة من حجارة، كل حجر خمسون ذراعا، وعند مدينة فرعون موسى أهرام أكبر وأعظم، وهرم آخر يعرف بهرم، مدون كأنه جبل، وهو خمس طبقات، وفتح المأمون الهرم الكبير الذي تجاه الفسطاط، قال: وقد دخلت في داخله، فرأيت قبة مربعة الأسفل مدورة الأعلى كبيرة في وسطها بئر عمقها، عشرة أذرع، وهي مربعة ينزل الإنسان فيها، فيجد في كل وجه من تربيع البئر بابا يفضي إلى دار كبيرة فيها موتى من بني آدم عليهم أكفان كثيرة أكثر من مائة ثوب على كل واحد، قد بليت بطول الزمان واسودت وأجسامهم مثلنا ليسوا طوالا، ولم يسقط من أجسامهم، ولا من شعورهم شيء، وليس فيهم شيخ، ولا من شعره أبيض، وأجسادهم قوية لا يقدر الإنسان أن يزيل عضوا من أعضائهم البتة، ولكنهم خفوا حتى صاروا كالغثا لطول الزمان، وفي تلك البئر أربعة من الدور مملوءة بأجساد الموتى، وفيها خفاش كثير، وكانوا يدفنون أيضا جميع الحيوان في الرمال، ولقد وجدت ثيابا ملفوفة كثيرا مقدار جرمها، أكثر من ذراع، وقد احترقت تلك الثياب من القدم، فأزلت الثياب إلى أن ظهرت خرق صحاح قوية بيض من كتان أمثال العصائب فيها أعلام من الحرير الأحمر، وفي داخلها هدهد ميت لم يتناثر من ريشه، ولا من جسده شيء كأنه قد مات الآن.

وفي القبة التي في الهرم، باب يفضي إلى علو الهرم، وليس فيه درج عرضه نحو خمسة أشبار، يقال: إنه صعد فيها في زمان المأمون فأفضوا إلى قبة صغيرة فيها صورة آدمي من حجر أخضر كالدهنج، فأخرجت إلى المأمون، فإذا هي مطبقة، فلما فتحت وجد فيها جسد آدمي عليه درع من ذهب مزين بأنواع الجواهر وعلى صدره نصل سيف لا قيمة له، وعند رأسه حجر ياقوت أحمر كبيضة الدجاجة يضيء كلهب النار فأخذه المأمون.

وقد رأيت الصنم الذي أخرج منه ذلك الميت ملقى عند باب دار الملك بمصر في سنة إحدى عشرة وخمسمائة.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٤١/١

وقال القاضي الجليل أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي: روي علي بن الحسن بن خلف بن قديد عن يحيى بن عثمان بن صالح عن محمد بن علي بن صخر التميمي قال: حدثني رجل من عجم مصر من قرية من قراها تدعى قفط، وكان عالما بأمور مصر وأحوالها وطالبا لكتبها القديمة ومعادنها، قال: وجدنا في كتبنا القديمة، قال: وأما الأهرام فإن قوما احتفروا قبرا في دير أبي هرميس، فوجدوا فيه ميتا في أكفانه، وعلى صدره قرطاس ملفوت في خرق فاستخرجوه من الخرق، فرأوا كتابا لا يعرفونه، وكان الكتاب بالقبطية الأولى، فطلبوا من يقرأه لهم، فلم يقدروا عليه، فقيل لهم: إن بدير القلمون من أرض الفيوم راهبا يقرأه، فخرجوا إليه، وقد ظنوا أنه في الضيعة، فقرأه لهم، وكان فيه: كتب هذا الكتاب في أول سنة من ملك ديقلطيانس الملك، وإنا استنسخناه من كتاب نسخ: في أول سنة من ملك فيلبش الملك، وإن فيلبش استنسخه من صحيفة من ذهب فرق كتابتها حرفا حرفا، وكان من الكتاب الأول، ترجمه له أخوان من القبط يقال لأحدهما: ايلو، والآخر: يرثا، وإن الملك فيلبس سألهما عن سبب معرفتهما بما جهله الناس من قراءته، فذكرا أنهما من ولد رجل من أهل مصر الأوائل لم ينج من الطوفان من أهل مصر أحد غيره، وكان سبب نجاته أنه أتى نوحا عليه السلام فآمن به، ولم يأته منأهل مصر غيره، فحمله معه في السفينة، فلما نضب ماء الطوفان أتى مصر، ومعه نفر من ولد حام بن نوح، وكان بها حتى هلك، فورث ولده علم كتاب أهل مصر الأول، فورثناه عنه كابرا عن كابر.

وكان تاريخه الذي مضى إلى أن استنسخه فيلبش، ألفا وثلثمائة واثنتين وسبعين سنة، وإن الذي استنسخه في صحيفة من ذهب فرق كتابتها حرفا حرفا على ما وجده فيلبش، وإن تاريخه إلى أن استنسخه ألف وسبعمائة سنة وخمس وثمانون سنة.." (١)

"وكان الكتاب المنسوخ: إنا نظرنا فيما تدل عليه النجوم، فرأينا أن آفة نازلة من السماء وخارجة من الأرض، فلما بان لنا الكون نظرنا ما هو فوجدناه ماء مفسدا للأرض وحيوانها ونباتها، فلما تم اليقين من ذلك عندنا قلنا لملكنا سوريد بن سهلوق: مر ببناء أفروشات وقبر لك وقبر لأهل بيتك، فبنى لهم الهرم الشرقي، وبنى لأخيه هو حيت الهرم الغربي، وبنى لابن هو حيت الهرم الملون، وبنيت أفروشات في أسفل مصر، وأعلاها فكتبنا في حيطانها علم غامض أمر النجوم وعللها والصنعة والهندسة والطلب، وغير ذلك مما ينفع ويضر ملخصا مفسرا لمن عرف كلامنا وكتابتنا، وإن هذه الآفة نازلة بأقطار العالم، وذلك عند نزول قلب الأسد في أول دقيقة من رأس السرطان، ويكون الكوكب عند نزوله إياها في هذه المواضع من

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/١٤٦

الفلك الشمس والقمر في أول دقيقة من رأس الحمل، وقوريس في درجة وثمان وعشرين دقيقة من الحمل، وراويس في الحوت في تسع وعشرين درجة وثمان وعشرين دقيقة، واويس في الحوت في تسع وعشرين درجة وثلاث دقائق، وأفرد وبطر في الحوت في ثمان وعشرين درجة ودقائق، وهرمس في الحوت في سبع وعشرين ودقائق، والجوزهر في الميزان وأوج القمر في الأسد في خمس درجات ودقائق.

ثم نظرنا هل يكون بعد هذه الآفة كون مضر بالعالم. فأصبنا الكواكب تدل على أن آفة نازلة من السماء إلى الأرض وإنها ضد الآفة الأولى وهي نار محرقة أقطار العالم، ثم نظرنا متى يكون هذا الكون المضر. فرأيناه يكون، عند حلول قلب الأسد في آخر دقيقة من الدرجة الخامسة عشر من الأسد، ويكون إبليس معه في دقيقة واحدة متصلة بقوريس من تثليث الرامي، ويكون راويس مشتري في أول الأسد في آخر احتراقه، ومعه آويس في دقيقة، ويكون سليس في الدلو مقابلا لإيليس الشمس، ومعه الذنب في اثنتين وعشرين، ويكون كسوف شديد له مكث يوازي القمر، ويكون هرمس عطارد في بعده الأبعد أمامها مقبلين، أما إفرد وبطن فللاستقامة، وأما هرمس فللرجعة.

قال الملك: فهل عندكم من خبر توقفونا عليه غير هاتين الآفتين. قالوا: إذا قطع قلب الأسد ثلثي سدس أدواره لم يبق من حيوان الأرض متحرك إلا تلف، فإذا استتم أدواره تحللت عقد الفلك، وسقط على الأرض، قال لهم: وأي يوم فيه انحلال الفلك؟ قالوا: اليوم الثاني من بدو حركة الفلك، فهذا ما كان في القرطاس.

فلما مات الملك سوريد بن سهلوق دفن في الهرم الشرقي، ودفن هوحيت في الهرم الغربي، ودفن كرورس في الهرم الذي أسفله من حجارة أسوان وأعلاه كدان. ولهذه الأهرام أبواب في أزج تحت الأرض طول كل أزج مائة وخمسون ذراعا. فأما باب الهرم الشرقي فمن الناحية البحرية، وأما باب أزج الهرم الموزر فمن الناحية القبلية. وفي الأهرام من الذهب وحجارة الزمرد ما لا يحتمله الوصف.

وإن مترجم هذا الكتاب من القبطي إلى العربي أجمل التاريخين إلى أول يوم من توت، وهو يوم الأحد طلوع شمسه سنة خمس وعشرين ومائتين من سني العرب، فبلغت أربعة آلاف وثلثمائة وإحدى وعشرين سنة لسني الشمس، ثم نظر كم مضى للطوفان إلى يومه هذا فوجده ألفا وسبعمائة وإحدى وأربعين سنة وتسعة وخمسين يوما وثلاث عشرة ساعة وأربعة أخماس ساعة وتسعة وخمسين جزءا من أربعمائة جزء من ساعة، فألقاها من الجملة فبقي معه ثلثمائة وتسع وتسعون سنة ومائتان وخمسة أيام وعشر ساعات وأحد وعشرون جزءا من أربعمائة جزء من ساعة، فعلم أن هذا الكتاب المؤرخ كتب قبل الطوفان بهذه السنين والأيام والساعات والكسر من الساعة.

وأما الهرم الذي بدير أبي هرميس، فإنه قبر قرياس، وكان فارس أهل مصر، وكان يعد بألف فارس، فإذا لقيهم لم يقوموا به وانهزموا، وإنه مات فجزع الملك عليه جزعا بلغ منه، واكتأبت لموته الرعية، فدفنوه بدير هرميس وبنوا عليه الهرم مدرجا، وكان طينه الذي بني به مع الحجارة من الفيوم، وهذا معروف إذا نظر إلى طينه لم يعرف له معدن إلا بالفيوم وليس بمنف ووسيم له شبه من الطين.." (١)

"وأما قبر الملك صاحب قرياس هذا، فإنه الهرم الكبير من الأهرام التي في بحري دير أبي هرميس، وعلى بابه لوح كدان مكتوب فيه باللازورد طول اللوح: ذراعان في ذراع وكله مملوء كتبا مثل كتب البرابي يصعد إلى باب الهرم بحرج بعضها صحيح لم ينخرم، وفي هذا الهرم ذخائر صاحبه من الذهب وحجارة الزمرد، وإنما سد بابه حجارة سقطت من أعاليه ومن وقف عليه رآه بيتا.

وقال ابن عفير عن أشياخه: أن جياد بن مياد بن شمر بن شداد بن عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام، ملك الإسكندرية، وكانت تسمى إرم ذات العماد، فطال ملكه، وبلغ ثلثمائة سنة.

وهو الذي سار وبنى الأهرام وزبر فيها: أنا جياد بن مياد بن شمر بن شداد الشاد بزراعة الواد المؤيد الأوتاد الجامع الصخر في البلاد المجند الأجناد الناصب العماد الكند الكناد تخرجه أمة اسم نبيها حماد آية ذلك إذا غشي بلد البلاد سبعة ملوك أجناس السواد تاريخ هذا الزبر ألف سنة وأربعمائة سنة عداد.

وقال ابن عفير وابن عبد الحكم: وفي زمان شداد بن عاد بنيت الأهرام فيما ذكر بعض المحدثين، ولم نجد عند أحد من أهل العلم من أهل مصر معرفة في الأهرام ولا خبر ثبت. وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكيم: ما أحسب الأهرام بنيت إلا قبل الطوفان، لأنها لو بنيت بعده لكان علمها عند الناس.

وقال عبد الله بن شبرمة الجرهمي: لما نزلت العماليق أرض مصر حين أخرجها جرهم من مكة بنت الأهرام واتخذت لها المصانع، وبنت فيها العجائب، ولم تزل بمصر حتى أخرجها مالك بن ذعر الخزاعي. وقال محمد بن عبد الحكم: كان من وراء الأهرام إلى المغرب أربعمائة مدينة سوى القرى من مصر إلى المغرب في غربي الأهرام.

وقال ابن عفير: ولم يزل مشايخنا من أهل مصر يقولون: الأهرام بناها شداد بن عاد وهو الذي بنى المغار، وجند الأجناد، فالمغار والأجناد هي: الدفائن، وكانوا يقولون بالرجعة، وإذا مات أحدهم دفن معه ماله كائنا ما كان، وإن كان صانعا دفن معه آلة صنعته، وكانت الصابئة تحج إلى الأهرام.

وقال أبو الريحان البيروتي في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية: والفرس والمجوس تنكر الطوفان، وأقر

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٤٧/١

به بعض الفرس لكنهم قالوا: كان بالشام والمغرب منه شيء في زمان طمهورث ولكنه لم يعم العمران كله، ولم يتجاوز عقبة حلوان، ولم يبل ممالك الشرق، وأن أهل المغرب لما أنذر به حكماؤهم بنوا أبنية كالهرمين بمصر ليدخلوها عند الآفة، وإن آثار دماء الطوفان وتأثيرات الأمواج كانت بينة على أنصاف الهرمين لم تتجاوزهما، انتهى.

ويقال: إن الطوفان لما نضب ماؤه لم يوجد تحت الماء قرية سوى: نهاوند، وجدت كما هي، وأهرام مصر وبرابيها وهي التي بناها هرميس الأول الذي تسميه العرب: إدريس، وكان قد ألهمه الله علم النجوم، فدلته على أنه سينزل بالأرض آفة وأنه سيبقى بقية من العالم يحتاجون فيها إلى علم، فبنى هو وأهل عصره الأهرام والبرابي وكتب علمه فيها.

وقال أبو الصلت الأندلسي في رسالته: وقد ذكر أخلاق **أهل مصر**، إلا أنه يظهر من أمرهم أنه كان فيهم طائفة من ذوي المعارف والعلوم، وخصوصا علم الهندسة والنجوم، ويدل على ذلك ما خلفوه من الصنائع البديعة المعجزة كالأهرام والبرابي، فإنها من الآثار التي حيرت الأذهان الثاقبة، واستعجزت الأفكار الراجحة، وتركت لها شغلا بالتعجب منها والتفكر فيها، وفي مثلها يقول أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري من قصيدته التي يرثي بها أباه:

تضل العقول الهبرزيات رشدها ... ولا يسلم الرأي القويم من الأفن

وقد كان أرباب الفصاحة كلما ... رأوا حسنا عدوه من صنعة الجن." (١)

"إلى هرمي مصر تناهت قوى الورى ... وقد هرمت في دهرها الهرمان

فلا تعجبا أن قد هرمت فإنما ... رماني بفقدان الشباب زماني

وعوجا بقرطاجنة فانظرا بها ... جنايتي العادين تنتحبان

وإيوان كسرى فانظراه فإنه ... يخبر كما بالصدق كل أوان

فلا تحسبا أن الفناء يخصني ... ألا كل ما فوق البسيطة فاني

ووجدت بخط الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني أنشدني القاضي فخر الدين عبد الوهاب المصري لنفسه في الأهرام سنة خمس وخمسين وسبعمائة وأجاد:

أمباني الأهرام كم من واعظ ... صدع القلوب ولم يفه بلسانه

اذكرنني قولا تقادم عهده ... أين الذي الهرمان من بنيانه

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٤٨/١

هن الجبال الشامخات تكاد أن ... تمتد فوق الأرض عن كيوانه

لو أن كسرى جالس في سفحها ... لأجل مجلسه على إيوانه

ثبتت على حر الزمان وبرده ... مددا ولم تأسف على حدثانه

والشمس في إحراقها والريح عن ... د هبوبها والسيل في جريانه

هل عابد قد خصها بعبادة ... فمباني الأهرام من أوثانه

أو قائل يقضي برجعي نفسه ... من بعد فرقته إلى جثمانه

فاختارها لكنوزه ولجسمه ... قبرا ليأمن من أذى طوفانه

أو أنها للسائرات مراصد ... يختار راصدها أعز مكانه

أو أنها وصفت شؤون كواكب ... أحكام فرس الدهر أو يونانه

أو أنهم نقشوا على حيطانها ... علما يحار الفكر في تبيانه

في قلب رائيها ليعلم نقشها ... فكر يعض عليه طرف بنانه

ذكر الصنم الذي يقال له أبو الهول

هذا الصنم بين الهرمين عرف أولا بلهيب، وتقول **أهل مصر** اليوم أبو الهول. قال القضاعي: صنم الهرمين وهو بلهويه، صنم كبير من حجارة فيما بين الهرمين لا يظهر منه سوى رأسه فقط تسميه العامة بأبي الهول ويقال: بلهيب، ويقال: إنه طلسم للرمل، لئلا يغلب على إبليز الجيزة.

وقال في كتاب عجائب البنيان: وعند الأهرام رأس وعنق بارزة من الأرض في غاية العظم تسميه الناس: أبا الهول، ويزعمون أن جثته مدفونة تحت الأرض، ويقتضي القياس بالنسبة إلى رأسه أن يكون طوله سبعين ذراعا فصاعدا، وفي وجهه حمرة ودهان يلمع عليه رونق الطراوة، وهو حسن الصورة مقبولها عليه مسحة بهاء وجمال كأنه يضحك تبسما. وسئل بعض الفضلاء، عن عجيب ما رأى فقال: تناسب وجه أبي الهول، فإن أعضاء وجهه كالأنف والعين والأذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة، فإن أنف الطفل مثلا مناسب له، وهو حسن به حتى لو كان ذلك الأنف لرجل كان مشوها، وكذلك أنف الرجل لو كان لصبي لتشوهت صورته، وعلى هذا سائر الأعضاء فكل عضو ينبغي أن يكون على مقدار ماهيته بالقياس إلى الصورة وعلى نسبتها، والعجب من مصوره كيف قدر أن يحفظ التناسب للأعضاء مع عظمها، وإنه ليس في أعمال الطبيعة ما يحاكيه.

ويقابله في بر مصر قريبا من دار الملك: صنم عظيم الخلقة والهيئة متناسب الأعضاء كما وصف، وفي

حجره مولود وعلى رأسه مأجور، الجميع صوان ماتع يزعم الناس أنه امرأة وأنها سرية أبي الهول المذكور، وهي بدرب منسوب إليها ويقال: لو وضع على رأس أبي الهول خيط ومد إلى سريته لكان على رأسها مستقيما.

ويقال: إن أبا الهول، طلسم الرمل يمنعه عن النيل، وإن السرية طلسم الماء يمنعه عن مصر.." (١)

"وقال ابن المتوج: زقاق الصنم، هو الزقاق الشارع، أوله بأول السوق الكبير بجوار درب عمار، ويعرف الصنم بسرية فرعون، وذكر أنه طلسم النيل لئلا يغلب على البلد. وقيل: إن بلهيب الذي عند الأهرام يقابله، وإن ظهر بلهيب إلى الرمل، وظهر هذا إلى النيل، وكل منهما مستقبل الشرق، وقد نزل في سنة إحدى عشرة وسبعمائة، أمير يعرف ببلاط في نفر من الحجارين والقطاعين وكسروا الصنم المعروف بالسرية، وقطعوه أعتابا وقواعد ظنا أن يكون تحته مال، فلم يوجد سوى أعتاب من حجر عظيمة، فحفر تحتها إلى الماء فلم يوجد شيء، وجعل من حجرة قواعد تحتانية للعمد الصوان التي بالجامع المستجد بظاهر مصر المعروف: بالجامع الجديد الناصري، وأزيل عين هذا الصنم من مكانه، والله أعلم.

وفي زمننا، كان شخص يعرف بالشيخ محمد صائم الدهر من جملة صوفية الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء، قام في نحو من سنة ثمانين وسبعمائة لتغيير أشياء من المنكرات، وسار إلى الأهرام وشوه وجه أبي الهول وشعثه، فهو على ذلك إلى اليوم، ومن حينئذ غلب الرمل على أراض كثيرة من الجيزة، وأهل تلك النواحي يرون أن سبب غلبة الرمل على الأراضي فساد وجه أبي الهول ولله عاقبة الأمور، وما أحسن قول ظافر الحداد:

تأمل هيئة الهرمين واعجب ... وبينهما أبو الهول العجيب

كعمار يتن على رحيل ... بمحبوبين بينهما رقيب

وماء النيل تحتهما دموع ... وصوت الريح عندهما نحيب

وظاهر سجن يوسف مثل صب ... تخلف فهو محزون كئيب

ويقال: إن أتريب بن قبط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح أوصى أخاه صا، عند موته، أن يحمله في سفينة ويدفنه بجزيرة في وسط البحر، فلما مات، فعل ذلك من غير أن يعلم به أهل مصر فاتهمه الناس بقتل أتريب، وحاربوه تسع سنين، فلما مضى من حربهم خمس سنين مضى بهم حتى أوقفهم على قبر أتريب، فحفروه فلم يجدوا به شيئا، وقد نقلته الشياطين إلى موضع أبي الهول، ودفنته هناك بجانب قبر أبيه

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٥٣/١

وجده بيصر، فازدادوا له تهمة وعادوا إلى مدينة منف وتحاربوا فأتاهم إبليس، فدلهم على قبر أتريب حيث نقله، فأخرجوه من قبره، ووضعوه على سرير، فتكلم لهم الشيطان على لسانه حتى افتتنوا به وسجدوا له وعبدوه، فيما عبدوا من الأصنام، وقتلوا صا، ودفنوه على شاطئ النيل فكان النيل إذا زاد لا يعلو قبره، فافتتن به طائفة، وقال: قتل ظلما وصاروا يسجدون لقبره كما يسجد أولئك لأتريب، فعمد آخرون إلى حجر فنحتوه على صورة أشموم، وكان يقال له: أبو الهول، ونصبوه بين الهرمين، وجعلوا يسجدون له، فصار **أهل مصر** ثلاث فرق ولم تزل الصابئة تعظم أبا الهول وتقرب إليه الديكة البيض وتبخره بالصندروس.

ذكر الجبال

اعلم أن أرض مصر بأسرها محصورة بين جبلين آخذين من الجنوب إلى الشمال قليلي الارتفاع، وأحدهما أعظم من الآخر، والأعظم منهما هو الجبل الشرقي المعروف بجبل لوقا، والغربي جبل صغير، وبعضه غير متصل ببعض والمسافة بينهما تضيق في بعض المواضع وتتسع في بعضها، وأوسع ما يكون بأسفل أرض مصر، وهذان الجبلان أقرعان لا يثبت فيهما نبات، كما يكون في جبال البلدان الأخر، وعلة ذلك: أنهما بورقيان مالحان لأن قوة طين مصر تجذب منهما الرطوبات الموافقة في التكوين، ولأن قوة الحرارة تحلل منهما الجوهر اللطيف العذب، وكذلك مياه الآبار منهما مالحة، وهذان الجبلان يجففان ما يدفن فيهما، فإن أرض مصر بالطبع قليلة الأمطار. وجبل لوقا في مشرق أرض مصر يعوق عنها ريح الصبا، فعدمت مصر هذا الريح، ويعوق أيضا إشراق الشمس على أرض مصر إذا كانت على الأفق وتتعدد أسماء هذين الجبلين بحسب مواضعهما من الإقليم، فيطل على الفسطاط، وعلى القاهرة الجبل المقطم.

ذكر الجبل المقطم." (١)

"وذكر عمر بن أبي عمر الكندي في فضائل مصر: أن عمرو بن العاص رضي الله عنه، سار في سفح الجبل المقطم، ومعه المقوقس، فقال له: ما لجبلكم هذا أقرع؟ أليس به نبات كجبال الشام فلو شققنا في أسفله نهرا من النيل وغرسناه نخلا؟ فقال المقوقس: وجدنا في الكتب أنه كان أكثر الجبال أشجارا ونباتا وفاكهة، وكان منزل المقطم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، فلما كانت الليلة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام، أوحى الله إلى الجبال إني مكلم نبيا من أنبيائي على جبل منكم فسمت الجبال كلها، وتشامخت إلا جبل بيت المقدس، فإنه هبط وتصاغر، فأوحى الله إليه لم فعلت ذلك. وهو به أخبر فقال: إعظاما وإجلالا لك يا رب، قال: فأمر الله سبحانه الجبال أن يحبوه كل جبل بما عليه من النبت،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٥٤/١

فجاداله المقطم بكل ما عليه من النبت حتى بقي كما ترى، فأوحى الله إليه: إني معوضك على فعلك بشجر الجنة، أو غراس الجنة، فكتب بذلك عمرو بن العاص رضي الله عنه، إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني لا أعلم شجر الجنة غير المؤمنين فاجعله لهم مقبرة ففعل، فغضب المقوقس من ذلك، وقال لعمرو: ما على هذا صالحتني، فقطع له عمر قطيعا نحو الحبش تدفن فيه النصارى.

قال: وروي أن موسى عليه السلام سجد، فسجد معه كل شجرة من المقطم إلى طرا.

وروي أنه مكتوب، وإذا فتح مقدسي يريد وادي مسجد موسى عليه السلام بالمقطم عند مقطع الحجارة، فإن موسى عليه السلام كان يناجي ربه بذلك الوادي.

وروى أسد بن موسى قال: شهدت جنازة مع موسى بن لهيعة، فجلسنا حوله فرفع رأسه، فنظر إلى الجبل فقال: إن عيسى ابن مريم عليه السلام، مر بسفح هذا الجبل، وعليه جبة صوف وقد شد وسطه بشريط وأمه إلى جانبه، فالتفت إليها وقال: يا أمه هذه مقبرة أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وروى عبد الله بن لهيجة، عن عياش بن عباس: أن كعب الأحبار رضي الله عنه، سأل رجلا يريد مصر، فقال له: اهدني تربة من سفح مقطمها فأتاه منه بجراب، فلما حضرت كعبا الوفاة أمر به، فجعل في لحده تحت جثته.

وروي عن كعب أنه سئل عن جبل مصر، فقال: إنه لمقدس ما بين القصير إلى اليحموم، قال ابن لهيعة: والمقطم: ما بين القصير إلى مقطع الحجارة، وما بعد ذلك، فمن اليحموم وفي هذا الجبل حجر الجوهر، وشيء من الفولاذ، وهو يمتد إلى أقاصي بلاد السودان.

الجبل الأحمر

هذا الجبل مطل على القاهرة من شرقيها الشمالي، ويعرف: باليحموم. قال القضاعي: اليحاميم هي: الجبال المتفرقة المطلة على القاهرة من جانبها الشرقي وجبابها، وتنتهي هذه الجبال إلى بعض طرق الجب، وقيل لها: اليحاميم لاختلاف ألوانها، واليحموم في كلام العرب الأسود المظلم.

وقال ابن عبد الحكم عن سعي بن عبيد أنه لما قدم مصر، **وأهل مصر**، قد اتخذوا مصلى بحذاء ساقية أبي عون التي في العسكر فقال: ما لهم وضعوا مصلاهم في الجبل الملعون وتركوا الجبل المقدس، يعني المقطم؟.

وقال ابن عبد الظاهر: الجبل الأحمر، ذكر القضاعي: أن اليحموم هو: الجبل المطل على القاهرة، ولا أرى جبلا يطل على القاهرة غيره.

وقال البكري: اليحموم، بفتح أوله وإسكان ثانيه. قال الحربي: اليحموم: جبل بمصر.

وروي من طريق أبي قبيل، عن عبد الله بن عمرو: أنه سأل كعبا عن المقطم: أملعون؟ قال: ليس بملعون، ولكنه مقدس من القصير إلى اليحموم.

وذكر البكري أيضا: أن عابدا، بالباء الموحدة والدال المهملة، على وزن فاعل: جبل بمصر قبل المقطم.

جبل يشكر

هذا الجبل فيما بين القاهرة ومصر عليه الجامع الطولوني. قال القضاعي: جبل يشكر: هو يشكر بن جديلة من لخم، وهو الذي عليه جامع ابن طولون، ويشكر بن جديلة: قبيلة من قبائل العرب احتطت عند الفتح بهذا الجبل، فعرف بجبل يشكر لذلك.

قال ابن عبد الظاهر: وجامع ابن طولولن ءلى جبل يشكر، وهو مكان مشهور بإجابة الدعاء، ومكان مبارك، وقيل: إن موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات، وكان هذا الجبل يشرف على النيل، وليس بينه وبين النيل شيء، وكان يشرف على البركتين، أعني بركة الفيل، والبركة التي تعرف اليوم: ببركة قارون، وعلى هذا الجبل كانت تنصب المجانيق التي تجرب قبل إرسالها إلى الثغور.." (١)

"وأما العامة والغوغاء، فكانوا يقولون: أرادوا أن يخاطبوا زحل، وأرادوا أن يعلموا الغيب، وقال آخرون منهم: عمل هذا للسحر، ونحو ذلك من الشناعات، فلما قبض على المأمون، بطل وأنكر الخليفة على عمله، فلم يجسر أحد أن يذكره، وأمر فكسر، وحمل إلى المناخات، وهرب المستخدمون ومن كان فيه من الخاص، وكان فيه من المهندسين برسم خدمته وملازمته في كل يوم بحيث لا يتأخر منهم أحد الشيخ أبو جعفر بن حسنداي والقاضي ابن أبي العيش، والخطيب أبو الحسن علي بن سليمان بن أيوب، والشيخ أبو النجا بن سند الساعاتي الإسكندراني المهندس، وأبو محمد عبد الكريم الصقلي المهندس، وغيرهم من الحساب والمنجمين، كابن الحلبي وابن الهيثمي وأبي نصر تلميذ سهلون وابن دياب والقلعي، وجماعة يحضرون كل يوم إلى ضحوة النهار، فيحضر صاحب الديوان ابن أبي الليث، وكان ابن حسنداي ربما تأخر في بعض الأيام فإنه كان امرأ عظيما صاحب كبرياء وهيبة، وفي كل يوم يبعث المأمون من يتفقد الجماعة، ويطالعه بمن غاب منهم لأنه كان كثير التفقد للأمور كلها، وله غمازون وأصحاب أخبار لا تنام، ولا يكاد يفوته شيء من أحوال الخاصة والعامة بمصر والقاهرة، ومن يتحدث.

وجعل في كل بلد من الأعمال من يأتيه بسائر أخبارها. وأنا أدركت هذا الموضع الذي يعرف اليوم: بالرصد،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٥٦/١

حيث جامع الفيلة عامرا فيه عدة مساكن ومساجد، وبه أناس مقيمون دائما، وقد خرب ما هناك، وصار لا أنيس به وكان الملك الناصر: محمد بن قلاون، قد أنشأ فيه سواقي لنقل الماء من أماكن قد حفر لها خليج من البحر، بجوار رباط الآثار النبوية، فإذا صار الماء في سفح هذا الجرف المسمى بالرصد نقل بسواقي هناك، قد أنشئت إلى أن يصير إلى القلعة، فمات ولم يكمل ما أراده من ذلك، كما ذكر في أخبار قلعة الجبل من هذا الكتاب، وما زال موضع هذا الرصد منتزها **لأهل مصر**.

ويقال: إن المعز لدين الله معدا لما قدم من بلاد المغرب إلى القاهرة لم يعجبه مكانها. وقال للقائد جوهر: فاتك بناء القاهرة على النيل، فهلا كنت بنيتها على الجرف. يعني هذا المكان، ويقال: إن اللحم علق بالقاهرة، فتغير بعد يوم وليلة، وعلق بقلعة الجبل، فتغير بعد يومين وليلتين، وعلق في موضع الرصد، فلم يتغير ثلاثة أيام ولياليها لطيب هوائه، ولله در القائل:

يا ليلة عاش سروري بها ... ومات من يحسدنا بالكمد

وبت بالمعشوق في المشتهي ... وبات من يرقبنا بالرصد

ذكر مدائن أرض مصر

قال ابن سيده: مدن بالمكان: أقام، والمدينة: الحصن يبني في أسطحة الأرض، مشتق من ذلك، والجمع: مدائن ومدن، ومن هنا حكم أبو الحسن فيما حكى الفارسي عنه: أن مدينة فعيلة، وقال العلامة أثير الدين أبو حيان: المدينة معروفة مشتقة من مدن، فهي: فعيلة ومن ذهب إلى أنها مفعلة من دان، فقوله ضعيف لإجماع العرب على الهمز في جمعها، فإنهم قالوا: مدائن بالهمز، ولا يحفظ مداين بالياء، ولا ضرورة تدعو إلى أنها مفعلة من دان، ويقطع بأنها فعيلة جمعهم لها، على فعل فإنهم قالوا مدن، كما قالوا صحف في صحيفة، واعلم أن مدائن مصر كثيرة، منها ما دثر وجهل اسمه ورسمه، ومنها ما عرف اسمه وبقي رسمه، ومنها ما هو عامر.

وأول مدينة عرف اسمها في أرض مصر، مدينة: أمسوس، وقد محا الطوفان رسمها، ولها أخبار معروفة، وبها كان ملك مصر قبل الطوفان، ثم صارت مدينة مصر بعد الطوفان، مدينة منف، وكان بها ملك القبط والفراعنة، إلى أن خربها، بخت نصر، فلما قدم الإسكندر بن فيليبس المقدوني من مملكة الروم عمر مدينة الإسكندرية عمارة جديدة، وصارت دار المملكة بمصر إلى أن قدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين، وفتح أرض مصر، فاختط فسطاط مصر، وصارت مدينة مصر إلى أن قدم جوهر القائد من الغرب بعساكر المعز لدين الله أبي تميم معد، وملك مصر، واختط القاهرة، فصارت دار المملكة بمصر إلى أن زالت الدولة

الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، فبنى قلعة الجبل، وصارت القاهرة مدينة ممر إلى يومنا هذا.." (١)

"وفي أرض مصر: عدة مدائن ليست دار ملك وهي: مدينة الفيوم، ومدينة دلاص، ومدينة أهناس، ومدينة البهنسا، ومدينة القيس، ومدينة طلخا، ومدينة الأشمونين، ومدينة أنصنا، ومدينة قوص، ومدينة سيوط، ومدينة فاو، ومدينة أخميم، ومدينة البلينا، ومدين هو، ومدينة قنا ومدينة دندرة، ومدينة قفط، ومدينة الأقصر، ومدينة اسنا، ومدينة أرمنت، ومدينة أدفو، وثغر أسوان، وأدركناه مدينة هذه مدائن الوجه القبلي.

وكان أهل مصر يسمون من سكن من القبط بالصعيد: المريس، ومن سكن منهم أسفل الأرض يسمونه: البمبا، وفي الوجه البحري مدينة: نوب من الحوف الشرقي بأسفل الأرض، ومدينة عين شمس، ومدينة أتريب، ومدينة تنوا، ومن قراها ناحية زنكلون، ومدينة نمي، ومدينة بسطه ويعرف اليوم موضعها: بتل بسطة، ومدينة قربيط، ومدينة البتنون، ومدينة منوف، ومدينة طرة، ومدينة منوف أيضا، ومدينة سخا، ومدينة الأوسة وهي: دميرة، ومدينة تيدة، ومدينة الأفراحون، ومن جملة قراها: نشا، ومدينة بقيرة، ومدينة بنا، ومدينة شبراساط، ومدينة سمنود، ومدينة نوسا، ومدينة سبتي، ومدينة النجوم، وقد غلب على مدينة النجوم: الرمال والسباخ ويعرف اليوم منها: قرية أدكو على ساحل البحر بين إسكندرية ورشيد، ومدينة تنيس، ومدينة دمياط، ومدينة الفرما، ومدينة العريش، ومدينة صا، ومدينة برنوط، ومدينة قرطسا، ومدينة أخنو، ومدينة رشيد، ومدينة مريوط، ومدينة لوبية ومراقية، وليس بعد لوبية ومراقية إلا أرض أنطابلس وهي: برية، وفي كور القبلة مدينة فاران، ومدينة القلزم، ومدينة راية، ومدينة ايلة، ومدينة مدين، وأكثر هذه المدائن قد خرب ومنها ما له أخبار معروفة، وقد استحدث في الإسلام بعض مدائن وسيأتي من أخبار ذلك إن شاء الله ما يكفي.

وديار مصر اليوم وجهان: قبلي وبحري جملتهما، خمس عشرة ولاية.

فالوجه القبلي أكبرهما، وهو تسعة أعمال عمل قوص، وهو أجلها، ومنه أسوان وكرب قمولة، وأسوان حد المملكة من الجنوب، وعمل أخميم، وعمل سيوط، وعمل منفلوط، وعمل الأشمونين وبها الطحاوية، وعمل البهنسا، وعمل الفيوم، وعمل اطفيح، وعمل الجيزة.

والوجه البحري ستة أعمال: عمل البحيرة، وهو متصل البر بالإسكندرية وبرقة، وعمل الغربية وهي جزيرة واحدة يشتمل عليها ما بين البحرين: بحر دمياط، وبحر رشيد، والمنوفية ومنها: أبيار التي تسمى: جزيرة بني نصر، وعمل قليوب، وعمل الشرقية، وعمل أشموم طناح، ومنها الدقهلية، والمرتاحية، وهنا موضع ثغر

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/١٦٠

البرلس وثغر رشيد والمنصورة، وفي هذا الوجه الإسكندرية ودمياط وهما مدينتان لا عمل لهما.
وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان: أن الكوكة وهي: أمة من أهل أيلة ملكو الأرض وقسموا الصعيد على ثمانين كورة، وجعلوه أربعة أقسام، وكان عدد مدن مصر الداخلة في كورها ثلاثين مدينة فيها جميع العجائب، والكور مثل: أخميم وقفط وقوص والفيوم ويقال: إن مصر بن بيصر، قسم الأرض بين أولاده فأعطى ولده أشمون من حد بلده إلى رأس البحر إلى دمياط، وأعطى ولده أنصنا من حد أنصنا إلى الجنادل، وأعطى لولده صا: من صا أسفل الأرض إلى الإسكندرية، وأعطى لولده منوف وسط الأرض السفلي منف وما حولها، وأعطى لولده قفط غربي الصعيد إلى الجنادل، وأعطى لولده أتريب شرقي الأرض إلى البرية برية فاران، وأعطى لبناته الثلاثة وهن: الفرما، وسريام، وبدورة، بقاعا من أرض مصر محددة فيما بين إخوتهن.

ذكر مدينة أمسوس
وعجائبها وملوكها

قال الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه الكاتب في كتاب أخبار مصر وعجائبها: وكانت مصر القديمة اسمها: أمسوس. وأول من ملك أرض مصر نقراوش الجبار بن مصرايم. ومعنى نقراوش: ملك قومه الأول ابن مركاييل بن دواييل بن عرياب بن آدم عليه السلام، ركب في نيف وسبعين راكبا من بني عرياب جبابرة كلهم يطلبون موضعا يقطنون فيه فرارا من بني أبيهم، عندما بغى بعضهم على بعض، وتحاسدوا وبغى عليهم بنو قابيل بن آدم، فلم يزالوا يمشون حتى وصلوا إلى النيل، فلما رأوا سعة البلد فيه، وحسنه أعجبهم، فأقاموا فيه وبنوا الأبنية المحكمة، وبنى نقراوش: مصر، وسماها باسم أبيه: مصرايم، ثم تركها، وأمر ببناء مدينة سماها: أمسوس.." (١)

"وقال ابن وصيف شاه: وكان قد وقع إليه علم ذلك من العلوم التي تعلمها دواييل من آدم عليه السلام، فبنى الأعلام، وأقام الأساطين وعمل المصانع واستخرج المعادن، ووضع الطلسمات وشق الأنهار وبنى المدائن، فكل علم جليل كان في أيدي **المصريين** إنما هو من فضل علم نقراوش، وأصحابه. كان ذلك مرموزا على الحجارة ففسره قليمون الكاهن الذي ركب مع نوح عليه السلام في السفينة ونقراوش هو الذي بنى مدينة أمسوس، وعمل بها عجائب كثيرة منها: طائر يصفر كل يوم عند طلوع الشمس مرتين، وعند غروبها مرتين، فيستدلون بصفيره على ما يكون من الحوادث حتى يتهيأون له. ومنها صنم من حجر أسود

(١) المواعظ والاعتبار، ١/١٦١

في وسط المدينة تجاهه صنم مثله إذا دخل إلى المدينة سارق لا يقدر أن يزول حتى يسلك بينهما، فإذا دخل بينهما أطبقا عليه، فيؤخذ وعمل صورة من نحاس على منار عال لا يزال عليها سحاب يطلع، فكل من استمطرها أمطرت عليه ما شاء، وعمل عمل حد البلاد أصناما من نحاس مجوفة وملأها كبريت، أو وكل بها روحانية النار، فكانت إذا قصدهم قاصد أرسلت تلك الأصنام من أفواهها نارا أحرقته، وعمل فوق جبل بطرس، منارا يفور بالماء، ويسقي ما حوله من المزارع، ولم تزل هذه الآثار حتى أزالها الطوفان، ويقال: إنه هو الذي أصلح مجرى النيل، وكان قبله يتفرق بين الجبلين، وإنه وجه إلى بلاد النوبة جماعة هندسوه، وشقوا نهرا عظيما منه بنوا عليه المدن، وغرسوا الغروس، وأحب أن يعرف مخرج النيل، فسار حتى بلغ خلف خط الاستواء، ووقف على البحر الأسود الزفتي، ورأى النيل يجري على البحر مثل الخيوط حتى يدخل تحت جبل القمر، ويخرج منه إلى بطائح.

ويقال: إنه هو الذي عمل التماثيل التي هناك، وعاد إلى أمسوس وقسم البلاد بين أولاده، فجعل لابنه الأكبر واسمه: نقاوش الجانب الغربي، ولابنه شورب الجانب الشرقي، وبنى لابنه الأصغر واسمه: مصرايم مدينة برسان، وأسكنه فيها، وأقام ملكا على مصر مائة وثمانين سنة، ولما مات لطخ جسده بأدوية ماسكة، وجعل في تابوت من ذهب، وعمل له ناوس مصفح بالذهب، ووضع فيه ومعه كنوز وإكسير وأوان من ذهب لا يحصى ذلك لكثرته، وزبروا على الناوس تاريخ موته، وأقاموا عليه طلسما يمنعه من الحشرات المفسدة.

وملك بعده ابنه نقاوش بن نقراوش وكان كأبيه في علم الكهانة والطلسمات، وهو أول من عمر بمصر هيكلا، وجعل فيه صور الكواكب السبعة، وكتب على هيكل كل كوكب منافعه ومضاره، وألبسها كلها الثياب الفاخرة، وأقام لها خدمة وسدنة، وخرج من أمسوس مغربا، حتى بلغ البحر المحيط، وأقام عليه أساطين على رؤوسها أصنام تسرج عيونها في الليل، ومضى على بلاد السودان إلى النيل، وأمر ببناء حائط على جنب النيل، وعمل له أبوابا يخرج منها الماء وبنى في صحراء الغرب، خلف الواحات ثلاث مدن على أساطين مشرفات من حجارة ملونة شفافة، وفي كل مدينة عدة خزائن من الحكمة، وفي إحداها صنم للشمس على صورة إنسان، وجسد طائر من ذهب وعيناه من جوهر أصفر، وهو جالس على سرير من مغناطيس، وفي يده مصحف العلوم، وفي إحداها صنم رأسه رأس إنسان بجسد طائر، ومعه صورة امرأة جالسة قد عملت من زئبق معقود لها ذؤابتان في يدها مرآة، وعلى رأسها صورة كوكب، وقد رفعت المرآة بيديها إلى وجهها، وفي إحداها مطهرة فيها سبعة ألوان من سائل يرد إليها ولا يغير بعضها لون بعض، وفي بعضها: صورة شيخ جالس قد عمل من الفيروزج وبين يديه صبية جلوس كلهم من عقيق، وفي بعضها صورة

هرمس، يعني عطارد، وهو ينظر إلى مائدة بين يديه من نوشادر على قوائم من كبريت أحمر، وفي وسطها صحفة من جوهر، وجعل فيها صورة عقاب من زبرجد أخضر، وعيناه من ياقوت أصفر، وبين يديه حية زرقاء من فضة قد لوت ذنبها على رجليه، ورفعت رأسها كأنها تنفخ عليه، وجعل فيها صفة المريخ وهو راكب على فرس وفي يده سيف مسلول من حديد أخضر، وجعل فيها عمودا من جوهر أحمر، وعليه قبة من ذهب فيها صورة المشتري، وجعل فيها قبلة من آنك على أربعة أعمدة من جزع أزرق، وفي سقفها صورة الشمس والقمر متحاذيين في صورة رجل وامرأة يتحادثان، وجعل فيها قبة من كبريت أحمر فيها صورة الزهرة على هيئة امرأة ممسكة بضفائرها، وتحتها رجل من زبرجد أخضر في يده كتاب فيه علم من علومهم كأنه يقرأ فيه عليها.." (١)

"وجعل في بقية الخزائن من كنوز الأموال والجواهر والحلي وإكسير الصنعة، وصنوف الأدوية والسموم القاتلة ما لا يحصى كثرة، وجعل على باب كل مدينة طلسما يمنع من دخولها، وأنفذ لها مسارب تحت الأرض ينفذ بعضها إلى بعض طول كل سرب ثلاثة أميال، وبنى أيضا مدينة بأرض مصر اسمها: حلجمة، وعمل فيها جنة صفح حيطانها بالجواهر الملونة بالذهب، وغرس فيها أصناف الأشجار، وأجرى تحتها الأنهار، وغرس فيها شجرة مولدة تطعم سائر الفواكه، وعمل فيها قبة من رخام أحمر على رأسها صنم يدور مع الشمس، ووكل بها شياطين إذا خرج أحد من بيته في الليل هلك.

وأقام بها أساطين زبر عليها جميع العلوم، وصور العقاقير ومنافعها ومضارها، وجعل لهذه المدينة مسارب تتصل بمسارب تلك المدن الثلاث بين كل سرب منها، وبين هذه المدينة عشرون ميلا، فلم تزل هذه المدائن حتى أفسدها الطوفان، ولما مات بعد مائة وتسع سنين من ملكه على مصر جعل في ناوس مطلسم، ودفن فيه.

وملك بعده أخوه مصرام بن نقراوش الجبار بن مصرايم ويقال: به سميت مصر، وكان حكيما فعمل هيكلا للشمس من مرمر مموه بذهب أحمر، وفي وسطه فرس من جوهر أزرق عليه صورة الشمس من ذهب أحمر، وعلى رأسه قنديل من الزجاج فيه حجر مدبر يضيء أكثر من السراج، ثم إنه ذلل الأسد وركبها وسار إلى البحر المحيط، وجعل في وسطه قلعة بيضاء عليها صنم للشمس، وزبر عليه اسمه وصفته، وعمل صنما من نحاس زبر عليه: أنا مصرايم الجبار كاشف الأسرار الغالب القهار، وضعت الطلسمات الصادقة، وأقمت الصور الناطقة، ونصبت الأعلام الهائلة على البحار السائلة ليعلم من بعدي، إنه لا يملك أحد أشد من

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٦٢/١

أيدي، وعاد إلى أمسوس، واحتجب عن الناس ثلاثين سنة، واستخلف رجلا يقال له: عيقام من ولد عرياب بن آدم، وكان كاهنا ساحرا. فلما مضت المدة أحب **أهل مصر** أن يروه، فجمعهم عيقام بعدما أعلم مصرايم، فظهر لهم، في أعلى مجلس مزين بأصناف الزينة في صورة هائلة ملأت قلوبهم رعبا، فخروا له ساجدين، ودعوا له، ثم أحضر إليهم الطعام فأكلوا وشربوا، وأمرهم بالرجوع إلى مواضعهم ولم يروه بعدها.

فملك بعده خليفته عيقام، وقد حكي عنه **أهل مصر** حكايات لا تصدقها العقول.

ويقال: إن إدريس عليه السلام، رفع في أيامه وإنه رأى في علمه كون الطوفان، فبنى خلف خط الاستواء في سفح جبل القمر، قصرا من نحاس، وجعل فيه خمسة وثمانين تمثالا من نحاس يخرج ماء النيل من حلوقها، ويصب في بطحاء تنتهي إلى مصر، وسار إليه من أمسوس، فشاهد حكمة بنيانه وزخرفة حيطانه، وما فيها من النقوش من صور الأفلاك، وغيرها، وكان قصرا تسرج فيه المصابيح، وتنصب به الموائد وعليها من كل الأطعمة الفاخرة في الأواني النفيسة ما لو أكل منها عسكر لما نقصت ذرة، ولا يعرف من عملها، ولا من وضعها، وفي وسط القصر بركة من ماء جامد الظاهر، وترى حركته من وراء ما جمد منه، فأعجب بما رأى، وعاد إلى أمسوس، واستخلف ابنه عرياق، وقلده الملك، وأوصاه، وعاد إلى ذلك القصر، وأقام به حتى هلك.

وإلى عيقام هذا يعزى مصحف القبط الذي فيه تواريخهم، وجميع ما يجري في آخر الزمان.

فقام من بعده ابنه عرياق، ويقال: أرياق بن عيقام، ويقال له: الأثيم، فعمل أعمالا عجيبة منها شجرة صفراء لها أغصان من حديد بخطاطيف إذا قرب الظالم منها أخذته تلك الخطاطيف، ولا تفارقه حتى يقر بظلمه، ويخرج منه لخصمه، ومنها: صنم من كدان أسود سماه: عبد زحل، كانوا يتحاكمون إليه، فمن زاغ عن الحق ثبت في مكانه، ولم يقدر على الخروج منه حتى ينصف خصمه من نفسه، ولو أقام سنة ومن كانت له حاجة قام ليلا ونظر إلى الكوكب، وتضرع وذكر اسم عرياق، فإذا أصبح وجد حاجته على بابه.

وعمل شجرة من حديد ذات أغصان، ولطخها بدواء مدبر، فكانت تجلب كل صنف من الدواب والسباع والوحوش إليها، حتى يتمكن من صيدها، وكان إذا غضب على أهل إقليم سلط عليهم الوحوش والسباع، وتارة يجعل ماءهم من الإيداق، ويقال: إن هاروت وماروت كانا في زمانه وإنه بنى جنة عظيمة، واغتصب النساء الحسان وأسكنهن فيها، فعملت عليه امرأة منهن و سمته فهلك.." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٦٣/١

"وملك بعده ابنه شرياق، ويقال له: سرياق بن توميدون بن تدرسان بن هوصال، وكان كأبيه في علم الكهانة والسحر والطلسمات، فعمل أعمالا عجيبة منها: على باب مدينة أمسوس هيئة بطة من نحاس قائمة على أسطوانة إذا دخل غريب من ناحية من النواحي صفقت بجناحيها، وصرخت فيؤخذ ذلك الغريب، ويكشف أمره حتى يعرف فيما قدم، وشق من النيل نهرا يمر إلى مدائن الغرب وبنى عليه أعلاما ومدنا، ومنتزهات، وسار ملك من بني فراشي بن آدم ويقال: من بني صوانيتي بن آدم خرج من ناحية العراق في أيامه، وغلب على بلاد الشام، وقصد مصر ليأخذ ملكها، فقيل له: إنك لا تقدر عليها لسحر أهلها، فتنكر ودخل في جماعة من خواصه ليكشف حال **أهل مصر**، فلما وصل إلى أول حد مصر حبسه الموكلون بذلك الحد هو ومن معه، حتى يأمر الملك فيهم بأمره وبعثوا إليه بصفتهم، وكان قد رأى في منامه كأنه على منار عال وكأن طائرا عظيما انقض عليه ليخطفه، فحاد عنه حتى كاد يسقط من المنار، فجاوزه الطائر وسلم منه فانتبه مذعورا.

وقص رؤياه على كبير الكهنة، فقال: يطلبك ملك، ولا يقدر عليك، ونظر في نجومه، فرأى الملك الذي يطلب ملكه قد دخل إلى مصر، وكان ذلك هو الوقت الذي قدم عليه فيه الرسل بصفات الذين وصلوا إلى حد مصر، فأمر بإحضارهم إليه بعدما يطاف بهم على عجائب مصر كلها ليروها، فأوثقوهم وساروا بهم وأوقفوهم على عجائب أرض مصر، وما فيها من الطلسمات حتى بلغوا إلى الإسكندرية، ثم إلى أمسوس، ثم إلى الجنة التي عملها مصرام، كان الملك شرياق مقيما بها، فعندما وصلوا إليها أظهرت السحرة التماثيل العجيبة، فدخلوا عليه وحوله الكهنة، وبين يديه نار لا يصل إليه أحد حتى يخوضها، فمن كان بريئا لم تضره، ومن كان يريد بالملك سوءا أو أضمر له مكروها أخذته النار، فشق القوم في وسط النار واحدا بعد واحد من غير أن تضرهم حتى انتهى الأمر إلى ملك العراق، فعندما دنا من النار أخذته بحرها، فولى هاربا فاتبعوه حتى أخذوه وأوقفوه بين يدي شرياق، فلم يزل به حتى اعترف، فأمر بصلب فصلب على الحصن الذي أخذ منه، ونولي عليه هذا جزاء من طلب ما لا يصل إليه، وعفا عن الباقين فساروا من مصر وتحدثوا بما رأوه من العجائب، فانقطع طمع ملوك الأرض عن طلب ملك مصر، ومات شرياق بعدما ملك مصر مائة وثلاثين سنة، فجعل في ناوس ومعه أمواله وطلسم يحفظه ممن يقصده.

وملك بعده ابنه: شهلوق، وكان عالما بالكهانة والطلسمات، فقسم ماء النيل موزونا يصرف إلى كل ناحية قسطها، ورتب الدولة وعمل بيت نار، وهو أول من عبد النار، وعمل بأمسوس عجائب منها: شجرة على أعلى الجبال تقسم بها الرياح التي تمنع من أراد مصر بأذى أو فساد من جني أو إنسي أو سبع أو طائر،

وعمل بالمدينة قبة مركبة على سبعة أركان ولها سبعة أبواب على كل ركن باب، وفي وسط القبة قبة من صفر، وفي أعلاها صور الكواكب السبعة، وتحت القبة قبة أخرى معلقة على سبع أساطين، وعلى الباب الأول من القبة: أسد ولبوة من صفر، وهما رابضان، كان ينبح لهما جروا أسود ويبخرهما بشعره، وعلى الباب الثاني: ثور وبقرة يذبح لهما عجلا وببخرهما بشعره، وعلى الباب الثالث: خنزير وخنزيرة يذبح لهما خنوصا ويبخرهما بشعره، وعلى الباب الرابع: كبش وشاة يذبح لهما سخلة ويبخرهما بشعرها، وعلى الباس الخامس: ثعلب وثعلبة يذبح لهما فرخ ثعلب ويبخرهما بشعره، وعلى الباب السادس: عقاب وأنثاه يذبح لهما فرخ عقاب ويبخرهما بريشه، وعلى الباب السابع: نسر وأنثاه يذبح لهما فرخ نسر ويبخرهما بريشه، ويلطخ كلا منهما بدم ما ذبح له، وتحرق سائر القرابين، ويوضع رمادها تحت عتبات أبواب القبة، وجعل لهذه القبة سدنة يشعلون المصابيح ليلا ونهارا، وقسم الناس بمصر سبع مراتب، لكل مرتبة منهم: باب من أبواب تلك القبة، فكان الخصم إذا تقدم إلى شيء من تلك الصور، وكان ظالما فإنه يلتصق بها ولا يتخلص منها حتى يخرج من الحق الذي عليه، الذكر للذكر، والأنثى للأنثى، فيعرفون بذلك الظالم من المظلوم.." (١)

"قال ابن عبد الحكم، عن عبد الله بن لهيعة: أول من سكن بمصر بعد أن أغرق الله قوم نوح عليه السلام، بيصر بن حام بن نوح، فسكن منف، وهي أول مدينة عمرت بعد الطوفان هو وولده، وهم ثلاثون نفسا منهم أربعة أولاد قد بلغوا وتزوجوا، وهم: مصر وفارق وماج وياج وبنو بيصر، وكان مصر أكبرهم، فبذلك سميت: مافه، ومافه بلسان القبط ثلاثون، وكانت إقامتهم قبل ذلك بسفح المقطم، ونقروا هناك منازل كثيرة. وقال ابن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك: ومدينة منف هي مدينة فرعون التي كان ينزلها، واتخذ لها سبعين بابا من حديد، وجعل حيطان المدينة من الحديد والصفر، وفيها كانت الأنهار تجري من تحت سريره، وهي أربعة، ويروى أن مدينة منف كانت قناطر وجسورا بتدبير، وتقدير حتى أن الماء ليجري تحت منازلها وأفنيتها، فيحبسونه كيف شاءوا، ويرسلونه كيف شاءوا، فذلك قوله تعالى حكاية عن فرعون: " أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون " الزخرف٥١، وكان بها كثير من الأصنام لم تزل قائمة إلى أن سقطت فيما سقط من الأصنام في الساعة التي أشار فيها النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأصنام، يوم فتح مكة بقضيب في يده ، وهو يطوف حولها، ويقول: " جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا " الأسراء٨١، فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار لقفاه إلا وقع لوجهه،

(١) المواعظ والاعتبار، ١/١٦٥

حتى ما بقي منها صنم إلا وقع، وفي تلك الساعة سقطت أصنام الأرض من الشرق إلى الغرب، وبقي أصحابها متعجبين لا يعلمون لها سببا أوجب سقوطها، وبقيت أصنام مدينة منف ساقطة من ساعته، وفيها الصنمان الكبيران المجاوران للبيت الأخضر الذي كان به صنم العزيز، وكان من ذهب وعيناه ياقوتتان لا يقدر على مثلهما، ثم قطعت الأصنام والبيت الأخضر من بعد سنة ستمائة.

ويقال: كانت منف ثلاثين ميلا طولا في عشرين ميلا عرضا، وإن بعض بني يافث بن نوح عمل في أيام مصرايم آلة تحمل الماء حتى تلقيه على أعلى سور مدينة منف، وذلك أنه جعلها درجا مجوفة، كلما وصل الماء إلى درجة امتلأت الأخرى، حتى يصعد الماء إلى أعلى السور، ثم ينحط فيدخل جميع بيوت المدينة، ثم يخرج من موضع إلى خارج المدينة.

وكان بمنف بيت من الصوان الأخضر الماتع الذي لا يعمل فيه الحديد قطعة واحدة، وفيه صور منقوشة وكتابة، وعلى وجه بابه صور حيات ناشرة صدورها، لو اجتمع ألوف من الناس على تحريكه ما قدروا لعظمه وثقله، والصابئة تقول: إنه بيت القمر، وكان هذا البيت من جملة سبعة بيوت كانت بمنف للكواكب السبعة، وهذا البيت الأخضر هدمه، الأمير سيف الدين شيخون العمري، بعد سنة خمسين وسبعمائة، ومنه شيء في خانقاهه، وجامعه الذي بخط الصليبة خارج القاهرة.

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن القيسي في كتابه تحفة الألباب: ورأيت في قصر فرعون موسى بيتا كبيرا من صخرة واحدة أخضر كالآس فيه صورة الأفلاك والنجوم لم نر عجبا أحسن منه. وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي: وكانت دار الملك بمصر في قديم الدهر مدينة منف، وهي في غربي النيل على مسافة اثني عشر ميلا من الفسطاط، فلما بنى الإسكندر مدينة الإسكندرية رغب الناس في عمارتها، فكانت دار العلم، ومقر الحكمة، إلى أن فتحها المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واختط عمرو بن العاص مدينته المعروفة، بالفسطاط، فانتشر أهل مصر، وغيرهم من العرب والعجم إلى سكناها، فصارت قاعدة ديار مصر، ومركزها إلى وقتنا هذا.." (١)

"ويقال: إن مصرايم لما مات، اختلف أولاده من بعده، وكان قفط أصغرهم، فاجتمعوا عند الأهرام ورضوا بأن من غلب منهم أخاه أخذ الملك، فتحارب أشموم وأتريب، فغلب أتريب، ثم تحارب صا، هو وأشموم، فغلب أشموم، ثم تحارب قفط وصا، فغلب قفط فأخذ قفط الملك بعد أبيه، وأطاعه أخوته وسكن مدينة منف دار مملكة أبيه، وتزوج امرأة ولدت له، أربعة أولاد هم: قفطريم، وأشمون، وأتريب، وصا، فتناسلوا

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/١٦٨

وكثروا وعمروا البلاد، ثم إنه قسم الأرض بين أولاده الأربعة عند وفاته، فجعل لولده قفطريم من أسوان إلى قفط، وجعل لولده أشمون من مدينة قفط إلى مدينة منف، وجعل لولده أتريب الجرف كله، وجعل لولده صا من ناحية البحيرة إلى الغرب، وجعل أمرهم إلى قفطريم وأمر كل واحد منهم أن يبني لنفسه مدينة في حيزه، وجعل لنفسه سربا تحت الجبل الكبير، وصفحه بالمرمر، وعمل فيه منافذ للريح فصارت تنخرق فيه بدوي عظيم، وأقام في السرب رؤوسا من نحاس مطلية تضيء كالسرج ليلا ونهارا. ولما مات وضع جسده بهذا السرب في جرن من ذهب بعدما ألبس ثيابا منسوجة بالدر والمرجان، وأقيم عند رأسه عمود من مرمر عليه جوهرة تضيء، وعمل حول الجرن توابيت من حجارة ملونة حولها مصاحف الحكمة، ووضعت عنده أمواله وكنوزه وذخائره وزبروا عليه كما زبروا على أبيه، وانتقل كل من أولاده إلى حيزه، فانتقل صا بأهله وأولاده وسكن مدينة صا الآتي ذكرها.

ويقال: كانت البلبلة في أيام قفط، وأنه ألهمه الله تعالى اللغة القبطية، وأنه أقام ملكا أربعمائة وثمانين سنة، ومات، فدفن بأرض الواحات وملك بعده أخو أشمن بن مصر، وقيل: بل أسكن في حياته ابنه قفطريم في حيزه، فشرع في العمارة وكان جبارا عظيم الخلقة، فأثار من المعادن ما لم يثره أحد قبله وبنى مدينة دندرة، وعمل في جبل قفط منارا عاليا يرى منه البحر الشرقي، ووجد هناك معادن من الزئبق، وعمل البركة التي سماها صيادة الطير، وهلك عاد بالريح في آخر أيامه، وفي أيامه أثارت الشياطين الأصنام التي أغرقها الطوفان، فعبدت، وأقام ملكا أربعمائة وثمانين سنة ومات.

وذكر ابن عبد الحكيم: بعد مصر بن بيصر قفط بن مصر، وأن الذي ملك بعد فقط أخوه اشمن، ثم أتريب بن مصر، ثم صا بن مصر، ثم أبنه تدراس بن صا، ثم ابنه ماليق بن تدراس، ثم ابنه حزابا بن ماليق، ثم ابنه كلكلي بن حزابا، ويقال: إن أشمن، لما ملك بعد أخيه، سار إليه شداد بن هداد بن شداد بن عاد، وملك أرض مصر، وهدم مبانيها، وبنى أهراما ومضى إلى موضع الإسكندرية، فبناها وأقام دهرا، ثم خرجت العادية من أرض مصر، فعاد أشمن إلى ملكه، وأنه ملك بعده أخوه صا، ثم ملك بعد صا ابنه تدراس، وفي أيامه بعث الله صالحا إلى ثمود ومات.

فملك ابنه ماليق البودسير، وكان من الجبابرة العظام عمل أعمالا عظيمة، منها منار فوقه قبة لها أربعة أركان في كل ركن كوة يخرج منها في يوم معلوم عندهم من كل سنة، دخان ملتف في ألوان شتى يستدلون بكل لون على شيء، فإن خرج الدخان أخضر، دل على العمارة والخصب في تلك السنة، وإن خرج أبيض، دل على الجدب وقلة الخير، وإن خرج أحمر، دل على الحروب وقصد الأعداء، وإن خرج أصفر، دل على

النيران وآفات تحدث من الملك، وإن خرج أسود، دل على الأمطار والسيول، وفساد بعض الأرض، وإن خرج مختلطا، دل على كثرة الظلم وبغي الناس بعضهم على بعض.

وعمل شجرة من نحاس تجذب سائر الوحوش حتى تصل إليها، فلا تستطيع الحركة إلى أن تؤخذ، فشبع أهل مصر من لحوم الوحوش، واتفق أن غرابا نقر عين صبي من أولاد الكهنة فقلعها، فعمل شجرة من نحاس عليها غراب منشور الجناحين وفي منقاره حية، وعلى ظهره أسطر، فكانت الغربان تقع على هذه الشجرة، ولا تبرح حتى تموت، وكانت الرمال قد كثرت في أيامه على أرض مصر من ناحية الغرب، فعمل صنما من صوان أسود على قاعدة منه، وفوق كتبه قفة فيها مسحاة ونقش على وجهه وصدره وذراعيه كتابة، وجعل وجهه إلى الغرب، فانكشفت الرمال ورجعت بها الرياح إلى ورائها، وصارت تلالا عالية.." (١)

"وبعث بهرمس الحكيم، إلى جبل القمر الذي يخرج منه النيل، فعمل تماثيل النحاس، وعدل جانبي النيل، وكان قبله يفيض في مواضع وينقطع في مواضع وسار مغربا لينظر ما وراء ذلك، فوقع على أرض واسعة ينخرق فيها الماء والأشجار فبنى فيها منتزهات، وأقام بها وحول إليها عدة من أهله فعمروا تلك النواحي حتى صارت أرض الغرب كلها معمورة، ثم خالطتهم البربر، وجرت بينهم حروب كثيرة أفنتهم، فخربت تلك البلاد، ولم يبق منها إلا الواحات، ثم إن البودسير احتجب عن الناس، وصار يبرز وجهه من مقعده في النادر، وربما خاطبهم من حيث لا يرونه.

وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان: إن أول من تحقق بالكهانة وغير الدين وعبد الكواكب البودسير، وتزعم القبط أن الكواكب كانت تخاطبه، وأن له عجائب كثيرة منها: أنه استتر عن الناس عدة سنين من ملكه، وكان يظهر لهم وقتا بعد وقت مرة في كل سنة، وهو حلول الشمس في برج الحمل، ويدخل الناس إليه، فيخاطبهم، وهم يرونه فيأمرهم وينهاهم ويحذرهم مخالفة أمره، ثم بنيت له قبة من فضة مطلية بذهب، فصار يجلس في أعلاها، وله وجه عظيم فيخاطبهم.

فلما مات ملك بعده ابنه أرقليمون: وكان كاهنا ساحرا، فعمل أعمالا عظيمة منها: أنه كان يجلس في السحاب، فيرونه في صورة إنسان عظيم، وأقام مدة على ذلك، ثم إنه غاب عن أهل مصر، وصاروا بغير ملك، ثم رأوا صورة بحذاء جرم الشمس عند حلولها أول برج الحمل، فأمرهم أن يقلدوا الملك عديم بن قفطيم وأعلمهم أنه ما بقي يعود إليهم.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/١٧٠

فولوا عليهم عديم بن قفطيم: وكان جبارا عظيما وهو أول من صلب بمصر، وذلك أن امرأة ورجلا زنيا، فصلبهما، وجعل ظهر كل منهما لظهر الآخر، وبنى أربع مدائن أودعها كنوزا عظيمة، وجعل عليها طلسمات، وعدة عجائب وعمل منارا على البحر الشرقي، وعليه صنم إلى الشرق حتى لا يغلب البحر على أرض مصر، وعمل قنطرة على النيل في أرض النوبة، وأقام ملكا مائة وأربعين سنة، ومات وعمره سبعمائة وثلاثون سنة. وملك بعده ابنه شدات بن عديم: وهو الذي تسميه العامة: شداد بن عاد، وكان عالما كاهنا ساحرا ويقال: إنه هو الذي بنى الأهرام الدهشورية، وعمل أعمالا عظيمة وطلسمات عجيبة وبنى في الجانب الشرقي مدائن، وفي أيامه بنيت قوص وغزا الحبشة، وسباهم وأقام ملكا تسعين سنة، وهو أول من اتخذ الجوارح وصاد بها وولد الكلاب السلوقية، وعمل في بركة سيوط تماسيح منصوبة تنصب إليها التماسيح من النيل انصبابا، فيقتلها ويعلق جلودها في السفن، واتفق أنه طرد صيدا فكبابه فرسه في وهدة، فهلك.

وكان قد غضب على بعض خدمه فرماه من جبل عال، فتقطع، فرأى أنه يصيبه مثل ذلك، ولما هلك وضع في ناوس ودفنت معه أمواله وعمل عليه طلسم يمنعه ممن يقصده، وكتب عليه: لا ينبغي لذي القدرة أن يخرج عن الواجب، ولا يفعل ما لا يجوز له فعله، فيجازي بعمله.

هذا ن ا وس بن شدات بن عديم، فعل ما لا يحل له فعله، فكوفئ عليه بمثله.

وملك بعده ابنه منقاوش: وكان حكيما فاضلا كاهنا، عمل أعمالا عجيبة، وبنى أشياء معجبة منها: أنه عمل هيكلا لصور الكواكب على ثمانية فراسخ من منف، وكنز من الأموال ما لا يحصى، وفتح عليه من المعادن ما لم يفتح به على غيره، وسار في الجنوب يوما ثم سار مغربا يوما وبعض آخر، فانتهى في اليوم الثالث إلى جبل أسود، فعمل تحته أسرابا ومغاير، ودفن فيها أمواله وزبر عليها حتى أنه من كثرتها يقال: إنه دفن حمل اثني عشر ألف عجلة ذهبا وجواهر، وأقام أربع سنين يرسل في كل سنة عجلا كثيرة يدفنها، وبقيت آثار العجل ترى فيما بين منف والمغرب زمانا طويلا، وبنى هيكلا للقمر، ويقال: إنه هو الذي بنى مدينة منف لبناته، وكن ثلاثين بنتا، وأنه ألزم الناس بعمل الكيمياء، فكانوا لا يفترون عن عملها ليلا ولا نهارا، حتى اجتمع عنده مال عظيم وجوهر كثير، وهو الذي بنى مدينة عين شمس، وقسم خراج مصر أرباعا، جعل الربع للملك، والربع للجند، والربع ينفق في مصالح الأرض، والربع الرابع يدفن لحادثة تحدث، وهو الذي قسم أرض مصر على مائة وثلاثين كورة، وأقام ملكا إحدى وتسعين سنة ومات.." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٧١/١

"فملك بعده ابنه عديم بن منقاوش: وكان جبارا لا يطاق، وفي أيامه كان نزول الملكين اللذين يعلمان الناس السحر، والقبط تزعم أنهما نزلا بأرض مصر، ثم نقلا إلى بابل.

ثم ملك بعده أخوه مناوش بن منقاوش، وكان عالما كاهنا فاضلا، بنى مواضع كثيرة في الجبال والصحارى، وكنز فيها كنوزا عظيمة، وأقام عليها أعلاما، وبنى في صحراء الغرب مدينة، وأقام لها منارا وكنز حولها كنوزا عظيمة، وجعل فيها شجرة تطلع كل لون من الفاكهة، وهو أول من عبد البقر بمصر، وكان يطلب الحكمة، ويستخرج كتبها، وكذا كان كل من ملك منهم يجتهد في أن يعمل له غريبة من الأعمال لم تعمل لمن كان قبله، وتثبت في كتبهم وتزبر على الحجارة.

ولما مات ملك بعده ابنه هرميس: وكان قليل الحكمة، فلم يعمل شيئا مما عمله آباؤه، ومات وقد أقام إحدى عشرة سنة.

فملك بعده أشمون بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح: وكان حيزه من أشمون إلى منف في الغرب، وحيزه في الشرق إلى حد البحر الملح مما يحاذي برقة، وهو آخر حد مصر، ومن بلاد الصعيد إلى حدود أخميم، وكانت منزله بمدينة الأشمونين وكان طولها اثني عشر ميلا في مثلها، وبنى في شرقي النيل مدينة أنصنا، وبنى بها قصرا عظيما، واتخذ بها أبنية وملاعب وعجائب كثيرة، وبنى مدينة طهراطيس، وهو أول من لعب بالكرة والصولجان.

ويقال: إنه بنى مدنا كثيرة عمل فيها عجائب منها: مدينة في سفح الجبل لها أربعة أبواب من كل ناحية باب، فعلى الباب الشرقي: صورة عقاب، وعلى الباب الغربي: صورة ثور، وعلى الباب الشمالي: صورة أسد، وعلى الباب الجنوبي: صورة كلب، وفي هذه الصور روحانيات تنطق فإذا قدم غريب لا يقدر على الدخول إليها إلا بإذن الموكلين بها، ودفن تحت كل شكل من هذه الأشكال الأربعة صنفا من الكنوز، وغرس في هذه المدينة شجرة مولدة تثمر كل لون من الفاكهة، ونصب منارا طوله ثمانون ذراعا فوقه قبة تتلون كل يوم لونا حتى تمضي سبعة أيام ثم تعود إلى اللون الأول، فكانت تلك المدينة تكسى من تلك الألوان شعاعا مثل لونها، وأجرى حول المنار ماء شقه من النيل، وجعل فيه سمكا من كل لون وأقام حول المدينة طلسمات في هيئة أناس رؤوسها كالقردة، وأسكن هذه المدينة السحرة، فعرفت بمدينة السحرة، وكانوا يعملون فيها أصناف السحر.

وبنى بالقرب منها مدينة عرفت بذات العجائب، وبنى مجالس مصفحة بزجاج ملون في وسط النيل، وبنى سربا تحت الأرض من الأشمونين إلى أنصنا.

وقيل: إنه هو الذي بنى مدينة عين شمس، وأنه ملك ثمانمائة سنة، وأن قوم عاد انتزعوا منه الملك بعد ستمائة سنة، وأقاموا بمصر تسعين سنة، فأصابهم وباء خرجوا منه إلى المدينة بطريق الحجاز إلى وادي القرى، فعاد أشمون بعد خروج العادية إلى ملك مصر، وهو أول من عمل النوروز بمصر.

وفي زمانه: بنيت مدينة البهنسا، ولما مات جعل له ناوس في آخر حد الأشمونين، ودفن فيه ومعه كنوزه العظيمة وعجائبه الكثيرة منها: ألف برنية من العقاقير المدبرة لفنون الأعمال وزبروا على ناوسه اسمه ونسبه، وجعل عليه طلسم يمنعه ممن يقصده.

وملك بعده ابنه صا: ثم بعد صا ابنه تدراس.

وقيل: ملك مناقيوش، وكان شجاعا فاضلا فاستأنف العمارة وبنى القرى ونصب الأعلام وعمل العجائب الهائلة، وبنى مدائن منها مدينة أخميم وحول الكهنة إليها، وأقام ملكا نيفا وأربعين سنة، ومات فدفن في الهرم الشرقي ومعه كنوزه.

وملك بعده ابنه، وقد اختلف في اسمه وكان فاضلا حازما معظما عند **أهل مصر**، وهو أول من عمل المارستان، وأول من عمل الميدان للرياضة، وفي أيامه بنيت مدينة سنترية في صحراء الواحات، ثم إن نساء تغايرن عليه فقتلته إحداهن بسكين، فدفن في ناوس ومعه أمواله، وعمل عليه طلسم يحفظه.

وملك بعده ابنه مرقورة: وكان حكيما كاهنا، وهو أول من ذلل السباع وركبها، وبنى المدن، وعمر الهياكل، وأقام الأصنام، ولما مات جعل له ناوس في صحراء الغرب ودفن معه ماله.

وملك بعده ابنه بلاطس: وكان صبيا، فدبرت أمه أمر الملك، وكانت حازمة، فأجرت الأمور على أحسن ما يكون، وأظهرت العدل، ووضعت عن الناس الخراج فأحبوها، ولما كبر ابنها أحب الصيد، فعملت له أمه أعمالا عجيبة، وأقام ملكا ثلاث عشرة سنة وجدر فمات، وانتقل الملك إلى أعمامه.." (١)

"فملك بعده أتريب بن قبطيم بن مصرايم، وهو الثالث عشر من ملوك مصر بعد الطوفان، وهو الذي بنى مدينة أتريب، وعاش خمسمائة سنة منها مدة ملكه ثلثمائة وستون سنة، ويقال: إن النيل وقف في أيام أتريب مائة وأربعين سنة، حتى أكلت البهائم بأرض مصر، ولم يبق بها بهيمة، ورؤي أتريب ماشيا وهو يبسط يديه ويقبضهما من الجوع، ومات عامة **أهل مصر** جوعا، ثم أغيثوا بعد ذلك، وكثر الرخاء ودام مدة مائتي سنة وبيع كل أردب بدانق وأقل، ولما مات اتهم أخوه صا بقتله وحاربه **أهل مصر** تسع سنين وقتلوه.

فملكت بعده ابنته تدرورة: وكانت كاهنة ساحرة فساست الملك أحسن سياسة، ودبرت الملك أجود تدبير،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٧٢/١

وعملت طلسمات عجيبة، منها طلسم منع الوحش والطير أن يشرب من النيل، حتى مات أكثرها عطشا، ووقعت في زمانها صيحة ارتجت لها الأرض فهلكت.
وملك بعدها أخوها قليمون بن أتريب: وكان حكيما فاضلا فبنى البنيان وعمل الطلسمات، وفي أيامه بنيت مدينة تنيس الأولى، وبنيت مدينة دمياط، وأقام ملكا تسعين سنة، ومات فدفن في ناوس.
وملك بعده ابنه فرسون: وكان فاضلا كاهنا، بنى المدائن وجدد الهياكل، وكان حدثا فقصده بعض ملوك حمير في جموع عظيمة، فخرج إليهم ولقيه بمدينة إيليا، وقاتله قتالا شديدا حتى تفانى من الفريقين معظمهما، وأظهر **المصريون** أشياء من سحرهم، فانهزم الحميري في طائفة يسيرة، وقتل فرسون عامة أصحابه وأخذ ما كان معهم، وعاد مظفرا إلى مدينة منف، وعمل منارا على بحر القلزم في رأسه مرآة تجذب المراكب إلى الساحل حتى يؤخذ منها ما هو مقرر عليها من المال، وأقام ملكا مائتي سنة وستين سنة، ومات فدفن في ناوس خلف الجبل الأسود الشرقي، وعمل فيه قبة تحتوي على اثني عشر بيتا في كل بيت أعجوبة ودفن معه ماله وعمل عليه طلسم يحفظه. وملك بعده نحوه أربعة وصار الملك إلى صا بن قبطيم: وكان اصغر ولد أبيه وأحبهم إليه.
ولما مات ملك بعده نونية الكاهنة: وكانت ساحرة فكانت تجلس على سرير من نار فإذا تحاكم إليها أحد، وكان صادقا شق تلك النار من غير أن تضره، وإن كان كاذبا أخذته تلك النار، وكانت تتصور كل يوم في صور كثيرة الأشكال، ثم بنت قصرا واحتجبت فيه، وجعلت في سوره أنابيب من نحاس مجوفة، وكتبت على كل أنبوب فنا من الفنون التي يتحاكم الناس بها إليها، فكان من أتاها في محاكمة وقف عند الأنبوب الذي فيه محاكمته، وتكلم بما يريم ، وسأل عنه بصوت خفي، فإذا فرغ جعل أذنه في الأنبوب فيأتيه منه جواب ما سأل، ولم يزل هذا القصر والأنابيب حتى أتلفه بخت نصر.
وملك بعدها مرقونس: وكان فاضلا حكيما، وكانت أمه بنت ملك النوبة، فعملت عجائب وصنع في أيامه كل غريبة، وملك ثلاثا وسبعين سنة، ومات وعمره مائتان وأربعون سنة.
فملك بعده ابنه ايساد وهو ابن خمس وأربعين سنة: وكان جبارا طماح العين، فانتزى امرأة أبيه، وانكشف أمره معها، وكان أكبر همه اللهو واللعب، فجمع كل ملة في مملكته، ورفض العلوم، وأهمل أمر الهياكل والكهنة، وترك النظر في أحوال الناس، وبنى قصورا على النيل ليتنزه فيها، وأتلف أكثر الأموال في اللعب، فكرهه الناس، وكرههم إلى أن سموه، فمات عن مائة وعشرين سنة.." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٧٣/١

"وملك بعده ابنه صا: ويقال: إن صا هو ابن مرقونس، وهو أخود أيساد، ولما ملك سكن منف، ووعد الناس بخير وملك الأحياز كلها، وعمل بها عجائب وطلسمات، ورد الكهنة إلى مراتبهم ونفى الملهين وأهل الشر، ونصب العقاب الذي عمله أبوه وشرف هيكله ودعا إليه وبنى بداخل الواحات مدينة ونصب قرب البحر أعلاما كثيرة، وجعل على الأطراف أصحاب أخبار يرفعون إليه ما يجري في حدودهم، وعمل على حافتي النيل منابر يوقد عليها إذا حزبهم أمر أو قصدهم أحد، وجعل بحافة بحر الملح منارا يعلم به أمر البحر، ويقال: إنه بنى أكثر مدينة منف، وكل بنيان عظيم بالإسكندرية، وكان لما ملك البلد بأسره جمع الحكماء، ونظر في النجوم وكان بها حاذقا، فرأى أن مصر، لا بد أن تغرق من نيلها، وإنها تخرب على يد رجل يأتي من ناحية الشام، فجمع كل فاعل بمصر، وبنى مدينة في الواح الأقصى، وقصده ملك الإفرنجة، وملك منه مدينة منف، وقدم معه أرف مركب، وهدم أكثر الإسكندرية ودخل إلى النيل من رشيد حتى أخذ منف وفر منه صا إلى المدائن الداخلة، وتحصن بها من عدوه، فامتنعت بالطلسمات أياما كثيرة، ثم كانت العاقبة له وعاد عدوه منهزما، ورجع إلى منف فتتبع الكهنة وقتل منهم كثيرا، وأقام ملكا سبعا وستين سنة، وعاش مائة وسبعين سنة.

وملك ابنه تدراس: واستولى على الأحياز كلها وصفا له الوقت وملك مصر، وكان محتكما مجزبا ذا أيد وقوة ومعرفة بالأمور، فأظهر العدل وأقام الهياكل وأهلها قياما حسنا وبنى بيتا للزهرة، وحفر خليج سخا وحارب بعض عمالقة الشام، ودخل إلى فلسطين وقتل بها خلقا وسبى بعض أهلها إلى مصر، وغزا السودان من الزنج والحبشة ووجه في النيل بثلثمائة سفينة فلقي السودان، وكانوا زهاء ألف ألف فهزمهم، وقتل أكثرهم وأسر منهم خلقا كثيرا، وساق الفيلة والنمور إلى مصر، وعمل على حدود بلده منارات زبر عليها اسمه ومسيره وظفره، وفي أيامه بعث الله نبيه صالحا إلى ثمود، ويقال: إنه هو الذي أنزل النوبة حيث هي، وذلك أنه لما أوغل في أرض الحبشة، وقتل أمم السودان وجد فيهم أمة تقرأ صحف آدم وشيث وإدريس فمن عليها، وأنزلها على نحو من شهر من أرض مصر، فسموا النوبة، ومات بمنف.

فملك بعده ابنه ماليق: وكان عاقلا كريما، حسن الصورة مجربا مخالفا لأبيه **وأهل مصر** في عبادة الكواكب والبقر، ويقال: إنه كان موحدا على دين أجداده، قبطيم ومصرايم، وكانت القبط تذمه لذلك، وأمر الناس باتخاذ كل قارة من الخيل، واقتنى السلاح وأكثر الأسفار، وأنشأ في بحر المغرب مائتي سفينة وخرج في جيش عظيم في البر والبحر، وأتى البربر، فهزمهم واستأصل أكثرهم، وبلغ إفريقية، وسار إلى الأندلس يريد الإفرنجة، فلم يمر بأمة إلا أبادها، فحشد له ملك الإفرنجة وحاربه شهرا، ثم طلب صلحه، وأهدى إليه

فسار عنه، ودوخ الأمم المتصلة بالبحر الأخضر والقبط تذكر أنه رأى سبعين أعجوبة، وعمل أعمالا على البحر، وزبر عليها اسمه ومسيره وخرب مدن البربر، ورجع فتلقاه **أهل مصر** بأصناف الرياحين وأنواع اللهو، وفرشت له الطرقات، فهابه الملوك، وحملوا إليه الهدايا وما زال موحدا حتى مات.." (١)

"فملك بعده ابنه حزابا: وكان لينا سهل الخلق قد عرفه أبوه التوحيد، ونهاه عن عباده الأصنام فرجع عن ذلك بعده إلى دين قومه، وغزا الهند والسودان بعدما عمل مائة سفينة على شكل سفن الهند، وتجهز وحمل معه امرأته ووجوه أصحابه واستخلف ابنه كلكلي على مصر، وكان صبيا وجعل معه وزيرا كاهنا، فمر على ساحل اليمن وعاث في مدائنه، وبلغ سرنديب وأوقع بأهلها، وبلغ جزيرة بين الهند والصين، فأذعن له أهلها وتنقل في تلك الجزائر سنين، فيقال: إنه أقام في سفره سبع عشرة سنة، ورجع غانما، فهابه الملوك، وبنى عدة هياكل، وأقام بها الأصنام للكواكب، ثم غزا نواحي الشام فأطاعه أهله ورجع فغزا النوبة والسودان، وضرب عليهم خراجا يحملونه إليه، ورفع أقدار الكهنة ومصاحفهم، وكان يرى أن هذا الظفر بمعونة الكواكب له، ومات وقد ملك خمسا وسبعين سنة. فقام ابنه كلكلي وعقد له بالإسكندرية، فأقام بها شهرا، ثم قدم إلى منف، وكان أصناميا، فسر به **أهل مصر**، وكان يحب الحكمة، وإظهار العجائب ويقرب أهلها ويجيزهم وعمل الكيمياء وخزن أموالا عظيمة بصحارى الغرب، وهو أول من أظهر علم الكيمياء بمصر، وكان علمها مكتوما، وكان من تقدمه من الملوك أمر بترك صنعتها، فعملها كلكلي، وملأ دور الحكمة منها حتى لم يكن الذهب في زمن بمصر أكثر منه في وقته، ولا الخراج لأنه كان مائة ألف ألف، وبضعة عشر ألف ألف مثقال، فاستغنوا عن إثارة المعادن، وعمل أيضا من الحجارة الملونة التي تشف شيئا كثيرا، وعمل من الفيروزج وغيره أشياء.

واخترع أمورا تخرج عن حد العقل حتى سمي حكيم الملوك، وغلب جميع الكهنة في علومهم، وكان يخبرهم بما يغيب عنهم، وكان نمرود إبراهيم عليه السلام في وقته، فاتصل بنمرود خبر حكمته وسحره، فاستزاره، وكان النمرود جبارا مشوه الخلق يسكن السواد من العراق، وأتاه الله قوة وقدرة وبطشا، فغلب على كثير من الأمم، فتقول القبط: إن النمرود لما استزار كلكلي وجه إليه أن يلقاه بموضع كذا، فسار إلى الموضع على أربعة أفراس تحمله ذوات أجنحة، وقد أحاط به نور كالنار، وحوله صور هائلة، وقد خيل بها وهو متوشح بثعبان متحزم ببعضه، وقد فغر فاه وهو يضربه بقضيب آس، فلما رآه النمرود هاله، وأقر له بجليل الحكمة، وسأله: أن يكون ظهيرا له، ويقال: إنه كان يرتفع ويجلس على الهرم الغربي في قبة تلوح على رأسه، فإذا

(١) المواعظ والاعتبار، ١/١٧٤

دهم أهل البلد أمر اجتمعوا حول الهرم فيقيم أياما لا يأكل ولا يشرب، ثم استتر مدة حتى توهموا أنه هلك فطمع فيه الملوك، وقصده ملك من الغرب في جيش عظيم، حتى قدم وادي هبيب، فأقبل حتى جللهم من سحره بشيء كالغمام شديد الحر، فأقاموا تحته أياما متحيرين، ثم طار إلى مصر، وأمرهم بالخروج إلى الجيش، فوجدوهم قد ماتوا هم ودوابهم، فهابه الكهنة مهابة لم يهابوها أحدا قبله، وعمر طويلا وغاب فلم يعلم خبره.

وقال ابن عبد الحكم: إن كلكلي ابن حزابا ملكهم نحو مائة سنة ثم مات ولا ولد له.

فملك أخوه ماليا بن حزابا. قال ابن وصيف شاه: وقام أخوه ماليا: وكان شرها كثير الأكل والشرب منفردا بالرفاهية غير ناظر في شيء من الحكمة، وجعل أمر البلد إلى وزيره، واشتغل بالنساء، وكان له من النساء ثمانون امرأة فهجم عليه ابنه طوطيس، وهو سكران فقتله، وقتل امرأة كانت عنده.

وملك بعده ابنه طوطيس: ويقال: إنه عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ويقال: الوليد بن الريان، وأنه أحد فراعنة مصر، من ولد دان بن قهلوج بن أمراز بن أشود بن سام بن نوح.

وقيل: فراعنة مصر من ولد عملاق الأول بن لاود بن سام بن نوح، وكان جبارا جريئا شديد البأس مهابا، والقبط تزعم أنه أول الفراعنة بمصر، وهو فرعون إبراهيم عليه السلام، ويقال: إن الفراعنة سبعة، هو أولهم، وحفر نهرا في شرقي مصر بسفح الجبل حتى ينتهي إلى مرفأ السفن في البحر الملح، وكان يحمل إلى هاجر أم إسماعيل التي أعطاها إبراهيم عليه السلام الحنطة وأصناف الغلات فتصل إلى جدة فأحيى بلد الحجاز مدة، ويقال: إن كل ما حليت به الكعبة في ذلك العصر مما أهداه ملك مصر، ولكثرة ما حمل إلى الحجاز سمته العرب من جرهم الصادوق.." (١)

"وفي كتاب هروشيش: أن سلطان **المصريين** في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام، كان بأيدي قوم يدعون ببني فاليق بن دارش، ودام ملكهم بمصر مائة وعشرين سنة، وقال ابن إسحاق عن بعضهم: إن فراعنة مصر من ولد دان بن فهلوج بن امراز بن أشود بن سام بن نوح، قال: والمشهور أنهم من العماليق، منهم الريان بن الوليد، ويقال: الوليد بن الريان فرعون يوسف، والوليد بن مصعب فرعون موسى، ومنهم سنان بن علوان.

قال ابن وصيف شاه. وإنما قيل له: فرعون، لأنه أكثر القتل ولم يرزق غير ابنة، وكانت عاقلة فخافت لكثرة

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٧٥/١

قتله الناس، فقتلته بسم، وله في الملك مائة وسبعون سنة.
وملكت بعده جورياق: فوعدت الناس بالإحسان، وجمعت الأموال وقدمت الكهنة وأهل الحكمة ورؤساء السحرة، ورفعت أقدارهم وجددت الهياكل، وصار من لم يرضها إلى ملينة أتريب، وملكوا رجلا من ولد أتريب، وقد تقدم خبره في الإسكندرية، وجورياق أول امرأة ملكت مصر من ولد نوح عليه السلام، وماتت.
فملكت بعدها ابنة عمها زلفى بنت مأمون: وكانت عذراء عاقلة، فوعدت الناس بالجميل، وقام عليها أيمن الإتريبي، واستنصر بملك العمالقة، فسير معه قائدا، فأخرجت إليه جيشا فالتقوا بالعريش، واقتتلوا حتى فني منهم كثير من الناس، ثم انهزم أصحاب زلفى إلى منف، وهم في أقفيتهم، فخرجت زلفى إلى الصعيد، ونزلت الأشمونين، فكان بينها وبين عساكر العمالقة حروب انهزموا فيها، وخرجوا عن منف بعدما عاثوا فيها وعدوا إلى الجرف، فامتنعوا به، وصارت مصر بينهم نصفين، ثم إن زلفى عاودت الحرب، فاستمرت ثلاثة أشهر حتى انهزمت إلى قوص وأيمن خلفها، فلما أيقنت أنها تؤخذ، سمت نفسها، فهلكت.
وقال ابن عبد الحكم: ثم توفي طوطيس بن ماليا، فاستخلفت ابنته جورياق ابنة طوطيس، ولم يكن له ولد غيرها، ثم توفيت جورياق فاستخلفت ابنة عمها زلفى ابنة مأمون بن ماليا، فعمرت دهرا طويلا، وكثروا ونموا وملأوا أرض مصر كلها، فطمعت فيهم العمالقة، فغزاهم الوليد بن دومع، فقاتلهم قتالا عظيما، ثم رضوا أن يملكوه عليهم فملكهم نحوا من مائة سنة، فطغى وتكبر، وأظهر الفاحشة، فسلط الله عليه سبعا فافترسه وأكل لحمه.
والذي ملك مصر من الفراعنة خمسة: وملك أيمن وتجبر، وقتل خلقا ممن حاربه، وكان الوليد بن دومع العمليقي قد خرج في جيش كثيف، فبعث غلاما يقال له: فرعون، إلى مصر، ففتحها. ثم قدم بعده واستباح أهل مصر، وأخذ أموالهم ثم خرج ليقف على مصب النيل فرأى جبل القمر، وأقام في غيبته أربعين سنة، ورجع إلى مصر، وقد خالفه فرعون، وفر منه فاستعبد أهل مصر وملكهم مائة وعشرين سنة حتى هلك.
وملك ابنه الريان بن الوليد بن دومع: أحد العمالقة، وكان أقوى أهل الأرض في زمانه وأعظمهم ملكا.
والعمالقة: ولد عمليق بن لاود بن سام بن نوح، وهو فرعون يوسف عليه السلام، والقبط تسميه: نهراوش، وقيل: فرعون يوسف. اسمه: الريان بن الوليد بن ليث بن قاران بن عمرو بن عمليق بن بلقع بن عابر بن اشليخا بن لود بن سام بن نوح، وقيل: فرعون يوسف، هو: جد فرعون موسى أبو أبيه، واسمه: برخو، وكان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلا، فوعد الناس الجميل، وأسقط عنهم الخراج لثلاث سنين وفرق المال فيهم.
وملك رجلا من أهل بيته يقال له: أطفين، وهو الذي يقال له: العزيز، وكان عاقلا أديبا مستعملا للعدل

والعمارة، فأمر أن ينصب له سرير من فضة في قصر الملك يجلس عليه، ويخرج وجميع الكتاب والوزراء بين يديه، فكفى نهراوش ما خلف ستره، وقام بجميع أموره وخلاه للذاته، فأقام على قصفه مدة والبلد عامر، فقصده رجل من العمالقة، وسار إلى مصر في جيوشه، فخرج إليه وقاتله وهزمه، وسار خلفه، ودخل الشام وعاث هنالك، فهابته الملوك ولاطفته.

وقيل: إنه بلغ الموصل، وضرب على أهل الشام خراجا وخرج لغزو بلاد المغرب في تسعمائة ألف، ومر بأرض البربر، وجلا كثيرا منهم، ومر إلى البحر الأخضر، وسار إلى الجنوب، فقدم النوبة وعاد إلى مدينة منف، وكان من خبر يوسف معه ما ذكر عند ذكر الفيوم.

وملك بعده ابنه دريموش: ويقال: له دارم بن الريان، وهو الفرعون الرابع، فخالف سنة أبيه، وكان يوسف خليفته، فيقبل منه تارة، ويخالفه تارة، وظهر في أيامه معدن فضة فأثار منه شيئا عظيما.." (١)

"وفي أيامه مات يوسف عليه السلام، فاستوزر بعده رجلا حمله على أذى الناس، وأخذ أموالهم، فبلغ ذلك منهم مبلغا عظيما، ثم زاد في التجري حتى اقتلع كل امرأة جميلة بمدينة منف من أهلها، فكان لا يسمع بامرأة حسناء في موضع إلا وجه إليها، فحملت إليه فاضطرب الناس وشنعوا عليه وعطلوا الصنائع والأعمال والأسواق، فعدا عليهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وزاد الأمر حتى اجتمعوا على خلعه، فبرز لهم وأسقط عنهم خراج ثلاث سنين، وأنفق فيهم مالا فسكتوا، وفي أيامه ثار القبط على بني إسرائيل وطلبوا من الوزير، أن يخرجهم من مصر، فما زال بهم حتى أمسكوا، وبلغ الملك ذلك، وكان قد خرج إلى الصعيد فتوعد أهل مصر، فشغبوا عليه وحشدوا له، فحاربوه فقتل منهم خلقا كثيرا، وظفر بمن بقي، فقتلهم وصلبهم على حافتي النيل، وعاد إلى أعظم ما كان عليه من أخذ الأموال والنساء، واستخدام أشراف القبط وبني إسرائيل، فأجمع الكل على ذمه، فركب النيل للنزهة، وثار به ريح عاصف، فغرق، فلم يوجد إلا بناحية شطنوف، وقيل: فيما بين طرا وحلوان.

فقدم الوزير ابنه معاديوس: وكان صبيا، ويقال له: معدان، فأسقط عن الناس ما أسقطه أبوه من الخراج، ووعد بالإحسان فاستقام له الأمر، ورد نساء الناس، وهو خامس الفراعنة، وحدث في زمانه طوفان مصر، وكثر بنوا إسرائيل وعابوا الأصنام، فأفردوا ناحية عن البلد بحيث لا يختلط بهم غيرهم، وأقطعوا موضعا في قبلي منف، فاجتمعوا فيه، وبنو، فيه معبدا، وغلب بعض الكنعانيين على الشام، ومنع من الضريبة التي كانت على أهل الشام لملك مصر، فاجتمع الناس إلى معدان، وحثوه على المسير لحربه، فامتنع من المسير ولزم

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٧٦/١

الهيكل، فزعموا أنه قام في هيكل زحل للعبادة، فتجلى له زحل، وخاطبه. وقال له: قد جعلتك ربا على أهل بلدك، وحبوتك بالقدرة عليهم، وعلى غيرهم، وسأرفعك إلي، فلا تخل من ذكري فعظم عند نفسه وتجبر، وأمر الناس، أن يسموه ربا، وترفع عن أن ينظر في شيء من أمر الملك، وجعل عليه ابنه اكسامس.

فقام ابنه اكسامس في الملك، ويقال: كلسم بن معدان، فرتب الناس مراتب، وقسم الكور والأعمال، وأمر باستنباط العمارات، وإظهار الصناعات، ووسع على الناس في أرزاقهم، وأمر بتنظيف الهياكل، وتجديد لباسها وأوانيها وزاد في القرابين، وهو الذي يقال له: كاشم بن معدان بن دارم بن الريان بن الوليد بن دومع العمليقي، وهو سادس الفراعنة، وسموا فراعنة، بفرعان، الأول فصار اسما لكل من تجبر وعلا أمره، فطال ملكه، وأقام أعلاما كثيرة حول منف، وعمل مدنا كثيرة، ومناير للوقودات وطلسمات، وأقام سبع سنين بأجمل أمر، فلما مات وزير أبيه استخلف رجلا من أهل بيت المملكة يقال له ظلما بن قومس، وكان شجاعا ساحرا كاهنا كاتبا حكيما متصرفا في كل فن، وكانت نفسه تنازعه الملك، فأصلح أمر الملك وبنى مدنا من الجانبين، ورأى في نجومه أنه سيكون حدث، فبنى بناحية رقودة والصعيد ملاعب ومصانع وشكا إليه القبط من الإسرائيليين، فقال: هم عبيدكم، فأذلوهم من حينئذ، وخرج إلى ناحية البربر، فعاث وقتل وسبى، وفي أيامه: بنيت منارة الإسكندرية، وهاج البحر الملح فغرق كثيرا من القرى والجنان والمصانع، ومات اكسامس، وكان ملكه إحدى وثلاثين سنة، منها إحدى عشرة سنة يدبر أمره ظلما، فلما مات اضطرب الناس، واتهموا ظلما أنه سمه فقام.

وولي لاطيس بن اكسامس: وكان جريئا معجبا صلفا، فأمر ونهى، وألزم الناس أعمالهم، وقال: أنا مستقيم ما استقمتم، وإن ملتم عن الواجب ملت عنكم، وحط جماعة عن مراتبهم، وصرف ظلما عن خلافته، واستخلف غيره، وأنفذ ظلما إلى الصعيد في جماعة من الإسرائيليين، وجدد بناء الهياكل وبنى القرى وأثار معادن كثيرة وكنز في صحراء الشرق عدة كنوز، وكان يحب الحكمة، ثم تجبر وعلا أمره، وأمر أن لا يجلس أحد في مجلسه، ولا في قصر الملك، لا كاهن ولا غيره، بل يقومون على أرجلهم حتى يمضوا، وزاد في أذى الناس والعنف بهم، ومنع فضول ما بأيديهم وقصرهم على القوت، وجمع أموالهم وطلب النساء، وانتزع كثيرا منهن وفعل أكثر مما فعله من تقدم قبله، واستعبد بني إسرائيل، وقتل جماعة من الكهنة، فابغضه الخاص والعام، وثار ظلما بالصعيد، وكاتب وجوه الناس فكتب لاطيس بصرفه عن العمل، فامتنع وحارب عساكره، وزحف حتى دخل منف.." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٧٧/١

"ظلما بن قومس: فرعون موسى، يقال: إن اسمه الوليد بن مصعب بن اراهون بن الهلوت بن قاران بن عمرو بن عمليق بن بلقع بن عابر بن اشليخا بن لود بن سام بن نوح، وإنه من العمالقة، وكان قصيرا طويل اللحية أشهل العين اليمنى صغير العين اليسرى، أعرج، وزعم قوم: أنه من القبط وأن نسبه ونسب أهل بيته مشهور عندهم، وقيل غير ذلك، وكان من خبره ما ذكرنا في كنيسة دموة.

وقال ابن عبد الحكم: ولما أغرق الله فرعون بقيت مصر بعد غرقه، ليس فيها من أشراف أهلها أحد، ولم يبق إلا العبيد والأجراء والنساء، فأعظم أشراف من بمصر من النساء أن يولين منهم أحدا، وأجمع رأيهن أن يولين امرأة يقال لها: دلوكة.

فملكت دلوكة ابنة زبا: ويقال: دلوكه بنت فاران، وكان لها عقل وتجارب ومعرفة، وكانت في شرف منهن، وهي يومئذ بنت مائة وستين سنة، فبت جدارا حصنت به مصر من الأعداء، وكان من حد زنج إلى إفريقية إلى الواحات إلى بلد النوبة على كل موضع منه حرس قيام ليلهم، ونهارهم يقدون النار وقودا لا يطفأ أبدا أحاطت به على جميع أرض مصر كلها في ستة أشهر، وهو حائط العجوز، وفي أيامها، بنت تدورة الساحرة البرابي في وسط منف، فملكتهم دلوكة عشرين سنة حتى بلغ صبي من أبناء أكابرهم يقال له: دركون بن بلاطس، ثم مات واستخلف ابنه تودست، ثم توفي تودست بن دركون، فاستخلف أدقاش، فلم يملك إلا ثلاث سنين، حتى مات فاستخلف أخوه مرينا بن مرينوس، ثم توفي فاستخلف أستادس بن مرينا، فطغى وتكبر وسفك الدم وأظهر الفاحشة، فخلعوه وقتلوه وبايعوا رجلا من أشرافهم يقال له: بلطوس بن ميناكيل، فملكهم أربعين سنة، ثم توفي فقام ابنه مالوس، ثم توفي مالوس، فاستخلفط أخوه ميناكيل بن بلطوس بن ميناكيل، فملكهم زمانا، ثم توفي واستخلف ابنه نوله بن ميناكيل، فملكهم مائة وعشرين سنة، وهو الأعرج الذي سبى ملك بيت المقدس، وقدم به إلى مصر، وكان قد تمكن وطغى وبلغ مبلغا لم يبلغه أحد ممن قبله بعد فرعون، فصرعته دابته، فمات.

وقيل له: الأعرج، لأنه لما غزا أهل بيت المقدس ونهبهم، وسبى ملكهم يوشيا بن أمون بن منشا بن حزقيا، هم أن يصعد على كرسي نبي الله سليمان بن داود، وكان بلولب لا يمكن أحدا أن يصعد عليه إلا برجليه جميعا، فصعد برجل واحدة، وهي اليمنى، فدار اللولب على ساقه الأخرى فاندقت، فلم يزل يجمع بها إلى أن مات، فلذلك سمي الأعرج.

فاستخلف مرينوس بن نولة، فملكهم زمانا، ثم توفي واستخلف ابنه قرقورة، فملكهم ستين سنة، ثم توفي واستخلف أخوه نقاس بن مرنيوس، وانهدم البربا في زمنه، فلم يقدر أحد على إصلاحه، ثم توفي نقاس

واستخلف ابنه قوميس بن نقاس، فملكهم دهرا وحاربه بخت نصر وقتله، وخرب مدينة منف، وغيرها من المدائن وسبى أهل مصر، ولم يترك بها أحدا حتى بقيت أرض مصر أربعين سنة خرابا ليس فيها ساكن.

وذكر في ترجمة كتاب هروشيش الأندلسي في وصف الدول والحروب، أن فيما بين غرق فرعون موسى إلى مائة وسبع سنين، كان بمصر ملك يسمى نوشردس كان يقتل الغرباء، والأضياف ويذبحهم لأوثانه، ويجعل دماءهم قربانا لها، وأن بعد غرق فرعون إلى ثلثمائة وثمان وعشرين سنة، كان بمصر ملك يسمى: بروبة، وكان عظيم المملكة قوي السلطان أخذ بالحرب أكثر نواحي الجنوب برا وبحرا، وهو أول من حارب الروم الذين قيل لهم بعد ذلك الغوط، وكان قد أرسل إليهم يدعوهم إلى طاعته، ويخوفهم حربه، فأجابوه ليس من الرأي المحمود للملك الغني محاربة قوم فقراء لكثرة نوازل الحروب، واختلاف حوادثها بالظفر والهلاك، وإنا لا ننتظر مجيئك، بل نسرع لغارتك، وأتبعوا قولهم عملا، وخرج فرعون إليهم، فخرجوا مسرعين إليه وهزموا جيوشه، ونهبوا عساكره وأمواله وعدده، وجميع ذخائره ومضوا فنهبوا أرض مصر حتى كادوا يغلبون عليها لولا وحول عرضت لهم منعتهم مما خلفها، ثم انصرفوا إلى بلاد الشام بحروب متصلة، حتى أذلوا أهلها، وجعلوهم يؤدون إليهم المغارم، وأقاموا محاربين لمن خالفهم في غزوتهم خمس عشرة سنة، ولم ينصرفوا إلى بلادهم حتى أتتهم من نسائهم من يقلن لهم: إما أن تنصرفوا، وإما أن تتخذ الأزواج ونطلب النسل من عند المجاورين لنا، فعند ذلك انصرفوا إلى بلادهم، وقد امتلأت أيديهم أموالا وأوقارا جمة، وقد خلفوا وراءهم ذكرا مفزعا.." (١)

"وقال ابن وصيف شاه في ذكر أخبار مصرايم بن بيصر بن نوح، وعلمهم أيضا عمل الطلسمات، وكانت تخرج من البحر دواب تفسد زرعهم وجنانهم وبنيانهم، فعملوا لها الطلسمات، فغابت، ولم تعد وبنوا على غير البحر مدنا منها مدينة رقودة مكان الإسكندرية، وجعلوا في وسطها قبة على أساطين من نحاس مذهب، والقبة مذهبة ونصبوا فوقها، مرآة من أخلاط شتى، قطرها خمسة أشبار وارتفاع القبة مائة ذراع، فكانوا إذا قصدهم قاصد من الأمم التي حولهم، فإن كان مما يهمهم، وكان من البحر عملوا لتلك المرآة عملا، فألقت شعاعها على ذلك الشيء فأحرقته، فلم تزل إلى أن غلب البحر عليها.

ويقال: إن الإسكندر إنما عمل المنارة تشبيها بها، وكان عليها أيضا مرآة يرى فيها من يقصدهم من بلاد الروم، فاحتال عليهم بعض ملوكهم، ووجه إلي إليها من أزالها، وكانت من زجاج مدبر.

قال: وذكر بعض القبط أن رجلا من بني الكهنة الذين قتلهم، ايساد ملك مصر سار إلى ملك كان في بلاد

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٧٨/١

الإفرنجة، فذكر له كثرة كنوز مصر وعجائبها، وضمن له أن يوصله إلى ملكها وأموالها ويرفع عنه أذى طلسماتها حتى يبلغ جميع ما يريد، فلما اتصل صا بن مرقونس أخي ايساد، وهو ملك مصر يومئذ، أن صاحب بلاد الإفرنجة يتجهز إليه عمد إلى جبل بين البحر الملح وشرقي النيل، فأصعد إليه أكثر كنوزه، وبنى عليها قبابا مصفحة بالرصاص، وظهر صاحب بلاد الإفرنجة في ألف مركب، فكان لا يمر بشيء من أعلام مصر ومنازلها إلا هدمه، وكسر الأصنام بمعونة ذلك الكاهن، حتى أتى الإسكندرية الأولى فعاث فيها، وفيما حولها وهدم أكثر معالمها إلى أن دخل النيل من ناحية رشيد، وصعد إلى منف ، وأهل النواحي يحاربونه، وهو ينهب ما مر به، ويقتل ما قدر عليه إلى أن طلب المدائن الداخلة لأخذ كنوزها، فوجدها ممتنعة بالطلسمات الشداد، والمياه العميقة والخنادق والشداخات، فأقام عليها أياما كثيرة، فلم يمكنه الوصول إليها وغضب على الكاهن، فقتله من أجل أن جماعة من أصحابه هلكوا، فاجتمع أهل النواحي، وقتلوا من أصحابه الذين بالمراكب خلقا، وأحرقوا بعض المراكب، وقام **أهل مصر** بسحرهم وتهاويلهم فأتت رياح أغرقت أكثر مراكبه حتى نجا بنفسه، وقد خرج فعاد الناس إلى منازلهم وقراهم، ورجع الملك صا إلى مدينة منف، وأقام بها، وتجهز لغزو بلدان الروم، وبعث إليها وخرب الجزائر فهابته الملوك، وتتبع الكهنة فقتل منهم خلقا كثيرا، وأقام ملكا سبعا وستين سنة، ومات وعمره مائة وسبعون سنة، ودفن بمنف في وسطها تحت الأرض، ومعه الأموال والجواهر والتماثيل والطلسمات، كما فعل آباؤه منها: أربعة آلاف مثقال ذهبا على صور حيوانات برية وبحرية، وتمثال عقاب من حجر أخضر، وتمثال تنين من ذهب، وزبروا عليها اسمه، وغلبته الملوك وسيرته، وعهد إلى ابنه تدراس.

قال: ولما جلست جورياق ابنة طوطيس، أول فراعنة مصر، وهو فرعون إبراهيم الخليل عليه السلام على سرير الملك بعد قتلها لأبيها، وعدت الناس بالإحسان، وأخذت في جمع الأموال ، فاجتمع لها ما لم يجتمع لملك، وقدمت الكهنة وأهل الحكمة، ورؤساء السحرة، ورفعت أقدارهم، وأمرت بتجديد الهياكل وصار من لم يرضها إلى مدينة أتريب، وملكوا عليها رجلا من ولد أتريب يقال له: إيداخس، فعقد على رأسه تاجا، واجتمع إليه جماعة، فأنفذت إليه جيشا فهزموه، وقتلوا أكثر أصحابه فهرب إلى الشام، وبها الكنعانيون فاستغاث بملكهم، فجهزه بجيش عظيم ففتحت جورياق الخزائن وفرقت الأموال وقوت السحر، فعملوا أعمالهم وتقدم إيداخس بجيوش الكنعانيين، وعليها قائد منهم يقال له: جيرون.." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/١٨٠

"وقال ابن عبد الحكم: وكان الذي بنى الإسكندرية، وأسس بناءها: ذو القرنين الرومي، واسمه: الإسكندر، وبه سميت: الإسكندرية، وهو أول من عمل لوشى، وكان أبوه أول القياصرة، وقيل: إنه رجل من **أهل مصر** اسمه مرزبا بن مرزبه اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السلام، وقيل: كان من أهل لوبية كورة من كور مصر الغربية، وقال ابن لهيعة: وأهلها روم ويقال: هو رجل من حمير. قال تبع:

قد كان ذو القرنين جدي مسلما ... ملكا تدين له الملوك بمحشد

بلغ المغارب والمشارق يبتغي ... أسباب علم من حكيم مرشد

فرأى مغيب الشمس عند غروبها ... في عين في خلب وثأط حرمد

ويروى: قد كان ذو القرنين قبلي مسلما، وحدثني عثمان بن صالح، حدثني عبد الله بن وهب، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن سعد بن مسعود التجيبي، عن شيخين من قومه قالا: كنا بالإسكندرية فاستطلنا يومنا، فقلنا: لو انطلقنا إلى عقبة بن عامر نتحدث عنده، فانطلقنا إليه فوجدناه جالسا في داره، فأخبرناه: إنا استطلنا يومنا، فقال: وأنا مثل ذلك إنما خرجت حين استطلته، ثم أقبل علينا فقال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أخدمه، فإذا أنا برجال من أهل الكتاب معهم مصاحف أو كتب فقالوا: استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانصرفت إليه، فأخبرته بمكانهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما لي ولهم يسألوني عما لا أدري إنما أنا عبد لا أعلم إلا ما علمني ربي " . ثم قال: " أبلغني وضوءا " فتوضأ، ثم قام إلى مسجد بيته، فركع ركعتين، فلم ينصرف حتى عرفت السرور في وجهه والبشر، ثم انصرف فقال: أدخلهم ومن وجدت بالباب من أصحابي، فأدخله قال: فأدخلتهم فلما وقفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: " إن شئتم أخبرتكم عما أردتم أن تسألوني قبل أن تتكلموا وإن أحببتم تكلمتم، وأخبرتكم لا، قالوا: بلى، أخبرنا قبل أن نتكلم، قال: " أحببتم أن تسألوني عن ذي القرنين، وسأخبركم عما تجدونه مكتوبا عندكم إن أول أمره إنه غلام من الروم أعطي ملكا، فسار حتى أتى ساحل البحر من أرض مصر، فابتنى عنده مدينة يقال لها: الإسكندرية، فلما فرغ من بنائها أتاه ملك، فعرج به حتى استقله فرفعه فقال: انظر ما تحتك، فقال: أرى مدينتي، وأرى مدائن معها، ثم عرج به، فقال: انظر فقال: قد اختلطت مدينتي مع المدائن، فلا أعرفها، ثم زاد، فقال: انظر فقال: أرى مدينتي وحدها ولا أرى غيرها، قال له الملك: إنما تلك الأرض كلها والذي ترى يحيط بها هو البحر، وإنما أراد بك أن يريك الأرض، وقد جعلك لك سلطانا فيها سوف يعلم الجاهل، ويثبت العالم، فسار حتى بلغ مغرب الشمس، ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس، ثم أتى السدين وهما جبلان لينان يزلق عنهما كل شيء فبنى السد، ثم

جاز يأجوج ومأجوج فوجد قوما وجوهم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج، ثم قطعهم فوجد أمه قصارا يقاتلون القوم الذين وجوههم وجوه الكلاب، ووجد أمة من الغرانيق يقاتلون القوم القصار، ثم مضى فوجد أمة من الحيات تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة، ثم أفضى إلى البحر المدير بالأرض فقالوا: نشهد أن أمره هكذا كما ذكرت وإنا نجده هكذا في كتابنا.

وعن خالد بن معدان الكلاعي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن في القرنين فقال: " ملك مسح الأرض من تحتها بالأسباب " .

قال خالد: وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقول: يا ذا القرنين، فقال: اللهم غفرا أما رضيتم أن تسموا بالأنبياء حتى تسميتم بالملائكة.

وقال قتادة، عن الحسن: كان ذو القرنين ملكا وكان رجلا صالحا، قال: وإنما سمي ذا القرنين لأن عليا رضي الله عنه سئل عن ذي القرنين، فقال: لم يكن ملكا ولا نبيا ولكن كان عبدا صالحا أحب الله فأحبه ونصح لله فنصحه الله بعثه الله عز وجل إلى قومه فضربوه على قرنيه فمات، فسمي ذا القرنين، ويقال: إنما سمي ذا القرنين لأنه جاوز قرني الشمس من المغرب والمشرق.

ويقال: إنما سمي ذا القرنين لأنه كان له غديرتان من شعر رأسه يطأ فيهما، وقيل: بل كان له قرنان صغيران تواريهما العمامة.

وعن ابن شهاب: إنما سمي ذا القرنين لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مشرقها.." (١)

"علي في العالم شيء مما أردته، ولا امتنع عني شيء مما طلبته لطفا من الله عز وجل، وصنعا لي وصلاحا لعباده من أهل عصري، والحمد لله رب العالمين لا إله إلا هو رب كل شيء، ورسم بعد هذه الكتابة كل ما يحدث ببلده من الأحداث بعده في مستقبل الزمان من الآفات والعمران والخراب، وما يؤول أمرها إليه إلى وقت دثور العالم. في العالم شيء مما أردته، ولا امتنع عني شيء مما طلبته لطفا من الله عز وجل، وصنعا لي وصلاحا لعباده من أهل عصري، والحمد لله رب العالمين لا إله إلا هو رب كل شيء، ورسم بعد هذه الكتابة كل ما يحدث ببلده من الأحداث بعده في مستقبل الزمان من الآفات والعمران والخراب، وما يؤول أمرها إليه إلى وقت دثور العالم.

وكان بناء الإسكندرية طبقات، وتحتها قناطر مقنطرة عليها دور المدينة يسر تحتها الفارس، وبيده رمح لا تضيق به حتى يدور جميع تلك الآزاج والقناطر التي تحت المدينة، وقد عمل لتلك العقود والأزاج مخاريق

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٨٣/١

ومتنفسات للضياء ومنافذ للهواء، وقد كانت الإسكندرية تضيء بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر، وكانت أسواقها وشوارعها وأزقتها مقنطرة كلها لا يصيب أهلها شيء من المطر، وكان عليها سبعة أسوار من أنواع الحجارة المختلفة الألوان بينها خنادق، وبين كل خندق وسور فصول، وربما تعلق في المدينة شقاق الحرير الأخضر لاختطاف بياض الرخام أبصار الناس لشدة بياضه.

فلما أحكم بناءها، وسكنها أهلها كانت آفات البحر، وسكانه على ما زعم الإخباريون من **المصريين** والإسكندريين تختطف بالليل أهل المدينة، فيصبحون، وقد فقد منهم العديد الكثير، فلما علم بذلك الإسكندر اتخذ الطلسمات على أعمدة هنالك تدعى: المسال، وهي باقية إلى هذه الغاية كل واحد من هذه الأعمدة على هيئة السروة وطول كل واحد منها ثمانون ذراعا على عمد من نحاس، وجعل تحتها صورا وأشكالا وكتابة.

قال مؤلفه رحمه الله فيما تقدم من حكاية ابن وصيف شاه: ما يتبين به وهم ما نقله المسعودي، من أن الإسكندر هو الذي عمل التابوت حتى صور أشكال حيوانات البحر، فإن ابن وصيف شاه أعرف بأخبار **أهل مصر**، وكذلك ما ذكره المسعودي من أن المسال، من عمل الإسكندر وهم أيضا، بل هذه المسال هي المناير التي كان ينور عليها والأعلام التي كانت ملوك مصر القدماء تنصبها، وهي من أعمال ملوك القبط الأول، ومن أعمال الفراعنة الذين ملكوا مصر من قديم الزمان.

ذكر الإسكندر

هو الإسكندر بن فيليبس بن آمنته ويقال: آمنتاس بن هركلش ويقال: هرقول الجبار، الذي هو ابن الاسكندر الأعظم، ولي أبوه فيليبس الملك في بلد مجدونية ويقال: مقدونية خمسا وعشرين سنة، استنبط فيها ضروبا من المكر وابتدع أنواعا من الشر تقدم فيها كل من ولي الملك بها قبله.

وكان في أول أمره قد جعله أخوه الإسكندر رهينة عند أمير من الروم، فأقام عنده ثلاث سنين، وكان فيلسوفا فتعلم عنده ضروب الفلسفة، فلما قتل أخوه الإسكندر، اجتمع الناس على تولية فيليبس فولوه أميرا، فقام في السلطان مقاما عظيما، فحارب الروم وغلب عليهم ومضى إلى البرية، فقتل بها من الناس آلافا، وغلب على مدائن فاجتمع له جمع لا يقاد، وجيش لا يرام، فأذل جميع الروم وذهبت عينه في بعض الحروب، وغمر البلدان والمدائن عمارة وهدما وسبيا وانتهابا، ثم حشد جميع أهل بلد الروم وعبأ عسكرا

فيه: مائتا ألف راجل، وخمسون ألف فارس، سوى من كان فيه من أصحابه المقدونيين، ومن غيرهم من أجناس اليونانيين يريد غزو الفرس.." (١)

"ثم ولي بعده ابنه بطليموس شوطار الذي يقال له: الحديد، سبع عشرة سنة، وكان قبيح السيرة، تزوج بأخته، ثم فارقها على أقبح حال مما تزوجها عليه في خبر له، ثم تزوج ربيبته التي كانت بنت أخته، ثم زوجها من ابنه المولود من أخته، وكثرت فواحشه حتى نفاه أهل الإسكندرية فمات منفيا. وولي أخوه بطليموس الإسكندر، وهو الجوال، عشر سنين.

ثم ولي بعده ابنه بطليموس ديوشيش، ثمانيا وثلاثين سنة، وفي زمانه غلب قائد الرومانيين على بيت المقدس، وجعل اليهود يؤدون إليه الجزية.

وظهرت في ذلك الزمان علامات في السماء مهولة، منها: أنه ظهر في السماء بناحية مطلع الشمس من مدينة رومة مما يلي ناحية الجنوب، نار ملتهبة عظيمة، وكسر قوم خبزا في صنع لهم، فانفجر من الخبز دم سائل، ونزل بمدينة رومة مدة سبعة أيام متوالية برد كان يوجد في داخله حجارة وشقاف، وانفتحت الأرض، فصار فيها غور عظيم، وخرج منه لهب اشتعل حتى ظنوه بلغ السماء، ونظر أهل رومة يومئذ إلى عمود من الأرض إلى السماء لونه لون الذهب، وكان من عظمه تكاد الشمس أن تغيب منه.

ثم ولي الإسكندرية بعده كلوباطرة، سنتين، فدامت مملكة الإسكندرية، وهي الدولة المجدونية إلى أول ملوك قيصر الذي هو أول ملوك الرومانيين، مائتين وإحدى وثمانين سنة، فبعث قيصر قائدين بعساكر كثيرة لفتح مصر، فتزوج أحدهما كلوباطرة ابنة ديوشيش الملقب بطليموس، وقتل القائد الآخر، وخالف قيصر، فسار إليه قيصر بنفسه، وجرت أمور آلت إلى فتح الإسكندرية بعد حروب، واستولى قيصر على مملكة مصر، وقتل كلوباطرة وولديها، وقتل القائد الذي تزوجها، ويقال: بل سمت نفسها عندما تيقنت غلبة قيصر لها، ويقال: إنها كانت ذات حزم ومعرفة وتدبير، وإنها حفرت خليج الإسكندرية وأجرت فيه الماء من مصر، وبنت بالإسكندرية أبنية عجيبة منها هيكل زحل، وعملت فيه صنما من نحاس أسود، وكان أهل مصر والإسكندرية يعملون له عيدا في اليوم الثاني والعشرين من هتور، ويحتج إليه اليونانيون من سائر الأقطار، ويذبحون له ذبائح لا تحصى كثرة، فلما ظهرت ملة النصارى في الإسكندرية جعلوا هيكل زحل كنيسة ولم تزل إلى أن هدمها جيوش المعز لدين الله عند قدومهم من المغرب إلى أرض مصر في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة من سني الهجرة النبوية.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/١٨٧

ويقال: إن كلوباطرة هي التي بنت حائط العجوز بمصر، ويشبه أن يكون هذا غير صحيح، ويقال: إنها بنت مقياسا بمدينة إخميم، ومقياسا آخر بأنصنا، ويقال: كانت مدة ملكها ثلاثين سنة، ولي بصحيح، وبموت كلوباطرة انقطعت مملكة مصر.

وصارت تحت يد ملوك الروم من أهل مدينة رومة، ثم تحت يد ملوك الروم من أهل قسطنطينة، فلم تزل تحت أيديهم يولون فيها من قبلهم من شاءوا، فيصير إلى الإسكندرية، ويقيم بها إلى أن قدم عمرو بن العاص بالمسلمين، وفتح الله على يده الحصن والإسكندرية، وجميع أرض مصر.

ويقال: معنى كلوباطرة: الباكية، فكان جميع المدة التي ما بين ذهاب دولة البطالسة من الإسكندرية، وقدوم عمرو بن العاص إلى مصر، وفتحها ستمائة سنة وبضعا وسبعين سنة، وفي خلال هذه المدة قوي جانب ملوك الفرس على القياصرة، وملكوا منهم بلاد الشام، واستولوا على أرض مصر والإسكندرية في أيام كسرى أبرويز بن هرمز، فبعث قائدا إلى مصر، وملك الإسكندرية، وقتل الروم وأقاموا بالإسكندرية مدة عشر سنين، فلما استبد هرقل بمملكة الروم، وخرج من القسطنطينية لجمع الأموال من سائر مملكته أخذ حماه ودمشق وسار إلى بيت المقدس، وقد خربها الفرس، فأمر ببنائها وسار منها إلى أرض مصر ودخل الإسكندرية، وقتل من بها من الفرس، وأقام بها بطريقا، ثم عاد إلى قسطنطينية فاستمرت مصر بعده تحت إيالة الروم حتى ملكها المسلمون.

ويقال: إن كل بناء بمصر من آجر فهو للفرس، وما فيها من بناء حجر فهو للروم، والله أعلم.

ذكر منارة الإسكندرية." (١)

"قال المسعودي: فأما منارة الإسكندرية، فذهب الأكثرون من المصريين والإسكندرانيين ممن عنى بأخبار بلدهم أن الإسكندر بن فيليبس المقدوني هو الذي بناها ومنهم من رأى أن دلوكة الملكة ابنتها وجعلتها مرقبا لمن يرد من العدو إلى بلدهم، ومن الناس من رأى، أن العاشر من فراعنة مصر، هو الذي بناها، ومنهم من رأى أن الذي بنى مدينة رومة هو الذي بنى مدينة الإسكندرية ومنارتها، والأهرام بمصر، وإنما أضيفت الإسكندرية إلى الإسكندر لشهرته باستيلائه على الأكثر من ممالك العالم فشهرت به، وذكروا في ذلك أخبارا كثيرة يستدلون بها على ما قالوا، والإسكندر لم يطرقه في هذا البحر عدو ولا هاب ملكا يرد إليه في بلده، ويغزوه في داره فيكون هو الذي جعلها مرقبا وإن الذي بناها جعلها على كرسي من الزجاج على هيئة السرطان في جوف البحر، وعلى طرف اللسان النى هو داخل في البحر من البر، وجعل على

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/١٩٣

أعلاها تماثيل من النحاس وغيره، منها: تمثال قد أشار بسبابته من يده اليمنى نحو الشمس، أينما كانت من الفلك، وإذا علت في الفلك فأصبعه يشير بها نحوها، فإذا انخفضت صارت يده سفلا، تدور معها حيث دارت، ومنها: تمثال يشير بيده إلى البحر، إذا صار العدو منه على نحو من ليلة فإذا دنا وجاوز أن يرى بالبصر لقرب المسافة، سمع لذلك التمثال صوت هائل يسمع من مسيرة ميلين أو ثلاثة، فيعلم أهل المدينة أن العدو قد دنا منهم فيرمقونه بأبصارهم، ومنها تمثال كلما مضى من الليل أو النهار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف ما صوت في الساعة التي قبلها وصوته مطرب.

وقد كان ملك الروم، في ملك الوليد بن عبد الملك بن مروان، أنفذ خادما من خواص خدمه، ذا رأي ودهاء، فجاء مستأمنا إلى بعض الثغور، فورد بآلة حسنة ومعه جماعة، فجاء إلى الوليد، فأخبره: أنه من خواص الملك، وأنه أراد قتله لموجدة وحال بلغته عنه لم يكن لها أصل، وأنه استوحش، ورغب في الإسلام، فأسلم على يد الوليد وتقرب من قلبه، وتنصح إليه في دفائن استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها من الشام بكتب كانت معه، فيها صفات تلك الدفائن، فلما صارت إلى الوليد تلك الأموال والجواهر، شرهت نفسه واستحكم طمعه.

فقال له الخادم: يا أمير المؤمنين إن ها هنا أموالا وجواهر ودفائن للملوك، فسأله الوليد عن الخبر. فقال: تحت منارة الإسكندرية أموال ملوك الأرض، وذلك أن الإسكندر احتوى على الأموال والجواهر التي كانت لشداد بن عاد وملوك مصر، فبنى لها أزجا تحت الأرض، وقنطر لها الأقباء والقناطر والسراديب، وأودعها تلك الذخائر من العين والورق والجوهر، وبنى فوق ذلك هذه المنارة، وكان طولها في الهواء ألف ذراع، والمرآة في علوه، والدبادبة جلوس حوله، فإذا نظروا إلى العدو في البحر في ضوء تلك المرآة صوتوا لمن قرب منهم، ونشروا أعلاما فيراها من بعد منهم، فتحذر الناس وتنذر البلد، فلا يكون للعدو عليهم سبيل.

فبعث الوليد مع الخادم، بجيش وأناس من ثقاته وخواصه، فهدم نصف المنارة من أعلاها، وأزيلت المرآة فضج الناس من هذا وعلموا أنها مكيدة وحيلة في أمرها، فلما علم الخادم استفاضة ذلك وأنه سينم إلى الوليد وأنه قد بلغ ما يحتاج إليه هرب في الليل في مركب كان قد أعده، وواطأ على ذلك، فتمت حيلته وبقيت المنارة على ما ذكرنا إلى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة.

وكان حوالي منارة الإسكندرية في البحر مغاص يخرج منه قطع من الجوهر يتخذ منه فصوص للخواتم أنواعا من الجواهر، يقال: إن ذلك من آلات اتخذها الإسكندر للشراب، فلما مات كسرتها أمه، ورمت بها في تلك المواضع من البحر، ومنهم من رأى أن الإسكندر اتخذ ذلك النوع من الجواهر، وغرقه حول المنارة

لكيلا تخلو من الناس حولها، لأن من شأن الجوهر أن يكون مطلوبا أبدا في كل عصر، ويقال: إن هذه المنارة إنما جعلت المرآة في أعلاها، لأن ملوك الروم بعد الإسكندر كانت تحارب ملوك مصر والإسكندرية، فجعل من كان بالإسكندرية من الملوك تلك المرآة تري من يرد في البحر من عدوهم، وكان من يدخلها يتيه فيها إلا أن يكون عارفا بالدخول والخروج فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها وممراتها.." (١)

"وقد ذكر: أن المغاربة حين وافوا في خلافة المقتدر في جيش صاحب المغرب دخل جماعة منهم على خيولهم إلى المنارة، فتاهوا فيها، وفي طرق تؤول إلى مهاو تهوي إلى السرطان الزجاج، وفيه مخارق إلى البحر، فتهورت دوابهم، وفقد منهم عدد كثير وعلم بهم بعد ذلك، وقيل: إن تهورهم كان على كرسي لها قدامها، وفي المنارة مسجد في هذا الوقت يرابط فيه مطوعة المصريين وغيرهم. وفي سنة سبع وسبعين وسبعمائة، سقط رأس المنارة من زلزلة، ويقال: إن منارة الإسكندرية، كانت مبنية بحجارة مهندمة مضببة برصاص على قناطر من الزجاج، وتلك القناطر على ظهر سرطان، وكان في المنارة، ثلثمائة بيت بعضها فوق بعض، وكانت الدابة تصعد بحملها إلى سائر البيوت من داخل المنارة، ولهذه البيوتات طاقات تشرف على البحر، وكانت على الجانب الشرقي من المنارة كتابة عربت، فإذا هي: بنت هذه المنظرة قريبا بنت مرينوس اليونانية لرصد الكواكب.

وقال ابن وصيف شاه: وقد ذكر أخبار مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح وبنوا على البحر مدنا منها رقودة مكان الإسكندرية، وجعلوا في وسطها قبة على أساطين من نحاس مذهب والقبة مذهبة، ونصبوا فوقها منارة عليها مرآة من أخلاط شتى، قطرها خمسة أشبار، وكان ارتفاع القبة مائة ذراع، فكانوا إذا قصدهم قاصد من الأمم التي حولهم، فإن كان مما يهمهم أو من البحر عملوا لتلك المرآة عملا، فألقت شعاعها على ذلك الشيء فأحرقته، فلم تزل على حالها إلى أن غلب عليها البحر فنسفها.

ويقال: إن الإسكندر إنما عمل المنار الذي كان شبيها بها وقد كان أيضا عليه مرآة يرى فيها من يقصدهم من بلاد الروم، فاحتال بعض ملوك الروم، فوجه من أزالها، وكانت من زجاج مدبر.

وقال المسعودي في كتاب التنبيه والأشراف: وقد كان وزير المتوكل، عبيد الله بن يحيى بن خاقان لما أمر المستعين بنفيه إلى برقة في سنة ثمان وأربعين ومائتين، صار إلى الإسكندرية من بلاد مصر، فرأى حمرة الشمس على علو المنارة التي بها وقت المغيب، فقدر أنه يلزمه أن لا يفطر إذا كان صائما أو تغرب الشمس من جميع أقطار الأرض، فأمر إنسانا أن يصعد إلى أعلى منارة الإسكندرية ومعه حجر، وأن يتأمل موضع

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/١٩٤

سقوط الشمس، فإذا أسقطت رمي بالحجر، ففعل الرجل ذلك، فوصل الحجر إلى قرار الأرض بعد صلاة العشاء الآخرة، فجعل إفطاره بعد صلاة العشاء الآخرة، فيما بعد إذا صام في مثل ذلك الوقت، وكان عند رجوعه إلى سر من رأى لا يفطر إلا بعد عشاء الآخرة، وعنده أن هذا فرضه، وأن الوقتين متساويان، وهذا غاية ما يكون من قلة العلم بالفرض ومجاري الشرق والغرب.

وقد ذكر أرسطاطاليس في كتاب الآثار العلوية: أن بناحية المشرق الصيفي جبلا شامخا جدا، وأن من علامة ارتفاعه أن الشمس لا تغيب عنه إلى ثلاث ساعات من الليل، وتشرق عليه قبل الصبح بثلاث ساعات.

ومنارة الإسكندرية أحد بنيان العالم العجيب، بناها بعض البطالسة ملوك اليونانيين بعد وفاة الإسكندر بن فيليبس الملك، لما كان بينهم وبين ملوك رومة من الحروب في البر والبحر، فجعلوا هذه المنارة مرقبا في أعاليها مرآة عظيمة من نوع الأحجار المشفة ليشاهد منها مراكب البحر إذا أقبلت من رومة على مسافة تعجز الأبصار عن إدراكها، فكانوا يراعون ذلك في تلك المرآة فيستعدون لهم قبل ورودهم، وطول المنارة في هذا الوقت على التقريب، مائتان وثلاثون ذراعا، وكان طولها قديما نحوا من أربعمائة ذراع، فهدمت على طول الأزمان وترادف الزلازل والأمطار، لأن بلد الإسكندرية تمطر وليس سبيلها سبيل فسطاط مصر إذ كان الأغلب عليها أن لا تمطر إلا اليسير، وبناؤها ثلاثة أشكال، فقريب من النصف، وأكثر من الثلث مربع الشكل، بناؤه بأحجار بيض يكون نحوا من مائة ذراع وعشرة أذرع على التقريب، ثم من بعد ذلك مثمن الشكل، مبني بالحجر والجص نحو من نيف وستين ذراعا وحواليه فضاء يدور فيه الإنسان وأعلاها مدور. وكان أحمد بن طولون رم شيئا منها، وجعل في أعلاه قبة من الخشب ليصعد إليها من داخلها وهي مبسوطة موربة بغير درج وفي الجهة الشمالية من المنارة، كتابة برصاص مدفون بقلم يوناني طول كل حرف ذراع في عرض شبر، ومقدارها على جهة الأرض نحو من مائة ذراع، وماء البحر قد بلغ أصلها، وقد كان تهدم أحد أركانها الغربية مما يلي البحر.." (١)

"فلما قدم عمرو الإسكندرية أكرمه الشماس الإكرام كله، وكساه ثوب ديباج ألبسه إياه، وجلس عمرو والشماس مع الناس في ذلك المجلس، حيث يترامون بالكرة وهم يتلقونها بأكمامهم، فرمى بها رجل منهم، فأقبلت تهوي حتى وقعت في كم عمرو، فعجبوا من ذلك، وقالوا: ما كذبتنا هذه الكرة قط إلا هذه المرة ا أترى هذا الأعرابي يملكنا. هذا ما لا يكون أبدا، وإن ذلك الشماس مشى في أهل الإسكندرية، وأعلمهم

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/١٩٥

أن عمرا أحياه مرتين، وأنه قد ضمن له الذي دينار، وسألهم أن يجمعوا ذلك له فيما بينهم، ففعلوا، ودفعوها إلى عمرو، فانطلق عمرو وصاحبه، وبعث معهما الشماس دليلا ورسولا، وزودهما وأكرمهما، حتى رجع هو وصاحبه إلى أصحابهما، فبذلك عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها، ورأى منها ما علم أنها أفضل البلاد، وأكثرها أموالا، فلما رجع عمرو إلى أصحابه، دفع إليهم بيما بينهم ألف دينار، وأمسك لنفسه ألفا، قال عمرو: وكان أول مال اعتقدته وتأثلته.

ذكر عمود السواري هذا العمود حجر أحمر منقط، وهو من الصوان الماتع كان حوله، نحو أربعمائة عمود كسرها قراجا والي الإسكندرية في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، ورماها بشاطئ البحر ليوعر على العدو سلوكه إذا قدموا، ويذكر أن هذا العمود من جملة أعمدة كانت تحمل رواق أرسطاطاليس الذي كان يدرس به الحكمة، وأنه كان دار علم، وفيه خزانة كتب أحرقها عمرو بن العاص بإشارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويقال: إن ارتفاع هذا العمود سبعون ذراعا وقطره خمسة أذرع، وذكر بعضهم: أن طوله بقاعدتيه: اثنان وستون ذراعا وسدس ذراع، وهو على نشز طوله ثلاثة وعشرون ذراعا ونصف ذراع، فجملة ذلك خمسة وثمانون ذراعا وثلثا ذراع، وطول قاعدته السفلي اثنا عشر ذراعا، وطول القاعدة العليا سبعة أذرع ونصف.

قال المسعودي: وفي الجانب الغربي من صعيد مصر، جبل رخام عظيم، كانت الأوائل تقطع منه العمد وغيرها، وكانوا يحملون ما عملوا بعد النقر، فأما العمد والقواعد والرؤوس التي يسميها **أهل مصر** الأسوانية، ومنها حجارة الطواحين، فتلك نقرها الأولون قبل حدوث النصرانية بمئين من السنين، ومنها العمد التي بالإسكندرية، والعمود بها الضخم الكبير لا يعلم بالعالم عمود مثله، وقد رأيت في جبل أسوان، أخا هذا العمود، وقد هندس ونقر ولم يصل من الجبل، ولم يحمل ما ظهر منه، وإنما كانوا ينتظرون به أن يفصل من الجبل، ثم يحمل إلى حيث يريد القوم، انتهى.

وكان بالإسكندرية من العمد العظام، وأنواع الحجارة والرخام الذي لا تقل القطعة منه، إلا بألوف من الناس، وقد علقت بين السماء والأرض على فوق المائة ذراع، وفوق رؤوس أساطين دائر الأسطوانة ما بين الخمسة عشر ذراعا إلى العشرين ذراعا، والحجر فوقه عشرة أذرع في عشرة أذرع، في سمك عشرة أذرع بغرائب الألوان.

وكان بالإسكندرية قصر عظيم لا نظير له في معمور الأرض على ربوة عظيمة، بإزاء باب البلد طوله خمسمائة ذراع، وعرضه على النصف من ذلك، وبابه من أعظم بناء وأتقنه، كل عضادة منه حجر واحد، وعتبته حجر

واحد، وكان فيه نحو مائة أسطوانة وبإزائه أسطوانة عظيمة لم يسمع بمثلها، غلظها ستة وثلاثون شبرا، وعلوها بحيث لا يدرك أعلاها قاذف حجر، وعليها رأس محكم الصناعة يدل على أنه كان فوق ذلك بناء، وتحتها قاعدة حجر أحمر محكم الصناعة، عرض كل ضلع منه عشرون شبرا في ارتفاع ثمانية أشبار، والأسطوانة منزلة في عمود من حديد قد خرقت به الأرض، فإذا اشتدت الرياح رأيتها تتحرك، وربما وضع تحتها الحجارة، فطحنتها لشدة حركتها، وكانت هذه الأسطوانة إحدى عجائب الدنيا، وقد زعم قوم أنها مما عمله الجن لسليمان بن داود عليهما السلام، كما هي عادتهم في نسبة كل ما يستعظمون عمله إلى أنه من صنيع الجن، وليس كذلك، بل كانت مما عمله القدماء من **أهل مصر**.

وكان في وسطه، قبة ومن حولها أساطين، وعلى الجميع قبة من حجر واحد رخام أبيض كأحسن ما أنت راء من الصنائع.." (١)

"وعن يزيد بن أبي حبيب: أن المسلمين لما سكنوا الإسكندرية في رباطهم، ثم قفلوا، ثم غزوا ابتدروا، فكان الرجل منهم يأتي المنزل الذي كان فيه صاحبه قبل ذلك، فيبتحره فيسكنه، فلما غزوا قال عمرو: إني أخاف أن تخربوا المنازل إذا كنتم تتعاورونها، فلما كان عند الكريون قال لهم: سيروا على بركة الله، فمن ركز منكم رمحه في دار فهي له، ولبني بنيه، فكان الرجل يدخل الدار، فيركز رمحه في منزل منها، ثم يأتي الآخر فيركز رمحه في بعض بيوت الدار، فكانت الدار تكون لقبيلتين وثلاث، وكانوا يسكنونها حتى إذا قفلوا سكنها الروم، وعليهم مرمتها، وكان يزيد بن أبي حبيب يقول: لا يحل من كرائها شيء، ولا بيعها ولا يورث منها شيء، إنما كانت لهم يسنونها في رباطهم.

وعن يزيد بن أبي حبيب: أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية، ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها، هم أن يسكنها، وقال: مساكن قد كفيناها، فكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يستأذنه في ذلك، فسأل عمر الرسول: هل يحول بيني وبين المسلمين ماء؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل، فكتب عمر إلى عمرو: إني لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم شتاء ولا صيفا، فتحول عمرو بن العاص إلى الفسطاط، وقال: وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص، وهو نازل بمدائن كسرى، وإلى عامله بالبصرة، وإلى عمرو بن العاص، وهو نازل بالإسكندرية أن لا تجعلوا بيني وبينكم ماء، متى ما أردت أن أركب إليكم راحلتي حتى أقدم عليكم، قدمت، فتحول سعد بن أبي وقاص من مدائن كسرى إلى الكوفة، وتحول صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه، فنزل البصرة، وتحول عمرو بن العاص

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٩٩/١

من الإسكندرية إلى الفسطاط، وكان عمر بن الخطاب يبعث في كل سنة غازية من أهل المدينة ترابط بالإسكندرية، وكان على الولاء لا يغفلها، ويكنف مرابطها، ولا يأمن الروم عليها.

وكتب عثمان رضي الله عنه إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح: قد علمت كيف كان هم أمير المؤمنين بالإسكندرية، وقد نقضت الروم مرتين، فألزم الإسكندرية مرابطيها، ثم أجر عليهم أرزاقهم، وأعقب بينهم في كل ستة أشهر، قال: وكانت الإسكندرية انتقضت، وجاءت الروم عليهم، منويل الخصي في المراكب، حتى أرسوا بالإسكندرية، فأجابهم من بها من الروم، ولم يثن المقوقس تحرك و نكث، وقد كان عثمان رضي الله عنه، عزل عمرو بن العاص، وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فلما نزلت الروم، سأل **أهل مصر**، عثمان أن يقر عمرا حتى يفرغ من قتال الروم، فإن له معرفة بالحرب وهيبة في العدو، ففعل.." (١)

"فلما اقتتل السري بن الحكم هو والمطلب بن عبد الله، وغلب السري على مصر، وثب عمر بن ملاك، على أبي بكر، وأخرجه من الإسكندرية، ودعا للجروي، وأقبل الأندلسيون إليه فأفسدوا، فأمرهم بالخروج إلى مراكبهم، فشق ذلك عليهم، وظهرت بالإسكندرية طائفة يسمون بالصوفية، يأمرون بالمعروف، ويعارضون السلطان في أموره، فترأس عليهم رجل منهم يقال له: أبو عبد الرحمن الصوفي، فصاروا مع الأندلسيين يدا واحدة، واعتضدوا بلخم، وكانت لخم أعز من في ناحية الإسكندرية، فخوصم أبو عبد الرحمن الصوفي إلى عمر بن ملاك في امرأة، فقضى على أبي عبد الرحمن، فوجد في نفسه من ذلك، وخرج إلى الأندلسيين فألف بينهم وبين لخم، ورجا أهل الأندلس أن يدركوا ثأرا من عمر بن ملاك، فساروا إلى عمر بن ملاك، وهم زهاء عشرة آلاف، فحصروه في قصره، وخشي أن القصر لا يمنعه منهم، وخاف أن يدخلوا عليه عنوة، فيفضح في حرمه، فاغتسل، وتحنط، وتكفن، وأمر أهله أن يدلوه إليهم، فدلي فأخذته السيوف، فقتل.

ثم ولي أخوه محمد بن عبد الله الذي يلقب: جيوس، فقتل، ثم ولي عليهم عبد الله البطال بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج، فقتل، ثم ولي عليهم أخوه أبو هبيرة الحارث، فقتل، ثم ولي عليهم خديج بن عبد الواحد، فقتل، وانصرف القوم، وذلك في في القعدة، ثم فسد ما بين لخم والأندلسيين عند مقتل ابن ملاك واقتتلوا، فانهزمت لخم.

فظفر الأندلسيون بالإسكندرية في ذي الحجة، فولوها أبا عبد الرحمن الصوفي، فبلغ من الفساد والنهب والقتل ما لم يسمع بمثله، فعزله الأندلسيون، وولوا رجلا منهم يعرف بالكناني، ثم حاربت بنو مدلج

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٠٩/١

الأندلسيين فظفر بهم الأندلسيون ونفروهم عن البلاد، فلم يقدر بنو مدلج على الرجوع إلى أرض الإسكندرية حتى طلب السري من الأندلسيين أن يردوهم، فأذنوا لهم حينئذ ورجعوا، وكان أبو قبيل يقول: أنا على الإسكندرية من أربعين مركبا مسلمين وليسوا بمسلمين، تأتي في آخر الصيف أخوف مني عليها من الروم، فيقال له: ما هذه الأربعون مركبا في هذا الخلق، لو كانت نيرانا تضطرم، فيقول: اسكت ويلك منها، وممن فيها يكون خراب الإسكندرية وما حولها، وبلغ عبد العزيز الجروي قتل ابن ملاك، فسار في خمسين ألفا، حتى نزل على حصن الإسكندرية، وحصرها حتى أجهد من فيها، فبلغه: أن السري بن الحكم بعث إلى تنيس بعثا، فكر راجعا في المحرم سنة إحدى ومائتين، فدعا الأندلسيون للسري، ثم لما خلع أهل مصر المأمون، ودعوا لإبراهيم بن المهدي، وقام الجروي بذلك سار إلى الإسكندرية وحصر الأندلسيين حتى دخلها صلحا، ودعي له بها ثم سار عنها إلى الفسطاط، فحارب السري وقتل ابنه، ثم انصرف، فسار الأندلسيون بعامل الجروي، وأخرجوه من الإسكندرية وخلعوا الجروي، ودعوا للسري فسار إليهم الجروي في شهر رمضان سنة ثلاث ومائتين، فعارضته القبط بسخا وأمدتهم بنو مدلج، وهم في نحو من مائتي ألف فهزمهم، وبعث بجيوشه إلى الإسكندرية فحاصروها، وكانت بين السري وبين أهل الصعيد حروب، ثم إن الجروي سار إلى الإسكندرية سيره الرابع، وحاصرها ونصب عليها المجانيق سبعة أشهر، من أول شعبان سنة أربع ومائتين إلى سلخ صفر سنة خمس، فأصاب الجروي فلقة من حجر منجنيقة، فمات سلخ صفر سنة خمس ومائتين، وقام من بعده ابنه علي.." (١)

"فلم تزل الفتن بالأندلسيين في الإسكندرية متصلة إلى أن قدم عبد الله بن طاهر إلى مصر من قبل أمير المؤمنين المأمون، وأخرج عبيد الله بن السري من مصر، وسار إلى الإسكندرية في قواد العجم من أهل خراسان مستهل صفر سنة اثنتي عشرة ومائتين، فحاصرها بضع عشرة ليلة، حتى خرج إليه أهلها بأمان وصالحه الأندلسيون على أن يسيرهم من الإسكندرية حيث أحبوا، على أن لا يخرجوا في مراكبهم أحدا من أهل مصر، ولا عبدا ولا آبقا، فإن فعلوا فقد حلت له دماؤهم، ونكث عهدهم وتوجهوا، فبعث ابن طاهر، من يفتش عليهم مراكبهم، فوجدوا فيها جمعا من الذين اشترط عليهم أن لا يخرجوهم، فأمر بإحراق مراكبهم، فسألوه أن يردهم إلى شرطهم، ففعل وساروا إلى جزيرة أقريطش، وملكوها، وكان الأمير معهم أبو حفص عمر بن عيسى، ثم ملكها ولده من بعده، وعمرها الأندلسيون إلى أن غزاها الروم سنة خمس وأربعين وثلثمائة، وملكها بعد حصار طويل، وولي على الإسكندرية إلياس بن أسد بن سامان، ورجع إلى الفسطاط في

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٢١٧

جمادى الآخرة، ثم سار إلى العراق، ولما انتقض أسفل الأرض في جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائتين، وحاربهم الأفشين ومعه عيسى بن منصور الرافقي أمير مصر، وبعث عبد الله بن يزيد بن مزيد الشيباني إلى الغربية، فانهزم إلى الإسكندرية، واستجاشت عليه بنو مدلج وحصروه في شوال، فسار الإفشين وأوقع بمن في طريقه حتى قدم الإسكندرية في جنوده، فلقيته طائفة من بني مدلج، فهزمهم مرتين وأسر منهم وقتل ودخل الإسكندرية لعشر بقين من ذي الحجة، ففر منه رؤساؤها.

وكان عليها معاوية بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج، فأصلح أمرها، ثم خرج إلى أهل البشرود، فامتنعوا عليه حتى قدم المأمون إلى مصر، فصار إلى البشرود والإفشين قد أوقع بالقبط بها كما تقدم ذكره.

ولما ولي إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب إفريقية في سنة إحدى وستين ومائتين حسنت سيرته، فكانت القوافل والتجار تسير في الطرق وهي آمنة وبنى الحصون، والمحارس على ساحل البحر حتى كانت توقد النار من مدينة سبتة إلى الإسكندرية، فيصل الخبر منها إلى الإسكندرية في ليلة واحدة، وبينهما مسيرة أشهر.

وفي سنة اثنتين وثلثمائة دخل حباسة في جيوش إفريقية إلى الإسكندرية في المحرم، ومعه مائة ألف أو زيادة عليها، وقدمت الجيوش من المشرق، مددا لتكين أمير مصر، وسار حباسة من الإسكندرية ونودي بالنضير في الفسطاط لعشر بقين من جمادى الآخرة، فلم يتخلف عن الخروج إلى الجيزة أحد من الخاصة والعامة، إلا من عجز عن الحركة لمرض، أو عذر، وأتاهم حباسة فلقوه وهزموه، ثم دار عليهم، فقتل من أهل مصر نحوا من عشرة آلاف، ونهض حباسة إلى إفريقية، وأقاموا بمصر مضطربين.

فأقبل مؤنس الخادم من العراق في رمضان بجيوش كثيرة، فصرف تكين في ذي القعدة، وولى ذكاء الأعور في صفر سنة ثلاث وثلثمائة، فخرج في جيوشه إلى الإسكندرية، وتتبع كل من يوما إليه بمكاتبة صاحب إفريقية، فسجن منهم، وقتل كثيرا وجلا أهل لوبية ومراقية إلى الإسكندرية في شوال سنة أربع وثلثمائة، خوفا من صاحب برقة. وفي سنة سبع وثلثمائة، سارت مقدمة المهدي، عبيد الله من إفريقية مع ابنه أبي القاسم إلى لوبية، فهرب أهل الإسكندرية وجلوا عنها، وخرج منها مظفر بن ذكاء الأعور في جيشه، ودخلت إليها العساكر يوم الجمعة لثمان خلون من صفر، وفر أهل القوة من الفسطاط إلى الشام، فخرج ذكاء أمير مصر إلى الجيزة، وعسكر بها، ثم مرض ومات على مصافه بالجيزة في ربيع الأول.." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢١٨/١

"وولي إمرة مصر، مطلب بن عبد الله الخزاعي من قبل المأمون، فدخلها في ربيع الأول، وولى عبد العزيز الجروي شرطته، ثم عزله وعقد له على حرب أسفل الأرض، ثم صرف المطلب، وولى العباس بن موسى بن عيسى في شوال، فولي عبد العزيز الشرطة، فلما ثار الجند وأعادوا المطلب في المحرم سنة تسع وتسعين، هرب الجروي إلى تنيس، وأقبل العباس بن موسى بن عيسى من مكة إلى الحوف، فنزل ببلبيس، ودعا قيسا إلى نصرته، ثم مضى إلى الجروي بتنيس، فأشار عليه أن ينزل دار قيس، فرجع إلى بلبيس في جمادى الآخرة، وبها مات مسموما في طعام دسه إليه المطلب على يد قيس، فدان أهل الأحواف للمطلب، وبايعوه، وسارعوا إلى جب عميرة وسالموه عندما لقوه، وبعث إلى الجروي يأمره بالشخوص إلى الفسطاط فامتنع من ذلك، وسار في مراكبه حتى نزل شطنوف، فبعث إليه المطلب السري بن الحكم في جمع من الجند يسألونه الصلح، فأجابهم إليه، ثم اجتهد في الغدر بهم، فتيقظوا له، فمضى راجعا إلى بنا، فاتبعوه وحاربوه.

ثم عاد، فدعاهم إلى الصلح ولاطف السري، فخرج إليه في زلاج وخرج الجروي في مثله، فالتقيا في وسط النيل مقابل سندفا، وقد أعد الجروي في باطن زلاجة الحبال، وأمر أصحابه بسندفا إذا لصق بزلاج السري، أن يجروا الحبال إليهم، فلصق الجروي بزلاج السري، فربطه في زلاجه، وجر الحبال، وأسر السري، ومضى به إلى تنيس، فسجنه بها، وذلك في جمادى الأولى، ثم كر الجروي وقاتل، فلقيه جموع المطلب بسفط سليط في رجب، فظفر، ولما عزل عمر بن ملاك عن الإسكندرية، ثار بالأندلسيين، ودعا للجروي، فأقبل عبد الله بن موسى بن عيسى إلى مصر طالبا بدم أخيه العباس في المحرم سنة مائتين، فنزل على عبد العزيز الجروي، فسار معه في جيوش كثيرة العدد في البر والبحر حتى نزل الجيزة، فخرج إليه المطلب في أهل مصر، فحاربوه في صفر، فرجع الجروي إلى شرقيون، ومضى عبد الله بن موسى إلى الحجاز، وظهر المطلب على أن أبا حرملة فرجا الأسود، هو الذي كاتب عبد الله بن موسى، وحرضه على المسير، فطلبه ففز إلى الجروي، وجد المطلب في أمر الجروي، فأخرج الجروي السري بن الحكم من السجن، وعاهده وعاقده على أن يثور بالمطلب ويخلعه، فعاهده السري على ذلك فأطلقه، وألقى إلى أهل مصر أن كتاب ورد بولايته فاستقبله الجند من أهل خراسان، وعقدوا له عليهم وامتنع المصريون من ولايته، فنزل داره بالحمراء، وأمده قيس بجمع منهم وحارب المصريين فهزمهم، وقتل منهم، فطلب المطلب منه الأمان، فأمنه، وخرج من مصر.

واستبد السري بن الحكم، بأمر مصر في مستهل شهر رمضان، فلما قتل الأندلسيون، عمر بن ملاك

بالإسكندرية، سار إليها الجروي في خمسين ألفا، فبعث السري إلى تنيس بعثا، فكر الجروي راجعا إلى تنيس في محرم سنة إحدى ومائتين، فلما ثار الجند بالسري في شهر ربيع الأول، وبايعوا سليمان بن غالب، قام عباد بن محمد عليه وخلعه، وقام بالأمر علي بن حمزة بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، في مستهل شعبان، فامتنع عباد أن يبايعه، ولحق بالجروي، ثم لحق به أيضا سليمان بن غالب، فكان معه وعاد السري إلى ولايته مصر، في شعبان وقوي سلطانه.." (١)

"وفي سنة سبع وسبعين وثلثمائة، ولدت بتنيس، معزى جديا له قرون عدة، ورأسه مع صدره وبدنه، ومقدمه بصوف أبيض، ومؤخره بشعر أسود، وذنبه ذنب شاة.

وولدت امرأة سخلة لها رأس مدور، ولها يدان ورجلان وذنب.

ولثلاث بقين من في الحجة من هذه السنة، حدث بتنيس رعد وبرق وريح شديدة وسواد عظيم في الجو، ثم ظهر وقت السحر في السماء عمود نار احمرت منه السماء والأرض أشد حمرة وخرج غبار ودخان يأخذ بالأنفس، فلم يزل إلى الرابعة من النهار حتى ظهرت الشمس، ولم يزل كذلك خمسة أيام.

وفي سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة، حضر عند قاضي تنيس أبي محمد عبد الله بن أبي الريس رجل وامرأة فطالبت المرأة الرجل بفرض واجب عليه، فقال الرجل: تزوجت بها منذ خمسة أيام، فوجدت لها ما للرجال وما للنساء فبعث إليها القاضي امرأة لتشرف عليها، فأخبرت أن لها فوق القبل: ذكرا بخصيتين، والفرج تحتها، والذكر أقلف، وإنها رائعة الحسن، فطلقها الزوج.

قال أبو عمرو الكندي: حدثني أبو نصر أحمد بن علي، قال: حدثني يس بن عبد الأحد قال: سمعت أبي يقول: لما دخل عبد الله بن طاهر مصر كنت فيمن دخل عليه، فقال: حدثنا عبد الله بن لهيعة عن أبي قبيل عن سبيع، قال: يا **أهل مصر** كيف بكم إذا كان في بلدكم فتن، فوليكم فيها الأعرج، ثم الأصفر، ثم الأمرد، ثم يأتي رجل من ولد الحسين لا يدفع، ولا يمنع تبلغ راياته البحر الأخضر، يملأها عدلا، فقلت: كان ذلك، كانت الفتنة، فوليها السري وهو الأعرج، والأصفر ابنه أبو النصر، والأمرد عبيد الله بن السري، وأنت عبد الله بن طاهر بن الحسين، ثم إن عبد الله بن طاهر سار إلى الإسكندرية، وأصلح أمرها، وأخرج ابن الجروي إلى العراق، ثم قدم بالأفشين إلى مصر في في الحجة سنة خمس عشرة، وقد أمر الأفشين أن يطالبه بالأموال التي عنده، فإن دفعها إليه وإلا قتله، فطالبه، فلم يدفع إليه شيئا، فقدمه بعد الأضحى بثلاث فقتله.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٢٤/١

وفي جمادى الآخرة سنة تسع عشرة ومائتين، ثار يحيى بن الوزير في تنيس، فخرج إليه المظفر بن كندر أمير مصر، فقاتله في بحيرة تنيس، وأسره وتفرق عنه أصحابه.
وفي سنة تسع وثلاثين ومائتين، أمر المتوكل ببناء حصن على البحر بتنيس، فتولى عمارته، عنبسة بن إسحاق أمير مصر، وأنفق فيه وفي حصن دمياط والفرما مالا عظيما. وفي سنة تسع وأربعين ومائتين عذبت بحيرة تنيس صيفا وشتاء، ثم عادت ملحا صيفا وشتاء، وكانت قبل ذلك تقيم ستة أشهر عذبة وستة أشهر مالحة. وفي سنة ثمان وأربعين وثلثمائة، وصلت مراكب من صقلية، فنهبوا مدينة تنيس. وفي سنة ثمان وسبعين وثلثمائة، صيد بأشتوم تنيس حوت طوله ثمانية وعشرون ذراعا ونصف من ذلك، طول رأسه، تسعة أذرع، ودائر بطنه مع ظهره، خمسة عشر ذراعا، وفتحة فمه، تسعة وعشرون شبرا، وعرض ذنبه، خمسة أذرع ونصف، وله يدان يجذف بهما طول كل يد، ثلاثة أذرع، وهو أملس أغبر غليظ الجلد مخطط البطن ببياض وسواد ولسانه أحمر، وفيه خمل كالريش طوله نحو الذراع يعمل منه أمساط شبه الذبل، وله عينان كعيني البقر فأمر أمير تنيس أبو إسحاق بن لوبة به فشق بطنه، وملح بمائة أردب ملح ورفع فكه الأعلى بعود خشب طويل، وكان الرجل يدخل إلى جوفه بقفاف الملح، وهو قائم غير منحن وحمل إلى القصر حتى رآه العزيز بالله. وفي ليلة الجمعة ثامن عشر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وثلثمائة، شاهد أهل تنيس، تسعة أعمدة من نار تلتهب في آفاق السماء من ناحية الشمال، فخرج الناس إلى ظاهر البلد يدعون الله تعالى، حتى أصبحوا فخبت تلك النيران، وفيها صيد ببحيرة تنيس، حوت طوله ذراع ونصفه الأعلى فيه، رأس وعينان وعنق وصدره على صورة أسد ويداه في صدره بمخالبه ونصفه الأدنى صورة حوت بغير قشر فحمل إلى القاهرة. وفي سنة سبع وتسعين وثلثمائة ولدت جارية بنتا برأسين، أحدهما بوجه أبيض مستدير، والآخر بوجه أسمر فيه سهم في كل وجه عينان، فكانت ترضعهما، وكلاهما مركب على عنق واحد في جسد واحد بيدين ورجلين وفرج ودبر، فحملت إلى العزيز حتى رآها ووهب لأمها جملة من المال، ثم عادت إلى تنيس وماتت بعد شهور.." (١)

"تحية بن روبة صاحب أيلة فصالحه، وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء وأذرح، فأعطوه الجزية، وكتب لهم كتابا فهو عندهم، وكتب لتحية بن روبة: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا أمنة من الله ومحمد النبي رسوله لتحية بن روبة وأهل أيلة أساقفهم وسائرهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة النبي، ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثا فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه طيب لمن

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٢٦/١

أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ما يريدونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر. هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة، بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك في سنة تسع من الهجرة، ولم تزل مدينة أيلة عامرة آهلة.

وفي سنة خمس عشرة وأربعمائة، طرق عبد الله بن إدريس الجعفري أيلة ومعه بعض بني الجراح ونهبها وأخذ منها ثلاثة آلاف دينار، وعدة غلال، وسبى النساء والأطفال، ثم إنه صرف عن ولاية وادي القرى، فسارت إليه سرية من القاهرة لمحاربته.

قال القاضي الفاضل: وفي سنة ست وستين وخمسمائة، أنشأ الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، مراكب مفصلة وحملها على الجمال، وسار بها من القاهرة في عسكر كبير لمحاربة قلعة أيلة، وكانت قد ملكها الفرنج، وامتنعوا بها، فنازلها في ربيع الأول، وأقام المراكب وأصلحها وطرحها في البحر، وشحنها بالمقاتلة والأسلحة، وقاتل قلعة أيلة في البر والبحر حتى فتحها في العشرين من شهر ربيع الآخر، وقتل من بها من الفرنج وأسرهم، وأسكن بها جماعة من ثقاته، وقواهم بما يحتاجون إليه من سلاح وغيره، وعاد إلى القاهرة في آخر جمادى الأولى.

وفي سنة سبع وسبعين، وصل كتاب النائب بقلعة أيلة: أن المراكب على تحفظ وخوف شديد من الفرنج، ثم وصل الإيريس، لعنه الله، إلى أيلة، وربط العقبة وسير عسكره إلى ناحية تبوك وربط جانب الشام لخوفه من عسكر يطلبه من الشام أو مصر. فلما كان في شعبان من السنة المذكورة كثر المطر بالجبل المقابل للقلعة بأيلة، حتى صارت به مياه استغنى بها أهل القلعة عن ورود العين مدة شهرين، وتأثرت بيوت القلعة لتتابع المطر، ووهت لضعف أساسها فتداركها أصحابها وأصلحوها.

وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان: ومن أباده الحدثان: الكوكة، وهم أمة لهم أربعة ملوك، ملكوا أرض أيلة والحجاز وبنى كل واحد منهم مدينة سماها باسمه، وجعلوا سائر الأرض خيمات، وقسموها على ثلاثين كورة وجعلوها أربعة أعمال لكل عمل، ملك يجلس على منبر ذهب في مدينته، وعمل بربا وهي بيت الحكمة وعمل هيكلا لأخذ الكواكب، وجعل فيه أصناما من ذهب كل صنم له مرتبة، وكانت الإسكندرية واسمها رقودة، فجعلوا لها خمس عشرة كورة، وجعلوا فيها كبار الكهنة، ونصبوا في هياكلها من أصنام الذهب أكثر مما في غيرها، وكان فيها مائتا صنم من ذهب وقسموا الصعيد على ثمانين كورة، وجعلوا أربعة أقسام، وكان عدد مدن أهل مصر الداخلة في كورها، ثلاثين مدينة فيها العجائب.

وقيل: إن حمير الأكبر واسمه العرنجح بن سبأ الأكبر واسمه عامر ويعرف بعبد شمس بن يشجب بن

يعرب بن قحطان، لما ملك بعد أبيه جمع جيوشه، وسار يطأ الأمم ويدوس الممالك، كما فعل أبوه فأمعن في المشرق حتى أبعد يأجوج ومأجوج إلى مطلع الشمس، ثم قفل نحو المغرب، فجاءه قبائل من أهل اليمن من بني هود بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح، يشكون من ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح، وما نزل بهم من ظلمهم، فأمر برفعهم من أرض اليمن، وأنزلهم أيلة فعمروها من أيلة إلى ذات الآصال إلى أطراف جبل نجد، فقطعت ثمود هناك الصخور، ونحتوا من الجبال البيوت، وتكبروا وطغوا، فبعث الله فيهم صالحا نبيا ورسولا، فكذبوه وسألوه، أن يخرج لهم ناقة من صخرة، فأخرجها لهم، فعقروها، فأهلكهم الله بالصيحة، فأصبحوا في ديارهم جاثمين.

وقد ذكر أن موسى عليه السلام، سار ببني إسرائيل بعد موت أخيه هارون إلى أرض أولاد العيص وهي التي تعرف بجبال السراة جنب بلد الشوبك، ثم مر فيها إلى أيلة، وتوجه بعد أيام إلى برية باب حيث بلاد الكرك، حتى حارب تلك الأمم، وكان إلى جانب أيلة مدينة يقال لها: عصبون جليلة عظيمة.." (١)

"وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مريس، وصار النوبة أهل مملكة هذا الملك نوعين من وصفنا، أحرار غير عبيد، والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد وهم من سكن النوبة في غير هذه البلاد المجاورة لأسوان وهي بلاد مريس. قال: وأما النوبة، فافترقت فرقتين، فرقة في شرق النيل وغربه، فأناخت على شاطئه، واتصلت ديارها بديار القبط من أرض صعيد مصر، واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة، ولحقوا بقريب من أعاليه، وبنوا دار مملكة، وهي مدينة عظيمة تدعى: دنقلة، والفرقة الأخرى من النوبة، يقال لها: علوة وبنوا مدينة عظيمة سموها: سرقته، والبلد المتصل مملكته بأرض أسوان يعرف بمريس، وإليه تضاف الريح المريسية، وعمل هذا الملك متصل بأعمال مصر من أرض الصعيد، ومدينة أسوان. قال: وفي الجانب الشرقي من صعيد مصر جبل رخام عظيم كانت الأوائل تقطع منه العمد وغيرها. فأما العمد والقواعد والرؤوس التي يسميها **أهل مصر** الأسوانية، ومنها حجارة الطواحين، فتلك نقرها الأولون قبل حدوث النصرانية بمئين من السنين، ومنها العمد التي بالإسكندرية. وفي في الحجة سنة أربع وأربعين وثلثمائة، أغار ملك النوبة على أسوان، وقتل جمعا من المسلمين، فخرج إليه محمد بن عبد الله الخازن على عسكر مصر من قبل، أو نوجور بن الإخشيد في محرم سنة خمس وأربعين، فساروا في البر والبحر، وبعثوا بعدة من النوبة أسروهم، فضربت أعناقهم، بعدما أوقع بملك النوبة، وسار الخازن، حتى فتح مدينة أبريم وسبى أهلها، وقدم إلى مصر في نصف جمادى الأولى سنة خمس وأربعين بمائة وخمسين أسيرا،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٣٣/١

وعدة رؤوس. وقال القاضي الفاضل: إن متحصل ثغر أسوان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة بلغ، خمسة وعشرين ألف دينار. وقال الكمال جعفر الأدفوي: وكان بأسوان ثمانون رسولا من رسل الشرع، وتحصل من أسوان في سنة واحدة، ثلاثون ألف أردب تمرا، وأخبرنا من وقف على مكتوب كان فيه أربعون شريفا خاصة، وأن مكتوبا آخر رأى فيه ستين شريفا دون من عداهم. قال: ووقفت أنا، على مكتوب فيه نحو من أربعين مؤرخ بما بعد العشرين وستمائة من الهجرة.

وكان بثغر أسوان، بنو الكنز من ربيعة أمراء ممدوحون مقصودون، صنع لهم الفاضل الشديد، أبو الحسن بن عرام سيرة، ذكر فيها مناقبهم، وأسماء من مدحهم ومن ورد عليهم، ولما أرسل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب جيشا إلى كنز الدولة وأصحابه ترحلوا عن البلاد، فدخلوا بيوتهم، فوجدوا بها قصائد من مدحهم منها، قصيدة أبي محمد الحسن بن الزبير قال فيها:

وينجده إن خانه الدهر أوسطا ... أناس إذا ما أتجد الذل اتهموا

أجاروا فما تحت الكواكب خائف ... وجادوا فما فوق البسيطة معدم

وأنه أجازه عليها بألف دينار، ووقف عليه ساقية تساوي ألف دينار، وكان بأسوان رجال من العسكر مستعدون بالأسلحة لحفظ الثغر من هجوم النوبة والسودان عليه، فلما زالت الدولة الفاطمية أهمل ذلك، فسار ملك النوبة في عشرة آلاف، ونزله تجاه أسوان في جزيرة وأسر من كان فيها من المسلمين، ثم تلاشى بعد ذلك أمر الثغر، واستولى عليه أولاد الكنز من بعد سنة تسعين وسبعمائة، فأفسدوا فسادا كبيرا، وكانت لهم مع ولاة أسوان عدة حروب إلى أن كانت المحن منذ سنة ست وثمانمائة، وخرب إقليم الصعيد، فارتفعت يد السنة عن ثغر أسوان، ولم يبق للسلطان في مدينة أسوان وال ، واتضع حاله عدة سنين، ثم زحفت هوارة في محرم سنة خمس عشرة وثمانمائة إلى أسوان، وحاربت أولاد الكنز وهزموهم، وقتلوا كثيرا من الناس، وسبوا ما هناك من النساء والأولاد، واسترقوا الجميع وهدموا سور مدينة أسوان، ومضوا بالسبي، وقد تركوها خرابا يبابا لا سكن بها، فاستمرت على ذلك بعدما كانت بحيث يقول عنها عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني في كتاب أخبار النوبة: أن أبا عبد الرحمن عبد الله بن عبد الحميد العمري، لما غلب على المعدن كتب إلى أسوان يسأل التجار الخروج إليه بالجهاز من طريق المعدن، فخرج إليه رجل يعرف بعثمان بن حيخلة التميمي في ألف راحلة فيها الجهاز والبر.." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٢٥٠

"وقال ابن الكندي: ولهم ثياب الصوف وأكسية المرعز، وليس هي بالدنيا إلا بمصر، وذكر بعض **أهل مصر**: أن معاوية بن أبي سفيان، لما كبر كان لا يدفأ، فاجتمعوا أنه لا يدفيه إلا الأكسية نعمل بمصر من صوفها المرعز العسلي العين المصبوغ، فعمل له منها عدد، فما احتاج منها إلا إلى واحد، ولهم طراز القيس، والبهنسا في الستور والمضارب يعرفون به، ومنه طراز أهل الدنيا.

وظهر بها بالقرب من البهنسا، سرب في أيام السلطان، الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، فأمر متولي البهنساوية بكشفه، فجمع له أهل المعرفة بالعوم والغطس، فكانوا ما ينيف على مائتي رجل ما فيهم إلا من نزل السرب، فلم يجد له قرارا، ولا جوانب، فأمر بعمل مركب طويل رقيق بحيث يمكن إدخاله من رأس السرب، وشحنه بالأزراد والرجال، وركب فيه حبالا مربوطة في خوازيق عند رأس السرب، وحمل مع الرجال آلات يعرفون بها أوقات الليل والنهار، وءدة شموع وغيرها، مما تستخرج به النار وتشعل به، وأمرهم أن يسلكوا بالمركب في السرب حتى ينفد نصف ما معهم من الزاد، فساروا بالمركب في ظلمة، وهم يرخون الحبال، ولا يجدون لما هم سائرون فيه من الماء جوانب، فما زالوا حتى قلت أزوادهم، فأبطلوا حركة المركب بالمجاذيف إلى داخل السرب، وجروا الحبال ليرجعوا إلى حيث دخلوا، حتى انتهوا إلى رأس السرب، فكانت مدة غيبتهم في السرب، ستة أيام أربعة منها دخولا إلى جوفه وتطواف جوانبه، ويومان رجوعا إلى رأس السرب، ولم يقفوا في هذه المدة على نهاية السرب، فكتب بذلك الأمير علاء الدين الطنبغا والي البهنسا إلى الملك الكامل، فتعجب عجبا كثيرا، واشتغل عن ذلك بمحاربة الفرنج على دمياط، فلما رحلوا عن دمياط، وعادوا إلى القاهرة، خرج بعد ذلك حتى شاهد السرب المذكور.

ذكر دروط بلهاسة

اعلم أن: دروط وهي: بفتح الدال المهملة وضم الراء وسكون الواو وطاء، اسم لثلاث قرى: دروط أشموم من الأشمونين، ودروط سريان، من الأشمونين أيضا، ودروط بلهاسة من ناحية البهنسا بالصعيد، وبها جامع أنشأه زياد بن المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي، ومات في المحرم سنة إحدى وتسعين ومائة، فدفن به، وقال فيه الشاعر:

حلف الجود حلفه بر فيها ... ما برا الله واحدا كزياد

كان غيثا لمصر إذ كان حيا ... وأمانا من السنين الشداد

ومات أخوه إبراهيم بن المغيرة سنة سبع وتسعين ومائة فقال الشاعر فيه:

ابن المغيرة إبراهيم من ذهب ... يزداد حسنا على طول الدهارير

لو كان يملك ما في الأرض عجله ... إلى العفاة ولم يهمم بتأخير

ومات أحمد بن زياد بن المغيرة في المحرم سنة ست وثلاثين ومائتين فقال الشاعر فيه:

أحمد مات ماجدا مفقودا ... ولقد كان أحمد محمودا

ورث المجد عن أب ثم عم ... مثله ليس بعده موجودا

ذكر سكر

هي من الأطفيحية تجاهها، واد به إلى وقتنا هذا، شكل جمل من الحجر كأكبر ما يرى من الجمال، وأحسنها هيئة، وهو قائم على أربعة، وقد استقبل بوجهه المشرق، وعلى فخذه الأيمن كتابة بقلمهم وهي أحرف مقطعة في ثلاثة أسطر، ثم على نحو مائة وخمسين خطوة منه جمل آخر مثله سواء، ووجهه إلى وجه الجمل الأول، وليس عليه كتابة، وفيما بين الجملين المذكورين، هيئة أعدال قد ملئت قماشا عدتها أربعون زكيبة موضوعة بالأرض، عشرين تجاه عشرين، وجميعها من حجارة، ولا يشك من رآها أنها أحمال قماش، وبعد مائة وخمسين خطوة منها، جمل ثالث على هيئة الجملين المذكورين، وهو أيضا قائم وظهره إلى ظهر الجمل الثاني، ووجهه إلى الجبل وهناك آخر الوادي، وليس على هذا الجمل أيضا كتابة أخبرني بذلك من لا اتهم روايته.

ذكر منية الخصيب

هذه المدينة تنسب إلى الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر، من قبل أمير المؤمنين هارون الرشيد.

ذكر منية الناسك." (١)

"وقال القضاعي: ولما رجع عمرو بن العاص من الإسكندرية، ونزل الفسطاط جعل طائفة من جيشه بالجيزة خوفا من عدو يغشاهم من تلك الناحية، فجعل فيها آل في أصبح من حمير، وهم كثير، ويافع بن زيد من رعين، وجعل فيها همدان، وجعل فيها طائفة من الأزديين بني الحجر بن الهبو بن الأزد، وطائفة من الحبشة، وديوانهم في الأزد، فلما استقر عمرو في الفسطاط، أمر الذين خلفهم بالجيزة أن ينضموا إليه فكرهوا ذلك، وقالوا: هذا مقدم قدمناه في سبيل الله، وأقمنا به ما كنا بالذين نرغب عنه، ونحن به منذ أشهر، فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بذلك يخبره، أن همداد وآل ذي أصبح ويافعا ومن كان معهم أحبوا المقام بالجيزة، فكتب إليه كيف رضيت أن تفرق عنك أصحابك، وتجعل

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٥٨/١

بينك وبينهم بحرا لا تدري ما يفجأهم، فلعلك لا تقدر على غياثهم، فاجمعهم إليك، ولا تفرقهم فإن أبوا وأعجبهم مكانهم، فابن عليهم حصنا من فيء المسلمين، فجمعهم عمرو وأخبرهم بكتاب عمر فامتنعوا من الخروج من الجيزة، فأمر عمرو ببناء الحصن عليهم، فكرهوا ذلك، وقالوا: لا حصن أحصن لنا من سيوفنا، وكرهت ذلك همدان ويافع، فأقرع عمرو بينهم، فوقعت القرعة على يافع، فبنى فيهم الحصن في سنة إحدى وعشرين، وفرغ من بنائه في سنة اثنتين عشرين، وأمرهم عمرو بالخطط بها، فاختط ذو أصبح من حمير من الشرق، ومضوا إلى الغرب، حتى بلغوا أرض الحرث والزرع، وكرهوا أن يبني الحصن فيهم، واختط يافع بن الحرث من رعين، بوسط الجيزة وبنى الحصن في خططهم وخرجت طائفة منهم عن الحصن أنفه منه، واختطت بكيل بن جشم من نوف من همدان في مهب الجنوب من الجيزة في شرقيها، واختطت حاشد بن جشم بن نوف في مهب الشمال من الجيزة في غربيها، واختطت الجباوية بنو عامر بن بكيل في قبلي الجيزة، واختطت بنو حجر بن أرحب بن بكيل في قبلي الجيزة، واختط بنو كعب بن مالك بن الحجر بن الهبو بن الأزد، فيما بين بكيل ويافع، والحبشة اختطوا على الشارع الأعظم.

والمسجد الجامع بالجيزة بناه محمد بن عبد الله الخازن في المحرم سنة خمسين وثلثمائة بأمر الأمير علي بن الإخشيد، فتقدم كافور، إلى الخازن ببنائه، وعمل له مستغلا، وكان الناس قبل ذلك بالجيزة يصلون الجمعة في مسجد همدان، وهو مسجد مراحق بن عامر بن بكيل، كان يجمع فيه الجمعة في الجيزة، وشارف بناء هذا الجامع الخازن، أبو الحسن بن أبي جعفر الطحاوي، واحتاجوا إلى عمد للجامع، فمضى الخازن في الليل إلى كنيسة بأعمال الجيزة فقلع عمدها، ونصب بدلها أركانا، وحمل العمد إلى الجامع، فترك أبو الحسن بن الطحاوي الصلاة فيه مذ ذاك تورعا.

قال اليمني: وقد كان ابن الطحاوي، يصلي في جامع الفسطاط العتيق، وبعض عمده أو أكثرها ورخامه من كنائس الإسكندرية، وأرياف مصر، وبعضه بناه مرة بن شريك، عامل الوليد بن عبد الملك، ويقال: إن بالجيزة قبر كعب الأحبار، وإنه كان بها أحجار ورخام قد صورت فيها التماسيح، فكانت لا تظهر فيما يلي البلد من النيل، مقدار ثلاثة أميال علوا وسفلا.

وفي سنة أربع وعشرين وسبعمائة منع الملك الناصر، محمد بن قلاون، الوزير أن يتعرض إلى شيء مما يتحصل من مال الجيزة، فصار جميعه يحمل إليه.

قال القضاعي: سجن يوسف عليه السلام ببوصير من عمل الجيزة، أجمع أهل المعرفة من أهل مصر على صحة هذا المكان، وفيه أثر نبيين، أحدهما يوسف، سجن به المدة التي ذكر أن مبلغها سبع سنين، وكان

الوحي ينزل عليه فيه، وسطح السجن موضع معروف، بإجابة الدعاء، يذكر أن كافور الإخشيدي، سأل أبا بكر بن الحداد عن موضع معروف بإجابة الدعاء ليدعو فيه. فأشار عليه بالدعاء على سطح السجن، والذي الآخر موسى عليه السلام، وقد بنى على أثره مسجد هناك يعرف بمسجد موسى.." (١)

"وقال القاضي الفاضل: وفي جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وخمسمائة، ورد الخبر، بأن نخل العريش قطع الفرنج أكثره، وحملوا جذوعه إلى بلادهم، وملئت منه، ولم يجدوا مخاطبا على ذلك، ونقل عن ابن عبد الحكم: أن الجفار بأجمعه كان أيام فرعون موسى في غاية العمارة بالمياه والقرى والسكان، وأن قول الله تعالى: " ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون " الأعراف، عن هذه المواضع وأن العمارة متصلة منه إلى اليمن، ولذلك سميت العريش: عريشا، وقيل: إنها نهاية التخوم من الشام، وإن إليه كان ينتهي رعاة إبراهيم الخليل عليه السلام بمواشيه، وإنه عليه السلام اتخذ به عريشا كان يجلس فيه، حتى تدلب مواشيه بين يديه، فسمي العريش من أجل ذلك، وقيل: إن مالك بن دعر بن حجر بن جذيلة بن لخم كان له أربعة وعشرون ولدا منهم: العريش بن مالك، وبه سميت العريش لأنه نزل بها وبناها مدينة، وعن كعب الأحبار: أن بالعريش تبور عشرة أنبياء.

ذكر مدينة الفرماء

قال البكري: الفرماء بفتح أوله، وثانيه ممدود على وزن فعلاء، وقد يقصر مدينة تلقاء مصر.

وقال ابن خالويه في كتاب ليس الفرما: هذه سميت بأخي الإسكندر كان يسمى: الفرما، وكان كافرا، وهي قرية أم إسماعيل بن إبراهيم، انتهى.

ويقال: اسمه الفرما بن فيلقوس، ويقال فيه: ابن فليس، ويقال: بليس، وكانت الفرما على شط بحيرة تنيس، وكانت مدينة خصباء، وبها قبر جالينوس الحكيم، وبنى بها المتوكل على الله حصنا على البحر تولى بناءه عنبسة بن إسحاق، أمير مصر في سنة تسع وثلاثين ومائتين، عندما بنى حصن دمياط، وحصن تنيس، وأنفق فيها مالا عظيما، ولما فتح عمرو بن العاص، عين شمس، أنفذ إلى الفرماء، أبرهة بن الصباح، فصالحه أهلها على خمسمائة دينار هرقلية، وأربعمائة ناقة، وألف رأس من الغنم، فرحل عنهم إلى البقارة. وفي سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة، نزل الروم عليها. فنفر الناس إليهم، وقتلوا منهم رجلين، ثم نزلوا في جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وثلثمائة، فخرج إليهم المسلمون، وأخذوا منهم مركبا، وقتلوا من فيه وأسروا عشرة.

وقال اليعقوبي: الفرما، أول مدن مصر من جهة الشمال، وبها أخلاط من الناس، وبينها وبين البحر الأخضر،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٢٦٠

ثلاثة أميال.

وقال ابن الكندي: ومنها الفرما، وهي أكثر عجائب، وأقدم آثارا، ويذكر **أهل مصر**: أنه كان منها طريق إلى جزيرة قبرس في البر، فغلب عليها البحر، ويقولون: إنه كان فيما غلب عليه البحر مقطع الرخام الأبلق، وإن مقطع الأبيض بلوبية.

وقال يحيى بن عثمان: كنت أرابط في الفرما، وكان بينها وبين البحر قريب من يوم يخرج الناس والمرابطون في أخصاص على الساحل، ثم علا البحر على ذلك كله. وقال ابن قديد: وجه ابن المدبر، وكان بتنيس، إلى الفرما في هدم أبواب من حجارة شرقي الحصن، احتاج أن يعمل منها جيرا، فلما قلع منها حجر، أو حجران، خرج أهل الفرما بالسلاح، فمنعوا من قلعها، وقالوا: هذه الأبواب التي قال الله فيها على لسان يعقوب عليه السلام: " يا بني لا تدخلوا من باب واحد ادخلوا من أبواب متفرقة " يوسف٦٧، والفرما بها النخل العجيب الذي يثمر حين ينقطع البسر والرطب من سائر الدنيا، يبتدئ هذا الرطب من حين يلد النخل في الكوانين، فلا ينقطع أربعة أشهر، حتى يجيء البلح في الربيع، وهذا لا يوجد في بلد من البلدان لا بالبصرة ولا بالحجاز ولا باليمن، ولا بغيرها من البلدان، ويكون في هذا البسر، ما وزن البسرة الواحدة فوق العشرين درهما، وفيه ما طول البسرة نحو الشبر والفتر.." (١)

"وفي سنة ثمان وأربعمائة، ظهر بدمياط سمكة عظيمة طولها مائتان وستون ذراعا، وعرضها مائة ذراع، وكانت حمير الملح تدخل في جوفها موسوقة، فتفرغ وتخرج، ووقف خمسة رجال في قحفها، ومعهم المجاريف يجرفون الشحم، ويناولونه الناس، وأقام أهل تلك النواحي مدة طويلة يأكلون من لحمها.

وفي أيام الخليفة الفائز بنصر الله عيسى، والوزير حينئذ الصالح طلائع بن رزيك، نزل على دمياط نحو ستين مركبا في جمادى الآخرة سنة خمسين وخمسمائة، بعث بها لوجيز بن رجاو، صاحب صقلية، فعاثوا وقتلوا، ونزلوا تنيس ورشيد والإسكندرية، فأكثروا فيها الفساد.

ثم كانت خلافة العاضد لدين الله في وزارة شاور بن مجير السعدي، الوزارة الثانية عندما حضر ملك الفرنج مري إلى القاهرة، وحصرها وقرر على أهلها المال، واحترقت مدينة الفسطاط، فنزل على تنيس وأشموم ومنية عمر، وصاحب أسطول الفرنج في عشرين شونة، قتل وأسر وسبى.

وفي وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب للعاضد، وصل الفرنج إلى دمياط في شهر ربيع الأول سنة خمس وستين وخمسمائة، وهم فيما يزيد على ألف ومائتي مركب، فخرجت العساكر من القاهرة، وقد

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٦٦/١

بلغت النفقة عليهم زيادة على خمسمائة ألف وخمسين ألف دينار، فأقامت الحرب مدة خمسة وخمسين يوما، وكانت صعبة شديدة، واتهم في هذه النوبة عدة من أعيان **المصريين** بممالأة الفرنج ومكاتبتهم، وقبض عليهم الملك الناصر، وقتلهم.

وكان سبب هذه النوبة أن الغزو لما قدموا إلى مصر من الشام صحبة أسد الدين شيركوه، تحرك الفرنج لغزو ديار مصر، خشية من تمكن الغزو بها، فاستمدوا إخوانهم أهل صقلية، فأمدوهم بالأموال والسلاح، وبعثوا إليهم بعدة وافرة، فساروا بالدبابات والمجانيق، ونزلوا على دمياط في صفر، وهم في العدة التي ذكرنا من المراكب، وأحاطوا بها بحرا وبرا ، فبعث السلطان بابن أخيه تقي الدين عمرو، وأتبعه بالأمير شهاب الدين الحازمي في العساكر إلى دمياط، وأمدهما بالأموال والميرة والسلاح، واشتد الأمر على أهل دمياط، وهم ثابتون على محاربة الفرنج.

فسير صلاح الدين إلى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستنجده، ويعلمه بأنه لا يمكنه الخروج من القاهرة إلى لقاء الفرنج خوفا من قيام **المصريين** عليه، فجهز إليه العساكر شيئا بعد شيء، وخرج نور الدين من دمشق بنفسه إلى بلاد الفرنج التي بالساحل، وأغار عليها واستباحها، فبلغ ذلك الفرنج، وهم على دمياط، فخافوا على بلادهم من نور الدين، أن يتمكن منها، فرحلوا عن دمياط في الخامس والعشرين من ربيع الأول بعدما غرق لهم نحو الثلثمائة مركب، وقلت رجالهم بفناء وقع فيهم، وأحرقوا ما ثقل عليهم حمله من المنجنيقات وغيرها، وكان صلاح الدين يقول: ما رأيت أكرم من العاضد أرسل إلي مدة مقام الفرنج عل دمياط: ألف ألف دينار سوى ما أرسله إلي من الثياب وغيرها.

وفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة رتبت المقاتلة على البرجين، وشدت مراكب إلى السلسلة ليقاتل عليها، ويدافع عن الدخول من بين البرجين، ورم شعث سور المدينة، وسدت ثلمة، وأتقنت السلسلة التي بين البرجين، فبلغت النفقة على ذلك ألف ألف دينار، واعتبر السور، فكان قياسه: أربعة آلاف وستمائة وثلاثين ذراعا.

وفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة أمر السلطان، بقطع أشجار بساتين دمياط، وحفر خندقها، وعمل جسر عند سلسلة البرج.

وفي سنة خمس عشرة وستمائة، كانت واقعة دمياط العظمى، وكان سبب هذه الواقعة أن الفرنج في سنة أربع عشرة وستمائة، تتابعت إمدادهم من رومية الكبرى: مقر البابا، ومن غيرها من بلاد الفرنج، وساروا إلى

مدينة عكا، فاجتمع بها عدة من ملوك الفرنج، وتعاقدوا على قصد القدس، وأخذه من أيدي المسلمين، فصاروا بعكا في جمع عظيم.." (١)

"قال: وفي تلك الصحارى كانت منتزهات القوم، ومدنهم العجيبة، وكنوزهم إلا أن الرمال غلبت عليها، ولم يبق يملك ملك إلا وقد عمل للرمل طلسما لدفعه، ففسدت طلسماتها لقدم الزمان، قال: ولا ينبغي لأحد أن ينكر كثرة بنيانهم، ولا مدائنهم، ولا ما نصبوه من الأعلام العظام، فقد كان للقوم بطش لم يكن لغيرهم، وإن آثارهم لبينة مثل الأهرام والأعلام والإسكندرية، وما في صحارى الشرق والجبال المنحوتة التي جعلوا كنوزهم فيها، والأودية المنحوتة، ومثل ما بالصعيد من البرابي وما نقشوه عليها من حكمتهم، فلو تعاطى جميع ملوك الأرض أن يبنوا مثل الهرمين، ما تهيأ لهم، وكذلك أن ينقشوا بربا لطال بهم الأمد ولم يمكنهم.

وحكي عن قوم من البنائين في ضياع الغرب، أن عاملا عندهم عنف بهم، ففروا في صحراء الغرب، ومعهم زاد إلى أن تنصلح أحوالهم، ويرجعوا، فلما كانوا على مسيرة يوم وبعض آخر قدموا إلى سفح جبل، فوجدوا ع يرا أهليا قد خرج من بعض الشعاب، فتبعه بعضهم، فانتهى إلى مساكن وأشجار، ونخل ومياه تطرد وقوم هناك يرعون، ولهم مساكن، وكلمهم وأعجب بهم، فجاء إلى أصحابه، وقدم بهم على أولئك القوم، فسألوهم عن حالهم فأخبروهم، وأقاموا عندهم حتى صلحت أحوالهم وخرجوا ليأتوا بأهاليهم ومواشيهم، ويقيموا عندهم، فساروا مدة، وهم لا يعرفون الطريق، ولا يتأتى لهم العود فأسفوا على ما فاتهم.

وضل آخرون عن الطريق في الغرب فوقعوا على مدينة عامرة كثيرة الناس، والمواشي والنخل والشجر، فأضافوهم وأطعموهم وسقوهم وباتوا في طاحونة، فسكروا من الشراب، وناموا فلم ينتبهوا إلا من حر الشمس، فإذا هم في مدينة خراب ليس فيها أحد، فخافوا، وخرجوا، وظلوا يومهم سائرين إلى المساء، فظهرت لهم مدينة أكبر من الأولى، وأعمر وأكثر أهلا، وشجرا ومواشي، فأنسوا بهم، وأخبروهم بخبر المدينة الأولى، فجعلوا يعجبون منهم، ويضحكون وانطلقو ا بهم إلى وليمة لبعض أهل المدينة، فأكلوا وشربوا وعنوا بهم، حتى سكروا، فلما كان من الغد انتبهوا فإذا هم في مدينة عظيمة ليس فيها أحد وحولها نخل قد تساقط ثمره، وتكدس، فخرجوا وهم يجدون ريح الشراب، ومبادي الخمار، فساروا يوما إلى المساء وإذا راع يرعى غنما، فسألوه عن الطريق. فدلهم، فساروا بعض يوم من الغد، فوصلوا مدينة الأشمونين بالصعيد.

قال: وهذه مدائن القوم الداخلة القديمة قد غلب عليها الجان، ومنها ما سترته عن العيون، فلا ينظر إليها

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٢٧٠

أحد، وقال: إن البودسير بن قفطريم بن قبطيم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام في أيامه بنيت بصحراء الغرب منابر ومنتزهات، وحول إليها جماعة من أهل بيته، فعمروا تلك النواحي، وبنوا فيها حتى صارت أرض الغرب عامرة كلها، وأقامت على ذلك مدة كثيرة، فخالطهم البربر، ونكحوا منهم، ثم تحاسدوا، فكانت بينهم حروب خربت فيها تلك الجهات، وبادت إلا بقية منازل تسمى: الواحات.

ذكر مدينة سنترية

ومدينة سنترية: من جملة الواحات بناها: مناقيوش باني مدينة إخميم، كان أحد ملوك القبط القدماء، قال ابن وصيف شاه: وكان في حزم أبيه، وحنكته تعظم في أعين **أهل مصر**، وهو أول من عمل الميدان وأمر أصحابه برياضة أنفسهم فيه.

وأول من عمل المارستان لعلاج المرضى، والزمنى، وأودعه العقاقير، ورتب فيه الأطباء، وأجرى عليهم ما يسعهم، وأقام الأمناء على ذلك، وصنع لنفسه عيدا، فكان الناس يجتمعون إليه فيه، وسماه عيد الملك في يوم من السنة، فيأكلون، ويشربون سبعة أيام، وهو مشرف عليهم من مجلس على عمد، قد طوقت بالذهب، وألبست فاخر الثياب المنسوجة بالذهب، وعليه قبة مصفحة من داخل بالرخام والزجاج والذهب، وفي أيامه بنيت: سنترية في صحراء الواحات، عملها من حجر أبيض مربعة، وفي كل حائط باب في وسطه شارع إلى حائط محاذ له، وجعل في كل شارع يمنة ويسرة أبوابا تنتهي طرقاتها إلى داخل المدينة.." (١)

"وقبط مصر، مجمعون على أن المسيح وأمه مريم كانا بالبهنسا، ثم انتقلا عنها إلى القدس.

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى عن المسيح وأمه: " وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين " المؤمنون ٥٠، الربوة، البهنسا، وهذه المدينة بناها ملك من القبط يقال له: مناوش بن منقاوش.

قال ابن وصيف شاه: واستخلف مناوش الملك فطلب الحكمة مثل أبيه، واستخرج كتبها، وأكرم أهلها، وبذل فيهم الجوائز، وطلب الأغراب في عمل العجائب، وكان كل من ملوكهم يجهد جهده في أن يعمل له غريبة من الأعمال لم تعمل لمن كان قبله، وثبت في كتبهم، وزبر على الحجارة في تواريخهم.

وهو أول من عبد البقر من **أهل مصر**، وكان السبب في ذلك أنه اعتل، علة يئس منه فيها، فرأى في منامه صورة روحاني عظيم، يقول له: إنه لا يخرجك من علتك إلا عبادتك البقر، لأن الطالع كان وقت حلولها بك صورة ثور بقرنين، ففعل ذلك، وأمر بأخذ ثور أبلق حسن الصورة، وعمل له مجلسا في قصره، وسقفه بقبة مذهبة، فكان ينجره، ويطيب موضعه، وكل به سائسا يقوم به، ويكنس تحته، ويعبد سرا من أهل

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٩٥/١

مملكته، فبرأ من علته.
وهو أول من عمل العجل في علته، فكان يركب عليها البيوت من فوقها قباب الخشب، وعمل ذلك من أحب من نسائه، وخدمه إلى المواضع، والمنتزهات، وكان البقر يجره، فإذا مر بمكان نزهة أقام فيه وإذا مر بمكان خراب أمر بعمارته، فيقال: إنه نظر إلى ثور من البقر الذي يجر عجلته أبلق حسن الشية، فأمر بترفيهه، وسوقه بين يديه إعجابا به، وجعل عليه جلا من ديباج، فلما كان في يوم وقد خلا في موضع صار إليه، وقد انفرد عن عبيده وخدمه، والثور قائم إذ خاطبه الثور، وقال له: لو رفهني الملك عن السير معه، وجعلني في هيكل وعبدني، وأمر أهل مملكته بعبادتي، كفيته جميع ما يريد، وعاونته على أمره، وقويته في مملكته، وأزلت عنه جميع علله، فارتاع لذلك، وأمر بالثور، فغسل وطيب، و أدخل في هيكل، وأمر بعبادته، فأقام ذلك الثور يعبد مدة، وصار فيه آية وهو أنه لا يبول ولا يروث ولا يأكل إلا أطراف ورق القصب الأخضر في كل شهر مرة، فافتتن الناس به، وصار ذلك أصلا لعبادة البقر، وبنى مواضع كنز فيها كنوزا، وأقام عليها أعلاما، وبنى في صحراء الغرب مدينة يقال لها ديماس وأقام فيها منارا، ودفن حولها كنوزا.
ويقال: إن هذه المدينة قائمة، وإن قوما، جازوا بها من نواحي الغرب، وقد ضلوا الطريق، فسمعوا بها، عزيف الجن، ورأوا ضوءا يتراءى بها، وفي بعض كتبهم أن ذلك الثور بعد مدة من عبادتهم له، أمرهم أن يعملوا صورته من ذهب أجوف، ويؤخذ من رأسه شعرات، ومن ذنبه ومن نحاتة قرونه وأظلافه، ويجعل في التمثال المذكور، وعرفهم أنه يلحق بعالمه، وأمرهم أن يجعلوا جسده في جرن من حجر أحمر، ويدفن في الهيكل، وينصب تمثاله عليه، وزحل في شرفه، والشمس تنظر إليه من تثليث القمر زائد النور، وينقش على التمثال علامات الكواكب السبعة، ففعلوا ذلك، وكللوه بجميع الأصناف من الجواهر، وجعلوا عينيه جزعتين، وغرسوا في الهيكل عليه شجرة بعدما دفنوه في الجرن الأحمر، وبنوا منارا طوله ثمانون ذراعا على رأسه قبة تتلون كل يوم لونا، حتى تمضي سبعة أيام، ثم تعود إلى اللون الأول، وكسوا الهيكل ألوان الثياب، وشقوا نهرا من النيل إلى الهيكل، وجعل حوله طلسمات رؤوسها رؤوس القرود على أبدان اناس، كل واحد منها لدفع مضرة، وجلب منفعة، وأقام عند الهيكل، أربعة أصنام على أربعة أبواب، ودفن تحت كل صنم صنفا من الكنوز، وكتب عليها قربانها، وبخورها وأسكنها الشجرة، فكانت تعرف بمدينة الشجرة، ومنها كانت أصناف الشجر تخرج وهو أول من عمل النيروز بمصر، وفي زمانه بنيت البهنسا، وأقم بها أسطوانات وجعل فيما فوقها مجلسا من زجاج أصفر عليه قبة مذهبة إذا طلعت الشمس ألقت شعاعها على المدينة.
ويقال: إنه ملكهم ثمانمائة وثلاثين سنة، ودفن في أحد الأهرام الصغار القبلية، وقيل: في غربي الأشمونين،

ودفن معه من المال والجوهر والعجائب شيء كثير، وأصناف الكواكب السبعة التي يرى الدفين والحية، وألف سرج ذهبا وفضة، وعشرة آلاف جام وغضار من ذهب وفضة وزجاج، وألف عقاقير لفنون الأعمال، وزبروا عليه اسمه ومدة ملكه، ووقت موته.." (١)

"وفي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، ظهر بالأشمونين في واد بين جبلين، فساقي مربعة مملوءة ماء عذبا صافيا، فمشى شخص على حافتها طول يوم وليلة، فلم يبلغ آخرها.

ويقال: إنها من عمل سوريد باني الأهرام لتكون عدة لما كانوا قد توقعوه من حدوث طوفان ناري، فردم هذا الوادي بعد ذلك خوفا من تلاف الناس.

يقول الشيخ الإمام محمد بن أحمد الغرياني: حدثني علي بن حسن بن خالد الشعري، ثلاث مرات لم يختلف قوله علي فيها، قال: حدثني رجل من فزارة، الساكنين بكورة البهنسا قال: خرجت أنا ورجل رفيق لي نرتاد البلاد، ونطلب الرزق في الأرض، وذلك بعد سنة عشر وثمانمائة، فقطعنا الجبل الغربي من ناحية البهنسا، وسرنا متوكلين على الله تعالى، فأقمنا أياما، ونحن نمشي ما بين الغرب والجنوب، فوقعنا في واد كثير الشجر والنبات والماء والكلأ ليس فيه أنيس، وهو واد واسع في الطول والعرض، نحو يوم في الطول، ويوم في العرض، كله أعين وبساتين نخل وزيتون كثير الإبل والمعز، والذئب والضبع به كثير، والإبل به متوحشة، وكذلك المعز قد صارت به وحشية بعد أن كانت آنسة به، وليس بالوادي لا رائح، ولا غاد من الناس قال: فأخبرني أنهما أقاما بالوادي نحوا من شهرين أو ثلاثة، وإنهما رأيا في وسط الوادي، مدينة حصينة منيعة عالية السور شامخة القصور فإذا تقربا من سورها سمعا ضجيجا عظيما، وأصواتا مهولة مخوفة، ورأيا دخانا يرتفع إلى جو السماء، حتى يغطي سور المدينة، وجميع ما فيها، وإن تلك الإبل الوحشية عدت على رواحلهما الإنسية، فآذتها، وقتلتها فتحيل عند ذلك الرجلان الفزاريان بحيل، وفتلا حبالا وأشراكا شباكا من ليف النخل، وقيدا تلك الإبل الوحشية، وفتلا خوصا، وضفرا قفاصا من الخوص لزادهما، وملأها تمرا، وزللا من تلك الإبل الوحشية مكان رواحلهما عوضا عنها، وركباها متوجهين نحو الشرق، وحملا معهما من الجريد أعني جريد النخل ما يعرفان به الطريق التي بينهما وبينها، ويجعلان ذلك أمارات لمرورهما إليها، فكانا كلما مرا على شرف جعلا عليه، جريدتين علما، حتى وصلا إلى الجبل الغربي من مصر، فنزلا إلى البهنسا، فعرفا قومهما، وتحملا بأهاليهما، فلما علوا سطح الجبل الغربي، وجدا كل ما فرقاه من جريد النخل على رؤوس الآكام مجتمعا في مكان واحد في أعلى الجبل، فرجعا عند ذلك لأهاليهما، ومن معهم إلى

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٩٨/١

أرض البهنسا، وهذا ما حدثني به، والله أعلم.

ذكر مدينة الأشمونين

كانت من أعظم مدن الصعيد، يقال: إنها من بناء أشمون بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام.

وقال ابن وصيف شاه: كان أشمون أعدل ولد أبيه، وأرغبهم في صنعة تبقى، ويبقى ذكرها، وهو الذي بنى المجالس المصفحة بالزجاج الملون وسط النيل، وتقول القبط: إنه بنى سربا تحت الأرض من الأشمونين إلى أنصنا تحت النيل، وقيل: إنه حفره، وعمله لبناته لأنهن كن يمضين إلى ہيكل الشمس، وكان هذا السرب مبلط الأرض والحيطان والسقف بالزجاج الثخين الملون. وقيل: إن أشمون كان أطول إخوته ملكا.

وقال أهل الأثر: إنه ملك ثمانمائة سنة، وإن قوم عاد انتزعوا منه الملك بعد ستمائة من ملكه، وأقاموا تسعين سنة واستولوا على البلد، فانتقلوا إلى الدثينة من طريق الحجاز إلى وادي القرى، فعمروها، واتخذوا بها المنازل، والمصانع وسلط الله عليهم الذر، فأهلكهم، وعاد ملك مصر إلى أشموم.

ويقال: إنه عمل على باب الأشمونين أوزة من نحاس، فكان الغريب إذا جاء ليدخل المدينة، صاحت الأوزة وصفقت بجناحيها، فيعلم به فإن أحبوا منعوه، وإن أحبوا تركوه، وكثرت الحيات في وقته، فكانوا يصيدونها، ويعملون من لحومها، أدوية وترياقات، ثم ساقوها بسحرهم إلى وادي الحيات في جبال لوبية ومراقية، فسجنوها هناك.

وقال في كتاب هروشيش: إن أشمون بن قبط أول ملوك المصريين، وإنه كان في زمان شاروح بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، وإن سني الدنيا صارت إلى زمان شاروح، ألفين وتسعمائة وخمس سنين يكون ذلك بعد الطوفان بستمائة وثلاث وستين سنة، وبها كانت فرهة الخيل، والبغال والحمير، وكان يعمل بها فرش القرمز الذي يشبه الأرمني.." (١)

"وكان ينزل بأرض الأشمونين عدة بطون من بني جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانوا بادية أصحاب شوكة، وكان معهم بنو مسلمة بن عبد الملك بن مروان خلفاء لهم، ومعهم بطن آخر يقال لهم: إن أباهم كان مولى لعبد الملك بن مروان، ويزعمون أنهم من بني أمية صلبية، وكان معهم أيضا حلفاء لهم بنو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ينزلون، أرض دلجة عند أشمون.

ذكر مدينة إخميم

ضبطها البكري: بكسر الهمزة، وإسكان الخاء، ثم ميم وياء وميم على بناء إفعيل، وهي في الجانب الشرقي

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٩٩/١

من النيل، والذي بناها مناقيوش أحد ملوك القبط الأول.

قال ابن وصيف شاه: كان جلدا محتكما، فاستأنف العمارة وبنى القرى، ونصب الأعلام، وجمع الحكم، ومصاحف الملوك والحكماء، وعمل العجائب، وبنى لنفسه مدينة انفرد بها، وعمل عليها حصنا، ونصب عليه أربعة أعلام في كل ركن من أركانه علم، وبين تلك الأعلام ثمانون صنما من نحاس، وأخلاط في أيديهما السلاح، وزبر على صدرها آياتها.

وكان بمنف رجل من أولاد الكهنة من أعلم الناس بالسحر، وأبصرهم بأخذ التماسيح والسباع، وكان يعلم الغلمان السحر، فإذا حذقوا علم غيرهم، فأمر الملك أن يبني له مدينة، ويحول إليها وهي إخميم، فملكهم مناقيوش نيفا وأربعين سنة ومات، فدفن في الهرم المحاذي لأطفيح، ومعه شيء كثير من المال والجوهر والآنية والتماثيل، وزبر عليه اسمه، والوقت الذي هلك فيه، قال: وذكر أهل إخميم: أن رجلا أتى من الشرق وكان يلزم البربا، ويأتي إليه كل يوم ببخور، وخلوق فيبخر، ويطيب صورة في عضادة الباب، فيجد تحتها دينارا، فيأخذه، وينصرف ففعل ذلك مدة حتى وشى به كلام له إلى عامل البلد، فقبض عليه، فبذل مالا وخرج عن البلد.

وكانت بربا إخميم من أعجب البرابي، وأعظمها قد بنيت لخزن برهم فإنهم قضوا على أهل مصر بالطوفان قبل وقته بقرائن، لكنهم اختلفوا فيه، فقال بعضهم: تكون نار فتحرق ماء على جميع وجه الأرض، وقال آخرون: بل يكون ماء، فعملوا هذه البرابي قبل الطوفان، وكان في هذه البربا صور الملوك الذين يملكون مصر، وكانت مبنية بحجر المرمر، وطول كل حجر منها، خمسة أذرع في سمك ذراعين، وهي سبعة دهاليز سقوفها حجارة طول الحجر منها ثمانية عشر ذراعا في عرض خمسة أذرع مدهونة باللازورد، وغيره من الأصباغ التي يحسبها الناظر، كأنما فرغ الدهان منها الآن لجدتها، وكان كل دهليز منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة السيارة، وجدران هذه الدهاليز منقوشة بصور مختلفة الهيئات والمقادير، فيها رموز علوم القبط من الكيمياء، والسيمياء، والطلسمات، والطب والنجوم، والهندسة وغير ذلك، أودعوها تلك الصور.

وذكر ابن جبير في رحلته: أن طول هذه البربا مائتا وعشرون ذراعا، وسعتها مائة وسبعون ذراعا، وأنها قائمة على أربعين، سارية سوى الحيطان دور كل سارية خمسون شبرا، وبين كل ساريتين ثلاثون شبرا، ورؤوسها في نهاية العظم كلها منقشة من أسفلها إلى أعلاها، ومن رأس كل سارية إلى الأخرى لوح عظيم من الحجر المنحوت، فيها ما فرعه ستة وخمسون شبرا طولا في عرض عشرة أشبار، وارتفاع ثمانية أشبار، وسطحها

من ألواح الحجارة كأنها فرش واحد فيه التصاوير البديعة، والأصبغة الغربية كهيئة الطيور والآدميين، وغير ذلك في داخلها وخارجها، وعرض حائط البربا ثمانية عشر شبرا من حجارة مرصوصة، كذا قاسها ابن جبير في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة.

ويقال: إن ذا النون عرف منها، علم الكيمياء، وما زالت هذه البربا قائمة إلى سنة ثمانين وسبعمائة، فخربها رجل من أهل إخميم يعرف: بالخطيب كمال الدين بن بكر الخطيب علم الدين علي، ونال منها مالا، فلم تطل حياته، ومات، ومن حينئذ تلاشى أمر إخميم إلى أن خربت، وقد ذكر جماعة أن بربا إخميم كانت في هيئة غلام أمرد عريان، وإن قوما دخلوها مرة فتبعهم، وأخذ يضربهم ضربا وجيعا، حتى خرجوا هاربين، وحكى مثل ذلك عمن دخل الأهرام أيضا.." (١)

"ثم أمرت بنزع ثيابه، وألبسته الصوف، وسألت العزيز حبه ليزول ما قذفها به، فأمر به فحبس، ورأى الملك في منامه كأن آتيا أتاه، فقال له: إن فلانا وفلانا قد عزما على فتلك يريد صاحبي طعامه وشرابه، فلما أصبح قررهما فاعترفا له، وقيل: اعترف أحدهما، وأنكر الآخر فأمر بحبسهما، وكان اسم صاحب الطعم راسان، واسم صاحب الشراب مرطس، وكان يوسف عليه السلام وهو في السجن رؤوفا بمن فيه، ويعدهم الفرج، فأخبره صاحبا طعام الملك وشرابه برؤياهما التي قصها الله في كتابه، فوقع كما قصه يوسف، ورأى الملك البقرات والسنابل، فعرفه الساقي خبر يوسف، فمضى إليه، وقصها عليه.

فلما عاد إلى الملك قال: جيئوني به، فقال يوسف: ما أخرج أو يكشف أمر النسوة اللاتي من أجلهن حبست، فكشف عن ذلك، فاعترفت زليخا بالقصة، ووجه إليه، فأخرج وغسل من درن السجن، وألبس ما يليق بالدخول على الملوك، فلما رآه امتلأ قلبه من حبه وإكباره، وسأله عن الرؤيا ففسرها كما قال الله تعالى. فقال الملك: ومن يقوم لي بذلك؟ قال: أنا، فخلع عليه خلع الملوك، وألبسه تاجا وأمر أن يطاف به وركب الجيش معه، وتردد إلى قصر الملك، وجلس على سرير العزيز، واستخلفه الملك على ملكه مكانه.

ويقال: إن العزيز إطفين، كان قد مات، فزوجه امرأته، وقال لها يوسف: هذا أصلح مما أردت، فقالت: اعذرني إن زوجي كان عنينا، ولم ترك امرأة إلا صبا قلبها إليك من حسنك، وجاءت سنو خصب في مصر، فجمع يوسف الغلال، وخزنها وأكثر منها، فلما جاءت سنو الجدب بدأ النيل في النقصان، وكان ينقص كل سنة أكثر من التي قبلها، فقحط البلد حتى بيع القمح بالمال والجوهر والدواب والثياب والآنية والعقار، وكاد **أهل مصر** يرحلون عنها لولا تدبير يوسف، وقحط الشام أيضا، وكان من مجيء إخوة يوسف ما قصه

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٣٠٠

الله تعالى، ووجه إلى أبيه، فحمل إلى مصر وجميع أهله، وخرج في وجوه **أهل مصر**، فتلقاه وأدخله على الملك، وكان يعقوب مهابا، فأعظمه الملك، وسأله عن سنه وصناعته وعبادته فقال: سني عشرون ومائة سنة، وأما صناعتي فلنا غنم ترعى ننتفع بها، وأعبد رب العالمين الذي خلقك وخلقني، وهو إله آبائي وإلهك وإله كل شيء.

وكان في مجلس الملك، كاهن جليل القدر، فقال للملك: إني أخاف أن يكون خراب مصر على يد ولد هذا، فقال له الملك: فأنى لنا خبره، فقال الكاهن ليعقوب: أرني إلهك أيها الشيخ، قال: إلهي أعظم من أن يرى، قال: فإنا نرى آلهتنا، قال: إن آلهتكم من ذهب وفضة وحجارة وجوهر ونحاس وخشب، مما يعمله بنو آدم، وهم عبيد، إلهي لا إله إلا هو العزيز الحكيم، قال الكاهن: إن كل شيء لا تراه العيون ليس بشيء، فغضب يعقوب وكذبه، وقال: إن الله شيء لا كالأشياء وهو خالق كل شيء لا إله إلا هو، قال: فصفه لنا، قال: إنما يوصف المخلوق لكنه خالق واحد قديم مدبر أزلي يرى ولا يرى، وقام يعقوب مغضبا، فأجلسه الملك وأمر الكاهن، فكف عنه، فقال الكاهن: إنا نجد في كتبنا أن خراب مصر يجري على أيدي هؤلاء فقال الملك: هذا يكون في أيامنا. قال: لا، ولا إلى مدة كثيرة، والصواب: أن يقتله الملك ولا يبقى من ذريته أحدا، فقال الملك: إن كان الأمر كما تقول، فلا يمكننا أن ندفعه، ولا نقدر على قتل هؤلاء، وأنزل يعقوب ومن معه بوادي السدير إلى أن مات، فحمل إلى قرية إبراهيم عليه السلام ودفن عنده. ويقال: إن نهراوش الملك آمن، وكتم إيمانه خوفا من فساد أمره، وأقام ملكا مائة وعشرين سنة.

وفي وقته عمل يوسف الفيوم، فإن **أهل مصر** كانوا وشوا به إلى الملك، وقالوا: قد كبر ونقص نفعه، فاختبره فقال له: إني وهبت هذه الناحية لابنتي، وكانت مغايض للماء، فدبرها لها، فعملها يوسف، واحتال للمياه حتى أخرجها، وقلع أوحالها وساق المنهي، وبنى اللاهون، وجعل الماء فيها مقسوما موزونا، وفرغ منها في شهور أربعة، فعجبوا من حكمته.." (١)

"ويقال: إنه أول من هندس بمصر، ومات نهراوش: فخلف ابنه درمجوش وسمته أهل الأثر: دارم بن الريان، وهو الفرعون الرابع عندهم، فحالف سنة أبيه، وكان يوسف خليفته، فقبل منه بعضا وخالفه في البعض، فمات يوسف في أيامه، وله مائة وعشرون سنة، فكفن وجعل في تابوت من رخام، ودفن في الجانب الغربي، فأخصب ونقص الشرقي، فحول إليه، فاخصب ونقص الغربي، فاتفقوا على أن يجعلوه في الشرقي عاما وفي الغربي عاما، ثم حدث لهم من الرأي أن يجعلوا له حلقا وثاقا، ويشدوا التابوت في وسط

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٠٦/١

النيل، فأخصب الجانبان كلاهما.

وقال ابن عبد الحكم: فملكهم الريان بن الوليد بن دومع، وهو صاحب يوسف النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رأى الملك رؤياه التي رأى، وعبره يوسف أرسل إليه الملك، فأخرجه من السجن.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فأتاه الرسول، فقال: ألق عنك ثياب السجن، والبس ثيابا جددا، ولم إلى الملك، فدعا له أهل السجن، وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة، فلما أتاه رأى غلاما حدثا، فقال: أيعلم هذا رؤياي ولا تعلمها السحرة والكهنة. وأقعده قدامه، وقال له: لا تخف، قال: فلما استنطقه، وسأله عظم في عينيه، وجعل إليه أمره فدفع إليه خاتمه، وولاه ما خلف بابه وألبسه طوقا من ذهب وثياب حرير، وأعطاه دابة مسرجة مزينة كدابة الملك، وضرب بالطبل بمصر: إن يوسف خليفة الملك.

وعن عكرمة: أن فرعون قال ليوسف: قد سلطنتك على مصر غير أني أريد أن أجعل كرسي أطول من كرسيك بأربع أصابع، قال يوسف: نعم وأجلسه على السرير، ودخل الملك بيته مع نسائه، وفوض أمر مصر كلها إليه، فبسبب عبارة رؤيا الملك ملك يوسف مصر.

وعن الليث بن سعد قال: حدثني مشيخة لنا قالوا: اشتد الجوع على **أهل مصر**، فاشتروا الطعام بالذهب حتى لم يجدوا ذهبا، فاشتروا بالفضة، حتى لم يجدوا فضة، فاشتروا بأغنامهم، حتى لم يجدوا غنما، فلم يزل يبيعهم الطعام حتى لم يبق لهم فضة ولا ذهب، ولا شاة ولا بقرة في تلك السنين، فأتوه في الثالثة فقالوا: لم يبق لنا إلا أنفسنا، وأهلونا وأرضونا، فاشترى يوسف أرضهم كلها لفرعون، ثم أعطاهم يوسف طعاما يزرعونه على أن لفرعون الخمس.

ويقال في خبر بناء يوسف عليه السلام: مدينة الفيوم أنه لما وزر لفرعون ثلاثين سنة عزله، فقال: لم عزلتني. فقال: لم أعزلك لريبة، ولا أنسى بركتك، ولكن آبائي عهدوا إلي أن لا يتولى لنا وزير أكثر من ثلاثين سنة، وإنا نخشى أن يتأصل الوزير حتى يدبر على الملك، فقال له يوسف: قد علمت نصحي لك، حتى صيرت ديار مصر كلها ملكا لك، فأقطعني أرضا تكون لقوتي وقوت أهلي وعشيرتي، فقال له فرعون: اختر حيث شئت، فمشى يوسف في قفار الأرض حتى رأى أرض الفيوم، وفيها جبل حائل بين النيل وبينها، فوزن ماء النيل حتى رأى أن قاعها يركبه النيل، فحرق خرقا في ذلك الجبل، وساق الماء فيه إلى الفيوم، فسقى الأرض، وعمل في جوانب الماء، ثلثمائة وستين قرية على عدد أيام السنة، وشحنها بالغلال ، والأقوات التي ازدرعها، فكان إذا نقص النيل، ووقع الجوع بأرض مصر، باع كل يوم، ما جمعه في قرية من قرى الفيوم، حتى ملك مصر لنفسه، كما جمعها للملك، فعظم شأن يوسف، وكثر ماله، فرده الملك بعد مدة

إلى وزارته، وتوفي وهو وزير، فأوصى بخروج جثته إلى الأرض المقدسة، فخرج بها هارون بن إفراييم بن يوسف في مائة ألف من بني إسرائيل، فهزمته الجبابرة فيما بين مصر والشام، وهلك أكثر من معه، وعاد بمن بقي معه إلى مصر، فأقاموا بها، حتى بعث الله موسى بن عمران عليه السلام إلى فرعون رسولا، فخرج ببني إسرائيل من مصر، ومعه جثة يوسف عليه السلام.

وفي ذلك الزمان استنبطت الفيوم، وقيل: كان سبب ذلك، أن يوسف عليه السلام لما ملك مصر، وعظمت منزلته من فرعون، وجاوز سنه مائة سنة، قال وزراء الملك له: إن يوسف قل عمله، وتغير عقله، ونفدت حكمته، فعنفهم فرعون، ورد عليهم مقالتهم وأساء اللفظ لهم، فكفوا، ثم عاودوه بذلك القول بعد سنين، فقال لهم: هلموا ما شئتم من أي شيء أختبره به.." (١)

"وكان بلد الفيوم يومئذ يدعى الجوبة، وإنما كانت لمصالة ماء الصعيد، وفضوله فاجتمع رأيهم على أن تكون هي المحنة التي يمتحنون بها يوسف، فقالوا لفرعون: سل يوسف أن يصرف ماء الجوبة عنها، ويخرجه منها، فتزداد بلدا إلى بلدك وخراجا إلى خراجك، فدعا يوسف فقال: تعلم مكان ابنتي فلانة مني وقد رأيت إذا بلغت أن أطلب لها بلدا، وإني لم أصب لها إلا الجوبة، وذلك إنه بلد بعيد قريب لا يرى بوجه من الوجوه إلا من غابة أو صحراء، وكذلك ليست هي تؤتى من ناحية من النواحي من مصر إلا من مفازة وصحراء، فالفيوم وسط مصر كمثل مصر في وسط البلاد، لأن مصر لا تؤتى من ناحية من النواحي إلا من صحراء أو مفازة قال: وقد اقتطعتها إياها، فلا تتركن وجها، ولا نظرا إلا بلغته، فقال يوسف: نعم أيها الملك، متى أردت ذلك فابعث إلي، فإني إن شاء الله فاعل ذلك، قال: إن أحبه إلي وأرفعه، أعجله، فأوحى إلى يوسف، أن تحفر ثلاثة خلج، خليجا من أعلى الصعيد من موضع كذا إلى موضع كذا، وخليجا شرقيا من موضع كذا إلى موضع كذا، وخليجا غربيا من موضع كذا إلى موضع كذا.

فوضع يوسف العمال ، فحفر خليج المنهى من أعلى أشمون إلى اللاهون، وأمر البنائين أن يحفروا اللاهون، وحفر خليج الفيوم، وهو الخليج الشرقي، وحفر خليجا بقرية يقال لها: بنهمت، من قرى الفيوم، وهو الخليج الغربي، فخرج ماؤها من الخليج الشرقي، فصب في النيل وخرج من الخليج الغربي، فصب في صحراء بنهمت إلى الغرب، فلم يبق في الجوبة ماء، ثم أدخلها الفعلة، فقطع ما كان فيها من القصب والطرفاء، وأخرجه منها، وكان ذلك ابتداء جري النيل، وقد صارت أرض الجوبة نقية برية، وارتفع ماء النيل، فدخل في رأس المنهي، فجرى فيه حتى انتهى إلى اللاهون، فقطعه إلى الفيوم، فدخل خليجها فسقاها، فصارت لجة

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٠٧/١

من النيل، وخرج إليها الملك ووزراؤه وكان هذا كله في سبعين يوما.

فلما نظر إليها الملك قال لوزرائه: أولئك هذا عمل ألف يوم، فسميت: الفيوم، وأقامت تزرع كما تزرع غوائط مصر.

قال: وقد سمعت في استخراج الفيوم غير هذا، أن يوسف عليه السلام ملك مصر، وهو ابن ثلاثين، فأقام يدبرها أربعين سنة، فقال **أهل مصر**: قد كبر يوسف واختلف رأيه، فعزلوه وقالوا: اختر لنفسك من الموات أرضا تقطعها لنفسك، وتصلحها وتعمل رأيك فيها، فإن رأينا من رأيك وحسن تدبيرك ما نعلم أنك في زيادة من عقلك رددناك إلى ملكك، فاعترض البرية في نواحي مصر، فاختار موضع الفيوم، فأعطيها فشق إليها خليج المنهي من النيل، حتى أدخله الفيوم كلها، وفرغ من حفر ذلك كله في سنة.

قال يزيد بن أبي حبيب: وبلغنا أنه إنما عمل ذلك بالوحي وقوي على ذلك بكثرة الفعلة والأعوان، فنظروا، فإذا الذي أحياه يوسف من الفيوم لا يعلمون له بمصر كلها مثلا ولا نظيرا، فقالوا: ما كان يوسف قط أفضل عقلا ولا رأيا ولا تدبيرا منه اليوم. فردوا إليه الملك، فأقام ستين سنة أخرى تمام مائة سنة، حتى مات، وهو ابن ثلاثين ومائة سنة.

قال: ثم بلغ يوسف قول وزراء الملك، وإنه إنما كان ذلك على المحنة منهم له، فقال للملك: عندي من الحكمة والتدبير غير ما رأيت، فقال له الملك: وما ذاك؟ قال: أنزل الفيوم من كل كورة من كور مصر أهل بيت، وآمر أهل كل بيت أن يبنوا لأنفسهم قرية، وكانت قرى الفيوم على عدد كور مصر، فإذا فرغوا من بناء قراهم، صيرت لكل قرية من الماء بقدر ما أصير لها من الأرض لا يكون في ذلك زيادة، ولا نقص، وأصير لكل قرية شربا في زمان لا ينالهم الماء إلا فيه، وأصير مطأطئا للمرتفع، ومرتفعا للمطأطئ بأوقات من الساعات في الليل والنهار، وأصير لها قبضات، فلا يقصر بأحد دون حقه، ولا يزداد فوق قدره، فقال له فرعون: هذا من ملكوت السماء. قال: نعم، فبدأ يوسف، فأمر ببنيان القرى وحدد لها حدودا، وكانت أول قرية عمرت بالفيوم قرية يقال لها سانة، وهي القرية التي كانت تنزلها بنت فرعون، ثم أمر بحفر الخليج، وبنيان القناطر، فلما فرغوا من ذلك استقبل وزن الأرض، ووزن الماء، ومن يومئذ حدثت الهندسة، ولم يكن الناس يعرفونها قبل ذلك، وكان أول من قاس النيل بمصر، يوسف، ووضع مقياسا بمنف.." (١)

"قال جامعه: وفي التوراة: أن فرعون ألزم بني إسرائيل البناء، وضرب اللبن، فبنوا له عدة مدن محصنة منها فيثوم وعرمسيس. قال الشارح: هي الفيوم، وحوف رمسيس، وفي زمان الريان بن الوليد، دخل يعقوب

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٠٨/١

عليه السلام، وولده مصر، وهم ثلاثة وسبعون نفسا ما بين رجل وامرأة، فأنزلهم يوسف ما بين عين شمس إلى الفرما، وهي أرض ريفية برية، وكان يعقوب لما دنا من مصر أرسل، يهودا إلى يوسف، فخرج إليه يوسف، فلقيه فالتزمه وبكى.

فلما دخل يعقوب على فرعون كلمه، وكان يعقوب شيخا كبيرا حليما حسن الوجه واللحية جهير الصوت، فقال له فرعون: أيها الشيخ كم أتى عليك؟ قال: عشرون ومائة، وكان بهمن ساحر فرعون قد وصف صفة يعقوب ويوسف وموسى صلوات الله عليهم في كتبه، وأخبر أن خراب مصر، وهلاك أهلها يكون على أيديهم، ووضع البربايات وصفات من تخرب مصر على يديه. فلما رأى يعقوب، قام إلى مجلسه، فكان أول ما سأله عنه أن قال: من تعبد أيها الشيخ؟ قال له يعقوب: أعبد الله إله كل شيء، فقال: فكيف تعبد من لا ترى. قال يعقوب: إنه أعظم وأجل من أن يراه أحد، قال: فنحن نرى آلهتنا؟ قال يعقوب: إن آلهتكم من عمل أيدي بني آدم من يموت ويبلى، وإن هي لأعظم وأرفع، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، فنظر بهمن إلى فرعون فقال: هذا الذي يكون هلاك بلادنا على يديه.

قال فرعون: أفي أيامنا أو في أيام غيرنا؟ قال: ليس في أيامك ولا أيام بنيك، قال الملك: فهل تجد هذا فيما قضى به إلهكم؟ قال: نعم، قال: فكيف تقدر أن تقيل من يريد إلهه هلاك قومه على يديه؟ فلا يعبأ بهذا الكلام.

وعن كعب: أن يعقوب عاش في أرض مصر ست عشرة سنة، فلما أحضرته الوفاة قال ليوسف: لا تدفني بمصر، فإذا مت فاحملوني فادفنوني في مغارة جبل جيرون، وجيرون مسجد إبراهيم الخليل عليه السلام، وبينه وبين بيت المقدس، ثمانية عشر ميلا.

قال: فلما مات لطخوه بمر وصبر وجعلوه في تابوت من ساج، فكانوا يفعلون به ذلك أربعين يوما، حتى كلم يوسف فرعون، فأعلمه: أن أباه قد مات، وإنه سأله أن يقبره في أرض كنعان، فأذن له وخرج معه أشراف **أهل مصر**، حتى دفنه، وانصرف.

وقيل: قبر يعقوب بمصر، فأقام بها نحوا من ثلاث سنين، ثم حمل إلى بيت المقدس، وأوصاهم بذلك عند موته.

قال: ثم مات الريان بن الوليد، فملكهم من بعده ابنه دارم بن الريان، وفي زمانه توفي يوسف عليه السلام، فلما حضرته الوفاة قال: إنكم ستخرجون من أرض مصر إلى أرض آبائكم، فاحملوا عظامي معكم، فمات فجعلوه في تابوت، ودفنوه في أحد جانبي النيل، فأخصب الجانب الذي كان فيه، وأجدب الجانب الآخر،

فحولوه إلى الجانب الآخر، فأخصب الجانب الذي حولوه إليه، وأجدب الآخر.
فلما رأوا ذلك جمعوا عظامه، فجعلوها في صندوق من حديد، وجعلوا فيه سلسلة، وأقاموا عمودا على شاطئ النيل، وجعلوا في أصله سكة من حديد، وجعلوا السلسلة في السكة، وألقوا الصندوق في وسط النيل، فأخصب الجانبان جميعا.
وكان سبب حمل عظام يوسف من مصر إلى الشام أن سارة ابنة أسر بن يعقوب عمرت حتى صارت عجوزا كبيرة ذاهبة المصر، فلما سرى موسى عليه السلام ببني إسرائيل غشيتهم ضبابة، حالت بينهم وبين الطريق أن يبصروه، وقيل لموسى: لن تعبر إلا ومعك عظام يوسف، قال: ومن يدري أين موضعها. قالوا: عجوز كبيرة ذاهبة البصر تركناها في الديار، فرجع موسى، فلما سمعت حسه قالت: ما ردك؟ قال: أمرت أن أحمل عظام يوسف، قالت: ما كنتم لتعبروا إلا وأنا معكم، قال: دليني على عظام يوسف، فدلته عليهما، فأخذ عظام يوسف معه إلى التيه.." (١)

"قال: ويقال: بل خرج مالك بن ناعمة الصدفي، وهو صاحب الأشقر على فرسه ينفض المجابة، ولا علم له بما خلفها من الفيوم، فلما رأى سوادها رجع إلى عمرو، فأخبره بذلك.
قال: ويقال بل بعث عمرو بن العاص، قيس بن الحارث إلى الصعيد، فسار حتى أتى القيس، فنزل بها، وبه سميت القيس، فراث على عمرو خبره، فقال ربيعة بن حبيش: كفيت، فركب فرسه، فأجاز عليه البحر، وكانت أنثى فأتاه بالخبر، ويقال: إنه أجاز من ناحية الشرقية حتى انتهى إلى الفيوم وكان يقال لفرسه: الأعمى، والله أعلم.
وقال ابن الكندي في كتاب فضائل مصر: ومنها كورة الفيوم، وهي ثلثمائة وستون قرية دبرت على عدد أيام السنة لا تنقص عن الري، فإن قصر النيل في سنة من السنين مار بلد مصر، كل يوم قرية، وليس في الدنيا ما بني بالوحي غير هذه الكورة، ولا بالدنيا بلد أنفس منه، ولا أخصب، ولا أكثر خيرا، ولا أغزر أنهارا، ولو قايسنا بأنهار الفيوم، أنهار البصرة ودمشق، لكان لنا بذلك الفضل، ولقد عد جماعة من أهل العقل والمعرفة مرافق الفيوم وخيرها، فإذا هي لا تحصى فتركوا ذلك، وعدوا ما فيها من المباح مما ليس عليه ملك لأحد من مسلم، ولا معاهد يستعين به القوي والضعيف، فإذا هو فوق السبعين صنفا. وقال ابن زولاق في كتاب الدلائل على أمراء مصر للكندي: وعقدت لكافور الإخشيدي، الفيوم في هذه السنة يعني سنة ست وخمسين وثلثمائة، ستمائة ألف دينار ونيفا وعشرين ألف دينار.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٠٩/١

وقال القاضي الفاضل: في كتاب متجددات الحوادث، ومن خطه نقلت، أن الفيوم بلغت في سنة خمس وثمانين وخمسمائة، مبلغ مائة ألف واثنين وخمسين ألف دينار، وسبعمائة وثلاثة دنانير.

وقال البكري: والفيوم معروف هنالك يغل في كل يوم الذي مثقال ذهبا.

مدينة النحريرية

كانت أرضا مقطعة لعشرة من أجناد الحلقة من جملتهم، شمس الدين سنقر السعدي، فأخذ قطعة من أراضي زراعتها، وجعلها اصطبلا لدوابه وخيله، فشكاه شركاؤه إلى السلطان الملك المنصور قلاون، فسأله عن ذلك فقال: أريد أن أجعله جامعا تقام فيه الخطبة، فأذن له السلطان في ذلك فابتدأ عمارته في أخريات سنة ثلاث وثمانين وستمائة، حتى كمل في سنة خمس وثمانين، فعمل له السلطان منبرا، وأقيمت به الجمعة، واستمرت إلى يومنا هذا. وأنشأ السعدي حوانيت حول الجامع، فلم تزل بيده حتى مات، وورثها ابناه: عز الدين خليل، وركن الدين، عمر، فباعاها بعد مدة للأمير: شيخو العمري، فجعلها مما وقفه على الخانكاه والجامع اللذين أنشأهما بخط صليبة جامع ابن طولون خارج القاهرة، فعمرت هذه الأرض بعمارة الجامع، وسكنها الناس، فصارت مدينة من مدائن أراضي مصر بحيث بلغت أنوال القزازين فيها، وترقى سنقر السعدي في الخدم حتى صار من الأمراء، وولي نقيب المماليك السلطانية، وأنشأ المدرسة السعدية خارج القاهرة قريبا من حدرة البقر، فيما بين قلعة الجبل، وبركة الفيل في سنة خمس عشرة وسبعمائة، وبنى أيضا رباطا للنساء، وكان شديد الرغبة في العمائر محبا للزراعة كثير المال ظاهر الغنى، ثم إنه أخرج إلى طرابلس، وبها مات سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

تم الجزء الأول، ويليه الجزء الثاني وأوله: " ذكر تاريخ الخليقة " /الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر تاريخ الخليقة

اعلم: أنه لما كانت الحوادث لا بد من ضبطها، وكان لا يضبط ما بين العصور، وبين أزمنة الحوادث إلا بالتاريخ المستعمل العام الذي لا ينكره الجماعة أو أكثرها، وذلك أن التاريخ المجمع عليه، لا يكون إلا من حادث عظيم يملأ ذكره الأسماع، وكانت زيادة ماء النيل، ونقصانه، إنما يعتبرها أهل مصر، ويحسبون أيامهما بأشهر القبط، وكذلك خراج أراضي مصر إنما يحسبون أوقاته بذلك، وهكذا زراعات الأراضي، إنما

يعتمدون في أوقاتها أيام الأشهر القبطية عادة، وسلكوا فيها سبيل أسلافهم، واقتفوا مناهج قدمائهم، وما برح الناس من قديم الدهر أسراء العوايد.." (١)

"ومنهم من يرى أن الطوفان كان يوم الجمعة، وعند أبي معشر أنه كان يوم الخميس، ولما تقرر عنده الجملة المذكورة، وخرجت له المدة التي تسمى: أدوار الكواكب، وهي بزعمهم ثلثمائة ألف وستون ألف سنة شمسية، وأولها متقدم على وقت الطوفان بمائة ألف وثمانين ألف سنة شمسية، حكم بأن الطوفان كان في مائة ألف وثمانين ألف سنة، وسيكون فيما بعد كذلك، ومثل هذا لا يقبل إلا بحجة أو من معصوم.

وأما تاريخ بخت نصر: فإنه على سني القبط، وعليه يعمل في استخراج مواضع الكواكب من كتاب المجسطي، ثم أدوار قالليس، وأول أدواره في سنة ثماني عشرة وأربعمائة لبخت نصر، وكل دور منها ست وسبعون سنة شمسية، وكان قالليس من جلة أصحاب التعاليم، وبخت نصر هذا ليس هو الذي خرب بيت المقدس، وإنما هو آخر كان قبل بخت نصر مخرب بيت المقدس، بمائة وثلاث وأربعين سنة، وهو اسم فارسي أصله بخت برسي، ومعناه كثير البكاء والأنين، ويقال له بالعبرانية: نصار، وقيل تفسيره: عطارد، وهو ينطق وذلك لتحيبه على الحكمة، وتغريب أهلها ثم عرب فقيل: بخت نصر.

وأما تاريخ فيلبس: فإنه على سني القبط، وكثيرا ما يستعمل هذا التاريخ من موت الإسكندر البناء المقدوني، وكلا الأمرين سواء، فإن القائم بعد البناء هو فيلبس فسواء كان من موت الأول أو من قيام الآخر، فإن الحالة المؤرخة هي كالفصل المشترك بينهما، وفيلبس هذا هو أبو الإسكندر المقدوني، ويعرف هذا التاريخ: بتاريخ الإسكندرانيين، وعله بنى تاون الإسكندراني في تاريخه المعروف بالقانون، والله أعلم.

وأما تاريخ الإسكندرية فإنه على سني الروم عليه يعمل أكثر الأمم إلى وقتنا هذا من أهل الشام، وأهل بلاد الروم، وأهل المغرب والأندلس، والفرنج واليهود، وقد تقدم الكلام عليه عند ذكر الإسكندرية من هذا الكتاب.

وأما تاريخ أغشطش فإنه لا يعرف اليوم أحد يستعمله، وأغشطش هذا هو أول القياصرة، ومعنى قيصر بالووية شق عنه، فإن أغشطش هذا لما حملت به أمه ماتت في المخاض، فشق بطنها حتى أخرج منه، فقيل: قيصر، وبه يلقب من بعده ملوك الروم، ويزعم النصارى أن المسيح عليه السلام: ولد لأربعين سنة من ملكه، وفي هذا القول نظر، فإنه لا يصح عند سياقه السنين، والتواريخ بل يجيء تعديل ولادته عليه السلام في

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣١٣/١

السنة السابعة عشر من ملكه. وأما تاريخ أنطينس: فإن بطليموس صحح الكواكب الثابتة في كتابه المعروف بالمجسطي لأول ملكه على الروم وسنو هذا التاريخ رومي.

ذكر تاريخ القبط

اعلم: أن السنة الشمسية عبارة عن عود الشمس في فلك البروج إذا تحركت على خلاف حركة الكل إلى أي نقطة فرضت، ابتداء حركتها، وذلك أنها تستوفي الأزمنة الأربعة التي هي الربيع، والصيف، والخريف، والشتاء، وتحوز طبائعها الأربع، وتنتهي إلى حيث بدأت، وفي هذه المدة يستوفي القمر اثنتي عشرة عودة، وأقل من نصف عودة، ويستهل اثنتي عشرة مرة، فجعلت المدة التي فيها عودات القمر الإثنتا عشرة في فلك البروج سنة للقمر على الاصطلاح، وأسقط الكسر الذي هو أحد عشر يوما بالتقريب، فصارت السنة على قسمين: سنة شمسية، وسنة قمرية، وجميع من على وجه الأرض من الأمم أخذوا تواريخ سنيهم من مسير الشمس والقمر، فالآخذون بسير الشمس خمس أمم وهم: اليونانيون، والسريانيون، والقبط، والروم، والفرس، والآخذون بسير القمر خمس أمم هم: الهند، والعرب، واليهود، والنصارى، والمسلمون.

فأهل قسطنينية والإسكندرية، وسائر الروم والسريانيون والكلدانيون، وأهل مصر، ومن يعمل برأي المعتضد أخذوا بالسنة الشمسية التي هي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم بالتقريب، وصيروا السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما، وألحقوا الأرباع بها في كل أربع سنين يوما حتى أجبرت السنة، وسموا تلك السنة كبيسة لانكباس الأرباع فيها.

وأما قبط مصر القدماء: فإنهم كانوا يتركون الأرباع حتى يجتمع منها أيام سنة تامة، وذلك في ألف وأربعمائة وستين سنة، ثم يكبسونها سنة واحدة، ويتفقون حينئذ في أول تلك السنة مع أهل الإسكندرية وقسطنطينية.." (١)

"اعلم: أن دقلطيانوس هذا: أحد ملوك الروم المعروفين بالقياصرة ملك في منتصف سنة خمس وتسعين وخمسمائة من سني الإسكندر، وكان من غير بيت الملك، فلما ملك تجبر وامتد ملكه إلى مدائن الأكاسرة، ومدينة بابل، فاستخلف ابنه على مملكة رومة، واتخذ تخت ملكه بمدينة أنطاكية، وجعل لنفسه بلاد الشام ومصر إلى أقصى المغرب، فلما كان في السنة التاسعة عشر من ملكه، وقيل: الثانية عشر خالف عليه أهل مصر، والإسكندرية، فبعث إليهم وقتل منهم خلقا كثيرا، وأوقع بالنصارى فاستباح دماءهم وغلق كنائسهم، ومنع من دين النصارى، وحمل الناس على عبادة الأصنام، وبالغ في الإسراف في قتل النصارى، وأقام ملكا

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٢٦/١

إحدى وعشرين سنة، وهلك بعد علل صعبة دود منها بدنه، وسقطت أسنانه، وهو آخر من عبد الأصنام من ملوك الروم، كل من ملك بعده فإنما كان على دين النصرانية، فإن الذي ملك بعده ابنه سنة واحدة، وقيل: أكثر من ذلك، ثم ملك قسطنطين الأكبر، فأظهر دين النصرانية، ونشره في الأرض، ويقال: إن رجلا ثار بمصر، يقال له: أجله، وخرج عن طاعة الروم، فسار إليه دقلطيانوس وحصر الإسكندرية دار الملك يومئذ ثمانية أشهر، حتى أخذ أجله وقتله، وعم أرض مصر كلها بالسبي والقتل، وبعث قائده فحارب سابور ملك فارس، وقتل أكثر عسكره، وهزمه وأسر امرأته وإخوته وأثخن في بلاده، وعاد بأسرى كثيرة من رجال فارس، ثم أوقع بعامة بلاد رومة، فأكثر في قتلهم وسبيهم، فكانت أيامه شنعة، قتل فيها من أصناف الأمم، وهدم من بيوت العبادات ما لا يدخل تحت حصر، وكانت واقعته بالنصارى هي الشدة العاشرة، وهي أشنع شدائدهم، وأطولها لأنها دامت عليهم مدة عشر سنين لا يفتر يوما واحدا يحرق فيها كنائسهم، ويعذب رجالهم، ويطلب من استتر منهم أو هرب ليقتل، يريد بذلك قطع أثر النصارى، وإبطال دين النصرانية من الأرض، فلهذا اخذوا ابتداء ملك دقلطيانوس تاريخا، وكان ابتداء ملكه يوم الجمعة، وبينه وبين يوم الاثنين أول يوم من توت، وهو أول أيام ملك الإسكندرية بن فيلبس المقدوني خمسمائة وأربع وتسعون سنة، وأحد عشر شهرا، وثلاثة أيام، وبين يوم الجمعة أول يوم من تاريخ دقلطيانوس، وبين يوم الخميس أول يوم من سنة الهجرة النبوية ثلثمائة وثمان وثلاثون سنة قمرية وتسعة وثلاثون يوما، وجعلوا شهور السنة القبطية اثني عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلاثون يوما سواء، فإذا تمت الأشهر الإثنا عشر أتبعوها بخمسة أيام زيادة على عدد أيامها، وسموا هذه الخمسة الأيام أبو عمنا، وتعرف اليوم: بأيام النسيء، فيكون الحال في النسيء على ذلك ثلاث سنين متواليات، فإذا كان في السنة الرابعة جعلوا النسيء ستة أيام، فتكون سنوهم ثلاث سنين متواليات كل سنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما والرابعة يصير عددها ثلثمائة وستة وستين يوما، ويرجع حكم سنتهم إلى حكم سنة اليونانيين بأن تصير سنتهم الوسطى ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم إلا أن الكبس يختلف، فإذا كان كبس القبط في سنة كان كبس اليونانيين في السنة الداخلة.

وأسماء شهور القبط : توت، بابه. هتور، كهيك، طوبه، أمشير، برمهات، برموده، بشنس، بؤونة، أبيب، مسرى، فهذه اثنا عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلاثون يوما، وإذا كانت عدة شهر مسري، وهو الشهر الثاني عشر زادوا أيام النسيء بعد ذلك، وعملوا النوروز أول يوم من شهر توت.

ذكر أسابيع الأيام." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٢٩/١

"اعلم: أن القدماء من الفرس والصفد وقبط مصر الأول لم يكونوا يستعملون الأسابيع من الأيام في الشهور، وأول من استعملها أهل الجانب الغربي من الأرض لا سيما أهل الشام، وما حواليه من أجل ظهور الأنبياء عليهم السلام فيما هنالك، وأخبارهم عن الأسبوع الأول وبدء العالم فيه، وإن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام من الأسبوع، ثم انتشر ذلك منهم في سائر الأمم، واستعملته العرب العاربة بسبب تجاوز ديارهم، وديار أهل الشام، فإنهم كانوا قبل تحولهم إلى اليمن ببابل، وعندهم أخبار نوح عليه السلام، ثم بعث الله تعالى إليهم هودا، ثم صالحا عليهما السلام، وأنزل فيهم إبراهيم خليل الرحمن ابنه إسماعيل عليهما السلام، فتعرب إسماعيل، وكانت القبط الأول تستعمل أسماء الأيام الثلاثين من كل شهر، فتجعل لكل يوم منها اسما، كما وهو العمل في تاريخ الفرس، ومازالت القبط على هذا إلى أن ملك مصر أغشطش بن بوحس، فاراد أن يحملهم على كبس السنين ليوافقوا الروم أبدا فيها، فوجدوا الباقي حينئذ إلى تما السنة الكبيسة الكبرى خمس سنين، فانتظر حتى مضى من ملكه خمس سنين، ثم حملهم على كبس الشهور في كل أربع سنين بيوم، كما تفعل الروم، فترك القبط من حينئذ استعمال أسماء الأيام الثلاثين، لاحتياجهم في يوم الكبس إلى اسم يخصه، وانقرض بعد ذلك مستعملو أسماء الأيام الثلاثين، من **أهل مصر**، والعارفون بها، ولم يبق لها ذكر يعرف في العالم بين الناس، بل دثرت كما دثر غيرها من أسماء الرسوم القديمة، والعادات الأول سنة الله في الذين خلوا من قبل، وكانت أسماء شهور القبط في الزمن القديم: توت، بؤوني، أتور، سواق، طوبى، ماكيرن فامينوت، برموتي، باحون، باوني، افيعي، ابيقا، وكل شهر منها ثلاثون يوما، ولكل يوم اسم يخصه، ثم أحدث بعض رؤساء القبط بعد استعمالهم الكبس الأسماء التي هي اليوم متداولة بين الناس بمصر، إلا أن من الناس من يسمى كيهك كياك، ويقول في برمهات برمهوط، وفي بشنس بشانس، في مسري ماسوري، ومن الناس من يسمى الخمسة الأيام الزائدة أيام النسيء، ومنهم من يسميها أبو عمنا، ومعنى ذلك الشهر الصغير، وهي كما تقدم تلحق في آخر مسرى، وفيه يزداد اليوم الكبيس، فيكون أبو عمنا ستة أيام حينئذ، ويسمون السنة الكبيسة النقط، ومعناه العلامة، ومن خرافات القبط أن شهورهم هي شهور سني نوح وشيث وآدم منذ ابتداء العالم، وإنها لم تزل على ذلك إلى أن خرج موسى ببني إسرائيل من مصر، فعملوا أول سنتهم خامس عشر نيسان، كما أمروه به في التوراة إلى أن نقل الإسكندر رأس سنتهم إلى أول تشرين، وكذلك **المصريون** نقل بعض ملوكهم أول سنتهم إلى أول يوم من ملكه، فصار أول توت عندهم يتقدم أول يوم خلق فيه العالم بمائتين وثمانية أيام أولها يوم الثلاثاء، وآخرها يوم السبت، وكان توت أوله في ذلك الوقت يوم الأحد، وهو أول يوم خلق الله فيه العالم الذي يقال له الآن: تاسع

عشري برمهات وذلك أن أول من ملك على الأرض بعد الطوفان نمرود بن كنعان بن حام بن نوح، فعمر بابل، وهو أبو الكلدانيين، وملك بنو مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام، متش فبنى منف بمصر على النيل، وسماها باسم جده مصرايم، وهو ثاني ملك ملك على الأرض، وهذان الملكان استعملا تاريخ جدهما نوح عليه السلام، واستن بسنتهم من جاء بعدهم حتى تغيرت كما تقدم.

؟؟؟؟؟أعياد القبط

من النصارى بديار مصر روى يونس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: اجتنبوا عيد اليهود والنصارى، فإن السخط ينزل عليهم في مجامعهم، ولا تتعلموا رطانتهم فتخلقوا ببعض خلقهم.

وعن ابن عباس في قوله تعالى: " والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما " " الفرقان ٧٢ " قال: أعياد المشركين، فقيل له: أو ما هذا في الشهادة بالزور، فقال لا إنما أية شهادة الزور، ولا تقف م ا ليس له به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا.

اعلم: أن نصارى من القبط ينحلون مذهب اليعقوبية كما تقدم ذكره، وأعيادهم الآن التي هي مشهورة بديار مصر أربعة عشر عيدا في كل سنة من سنيهم القبطية منها سبعة أعياد يسمونها أعيادا كبارا، وسبعة يسمونها أعيادا صغارا. فالأعياد الكبار عندهم: عيد البشارة، وعيد الزيتونة، وعيد الفصح، وعيد خميس الأربعين، وعيد الخميس، وعيد الميلاد، وعيد الغطاس.." (١)

"عيد الميلاد: يزعمون أنه اليوم الذي ولد فيه المسيح، وهو يوم الاثنين فيحيون عشية ليلة الميلاد، وسنتهم فيه كثرة الوقود بالكنائس، وتزيينها، ويعملونه بمصر في التاسع والعشرين من كيهك ولم يزل بديار مصر من المواسم المشهورة، فكان يفرق فيه أيام الدولة الفاطمية على أرباب الرسوم من الأستاذين المحنكين، والأمراء المطوقين، وسائر الموالي من الكتاب وغيرهم، الجامات من الحلاوة القاهرية، والمثارد التي فيها السميذ، وقربات الجلاب، وطمافير الزلابية، والسمك المعروف بالبوري، ومن رسم النصارى في الميلاد اللعب بالنار. ومن أحسن ما قيل:

ما اللعب بالنار في الميلاد من سفه ... وإنما فيه للإسلام مقصود

ففيه بهت النصارى أن ربهم ... عيسى ابن مريم مخلوق ومولود

وأدركنا الميلاد بالقاهرة ومصر، وسائر إقليم مصر موسما جليلا يباع فيه من الشموع المزهرة بالأصباغ المليحة، والتماثيل البديعة بأموال لا تنحصر، فلا يبقى أحد من الناس أعلاهم وأدناهم حتى يشتري من ذلك

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٣٣٠

لأولاده وأهله، وكانوا يسمونها: الفوانيس، واحدها فانوس، ويعلقون منها في الأسواق بالحوانيت شيئا يخرج عن الحد في الكثرة والملاحة، ويتنافس الناس في المغالات في أثمانها حتى لقد أدركت شمعة عملت فبلغ مصروفها : ألف درهم وخمسمائة درهم فضة عنها يومئذ ما ينيف على سبعين مثقالا من الذهب واعرف السؤال في الطرقات أيام هذه المواسم، وهم يسألون الله أن يتصدق عليهم بفانوس، فيشتري لهم من صغار الفوانيس، ما يبلغ ثمنه الدرهم، وما حوله ثم لما اختلت أمور مصر، كان من جملة ما بطل من عوايد الترف، عمل الفوانيس في الميلاد إلا قليلا.

الغطاس: ويعمل بمصر في اليوم الحادي عشر من شهر طوبة ، وأصله عند النصارى، أن يحيى بن زكرياء عليهما السلام المعروف عندهم بيوحنا المعمداني: عمد المسيح أي غسله في بحيرة الأردن، وعندما خرج المسيح عليه السلام من الماء، اتصل به روح القدس، فصار النصارى لذلك يغمسون أولادهم في الماء في هذا اليوم، وينزلون فيه بأجمعهم، ولا يكون ذلك إلا في شدة البرد، ويسمونه يوم الغطاس، وكان له بمصر موسم عظيم إلى الغاية.

قال المسعودي: ولليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لا ينام الناس فيها، وهي ليلة الحادي عشر من طوبه، ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر، والإخشيد محمد بن طفج أمير مصر في داره المعروفة بالمختار في الجزيرة الراكبة للنيل، والنيل يطيف بها، وقد أمر فأسرج في جانب الجزيرة، وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع، وقد حضر بشاطئ النيل في تلك الليلة آلاف من الناس من المسلمين، ومن النصارى منهم في الزواريق، ومنهم في الدور الدانية من النيل، ومنهم على سائر الشطوط لا يتناكرون كل ما يمكنهم إظهاره من المآكل والمشارب والملابس، وآلات الذهب والفضة، والجوهر والملاهي، والعزف والقصف، وهي أحسن ليلة تكون بمصر، وأشملها سرورا، ولا تغلق فيها الدروب، ويغطس أكثرهم في النيل، ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ونشزة للداء. وقال المسبحي في تاريخه: من حوادث سنة سبع وستين وثلثمائة: منع النصارى من إظهار ما كانوا يفعلونه في الغطاس من الاجتماع، وزول الماء، وإظهار الملاهي، ونودي أن من عمل ذلك نفي من الحضرة، وقال في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة : كان الغطاس فضربت الخيام والمضارب والأسرة في عدة مواضع على شاطئ النيل، ونصبت أسرة للرئيس فهد بن إبراهيم النصراني كاتب الأستاذ برجوان وأوقدت الشموع والمشاعل، وحضر المغنون والملهون، وجلس مع أهله يشرب إلى أن كان وقت الغطاس، فغطس وانصرف.." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٣٢/١

"وقال: في سنة إحدى وأربعمائة، وفي ثامن عشري جمادى الأولى، وهو عاشر طوبه منع النصارى من الغطاس، وفلم يغطس أحد منهم في البحر، وقال: في حوادث سنة خمس عشرة وأربعمائة، ولي ليلة الأربعاء رابع ذي القعدة، كان غطاس النصارى، فجرى الرسم من الناس في شراء الفواكه والضأن وغيره، ونزل أمير المؤمنين الظاهر لإعزاز دين الله لقصر جده العزيز بالله في مصر، لنظر الغطاس، ومعه الحرم، ونودي أن لا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم في البحر في النيل، وضرب بدر الدولة الخادم الأسود متولي الشرطتين، خيمة عند الجسر، وجلس فيها وأمر أمير المؤمنين بأن توقد النار والمشاعل في الليل، وكان وقيدا كثيرا، وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران، فقسسوا هناك طويلا إلى أن غطسوا، وقال ابن المأمون في تاريخه: من حوادث سنة سبع عشرة وخمسمائة، وذكر الغطاس، ففرق أهل الدولة ما جرت به العادة لأهل الرسوم من ال‍أترج والنارنج والليمون في المراكب، وأطنان القصب والبوري بحسب الرسوم المقررة بالديوان لكل واحد.

الختان: يعمل في سادس شهر بؤونة ويزعمون أن المسيح ختن في هذا اليوم، وهو الثامن من الميلاد، والقبط من دون النصارى تختن بخلاف غيرهم.

الأربعون: هو عندهم دخول المسيح الهيكل، ويزعمون أن سمعان الكاهن: دخل بالمسيح مع أمه، وبارك عليه، ويعمل في ثامن شهر أمشير .

خميس العهد: ويعمل قبل الفصح بثلاثة أيام، وسنتهم فيه أن يملؤوا إناء من ماء، ويزمزمون عليه، ثم يغسل للتبرك به أرجل سائر النصارى، ويزعمون أن المسيح فعل هذا بتلامذته في مثل هذا اليوم كي يعلمهم التواضع، ثم أخذ عليهم العهد أن لا يتفرقوا، وأن يتواضع بعضهم لبعض، وعوام **أهل مصر** في وقتنا يقولون: خميس العدس من أجل أن النصارى تطبخ فيه العدس المصفى، ويقول أهل الشام: خميس الأرز وخميس البيض، ويقول أهل الأندلس: خميس أبريل، وأبريل اسم شهر من شهورهم، وكان في الدولة الفاطمية تضرب في خميس العدس هذا خمسمائة دينار، فتعمل خراريب تفرق في أهل الدولة برسوم مفردة كما ذكر في أخبار القصر عند ذكر دار الضرب من هذا الكتاب، وأدركنا خميس العدس هذا في القاهرة ومصر، وأعمالها من جملة المواسم العظيمة، فيباع في أسواق القاهرة من البيض المصبوغ عدة ألوان ما يتجاوز حد الكثرة، فيقامر به العبيد والصبيان والغوغاء، وينتدب لذلك من جهة المحتسب من يردعهم في بعض الأحيان، ويهادي النصارى بعضهم بعضا، ويهدون إلى المسلمين أنواع السمك المنوع مع العدس المصفى، والبيض، وقد بطل ذلك لما حل بالناس وبقيت منه بقية.

سبت النور: وهو قبل الفصح بيوم، ويزعمون: أن النور يظهر على قبر المسيح بزعمهم في هذا اليوم بكنيسة القيامة من القدس، فتشعل مصابيح الكنيسة كلها، وقد وقف أهل الفصح، والتفتيش على أن هذا من جملة مخاريق النصارى، لصناعة يعملونها، وك ان بمصر هذا اليوم من جملة المواسم، ويكون ثالث يوم من خميس العدس، ومن توابعه.

حد الحدود: وهو بعد عيد الفصح بثمانية أيام فيعمل أول أحد بعد الفطر لأن الآحاد قبله مشغولة بالصوم، وفيه يجدون الآلات والأثاث واللباس، ويأخذون في المعاملات، والأمور الدنيوية والمعاش.

عيد التجلي: يعمل في ثالث عشر شهر مسرى يزعمون أن المسيح تجلى لتلاميذه بعدما رفع، وتمنوا عليه أن يحضر لهم إيلياء، وموسى عليهما السلام، فأحضرهما إليهم بمصلى بيت المقدس، ثم صعد إلى السماء وتركهم.

عيد الصليب: ويعمل في اليوم السابع عشر من شهر توت ، وهو من الأعياد المحدثة، وسببه ظهور الصليب بزعمهم على يد هيلانة أم قسطنطين، وله خبر طويل عندهم ملخصه ما أنت تراه.." (١)

"الحد، فلما قدمت الدولة الفاطمية إلى ديار مصر، وبنوا القاهرة، واستوطنوها، وكانت خلافة أمير المؤمنين العزيز بالله أمر في رابع شهر رجب في سنة إحدى وثمانين وثلثمائة، وهو يوم الصليب، فمنع الناس من الخروج إلى بني وائل وضبط الطرق والدروب، ثم لما كان عيد الصليب في اليوم الرابع عشر من شهر رجب سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة خرج الناس فيه إلى بني وائل، وجروا على عادتهم في الاجتماع واللهو، وفي صفر سنة اثنتين وأربعمائة قرئ في سابعه سجل بالجامع العتيق وفي الطرقات كتب عن الحاكم بأمر الله يشتمل على منع النصارى من الاجتماع على عمل عيد الصليب، وأن لا يظهروا بزينتهم فيه، ولا يقربوا كنائسهم، وأن يمنعوا منها ثم بطل ذلك، حتى لم يكد يعرف اليوم بديار مصر البتة.د، فلما قدمت الدولة الفاطمية إلى ديار مصر، وبنوا القاهرة، واستوطنوها، وكانت خلافة أمير المؤمنين العزيز بالله أمر في رابع شهر رجب في سنة إحدى وثمانين وثلثمائة، وهو يوم الصليب، فمنع الناس من الخروج إلى بني وائل وضبط الطرق والدروب، ثم لما كان عيد الصليب في اليوم الرابع عشر من شهر رجب سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة خرج الناس فيه إلى بني وائل، وجروا على عادتهم في الاجتماع واللهو، وفي صفر سنة اثنتين وأربعمائة قرئ في سابعه سجل بالجامع العتيق وفي الطرقات كتب عن الحاكم بأمر الله يشتمل على منع النصارى من الاجتماع على عمل عيد الصليب، وأن لا يظهروا بزينتهم فيه، ولا يقربوا كنائسهم، وأن يمنعوا

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٣٣٣

منها ثم بطل ذلك، حتى لم يكد يعرف اليوم بديار مصر البتة.

النيروز: هو أول السنة القبطية بمصر، وهو أول يوم من توت، وسنتهم فيه إشعال النيران، والتراش بالماء، وكان من مواسم لهم المصريين قديما وحديثا. قال ابن وهب: بردت النار في الليلة التي ألقي فيها إبراهيم، وفي صبيحتها على الأرض كلها، فلم ينتفع بها أحد في الدنيا تلك الليلة، وذلك الصباح، فمن أجل ذلك بات الناس على النار في تلك الليلة التي رمي فيها إبراهيم عليه السلام، ووثبوا عليها، وتبخروا بها، وسموا تلك الليلة: نيروزا، والنيروز في اللسان السرياني: العيد. وسئل ابن عباس عن النيروز لم اتخذوه عيدا، فقال: إنه أول السنة المستأنفة وآخر السنة المنقطة، فكانوا يستحبون أن يقدموا فيه على ملوكهم بالطرف، والهدايا، فاتخذته الأعاجم سنة.." (١)

"قال الحافظ أبو القاسم علي بن عساكر في تاريخ دمشق من طريق ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن فرعون لما قال للملأ من قومه: إن هذا الساحر عليم، قالوا له: ابعث إلى السحرة، فقال فرعون لموسى: يا موسى اجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن، ولا أنت، فتجتمع أنت وهارون وتجتمع السحرة، فقال موسى: موعدكم يوم الزينة، قال: ووافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة، وهو يوم النيروز، وفي رواية: أن السحرة قالوا لفرعون: أيها الملك واعد الرجل، فقال: قد واعدته يوم الزينة، وهو عيدكم الأكبر، ووافق ذلك يوم السبت، فخرج الناس لذلك اليوم، قال: والنوروز أول سنة الفرس، هو الرابع عشر من آذار، وفي شهر برمهات، ويقال: أول من أحدثه جمشيد من ملوك الفرس، وإنه ملك الأقاليم السبعة، فلما كمل ملكه، ولم يبق له عدو اتخذ ذلك اليوم عيدا، وسماه نوروزا في اليوم الجديد، وقيل: إن سليمان بن داود عليهما السلام، أول من وضعه في اليوم الذي رجع إليه فيه خاتمه، وقيل: هو اليوم الذي شفي فيه أيوب عليه السلام، وقال الله سبحانه وتعالى له: " اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب " " ص ٤٢ " فجعل ذلك اليوم عيدا، وسنوا فيه رش الماء، ويقال: كان بالشام سبط من بني إسرائيل أصابهم الطاعون، فخرجوا إلى العراق، فبلغ ملك العجم خبرهم، فأمر أن تبنى عليهم حظيرة يجعلون فيها، فلما صاروا فيها ماتوا، وكانوا أربعة آلاف رجل، ثم إن الله تعالى أوحى إلى نبي ذلك الزمان أرأيت بلاد كذا وكذا، فحاربهم بسبط بني فلان، فقال: يا رب كيف أحارب بهم، وقد ماتوا، فأوحى الله إليه: إني أحييهم لك، فأمطرهم الله ليلة من الليالي في الحظيرة، فأصبحوا أحياء فهم الذين قال الله فيهم: " ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم " " البقرة ٢٤٣ " فرفع أمرهم إلى ملك فارس، فقال:

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٣٣٥

تبركوا بهذا اليوم، وليصب بعضكم على بعض الماء، فكان ذلك اليوم يوم النوروز، فصارت سنة إلى اليوم، وسئل الخليفة المأمون عن رش الماء في النوروز، فقال قول الله تعالى: " ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم " " البقرة ٢٤٣ " هؤلاء قوم أجدبوا تقول مات فلان هزالا فغيثوا في هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا، فأخصب بلدهم، فلما أحياهم الله بالغيث، والغيث يسمى الحيا جعلوا صب الماء في مثل هذا اليوم سنة يتبركون بها إلى يومنا هذا.

وقد روي: أن الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف قوم من بني إسرائيل فروا من الطاعون، وقيل: أمروا بالجهاد، فخافوا الموت بالقتل في الجهاد، فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك، فأماتهم الله ليعرفهم أنه لا ينجيهم من الموت شيء، ثم أحياهم على يد حزقيل أحد أنبياء بنى إسرائيل في خبر طويل قد ذكره أهل التفسير.

وقال علي بن حمزة الأصفهاني في كتاب أعياد الفرس: إن أول من اتخذ النيروز، جشميد، ويقال: جمشاد أحد ملوك الفرس الأول، ومعنى النوروز اليوم الجديد، والنوروز عند الفرس يكون يوما الاعتدال الربيعي، كما أن المهرجان أول الاعتدال الخريفي، ويزعمون أن النوروز أقدم من المهرجان، فيقولون: إن المهرجان كان في أيام أفريدون، وإنه أول من عمله لما قتل الضحاك، وهو بيوراست، فجعل يوم قتله عيدا سماه المهرجان، وكان حدوثه بعد النوروز بألفي سنة وعشرين سنة.

وقال ابن وصيف شاه في ذكر مناوش بن منقاوش أحد ملوك القبط في الدهر القديم: وهو أول من عمل النوروز بمصر، فكانوا يقيمون سبعة أيام يأكلون ويشربون إكراما للكواكب.

وقال ابن رضوان: ولما كان النيل هو السبب الأعظم في عمارة أرض مصر، رأى **المصريون** القدماء، وخاصة الذين كانوا في عهد قلديانوس الملك أن يجعلوا أول السنة في أول الخريف عن استكمال النيل الحاجة في الأمر الأكثر، فجعلوا أول شهورهم توت، ثم بابه ثم هاتور، وعلى هذا الولاء بحسب المشهور من ترتيب هذه الشهور.

وقال ابن زولاق: وفي هذه السنة، يعني سنة ثلاث وستين وثلثمائة، منع أمير المؤمنين المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز في السكك، ومن صب الماس يوم النوروز.." (١)

"نوروز الناس ونورزت ولكن بدموعي

وذكت نارهم والنار ما بين ضلوعي

وقال آخر:

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٣٦/١

ولما أتى النوروز يا غاية المنى ... وأنت على الأعراض والهجر والصد

بعثت بنار الشوق ليلا إلى الحشا ... فنورزت صبحا بالدموع على الخد

ما يوافق أيام الشهور القبطية

من الأعمال في الزراعات وزيادة النيل، وغير ذلك على ما نقله **أهل مصر** عن قدمائهم واعتمدوا عليه في أمورهم

اعلم: أن **المصريين** القدماء اعتمدوا في تاريخهم السنة الشمسية كما تقدم ذكره ليصير الزمان محفوظا، وأعمالهم واقعة في أوقات معلومة من كل سنة، لا يتغير وقت عمل من أعمالهم بتقديم ولا تأخير البتة.

توت: بالقبطي هو أيلول، وكانت عادة مصر مذ عهد فراعنتها في استخراج خراجها، وجباية أموالها إنه لا يستتم استيفاء الخراج من أهلها، إلا عند تمام الماء، وافتراشه على سائر أرضها، ويقع إتمامه في شهر توت، فإذا كان كذلك، وربما كانت زيادة عن ذلك أطلق الماء في جميع نواحيها من ترعها، ثم لا يزال يترجح في الزيادة والنقصان، حتى يفرغ توت، وفي أول يكون يوم النوروز، ورابعه أول أيلول، وسابعه يلقط الزيتون، وثاني عشره يطلع الفجر بالصرفة ، وسابع عشره عيد الصليب، فيشرط البلسان، ويستخرج دهنه، ويفتح ما يتأخر من الأبحر والترع، وترتب المدامسة لحفظ الجسور، وفي ثامن عشره تنقل الشمس إلى برج الميزان، فيدخل فصل الخريف، وفي خامس عشريه يطلع الفجر بالعوا ، ويكبر صغار السمك، وفي هذا الشهر يعم ماء النيل أراضي مصر، وفيه تسجل النواحي، وتسترفع السجلات والقوانين، وتطلق التقاوي من الغلال لتخضير الأراضي، وفيه يدرك الرمان والبسر والرطب والزيتون والقطن والسفرجل، وفيه يكون هبوب ريح الشمال أقوى من هبوب ريح الجنوب، وهبوب الصبا أقوى من الدبور، وكان قدماء **المصريين** لا ينصبون فيه أساسا وفيه يكثر بمصر العنب الشتوي وتبذر المحمضات.

بابه: في أوله يحصد الأرز. ويزرع الفول والبرسيم، وسائر الحبوب التي لا تشق لها الأرض، وفي رابعه أول تشرين الأول، وفي ثامنه طلوع الفجر بالسماك ، وهو نهاية زيادة النيل، وابتداء نقصه، وقد لا يتم الماء فيه، فيعجز بعض الأرض عن أن يركبها الماء، فيكون من ذلك نقص الخراج عن الكمال، وفي تاسعه يكون مجيء الكراكي إلى أرض مصر، وفي عاشره يزرع الكتان، وفي ثاني عشره يكون ابتداء شق الأرض بصعيد مصر لبذر القمح، والشعير، وفي ثامن عشره تنقل الشمس إلى برج العقرب، ويقطع الخشب، وفي تاسع عشره يكون ابتداء نقص ماء النيل، ويكثر البعوض، وفي حادي عشريه يطلع الفجر بالغفر .

وفي هذا الشهر تصرف المياه عن الأراضي، ويخرج المزارعون لتخضير الأراضي فيبدأون ببذر زراعة القرط،

ثم بزراعة الغلة البدرية أولا فأولا، وفيه يستخرج دهن الآس، ودهن النيلوفر، ويدرك التمر والزبيب والسمسم والقلقاس، فيه يكثر صغار السمك، ويقل كباره، ويسمن الراي، والأبرميس من السمك خاصة، وتستحكم حلاوة الرمان، ويكون فيه أطيب منه في سائر الشهور التي يكون فيها، ويضع الضأن والمعز والبقر الخيسية، وفيه يملح السمك المعروف بالبوري، ويهزل الضأن والمعز والبقر، ولا تطيب لحومها، وتدر المحمضات، وفيه يجب كتابة التذاكر بالأعمال القوصية، وفيه يغرس المنثور، ويزرع السلجم.

هاتور: في خامسه يكون أول تشرين الثاني، ويطلع الفجر بالزبانا في رابعه، وفي سادسه يزرع الخشخاش، وفي سابعه يصرف ماء النيل عن أراضي الكتان، ويبذر في النصف منه، وبعد تمام شهر يسبخ، وفي ثامنه أوان المطر الموسمي، وفي حادي عشره تهب ريح الجنوب، وفي خامس عشره تبرد المياه بمصر، وفي سابع عشره يطلع الفجر بالإكليل، وفي ثامن عشره تحل الشمس برج القوس، وفي تاسع عشره يغلق البحر الملح، وفي سابع عشريه تهب الرياح اللواقح.." (١)

"وفي هذا الشهر يلبس **أهل مصر** الصوف من سابعه، وفيه يكسر ما يحتاج إليه من قصب السكر برسم المعاصر، وبراح الغلة في جميع ما يحتاج إليه فيها، ويهتم بعلف أبقارها وجمالها بعد بيع شارفها وعاجزها، والتعويض عنه بغيره، وأفراد الأتبان برسم وقود القنود، وترتيب القوامصة لعمل الأباليح والقواديس، والأمطار برسم القنود، والأعسال، وفيه يدرك البنفسج، والنيلوفر، والمنثور، ومن البقولات الإسباناخ والبلسان، واختار قدماء **المصريين** في هاتور نصب الأساسات، وزرع القمح، وأطيب حملان السنة حمله، وفيه يكثر العنب الذي كان يحمل من قوص.

كهيك: أوله الأربعينات بمصر، ويدخل الطير وكره، وفي سادسه بشارة مريم بحمل عيسى عليهما السلام، وفي سابعه أول كانون الأول، وفي عاشره آخر الليالي البلق، وأولها أول هاتور، وفي حادي عشره أول الليالي السود، ويدخل النمل الأحجرة، وفي ثالث عشره يطلع الفجر بالشولة ، وتظهر البراغيث، ويسخن باطن الأرض، وفي سادس عشره يسقط ورق الشجر، وفي سابع عشرة تنقل الشمس إلى برج الجدي، فيدخل فصل الشتاء، ويزرع الهليون، في حادي عشريه يكون آخر الليالي البلق، وفي ثاني عشريه عيد البشارة، وفي ثالث عشريه تزرع الحلبة والترمس، وفي سادس عشريه يطلع الفجر بالنعائم ، وفي ثامن عشريه يبيض النعام، وفي تاسع عشريه الميلاد.

وفي هذا الشهر يزرع الخيار بعد إغراق أرضه، وفيه يتكامل بذر القمح والشعير والبرسيم الحراثي، وفيه

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٣٨/١

يستخرج خراج البرسيم بدار الوجه القبلي، وفيه ترتب حراس الطير، وفيه كسر قصر السكر واعتصاره، واستخدام الطباخين لطبخ القنود، وفيه يكون إدراك النرجس، والمحمضات، والفول الأخضر، والكرنب والجزر والكراث الأبيض واللفت، وفيه يقل هبوب ريح الشمال، ويكثر هبوب ريح الجنوب، وفيه يجود الجدا، ويكون أطيب منها في جميع الشهور التي يكون فيها، وفيه نزرع أكثر حبوب الحرث، ولا يزرع بعده في شيء من أرض مصر غير السمسم، والمقاثي والقطن.

طوبه: في ثالثه ابتداء زراعة الحمص والجلبان والعدس، وفي سادسه أول كانون الثاني، وفي تاسعه يطلع الفجر بالبلد ، وعاشره صوم الغطاس، وحادي عشره الغطاس، وفي ثاني عشره يشتد البرد، وفي رابع عشره يرتفع الوباء بمصر، ويغرس النخل، وفي سابع عشره تحل الشمس أول برج الدلو، ويكثر الندى، ويكون ابتداء غرس الأشجار، وفي العشرين منه يكون آخر الليالي السود، وحادي عشريه الليالي البلق الثانية، وفي ثاني عشريه يطلع الفجر بسعد الذابح . وفي ثالث عشريه تهب الرياح الباردة، وفي رابع عشريه تفرخ جوارح الطير، وفي خامس عشريه يكون نتاج الإبل المحمودة، وفي سابع عشريه يصفو ماء النيل، وفي ثامن عشريه يتكامل إدراك القرط.

وفي هذا الشهر تقلم الكروم، وينظف زرع الغلة من اللبسان وغيره، وينظف زرع الكتان من الفجل وغيره، وفيه تبرش ا؟لأراضي أول سكة برسم الصيافي والمقاثي والقطن والسمسم، وينتهي برشها في أول أمشير، وفيه تسقى أرض القلقاس والقصب، وتشق الجسور في آخره، وفيه تستخرج أراضي الخرس، ويكسر القصب الراس بعد إفراز ما يحتاج إليه من الزريعة، وهو لكل فان طين قيراط طيب قصب راس، وفيه يهتم بعمارة السواقي وحفر الآبار، وابتياع الأبقار، وفيه يظهر اللوز الأخضر والنبق والهليون، وفيه أيضا يكون هبوب ريح الجنوب أكثر من هبوب الشمال، وهبوب الصبا أكثر من هبوب الدبور، وفيه يكون الباقلا الأخضر والجزر أطيب منهما في غيره، وفيه يتناهي ماء النيل في صفائه، ويخزن فلا يتغير في أوانيه، ولو طال لبثه فيها، وفيه تطيب لحوم الضأن أطيب منها في سائر الشهور، وفيه تربط الخيول والبغال على القرط من أجل ربيعها، و بطوبه يطالب الناس بافتتاح الخراج، ومحاسبة المتقبلين على الثمن من السجلات من جميع ما بأيديهم من المحلول والمعقود.

أمشير: في أوله تختلف الرياح، وفي خامسه يطلع الفجر بسعد بلع ، وفي سادسه يكون أول شباط، وفي تاسعه يجري الماء في العود، وحادي عشره أول جمرة باردة، وسادس عشره تحل الشمس بأول برج الحوت، وفي سابع عشره يخرج النمل من الأحجرة، وفي ثامن عشره يطلع الفجر بسعد السعود ، وفي العشرين منه

ثاني جمرة فاترة، وفي ثالث عشريه تقلم الكروم، وخامس عشريه يفرخ النحل، وسابع عشريه ثالث جمرة حامية، ويورق الشجر، وهو آخر غرسها، وفي آخره يكون آخر الليالي البلق.." (١)

"وقال القاضي السعيد ثقة الثقات ذو الرياستين أبو الحسن علي بن القاضي المؤتمن ثقة الدولة أبي عمرو عثمان بن يوسف المخزومي في كتاب المنهاج في علم الخراج: والسنة الخراجية مركبة على حكم السنة الشمسية لأن السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم، ورتب **المصريون** سنتهم على ذلك ليكون أدار الخراج عند إدراك الغلات من كل سنة، ووافقها السنة القبطية، لأن أيام شهورها ثلثمائة وستون يوما، ويتبعها خمسة أيام النسيء وربع يوم بعد تقضي مسرى، وفي كل أربع سنين تكون أيام النسيء ستة أيام، لينجبر الكسر.." (٢)

"اعلم: أن هذا القصر أحدث بعد خراب مصر على يد بخت نصر، وقد اختلف في الوقت الذي بني فيه، ومن أنشأه من الملوك، فذكر الواقدي: أن الذي بناه اسمه: الريان بن الوليد بن أرسلاوس، كان هذا القصر يوقد عليه الشمع في رأس كل شهر، وذلك أنه إذا حلت الشمس في برج من البروج أوقد في تلك الليلة الشمع في رأس كل شهر، وذلك أنه إذا حلت الشمس في برج من البروج أوقد في تلك الليلة الشمع على رأس ذلك القصر، فيعلم الناس بوقود الشمع أن الشمس انتقلت من البرج الذي كانت فيه إلى برج آخر غيره، ولمي يزل القصر على حاله، إلى أن خربت مصر زمن بخت نصر بن نيروز الكلداني، فأقام خرابا خمسمائة سنة، ولم يبق منه إلا أثره فقط، فلما غلب الروم على مصر، وملكوها من أيدي اليونانيين، ولي مصر من قبلهم رجل يقال له: أرجاليس بن مقراطيس فبنى القصر على ما وجد من أساسه.

وقال ابن سعيد: وصارت مصر والشام بعد بخت نصر في مملكة الفرس، فوليهامنهم: كشرجوش الفارسي باني قصر الشمع، وبعده طخارست الطويل الولاية، وتوالت بعده نواب الفرس إلى ظهور الإسكندر، وقال غيره: إن الذي بناه طخشاشت أحد ملوك الفرس عندما سار لمحاربة **أهل مصر**، فلما غلب قسطو ملك مصر الذي يعرف بفرعون سابان، وفر منه إلى مقدونية غلب على ملك مصر، واستولى عليها وبنى للفرس قصرا، وجعل فيه بيت نار على شاطئ النيل الشرقي، وعرف بقصر الشمع لأنه كان له باب يقال له: باب الشمع، وجعل في القصر بيت نار وهو باق.

وقال ابن عبد الحكيم عن الليث بن سعد: وكانت الفرس قد أسست بناء الحصن الذي يقال له: باب اليون

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٣٣٩

(٢) المواعظ والاعتبار، ١/٣٤٥

، وهو الحصن الذي بفسطاط مصر اليوم، فلما انكشفت جموع فارس عن الروم، وأخرجتهم الروم من الشام أتمت بناء ذلك الحصن، وأقامت به، فلم تزل مصر في ملك الروم حتى فتحها الله تعالى على المسلمين قال: وكان أبو الأسود نصر بن عبد الجبار يقولها بالميم، يعني باب اليوم، ويقال: إنما سمي كذا لأنهم كانوا يقولون: من يقاتل اليوم.

وقال القضاعي: ذكر الحصن المعروف بقصر الشمع يقال: إن فارس لما ظهرت على الروم وملكت عليهم الشام، وملكت مصر بدأت ببناء هذا القصر، وبنت فيه هيكلا لبيت النار، ولم يتم بناؤه على أيديهم إلى أن ظهرت الروم عليهم، فتممت بناءه وحصنته، ولم تزل فيه إلى حين الفتح، وهيكل الناس هو القبة المعروفة اليوم بقبة الدخان، وبحضرتها مسجد معلق أحدثه المسلمون.

وقال أبو عبيد البكري: باب اليون بمصر إن كان عربيا، فإنه مثل يوم، ويوح مما فاؤه ياء، وعينه واو، وقد يجوز أن يكون فعلا من بين، وهو اسم موضع على مذهب أبي الحسن في فعل من البيع بوع قال: وليست الألف واللام فيه للتعريف، فعلى هذا يجب أن تثبت في الرسم، وقال أبو صخر:

وحلوا تهامي أرضنا وتبدلوا ... بمكة باب اليون والربط بالعصب

والرواية في شعر كثير عزة في قوله:

جرى بين باب اليون والعصب دونه ... رياح أشفت بانقي وأشمت

بالباء، وبفتح النون غير مجرور للعجمة على أن همزته مقطوعة، وصلها للضرورة. وقال الحازمي: باب البون بالباء اسم مدينة مصر فتحها المسلمون، وسموها الفسطاط، وقال عبد الملك بن هشام بابليون المنسوب إليه مصر هو: بابليون بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وأن من ولده عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن سبا، وهو الملك على مصر لما قدم إليها إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه، والقبط تسمي عمرا هذا: طوطيس، ومن ولده حلوان بن بابليون بن عمرو بن امرئ القيس، وبه سميت حلوان.

وقال القاضي القضاعي: في ظاهر الفسطاط القصر المعروف بباب ليون بالشرف، ليون اسم بلد مصر بلغة السودان والروم، وقد بقيت من بنائه بقية مبنية بالحجارة على طرف الجبل بالشرف، وعليه اليوم مسجد.." (١)

"وقال آخرون: بل فتحت مصر عنوة بلا عهد، ولا عقد. قال سفيان بن وهب الخولاني: لما افتتحنا مصر بغير عهد، ولا عقد، قام الزبير بن العوام فقال: اقسمها يا عمرو بن العاص، فقال عمرو: والله لا

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٦١/١

أقسمها، فقال الزبير: والله لنقسمنها، كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر، فقال عمرو: والله لا أقسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين، فكتب إلى عمر، فكتب إليه عمر: أقرها حتى يغزو منها حبل الحبلة، وصولح الزبير على شيء أرضي به، وقال ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة: إن مصر فتحت عنوة، وعن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال: سمعت أشياخنا يقولون: إن مصر فتحت عنوة بغير عهد، ولا عقد منهم، أبي يحدثنا عن أبيه، وكان فيمن شهد فتح مصر، وعن أبي الأسود عن عروة: إن مصر فتحت عنوة، وعن عمرو بن العاص أنه قال: لقد قعدت مقعدي هذا، وما لأحد من قبط مصر علي عهد، ولا عقد إلا أهل أنطابلس كان لهم عهد يوفي به إن شئت قبلت، وإن شئت خمست، وإن شئت بعت. وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن: أن عمرو بن العاص فتح مصر بغير عهد، ولا عقد، وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حبس درها وضرعها أن يخرج منه شيء نظرا للإسلام وأهله.

وعن يزيد بن أسلم قال: كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين أحد ممن عاهده، فلم يوجد فيه **لأهل مصر** عهد، فمن أسلم منهم أقامه ومن أقام منهم قومه، وكتب حيان بن شريح إلى عمر بن عبد العزيز يسأله أن يجعل جزية موتي القبط على أحيائهم، فسأل عمر عراك بن مالك، فقال عراك: ما سمعت لهم بعهد ولا عقد وإنما أخذوا عنوة بمنزلة العبيد، فكتب عمر إلى حيان: أن يجعل جزية موتي القبط على أحيائهم، وقال يحيى بن عبد الله بن بكير: خرج أبو سلمة بن عبد الرحمن يريد الإسكندرية في سفينة، فاحتاج إلى رجل يجذف، فسخر رجلا من القبط، فكلم في ذلك، فقال: إنما هم بمنزلة العبيد إن احتجنا إليهم.

وقال ابن لهيعة عن الصلت بن أبي عاصم: إنه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز إلى حيان بن شريح: أن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد.

وعن عبيد الله بن أبي جعفر: أن كاتب حيان حدثه: أنه احتيج إلى خشب لصناعة الجزيرة، فكتب حيان إلى عمر بن عبد العزيز يذكر ذلك له، وأنه وجد خشبا عند بعض أهل الذمة، وأنه كره أن يأخذها منهم حتى يعلمه، فكتب إليه عمر: خذها منهم بقيمة عدل، فإني لم أجد **لأهل مصر** عهدا أفي لهم به، وقال عمر بن عبد العزيز لسالم: أنت تقول ليس **لأهل مصر** عهد؟ قال: نعم. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أ، عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب في رهبان يترهبون بمصر، فيموت أحدهم، وليس له واره، فكتب إليه عمر: أن من كان منهم له عقب، فادفع ميراثه إلى عقبه، فإن لم يكن له عقب، فاجعل ماله في بيت مال المسلمين، فإن ولاءه للمسلمين.

وقال ابن شهاب: كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة، وبعضها عنوة، فجعلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه جميعها ذمة، وحملهم على ذلك، فمضى ذلك فيهم إلى اليوم، واشترى الليث بن سعد شيئا من أرض مصر لأنه كان يحدث عن يزيد بن أبي حبيب: أ، مصر صلح، وكان مالك بن أنس ينكر على الليث ذلك، وأنكر عليه أيضا عبد الله بن لهيعة، ونافع ين يزيد لأن مصر عندهم كانت عنوة.

من شهد فتح مصر من الصحابة

رضي الله عنهم." (١)

"اعلم: أن عدة من ولي مصر من الأمراء في الإسلام منذ فتحت، وسكن الفسطاط إلى أن بني العسكر تسعة وعشرون أميرا في مدة مائة وثلاث عشرة سنة وسبعة أشهر، أولها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة النبوية، وهو يوم فتح مصر، وآخرها سلخ شهر رجب سنة ثلاث ومائة آخر ولاية صالح بن علي بن عبد الله بن عباس على مصر، وأول ولاية أبي عون عبد الملك، وهو أول من سكن العسكر من أمراء مصر.

وأول أمراء الفسطاط بعد الفتح على ما ذكر الكندي وغيره: عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك: أبو عبد الله، كان تاجرا في الجاهلية، وكان يختلف بتجارته إلى مصر، وهي الأدم والعطر، ثم ضرب الدهر ضرباته حتى فتح المسلمون الشأم، فخلا بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فاستأذنه في المسير إلى مصر، فسار في سنة تسع عشرة، وأتى الحصن، فحاصره سبعة أشهر إلى أن فتحه في يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين، وقيل: كان فتح مصر في ثاني عشر بؤنة سنة سبع وخمسين وثلثمائة لدقلطيانوس، فعلى هذا يكون فتح مصر في سنة تسع عشرة من الهجرة، وتحرير ذلك أن الذي بين يوم الجمعة أول يوم من ملك دقلطيانوس، وبين يوم الخميس أول سنة الهجرة ثمان وثلاثون وثلثمائة سنة فارسية، وتسعة وثلاثون يوما، فإذا ألغينا ذلك من تاريخ مصر في ثاني عشر بؤنة سنة سبع وخمسين وثلثمائة بقي ثمان عشر سنة، وثمانية أشهر وثلاثة أيام، وهذه سنون شمسية عنها من سني القمر تسع عشر سنة وشهر وثلاثة عشر يوما، فيكون ذلك في ثالث عشر ربيع الأول سنة عشرين، فلعل الوهم وقع في الشهر القبطي، وحاز الحصن بما فيه، وسار إلى الإسكندرية في ربيع الأول منها، فحاصرها ثلاثة أشهر، ثم فتحها عنوة، وهو الفتح الأول، ويقال: بل فتحها مستهل سنة إحدى وعشرين، ثم سار عنها إلى برقة، فافتتحها عنوة في سنة اثنتين وعشرين، وقيل: في سنة ثلاث

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٧١/١

وعشرين، وقدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدمتين استخلف في إحداهما زكريا بن جهم العبدري، وفي الثانية ابنه عبد الله، وتوفي عمر رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وبويع أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، فوفد عليه عمرو، وسأله عزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن صعيد مصر، وكان عمر ولاه الصعيد، فامتنع من ذلك عثمان، وعقد لعبد الله بن سعد على مصر كلها، فكانت ولاية عمرو على مصر: صلاتها وخراجها، منذ افتتحها إلى أن صرف عنها أربع سنين وأشهرا.

عبد الله بن سعد بن أبي سرح، واسمه الحسام بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، ولي من قبل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، فجاءه الكتاب بالفيوم، فجعل لأهل أطواف جعلا فقدموا به الفسطاط، ثم إن منويل الخصي سار إلى الإسكندرية في سنة أربع وعشرين، فسأل أهل مصر: عثمان أن يرد عمرو بن العاص لمحاربته، فرده واليا على الإسكندرية، فحارب الروم بها حتى افتتحها، وعبد الله بن سعد مقيم بالفسطاط، حتى فتحت الإسكندرية الفتح الثاني عنوة في سنة خمس وعشرين، ثم جمع لعبد الله بن سعد أمير مصر صلاتها وخراجها، ومكث أميرا مدة ولاية عثمان رضي الله عنه كلها، محمودا في ولايته، وغزا ثلاث غزوات كلها لها شأن، عزا إفريقية سنة سبع وعشرين، وقتل ملكها جرجير، وغزا غزوة الأساود حتى بلغ دنقلة في سنة إحدى وثلاثين، وغزا ذا الصواري في سنة أربع وثلاثين، فقيهم قسطنطين بن هرقل في ألف مركب، وقيل: في سبعمائة مركب والمسلمون في مائتي مركب، فهزم الله الروم، وإنما سميت غزوة ذي الصواري لكثرة صواري المراكب، واجتماعها، ووفد على عثمان حين تكلم الناس بالطعن على عثمان، واستخلف عقبة بن عامر الجهني، وقيل: السائب بن هشام العامري، وجعل على خراجها سليمان بن عتر التجيبي، وكان ذلك سنة خمس وثلاثين في رجب.." (١)

"محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف. أمر في شوال سنة خمس وثلاثين على عقبة بن عامر خليفة عبد الله بن سعد، فأخرجه من الفسطاط، ودعا إلى خلع عثمان، وأسعر البلاد، وحرض على عثمان بكل شر يقدر عليه، فاعتزله شيعة عثمان، ونابذوه، وهم: معاوية بن خديج، وخارجة بن حذافة، بسر بن أرطأة، ومسلمة بن مخلد في جمع كثير، وبعثوا إلى عثمان بأمرهم، وبصنيع ابن أبي حذيفة، فبعث سعد بن أبي وقاص: ليصلح أمرهم، فخرج إليه جماعة، فقلبوا عليه فسطاطه، وشجوه وسبوه، فركب وعاد راجعا، ودعا عليهم، وأقبل عبد الله بن سعد، فمنعوه أن يدخل، فانصرف إلى عسقلان، وقتل عثمان رضي الله عنه، وابن سعد بعسقلان، ثم أجمع ابن أبي حذيفة على بعث جيش إلى عثمان،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٧٦/١

فجهز إليه ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوي، ثم قتل عثمان في ذي الحجة منها، فثار شيعة عثمان بمصر، وعقدوا لمعاوية بن خديج وبايعوه على الطلب بدم عثمان، وساروا إلى الصعيد، فبعث إليهم ابن أبي حذيفة خيلا، فهزمت، ومضى ابن خديج إلى برقة، ثم رجع إلى الإسكندرية، فبعث إليه ابن أبي حذيفة بجيش آخر فاقتتلوا بخربتا في أول شهر رمضان سنة ست وثلاثين، فانهزم الجيش، وأقامت شيعة عثمان بخربتا.

وقدم معاوية بن أبي سفيان يريد الفسطاط، فنزلت سلمنت في شوال، فخرج إليه ابن أبي حذيفة في **أهل مصر**، فمنعوه ثم اتفقا على أن يجعلا رهنا، ويتركا الحرب، فاستخلف ابن أبي حذيفة على مصر: الحكم بن الصلت، وخرج في الرهن هو وابن عديس، وعدة من قتلة عثمان، فلما بلغوا لدا سجنهم معاوية بها، وسار إلى دمشق، فهربوا من السجن، وتبعهم أمير فلسطين، فقتلهم في ذي الحجة سنة ست وثلاثين.

قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري: ولاه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لما بلغه مصاب ابن أبي حذيفة، وجمع له الخراج والصلاة، فدخل مصر مستهل ربيع الول سنة سبع وثلاثين، فاستمال الخارجية بخربتا شيعة عثمان، وبعث إليهم أعطياتهم، ووفد عليهم وفدهم، فأكرمهم، وكان من ذوي الرأي، فجهد عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان على أن يخرجاه من مصر ليغلبا على أمرها، فإنها كانت من جيش علي رضي الله عنه، فامتنع منهما بالدهاء والمكايدة، فلم يقدرا على مصر، حتى كاد معاوية قيسا من قبل علي رضي الله عنه، فأشاع أن قيسا من شيعته، وأنه يبعث إليه بالكتب والنصيحة سرا، فسمع ذلك جواسيس علي رضي الله عنه، وما زال به محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن جعفر، حتى كتب إلى قيس بن سعد يأمره بالقدوم إليه، فوليها إلى أن عزل أربعة أشهر وخمسة أيام، وصرف لخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين، فوليها: الأشتر مالك بن الحارث بن خالد النخعي من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فلما قدم القلزم شرب عسلا فمات، فبلغ ذلك عمرا ومعاوية، فقال عمرو: إن لله جنودا من عسل.

ثم وليها: محمد بن أبي بكر الصديق من قبل علي رضي الله عنه، وجمع له صلاتها وخراجها، فدخلها للنصف من رمضان سنة سبع وثلاثين، فهدم دور شيعة عثمان، ونهب أموالهم وسجن ذراريهم، فنصبوا له الحرب، ثم صالحهم على أن يسيرهم إلى معاوية، فلحقوا بمعاوية بالشأم، فبعث معاوية عمرو بن العاص في جيوش أهل الشأم إلى الفسطاط وتغيب ابن أبي بكر، فظفر به معاوية بن خديج فقتله، ثم جعله في جيفة حمار ميت، وأحرقه بالنار لأربع عشرة خلت من صفر سنة ثمان وثلاثين، فكانت ولايته خمسة أشهر.

ثم وليها: عمرو بن العاص: ولايته الثانية من قبل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فاستقبل بولايته شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين، وجعل إليه الصلاة والخراج جميعا، وجعلت مصر له طعمة بعد عطاء جندها، والنفقة في مصلحتها، ثم خرج عمرو للحكومة، واستخلف على مصر ابنه عبد الله، وقيل: بل خارجة بن حذافة، ورجع إلى مصر، وتعاقد بنو لجم عبد الرحمن وقيس ويزيد على قتل علي ومعاوية وعمرو، وتواعدوا ليلة من رمضان سنة أربعين، فمضى كل منهم إلى صاحبه، وكان يزيد هو صاحب عمرو، فعرضت لعمرو علة منعته من حضور المسجد، فصلى خارجة بالناس، فشد عليه يزيد فضربه، حتى قتله، فدخل به على عمرو، فقال: أما والله ما أردت غيرك يا عمرو، قال عمرو: ولكن الله أراد خارجة، ولله در القائل:

وليتها إذ فدت عمرا بخارجة ... فدت عليا بمن شاءت من البشر." (١)

"وعقد عمرو لشريك بن سمي على غزوة لواتة من البربر، فغزاهم في سنة أربعين، وصالحهم ثم انتقضوا، فبعث إليهم عقبة بن نافع في سنة إحدى وأربعين، فغزاهم حتى هزمهم، وعقد لعقبة أيضا على غزوة هوارة، وعقد لشريك بن سمي: على غزوة لبدة ، فغزاهما في سنة ثلاث وأربعين، فقفلا، وعمرو شديد الدنف في مرض موته، وتوفي ليلة الفطر، فغسله عبد الله بن عمرو، وأخرجه إلى المصلى وصلى عليه، فلم يبق أحد شهد العيد إلا صلى عليه، ثم صلى بالناس صلاة العيد، وكان أبوه استخلفه، وخلف عمرو بن العاص سبعين بهارا دنانير، والبهار: جلد ثور، ومبلغه أردبان بالمصري، فلما حضرته الوفاة أخرجه، وقال: من يأخذه بما فيه، فأبى ولده أخذه، وقالا: حتى ترد إلى كل ذي حق حقه، فقال: والله ما أجمع بين اثنين منهم، فبلغ معاوية، فقال: نحن نأخذه بما فيه.

ثم وليها: عتبة بن أبي سفيان من قبل أخيه معاوية بن أبي سفيان على صلاتها، فقدم في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين، وأقام شهرا، ثم وفد على أخيه، واستخلف عبد الله بن قيس بن الحارث، وكان فيه شدة، فكره الناس ولايته، وامتنعوا منها، فبلغ ذلك عتبة، فرجع إلى مصر، وصعد المنبر فقال: يا أهل مصر قد كنتم تعذرون ببعض المنع منكم لبعض الجور عليكم، وقد وليكم من إذا قال فعل، فإن أبيتم درأكم بيده، فإن أبيتم درأكم بسيفه، ثم رجا في الأمير ما أدرك في الأول أن البيعة شائعة لنا عليكم السمع، ولكم علينا العدل، وأينا غدر، فلا ذمة له عند صاحبه، فناداه المصريون من جنبات المسجد سمعا سمعا فناداهم عدلا عدلا، ثم نزل ثم جمع له معاوية الصلات والخراج، وعقد عتبة لعلقمة بن زيد على الإسكندرية في اثني عشر ألفا من أهل الديوان تكون لها رابطة، ثم خرج إليها مرابطا في ذي الحجة سنة أربع وأربعين، فمات

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٧٧/١

بها واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجهني، فكانت ولايته ستة أشهر.

ثم وليها: عقبة بن عامر بن عبس الجهني من قبل معاوية، وجعل له صلاتها وخراجها، وكان قارئا فقيها مفرضا شاعرا، له الهجرة والصحبة والسابقة، ثم وفد مسلمة بن محمد الأنصاري على معاوية، فولاه مصر، وأمره أن يكتم ذلك عن عقبة بن عامر، وجعل عقبة على البحر، وأمره أن يسير إلى رودس، فقدم مسلمة، فلم يعلم بإمارته، وخرج مع عقبة إلى الإسكندرية، فلما توجه سائرا استوى مسلمة على سرير إمارته، فبلغ ذلك عقبة فقال: أخلعا وغربة، وكان صرفه لعشر بقين من ربيع الأول سنة سبع وأربعين، وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر.

فولي مسلمة بن مخلد بن صامت بن نيار الأنصاري من قبل معاوية، وجمع له الصلات والخراج والغزو، فانتظمت غزواته في البر والبحر، وفي إمارته نزلت الروم البرلس في سنة ثلاث وخمسين، فاستشهد يومئذ: وردان مولى عمرو بن العاص في جمع من المسلمين، وهدم ما كان عمرو بن العاص بناه من المسجد، وبناه وأمر بابتناء منارات المساجد كلها إلا خولان وتجيب، وخرج إلى الإسكندرية في سنة ستين، واستخلف عابس بن سعيد، ومات معاوية بن أبي سفيان في رجب منها، واستخلف ابنه يزيد بن معاوية، فإقر مسلمة، وكتب إليه بأخذ البيعة، فبايعه الجند إلا عبد الله بن عمرو بن العاص، فدعا عابس بالنار ليحق عليه بابه! فحينئذ بايع ليزيد، وقدم مسلمة من الإسكندرية، فجمع لعابس مع الشرط القضاء في سنة إحدى وستين، وقال مجاهد: صليت خلف مسلمة بن مخلد، فقرأ سورة البقرة، فما ترك ألفا ولا واوا، وقال ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد: كان مسلمة بن مخلد يصلي بنا، فيقوم في الظهر، فربما قرأ الرجل البقرة، وتوفي مسلمة، وهو وال لخمس بقين من رجب سنة اثنتين وستين، فكانت ولايته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر، واستخلف عابس بن سعيد.

ثم وليها سعيد بن يزيد بن علقمة بن يزيد بن عوف الأزدي من أهل فلسطين، فقدم مستهل رمضان سنة اثنتين وستين فتلقاه عمرو بن قحزم الخولاني، فقال: يغفر الله لأمير المؤمنين أما كان فينا مائة شاب كلهم مثلك، يولي علينا أحدهم، ولم تزل **أهل مصر** على الشنآن له، والإعراض عنه، والتكبر عليه حتى توفي يزيد بن معاوية، ودعا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه إلى نفسه، فقامت الخوارج الذين بمصر، وأظهروا دعوته، وسار منهم إليه، فبعث لعبد الرحمن بن جحدم، فقدم واعتزل سعيدا، فكانت ولايته سنتين غير شهر.." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٧٨/١

"ثم وليها: عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم من قبل عبد الله بن الزبير، فدخل في شعبان سنة أربع وستين في جمع كثير من الخوارج، فأظهروا التحكيم، ودعوا إليه، فاستعظم الجند ذلك، وبايعه الناس على غل في قلوب شيعة بني أمية، ثم بويع مروان بن الحكم بالخلافة في أهل الشام، **وأهل مصر** معه في الباطن، فسار إليها، وبعث ابنه عبد العزيز في جيش إلى أيلة ليدخل مصر من هناك، وأجمع ابن جحدم على حربه، وحفر الخندق في شهر، وهو الذي في شرقي القرافة، وقدم مروان، فحاربه ابن جحدم، وقتل بينهما كثير من الناس ثم اصطلحا، ودخل مروان لعشر من جمادى الأولى سنة خمس وستين، فكانت مدة ابن جحدم تسعة أشهر، ووضع مروان العطاء، فبايعه الناس إلا نفرا من المغافر قالوا: لا نخلع بيعة ابن الزبير، فضرب أعناقهم، وكانوا ثمانين رجلا، وذلك للنصف من جمادى الآخرة، يومئذ مات عبد اله بن عمرو بن العاص، فلم يستطع أن يخرج بجنازته إلى المقبرة لشغب الجند على مروان، وجعل مروان صلات مصر، وخراجها إلى ابنه عبد العزيز، وسار وقد أقام بها شهرين لهلال رمضان.

عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص أبو الأصبغ ولي من قبل أبيه لهلال رجب سنة خمس وستين على الصلات والخراج، ومات أبوه، وبويع من بعده عبد الملك بن مروان، فأقر أخاه عبد العزيز، ووقع الطاعون بمصر سنة سبعين، فخرج عبد العزيز منها، ونزل حلوان، فاتخذها دارا وسكنها، وجعل بها الأعوان، وبنى بها الدور والمساجد، وعمرها أحسن عمارة، وغرس نخلها وكرمها، وعرف بمصر، وهو أول من عرف بها في سنة إحدى وسبعين، وجهز البعث في البحر لقتال ابن الزبير في سنة اثنتين وسبعين، ثم مات لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى سنة ست وثمانين، فكانت ولايته عشرين سنة، وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوما.

فولي: عبد الله بن عبد الملك بن مروان من قبل أبيه على صلاتها وخراجها، فدخل يوم الاثنين لإحدى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين، وهو ابن تسع وعشرين سنة، وقد تقدم إليه أبوه أن يقتفي آثار عمه عبد العزيز، فاستبدل بالعمال وبالأصحاب، ومات عبد الملك، بويع ابنه الوليد بن عبد الملك، فأقر أخاه عبد الله، وأمر عبد الله، فنسخت دواوين مصر بالعربية، وكانت بالقبطية، وفي ولايته غلت الأسعار، فتشاءم الناس به، وهي أول شدة رأوها بمصر، وكان يرتشي، ثم وفد على أخيه في صفر سنة ثمان وثمانين، واستخلف عبد الرحمن بن قحزم الخولاني، **وأهل مصر** في شدة عظيمة، ورفع سقف المسجد الجامع في سنة تسع وثمانين، ثم صرف، فكانت ولايته ثلاث سنين وعشرة أشهر.

فولي: قرة بن شريك بن مرثد بن الحرث العبسي للوليد بن عبد الملك على صلات مصر وخراجها، فقدمها

يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول سنة تسعين، وخرج عبد الله بن عبد الملك من مصر بكل ما ملكه، فأحيط به في الأردن، وأخذ سائر ما معه، وحمل إلى أخيه، وأمر الوليد بهدم ما بناه عبد العزيز في المسجد، فهدم أول سنة اثنتين وتسعين، وبنى واستنبط قرة بن شريك: بركة الحبش من الموات وأحياها، وغرس فيها القصب، فقيل لها: اصطبل قرة، واصطبل القاش، ثم مات وهو وال ليلة الخميس لست بقين من ربيع الأول سنة ست وتسعين، واستخلف على الجند والخراج عبد الملك بن رفاعة، فكانت ولايته ست سنين وأياما.

ثم ولي: عبد الملك بن رفاعة بن خالد بن ثابت الفهمي: من قبل الوليد بن عبد الملك على صلاتها، وتوفي الوليد، واستخلف سليمان بن عبد الملك، فأقر ابن رفاعة، وتوفي سليمان، وبويع عمر بن عبد العزيز، فعزل ابن رفاعة، فكانت ولايته ثلاث سنين.

ثم ولي: أيوب بن شرحبيل بن أكسوم بن أبرهة بن الصباح، من قبل عمر بن عبد العزيز على صلاتها في ربيع الأول سنة تسع وتسعين، فورد كتاب أمير المؤمنين: عمر بن عبد العزيز بالزيادة في اعطيات الناس عامة، وخمرت الخمر، وكسرت وعطلت حاناتها، وقسم للغارمين بخمسة وعشرين ألف دينار، ونزعت مواريث القبط عن الكور، واستعمل المسلمون عليها، ومنع الناس الحمامات، وتوفي عمر بن عبد العزيز، واستخلف يزيد بن عبد الملك، فأقر أيوب على الصلات إلى أن مات لإحدى عشرة، وقيل: لسبع عشرة خلت من رمضان سنة إحدى ومائة، فكانت ولايته سنتين ونصفا.." (١)

"فولي: بشر بن صفوان الكلبي: من قبل يزيد بن عبد الملك قدمها لسبع عشرة خلت من رمضان سنة إحدى ومائة، وفي إمرته نزل الروم تنيس، ثم ولاه يزيد على إفريقية، فخرج إليها في شوال سنة اثنتين ومائة، واستخلف أخاه حنظلة.

فولي: حنظلة بن صفوان باستخلاف أخيه، فأقره يزيد بن عبد الملك، وخرج إلى الإسكندرية في سنة ثلاث ومائة، واستخلف عتبة بن مسلمة التجيبي، وكتب يزيد بن عبد الملك في سنة أربع ومائة بكسر الأصنام والتماثيل، فكسرت كلها، ومحيت التماثيل، ومات يزيد بن عبد الملك، بويع هشام بن عبد الملك، فصرف حنظلة في شوال سنة خمس ومائة، فكانت ولايته ثلاث سنين.

وولي: محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم من قبل أخيه هشام بن عبد الملك على الصلات، فدخل مصر لإحدى عشرة خلت من شوال سنة خمس ومائة، ووقع وباء شديد بمصر، فترفع محمد إلى الصعيد

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٧٩/١

هاربا من الوباء أياما، ثم قدم وخرج عن مصر لم يلها إلا نحوا من شهر، وانصرف إلى الأردن.

فولي: الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها، فدخل لثلاث خلون من ذي الحجة سنة خمس ومائة، وفي إمرته كان أول انتفاض القبط في سنة سبع ومائة، ورابط بدمياط ثلاثة أشهر، ثم وفد إلى هشام بن عبد الملك، فاستخلف حفص بن الوليد، وقدم في ذي القعدة من سنة سبع، وانكشف النيل عن الأرض فبنى فيها، وصرف في ذي القعدة سنة ثمان ومائة، باستعفائه لمغاضبة كانت بينه وبين عبد الله بن الحبحاب متولي خراج مصر، فكانت ولايته ثلاث سنين سواء.

وولي: حفص بن الوليد بن سيف بن عبد الله من قبل هشام بن عبد الملك، ثم صرف بعد جمعتين يوم الأضحى بشكوى ابن الحبحاب منه، وقيل: صرف سلخ ثمان ومائة.

فولي: عبد الملك بن رفاعة ثانيا على الصلات، فقدم من الشام عليلا لثنتي عشرة بقيت من المحرم سنة تسع ومائة، وكان أخوه الوليد يخلفه من أول المحرم، وقيل: بل ولي أول المحرم، ومات للنصف منه، وكانت ولايته خمس عشرة ليلة.

ثم ولي أخوه: الوليد بن رفاعة باستخلاف أخيه، فأقره هشام بن عبد الملك على الصلات، وفي ولايته نقلت قيس إلى مصر، ولم يكن بها أحد منهم، وخرج وهيب اليحصبي شاردا في سنة سبع عشرة ومائة من أجل أن الوليد أذن للنصارى في ابتناء كنيسة يوحنا بالحمراء، وتوفي وهو وال أول جمادى الآخرة سنة سبع عشرة، واستخلف عبد الرحمن بن خالد، فكانت إمرته تسع سنين وخمسة أشهر.

فولي: عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي أبو الوليد من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها، وفي إمرته نزل الروم على تروجة ، فحاصروها، ثم اقتتلوا فأسروا فصرفه هشام، فكانت ولايته سبعة أشهر.

وولي: حنظلة بن صفوان ثانيا فقدم لخمس خلون من المحرم سنة تسع ومائة، فانتفض القبط، وحاربهم في سنة إحدى وعشرين ومائة، وقدم رأس زيد بن علي إلى مصر في سنة اثنتين وعشرين ومائة، ثم ولاه هشام إفريقية، فاستخلف حفص بن الوليد بإمرة هشام، وخرج لسبع خلون من ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائة، فكانت ولايته هذه خمس سنين وثلاثة أشهر.

وولي حفص بن الوليد الحضرمي ثانيا باستخلاف حنظلة له على صلاتها، فأقره هشام بن عبد الملك إلى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة أربع وعشرين، فجمع له الصلات والخراج جميعا، واستسقى بالناس، وخطب ودعا، ثم صلى بهم، ومات هشام بن عبد الملك، واستخلف من بعده: الوليد بن يزيد، فأقر حفصا على الصلات والخراج، ثم صرف عن الخراج بعيسى بن أبي عطاء لسبع بقين من شوال سنة

خمس وعشرين ومائة، وانفرد بالصلات، ووفد على الوليد بن يزيد، واستخلف عقبة بن نيم الرعيني، وقتل الوليد بن يزيد، وحفص بالشام، وبويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك، فأمر حفصا باللحاق بجنده، وأمره على ثلاثين ألفا وفرض الفروض، وبعث بيعة **أهل مصر** إلى يزيد بن الوليد، ثم توفي يزيد وبويع إبراهيم بن الوليد، وخلعه مروان بن محمد الجعدي، فكتب حفص يستعفيه من ولاية مصر، فأعفاه مروان، فكانت ولاية حفص هذه ثلاث سنين إلا شهرا.." (١)

"وولي: حسان بن عتاهية بن عبد الرحمن التجيبي وهو بالشام، فكتب إلى خير بن نعيم باستخلافه، فسلم حفص إلى خير، ثم قدم حسان لثنتي عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة على الصلات، وعيسى بن أبي عطاء على الخراج، فأسقط حسان فروض حفص كلها، فوثبوا به، وقالوا: لا نرضى إلا بحفص، وركبوا إلى المسجد، ودعوا إلى خلع مروان وحصروا حسان في داره، وقال له: اخرج عنا، فإنك لا تقيم معنا ببلد، وأخرجوا عيسى بن أبي عطاء صاحب الخراج، وذلك في آخر جمادى الآخرة، وأقاموا حفصا، فكانت ولاية حسان ستة عشر يوما.

فولي: حفص بن الوليد الثالثة: كرها أخذه قواد الفروض بذلك، فأقام على مصر رجب وشعبان، ولحق حسان بمروان، وقدم حنظلة بن صفوان من إفريقية، وقد أخرجه أهلها فنزل الجيزة، وكتب مروان بولايته على مصر، فامتنع **المصريون** من ولاية حنظلة، وأظهروا الخلع، وأخرجوا حنظلة إلى الحوف الشرقي، ومنعوه من المقام بالفسطاط، وهرب ثابت بن نعيم من فلسطين يريد الفسطاط، فحاربوه وهزموه، وسكت مروان عن مصر بقية سنة سبع وعشرين ومائة، ثم عزل حفصا مستهل سنة ثمان وعشرين.

وولي: الحوثرة بن سهيل بن العجلان الباهلي: فسار إليها في آلاف، وقدم أول المحرم، وقد اجتمع الجند على منعه، فأبى عليهم حفص، فخافوا حوثرة، وسألوه الأمان، فأمنهم، ونزل ظاهر الفسطاط، وقد اطمأنوا إليه فخرج إليه حفص، ووجوه الجند، فقبض عليهم، وقيدهم، فانهزم الجند ودخل معه عيسى بن أبي عطاء على الخراج لثنتي عشرة خلت من المحرم، وبعث في طلب رؤساء الفتنة، فجمعوا له وضرب أعناقهم، وقتل حفص بن الوليد، ثم صرف في جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين ومائة، وبعثه مروان إلى العراق فقتل، واستخلف على مصر حسان بن عتاهية، وقيل: أبا الجراح بشر بن أوس، وخرج لعشر خلون من رجب، وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر.

ثم ولي: المغيرة بن عبيد الله بن المغيرة الفزاري على الصلاة من قبل مروان، فقدم لست بقين من رجب

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٣٨٠

سنة إحدى وثلاثين، وخرج إلى الإسكندرية، واستخلف أبا الجراح الحرشي، وتوفي لثنتي عشرة خلت من جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فكانت ولايته عشرة أشهر، واستخلف ابنه الوليد بن المغيرة، ثم صرف الوليد في النصف من جمادى الآخرة.

وولي: عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير من قبل مروان على الصلات والخراج، وكان واليا على الخراج قبل أن يولي الصلات في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فأمر باتخاذ المنابر في الكور، ولم تكن قبله، وإنما كانت ولاة الكور يخطبون على العصي إلى جانب القبلة، وخرج القبط فحاربهم، وقتل كثيرا منهم، وخالف عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان على مروان، واجتمع عليه جمع من قيس في الحوف الشرقي، فبعث إليهم عبد الملك بجيش، فلم يكن حرب، وسار مروان بن محمد إلى مصر منهزما من بني العباس، فقدم يوم الثلاثاء لثمان بقين من شوال سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وقد سود أهل الحوف الشرقي، وأهل الإسكندرية، وأهل الصعيد وأسوان، فعزم مروان على تعديه النيل، وأحرق دار آل مروان المذهبة، ثم رحل إلى الجيزة، وخرق الجسرين، وبعث بجيش إلى الإسكندرية، فاقتتلوا بالكريون وخالف القبط برشيد، فبعث إليهم وهزمهم، وبعث إلى الصعيد، فقدم صالح بن علي بن عبد الله بن عباس في طلب مروان هو وأبو عون عبد الملك بن يزيد يوم الثلاثاء للنصف من ذي الحجة، فأدرك صالح مروان ببوصير من الجيزة بعدما استخلف على الفسطاط معاوية بن يحيرة بن ريسان، فحارب مروان حتى قتل ببوصير يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة، ودخل صالح إلى الفسطاط يوم الأحد لثمان خلون من المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وبعث برأس مروان إلى العراق، وانقضت أيام بني أمية.." (١)

"فولي: صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، ولي من قبل أمير المؤمنين أبي العباس عبد بن محمد السفاح، فاستقبل بولايته المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وبعث بوفد **أهل مصر** إلى بني العباس السفاح ببيعة **أهل مصر**، وأسر عبد الملك بن موسى بن نصير وجماعة، وقتل كثيرا من شيعة بني أمية، وحمل طائفة منهم إلى العراق، فقتلوا بقلنسوة من أرض فلسطين، وأمر للناس بأعطياتهم للمقاتلة والعيال، وقسمت الصدقات على اليتامى والمساكين، وزاد صالح في المسجد، وورد عليه كتاب أمير المؤمنين السفاح، بإمارته على فلسطين والاستخلاف على مصر، فاستخلف أبا عون مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين، وسار ومعه عبد الملك بن نصير ملزما، وعدة من **أهل مصر** صحابة لأمير المؤمنين، وأقطع الذين سودوا قطائع منها: منية بولاق، وقرى إهناس، وغيرها ثم من بعد صالح بن علي سكن أمراء مصر العسكر، وأول من سكنه أبو

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٨١/١

عون، والله تعالى أعلم.

العسكر الذي بني بظاهر مدينة فسطاط مصر

اعلم: أن موضع العسكر قد كان يعرف في صدر الإسلام بالحمراء القصوى، وقد تقدم أن الحمراء القصوى كانت خطة بني الأزرق، وبني روبيل، وبني يشكر بن جزيلة، ثم دثرت هذه الخطط بعد العمارة بتلك القبائل، حتى صارت صحراء، فلما قدم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية إلى مصر منهزما من بني العباس نزلت عساكر صالح بن علي، وأبي عون عبد الملك بن يزيد في هذه الصحراء، حيث جبل يشكر حتى ملؤوا الفضاء، وأمر أبو عون أصحابه بالبناء فيه، فبنوا وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة.." (١)

"فولي: يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة من قبل أبي جعفر على الصلاة والخراج، فقدم على البريد للنصف من ذي القعدة، فاستخلف على الخراج معاوية بن مروان بن موسى بن نصير، وفي إمرته ظهرت دعوة بني الحسن بن علي بمصر، وتكلم بها الناس، وبايع كثير منهم لعلي بن محمد بن عبد الله، وطرق المسجد لعشر خلون من شوال سنة خمس وأربعين، كما يذكر في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى، ثم قدمت الخطباء برأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي في ذي الحجة، فنصبت في المسجد، وورد كتاب أبي جعفر بأمر يزيد بن حاتم بالتحول من العسكر إلى الفسطاط، وأن يجعل الديوان في كنائس القصر، وذلك في سنة ست وأربعين ومائة من أجل ليلة المسجد، ومنع يزيد أهل مصر من الحج سنة خمس وأربعين، فلم يحج أحد منهم، ولا من أهل الشام، لما كان بالحجاز من الاضطراب بأمر بني حسن، ثم حج يزيد في سنة سبع وأربعين، واستخلف عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج صاحب شرطته، وبعث جيشا لغزو الحبشة من أجل خارجي ظهر هناك، فظفر به الجيش، وقدم رأسه في عدة رؤوس، فحملت إلى بغداد، وضم يزيد برقة إلى عمل مصر، وهو أول من ضمها إلى مصر، وذلك في سنة ثمان وأربعين، وخرج القبط بسخا في سنة خمسين ومائة، فبعث إليهم جيشا، فشتته القبط ورجع منهزما، فصرفه أبو جعفر في ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين ومائة، فكانت ولايته سبع سنين وأربعة أشهر.

وولي: عبد اله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج من قبل أبي جعفر على الصلاة لثنتي عشرة بقيت من ربيع الآخر، وهو أول من خطب بالسواد، وخرج إلى أبي جعفر لعشر بقين من رمضان سنة أربع وخمسين ومائة، واستخلف أخاه محمدا، ورجع في آخرها، ومات وهو وال مستهل صفر سنة خمس وخمسين ومائة،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٨٢/١

واستخلف أخاه محمدا، فكانت ولايته سنتين وشهرين.
فولي: محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج باستخلاف أخيه، فأقره أبو جعفر على الصلاة، ومات وهو وال للنصف من شوال، فكانت ولايته ثمانية أشهر ونصفا، واستخلف موسى بن علي.
فولي: موسى بن علي بن رباح باستخلاف محمد بن خديج، فأقره أبو جعفر على الصلاة وخرج القبط ببهيب في سنة ست وخمسين، فبعث إليهم وهزمهم، وكان يروح إلى المسجد ماشيا، وصاحب شرطته بين يديه يحمل الحربة، وإذا أقام صاحب الشرطة الجدود يقول له: ارحم أهل البلاد، فيقول: أيها الأمير ما يصلح الناس إلا ما يفعل بهم، وكأن يحدث، فيكتب الناس عنه، ومات أبو جعفر لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة، وبويع ابنه محمد المهدي، فأقر موسى بن علي إلى سابع عشر ذي الحجة سنة إحدى وستين ومائة، فكانت ولايته ست سنين وشهرين.
وولي: عيسى بن لقمان بن محمد الجمحي: من قبل المهدي على الصلاة والخراج، فقدم لثلاث عشرة بقيت من ذي الحجة سنة إحدى وستين ومائة، وصرف لثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة اثنتين وستين ومائة فوليها أربعة أشهر.
ثم ولي: واضح مولى أبي جعفر من قبل المهدي على الصلاة والخراج، فدخل لست بقين من جمادى الأولى وصرف في رمضان.
فولي: منصور بن يزيد بن منصور الرعيني، وهو ابن خال المهدي على الصلاة، فقدم لإحدى عشرة خلت من رمضان سنة اثنتين وستين ومائة، وصرف للنصف من ذي الحجة، فكان مقامه شهرين وثلاثة أيام.
ثم ولي: يحيى بن داود أبو صالح من أهل خراسان من قبل المهدي على الصلاة والخراج، فقدم في ذي الحجة، وكان أبوه تركيا، وهو من أشد الناس، وأعظمهم هيبة، وأقدمهم على الدم، وأكثرهم عقوبة، فمنع من غلق الدروب بالليل، ومن غلق الحوانيت حتى جعلوا عليها شرائح القصب لمنع الكلاب، ومنع حراس الحمامات أن يجلسوا فيها، وقال: من ضاع له شيء، فعلي أداؤه، وكان الرجل يدخل الحمام، فيضع ثيابه، ويقول: يا أبا صالح احرسها، فكانت الأمور على هذا مدة ولايته، وأمر الأشراف والفقهاء، وأهل النوبات بلبس القلانس الطوال، والدخول بها على السلطان يوم الاثنين والخميس بلا أردية، وكان أبو جعفر المنصور إذا ذكره قال: هو رجل يخافني، ولا يخاف الله، فولي إلى المحرم سنة أربع وستين.

وقدم: سالم بن سوادة التميمي من قبل المهدي على الصلاة، ومعه أبو قطيعة إسماعيل بن إبراهيم على الخراج لثنتي عشرة خلت من المحرم.." (١)

"ثم ولي: إبراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل المهدي على الصلاة والخراج، فقدم لإحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس وستين، وابتنى دارا عظيمة بالموقف من العسكر، وخرج دحية بن المعصب بن الأسبغ بن عبد العزيز بن مروان بالصعيد، ونابذ، ودعا إلى نفسه بالخلافة، فتراخى عنه إبراهيم، ولم يحفل بأمره حتى ملك عامة الصعيد، فسخط المهدي لذلك، وعزله عزلا قبيحا لسبع خلون من ذي الحجة سنة سبع وستين، فوليها ثلاث سنين.

ثم ولي: موسى بن مصعب بن الربيع من أهل الموصل على الصلاة والخراج من قبل المهدي، فقدم لسبع خلون من ذي الحجة المذكور، فرد إبراهيم، وأخذ منه وممن عمل له ثلثمائة ألف دينار، ثم سيره إلى بغداد، وشدد موسى في استخراج الخراج، وزاد على كل فدان ضعف ما يقبل به، وارتشى في الأحكام، وجعل خرجا على أهل الأسواق، وعلى الدواب، فكرهه الجند ونابذوه، وثارت قيس واليمانية، وكاتبوا أهل الفسطاط فاتفقوا عليه وبعث بجيش إلى قتال دحية بالصعيد، وخرج في جند مصر كلهم لقتال أهل الحوف.

فلما التقوا انهزم عنه أهل مصر بأجمعهم، وأسلموه فقتل من غير أن يتكلم أحد من أهل مصر لتسع خلون من شوال سنة ثمان وستين ومائة، فكانت ولايته عشرة أشهر، وكان ظالما غاشما سمعه الليث بن سعد يقرأ في خطبته: " إنا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بها سرادقها " ، فقال الليث: اللهم لا تمقتنا.

ثم ولي: عسامة بن عمرو باستخلاف موسى بن مصعب، وبعث إلى دحية جيشا مع أخيه بكار بن عمرو، فحارب يوسف بن نصير، وهو على جيش دحية، فتطاعنا ووضع يوسف الرمح في خاصرة بكار، ووضع بكار الرمح في خاصرة يوسف فقتلا معا، ورجع الجيشان منهزمين، وذلك في ذي الحجة، وصرف عسامة لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة بكتاب ورد عليه من الفضل بن صالح بأنه ولي مصر، وقد استخلفه، فخلعه إلى سلخ المحرم سنة تسع وستين ومائة.

ثم قدم الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس سلخ المحرم المذكور في جيوش الشام، ومات المهدي في المحرم هذا، وبويع موسى الهادي، فأقر الفضل، وقدم مصر يضطرب من أهل الخوف ومن خروج دحية، فإن الناس كانوا قد كاتبوه ودعوه، فسير العساكر حتى هزم دحية، وأسر وسيق إلى الفسطاط فضربت عنقه، وصلب في جمادى الآخرة سنة تسع وستين، فكان الفضل يقول: أنا أولى الناس بولاية مصر،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٨٦/١

لقيامي في أمر دحية، وقد عجز عنه غيري فعزل، وندم على قتل دحية، والفضل هو الذي بنى الجامع بالعسكر في سنة تسع وستين، فكانوا يجمعون فيه.

ثم ولي: علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الهادي على الصلاة والخراج، فدخل في سنة تسع وستين ومائة، ومات الهادي للنصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة، وبويع هارون بن محمد الرشيد، فأقر علي بن سليمان، وأظهر في ولايته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنع الملاهي والخمور، وهدم الكنائس المحدثة بمصر، وبذل له في تركها خمسون ألف دينار، فامتنع وكان كثير الصدقة في الليل، وأظهر أنه تصلح له الخلافة، وطمع فيها، فسخط عليه هارون الرشيد، وعزله لأربع بقين من ربيع الأول سنة إحدى وسبعين ومائة.

ثم ولي: موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلاة، فأذن للنصارى في بنيان الكنائس التي هدمها علي بن سليما، فبنيت بمشورة الليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة، ثم صرف لأربع عشرة خلت من رمضان سنة اثنتين وسبعين ومائة، فكانت ولايته سنة وخمسة أشهر ونصفا.

ثم ولي: مسلمة بن يحيى بن قرة بن عبيد الله البجلي من أهل جرجان من قبل الرشيد على الصلاة، ثم صرف في شعبان سنة ثلاث وسبعين، فوليها أحد عشر شهرا.

ثم ولي: محمد بن زهير الأزدي على الصلاة والخراج لخمس خلون من شعبان، فبادر الجند لعمر بن غيلان صاحب الخراج، فلم يدفع عنه، فصرف بعد خمسة أشهر في سلخ ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين ومائة.

فولي: داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، وقدم هو وإبراهيم بن صالح بن علي، فولى داود الصلاة، وبعث بإبراهيم لإخراج الجند الذين ثاروا من مصر، فدخل لأربع عشرة خلت من المحرم سنة أربع وسبعين ومائة، فأخرجت الجند العديدة إلى المشرق والمغرب في عالم كثير، فساروا في البحر فأسرتهم الروم، وصرف لست خلون من المحرم سنة خمس وسبعين، فكانت ولايته سنة ونصف شهر.." (١)

"وولي الشرطة أرجوز، فمنع النساء من الحمامات والمقابر، وسجن المؤنثين والنوائح، ومنع من الجهر بالبسملة في الصلاة بالجامع في رجب سنة ثلاث وخمسين، ولم يزل **أهل مصر** الجهر بها في الجامع منذ الإسلام إلى أن منع منها: أرجوز، وأخذ أهل الجامع بتمام الصفوف، ووكل بذلك رجلا من العجم يقوم

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٣٨٧

بالسوط من مؤخر المسجد، وأمر أهل الحلق بالتحول إلى القبلة قبل إقامة الصلاة، ومنع من المساند التي يستند إليها، ومن الحصر التي كانت للمجالس في الجامع، وأمر أن تصلى التراويح في رمضان خمس تراويح، ولم يزل أهل مصر يصلونها ستا إلى شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين، ومنع من التثويب، وأمر بالأذان يوم الجمع في مؤخر المسجد، وأن يغلس بصلاة الصبح، ونهى أن يشق ثوب على ميت أو يسود وجه، أو يحلق شعر، أو تصيح امرأة، وعاقب في ذلك، وشدد فيه، ثم مات مزاحم لخمس مضين من المحرم سنة أربع وخمسين.

فاستخلف ابنه أحمد بن مزاحم، فولي باستخلاف أبيه على الصلاة إلى أن مات لسبع خلون من ربيع الآخر، فكانت ولايته شهرين ويوما، فاستخلف أرجوز بن أولع طرخان التركي على الصلاة، فولي خمسة أشهر ونصفا، وخرج أول ذي القعدة بعد أن صرف بأحمد بن طولون في شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين، وإليه كان أمر البلد جميعه، من أيام مزاحم، وفي أيام ابنه أحمد أيضا، والله تعالى أعلم.

القطائع ودولة بني طولون

اعلم: أن القطائع قد زالت آثارها، ولم يبق لها رسم يعرف، وكان موضعها: من قبة الهواء التي صار مكانها قلعة الجبل إلى جامع ابن طولون، وهذا أشبه أن يكون طول القطائع، وأما عرضها: فإنه من أول الرميلة تحت القلعة إلى الموضع الذي يعرف اليوم بالأرض الصفراء عند مشهد الرأس الذي يقال له الآن: زين العابدين، وكانت مساحة القطائع ميلا في ميل، فقبة الهواء كانت في سطح الجرف الذي عليه قلعة الجبل. وتحت قبة الهواء: قصر ابن طولون، وموضع هذا القصر: الميدان السلطاني تحت القلعة والرميلة التي تحت القلعة مكان سوق الخيل والحمير والجمال. كانت بستانا، ويجاورها الميدان في الموضع الذي يعرف اليوم: بالقبيبات، فيصير الميدان، فيما بين القصر والجامع الذي أنشأه أحمد بن طولون، وبحذاء الجامع: دار الأمارة في جهته القبلية، ولها باب من جدار الجامع يخرج منه إلى المقصورة المحيطة بمصلى الأمير إلى جوار المحراب، وهناك أيضا دار الحرم، والقطائع: عدة قطع، تسكن فيها عبيد ابن طولون، وعساكره وغلمانه، وكل قطيعة لطائفة، فيقال: قطيعة السودان، وقطيعة الروم، وقطيعة الفراشين، ونحو ذلك، فكانت كل قطيعة لسكنى جماعة بمنزلة الحارات التي بالقاهرة، وكان ابتداء عمارة هذه القطائع، وسببها: أن أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد، لما اختص بالأتراك، ووضع من العرب، وأخرجهم من الديوان، وأسقط أسماءهم، ومنعهم العطاء، وجعل الأتراك أنصار دولته، وأعلام دعوته، كان من عظمت عنده منزلته قلده الأعمال الجليلة الخارجة عن الحضرة فيستخلف على ذلك العمل الذي تقلده

من يقوم بأمره، ويحمل إليه ماله، ويدعى له على منابره كما يعدى للخليفة، وكانت مصر عنده بهذه السبيل.." (١)

"وخرج إلى الإسكندرية ثانيا لثمان بقين من شعبان سنة تسع وخمسين، واستخلف ابنه العباس، وقدم لثمان خلون من شوال، وأمر ببناء المسجد الجامع على الجبل في صفر سنة تسع وخمسين، وببناء المارستان للمرضى، وورد كتاب المعتمد يستحثه في حمل الأموال، فكتب إليه لست أطيق ذلك، والخراج بيد غيري، فأنفذ المعتمد نفيسا الخادم بتقليد أحمد بن طولون الخراج، وبولايته على الثغور الشامية، فأقر أبا أيوب أحمد بن محمد بن شجاع على الخراج خليفة له عليه، وعقد لطخشى بن بلبرد على الثغور، فخرج في جمادى الأولى سنة أربع وستين، وتقدم أبو أحمد الموفق إلى موسى بن بغا في صرف أحمد بن طولون، وتقليدها ماجور التركي والي دمشق، فكتب إليه بذلك، فتوقف لعجزه عن مقاومة ابن طولون، فخرج موسى بن بغا، ونزل الرقة، فبلغ ابن طولون أنه سائر إليه فابتداء في بناء الحصن بالجزيرة، ليكون معقلا لماله وحرمه في سنة ثلاث وستين، و ا جتهد في عمل المراكب الحربية، وأظافها بالجزيرة، فأقام موسى بالرقة عشرة أشهر، واضطربت أموره، ومات في صفر سنة أربع وستين، ومات ماجور بدمشق، واستخلف ابنه علي بن ماجور، فحرك ذلك أحمد بن طولون على المسير، وكتب إلى ابن ماجور أنه سائر إليه، وأمره بإقامة الأنزال والميرة، فأجاب بجواب حسن، وشكا أهل مصر إلى ابن طولون ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة بجنده وسودانه، فأمر ببناء المسجد الجامع بجبل يشكر، فابتدأ ببنائه في سنة أربع وتم في سنة ست وستين ومائتين، وخرج في جيوشه لثمان بقين من شعبان سنة أربع وستين، واستخلف ابنه العباس، وضم إليه أحمد بن محمد الواسطي مدبرا ووزيرا، فبلغ الرملة، وتلقاه محمد بن رافع واليها، وأقام له الدعوة، فأقره ومضى إلى دمشق فتلقاه علي بن ماجور، وأقام له بها الدعوة، فأقام بها حتى استوثق له أمرها، ومضى إلى حمص فتسلمها، وبعث إلى سيما الطويل، وهو بأنطاكية يأمره بالدعاء له فأبى، فسار إليه في جيش عظيم، وحاصره، ورمان بالمجانيق، حتى دخلها في المحرم سنة خمس وستين، فقتل سيما، واستباح أمواله ورجاله، ومضى إلى طرسوس، فدخلها في ربيع الأول، فضاقت به، وغلا السعر بها، فنابذه أهلها، فقاتلهم وأمر أصحابه أن ينهزموا عن أهل طرسوس ليبلغ طاغية الروم، فيعلم أن جيوش ابن طولون مع كثرتها وشدتها، لم تقم لأهل طرسوس، فانهزموا، وخرج عنهم واستخلف عليها طخشيي، فورد الخبر عليه بأن ابنه العباس قد خالف عليه، فأزعجه ذلك، وسار فخاف العباس، وقيد الواسطي، وخرج بطائفته إلى الجيزة لثمان خلون

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٩٣/١

من شعبان سنة خمس وستين ومائتين، فعسكر بها، واستخلف أخاه ربيعة بن أحمد، وأظهر أنه يريد الإسكندرية، وسار إلى برقة، فقدم أحمد بن طولون من الشام لأربع خلون من رمضان، فأنفذ القاضي بكار بن قتيبة في نفر بكتابه إلى العباس، فساروا إليه ببرقة، فأبى أن يرجع، وعاد بكار في أول ذي الحجة، ومضى العباس يريد إفريقية في جمادى الأولى سنة ست وستين، فنهب لبدة ، وقتل من أهلها عدة، وضجت نساؤهم، فاجتمع عليه: جيش ابن الأغلب والإباضية، فقاتلهم بنفسه، وحسن بلاؤه يومئذ وقال:

لله دري إذ أعدوا علي فرسي ... إلى الهياج ونار الحرب تستعر

وفي يدي صارم أفري الرؤوس به ... في حدة الموت لا يبقي ولا يذر

إن كنت سائلة عني وعن خبري ... فها أنا الليث والصمصامة الذكر

من آل طولون أصلي إن سألت فما ... فوقي لمفتخر بالجود مفتخر

لو كنت شاهدة كري بلبدة إذ ... بالسيف أضرب والهامات تبتذر

إذا لعاينت مني ما تبادره ... عنى الأحاديث والأنباء والخبر

وقتل يومئذ صناديد عسكره، ووجوه أصحابه، ونهبت أمواله، وفر إلى برقة في ضر.." (١)

"الآثار الواردة في خراب مصر

روى قاسم بن أصبغ عن كعب الأحبار قال: الجزيرة آمنة من الخراب، حتى تخرب أرمينية، ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة: والكوفة آمنة من الخراب، حتى تكون الملحمة، ولا يخرج الدجال حتى تفتح القسطنطينية.

وعن وهب بن منبه أنه قال: الجزيرة آمنة من الخراب، حتى تخرب آرمينية، وأرمينية آمنة من الخراب حتى تخرب مصر، ومصر آمنة من الخراب، حتى تخرب الكوفة، ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة،فإذا كانت الملحمة الكبرى، فتحت القسطنطينية على يدي رجل من بني هاشم، وخراب الأندلس من قبل الزنج، وخراب إفريقية من قبل الأندلس، وخراب مصر من أنقطاع النيل، واختلاف الجيوش فيها، وخراب العراق من قبل الجوع والسيف، وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يخفرهم، حتى لا يستطيعوا أن يشربوا من الفرات قطرة، وخراب البصرة من قبل العراق، وخراب الأبلة من قبل عدو يخفرهم مرة برا، ومرة بحرا، وخراب الري من قبل الديلم، وخراب خرسان من قبل التبت، وخراب التبت من قبل الصين، وخراب الصين من قبل الهند، وخراب اليمن من قبل الجراد والسلطان، وخراب مكة من قبل الحبشة، وخراب المدينة

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٠٢/١

من قبل الجوع، وفي رواية: وخراب أرمينية من قبل الرجف والصواعق، وخراب الأندلس، وخراب الجزيرة من سنابك الخيل، واختلاف الجيوش.

وعن عبد الله بن الصامت قال: إن أسرع الأرضين خرابا البصرة ومصر، فقيل له: وما يخربهما وفيهما عيون الرجال والأموال؟ فقال: يخربهما القتل الأحمر والجوع الأغبر، وكأني بالبصرة: كأنها نعامة جاثمة، وأما مصر: فإن نيلها ينضب، أو قال: ييبس، فيكون ذلك خرابها، وعن الأوزاعي: إذا دخل أصحاب الرايات الصفر مصر، فلتحفر أهل الشام أسرابا تحت الأرض.

وعن كعب: علامة خروج المهدي ألوية تقبل من قبل المغرب عليها رجل من كندة أعرج، فإذا ظهر أهل المغرب على مصر، فبطن الأرض يومئذ خير لأهل الشام.

وعن سفيان الثوري قال: يخرج عنق من البربر، فويل **لأهل مصر**. وقال ابن لهيعة عن أبي الأسود عن مولى لشرحبيل بن حسنة أو لعمر بن العاص قال: سمعته يوما، واستقبلنا فقال: إيها لك مصر إذا رميت بالقسي الأربع: قوس الأندلس، وقوس الحبشة، وقوس الترك، وقوس الروم.

وعن قاسم عبد الله بن مغلا أنه قال لابنته: إذا بلغك أن الإسكندرية قد فتحت، فإن كان خمارك بالمغرب، فلا تأخذيه حتى تلحقي بالمشرق.

وذكر مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس يرفعه قال: أنزل الله تعالى منالجنة إلى الأرض خمسة أنهار: سيحون، وهو نهر الهند، وجيحون، وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات، وهما نهرا العراق، والنيل وهو نهر مصر، أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام، واستودعها الجبال، وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم، وذلك قوله عز وجل: " وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض " " المؤمنون ١٨ " فإذا كان عند خروج يأجوج وماجوج أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام، فرفع من الأرض القرآن كله، والعلم كله، والحجر من ركن البيت، ومقام إبراهيم، وتابوت موسى بما فيه، وهذه الأنهار الخمسة، فيرفع كل ذلك إلى السماء، فذلك قوله تعالى: " وإنا على ذهاب به لقادرون " " المؤمنون ١٨ " فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقدت أهلها خير الدنيا والدين، وقال ابن لهيعة عن عقبة بن عامر الحضرمي عن حيان بن الأعين عن عبد الله بن عمرو قال: إن أول مصر خرابا أنطابلس، وقال الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن سالم بن أبي سالم عن عبد الله بن عمرو قال: إني لأعلم السنة التي تخرجون فيها من مصر قال: فقلت له: ما يخرجنا منها يا أبا محمد، أعدو؟ قال: لا، ولكن يخرجكم منها نيلكم هذا، ويغور فلا تبقى منه قطرة حتى

تكون فيه الكثبان من الرمل، وتأكل سباع الأرض حيتانه.

خراب الفسطاط

وكان لخراب مدينة فسطاط مصر سببان: أحدهما: الشدة العظمى التي كانت في خلافة المستنصر بالله الفاطمي، والثاني: حريق مصر في وزارة شاور بن مجير السعدي.." (١)

"فأما الشدة العظمى: فإن سببها أن السعر ارتفع بمصر في سنة ست وأربعين وأرعمائة، وتبع الغلاء، وباء، فبعث الخليفة المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن علي إلى متملك الروم بقسطنطينية أن يحمل الغلال إلى مصر، فأطلق أربعمائة ألف أردب، وعزم على حملها إلى مصر، فأدركه أجله ومات قبل ذلك، فقام في الملك بعده امرأة، وكتبت إلى المستنصر تسأله أن يكون عونا لها، ويمدها بعساكر مصر إذا ثار عليها أحد، فأبى أن يسعفها في طلبتها، فجردت لذلك، وعاقت الغلال عن المسير إلى مصر، فخنق المستنصر، وجهز العساكر، وعليها مكين الدولة الحسن بن ملهم، وسارت إلى اللاذقية، فحاربتها بسبب نقض الهدنة وإمساك الغلال عن الوصول إلى مصر، وأمدها بالعساكر الكثيرة، ونودي في بلاد الشام بالغزو، فنزل ابن ملهم قريبا من فامية ، وضايق أهلها، وجال في أعمال أنطاكية، فسبى ونهب، فأخرج صاحب قسطنطينية ثمانين قطعة في البحر، فحاربها ابن ملهم عدة مرار، وكانت عليه، وأسر هو وجماعة كثيرة في شهر ربيع الأول منها، فبعث المستنصر في سنة سبع وأربعين: أبا عبد الله القضاعي برسالة إلى القسطنطينية فوافى إليها رسول طغربل السلجوقي من العراق بكتابة يأمر متملك الروم بأن يمكن الرسول من الصلاة في جامع القسطنيطينة، فأذن له في ذلك، فدخل إليه وصلى فيه صلاة الجمعة.

وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسي، فبعث القاضي القضاعي إلأى المستنصر يخبره بذلك، فأرسل إلى كنيسة قمامة بيت المقدس، وقبض على جميع ما فيها، وكان شيئا كثيرا من أموال النصارى، ففسد من حينئذ ما بين الروم والمصريين، حتى استولوا على بلاد الساحل كلها، وحاصروا القاهرة كما يرد في موضعه إن شاء الله تعالى، واشتد في هذه السنة الغلاء، وكثر الوباء بمصر والقاهرة، وأعمالها إلى سنة أربع وخمسين وأربعمائة، فحدث مع ذلك الفتنة العظيمة التي خرب بسببها إقليم مصر كله، وذلك أن المستنصر لما خرج على عادته في كل سنة على النجب مع النساء، والحشم إلى أرض الجب خارج القاهرة، وجرد بعض الأتراك سيفا، وهو سكران على أحد عبيد الشراء، فاجتمع عليه كثير من العبيد وقتلوه، فحنق لقتله الأتراك، وساروا

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤١٩/١

بجميعهم إلى المستنصر.

وقالوا: إن كان هذا عن رضاك، فالسمع والطاعة، وإن كان من غير رضى أمير المؤمنين، فلا نرضى بذلك، فتبرأ المستنصر مما جرى وأنكره، فتجمع الأتراك لمحاربة العبيد، وكانت بينهما حروب شديدة بناحية كوم شريك قتل فيها عدة من العبيد.." (١)

"وانهزم من بقي منهم، فشق ذلك على أم المستنصر، فإنها كانت السبب في كثرة العبيد السود بمصر، وذلك أنها كانت جارية سوداء، فأحبت الاستكثار من جنسها، واشترتهم من كل مكان، وعرفت رغبتها في هذا الجنس، فجلبت الناس إلى مصر منهم، حتى يقال: إنه صار في مصر إذ ذاك على زيادة على خمسين ألف عبد أسود، فلما كانت وقعة كوم شريك أمدت العبيد بالأموال والسلاح سرا، وكانت أم المستنصر قد تحكمت في الدولة، وحقدت على الأتراك، وحثت على قتلهم مولاها أبا سعد التستري، فقويت العبيد لذلك، حتى صار الواحد منهم يحكم بما يختار، فكرهت الأتراك ذلك، وكان ما ذكر، فظفر بعض الأتراك يوما بشيء من المال والسلاح قد بعثت به أم المستنصر إلى العبيد تمدهم به بعد انهزامهم من كوم الشريك، فاجتمعوا بأسرهم، ودخلوا على المستنصر، وأغلظوا في القول، فحلف أنه لم يكن عنده علم بما ذكر، وصار إلى أمه، فأنكرت ما فعلت، وخرج ال أتراك، فصار السيف قائما، ووقعت الفتنة ثانيا فانتدب المستنصر: أبا الفرج ابن المغربي ليصلح بين الطائفتين، فاصطلحه على غل، وخرج العبيد إلى شبرا دمنهور، فكان هذا أول اختلال أحوال أهل مصر، ودبت عقارب العداوة بين الفئتين إلى سنة تسع وخمسين، فقويت شوكة الأتراك، وضروا على المستنصر، وزاد طمعهم فيه، وطلبوا منه الزيادة في واجباتهم، وضاقت أحوال العبيد، واشتدت ضرورتهم، وكثرت حاجتهم، وقل مال السلطان، واستضعف جانبه، فبعثت أم المستنصر إلى قواد العبيد تغريهم بالأتراك، فاجتمعوا بالجيزة، وخرج إليهم الأتراك، ومقدمهم ناصر الدين حسين بن حمدان ، فاقتتلا عدة مرار ظهر في آخرها الأتراك على العبيد، وهزموهم إلى بلاد الصعيد، فعاد ابن حمدان إلى القاهرة، وقد عظم أمره، وقوي جأشه، وكبرت نفسه، واستخف بالخليفة، فجاءه الخبر: أنه قد تجمع من العبيد ببلاد الصعيد نحو خمسة عشر ألف فارس، فقلق وبعث بمقدمي الأتراك إلى المستنصر، فأنكر ما كان من اجتماع العبيد، وجفوا في خطابهم، وفارقوه على غير رضى منهم، فبعثت أم المستنصر إلى من بحضرتها من العبيد، بأمرهم بالإيقاع على غفلة بالأتراك، فهجموا عليهم، وقتلوا منهم عدة، فبادر ابن حمدان إلى الخروج طاهر القاهرة، وتلاحق به الأتراك، وبرز إليهم العبيد المقيمون بالقاهرة ومصر، وحاربوهم عدة أيام،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٤٢٠

فحلف ابن حمدان أنه لا ينزل عن فرسه حتى ينفصل الأمر إما له أو عليه، وجد كل من الفريقين في القتال فظهرت الأتراك على العبيد، وأثخنوا في قتلهم وأسرهم، فعادوا إلى القاهرة، وتتبع ابن حمدان من في البلد منهم ، حتى أفنى معظمهم، هذا والعبيد ببلاد الصعيد على حالهم، وبالإسكندرية أيضاً منهم جمع كثير، فسار ابن حمدان إلى الإسكندرية، وحاصرهم فيها مدة حتى سألوه الأمان، فأخرجهم، وأقام فيها من يثق به، وانقضت هذه السنة كلها في قتال العبيد، ودخلت سنة ستيِن وأربعمائة، وقد خرق الأتراك ناموس المستنصر، واستهانوا به، واستخفوا بقدره، وصار مقررهم في كل شهر أربعمائة ألف دينار بعدما كان ثمانية وعشرين ألف دينار، ولم يبق في الخزائن مال، فبعثوا يطالبونه بالمال، وفاعتذر إليهم بعجزه عما طلبوه، فلم يعذروه، وقالوا: بع ذخائرك، فلم يجد بدا من إجابتهم، وأخرج ما كان في القصر من الذخائر، فصاروا يقومون ما يخرج إليهم بأخس القيم، وأقل الأثمان، ويأخذون ذلك في واجباتهم.." (١)

"وتجهز ابن حمدان، وسار إلى الصعيد يريد قتال العبيد، وكانت شرورهم قد كثرت، وضررهم وفسادهم قد تزايدت، فلقيهم وواقعهم غير مرة، والأتراك تنكسر منهم، وتعود إلى محاربتهم إلى أن حمل العبيد عليهم حملة انهزموا فيها إلى الجيزة، فأفحشوا عند ذلك في أمر المستنصر، ونسبوه إلى مباطنة العبيد، وتقويتهم، فأنكر ذلك، وحلف عليه، فأخذوا في إصلاح شأنهم، ولم شعثهم وساروا لقتال العبيد، وما زالوا يلحون في قتالهم حتى انكسرت العبيد كسرة شنيعة، وقتل منهم خلق كثير، وفر من بقي، فذهبت شوكته، وزالت دولتهم، ورجع ابن حمدان، وقد كشف قناع الحياء، وجهر بالسوء للمستنصر، واستبد بسلطنة البلاد، ودخلت سنة إحدى وستين وابن حمدان مستبد بالأمر مجاف للمستنصر، فنقل مكانه على الأتراك، وتفرغوا من العبيد، والتفتوا إليه، وقد استبد بالأمور دونهم، واستأثر بالأموال عليهم، ففسد ما بينهم وبينه، وشكوا منه إلى الوزير خطير الملك، فأغراهم به، ولامهم على ما كان تقويته، وحسن لهم الثورة به، فصاروا إلى المستنصر، ووافقوه على ذلك، فبعث إلى ابن حمدان يأمره بالخروج عن مصرن ويهدده إن امتنع، فلم يقدر على المتناع منه، لفساد الأتراك عليه، وميلهم مع المستنصر، فخرج إلى الجيزة، وانتهب الناس دوره ودور حواشيه، فلما جن عليه الليل عاد من الجيزة سرا إلى دار القائد تاج الملوك شادي، وترامى عليه، وقبل رجليه، وسأله النصرة على الذكر والوزير الخطير، فإنهما قاما بهذه الفتنة، فأجابه إلى ذلك، ووعدهبقتل المذكورين وفارقه ابن حمدان، فلما كان من الغد ركب شادي في أصحابه، وأخذ يسير بين القصرين بالقاهرة، وأقبل الوزير الخطير في موكبه، فبادره شادي على حين غفلة وقتله، ففر الذكر إلى القصر، والتجأ بالمستنصر،

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٢١/١

فلم يكن بأسرع من قدوم ابن حمدان، وقد استعد للحرب، فيمن معه فركب المستنصر بلأمة الحرب، واجتمع إليه الأجناد والعامة، وصار في عدد لا ينحصر، وبرزت الفرسان، فكانت بين الخليفة، وابن حمدان حروب آلت إلى هزيمة ابن حمدان، وقتل كثير من أصحابه، فمضى في طائفة إلى البحيرة، وترامى على بني سيس، وتزوج منها، فعظم الأمر بالقاهرة ومصر من شدة الغلاء، وقلة الأقوات لما فسد من الأعمال بكثرة النهب، وقطع الطريق حتى أكل الناس الجيف والميتات، ووقف أرباب الفساد في الطريق، فصاروا يقتلون من ظفروا به في أزقة مصر، فهلك من **أهل مصر** في هذه الحروب والفتن ما لا يمكن حصره، وامتد ذلك إلى أن دخلت سنة ثلاث وستين، فجهز المستنصر عساكره لقتال ابن حمدان بالبحيرة، فسارت إليه ولم يوفق في محاربته، فكسرها كلها، واحتوى على ما كان معها من سلاح وكراع ومال، فتقوى به، وقطع الميرة عن البلد، ونهب أكثر الوجه البحري، وقطع منه الخطبة للمستنصر، ودعا للخليفة القائم بأمر الله العباسي بالأسكندرية ودمياط، وعامة الوجه البحري، فاشتد الجوع، وتزايد الموتان بالقاهرة ومصر حتى أنه كان يموت الواحد من أهل البيت، فلا يمضي يوم وليلة من موته، حتى يموت سائر من في ذلك البيت، ولا يوجد من يستولي عليه، ومدت الأجناد ايديها إلى النهب، فخرج الأمر عن الحد، ونجا أهل القوة بأنفسهم من مصرن وساروا إلى الشام والعراق، وخرج من خزائن القصر ما يجل وصفه، وقد ذكر طرف من ذلك في أخبار القاهرة عند ذكر حزائن القصر، فاضطر الأجناد ما هم فيه من شدة الجوع إلى مصالحة ابن حمدان بشرط أن يقيم في مكانه، ويحمل إليه مال مقرر، وينوب عنه شادي بالقاهرة، فرضي بذلك، وسير الغلال إلى القاهرة ومصر، فسكن ما بالناس من شدة الجوع قليلا، ولم يكن ذلك إلا نحو شهر، ووقع الاختلاف عليه، فقدم من البحيرة إلى مصر، وحاصرها وانتهبها، وأحرق دورا عديدة بالساحل، ورجع إلى البحيرة، فدخلت سنه أربع وستين، والحال على ذلك، وشادي قد استبد بأمر الدولة، وفسد ما بينه وبين ابن حمدان، ومنعه من المال الذي تقرر له وشح به عليه، فلم يوصله إلى القليل، فجرد من ذلك ابن حمدان، وجمع العربان، وسار إلى الجيزة، وخادع شادي حتى صار إليه ليلا في عدة من الأكابر، فقبض عليه وعليهم، وبعث أصحابه فنهبوا مصر، وأطلقوا فيها النار، فخرج إليهم عسكر المستنصر من القاهرة، وهزموهم، فعاد إلى البحيرة، وبعث رسولا إلى الخليفة القائم بأمر الله ببغداد بإقامة الخطبة له، وسأله الخلع والتشاريف فاضمحل أمر." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٢٢/١

"أموالهم، وزالت نعمهم، فلما استبد شيركوه بوزارة العاضد، أمر بإحضار إعيان **أهل مصر** الذين خلوا عن ديارهم في الفتنة، وصاروا بالقاهرة، وتغمم لمصابهم وسفه رأي شاور في إحراق المدينة، وأمرهم بالعود إليها، فشكوا إليه ما بهم من الفقر والفاقة وخراب المنازل، وقالوا: إلى أي مكن نرجع؟ وفي أي مكان ننزل ونأوي؟ وقد صارت كما ترى، وبكوا وأبكوا، فوعدهم جميلا، وترفق بهم وأمر ، فنودي في الناس بالرجوع إلى مصر، فتراجع إليها الناس قليلا وعمروا ما حول الجامع إلى أن كانت المحنة من الغلاء والوباء العظيم في سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب لسنتي خمس وخمسمائة فخرب من مصر جانب كبير، ثم تحايا الناس بها، وأكثروا من العمارة بجانب مصر الغربي على شاطئ النيل، لما عمر الملك الصالح نجم الدين أيوب قلعة الروضة، وصار بمصر عدة آدار جلية، وأسواق ضخمة، فلما كان غلاء مصر والوباء الكائن في سلطنة الملك العادل: كتبغا سنة ست وتسعين وستمائة خرب كثير من مساكن مصر، وتراجع الناس بعد ذلك في العمارة إلى سنة تسع وأربعين وسبعمائة، فحدث الفناء الكبير الذي أقفر منه معظم دور مصر، وخربت ثم تحايا الناس من بعد الوباء، وصار ما يحيط بالجامع العتيق، وما على شط النيل عامرا إلى سنة ست وسبعين وسبعمائة، فشرقت بلاد مصر، وحدث الوباء بعد الغلاء، فخرب كثير من عامر مصر، ولم يزل يخرب شيئا بعد شيء إلى سنة تسعين وسبعمائة، فعظم الخراب في خط زقاق القناديل، وخط النحاسين، وشرع الناس في هدم دور مصرن وبيع أنقاضها، حتى صارت على ما هي عليه الآن، وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا.والهم، وزالت نعمهم، فلما استبد شيركوه بوزارة العاضد، أمر بإحضار إعيان **أهل مصر** الذين خلوا عن ديارهم في الفتنة، وصاروا بالقاهرة، وتغمم لمصابهم وسفه رأي شاور في إحراق المدينة، وأمرهم بالعود إليها، فشكوا إليه ما بهم من الفقر والفاقة وخراب المنازل، وقالوا: إلى أي مكن نرجع؟ وفي أي مكان ننزل ونأوي؟ وقد صارت كما ترى، وبكوا وأبكوا، فوعدهم جميلا، وترفق بهم وأمر ، فنودي في الناس بالرجوع إلى مصر، فتراجع إليها الناس قليلا وعمروا ما حول الجامع إلى أن كانت المحنة من الغلاء والوباء العظيم في سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب لسنتي خمس وخمسمائة فخرب من مصر جانب كبير، ثم تحايا الناس بها، وأكثروا من العمارة بجانب مصر الغربي على شاطئ النيل، لما عمر الملك الصالح نجم الدين أيوب قلعة الروضة، وصار بمصر عدة آدار جلية، وأسواق ضخمة، فلما كان غلاء مصر والوباء الكائن في سلطنة الملك العادل: كتبغا سنة ست وتسعين وستمائة خرب كثير من مساكن مصر، وتراجع الناس بعد ذلك في العمارة إلى سنة تسع وأربعين وسبعمائة، فحدث الفناء الكبير الذي أقفر منه معظم دور مصر، وخربت ثم تحايا الناس من بعد الوباء، وصار ما يحيط بالجامع العتيق،

وما على شط النيل عامرا إلى سنة ست وسبعين وسبعمائة، فشرقت بلاد مصر، وحدث الوباء بعد الغلاء، فخرب كثير من عامر مصر، ولم يزل يخرب شيئا بعد شيء إلى سنة تسعين وسبعمائة، فعظم الخراب في خط زقاق القناديل، وخط النحاسين، وشرع الناس في هدم دور مصرن وبيع أنقاضها، حتى صارت على ما هي عليه الآن، وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا.

ما قيل في مدينة فسطاط مصر

قال ابن رضوان: والمدينة الكبرى اليوم بأرض مصر ذات أربعة أجزاء: الفسطاط، والقاهرة، والجزيرة، والجيزة، وبعد هذه المدينة عن خط الاستواء ثلاثون درجة، والجبل المقطم في شرقيها، وبينها وبين مقابر المدينة.." (١)

"ومن شأن أهل الفسطاط أن يرموا ما يموت في دورهم من السنانير والكلاب، ونحوها من الحيوان الذي يخالط الناس فس شوارعهم وأزقتهم فتعفن، وتخالط عفونتها الهواء، ومن شأنهم أيضا: أن يرموا في النيل الذي يشربون منه فضول حيواناتهم وجيفها، وخرارا كنفهم تصب فيه، وربما انقطع جري الماء، فيشربون هذه العفونة باختلاطها بالماء، وفي خلال الفسطاط مستوقدات عظيمة يصعد منها في الهواء دخان مفرط، وهي أيضا كثيرة الغبار لسخانة أرضها، حتى أنك ترى الهواء في أيام الصيف كدرا يأخذ بالنفس، ويتسخ الثوب النظيف في اليوم الواحد، وإذا مر الإنسان في حاجة لم يرجع إلا وقد اجتمع في وجهه ولحيته غبار كثير، ويعلوها في العشيات خاصة في أيام الصيف بخار كدر أسود وأغبر، وسيما إذا كان الهواء سليما من الرياح، وإذا كانت هذه الأشياء كما وصفنا، فمن البين أنه يصير الروح الحيواني الذي فيها حالة كهذه الحال، فيتولد إذا في البدن من هذه الأعراض فضول كثيرة، واستعدادات نحو العفن إلا أن ألف أهل الفسطاط لهذه الحال، وأنسهم بها يعوق عنهم أكثر شرها، وإن كانوا على كل حال أسرع أهل مصر وقوعا في الأمراض، وما يلي النيل من الفسطاط، يجب أن يكون أرطب مما يلي الصحراء، وأهل الشرق أصلح حالا لتخرق الرياح لدورهم، وكذلك عمل فوق والحمراء، إلا أن أهل الشرف الذي يشربونه أجود لأنه يستقى قبل أن تخالطه عفونة الفسطاط، فأما القرافة فأجود هذه المواضع، لأن المقطم يعوق بخار الفسطاط من المرور بها، وإذا هبت ريح الشمال مرت بأجزاء كثيرة من بخار الفسطاط، والقاهرة على الشرف، فغيرت حاله، وظاهر أن المواضع المكشوفة في هذه المدينة هي أصح هواء، وكذلك حال المواضع المرتفعة، وأردأ موضع في المدينة الكبرى هو ما كان من الفسطاط حول الجامع العتيق إلى ما يلي النيل والسواحل، وإذا

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٢٦/١

كان في الشتاء وأول الربيع حمل من بحر الملح سمك كثير، فيصل إلى هذه المدينة، وقد عفن، وصارت له رائحة منكرة جدا، فساغ في القاهرة، ويأكله أهلها وأهل الفسطاط، فيجتمع في أبدانهم منه فضول كثيرة عفنة، فلولا الأعتدال أمزجتهم وصحة أبدانهم في هذا الزمان لكان ذلك يولد في أبدانهم أمراضا كثيرة قاتلة، إلا أن قوة الستمرار تعوق عن ذلك، وربما انقطع النيل في آخر الربيع، وأول الصيف من جهة الفسطاط، فيعفن بكثرة ما يلقي فيه إلى أن يبلغ عفنه إلى أن تصير له رائحة منكرة محسوسة. وظاهر أن هذا الماء إذا صار على هذه الحال، غير مزاج الناس تغيرا محسوسا. قال: فمن البين أن أهل هذه المدينة الكبرى بأرض مصر أسرع وقوعا في الأمراض من جميع أهل هذه الأرض ما خلا أهل الفيوم، فإنها أيضا قريبة، وأردأ ما في المدينة: الموضع الغائر من الفسطاط، ولذلك غلب على أهلها الحين، وقلة الكرم، وأنه ليس أحد منهم يغيث، ولا يضيف الغريب إلا في النادر، وصاروا من السعاية والاغتياب على أمر عظيم، ولقد بلغ بهم الجبن إلى أن خمسة أعوان تسوق منهم مائة رجل وأكثر، ويسوق الأعوان المذكورين: رجل واحد من أهل البلدان الأخر، وممن قد تدرب في الحرب، فقد استبان إذا العلة والسبب في أن صار أهل المدينة الكبرى بأرض مصر أسرع وقوعا في الأمراض من جميع أهل هذه الأرض، وأضعف أنفسا، ولعل لهذا السبب اختار القدماء: اتخاذ المدينة في غير هذا الموضع، فمنهم من جعلها بمنف، وهي : مصر القديمة، ومنهم من جعلها بالإسكندرية، ومنهم من جعلها بغير هذه المواضع، ويدل على ذلك آثارهم.." (١)

"ولم أر في أهل البلاد ألطف من أهل الفسطاط، حتى أنهم ألطف من أهل القاهرة وبينهما نحو ميلين،وجملة الحال أن أهل الفسطاط في نهاية من اللطافة واللين في الكلام، وتحت ذلك من الملق، وقلة المبالاة برعاية قدم الصحبة، وكثرة الممازجة والألفة ما يطول ذكره، وأما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الإسكندراني، والبحر الحجازي، فإنه فوق ما يوصف، وبها مجمع ذلك لا بالقاهرة، ومنها تجهز إلى القاهرة، وسائر البلاد، وبالفسطاط مطابخ السكر والصابون، ومعظم ما يجري هذا المجرى، لأن القاهرة بنيت للاختصاص بالجند، كما أن جميع زي الجند بالقاهرة أعظم منه بالفسطاط وكذلك ما ينسج، ويصاغ وسائر ما يعمل من الأشياء الرفيعة السلطانية، والخراب في الفسطاط كثير، والقاهرة أجد وأعمر، وأكثر زحمة بسبب انتقال السلطان إليها، وسكنى الأجناد فيها، وقد نفخ روح الاعتناء والنمو في مدينة الفسطاط الآن لمجاورتها للجزيرة الصالحية، وكثير من الجند قد انتقل إليها للقرب من الخدمة، وبنى على سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر، يعني ابن سعيد: ما بني على شقة مصر من جهة النيل.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٢٨/١

ما عليه مدينة مصر

الآن وصفتها

قد تقدم من الأخبار جملة تدل على عظم ما كان بمدينة فسطاط مصر من المباني وكثرتها، ثم الأسباب التي أوجبت خرابها، وآخر ما رأيت من الكتب التي صيفت في خطط مصر كتاب إيقاظ المتغفل، وأتعاظ المتأمل تأليف: القاضي الرئيس تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج الزبيري رحمه الله، وقطع على سنة خمس وعشرين وسبعمائة، فذكر من الأخطاط المشهورة بذاتها لعهده اثنين وخمسين خطا، ومن الحارات ثنتي عشرة حارة، ومن الأزقة المشهورة: ستة وثمانين زقاقا، ومن الدروب المشهورة: ثلاثة وخمسين دربا، ومن الخوخ المشهورة: خمسا وعسشرين خوخة، ومن الأسواق المشهورة: تسعة عشر سوقا، ومن الخطط المشهورة بالدور: ثلاثة عشر خطا، ومن الرحاب المشهورة: خمس عشرة رحبة، ومن العقبات المشهورة: إحدى عشرة عقبة، ومن الكيمان المسماة: ستة كيمان، ومن الأقباء: عشرة أقباء، ومن البرك: خمس برك، ومن السقائف: خمسا وستين سقيفة، ومن القياسر: سبع قياسر، ومن مطابخ السكر العامرة: ستة وستين مطبخا، ومن الشوارع: ستة شوارع، ومن المحارس: عشرين محرسا، ومن الجوامع التي تقام فيها الجمعة بمصر، وظاهرها من الجزيرة، والقرافة: أربعة عشر جامعا، ومن السماجد: أربعمائة وثمانين مسجدا، ومن المدارس: سبع عشرة مدرةسة، ومن الزوايا: ثماني زوايا، ومن الربط التي بمصر والقرافة: بضعا وأربعين رباطا، ومن الأحباس والأوقاف كثيرا، ومن الحمامات: بضعا وسبعين حماما، ومن الكنائس وديارات النصارى: ثلاثين ما بين دير وكنيسة، وقد باد أكثر ما ذكره ودثر، وسيرد ما قاله من ذلك في مواضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

فأقول: إن مدينة مصر محدودة الآن بحدود أربعة: فحدها الشرقي اليوم: من قلعة الجبل، وأنت آخذ إلى باب القرافة، فتمر من داخل السور الفاصل بين القرافة، ومصر إلى كوم الجارح، وتمر من كوم الجارح، وتجعل كيمان مصر كلها عن يمينك حتى تنتهي إلى الرصد حيث أول الحبش، فهذا طول مصر من جهة المشرق، وكان يقال لهذه الجهة عمل فوق.

وحدها الغربي: من قناطر السباع خارج القاهرة إلى موردة الحلفاء، وتأخذ على شاطئ النيل إلى دير الطين، فهذا أيضا طولها من جهة المغرب. وحدها القبلي من شاطئ النيل بدير الطين حيث ينتهي الحد الغربي

إلى بركة الحبش تحت الرصد، حيث انتهى الحد الشرقي، فهذا عرض مصر من جهة الجنوب التي تسميها أهل مصر الجهة القبلية.." (١)

"وقال ابن المتوج: دار النحاس خط نسب لدار النحاس، وهو الآن فندق الأشراف ذو البابين أحدهما من رحبة أمامه، والثاني شارع بالساحل القديم، وبآخر هذه الشقة التي تطل على النيل " جسر الأفرام " ، وهو في طرف مصر فيما بين المدرسة المعزية، وبين رباط الآثار كان مطلا على النيل دائما، والآن ينحسر الماء عنه عند هبوط النيل، وعرف بالأمير عز الدين أيدمر الأفرم الصالحي النجمي أمير جندار، وذلك أنه لما استأجر بركة الشعيبية، كما ذكر عند ذكر البرك من هذا الكتاب جعل منها فدانين من غربيها أذن للناس في تحكيرها، فحكرت وبنى عليها عدة دور بلغت الغاية في إتقان العمارة، وتنافس عظماء دولة الناصر محمد بن قلاون من الوزراء، وأعيان الكتاب في المساكن بهذا الجسر، وبنوا وتأنقوا، وتفننوا في بديع الزخرفة، وبالغوا في تحسين الرخام، وخرجوا عن الحد في كثرة إنفاق الأموال العظيمة على ذلك بحيث صار خط الجسر خلاصة العامر من إقليم مصر، وسكانه أرق الناس عيشا، وأترف المتنعمين حياة، وأوفرهم نعمة، ثم خرب هذا الجسر بأسره، وذهبت دوره.

وأما الجهة الشقية من مصر: ففيها قلعة الجبل، وقد أفردنا لها خبرا مستقلا يحتوي على فوائد كثيرة تضمنه هذا الكتاب فانظره، ويتصل آخر قلعة الجبل بخط باب القرافة، وهو من أطراف القطائع والعسكر، ويلي خط باب القرافة الفضاء الذي كان يعرف بالعسكر، وقد تقدم ذكره، وكان بأطراف العسكر مما يلي كوم الجارح.

الموقف قال ابن وصيف شاه في أخبار الريان بن الوليد: وهو فرعون نبي الله يوسف صلوات الله عليه، ودخل إلى البلد في أيامه غلام من أهل الشام احتال عليه إخوته وباعوه، وكانت قوافل الشام تعرس بناحية الموقف اليوم، فأوقف الغلام، ونودي عليه، وهو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم، فاشتراه أطفين العزيز، ويقال: إن الذي أخرج يوسف من الجب: مالك بن دعر بن حجر بن جزيلة بن لخم بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وقال القضاعي: كان الموقف فضاء لأم عبد الله بن مسلمة بن مخلد، فتصدقت به على المسلمين، فكان موقفا تباع فيه الدواب، ثم ملك بعد وقد ذكرته في الظهر يعني في خطط أهل الظاهر، فإن الموقف من جملة خطط أهل الظاهر.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٣١/١

وقال ابن المتوج: بقعة " خط الصفا " هذا الخط دهر جميعه، ولم يبق له أثر، وهو قبلي الفسطاط أوله بجوار المصنع، وخط الطحانين أدركته، كان صفين طواحين متلاصقة متصلة من درب الصفاء إلى كوم الجارح، وأدركت به جماعة من أكابر **المصريين** أكثرهم عدول، وكان المار بين هذين الصفين لا يسمع حديث رفيقه إذا حدثه لقوة دوران الطواحين، وكان من جملتها طاحون واحد فيه سبعة أحجار، دثر جميع ذلك،ولم يبق له أثر.

قال: وبقعة درب الصفاء هو الدرب الذي كان باب مصر، وقيل: إنه كان بظاهره سوق يوسف عليه السلام، وكان بابا بمصراعين يعلوهما عقد كبير، وهو بعتبة كبيرة سفلى من صوان، وكان بجوار المصنع الخراب الموجود الآن، وكان حول المصنع عمد رخام بدائرة حاملة الساباط يعلوه مسجد معلق، هدم ذلك جميعه في ولاية سيف الدين المعروف بابن سلار، والي مصر في دولة الظاهر بيبرس، وهذا الدرب يسلك منه إلى درب الصفاء والطحانين.

قال مؤلفه رحمه الله: كان هذا الباب المذكور أحد أبواب مدينة مصر، وبابها الآخر من ناحية الساحل الذي موضعه اليوم باب مصر بجوار الكبارة،وأنا أدركت آثار درب الصفاء المذكور والمصنع الخراب، وكان يصب فيه الماء للسبيل، وهو قريب من كوم الجارح، وسيأتي ذكر كوم الجارح في ذكر الكيمان من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وأما الذي يلي كوم الجارح إلى آخر حد طول مصر عند بركة الحبش، فإنها الخطط القديمة، وأدركتها عامرة لا سيما خط النخالين، وخط زقاق القناديل، وخط المصاصة، وقد خرب جميع ذلك، وبيعت أنقاضه من بعد سنة تسعين وسبعمائة.." (١)

"وفيها قرر الشريف الكبير العجمي، والشيخ نجيب الدولة الجرجراي ، والشيخ العميد محسن بن بدوس،مع القائد معضاد أن لا يدخل على الظاهر أحد غيرهم، وكانوا يدخلون كل يوم خلوة ويخرجون، فيتصرفون في سائر أمور الدولة، والظاهر مشغول بلذاته، وصار شمس الملوك مظفر صاحب المظلمة، وابن حيران صاحب الإنشاء، وداعي الدعاة، ونقيب نقباء الطالبيين، وقاضي القضاة، ربما دخلوا على الظاهر في كل عشرين يوما مرة، ومن عداهم لا يصل إلى الظاهر ألبتة، والثلاثة الأول هم الذين يقضون الأشغال، ويمضون الأمور بعد الاجتماع عند القائد معضاد، ومنع الناس من ذبح الأبقار لقلتها، وعزت الأقوات بمصر، وقلت البهائم كلها حتى بيع الرأس البقر بخمسين دينارا، وكثر الخوف في ظواهر البلد، وكثر اضطرات الناس،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٣٧/١

وتحدث زعماء الدولة بمصادرة التجار، فاختلف بعضهم على بعض، وكثر ضجيج العسكر من الفقر والحاجة، فلم يجابوا وتحاسد زعماء الدولة، فقبض على العميد محسن، وضرب عنقه واشتد الغلاء،وفشت الأمراض، وكثر الموت في الناس، وفقد الحيوان، فلم يقدر علىدجاجة، ولا فروج وعز الماء لقلة الظهر، فعم البلاء من كل جهة، وعرض الناس أمتعتهم للبيع،فلم يوجد من يشتريها، وخرج الحاج فقطع عليهم الطريق بعد رحيلهم من بركة الجب، وأخذت أموالهم، وقتل منهم كثير وعاد من بقي، فلم يحج أحد من **أهل مصر**، وتفاقم الأمر في شدة الغلاء، فصاح الناس بالظاهر: الجوع الجوع يا أمير المؤمنين؟ لم يصنع بنا هذا أبوك ولا جدك، فالله الله في أمرنا، وطرقت عساكر ابن جراح الفرما، ففر أهلها إلى القاهرة، وأصبح الناس بمصر على أقبح حال من الأمراض والموتان، وشدة الغلاء، وعدم الأقواتن وكثر الخوف من الذعار التي تكبس حتى أنه لما عمل سماط عيد النحر بالقصر كبس العبيد على السماط، وهم يصيحون: الجوع، ونهبوا سائ ما كان عليه، ونهبت الأرياف وكثر طمع العبيد ونهبهم، وجرت أمور من العامة قبيحة، واحتاج الظاهر إلى القرض، فحمل بعض أهل الدولة إليه مالا، وامتنع آخرون، واجتمع نحو الألف عبد لتنهب البلد من الجوع، فنودي بأن من تعرض أحد من العبيد، فليقتله وندب جماعة لحفظ البلد، واستعد الناس، فكانت نهبات بالساحل، ووقائع مع العبيد احتاج الناس فيها إلى أن خندقوا عليهم خنادق، وعملوا الدروب على الأزقة والشوارع، وخرج معضاد في عسكر، فطردهم وقبض على جماعة منهم ضرب أعناقهم، وأخذ العبيد في طلب الحرحراي وغيره من وجوه الدولة، فحرسوا أنفسهم، وامتنعوا في دورهم وانقضت السنة، والناس في أنواع من البلاء.

وفي سنة ست عشرة أمر الظاهر، فأخرج من بمصر من الفقهاء المالكية وغيرهم، وأمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب دعائم الإسلام، ومختصر الوزير، وجعل لمن حفظ ذلك مالا.

وفي سنة سبع عشرة ثار بمصر رعاف عظيم بالناس، وكثرت زيادة النيل عن العادة، وتصدق الظاهر بمائة ألف دينار من أجل أنه سقط عن فرسه وسلم.

وفي سنة ثمان عشرة وقعت الهدنة مع صاحب الروم، وخطب للظاهر في بلاده، وأعاد الجامع بقسطنطينية، وعمل فيه مؤذنا، فأعاد الظاهر كنيسة قمامة بالقدس، وأذن لمن أظهر الإسلام في أيام الحاكم أن يعود إلى النصرانية، فرجع إليها كثير منهم، وصرف الظاهر وزيره عميد الدولة، وناصحها أبا محمد الحسن بن صالح الروذبادي، وأقام بدله أبا القاسم علي بن أحمد الحرحراي.

وفي سنة عشرين كانتفتنة بين المغاربة والأتراك قتل فيها كثير.

وفي سنة إحدى وعشرين بويع لابنالظاهر بولاية العهد، وعمره ثمانية أشهر، وأنفق على ذلك في خلع لأهل الدولة، وطعام ونثار للعامة ما يجل وصفه.

وفي سنة اثنتين وعشرين تحرك السعر لنقص ماء النيل، ثم زاد بعد أوانه بأربعة أشهر.

وفي سنة ثلاث وعشرين قتل الظاهر أحد الدعاة، فاضطربت الرعية والجند، وتحدث الناس بخلعه، ثم سكنت الفتنة بعد إنفاق مال جزيل.

وفي سنة أربع وعشرين ركب ولي العهد من القاهرة إلىمصر، وقد زينت الطرقات، فكان إذا مر بقوم قبلوا له الأرض، ونثر يومئذ على العامة مبلغ خمسة آلاف دينار، فكان يوما عظيما.." (١)

"وفي سنة خمس وعشرين بث الظاهر دعاته ببغداد عند اختلاف الأتراك بها، فكثرت دعاته هناك، واستجاب لهم خلق كثير، فلما كان في سنة ست وعشرين كثر الوباء بمصر، ومات الظاهر للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأرعمائة عن اثنتين وثلاثين سنة إلا أياما، فكانت حدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما، وكان مشغوفا باللهو محبا للغناء، فتأنق الناس في أيامه بمصر، واتخذوا المغنيات والرقاصات، وبلغوا من ذلك مبلغا عظيما، واتخذ حجرا لمماليكه وعلمهم أنواع العلوم، وسائر فنوي الحرب، واتخذ خزانة البنود، وأقام فيها ثلاثة آلاف صانع، وراسل الملوك واستكثر من شراء الجواهر، وكانت مملكته بإفريقية ومصر والشام والحجاز، وغلب صالح بن مرداس على حلب في أيامه، واستولى على مل يليها، وتغلب حسان جراح على أكثر بلاد الشام، فتضعضعت الدولة. وقام من بعده ابنه ولي العهد، وبويع له وهو: المتنصر بالله أبو تميم معد، ومولده في السادس عشر من جمادى الآخرة سنة عشرين وأربعمائة، وبويع بالخلافة للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين، وعمره يومئذ سبع سنين، فأقام ستين سنة وأشهرا في الخلافة كانت فيها أنباء، وقصص شنيعة بديار مصر منها: أن أمه كانت أمة سوداء لتاجر يهودي يقال له: أبو سعد سهل بن هارون التستري، فابتاعها منه الظاهر، واستولدها المستنصر، فلما أفضت الخلافة إليه استدنت أمه أبا سعد، ورقته درجة علية، وكان الوزير يومئذ أبا القاسم الحرحراي، فلم يتمكن أبو سعد من إظهار ما في نفسه حتى مات الحرحراي، وتولى أبو منصور صدقة بن يوسف العلاجي الوزارة، فانبسطت يد أبي سعد، وصار العلاجي يأتمر بأمر، فعمل عليه وقتله كما ذكر في خبر خزانة البنود، فحقدت أم المتنصر على العلاجي، وصرفته عن الوزارة واستقر أبو البركات صفي الدين الحسين بن محمد بن أحمد الحرحراي في الوزارة.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٤٨/١

وفي سنة أربعين سار ناصر الدولة الحسين بن حمدان متولي دمشق بالعساكر إلى حلب، وحارب متوليها: ثمال بن صالح بن مرداس، ثم رجع بغير طائل، فقلد مظفر الصقلبي دمشق، وقبض على ابن حمدان، وصادره واعتقله بصور، ثم بالرملة، وخرج أمير الأمراء: رفق الخادم على عسكر تبلغ عدته نحو الثلاثين ألفا بلغت النفقة عليه أربعمائة ألف دينار يريد الشام، ومحاربة بني مرداس.

وفي المحرم سنة إحدى وأربعين صرف قاضي القضاة قاسم بن عبد العزيز بن النعمان عن القضاء بعدما باشره ثلاث عشرة سنة وشهر أو أربعة أيام، وتقلد وظيفة القضاء بعده القاضي الأجل خطير الملك أبو محمد البازوري.

وفيها حارب رفق بني حرداس، فظفروا به وأسروه، فمات بقلعة حلب، فأفرج عن ابن حمدان، وبقي بالحضرة، وقبض على الوزير أبي البركات الحرحراي، ونفي إلى الشام، وعمل أبو المفضل صاعد بن مسعود واسطة لا وزيرا، ثم قلد القضاة أبو محمد البازوري الوزارة مع وظيفة القضاء، ولقب بسيد الوزراء.

وفي سنة اثنتين وأربعين كانت حروب البحيرة، وإخراج بني قرة منها، وإنزال بني سنيس بعدهم بها، وفيها دعا علي بن محمد الصليحي باليمن للمستنصر، وبعث إليه بمال النجوة والهدن.

وفي سنة أربع وأربعين كتب ببغداد محاضر بالقدح في نسب الخلفاء **المصريين**، ونفيهم من الانتساب إلى علي بن أبي طالب، وسيرت إلى الآفاق وقصر مد النيل، فتحرك السعر بمصر، ثم قصر أيضا مد النيل في سنة ست وأربعين، فقوي الغلاء، وكثر الموت في الناس.

وفي سنة ثمان وأربعين خرج أبو الحارث البساسيري من بغداد منتميا للمستنصر، فسيرت إليه الأموال والخلع.

وفي سنة ثمان وأربعين عادت حلب إلى مملكة المستنصر.

وفي سنة خمسين قبض على الوزير الناصر للدين أبي محمد البازوري، وتقلد بعده الوزارة أبو الفرج محمد بن جعفر المغربي بن عبد الله بن محمد، وولي القضاء بعد البازوري أبو علي أحمد بن عبد الحكم، ثم صرف بعبد الحاكم المليحي، وفيها أخذ البساسيري بغداد، وأقام فيها الخطبة للمستنصر، وفر الخليفة القائم بأمر الله العباسي إلى قريش بن بدران، فبعث به إلى غانة، وسيرت ثياب القائم، وعمامته وغير ذلك من الأموال إلى مصر، وفيها سار ناصر الدولة إلى دمشق أميرا عليها.." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٤٩/١

"فسار مري يريد أخذ القاهرة، ونزل على مدينة بلبيس، وأخذها عنوة، فكتب العاضد إلى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستصرخه، ويحثه على نجدة الإسلام، وإنقاذ المسلمين من الفرنج، فجهز أسد الدين شيركوه في عسكر كثير، وجهزهم وسيرهم إلى مصر، وقد أحرق شاور مدينة مصر، كما تقدم ونزل مري ملك الفرنج على القاهرة، وألح في قتال أهلها حتى كاد أن يأخذها عنوة، فسير إليها شاور وخادعه حتى رضي بمال يجمعه له، فشرع في جبايته، وإذا بالخبر ورد بقدوم شيركوه، فرحل الفرنج عن القاهرة في سابع ربيع الآخر، نز شيركوه على القاهرة بالغز ثالث مرة، فخلع عليه العاضد، وأكرمه، فأخذ شاور يفتك بالغز على عادته، فكان من قتله ما ذكر في موضعه، وذلك في سابع عشر ربيع الآخر المذكور، وتقلد شيركوه وزارة العاضد، وقام بالدولة شهرين وخمسة أيام، ومات في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة، ففوض العاضد الوزارة لصلاح الدين يوسف بن أيوب، فساس الأمور، ودبر لنفسه، فبذل الأموال، وأضعف العاضد باستنفاد ما عنده من المال، فلم يزل أمره في ازدياد. وأمر العاضد في نقصان، وصار يخطب من بعد العاضد للسلطان محمود نور الدين وأقطع أصحابه البلاد، وأبعد **أهل مصر**، وأضعفهم، واستبد بالأمور، ومنع العاضد من التصرف حتى تبين للناس ما يريده من إزالة الدولة إلى أن كان من واقعة العبيد ما ذكرنا فأبادهم وأفناهم، ومن حينئذ تلاشى العاضد، وانحل أمره، ولم يبق له سوى إقامة ذكره في الخطبة فقط، هذا وصلاح الدين يوالي الطلب منه في كل يوم ليضعفه، فأتى على المال والخيل والرقيق وغير ذلك حتى لم يبق عند العاضد غير فرس واحد، فطلب منه، وألجأه إلى إرساله، وأبطل ركوبه من ذلك الوقت.

وصار لا يخرج من القصر البتة، وتتبع صلاح الدين جند العاضد، وأخذ دور الأمراء وإقطاعاتهم، فوهبها لأصحابه، وبعث إلى أبيه وإخوته وأهله، فقدموا من الشام عليه، فلما كان في سنة ست وستين أبطل المكوس من ديار مصر، وهدم دار المعونة بمصر، وعمرها مدرسة للشافعية، وأنشأ مدرسة أخرى للمالكية، وعزل قضاة مصر الشيعة، وقلد القضاء صدر الدين بن عبد الملك بن درباس الشافعي، وجعل إليه الحكم في إقليم مصر كله، فعزل سائر القضاة، واستناب قضاة شافعية، فتظاهر الناس من تلك السنة بمذهب مالك والشافعي رضي الله عنهما، واختفى مذهب الشيعة إلى أن نسي من مصر، وأخذ في غزو الفرنج، فخرج إلى الرملة، وعاد في ربيع الأول، ثم سار إلى أيلة، ونازل قلعتها، حتى أخذها من الفرنج في ربيع الآخر، ثم سار إلى الإسكندرية، لم شعث سورها، وعاد وسير توران شاه فأوقع بأهل الصعيد، وأخذ منهم ما لا يمكن وصفه كثرة،وعاد فكثر القول من صلاح الدين، وأصحابه في ذم العاضد، وتحدثوا بخلعه، وإقامة الدعوة العباسية بالقاهرة ومصر، ثم قبض على سائر من بقي من أمراء الدولة، وأنزل أصحابه في دورهم في ليلة

واحدة، فأصبح في البلد من العويل والبكاء، ما يذهل، وتحكم أصحابه في البلد بأيديهم، وأخرج إقطاعات سائر **المصريين** لأصحابه، وقبض على بلاد العاضد، ومنع عنه سائر مواده، وقبض على القصور، وسلمها إلى الطواشي بهاء الدين قراقوش الأسدي، وجعله زمامها، فضيق على أهل القصر، وصار العاضد معتقلا تحت يده، وأبطل من الأذان: حي علي خير العمل، وأزال شعار الدولة، وخرج بالعزم على قطع خطبة العاضد، فمرض ومات، وعمره إحدى وعشرون سنة إلا عشرة أيام منها في الخلافة إحدى عشرة سنة وستة أشهر وسبعة أيام، وذلك في ليلة يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة بعد قطع اسمه من الخطبة، والدعاء للمستنجد العباسي بثلاثة أيام، وكان كريما لين الجانب مرت به مخاوف وشدائد، وهو أخر الخلفاء الفاطميين بمصر، وكانت مدتهم بالمغرب ومصر منذ قام عبيد الله المهدي إلى أن مات العاضد مائتي سنة واثنتين وسبعين سنة وأياما بالقاهرة منها مائتان وثماني سنين، فسبحان الباقي.

ما كان عليه موضع القاهرة

قبل وضعها." (١)

"وتحوي مصر والقاهر من الجوام، والمساجد، والربط والمدارس، والزوايا، والدور العظيمة، والمساكن الجليلة، والمناظر البهجة، والقصور الشامخة، والبساتين النضرة، والحمامات الفاخرة، والقياسر المعمورة بأصناف الأنواع، والأسواق المملوءة مما تشتهي الأنفس، والخانات المشحونة بالواردين، والفنادق الكاظة بالسكان والترب التي تحكي القصور ما لا يمكن حصره، ولا يعرف ما هو قدره إلا أن قدر ذلك بالتقريب الذي يصدقه الاختبار طولا بريدا ، وما يزيد عليه، وهو من مسجد تبر إلى بساتين الوزير قبلي بركة الحبش، وعرضا يكون نصف بريد فما فوقه، وهو من ساحل النيل إلى الجبل، ويدخل في هذا الطول والعرض بركة الحبش، وما دار بها وسطح الجرف المسمى: بالرصد، ومدينة الفسطاط التي يقال لها: مدينة مصر، والقرافة الكبرى والصغرى، وجزيرة الحصن المعروف اليوم: بالروضة، ومنشأة المهراني، وقطائع ابن طولون التي تعرف الآن بحدرة ابن قميحة، وخط جامع بن طولون والرميلة تحت القلعة، والقبيبات وقلعة الجبل والميدان الأسود الذي هو اليوم مقابر أهل القاهرة خارج باب البرقية إلى قبة النصر، والقاهرة المعزية، وهو ما دار عليه السور الحجر، والحسينية والريدانية، والخندق وكوم الريش، وجزيرة الفيل، وبولاق، والجزيرة الوسطى المعروفة بجزيرة أروى ، وزريبة قوصون، وحكر ابن الأثير، ومنشأة الكاتب، والأحكار التي فيما بين القاهرة، وساحل النيل، وأراضي اللوق، والخليج الكبير الذي تسمه العامة بالخليج الحاكمي، والحبانية والصليبة والتبانة،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٥٣/١

ومشهد السيدة نفيسة، وباب القرافة، وأرض الطبالة، والخليج الناصري، والمقس والدكة، وغير ذلك مما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى، وقد أدركنا هذه المواضع، وهي عامرة، والمشيخة تقول: هي خراب بالنسبة لما كانت عليه قبل حدوث طاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة الذي يسميه **أهل مصر**: الفناء الكبير، وقد تلاشت هذه الأماكن، وعمها الخراب منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة، ولله عاقبة الأمور.

بناء القاهرة

وما كانت عليه في الدولة الفاطمية." (١)

"وذلك أن القائد جوهر الكاتب: لما قدم الجيزة بعساكر مولاه الإمام المعز لدين الله أبي تميم معد أقبل في يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت منن شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة، وسارت عساكره بعد زوال الشمس، وعبرت الجسر أفواجا، وجوهر في فرسانه إلى المناخ الذي رسم له المعز موضع القاهرة الآن، فاستقر هناك، واختط القصر، وبات **المصريون**، فلما أصبحوا حضروا للهناء، فوجدوه قد حفر أساس القصر بالليل، وكانت فيه أزورارات غير معتدلة، فلما شاهدها جوهر لم يعجبه، ثم قال: قد حفر في ليلة مباركة، وساعة سعيدة، فتركه على حاله، وأدخل فيه دير العظام، ويقال: إن القاهرة اختطها جوهر في يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة، سنة تسع وخمسين، واختطت كل قبيلة خطة عرفت بها: فزويلة بنت الحارة المعروفة بها، واختطت جماعة من أهل برقة الحارة البرقية، واختطت الروم حارتين: حارة الروم الآن، وحارة الروم الجوانية بقرب باب النصر، وقصد جوهر باختطاط القاهرة حيث هي اليوم أن تصير حينا فيما بين القرامطة، وبين مدينة مصر ليقاتلهم من دونها، فأدار السور اللبن على مناخه الذي نزل فيه بعساكره، وأنشأ من داخل السور جامعا، وقصرا، وأعدها معقلا يتحصن به، وتنزله عساكره، واحتفر الخندق من الجهة الشامية ليمنع اقتحام عساكر القرامطة إلى القاهرة، وما وراءها من المدينة، وكان مقدار القاهرة حينئذ أقل من مقدارها اليوم، فإن أبوابها كانت من الجهات الأربعة، ففي الجهة القبلية التي تفضي بالسالك منها إلى مدينة مصر: بابان متجاوران يقال لهما: بابا زويلة، وموضعهما الآن بحذاء المسجد الذي تسميه العامة: بسام بن نوح، ولم يبق إلى هذا العهد سوى عقده، ويعرف باب القوس، وما بين باب القوس هذا، وباب زويلة الكبير ليس هو من المدينة التي أسسها القائد جوهر، وإنما هي زيادة حدثت بعد ذلك، وكان في جهة القاهرة البحرية، وهي التي يسلك منها إلى عين شمس بابان أحدهما، باب النصر، وموضعه بأول الرحبة التي قدام الجامع الحاكمي الآن، وأدركت قطعة منه كانت قدام الركن الغربي من المدرسة القاصدية،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٤٥٦

وما بين هذا المكان، وباب النصر الآن مما زيد في مقدار القاهرة بعد جوهر، والباب الآخر من الجهة البحرية: باب الفتوح، وعقده باق إلى يومنا هذا، مع عضادته اليسرى، وعليه أسطر مكتوبة بالقلم الكوفي، وموضع هذا الباب الآن بآخر سوق المرحلين، وأول رأس حارة بهاء الدين مما يلي باب الجامع الحاكمي، وفيما بين هذا العقد، وباب الفتوح من الزيادات التي زيدت في القاهرة من بعد جوهر، وكان في الجهة الشرقية من القاهرة، وهي الجهة التي يسلك منها إلى الجبل بابان: أحدهما يعرف الآن: بالباب المحروق، والآخر يقال له: باب البرقية، وموضعهما دون مكانهما إلى الآن ويقال لهذه الزيادة من هذه الجهة: بين السورين، وأحد البابين القديمين موجود إلى الآن اسكفته، وكان في الجهة الغربية من القاهرة، وهي المطلة على الخليج الكبير بابان أحدهما: باب سعادة، والآخر باب الفرج، وباب ثالث يعرف: بباب الخوخة، أظنه حدث بعد جوهر، وكان داخل سور القاهرة يشتمل على قصرين، وجامع يقال لأحد القصرين: القصر الكبير الشرقي، وهو منزل سكنى الخليفة، ومحل حرمه، وموضع جلوسه لدخول العساكر، وأهل الدولة، وفيه الدواوين وبيت المال، وخزائن السلاح، وغير ذلك، وهو الذي أسسه القائد جوهر، وزاد فيه المعز، ومن بعده من الخلفاء، والآخر تجاه هذا القصر، ويعرف: بالقصر الغربي، وكان يشرف على البستان الكافوري، ويتحول إليه الخليفة في أيام النيل للنزهة على الخليج، وعلى ما كان إذ ذاك بجانب الخليج الغربي من البركة التي يقال لها بطن البقرة، ومن البستان المعروف بالبغدادية، وغيره من البساتين التي كانت تتصل بأرض اللوق، وجنان الزهري، وكان يقال لمجموع القصرين: القصور الزاهرة، ويقال للجامع: جامع القاهرة، والجامع الأزهر.." (١)

"واهتم من بعد الخلفاء **المصريون** بالزيادة في تلك القصور، وقد عاينت فيها إيوانا يقولون: إنه بني على قدر إيوان كسرى الذي بالمدائن، وكان يجلس فيه خلفاؤهم، ولهم على الخليج الذي بين القسطاط والقاهرة مبان عظيمة جليلة الآثار، وأبصرت في قصورهم حيطانا عليها طاقات عديد من الكلس والجبس، ذكر لي أنهم كانوا يجددون تبيضها في كل سنة، والمكان المعروف في القاهرة بين القصرين هو من الترتيب السلطاني، لأن هناك ساحة متسعة للعسكر، والمتفرجين ما بين القصرين، ولو كانت القاهرة عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية، ولكن ذلك أمد قليل، ثم تسير منه إلى أمد ضيق، وتمر في ممر كدر حرج بين الدكاكين إذا ازدحمت فيه الخيل مع الرجالة كان ذلك ما تضيق منه الصدور، وتسخن منه العيون، ولقد عاينت يوما وزير الدولة، وبين يديه أمراء الدولة، وهو في موكب جليل، ولقد لقي في طريقه عجلة بقر تحمل

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٥٧/١

حجارة، وقد سدت جميع الطرق بين يدي الدكاكين، ووقف الوزير وعظم الازدحام، وكان في موضع طباخين والدخان في وجه الوزير، وعلى ثيابه، وقد كان يهلك المشاة، وكدت أهلك في جملتهم.

وأكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة كثيرة التراب، والأزبال، والمباني عليها من قصب وطين مرتفعة قد ضيقت مسلك الهواء والضوء بينهما، ولم أر في جميع بلاد المغرب أسوأ حالا منها في ذلك، ولقد كنت إذا مشيت فيها يضيق صدري، ويدركني وحشة عظيمة حتى أخرج إلى بين القصرين.

ومن عيوب القاهرة: أنها في ارض النيل الأعظم، ويموت الإنسان فيها عطشا لبعدها عن مجرى النيل لئلا يصادرها، ويأكل ديارها، واحتاج الإنسان إلى فرجة في نيلها مشى في مسافة بعيدة بظاهرها بين المباني التي خارج السور إلى موضع يعرف: بالمقس، وجوها لا يبرح كدرا، بما تثيره الأرجل من التراب الأسود، وقد قلت فيها حين اكثر علي رفاقي من الحض على العود فيها:

يقولون سافر إلى القاهرة ... وما لي بها راحة ظاهره

زحام وضيق وكرب وما ... تثير بها الأرجل السائره

وعندما يقبل المسافر عليها، يرى سورا أسود كدرا، وجوا مغبرا، فتنقبض نفسه، ويفر أنسه، وأحسن موضع في ظواهرها للفرجة أرض البطالة، لا سيما أرض القرط والكتان فقلت:

سقى الله أرضا كلما زرت أرضها ... كساها وحلاها بزينته القرط

تجلت عروسا والمياه عقودها ... وفي كل قطر من جوانبها قرط

وفيها خليج لا يزال يضعف بين حضرتها حتى يصير كما قال الرصافي:

ما زالت الأنحال تأخذه ... حتى غدا كذؤابة النجم

وقلت في نوار الكتان على جانبي هذا الخليج:

أنظر إلى النهر والكتان يرمقه ... من جانبيه بأجفان لها حدق

رأته سيفا عليه للصبا شطب ... فقابلته بأحداق بها أرق

وأصبحت في يد الأرواح تنسجها ... حتى غدت حلقا من فوقها حلق

فقم وزرها ووجه الأفق متضح ... أو عند صفرته إن كنت تغتبق

وأعجبني في ظاهرها بركة الفيل لأنها دائرة كالبدر، والمناظرة فوقها كالنجوم، وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل، وتسرج أصحاب المناظر على قدر همتهم، وقدرتهم فيكون بذلك لها منظر عجيب وفيها أقول:

انظر إلى بركة الفيل التي اكتنفت ... بها المناظر كالأهداب للبصر

كأنما هي والأبصار ترمقها ... كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت إليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت:

انظر إلى بركة الفيل التي نحرت ... لها الغزالة نحرا من مطالعها

وخل طرفك مجنونا ببهجتها ... تهيم وجدا وحبا في بدائعها." (١)

"سور القاهرة

اعلم أن القاهرة مذ أسست عمل سورها ثلاث مرات: الأولى: وضعه القائد جوهر، والمرة الثانية: وضعه أمير الجيوش بدر الجمالي في أيام الخليفة المستنصر، والمرة الثالثة: بناه الأمير الخصي بهاء الدين قراقوش الأسدي في سلطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أول ملوك القاهرة.

السور الأول: كان من لبن وضعه جوهر القائد على مناخه الذي نزل به هو وعساكره حيث القاهرة الآن، فأداره على القصر والجامع، وذلك أنه لما سار من الجيزة بعد زوال الشمس، من يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة بعساكره، وقصد إلى مناخه الذي رسمه له مولاه الإمام المعز لدين الله أبو تميم معد، واستقرت به الدار اختط القصر، وأصبح **المصريون** يهنونه، فوجدوه قد حفر الأساس في الليل، فأدار السور اللبن، وسماها المنصورية إلى أن قدم المعز لدين الله من بلاد المغرب إلى مصر، ونزل بها فسماه ا: القاهرة.

ويقال في سبب تسميتها: إن القائد جوهرا لما أراد بناءها أحضر المنجمين، وعرفهم أنه يريد عمارة بلد ظاهر مصر ليقيم بها الجند، وأمرهم باختيار طالع سعيد لوضع الأساس بحيث لا يخرج البلد عن نسلهم أبدا، فاختاروا طالعا لوضع الأساس، وطالعا لحفر السور، وجعلوا بدائر السوق قوائم خشب بين كل قائمتين جبل فيه أجراس، وقالوا للعمال: إذا تحركت الأجراس، فارموا ما بأيديكم من الطين والحجارة، فوقفوا ينتظرون الوقت الصالح لذلك، فاتفق أن غرابا وقع على حبل من تلك الحبال التي فيها الأجراس، فتحركت كلها، فظن العمال أن المنجمين قد حركوها، فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة، وبنوا فصاح المنجمون: القاهرة في الطالع فمضى ذلك، وفاتهم ما قصدوه.

ويقال: إن المريخ كان في الطالع عند ابتداء وضع الأساس، وهو قاهر الفلك، فسموها: القاهرة، واقتضى نظرهم أنها لا تزال تحت القهر، وأدخل في دائر هذه ا‌لسور بئر العظام، وجعل القاهرة حارات للواصلين صحبته، وصحبة مولاه المعز، وعمر القصر بترتيب ألقاه إليه المعز.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٤٦٤

ويقال: إن المعز لما رأى القاهرة لم يعجبه مكانها، وقال الجوهر: لما فاتك عمارة القاهرة بالساحل، كان ينبغي عمارتها بهذا الجبل يعني سطح الجرف الذي يعرف اليوم بالرصد المشرف على جامع راشدة، ورتب في القصر جميع ما يحتاج إليه الخلفاء بحيث لا تراهم الأعين في النقلة من مكان إلى مكان، وجعل في ساحاته البحرة والميدان، والبستان وتقدم بعمارة المصلى بظاهر القاهرة، وقد أدركت من هذا السور اللبن قطعا، وآخر ما رأيت منه قطعة كبيرة كانت فيما بين باب البرقية، ودرب بطوط هدمها شخص من الناس في سنة ثلاث وثمانمائة، فشاهدت من كبر لبنها ما يتعجب منه في زمننا، حتى أن اللبنة تكون قدر ذراع في ثلثي ذراع، وعرض جدار السور: عدة أذرع يسع أن يمر به فارسان، وكان بعيدا عن السور الحجر الموجود الآن، وبينهما نحو الخميسن ذراعا، وما أحسب أنه بقي الآن من هذا السور اللبن شيء.." (١)

"أمير الجيوش: أبو النجم بدر الجمالي كان مملوكا أرمنيا لجمال الدولة بن عمار، فلذلك عرف: بالجمال، وما زال يأخذ بالجد من زمن سبيه فيما يباشره، ويوطن نفسه على قوة العزم، وينتقل في الخدم، حتى ولي إمارة دمشق من قبل المستنصر في يوم الأربعاء ثالث عشري ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة، ثم سار منها كالهارب في ليلة الثلاثاء لأربع عشرة خلت من رجب سنة ست وخمسين، ثم وليها ثانيا يوم الأحد سادس شعبان سنة ثمان وخمسين، فبلغه قتل ولده شعبان بعسقلان، فخرج في شهر رمضان سنة ستين وأربعمائة، فثار العسكر وأخربوا قصره، وتقلد نيابة عكا، فلما كانت الشدة بمصر من شدة الغلاء، وكثرة الفتن، والأحوال بالحضرة قد فسدت، والأمور قد تغيرت، وطوائف العسكر قد شغبت، والوزراء ينعون بالاسم دون نفاذ الأمر والنهي، والرخاء قد أيس منه، والصلاح لا مطمع فيه، ولواته قد ملكت الريف، والصعيد بأيدي العبيد، والطرقات قد انقطعت برا وبحرا إلا بالخفارة الثقيلة، فلما قتل بلدكوش : ناصر الدولة حسين بن حمدان، كتب المستنصر إليه يستدعيه ليكون المتولي لتدبير دولته، فاشترك أن يحضر معه من يختاره معه عسكرا، وركب البحر من عكا في أول كانون، وسار بمائة مركب بعد أن قيل له: إن العادة لم تجر بركوب البحر في الشتاء لهيجانه، وخوف التلف، فأبى عليهم، وأقلع فتمادى الصحو، والسكون مع الريح الطيبة مدة أربعين يوما، حتى كثر التعجب من ذلك، وعد من سعادته، فوصل إلى تنيس ودمياط، واقترض المال من تجارها ومياسيرها، وقام بأمر ضيافته، وما يحتاج إليه من الغلال: سليمان اللواتي كبير أهل البحيرة، وسار إلى قليوب، فنزل بها وأرسل إلى المستنصر يقول: لا أدخل إلى مصر حتى تقبض على بلدكوش، وكان أحد الأمراء، وقد اشتد على المستنصر بعد قتل ابن حمدان، فبادر المستنصر، وقبض

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٧٨/١

عليه، واعتقله بخزانة البنود، فقدم بدر عشية الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة خمس وستين وأربعمائة، فتهيأ له أن قبض على جميع أمراء الدولة، وذلك أنه لما قدم لم يكن عند الأمراء علم من استدعائه، فما منهم إلا من أضافه، وقدم إليه، فلما انقضت نوبهم في ضيافته استدعاهم إلى منزله في دعوة صنعها لهم، وبيت مع أصحابه أن القوم إذا أجنهم الليل، فإنهم لا بد يحتاجون إلى الخلاء، فمن قام منهم إلى الخلاء يقتل هناك، ووكل بكل واحدا واحدا من أصحابه، وأنعم عليه بجميع ما يتركه ذلك الأمير من دار ومال، وإقطاع وغيره، فصار الأمراء إليه وظلوا نهارهم عنده، وباتوا مطمئنين، فما طلع ضوء النهار حتى استولى أصحابه على جميع دور الأمراء، وصارت رؤوسهم بين يديه، فقويت شوكته، وعظم أمره، وخلع عليه المستنصر بالطيلسان المقور، وقلده وزارة السيف والقلم، فصارت القضاة والدعاة، وسائر المستخدمين من تحت يده، وزيد في ألقابه أمير الجيوش كافل قضاة المسلمين، وهادي دعاة المؤمنين، وتتبع المفسدين، فلم يبق منهم أحدا حتى قتله، وقتل من أماثل المصريين، وقضاتهم ووزرائهم جماعة، ثم خرج إلى الوجه البحري، فأسرف في قتل من هنالك من لواتة، واستصفى أموالهم، وأزاح المفسدين وأفناهم بأنواع القتل، وصار إلى البر الشرقي، فقتل منه كثيرا من المفسدين، ونزل إلى الإسكندرية، وقد ثار بها جماعة مع ابنه الأوحد، فحاصرها أياما من المحرم سنة سبع وسبعين وأربعمائة، إلى أن أخذها عنوة، وقتل جماعة ممن كان بها، وعمر جامع العطارين من مال المصادرات، وفرغ من بنائه في ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربعمائة، ثم سار إلى الصعيد، فحارب جهينة والثعالبة، وأفنى أكثرهم بالقتل، وغنم من الأموال، ما لا يعرف قدره كثرة، فصلح به حال الإقليم بعد فساده، ثم جهز العساكر لمحاربة البلاد الشامية، فصارت إليها غير مرة، وحاربت أهلها، ولم يظفر منها بطائل، واستناب ولده شاهنشاه. وجعله ولي عهده.." (١)

"قال: ومبلغ ما ينفق في سماط الفطر، والأضحى أربعة آلاف دينار، وكان يجلس على أسمطة الأعياد في كل سنة رجلان من الأجناد يقال لأحدهما: ابن فائز، والآخر الديلمي، يأكل كل واحد منهما خروفا مشويا، وعشر دجاجات محلاة، وجام حلوى عشرة أرطال، ولهما رسوم تحمل إليهما بعد ذلك من الأسمطة لبيوتهما ودنانير وافرة على حكم الهبة، وكان أحدهما أسر بعسقلان في تجريدة جرد إليها، وأقام مدة في الأسر فاتفق أنه كان عندهم عجل سبمين فيه عدة قناطير لحم، فقال له الذي أسره وهو يداعبه: إن أكلت هذا العجل أعتقتك، ثم ذبحه، وسوى لحمه، وأطعمه حتى أتى على جميعه، فوفى له وأعتقه، فقدم على أهله بالقاهرة، ورأيته يأكل على السماط.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٨٥/١

الإيوان الكبير

قال القاضي الرئيس محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر الروحي الكاتب في كتاب الروضة البهية الزهراء في خطط المعزية القاهرة، الإيوان الكبير بناه العزيز بالله أبو منصور نزار بن المعز لدين الله معد في سنة تسع وستين وثلثمائة، انتهى.

وكان الخلفاء أولا يجلسون به في يومي الاثنين والخميس إلى أن نقل الخليفة الآمر بأحكام الله الجلوس منه في اليومين المذكورين إلى قاعة الذهب كما تقدم، وبصدر هذا الإيوان كان الشباك الذي يجلس فيه الخليفة، وكان يعلو هذا الشباك قبة، وفي هذا الإيوان، كان يمد سماط الفطرة بكرة يوم عيد الفطر كما تقدم به، وبه أيضا كان يعمل الاجتماع، والخطبة في يوم عيد الغدير، وكان بجانب هذا الإيوان الدواوين، وكان بهذا الإيوان ضلعا سمكة إذا أقيما واريا الفارس بفرسه، ولم يزالا حتى بعثهما السلطان صلاح الدين يوسف إلى بغداد في هدية.

عيد الغدير : إعلم أن عيد الغدير لم يكن عيدا مشروعا، ولا عمله أحد من سالف الأمة المقتدى بهم، وأول ما عرف في الإسلام بالعراق أيام معز الدولة علي بن بويه، فإنه أحدثه في سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة، فاتخذه الشيعة من حينئذ عيدا، وأصلهم فيه، ما خرجه الإمام أحمد في مسنده الكبير من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر لنا، فنزلنا بغدير خم، ونودي الصلاة جامعة وكسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتين، فصلى الظهر، وأخذ بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: " ألستم أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: ألستم أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه " .

قال: فلقيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: هنيئا لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة.

وغدير خم: على ثلاثة أميال من الجحفة يسرة الطريق، وتصب فيه عين، وحوله شجر كثير، ومن سنتهم في هذا العيد، هو أبدا يوم الثامن عشر من ذي الحجة أن يحيوا ليلته بالصلاة، ويصلوا في صبيحته ركعتين قبل الزوال، يلبسوا فيه الجديد، ويعتقوا الرقاب، ويكثروا من عمل البر، ومن الذبائح، ولما عمل الشيعة هذا العيد بالعراق أرادت عوام السنية مضاهاة فعلهم، ونكايتهم، فاتخذوا في سنة تسع وثمانين وثلثمائة بعد عيد الغدير بثمانية أيام عيدا، وأكثروا فيه من السرور واللهو، وقالوا: هذا يوم دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، وبالغوا في هذا اليوم في إظهار الزينة، ونصب القباب،

وإيقاد النيران، ولهم في ذلك أعمال مذكورة في أخبار بغداد. وقال ابن زولاق: وفي يوم ثمانية عشر من ذلك الحجة سنة اثنتين وستين وثلثمائة، وهو يوم الغدير: تجمع خلق من **أهل مصر** والمغاربة، ومن تبعهم للدعاء لأنه يوم عيد، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فيه، واستخلفه، فأعجب المعز ذلك من فعلهم، وكان هذا أول ما عمل بمصر.." (١)

"فلما أبطأ مجيئه بعث الأفضل إليه ليحضر بالخط، فلم يعلم له خبرا. فانزعج لذلك انزعاجا عظيما، وكانت نفرة نزار من الأفضل لأمور منها: أنه خرج يوما فإذا بالأفضل قد دخل من باب القصر، وهو راكب، فصاح به نزار: انزل يا أرمني الجنس ، فحقدها عليه، وصار كل منهما يكره الآخر، ومنها: أن الأفضل: كان يعارض نزارا في أيام أبيه، ويستخف به، ويضع من حواشيه، وأسبابه، ويبطش بغلمانه، فلما مات المستنصر خافه، لأنه كان رجلا كبيرا، وله حاشية، وأعان، فقدم لذلك أحمد بن المستنصر بعدما اجتمع بالأمراء وخوفهم من نزار، وما زال بهم حتى وافقوه على الإعراض عنه، وكان من جملتهم: محمود بن مصال، فسير خفية إلى نزار، وأعلمه بما كان من اتفاق الأفضل مع الأمراء على إقامة أخيه أحمد، وإدارته لهم عنه، فاستعد إلى المسير إلى الإسكندرية هو وابن مصال، فلما فارق الأفضل ليحضر إليه بخط أبيه، خرج من القصر متنكرا، وسار هو وابن مصال إلى الإسكندرية، وبها الأمير نصر الدولة أفتكين أحد مماليك أمير الجيوش بدر الجمالي، ودخلا عليه ليلا وأعلماه بما كان من الأفضل، وتراميا عليه، ووعده نزار بأن يجعله وزيرا مكان الأفضل، فقبلهما أتم قبول، وبايع نزارا، وأحضر يتجهز لمحاربتهم وخرج في آخر المحرم سنة ثمان وثمانين بعسكره، وسار إلى الإسكندرية، فبرز إليه نزار وأفتكين، وكانت بين الفريقين عدة حروب شديدة انكسر فيها الأفضل، ورجع بمن معه منهزما إلى القاهرة، فقوي نزار وأفتكين، وصار إليهما كثير من العرب، واشتد أمر نزار، وعظم واستولى على بلاد الوجه البحري، وأخذ الأفضل يتجهز ثانيا إلى المسير لمحاربة نزار، ودس إلى أكابر العربان، ووجوه أصحاب نزار وأفتكين، وصاروا إلى الإسكندرية، فنزل الأفضل إليها، وحاصرها حصارا شديدا، وألح في مقاتلتهم، وبعث إلى أكابر أصحاب نزار، ووعدهم.

فلما كان في ذي القعدة وقد اشتد البلاء من الحصار جمع ابن مصال ماله، وفر في البحر إلى جهة بلاد المغرب، ففت ذلك في عضد نزار وتبين فيه الانكسار، واشتد الأفضل، وتكاثرت جموعه، فبعث نزار وأفتكين إليه يطلبان الأمان منه، فأمنهما ودخل الإسكندرية، وقبض على نزار وأفتكين، وبعث بهما إلى القاهرة، فأما نزار: فإنه قتل في القصر بأن أقيم بين حائطين بنيا عليه فمات بينهما، وأما أفتكين، فإنه قتله

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١/٤٤٩

الأفضل بعد قدومه، ودار أفتكين هذه كانت خارج القصر وموضعها الآن حيث مدرسة القاضي الفاضل، وآدره بدرب ملوخيا.

خزانة البنود البنود: هي الرايات والأعلام، ويشبه أن تكون هي التي يقال لها في زمننا: العصائب السلطانية، وكانت خزانة البنود ملاصقة للقصر الكبير، ومن حقوقه فيما بين قصر الشوك، وباب العيد بناها: الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله أبو هاشم علي بن الحاكم بأمر الله، وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين في سائر الصنائع، وكانت أيام الظاهر هذا سكونا وطمأنينة، وكان مشتغلا بالأكل والشرب، والنزه، وسماع الأغاني.

وفي زمانه تأنق **أهل مصر** والقاهرة في اتخاذ الأغاني والرقاصات، وبلغ من ذلك المبالغ العجيبة، واتخذت له حجرة المماليك، وكانوا يعلمونهم فيها أنواع العلوم وأنواع آلة الحرب، وصنوف حيلها من الرماية، والمطاعنة، والمسابقة وغير ذلك.

وقال في كتاب الذخائر والتحف: ولما وهب السلطان يعني الخليفة المستنصر لسعد الدولة المعروف بسلام عليك ما في خزانة البنود من جميع المتاع والآلات، وغير ذلك في اليوم السادس من صفر سنة إحدى وستين وأربعمائة، حمل جميعه ليلا، وكان فيما وجد سعد الدولة فيها ألفا وتسعمائة درقة إلى ما سوى ذلك من آلات الحرب وما سواه، وغير ذلك من القضي الفضة والذهب والبنود، وما سواه، وفي خلال ذلك سقط من بعض الفراشين: مقط شمع موقد نارا، فصادف هناك أعدال كتان، ومتاعا كثيرا، فاحترق جميعه، وكانت لتلك غلبة عظيمة، وخوف شديد فيما يليها من القصر، ودور العامة والأسواق.." (١)

"فلما بلغ عبيد الله بن زياد مسير الحسين من مكة بعث الحصين بن تميم التميمي صاحب شرطته، فنزل القادسية، ونظم الخيل ما بينهما، وبين جبل لعلع، فبلغ الحسين الحاجز له عن البلاد فكتب إلى أهل الكوفة، يعرفهم بقدومه مع قيس بن مسهر، فظفر به الحصين، وبعث به إلى ابن زياد فقتله، وأقبل الحسين يسير نحو الكوفة، فأتاه خبر قتل مسلم بن عقيل، وخبر قتل أخيه من الرضاعة ، فقام حتى أعلم الناس بذلك وقال: قد خذلنا شيعتنا، فمن أحب أن يتصرف، فليتصرف، فليس عليه ذمام منا فتفرقوا، حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من مكة وسار، فأدركته الخيل، وهم ألف فارس مع الحر بن زيد التميمي.

ونزل الحسين، فوقفوا تجاهه وذلك في نحر الظهيرة، فسقى الحسين الخيل، وحضرت صلاة الظهر، فأذن مؤذنه وخرج، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنها معذرة إلى الله، وإليكم إني لم آتكم، حتى أتتني كتبكم ورسلكم، أن أقدم علينا، فليس لنا إمام، لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى، وقد جئتكم،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٧/٢

فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين، انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه فسكتوا، وقال للمؤذن: أقم، فأقام وقال الحسين للحر: أتريد أن تصلى أنت بأصحابك؟ قال: بل صل أنت، ونصلي بصلاتك، فصلى بهم، ودخل فاجتمع إليه أصحابه وانصرف الحر إلى مكانه، ثم صلى بهم العصر، واستقبلهم فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: يا أيها الناس إنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم السائرين فيكم بالجور والعدوان، فإن أنتم كرهتمونا، وجهلتم حقنا، وكان رأيكم غير ما أتتني به كتبكم انصرفت عنكم، فقال الحر: إنا والله ما ندري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر، فأخرج خرجين مملوءين صحفا، فنشرها بين أيديهم، فقال الحر: إنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أمرنا إذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد، فقال الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك، ثم أمر أصحابه لينصرفوا فركبوا، فمنعهم الحر من ذلك، فقال له الحسين: ثكلتك أمك ما تريد، فقال له: والله لو كان غيرك من العرب يقولها، ما تركت ذكر أمه بالثكل كائنا من كان، والله ما لي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما نقدر عليه، فقال له الحسين: ما تريد؟ قال: أريد أن أنطلق بك إلى ابن زيادة، وتراد الكلام، فقال له الحر: إني لم أومر بقتالك، وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أدخلك الكوفة، فخذ طريقا لا تدخلك الكوفة، ولا تزول إلى المدينة، حتى أكتب إلى ابن زياد، وتكتب أنت إلى يزيد، أو إلى ابن زياد، فلعل الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلي بشيء من أمرك، فتياسر عن طريق العذيب والقادسية، والحر يسايره.

فلما كان يوم الجمعة الثالث من محرم سنة إحدى وستين، قدم عمرو بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف، وبعث إلى الحسين رسولا يسأله ما الذي جاء به، فقال: كتب إلي أهل مصركم هذا أن أقدم عليهم، فإذا كرهوني، فأنا أنصرف عنهم، فكتب عمرو إلى ابن زياد يعرفه ذلك، فكتب إليه أن يعرض على الحسين بيعة يزيد، فإن فعل رأينا فيه رأينا، وإلا نمنعه، ومن معه الماء، فأرسل عمرو بن سعد خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة، وحالوا بين الحسين، وبين الماء، وذلك قبل قتله بثلاثة أيام، ونادى مناد: يا حسين ألا تنظر الماء لا ترى منه قطرة حتى تموت عطشا، ثم التقى الحسين بعمرو بن سعد مرارا، يكتب عمرو بن سعد إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد، فإن الله قد أطفأ الثائرة، وجمع الكلمة، وقد أعطاني الحسين أن يرجع إلى المكان الذي أتى منه، أو أن تسيره إلى أي ثغر من الثغور شاء، أو أن يأتي يزيد أمير المؤمنين، فيضع يده في يده، وفي هذا الكم رضى، وللأمة صلاح.

فقال ابن زياد لشمر بن ذي الجوشن: اخرج بهذا الكتاب إلى عمرو فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي، فإن فعلوا فليبعث بهم، وإن أبوا، فليقاتلهم، فإن فعل فاسمع له، وأطع وإن أبى فأنت الأمير عليه، وعلى الناس، واضرب عنقه وابعث إلي برأسه.." (١)

"فمما كتب به الأستاذ البارع أبو القسم علي بن منجيب بن سليمان الكاتب المعروف: بابن الصيرفي المنعوت: بتاج الرياسة، أما بعد: فالحمد لله الذي رفع منار الشرع، وحفظ نظامه ونشر راية هذا الدين، وأوجب إعظامه، وأطلع بخلافة أمير المؤمنين كواكب سعوده، وأظهر للمؤالف والمخالف عزة أحزابه وقوة جنوده، وجعل قرعه ساميا ناميا، وأصله ثابتا راسخا، وشرفه على الأديان بأسرها وكان لعراها فاصما ولأحكامها ناسخا، يحمده أمير المؤمنين أن الزم طاعته الخليقة، وجعل كراماته الأسباب الجديرة بالإمارة الخليقة، ويرغب إليه في الصلاة على جده محمد الذي حاز الفخار أجمعه، وضمن الجنة لمن آمن به واتبع النور الذي أنزل معه، ورفعه إلى أعلى منزلة تخير له منها المحل، وأرسله بالهدى ودين الحق، فزهق الباطل، وخمدت ناره واضمحل، صلى الله عليه، وعلى أخيه وابن عميه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خير الأمة وإمامها، وحبر الملة وبدر تمامها، والموفي يومه في الطاعات على ماضي أمسه، ومن أقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المباهلة مقام نفسه، واختصه بأبعد غاية في سورة براءة، فنادى في الحج بأولها، ولم يكن غيره ينفذ نفاذه ولا يسد مكانه، لأنه قال: " لا يبلغ عنى إلا رجل من أهل بيتي " عملا في ذلك بما أمر الله به سبحانه، وعلى الأئمة من ذريتهما خلفاء الله في أرضه، والقائمين في سياسة خلقه بصريح الإيمان ومحضه، والمحكمين من أمر الدين ما لا وجه لحله، ولا سبيل إلى نقضه، وسلم عليهم أجمعين سلاما يتصل دوامه، ولا يخشى انصرامه، ومجد وكرم، وشرف وعظم، وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم الأحد عيد النحر من سنة ست وثلاثين وخمسمائة الذي تبلج فجره عن سيئات محصت، ونفوس من آثار الذنوب خلصت، ورحمة امتدت ظلالها وانتشرت ومغفرة هنأت ونشر وكان من خبر هذا اليوم: أن أمير المؤمنين برز لكافة من بحضرته من أوليائه، متوجها لقضاء حق هذا العيد السعيد وأدائه، في عترة راسخة قواعدها متمكنة، وعساكر جمة تضيق عنها ظروف الأمكنة، ومواكب تتوالى كتوالي السيل، وتهاب هيبة مجيئه في الليل، بأسلحة تحسر لها الأبصار وتبرق وترتاع الأفئدة مناه وتفرق، فمن مشرفي إذا ورد تورد، ومن سمهري إذا قصد تقصد، ومن عمد إذا عمدت تبرأت المغافر من ضمانها، ومن قسي إذا أرسلت بنانها وصلت إلى القلوب بغير استئذانها، ولم يزل سائرا في هدي الإمامة وأنوارها، وسكينة الخلافة ووقارها،

(١) المواعظ والاعتبار، ٢/٤٤

إلى أن وصل إلى المصلى قدام المحراب، وأدى الصلاة إذ لم يكن بينه وبين التقبيل حجاب، ثم علا المنبر فاستوى على ذروته، ثم هلل الله وكبر، وأثنى على عظمته وأحسن إلى الكافة بتبليغ موعظته، وتوجه إلى ما أعد من البدن فنحره تكميلا لقربته، وانتهى في ذلك إلى ما أمر الله عز وجل، وعاد إلى قصوره المكرمة، ومنازله المقدسة، قد رضي الله عمله، وشكر فعله وتقبله، أعلمك أمير المؤمنين بذلك، لتشكر الله على النعمة فيه، وتذيعه قبلك على الرسم مما تجاريه، فاعلم هذا، واعمل به إن شاء الله تعالى.

ذكر دار الوزارة الكبرى

وكان بجوار هذا القصر الكبير الشرقي تجاه رحبة باب العيد، دار الوزارة الكبرى، ويقال لها: الدار الأفضلية والدار السلطانية.

قال ابن عبد الظاهر: دار الوزارة بناها: بدر الجمالي أمير الجيوش، لم يزل يسكنها من يلي غمرة الجيوش إلى أن انتقل الأمر عن **المصريين**، وصار إلى بني أيوب، فاستقر سكن الملك الكامل بقلعة الجبل خارج القاخرة، وسكنها السلطان الملك الصالح ولده، ثم أرصدت دار الوزارة لمن يرد من الملوك، ورسل الخليفة إلى هذا الوقت، وكانت دار الوزارة قديما تعرف بدار القباب، وأضافها الأفضل إلى دور بني هريسة، وعمرها دارا وسماها دار الوزارة، انتهى.." (١)

"وأما الوزير المأمون فإنه توجه وخرج من باب العيد، والأمراء بين يديه إلى أن وصل إلى باب الذهب، فدخل منه بعد أن أمر ولده الأكبر بالوصول إلى داره والجلوس على سماط العيد على عادته، ولما دخل المأمون بقاعة الذهب وجد السروع قد وقع من المستخدمين بتعبية السماط، فأمر بتفرقة الرسوم على أربابها، وهو ما يحمل إلى مجلس الوزارة برسم الحاشية، ولكل من حاشية أولاده وإخوته، وكاتب الدست، ومتولي حجبة الباب، ومتولي الديوان، وكاتب الدفتر، والنائب لكل منهم رسم يصرف قبل جلوس الخليفة،وعند انقضاء الأسمطة لغير المذكورين على قدر منزلة كل منهم، ثم حضر أبو الفضائل ابن أبي الليث، واستأذن على طيافير الفطرة الكبار التي في مجلس الخليفة فأمره الوزير بأن يعتمد في تفرقتها على ما كان يعتمده في الأيام الأفضلية، وهو لكل من يصعد المنبر مع الخليفة طيفور.

فلما أخذ الخليفة راحة بعد مضيه إلى التربة جلس على السرير، وبين يديه المائدة اللطيفة الذهب بالمينا، معبأ بالزبادي الذهب، واستدعى الوزير واصطف الناس من المدورة إلى آخر السماط من الجانبين على طبقاتهم، ورفعت الستو، واستفتح المقرئون، ووفي الدولة إسعاف متولي المائدة مشدود الوسط، ومقدم

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٥٥/٢

خزانة الشراب، بيده شربة في مرفع ذهب، وغطاء مرصعين بالجوهر والياقوت، ومتولي خزائن الإنفاق بيده خريطة مملوءة دنانير لمن يقف يطلب صدقة، وإنعاما فيؤمر بما يدفع إليه، وتفرقة الرسوم الجاري بها العادة، ولعبت المنافقون، والتحسارية، وتناوب القراء، والمنشدون، وأرخيت الستور وعبئ السماط ثانيا على ما كان عليه أولا.

ثم رفعت الستور، وجلس على المدورة والسماط من جرت العبادة به، وفرقت الدنانير على المقرئين، والمنشدين والتحسارية والمنافقين، ومن هو معروف بكثرة الأكل، ونهبت قصور الخلافة، وفرق من الأصناف ما جرت به العادة، وأرخيت الستور، وأحرض متولي خزانة الكسوة الخاص للخليفة: بدلة إلى أعلى السرير حسبما كان أمره، فلبسها وخلع الثياب التي كانت عليه على الوزير بعدما بالغ في شكره، والثناء عليه، وتوجه إلى داره، فوصل إليه من الخليفة الصواني الخاص المكللة معبأة على ما كانت بين يديه، وغيرها من الموائد، وكذلك إلى أولاده وإخوته صينية صينية، ولكاتب الدست، ومتولي حجبة الباب مثل ذلك ويكبر الوزير بجلوسه في داره معلنا، وتسارع الناس على طبقاتهم بالعيد، والخلع وبما جرى في صعود المنبر، وحضر الشعراء، وأسنيت لهم الجوائز، وجرى الحال يومئذ في جلوس الخليفة، وفي السلام لجميع الشيوخ والقضاة والشهود والأمراء، والكتاب، ومقدمي الركاب والمتصدرين بالجوامع، والفقهاء، والقاهريين، **والمصريين**، واليهود برئيسهم، والنصارى ببطريقهم على ما جرت به عادتهم، وختم المقرئون، وقدمت الشعراء على طبقاتهم إلى آخرهم وجدد لكل من الحاضرين سلامه، وانكفأ الخليفة إلى الباذهنج لأداء فريضة الصلاة والراحة بمقدار ما عبيت المائة الخاص، واستحضر المأمون، وأولاده وإخوته على عادتهم، واستدعى من شرف بحضور المائدة، وهم الشيخ أبو الحسن كاتب الدست، وأبو الرضى سالم ابنه، ومتولى حجبة الباب، وظهير الدين الكناني على ما كان عليه الحال قبل الصيام، وانقضى حكم العيد.." (١)

"ف من جمادى الآخرة، وكان عدده عندهم تسعة وعشرين يوما، أمر أن يسبك في خزائن دار أفتكين: ستون شمعة وزن كل شمعة منها: سدس قنطار بالمصري، وحملت إلى دار قاضي القضاة لركوب ليلة مستهل رجب، فإذا كان بعد صلاة العصر من ذلك اليوم اهتم الشهود أيضا، فمنهم من يركب بثلاث شمعات إلى اثنتين إلى واحدة، ويمضي **أهل مصر** منهم إلى القاهرة، فيصلون المغرب في الجوامع والمساجد، ثم ينتظرون ركوب القاضي، فيركب من داره بهيئته، وأمامه الشمع المحمول إليه موقودا مع المندوبين لذلك من الفراشين من الطبقة السفلى، من كل جانب: ثلاثون شمعة، وبينهما المؤذنون بالجوامع يذكروه الله تعالى،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٧٦/٢

ويدعون للخليفة والوزير، بترتيب مقدر محفوظ، ويندب في حجبته: ثلاثة من نواب الباب، وعشرة من الحجاب، خارجا عن حجاب الحكم المستقرين، وعدتهم: خمسة في زي الأمراء، وفي ركابه القراء يطربون بالقراءة والشهود وراءه على الترتيب في جلوسهم بمجلس الحكم، الأقدم فالأقدم، وحوالي كل واحد ما له من شمع، فيشقون من أول شارع فيه دار القاضي إلى بين القصرين، وقد اجتمع من العالم في وقت جوازهم ما لا يحصى كثرة رجالا ونساء، وصبيانا بحيث لا يعرف الرئيس من المرؤوس، وهو مار إلى أن يأتي هو والشهود باب الزمرذ من أبواب القصر في الرحبة الوسيعة تحت المنظرة العالية في السعة العظيمة من الرحبة المذكورة، وهي التي تقابل درب قراصيا، فيحضر صاحب الباب، ووالي القاهرة والقراء، والخطباء كما شرحنا في المواليد الستة ويترجلون تحتها ريثما يجلس الخليفة فيها، وبين يديه شمع ويبين شخصه، ويحضر بين يديه الخطباء الثلاثة، ويخطبون كالمواليد، ويذكرون استهلال رجب، وأن هذا الركوب علامته.
ثم يسلم الأستاذ من الطاقة الأخرى استفتاحا وانصرافا كما ذكرنا، ثم يركب الناس إلى دار الوزارة، فيدخل القاضي والشهود إلى الوزير، فيجلس لهم في مجلس ويسلمون عليه، ويخطب الخطباء أيضا بأخف من مقام الخليفة، ويدعون له ويخرجون عنه، فيشق القاضي والجماعة القاهرة، وينزل على باب كل جامع بها، ويصلي ركعتين، ثم يخرج من باب زويلة طالبا مصر بغير نظام ووالي القاهرة في خدمته اليوم مستكثرا من الأعوان، والحفظة في الطرقات إلى جامع ابن طولون، فيدخل القاضي إليه للصلاة، فيجد والي مصر عنده للقاء القوم وخدمتهم، فيدخل المشاهد التي في طريقه أيضا، فإذا وصل إلى باب مصر ترتب كما ترتب في القاهرة، وسار شاقا الشارع الأعظم إلى باب الجامع من الزيادة التي يحكم فيها، فيوقد له التنور الفضة الذي كان معلقا فيه، وكان مليحا في شكله، وتعليقه غير منافر في الطول والعرض واسع التدوير فيه عشر مناطق في كل منطقة: مائة وعشرون بزاقة، وفيه سروات بارزة مثل النخيل في كل واحدة عدة بزاقات تقرب عدة ذلك من ثلثمائة، ومعلق بدائر سفله: مائة قنديل نجومية، ويخرج له الحاكم فإن كان ساكنا بمصر استقر بها وإن كان ساكنا بالقاهرة وقف له والي القاهرة بجامع ابن طولون، فيودعه والي مصر، ويسير معه والي القاهرة إلى داره، فإذا مضى من رجب أربعة عشر يوما: ركب ليلة الخامس عشر كذلك، وفيه زيارة طلوعه بعد صلاته بجامع مصر إلى القرافة ليصلي في جامعها، والناس يجتمعون له لينظروه، ومن معه في كل مكان، ولا يملون من ذلك فإذا انقضت هذه الليلة: استدعى منه الشمع ليكمل بعضه، حتى يركب به في أول شعبان، ونصفه على الهيئة المذكورة والأسواق المعمورة بالحلواء، ويتفرغ الناس لذلك هذه الأربع الليالي.
منظرة اللؤلؤة: وكان للخلفاء الفاطميين، منظرة تعرف: بقصر اللؤلؤة، وبمنظرة اللؤلؤة على الخليج بالقرب

من باب القنطرة، وكان قصرا من أحسن القصور، وأعظمها زخرفة، وهو أحد منتزهات الدنيا المذكورة، فإنه كان يشرف من شرقيه على البستان الكافوري، ويطل من غربيه على الخليج، وكان غربي الخليج، إذ ذاك ليس فيه من المباني شيء، وإنما كان فيه بساتين عظيمة، وبركة تعرف ببطن البقرة، فيرى الجالس في قصر اللؤلؤة جميع أرض الطبالة ، وسائر أرض اللوق ، وما هو من قبليها، ويرى بحر النيل من وراء البساتين.." (١)

"فلما استولى بنو أيوب من بعدهم على مملكة مصر، أجروا الحال فيه على ما كان، قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وسبعين وخمسمائة: وركب السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لفتح بحر أبي المنجا، وعاد. وقال: وفي سنة تسعين وخمسمائة،كسر بحر أبي المنجا بعد أن تأخر كسره عن عيد الصليب بسبعة أيام، وكان ذلك لقصور النيل في هذه السنة، ولم يباشر السلطان الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين بنفسه، وركب أخوه شرف الدين يعقوب الطواشي لكسره، وبدت في هذا اليوم من مخايل القبوط ما يوجبه سوء الأفعال من المجاهرة بالمنكرات، والإعلان بالفواحش، وقد أفرط هذا الأمر، واشترك فيه الآمر والمأمور، ولم ينسلخ شهر رمضان، إلا وقد شهد ما لم يشهده رمضان قبله في الإسلام وبدا عقاب الله في الماء الذي كانت المعاصي على ظهره، فإن المراكب كان يركب فيها في رمضان الرجال والنساء مختلطين، مكشفات الوجوه، وأيدي الرجال تنال منها ما تنال في الخلوات، والطبول، والعيدان مرتفعات الأصوات، والصنجات، واستنابوا في الليل عن الخمر بالماء، والجلاب ظاهرا، وقيل: إنهم شربوا الخمر مستورا، وقربت المراكب بعضها من بعض، وعجز المنكر عن الإنكار إلا بقلبه، ورفع الأمر إلى السلطان، فندب حاجبه في بعض الليالي، ففرق منهم من وجده في الحالة الحاضرة، ثم عادوا بعد عوده، وذكر أنه وجد في بعض المعادي خمرا فأراقه.

ولما استهل شوال وهو مطموع فيه تضاعف هذا المنكر، وفشت هذه الفاحشة، ونسأل اللهالعفو والعافية عن الكبائر، والتجاوز عما تسقط فيه المعاذر.

وقال: في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة: كسر بحر أبي المنجا، وباشر العزيز كسره، وزاد النيل فيه إصبعا، وهي الإصبع الثامنة عشرة من ثماني عشر ذراعا، وهذا الحد يسمى عند **أهل مصر**: اللجة الكبرى، وقد تلاشى في زمننا أمر الاجتماع في يوم فتح سد بحر أبي المنجا. وقل الاحتفال به لشغل الناس بهتم المعيشة.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢/٩١

قصر الورد بالخاقانية: وكان من أيام منتزهات الخلفاء يوم قصر الورد بناحية الخاقانية، وهي قرية من قرى قليوب ، كانت من خاص الخليفة، وبها جنان كثيرة للخليفة، وكانت من أحسن المنتزهات المصرية وكان بها عدة دويرات يزرع فيها الورد، فيسير إليها الخليفة يوما، ويصنع له فيها قصر عظيم من الورد، ويخدم بضيافة عظيمة.

قال ابن الطوير عن الخليفة الآمر بأحكام الله: وعمل له بالخاقانية وكانت من خاص الخليفة، قصر من ورد فسار إليها يوما، وخدم بضيافة عظيمة، فلما استقر هناك، خرج إليه أمير يقال له: حسام الملك من الأمراء الذين كانوا مع المؤتمن أخي المأمون البطائحي، وتخاذلوا عنه، فوصل إلى الخاقانية، وهو لابس لأمة حربه والتمس المثول بين يديه يعني الخليفة، فاستقل ما جاء به في ذلك الوقت، مما ينافي ما فيه الخليفة من الراحة، والنزهة وحيل بينه بين مقصوده ، فقال لجماعة من حواشي الخليفة: أنتم منافقون على الخليفة إن لم أصل إليه، فإنه يعاقبكم بذلك، فأطلعوا الخليفة على أمره، وحليته بالسلاح، وقوله فأمر بإحضاره، فلما وقعت عينه عليه قال: يا مولانا، لمن تركت أعداءك؟ يعني الوزير المأمون البطائحي، وأخاه، وكان الآمر قد قبض عليهما، واعتقلهما هذا والعهد قريب غير بعيد أأمنت الغدر؟ فما أجابه إلا وهو على الرهاويج من الخيل، فلم تمض ساعة غلا، وهو بالقصر، فمضى إلى مكان اعتقال المأمون وأخيه، فزادهما وثاقا وحراسة، وفي أثناء ذلك، وصل ابن نجيب الدولة الذي كان سيره المأمون في وزارته إلى اليمن، لتحقيق نسبه أنه ولد من جارية نزار بن المستنصر، لما خرجت من القصر، وهي به حال ويدعو إليه بقية الناس، وأحضر إلى القاهرة على جمل مشوه، فأدخل خزانة البنود، وقتل هو والمأمون، وجماعة في تلك الليل، وصلبوا ظاهر القاهرة.." (١)

"بركبة الجب: هي بظاهر القاهرة من بحريها، وتسميها العامة في زمننا هذا الذي نحن فيه: بركة الحاج لنزول الحجاج بها عند مسيرهم من القاهرة إلى الحج في كل سنة، ونزولهم عند العود بها، ومنها يدخلون إلى القاهرة ومن الناس من يقول: جب يوسف، وهو خطأ، وإنما هي أرض جب عميرة، وعميرة هذا هو: ابن تميم بن جزء التجيبي من بني القرناء، نسبت هذه الأرض غليه، فقيل لها: أرض جب عميرة، ذكره ابن يونس، وكان من عادة الخليفة المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر بن الحاكم في كل سنة أن يركب على النجب مع النساء، والحشم إلى رجب عميرة هذا، وهو موضع نزهة بهيئة أنه خارج إلى الحج على سبيل اللعب والمجانة، وربما حمل معه الخمر في الروايا عوضا عن الماء، ويسقيه من معه، وأنشده مرة

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١١٦/٢

الشريف أبو الحسن علي بن الحسين بن حيدرة العقيلي في يوم عرفة:

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء ... ولا تضح ضحى إلا بصهباء

وادرك حجيج الندامى قبل نفرهم ... إلى منى قصفهم مع كل هيفاء

وعج على مكة الروحاء مبتكرا ... فطف بها حول ركن العود والنائي

قال ابن دحية: فخرج في ساعته بروايا الخمر تزجي بنغمات حداة الملاهي وتساق، حتى أناخ بعين شمس في كبكبة من الفساق، فأقام بها سوق الفسوق على ساق، وفي ذلك العام أخذه الله تعالى، **وأهل مصر** بالسنين، حتى بيع في أيام الرغيف: بالثمن الثمين، وعاد ماء النيل بعد عذوبته كالفسلين، ولم يبق بشاطئيه أحد بعد أن كانا محفوفين بحور عين.

وقال ابن ميسر: فلما كان في جمادى الآخرة من سنة: أربع وخمسين وأربعمائة، خرج المستنصر على عادته إلى بركة الجب، فاتفق أن بعض الأتراك جرد سيفا في سكر منه على بعض عبيد الشراء، فاجتمع عليه طائفة من العبيد وقتلوه، فاجتمع الأتراك بالمستنصر، وقالوا: إن كان هذا عن رضاك، فالسمع والطاعة، وإن كان عن غير رضاك، فلا نرضى بذلك، فأنكر المستنصر ما وقع، وتبرأ مما فعله العبيد، فتجمع الأتراك لحرب العبيد، وبرز بعضهم إلى بعض، وكان بين الفريقين قتال شديد على كوم شريك، انهزم فيه العبيد، وقتل منهم عدد كثير، وكانت أم المستنصر تعين العبيد، وتمدهم بالأموال والأسلحة، فاتفق في بعض الأيام أن بعض الأتراك ظفر بشيء مما تبعث به أم المستنصر إلى العبيد، فأعلم بذلك أصحابه، وقد قويت شوكتهم بانهزام العبيد، فاجتمعوا بأسرهم، ودخلوا على المستنصر وخاطبوه في ذلك، وأغلظوا في القول، وجهروا بما لا ينبغي، وصار السيف قائما، والحروب متتابعة إلى أن كان من خراب مصر بالغلاء والفتن، ما كان، وكان من قبل المستنصر يترددون إلى بركة الجب.

قال المسبحي: ولاثنتي عشرة خلت من ذي القعدة سنة أربع وثمانين وثلثمائة، عرض العزيز بالله عساكره بظاهر القاهرة، عند سطح الجب فنصب له مضرب ديباج رومي، فيه ألف ثور بصفرية فضة، ونصبت له فازة مثقل، وقبة مثقل بالجوهر، وضرب لابنه الأمير أبي علي منصور مضرب آخر، وعرضت العساكر، وكان عدتها مائة عسكري، وأقبلت أسارى الروم، وعدتهم مائتان وخمسون، فطيف بهم، وكان يوما عظيما حسنا لم تزل العساكر تسير بين يديه من ضحوة النهار إلى صلاة المغرب، وما زالت بركة الجب منتزها للخلفاء والملوك من بني أيوب، وكان السلطان صلاح الدين يبرز إليها للصيد، ويقيم فيها الأيام، وفعل ذلك الملوك من بعده، واعتنى بها الملك الناصر محمد بن قلاون، وبنى بها أحواشا وميدانا كما سيأتي ذكره إن

شاء الله تعالى، وبركة الجب، وما يليها في درك بني صبرة، وهم ينسبون إلى صبرة ابن بطيح بن مغالة بن عجان بن عنب بن الكليب بن أبي عمرو بن دمية بن جدس بن أريش بن أراش بن جزيلة بن لخم، فهم أحد بطون لخم، وفيهم بنو جذام بن صبرة بن بصرة بن غنم غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام أخي لخم.

المشتهى: وكان من مواضعهم التي أعدت للنزهة في المشتى.

الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون

يتخذونها أعيادا

ومواسم تتسع بها أحوال الرعية، وتكثر نعمهم." (١)

"وقال: في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة: وجرى الأمر النوروز على العادة من رش الماء، واستجد فيه هذا العام التراجم بالبيض، والتصافع بالأنطاع، وانقطع الناس عن التصرف، ومن ظفر به في الطريق رش بمياه نجسة وخرق به.

قال مؤلفه رحمه الله تعالى: إن أول من اتخذ النوروز: جمشيد، ويقال في اسمه أيضا: جمشاد أحد ملوك الفرس الأول، ومعناه: اليوم الجديد، وللفرس فيه آراء، وأعمال على مصطلحهم غير أنه في غير هذا اليوم. وقد صنف علي بن حميرة الأصفهاني كتابا مفيدا في أعياد الفرس.

وذكر الحفاظ أبو القاسم بن عساكر من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال: كان اليوم الذي رد الله فيه إلى سليمان بن داود خاتمه يوم النوروز، فجاءت إليه الشياطين بالتحف، وكانت تحفة الخطاطيف أن جاءت بالماء في مناقيرها فرشته بين يدي سليمان، فاتخذ الناس رش الماء من ذلك اليوم.

وعن مقاتل بن سليمان قال: سمي ذلك اليوم: نيروزا، وذلك أنه وافق هذا اليوم الذي يسمونه النيروز، فكانت الملوك تتيمن بذلك اليوم، واتخذوه عيدا، وكانوا يرشون الماء في ذلك اليوم، ويهدون كفعل الخطاف، ويتيمنون بذلك، ولله در القائل:

كيف ابتهاجك بالنوروز يا سكني ... وكل ما فيه يحكيني وأحكيه

فناره كلهيب النار في كبدي ... وماؤه كتوالي دمعتي فيه

وقال آخر:

نورز الناس ونورز ... ت ولكن بدموعي

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١١٧/٢

وذكت نارهم والن ... ار ما بين ضلوعي

وقال غيره:

ولما أتى النوروز يا غاية المنى ... وأنت على الإعراض والهجر والصد

بعثت بنار الشوق ليلا إلى الحشى ... فنورزت صبحا بالدموع على الخد

الميلاد: وهو اليوم الذي ولد فيه عبد الله، ورسوله المسيح عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم، والنصارى تتخذ ليلة يوم الميلاد عيدا، وتعمله قبط مصر في التاسع والعشرين من كيهك ، وما برح **لأهل مصر** به اعتناء، وكان من رسوم الدولة الفاطمية فيه: تفقة الجامات المملوءة من الحلاوات القاهرية، والمتارد التي فيها السمك، وقرابات الجلاب، وطيافير الزلابية، والبوري، فيشمل ذلك أرباب الدولة أصحاب السيوف، والأقلام بتقرير معلوم على ما ذكره ابن المأمون في تاريخه.

الغطاس: ومن مواسم النصارى بمصر عمل الغطاس في اليوم الحادي عشر من طوبة .

قال المسعودي في مروج الذهب: ولليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها، لا ينام الناس فيها، وهي ليلة إحدى عشرة من طوبة ولقد حضرت سنة ثلاثة وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر، والإخشيد محمد بن طفج في داره المعروفة بالمختار في الجزيرة الراكبة على النيل، والنيل مطيف بها، وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة، وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ما أسرج **أهل مصر** من المشاعل والشمع، وقد حضر النيل في تلك الليلة: مئو ألوف من الناس من المسلمين والنصارى منهم: في الزواريق، ومنهم في الدور الدانية من النيل، ومنهم على الشطوط لا يتناكرون كل ما يمكنهم إظهاره من المآكل، والمشارب، وآلات الذهب والفضة، والجواهر والملاهي والعزف والقصف، وهي أحسن ليلة تكون بمصر، وأشملها سرورا، ولا تغلق فيها الدروب، ويغطس أكثرهم في النيل، ويزعمون أن ذلك أمان من المرض، ونشرة للداء.

وقال المسبحي: في سن ثمان وثمانين وثلثمائة: كان غطاس النصارى، فضربت الخيام والمضارب، والأشرعة في عدة مواضع على شاطئ النيل، فنصبت أسرة للرئيس فهد ابن إبراهيم النصراني كاتب الأستاذ برجوان، وأوقدت له الشموع والمشاعل، وحضر المغنون، والملهون، وجلس مع أهله يشرب إلى أن كان وقت الغطاس، فغطس وانصرف.

وقال: في سنة خمس عشرة وأربعمائة، وفي ليلة الأربعاء رابع ذي القعدة كان غطاس النصارى، فجرى الرسم من الناس في شراء الفواكه، والضأن وغيره، ونزل أمير المؤمنين الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم لقصر جده العزيز بالله بمصر، لنظر الغطاس، ومعه الحرم، ونودي أن لا يختلط المسلمون مع النصارى عند

نزولهم إلى البحر في الليل، وضرب بدر الدولة الخادم الأسود متولي الشرطتين خيمة عند الجسر، وجلس فيها، وأمر الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله بأن توقد المشاعل والنار في الليل، فكان وقيدا كثيرا، وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان، والنيران، فقسسوا هناك طويلا إلى أن غطسوا.." (١)

"وقال ابن المأمون: إنه كان من رسوم الدولة أنه يفرق على سائر أهل الدولة الترنج والنارنج والليمون المراكبي، وأطنان القصب، والسمك والبوري برسوم مقررة لكل واحد من أرباب السيوف والأقلام.

خميس العهد: ويسميه **أهل مصر** من العامة: خميس العدس، ويعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيام ويتهادون فيه، وكان من جملة رسوم الدولة الفاطمية في خميس العدس ضرب خمسمائة دينار ذهبا، عشرة آلاف خروبة، وتفرقتها على جميع أرباب الرسوم كما تقدم.

أيام الركوبات: وكان الخليفة يركب في كل يوم سبت وثلاثاء إلى منتزهاته بالبساتين، والتاج، وقبة الهواء والخمس وجوه، وبستان البعل، ودار الملك، ومنازل العز، والروضة، فيعم الناس في هذه الأيام من الصدقات أنواع ما بين ذهب، ومآكل، وأشربة، وحلاوات، وغير ذلك كما تقدم بيانه في موضعه من هذا الكتاب.

صلاة الجمعة: وكان الخليفة يركب في كل سنة ثلاث ركبات لصلاة الجمعة بالناس في جامع القاهرة الذي يعرف بالجامع الأزهر مرة، وفي جامع الخطبة المعروف: بالجامع الحاكمي مرة، وفي جامع عمرو بن العاص بمصر أخرى، فينال الناس منه في هذه الجمع الثلاث، رسوم وهبات وصدقات، كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى عند ذكر الجامع الأزهر.

ولله در الفقيه عمارة اليمني فقد ضمن مرثيته أهل القصر جملا مما ذكر، وهي القصيدة التي قال ابن سعد فيها، ولم يسمع فيما يكتب في دولة بعد انقراضها أحسن منها:

رميت يا دهر كف المجد بالشلل ... وجيده بعد حسن الحلي بالعطل

سعيت في منهج الرأي العثور فإن ... قدرت من عثرات الدهر فاستقل

جدعت ما رنك الأقنى فأنفك لا ... ينفك ما بين قرع السن والخجل

هدمت قاعدة المعروف عن عجل ... سعيت ملها أما تمشي على مهل

لهفي ولهف بني الآمال قاطبة ... على فجيعتها في أكرم الدول

قدمت مصر فأولتني خلائفها ... من المكارم ما أربى على الأمل

قوم عرفت بهم كسب الألوف ومن ... كمالها أنها جاءت ولم أسل

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٢٢/٢

وكنت من وزراء الدست حين سما ... رأس الحصان يهاديه على الكفل

ونلت من عظماء الجيش مكرمة ... وخلة حرست من عارض الخلل

يا عاذلي في هوى أبناء فاطمة ... لك الملامة إن قصرت في عذلي

بالله در ساحة القصرين وابك معي ... عليهما لا على صفين والجمل

وقل لأهليهما والله ما التحمت ... فيكم جراحي ولا قرحي بمندمل

ماذا عسى كانت الإفرنج فاعلة ... في نسل آل أمير المؤمنين علي

هل كان في الأمر شيء غير قسمة ما ... ملكتموا بين حكم السبي والنفل

وقد حصلتهم عليها واسم جدكم ... محمد وأبوكم غير منتقل

مررت بالقصر والأركان خالية ... من الوقود وكانت قبلة القبل

فملت عنها بوجهي خوف منتقد ... من الأعادي ووجه الود لم يمل

أسلت من أسفي دمعي غداة خلت ... رحابكم وغدت مهجورة السبل

أبكي على ما تراءت من مكارمكم ... حال الزمان عليها وهي لم تحل

دار الضيافة كانت أنس وافدكم ... واليوم أوحش من رسم ومن طلل

وفطرة الصوم إذ أضحت مكارمكم ... تشكو من الدهر حيفا غير محتمل

وكسوة الناس في الفصلين قد درست ... ورث منها جدد عندهم وبلي

وموسم كان في يوم الخليج لكم ... يأتي تجملكم فيه على الجمل

وأول العام والعيدين كم لكم ... فيهن من وبل جود ليس بالوشل

والخيل تعرض في وشي وفي شية ... مثل العرائس في حلي وفي حلل

ولا حملتم قرى الأضياف من سعة الأطباق إلا على الأكتاف والعجل

وما خصصتم ببر أهل ملتكم ... حتى عممتم به الأقصى من الملل

كانت رواتبكم للذمتين وللضيف المقيم وللطاري من الرسل

ثم الطراز بتنيس الذي عظمت ... مه الصلات لأهل الأرض والدول." (١)

"قال: وذكر أن القصر الغربي قد استولى عليه الخراب، وعلا على جدرانه التشعث، والهدم، وإنه يجاور اصطبلات فيها جماعة من المفسدين، وربما تسلق إليه للتطرق للنساء المعتقلات، والمتسلق منه إذا

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٢٣/٢

قويت نفسه على التسحب لم تكن عقلته في القصر المذكور مانعة من التسحب.

قال: وعدد من بقي من هذه الذرية بدار المظفر والقصر الغربي والإيوان: مائتان واثنان وخمسون شخصا، ذكر ثمانية وتسعون، وإناث مائة وأربعة وخمسون، تفصيله المقيمون بدار المظفر: أحد وثلاثون ذكور، أحد عشر كلهم أولاد العاضد لصلبه، أناث عشرون: بنات العاضد خمسة، إخوته أربع، جهات العاضد أربع، بنات الحافظ ثلاث، جهات يوسف ابنه وجبريل ابن عمه أربع، المعتقلون بالإيوان خمسة وخمسون رجلا منهم الأمير أبو الظاهر بن جبريل بن الحافظ، المقيمون بالقصر الغربي: مائة وستة وستون شخصا ذكور اثنان وثلاثون، أكبرهم: عمره عشرون سنة، وأصغرهم عمره سبع عشرة سنة، إناث: مائة وأربع، وثلاثون: بنات أربع وستون، أخوات وعمات وزوجات سبعون.

قال: وفي جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، كانت عدة من في دار المظفر بحارة برجوان، والقصر الغربي، والإيوان من أولاد العاضد، وأقاربه، ومن معهم مضافا إليهم ثلثمائة واثنتين وسبعين نفسا. دار المظفر، أحرار ومماليك: مائة وست وستون نفسا، القصر الغربي: أحرار مائة وأربعون نفسا، الإيوان: تسعة وسبعون رجلا بالغون، وأما منازل العز، فاشتراها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادي في نصف شعبان سنة: ست وستين وخمسمائة، وجعلها مدرسة للفقهاء الشافعية، واشترى الروضة، وجعلها وقفا على المدرسة المذكورة، والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع، والمآب، وصلى الله عليه سيدنا محمد وآله وسلم.

تم الجزء الثاني، ويليه الجزء الثالث وأوله: " ذكر حارات القاهرة وظواهرها " /الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر حارات القاهرة وظواهرها

قال ابن سيدة: والحارة كل محلة دنت منازلها، قال: والحملة منزل القوم. وبالقاهرة وظواهرها عدة حارات وهي:

حارة بهاء الدين

هذه الحارة كانت قديما خارج باب الفتوح الذي وضعه القائد جوهر عندما اختط أساس القاهرة من الطوب النيء، وقد بقي من هذا الباب عقدة برأس حارة بهاء الدين، وصارت هذه الحارة اليوم من داخل باب الفتوح الذي وضعه أمير الجيوش بدر، الجمالي، وهو الموجود الآن. وحد هذه الحارة عرضا من خط باب الفتوح الآن إلى خط حارة الوراقة بسوق المرحلين، وحدها طولا فيما وراء ذلك لى خط باب القنطرة. وكانت

هذه الحارة تعرف بحارة الريحانية والوزيرية وهما طائفتان من طوائف عسكر الخلفاء الفاطميين، فإن بها كانت مساكنهم، وكان فيها لهاتين الطائفتين دور عظيمة وحوانيت عديدة؛ وقيل لها أيضا بين الحارتين، واتصلت العمارة إلى السور ولم تزل الريحانية والوزيرية بهذه الحارة إلى أن كانت واقعة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالعبيد.

واقعة العبيد

وسببها أن مؤتمن الخلافة جوهرا أحد الأستاذين المحنكين بالقصر تحدث في إزالة صلاح الدين يوسف بن أيوب من وزارة الخليفة العاضد لدين الله عندم ضايق أهل القصر وشدد عليهم واستبد بأمور الدولة وأضعف جانب الخلافة وقبض على أكابر أهل الدولة، فصار مع جوهر عدة من الأمراء **المصريين** والجند. واتفق رأيهم أن يبعثوا إلى الفرنج ببلاد الساحل يستدعونهم إلى القاهرة، حتى إذا خرج صلاح الدين لقتالهم بعسكر ثاروا وهم بالقاهرة، واجتمعوا مع الفرنج ببلاد الساحل يستدعونهم إلى القاهرة، حتى إذا خرج صلاح الدين لقتالهم بعسكر ثاروا وهم بالقاهرة، واجتمعوا مع الفرنج على إخراجه من مصر.." (١)

"فسيروا رجلا إلى الفرنج وجعلوا كتبهم التي معه في نعل، وحفظت بالجلد مخافة أن يفطن بها، فسار الرجل إلى البئر البيضاء قريبا من بلبيس، فإذا بعض أصحاب صلاح الدين هناك، فأنكروا أمر الرجل من أجل أنه جعل النعلين في يده، ورآهما وليس فيهما أثر المشي، والرجل رث الهيئة؛ فارتاب وأخذ النعلين وشقهما، فوجد الكتب ببطنهما، فحمل الرجل والكتب إلى صلاح الدين، فتتبع خطوط الكتب حتى عرفت، فإذا الذي كتبها من اليهود الكتاب، فأمر بقتله، فاعتصم بالإسلام وأسلم، وحدثه الخبر. فبلغ ذلك مؤتمن الخلافة، فاستشعر الشر وخاف على نفسه، ولزم القصر وامتنع من الخروج منه، فأعرض صلاح الدين عن ذلك جملة، وطال الأمد؛ فظن الخصي أنه قد أهمل أمره، وشرع يخرج من القصر. وكانت له منظرة بناها بناحية الخرقانية في بستان، فخرج إليها في جماعة. وبلغ ذلك صلاح الدين، فأنهض إليه عدة هجموا عليه وقتلوه في يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي القعدة سنة أربع وستين وخمسمائة، واحتزوا رأسه وأتوا بها إلى صلاح الدين، فاشتهر ذلك بالقاهرة وأشيع، فغضب العسكر المصري، وثاروا بأجمعهم في سادس عشرية، وقد أنضم إليهم عالم عظيم من الأمراء والعامة حتى صاروا ما ينيف عن خمسين ألفا، وساروا إلى دار الوزارة – وفيها يومئذ ساكنا بها صلاح الدين – وقد استعدوا بالأسلحة، فبادر شمس الدولة فخر الدين توران شاه أخو صلاح الدين، وصرخ في عساكر الغز، وركب صلاح الدين وقد اجتمع إلهي طوائف من أهله وأقاربه

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٢٦/٢

وجميع الغز ورتبهم، ووقفت الطائفة الريحانية والطائفة الجيوشية والطائفة الفرحية وغيرهم من الطوائف السودانية ومن انظم إليهم بين القصرين، فثارت الحروب بينهم وبين صلاح الدين، واشتد الأمر وعظم الخطب حتى لم يبق إلى هزيمة صلاح الدين وأصحابه. فعند ذلك أمر توران شاه بالحملة على السودان، فقتل فيها أحد مقدميهم فانكف بأسهم قليلا، وعظمت حملة الغز عليهم، فانكسروا إلى باب الذهب، ثم إلى باب الزهومة، وقتل حينئذ عدة من الأمراء **المصريين** وكثير ممن عداهم.

وكان العاضد في هذه الواقعة يشرف من المنظرة، فلما رأى أهل القصر كسرة السودان وعساكر مصر راموا على الغز من أعلى القصر بالنشاب والحجارة حتى أنكوا فيهم، وكفوهم عن القتال، وكادوا ينهزمون؛ فأمر حينئذ صلاح الدين النفطين بإحراق المنظرة، فاحضر شمس الدين النفاطين وأخذوا في تطييب قارورة النفط وصوبوا بها على المنظرة التي فيها العاضد، فخاف العاضد على نفسه، وفتح باب المنظرة زعيم الخلافة أحد الأستاذين، وقال بصوت عال: أمير المؤمنين يسلم على شمس الدولة ويقول: دونكم والعبيد الكلاب، أخرجوهم من بلادكم.

فلما سمع السودان ذلك ضعفت قلوبهم وتخاذلوا، فحمل عليهم الغز فانكسروا وركب القوم أقفيتهم إلى أن وصولا إلى السيوفيين، فقتل منهم كثير وأسر منهم كثير وامتنعوا هناك على الغز بمكان، فأحرق عليهم. وكان في دار الأرمن التي كانت قريبا من بين القصرين خلق عظيم من الأرمن كلهم رماة لهم جار في الدولة يجري عليهم، فعندما قرب منهم الغز رموهم عن يد واحة حتى امتنعوا عن أن يسيروا إلى العبيد، فأحرق شمس الدولة دارهم حتى هلكوا حرقا وقتلا، ومروا إلى العبيد، فصاروا كلما دخلوا مكانا أحرق عليهم وقتلوا فيه إلى أن وصلوا إلى باب زويلة، فإذا هو مغلوق، فحصروا هناك واستمر فيهم القتل مدة يومين. ثم بلغهم أن صلاح الدين أحرق المنصورة التي كانت أعظم حاراتهم، وأخذت عليهم أفواه السكك، فأيقنوا أنهم قد أخذوا لا محالة، فصاحوا الأمان، فأمنوا – وذلك يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة – وفتح لهم باب زويلة، فخرجوا إلى الجيزة، فعدا عليهم شمس الدولة في العسكر وقد قووا بأموال المهزومين وأسلحتهم، وحكموا فيهم السيف حتى لم يبق منهم إلا الشريد؛ وتلاشى من هذه الواقعة أمر العاضد.." (١)

"ووقعت في هذه الحارة نكتة، قال القاضي الفاضل في متجددات سنة أربع وتسعين وخمسمائة، والسلطان يومئذ بمصر الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين، وكان في شعبان قد تتابع **أهل مصر** والقاهرة في إظهار المنكرات وترك الإنكار لها وإباحة أهل الأمر والنهي فعلها، وتفاحش الأمر فيها إلى أن غلا سعر

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٢٧/٢

العنب لكثرة من يعصره، وأقيمت طاحون بالمحمودية لطحن حشيشة للبزر، وأفردت برسمه، وحميت بيوت المزر، وأقيمت عليها الضرائب الثقيلة؛ فمنها ما انتهاى أمره في كل يوم إلى ستة عشر دينارا، ومنع المزر البيوتي ليتوفر الشراء من مواضع الحمي، وحملت أواني الخمر على رؤوس الأشهاد وفي الأسواق من غير منكر، وظهر من عاجل عقوبة الله تعالى وقوف زيادة النيل عن معتادها وزيادة سعر الغلة في وقت ميسورها.

حارة الجودرية

هذه الحارة عرفت أيضا بالطائفة الجودرية إحدى طوائف العسكر في أيام الحاكم بأمر الله على ما ذكره المسبحي. وقال ابن عبد الظاهر: الجودرية منسوبة إلى جماعة تعرف بالجودرية اختطوها وكانوا أربعمائة، منهم أبو علي منصور الجودري الذي كان في أيام العزيز بالله، وزادت مكانته في الأيام الحاكمية، فأضيفت إليه مع الأحباس الحسبة وسوق الرقيق والسواحل وغير ذلك، ولها حكاية سمعت جماعة يحكونها، وهي أنها كانت سكن اليهود، والمعروفة بهم؛ فبلغ الخليفة الحاكم أنهم يجتمعون بها في أوقات خلواتها ويغنون:

وأمة قد ضلوا ودينهم معتل ... قال لهم نبيهم: نعم الأدام الخل

ويسخرون من هذا القول ويتعرضون إلى ما لا ينبغي سماعه، فأتى إلى أبوابها وسدها عليهم ليلا وأحرقها، فإلى هذا الوقت لايبيت بها يهودي ولا يسكنها أبدا. وقد كان في الأيام العزيزية جودر الصقلبي، أيضا ضرب عنقه ونهب ما له في سنة ست وثمانين وثلثمائة.

حارة الوزيرية." (١)

"كان يقال لهذه الحارة أولا حارة الروم الجوانية، ثم ثقل على الألسنة ذلك فقال الناس الجوانية، وكان أيضا يقال لها حارة الروم العليا المعروفة بالجوانية. وقال المسبحي: وقد ذكرما كتبه أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الأمانات في سنة خمس وتعسين وثلثمائة فذكر أنه كتب أمانا للعرافة الجوانية، فدل أنه كان من جملة الطوائف قوم يعرفون بالجوانية، قال ابن عبد الظاهر: قال لي مؤلف القاضي زيد الدين وفقه الله: إن الجوانية منسوبة للأشراف الجوانيين منهم الشريف النسابة الجواني. قال مؤلفه رحمه الله: فعلى هذا يكون بفتح الجيم، فإن الجواني بفتح الجيم وتشديد الواو وفتحها وبعد الواو ألف ساكنة ثم نون نسبة إلى جوان - على وزن حران - وهي قرية من عمل مدينة طيبة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. وعلى القول الأول تكون الجوانية بفتح الجيم أيضا مع فتح الواو وتشديدها، فإن **أهل مصر** يقولون: لما خرج م ن المدينة أو الدار برا، ولما دخل جوا بضم الجيم - وهو خطأ - ولهذا كان الوراقون يكتبون حارة الروم البرانية لأنها

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٣٠/٢

من خارج القصر، يكتبون حارة الروم الجوانية لأنها من داخل القاهرة، ولا يصار إليها إلا بعد المرور على القصر. وكان موضعها إذ ذاك من وراء القصر خلف دار الوزارة والحجر، فكأنها في داخل البلد، ولذلك أصل. قال ابن سيده في مادة (ج و) من كتاب المحكم: وجوا البيت داخله، لفظة شامية، فتعين فتح الجيم من الجونية ولا عبرة بما تقوله العامة من ضمها. وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني ابن الحسن بن محمد الجواني ابن عبيد الله الجواني بن حسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقيل لمحمد بن عبد الله الجواني بسبب ضيعة من ضياع المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام يقال لها الجوانية، وكانت تسمى البصرة الصغرى لخيراتها وغلالها، لا يطلب شيء إلا وجد بها، وهي قريبة من صرار ضيعة الإمام أبي جعفر محمد بن علي الرضى. وكانت الجوانية ضيعة لعبيد الله، فتوفي عنها فورثها بعده ولده وأزواجه، فاشترى محمد الجواني ولده بما حصل له بالميراث الباقي من الورثة، فحصلت له كاملة، فعرف بها فقيل: الجواني. قال: ولم تزل أجداد مؤلفه ببغداد إلى حين قدوم ولده أسعد النحوي مع أبيه من بغداد إلى مصر، ومولده بالموصل في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة.

حارة البستان

ويقال لها حارة بستان المصمودي وحارة الأكراد أيضا، وهي الأن من جملة الوزيرية التي تقدم ذكرها.

حارة المرتاحية

هذه الحارة عرفت بالطائفة المرتاحية إحدى طوائف العسكر. قال ابن عبد الظاهر: حط باب القنطرة يعرف في كتب الأملاك القديمة بالمرتاحية.

حارة الفرحية

بالحاء المهملة كانت سكن الطائفة الفرحية، وهي بجوار حارة المرتاحية، فإلى يومنا هذا فيما بين سويقة أمير الجيوش وباب القنطرة زقاق يعرف بدرب الفرحية، والفرحية كانت طائفة من جملة عبيد الشراء، وكانت عبيد الشراء عدة طوائف وهم: الفرحية والحسينية والميمونية ينسبون إلى ميمون وهو أحد الخدام.

حارة فرج

بالجيم: كانت تعرف قديما بدرب النميري، ثم عرفت بالأمير جمال الدين فرج من أمراء بني أيوب. وهي الآن داخلة في درب الطفل من خط قصر الشوك.

حارة قائد القواد." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٤٤/٢

"ثم إن الأمراء كلموا الوزير في أمرهم، فأمر بإطلاقهم، ونودي في البلد أن لا يقيم فيها غريب، وطلبواالخفراء وولاة المراكز وأمروا بالاحتفاظ وتتبع الناس، وأخذ منن تتوهم فيه ريبة أو يذكر بشيء من أمر هذا، والحريق أمره في تزايد، وصاروا إلى القاهرة من ذلك في تعب كبير لا ينام هو ولا أعوانه في الليل ألبتة لكثرة الضجات في الليل، ووقع حريق في شونة حلفاء بمصر مجاورة لمطابخ السكر السلطانية، فركب القاضي علم الدين بن زنبور ناظر الخاص في جماعة، وخرج عامة **أهل مصر**، وتكاثروا على الشونة حتى طفئت، ووقع الحريق في عدة أماكن بمصر، واستمر كثر خط البندقانيين خرابا إلأن عمر الأمير يونس النوروزي، دوادار الملك الظاهر برقوق، الربع فوق بئر الدلاء التي كانت تعرف ببئر زويلة، وأنشأ بجوار درب الأندب الحوانيت والرباع والقياسرية، في سنة تسع وثمانين وسبعمائة.

ثم أنشأ الأمير شهاب الدين أحمد الحاجب ابن أخت الأمير جمال الدين يوسف الاستادار، داره بجوار حمام ابن عبود، فاتصل ظهرها بدكاكين البندقانيين، فصار فيها ما كان من خراب الحريق هناك، حيث الحوض الذي أنشأه تجاه دار بيبرس. ولقد أدركنا في خط البندقانيين عدة كثيرة من الحوانيت التي يباع فيها الفقاع، تبلغ نحو العشرين حانوتا، وكانت من أنزه ما يرى فإنها، كانت كلها مرخمة بأنواع الرخام الملون، وبها مصانع من ماء تجري إلى فوارات تقذف بالماء على ذلك الرخام، حيث كيزان الفقاع مرصوصة فيستحسن منظرها إلى الغاية، لأنها من الجانبين، والناس يمرون بينهما، وكان بهذا الخط عدة حوانيت لعمل قسي البندق، وعدة حوانيت لرسم إشكال ما يطرز بالذهب والحرير، وقد بقيت من هذه الحوانيت بقايا يسيرة، وهو من اخطاط القاهرة الجسيمة.

خط دار الديباج

هذا الخط هو فيما بين خط البندقانيين والوزيرية، وكان أولا يعرف بخط دار الديباج، لأن دار الوزير يعقوب بن كلس التي من جملتها اليوم المدرسة الصاحبية ودرب الحريري والمدرسة السيفية، عملت دارا ينسج فيها الديباج والحرير برسم الخلفاء الفاطميين، وصارت تعرف بدار الديباج، فنسب إليها الخط إلى ان سكن هناك الوزير صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر، في أيام العادل أبي بكر بن أيوب، فصار يعرف بخط سويقة الصاحب، وهو خط جسيم به مساكن جليلة وسوق ومدرسة.

خط المحليين

هذا الخط فيما بين الوزيرية والبندقانيين من وراء دار الديباج، وتسميه العامة خط طواحين الملوحيين بواو بعد اللم وقبل الحاء المهملة، وهو تحريف، وإنما هو خط الملوحيين، عرف بطائفة من طوائف العسكر

في أيام الخليفة المستنصر بالله يقال لها الملحية، وهم الذي قاموا بالفتنة في أيام المستنصر إلى أن كان من الغلاء ما أوجب خراب البلاد ونهب خزائن الخليفة المستنصر، فلما قدم أمير الجيوش بدر الجمالي إلى القاهرة وتقلد وزارة المستنصر،وتردد ﻟإصلاح إقليم مصر، وتتبع المفسدين وقتلهم وسار في سنة سبع وستين وأربعمائة إلى الوجه البحري وقتل لواته، وقتل مقدمهم سليمان اللواتي وولده، واستصفى أموالهم ثم توجه إلى دمياط وقتل فيها عدة من المفسدين، فلما أصلح جميع البرج الشرقي عدى إلى البر الغربي، وقتل جماعة من الملحية وأتباعهم بثغر الإسكندرية بعدما أقام أياما محاصر البلد وهم يمتنعون عليه وقاتلونه إلى أن أخذها عنوة، فقتل منهم عدة كثيرة، وكان بهذا الخط عدة من الطواحين، فسمي بخط طواحين الملحيين، وبه إلى الآن يسير من الطواحين.

خط المسطاح

هذا الخط فيما بين خط الملحيين وخط سويقة الصاحب، وفيه اليوم سوق الرقيق الذي يعرف بسوق الحوار والمدرسة الحسامية وما دار به، ويعرف بالمسطاح، وبخارج باب القنطرة قريب من باب الشعرية أيضا خط يعرف بالمسطاح.

خط قصر أمير سلاح." (١)

"ابتدره جماعة من الأتراك وقفوا له فقتلوه واحتزوا رأسه ودفنوه مكانه، وحمل الرأس إلى الحاكم، ثم نقل إلى تربته بالقرافة فدفن فيها، وكانت مدة حياته بعد عزله إلى أن قتل ثلاث سنين وشهرا واحدا وثمانية وعشرين يوما، وهو من جملة وزراء الدولة المصرية، وولى بعده برجوان، وقد مر ذكره.ه جماعة من الأتراك وقفوا له فقتلوه واحتزوا رأسه ودفنوه مكانه، وحمل الرأس إلى الحاكم، ثم نقل إلى تربته بالقرافة فدفن فيها، وكانت مدة حياته بعد عزله إلى أن قتل ثلاث سنين وشهرا واحدا وثمانية وعشرين يوما، وهو من جملة وزراء الدولة المصرية، وولى بعده برجوان، وقد مر ذكره.

الدروب والأزقة

قد اشتملت القاهرة وظواهرها من الدروب والأزقة على شيء كثير، والغرض ذكر ما يتيسر لي من ذلك:

درب الأتراك

هذا الدرب أصله من خط حارة الديلم، وهو من الدروب القديمة وقد تقدم ذكره في الحارات، ويتوصل إليه من خطة الجامع الأزهر، وقد كان فيما أدركناه من أعمر الأماكن.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٦٨/٢

وأخبرني خادمنا محمد بن السعودي قال: كنت أسكن في أعوام بضع وستين وسبعمائة بدرب الأتراك، وكنت أعاني صناعة الخياطة، فجاءني في موسم عيد الفطر من الجيران أطباق الكعك والخشكنانج على عادة أهل مصر في ذلك، فملأت زيرا كبيرا كان عندي مما جاءني من الخشكنانج خاصة، لكثرة ما جاءني من ذلك، إذ كان هذا الخط خاصا بكثرة الأكابر والأعيان، وقد خرب اليوم منه عدة مواضع.

درب الأسواني

ينسب إلى القاضي أبي محمد الحسن بن هبة الله الأسواني، المعروف بابن عتاب.

درب شمس الدولة

هذا الدرب كان قديما يعرف بحارة الأمراء كما تقدم، فلما كان مجيء الغز إلى مصر واستيلاء صلاح الدين يوسف على مملكة مصر، سكن في هذا المكان الملك المعظم شم الدولة توران شاه ابن أيوب، فعرف به وسمي من حينئذ درب شمس الدولة، وبه يعرف إلى اليوم: توران شاه الملقب بالملك المعظم شمس الدولة بن نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان، قدم إلى القاهرة مع أهله من بلاد الشام في سنة أربع وستين وخمسمائة، عندما تقلد صلاح الدين يوسف بن أيوب وزارة الخليفة العاضد لدين الله، بعد موت عمه أسد الدين شيركوه، وكانت له أعمال في واقعة السودان تولاها بنفسه، واقتحم الهول، فكان أعظم الأسباب في نصرة أخيه صلاح الدين وهزيمة السودان، ثم خرج إليهم بعد انهزامهم إلى الجيزة، فافناهم بالسيف حتى أبادهم، وأعطاه صلاح الدين قوص وأسوان وعيداب، وجعلها له أقطاعا، فكانت عبرتها في تلك السنة مائتي ألف وستة وستين ألف دينار، ثم خرج إلى غزو بلاد النوبة في سنة ثمان وستين، وفتح قلعة أبريم وسبى وغنم ثم عاد بعدما أقطع أبريم بعض أصحابه، وخرج إلى بلاد اليمن في سنة تسع وستين وكان بها عبد النبي أبو الحسن علي ابن مهدي قد ملك زبيد وخطب لنفسه، وكان الفقيه عمارة قد انقطع إلى شمس الدولة، وصار يصف له بلاد اليمن ويرغبه في كثرة أموالها ويغريه بأهلها، وقال فيه قصيدته المشهورة التي أولها:

العلم مذ كان محتاج إلى القلم ... وشفرة السيف تستغني عن القلم." (١)

"هذا الدرب على يسرة من سلك من سوق الفرايين الآن، الذي كان يعرف قديما بالخرقيين، طالبا إلى الجامع الأزهر، ويسلك في هذا الدرب إلى قيسارية السروج، وباب ممر حمام الخراطين، ودار الأمير الدمر، وعرف هذا الدرب أولا بالأمير نور الدولة أبي الحسن علي بن نجا بن راجح بن طلائع، ثم عرف

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٧٥/٢

بدرب الجاولي الكبير، وهو الأمير عز الدين جاولي الأسدي، مملوك اسد الدين شيركوه بن شادي، ثم عرف بدرب العماد سنينات، ثم عرف بدرب الدمر، وبه يعرف إلى الآن.

الدمر أمير جان دار سيف الدين أحد أمراء الملك الناصر محمد بن قلاون، خرج إلى الحج في سنة ثلاثين وسبعمائة، وكان أمير حاج الركب العراقي تلك السنة، يقال له محمد الحويج من أهل توريز، بعثه أبو سعيد ملك العراق إلى مصر، وخف على قلب الملك الناصر، ثم بلغه عنه ما يكرهه فأخرجه من مصر، ولما بلغه أن حويج في هذه السنة أمير الركب العراقي، كتب إلى الشريف عطيفة أمير مكة أن يعمل الحيلة في قتله بكل ما يمكن، فأطلع على ذلك ابنه مباركا وخواص قواده، فاستعدوا لذلك، فلما وقف الناس بعرفة وعادوا يوم النحر إلى مكة، قصد العبيد إثارة فتنة وشرعوا في النهب لينالوا غرضهم من قتل أمير الركب العراقي، فوقع الصارخ وليس عند المصريين خبر مما كتبه السلطان، فنهض أمير الركب الأمير سيف الدين خاص ترك، والأمير أحمد قريب السلطان، والأمير الدمر أمير جان دار في مماليكهم، وأخذ الدمر يسب الشريف رميته، وأمسك بعض قواده وأحدق به، فقام إليه الشريف عطيفة ولاطفه فلم يرجع، وكان حديد النفس شجاعا فأقدم إليهم وقد اجتمع قواد مكة وأشرافها وهم ملبسون يريدون الركب العراقي، وضرب مبارك بن عطيفة بدبوس فأخطأه، وضربه مبارك بحربة نفذت من صدره، فسقط عن فرسه إلى الأرض، فأرتج الناس ووقع القتال، فخرج أمير الركب العراقي واحترس على نفسه فسلم، وسقط في يد أمير مكة إذ فات مقصوده، وحصل ما لم يكن بإرادته، ثم سكنت الفتنة ودفن الدمر، وكان قتله يوم الجمعة عشر ذي الحجة، فكأنما نادى منادي في القاهرة والقلعة والناس في صلاة العيد بقتل الدمر ووقوع الفتنة بمكة، ولم يبق أحد حتى تحدث بذلك، وبلغ السلطان فلم يكترث بالخبر.

وقال أين مكة من مصر، ومن أتى بهذا الخبر، واستفيض هذا الخبر بقتل الدمر حتى انتشر في إقليم مصر كله، فما هو إلا أن حضر مبشر الحاج في يوم الثلاثاء ثاني المحرم سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة فاخبروا بالخبر مثل ما أشيع، فكان هذا من أغرب ما سمع به، ولما بلغ السلطان خبر قتل الدمر غضب غضبا شديدا، وصار يقوم ويقعد، وأبطل السماط وأمر فجرد من العسكر ألفا فارس كل منهم بخودة وجوشن ومائة فردة نشاب وفأس برأسين أحدهما للقطع والآخر للهدم، ومع كل منهم جملان وفرسان وهجين، ورسم لأمير هذا العسكر أنه إذا وصل إلى ينبع وعداه، ولا يرفع رأسه لى السماء بل ينظر إلى الأرض ويقتل كل من يلقاه من العربان إلا من علم أنه أمير عرب، فإنه يقيده ويسجنه معه، وجرد من دمشق ستمائة فارس على هذا الحكم، وطلب الأمير أيتمش أمير هذا الجيش ومن معه من الأمراء والمقدمين وقال له: بدار العدل

يوم الخدمة: وإذا وصلت إلى مكة لا تدع أحدا من الأشراف ولا من القواد ولا من عبيدهم يسكن مكة، وناد فيها من أقام بمكة وحل دمه، ولا تدع شيئا من النخل حتى تحرقه جميعه، ولا تترك بالحجاز دمنة عامرة، وأخرب المساكن كلها، وأقيم في مكة بمن معك حتى أبعث إليك بعسكر ثاني، وكان القضاة حاضرين.

فقال قاضي القضاة جلال الدين القزويني: يا مولانا السلطان، هذا حرم قد أخبر الله عنه أن من دخله كان آمنا، وشرفه. فرد عليه جوابا في غضب. فقال الأمير أيتمش يا خوند، فإن حضر دمنة للطاعة وسأل الأمان؟ فقال أمنه.." (١)

"دار أوحد الدين: هذه الدار بداخل درب السلامي في رحبة باب العيد، مقابل قصر الشوك ولى جانب المارسان العتيق الصلاحي، كان موضعها من حقوق القصر الكبير، وصار أخيرا طاحونا، فهدمها القاضي أوحد عبد الواحد أيام كان يباشر توقيع الأمير الكبير برقوق، بعد سنة ثمانين وسبعمائة، فلما حفر أساس هذه الدار ووجد فيه هيئة قبة معقودة من لبن، وفي داخلها إنسان ميت قد بليت أكفانه وصار عظيما نخرا، وهو في غاية طول القامة، يكون قدر خمسة أذرع، وعظام ساقي خلاف ما عهد من الكبر، ودماغه عظيم جدا، فلما كملت هذه الدار سكنها أيام مباشرته وظيفة كتابة السر إلى أن مات بها، وقد حبسها على أولاده، فاستمرت بأيديهم إلى أن أخذها منهم الأمير جمال الدين يوسف الاستادار، كما أخذ غيرها من الأوقاف، فاستمرت في جملة ما بيده إلى أن قتله الملك الناصر فرج، فقبضها فيما قبض مما خلف جمال الدين، فلما قتل الملك الناصر فرج واستقل الملك المؤيد شيخ بمملكة مصر استرجع أولاد جمال الدين ما كان أخذه الناصر من أملاك جمال الدين، وصارت بأيديهم إلى أن وقف له أولاد أوحد الدين في طلب دار أبيهم، فعقد لذلك مجلس اجتمع فيه القضاة، فتبين أن الحق بيد أولاد أوحد الدين، فقضي بإعادة الدار إلى ما وقفها عليه أوحد الدين، فتسلمها أولاد أوحد الدين من ورثة جمال الدين، وهي الآن بأيديهم.

عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين الحنفي: أوحد الدين كاتب السر، ولد بالقاهرة ونشأ بها في كنف قاضي القضاة جمال الدين عبد الله بن علي التركماني الحنفي لصهارة كانت بين أبيه وبين التركمانية، وباشر توقيع الحكم مدة، واتفق أن أميرا من أمراء الملك الأشرف شعبان بن حسين يعرف بيونس الرماح مات، فادعى برقوق العثماني أحد المماليك اليلبغاوية أنه ابن عم يونس هذا، وأنه يستحق إرث لموته عن غير ولد، حضر

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٧٧/٢

إلى المدرسة الصالحية بين القصرين حيث يجلس القضاة للحكم بين الناس حتى يثبت ما ادعاه، فلما أراد الله من أسعاد جد أوحد الدين لم يقف برقوق على أحد من موقعي الحكم إلا عليه، وأخبره بما يريد، فبادر إلى توريق سؤال باسم برقوق، وانهائه أنه ابن عم يونس الرماح، وأن عنده بينة تشهد بذلك، ودخل بهذا السؤال إلى قاضي القضاة، وأنهى العمل حتى ثبت أن برقوق ابن عم يونس يستحق ارثه، فلما فرغ من ذلك برقوق إلى أوحد الدين مبلغ دراهم اجرة توريقه كما هي عادة **أهل مصر** في هذا، فامتنع من أخذها، وألحف برقوق في سؤاله، وهو يمتنع، فتقلد له برقوق في سؤاله، وهو يمتنع، فتقلد له برقوق المنة بذلك واعتقد أمانته وخيره، وصار لكثرة ركونه إليه إذا قدم فلاحوا إقطاعه يبعثهم إليه حتى يحاسبهم عما حملوه من الخراج، فلما قتل الملك الأشرف وثارت المماليك، وكان من أمرهم ما كان إلى أن تغلب برقوق وصار من جملة الأمراء واستولى على الاصطبل السلطاني في شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وسبعمائة، وصار أميرا خور، أقام أوحد الدين موقعا عنده، وما زال أمر برقوق يزداد قوة حتى انيطت به أمور المملكة كلها، فصار أوحد الدين صاحب الحل والعقد، وكاتب السر بدر الدين محمد بن علي بن فضل الله إسما لامعنى له، إلىأن جلس الأمير برقوق على تخت المملكة في شهر علي بن فضل الله إسما لا معنى له، إلى أن جلس الأمير برقوق على تخت المملكة في شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة، فقرر القاضي أوحد الدين في وظيفة كتابة السر عوضا عن ابن فضل الله، وخلع عليه في يوم السبت ثاني عشر شوال من السنة المذكورة، فباشر كتابة السر على القالب الجائز، وضبط الأمور أحسن ضبط، وعكف سائر الناس على بابه لتمكنه من سلطانه، وكان الأمير يونس الدوادار يرى أنه أكثر الناس من الأمراء تمكينا على السلطان، وجرت العادة بانتماء كاتب السر إلى الدوادار، فأحب أوحد الدين الإستبداد على الأمير يونس الدوادار، فقال السلطان سرا في غيبة يونس: أن السلطان يرسم بكتابة مهمات الدولة وأسرار المملكة إلى البلاد الشامية وغيرها، والأمير الدوادار يريد من المملوك أن يطلع على ذلك، فلم يقدر المملوك على مخالفته، ولا أمكنه إعلامه إلا بإذن، فانفق السلطان من ذلك وقال: الحذر أن يطلع على شيء من مهمات السلطان أو أسراره. فقال: أخاف منه إن سأل ولم أعلمه. فقال السطلان: ما عليك منه.." (١)

"فرأى أنه قد تمكن حينئذ، فأمسك أياما. ثم أراد الازدياد من الإستبداد فقال للسلطان سرا: قد رسم السلطان أن لا يطلع أحد على سر السلطان، ولا يعرف بما يكتب من المهمات، وطائفة البريدية كلهم يمشون في خدمة الدوادار، فإذا اقتضت آراء السلطان تسفير أحد منهم في مهم يحتاج المملوك إلى

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٢٩/٢

استدعائه من خدمة الأمير الدوادار، فإذا التمس مين أن أخبره بالمعنى الذي توجه فيه البريدي لا أقدر على إعلامه بذلك، ولا آمن إن كتمته، وانصرف. فلما كان من الغد وطلع الأمراء إلى الخدمة على العادة، قال السلطان للأمير يونس الدوادار: أرسل البريدية كلهم إلى كاتب السر ليمشوا ويركبوا معه، فلم يجد بدا من إرسالهم، وحصل عنده من إرسالهم المقيم المقعد، فصار البريدية يركبون نوبا في خدمة أوحد الدين، ويتصرف في أمرو الدولة وحده مع سلطانه، فانفر بالكلمة، وخضع له الخاص والعام إلا أنه نغص عليه في نفسه ومرض مرضا طويلا سقط معه شهوة الطعام، بحيث أنه لم يكن يشتهي شيئا من الغداء، وتنوع له المأكل من بين يديه لكي تميل نفسه إلى شيء منهم، ومتى تناول غذاء تقيأه في الحال، وما زال على ذلك إلى أن مات عن سبع وثلاثين سنة، في يوم السبت ثاني ذي الحجة سنة ست وثمانين وسبعمائة، ودفن خارج باب النصر، فلم يتأخر أحد من الأمراء والأعيان عن جنازه، وكان حسن السياسة، رضي الخلق، عاقلا، كثير السكون، جيد السيرة، جميل الصورة، حسن الهيئة، عارفا بأمر دنياه، محبا للمداراة، صاحب باطن، قليل العلم رحمه الله.

ربع الزيتي: هذا الربع كان بجوار قنطرة الحاجب التي على الخليج الناصري، وكان يشتمل على عدة مساكن ينزلها أهل الخلاعة للقصف، فإنه كان يشرف من جهاته الأربع على رياض وبساتين ففي شرقيه غيط الزيتي، وقد خرب، وموضعه اليوم بركة ماء، وفي غربيه غيط الحاجب بيبرس، وأدركته عامرا وهو اليوم مزارع بعدما كانله باب كبير بجانبه حوض ماء للسبيل، وعليه سياج من طين دائر به، ومن قبلي، هذا الربع الخليج وقنطرة الحاجب والجنينة التي بأرض الطبالة، ومن بحر به بساتين تتصل بالبعل وكوم الريش، وما زال هذا الربع معمورا باللذات آهلا بكثرة المسرات إلى أن كانت سنة الغرقة، وهي سنة خمس وخمسين وسبعمائة، فخربت دور كوم الريش وغيرها، ووصل ماء النيل إلى قنطرة الحاجبن فخرب ربع الزيتي وأهمل أمره حتى صار كوما عظيما تجاه قنطرة الحاجب، وغيط الحاجب، وسمعت من أدركته يخبر عن هذا الربع بعجائب من الملاد التي كانت فيه، وكانت العامة تقول في هزلها: ستي أين كنتي وأين رحتي وأين جيتي قالت مع ربع الزيتي:

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

الدار التي في أول البرقية من القاهرة التي حيطانها حجارة بيض منحوتة: هذا الدار بقي منها جدار على يمين من سلك من المشهد الحسيني يريد باب البرقية، وبقي منها أيضا جدار على يمين سلك من رحبة الأيدي مري إلى باب البرقية، وهي دار الأمير صبيح بن شاهنشاه أحد أمراء الدولة الفاطمية في أيام الصالح

طلائع بن رزيك، وكانت في غاية الكبر والتحسين. قال بعض أصحاب الصالح: يا مولانا أبقاك الله حتى تتم دار ابن شاهنشاه، وكان الضرغام قبل أني لي وزارة مصر قد فرس العادل أبا شجاع رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك، فظهر منه فارسا في غاية الفروسية، بحثي أنه قد حضر في يوم عيد الحلقة وأخذ رمحا وحربة وقوسا وسهما، فأخذ الحلقة بالرمح، ورمى بالسهم فأصاب الغرض، وحذف بالحربة فأثبتها في المرمى، ولعب بالرحم في غاية الحسن.

ثم دخل صبيح ابن شاهنشاه فعمل مثل ذلك، فتحرك الضرغام وكان يلبس عمامة بعذبة وأكمال واسعة على زي المصريين يومئذ، فتلثم بعذبته ولف أكمامه وأخذ رمحه ولعب به في غاية الحسن، وطرد كذلك ودخل في الحلقة وأخذها، فعجب منه كل من في العسكر، فأخذ عند ذلك الأمير صبيح ابن شاهنشاه المبخرة وأتى إليه وقال: يا مولاي كفاك الله أمر العين، فإن هذا شيء ما يقدر عليه أحد، وجعل يدور حول فرسه ويبخره والضرغام يتبسم ويعجبه ذلك، وبعد ذا كان قتل ابن شاهنشاه على يده في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ولم تكمل هذه الدار.." (١)

"هذه الحمام كانت بخط خرائب تتر أيضا في جوار المدرسة النابلسية، تجاه باب الخانقاه الصلاحية، عرفت بالأمير علم الدين كرجي الأسدي، أحد الأمراء الأسدية في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وقد خربت هذه الحمام وبني في مكانها هذا البناء الذي تجاه باب الخانقاه بأول الزقاق.

حكام كتيلة

هذه الحمام كانت داخل باب الخوخة برأس سويقة الصاحب، عرفت أخيرا بالأمير صارم الدين ساروج شاد الدواوين، ثم خربت في أيام.... ومكانها الآن مسمط يذبح فيه الغنم وتسمط.

حمام ابن أبي الدم: هذه الحمام كانت فيما بين سويقة المسعودي وباب الخوخة، أنشأها ابن أبي الدم اليهودي، أحد كتاب الإنشاء في أيام الخليفة الحاكم، وتولى ابن خيران الديوان ونقل عنه أنه وسع بين السطور في كتاب كتبه إلى الخليفة وهذه مكاتبة الأعلى إلى الأدنى، فلما حضر وأنكر عليه، ألحق بين السطر والسطر سطرا مناسبا للفظ والمعنى، من غير أن يظهر ذلك، فعفا عنه. وقد خربت وصار مكانها دربا فيه دور يعرف بسكن القاضي بدر الدين حسن البرديني، أحد خلفاء الحاكم العزيزي الشافعي، وأدركت بعض آثار هذه الحمام.

حمام الحصينية: هذه الحمام كانت في سويقة الصاحب من داخل درب الحصينية الذي يعرف اليوم بدرب

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢/٢٣٠

ابن عرب وقد خربت.

حمام الذهب

هذه الحمام كانت بدار الذهب، أحد مناظر الخلفاء الفاطميين التي ذكرت في المناظر من هذا الكتاب، وقد خربت هذه الحمام ولم يبق لها أثر.

حمام ابن قرقة

هذه الحمام كانت بخط سويقة المسعودي من حارة زويلة، أنشأها أبو سعيد بن قرقة الحكيم، متولي الاستعمالات بدار الديباج وخزائن السلاح في الدولة الفاطمية، بجوار داره التي تقدمت في الدور من هذا الكتاب، ثم عرفت هذه الحمام في الدولة الأيوبية بالأمير صارم الدين المسعودي وإلى القاهرة، المنسوب إليه سويقة المسعودي المذكورة في الأسواق من هذا الكتاب، ثم خربت هذه الحمام وعمل في موضعها فندق عرف أخيرا بفندق عمار الحمامي، بجوار جامع ابن المغربي من جانبه الغربي، وأخذت بئر هذه الحمام، فعملت للحمام التي تعرف اليوم بحمام السلطان.

حمام السلطان

هذه الحمام يتوصل إليها الآن من سويقة المسعودي، ومن قنطرة الموسكي، وهي من الحمامات القديمة عرفت في الدولة الفاطمية بحمام الأوحد، ثم عرفت في الدولة الأيوبية بحمام ابن يحيى، وهو القاضي المفضل هبة الله بن يحيى العدل، ثم عرفت بحمام الطيبرسي، ثم هي الآن تعرف بحمام السلطان.

حمام خوند

هذه الحمام بجوار رحبة خوند، المذكورة في الرحاب من هذا الكتاب، وكانت برسم الدار التي تعرف الآن بدار خونداردتكين، ثم أفردت وصارت إلى الآن حماما يدخله عامة الرجال في أوائل النهاء، ثم تعقبم النساء من بعد، إلى أن هدمها الأمير صلاح الدين محدد استادار السلطان ابن الأمير الوزير الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله في شهر رجب سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وعمل موضعها من جملة داره التي هناك.

حمام ابن عبود

هذه الحمام موضعها فيما بين اصطبل الجميزة المذكورة في اصطبلات الخلفاء من هذا الكتاب، وبين رأس حارة زويلة، وهي من الحمامات القديمة، عفت بحمام الفلك، وهو القاضي فلك الملك العادل، ثم عرفت بالأمير علي بن أبي الفوارس، ثم عرفت بابن عبود، وهو الشيخ نجم الدين أبو علي الحسين بن محمد بن إسماعيل بن عبود القرشي الصوفي، مات في يوم الجمعة ثالث عشري شوال سنة اثنين وعشرين وسبعمائة

بعدما عظم قدره ونفذ في أرباب الدولة نهيه وأمره، وهو صاحب الزاوية المعروفة بزاوية ابن عبود بلحف الحبل، قريبا من الدينوري من القرافة، فانظرها في الزوايا من هذا الكتاب، ولم تزل هذه الحمام جارية في أوقات التربة المذكورة إلى أن تسلط الأمير جمال الدين على أموال أهل مصر، فاغتصب ابن أخته الأمير شهاب الدين أحمد المعروف بسيدي أحمد ابن أخت جمال الدين هذه الحمام، واغتصب دار ابن فضل الله التي تجاه هذه الحمام، واغتصب دارا أخر بجوارها، وعمر هناك دارا عظيمة كما قد ذكر في الدور من هذا الكتاب.

حمام الصاحب." (١)

"هذا السوق من الجامع الأقمر إلى سوق الدجاجين، كان يعرف في الدولة الفاطمية بسوق القماحين، وعنده بنى المأمون بن البطائحي الجامع الأقمر باسم الخليفة الآمر بأحام الله، وبنى تحت الجامع دكاكين ومخازن من جهة باب الفتوح، وأدركت سوق الشماعين من الجانبي معمور الحوانيت بالشموع الموكبية والفانوسية والطوافات، لا تزال حوانيته مفتحة إلى نصل الليل، وكان يجلس به في الليل بغايا يقال لهن زعيرات الشماعين، لهن سيما يعرفن بها، وزي يتميزن به، وهو لبس الملاءات الطرح وفي أرجلهن سراويل من أديم أحمر، وكن يعانين الزعارة ويقفن مع الرجال المشالقين في وقت لعبهم، وفيهن من تحمل الحديد معها.

وكان يباع في هذا السوق في كل ليلة من الشمع بمال جزيل، وقد خرب ولم يبق به إلا نحو الخمس حوانيت بعدما أدركتها تزيد على عشرين حانوتا، وذلك لقلة ترف الناس وتركهم استعمال الشمع، وكان يعلق بهذا السوق الفوانيس في موسم الغطاس، فتصير رؤيته في الليل من أنزه الأشياء، وكان به في شهر رمضان موسم عظيم لكثرة ما يشترى ويكتى من الشموع الموكبية التي تزن الواحدة منهن عشرة أرطال فما دونها، ومن المزهرات العجيبة الزي المليحة الصنعة، ومن الشمع الذي يحمل على العجل ويبلغ وزن الواحدة منها القنطار وما فوقه، كل ذلك برسم ركوب الصبيان لصلاة التراويح، فيمر في ليالي شهر رمضان من ذلك ما يعجز البليغ عن حكاية وصفه، وقد تلاشى الحال في جميع ما قلنا لفقر الناس عجزهم.

سوق الدجاجين: هذا السوق كان مما يلي سوق الشماعين إلى سوق قبو الخرشتف، كان يبع فيه من الدجاج والأوز شيء كثير جليل إلى الغاية، وفيه حانوت فيه العصافير التي يبتاعها ولدان الناس ليعتقوها، فيباع منها في كل يوم عدد كثير جدا، ويبع العصفور منها بفلس، ويخد الصبي بأنه يسبح، فمن أعتقه دخل

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٣٣/٢

الجنة، وكل واحد حينئذ رغبة في فعل الخير، وكان يوجد في كل وقت بهذه الحوانيت من الأقفاص التي بها هذه العصافير آلاف، ويباع بهذا السوق عدة أنواع من الطير، وفي كل يوم جمعة يباع فيه بكرة أصناف القماري والهزارات والشحارير واللبغاء والسمان، وكنا نسمع أن من السمان ما يبلغ ثمنه المئات من الدراهم، وكذلك بقية طيور المسموع يبلغ الواحد منها نحو الألف، لتنافس الناس فيها وتوفر عدد المعتنين بها، وكان يقال لهم غواة طيور المسموع سيما الطواشية، فإنه كان يبلغ بهم الترف أن يقتنوا السمان ويتأنقوا في أقفاصه ويتغالوا في أثمانه حتى بلغنا أنه بيع طائر من السمان بألف درهم فضة، عنها يومئذ نحون الخمسين دينارا من الذهب، كل ذلك لإعجابهم بصوته، وكان صوته على وزن قول القائل: " طقطلق وعوع " وكلما كثر صياحه كانت المغالاة في ثمنه، فاعتبر بما قصصته عليك حال الترف الذي كان فيه أهل مصر، ولا تتخذ حكاية ذلك هزؤا تسخر به، فتكون ممن لا تنفعه المواعظ بل يمر بالآيات معرضا غافلا فتحرم الخير.

وكان بهذا السوق قيسارية عملت مرة سوقا للكتبيين، ولها باب من وسط سوق الدجاجين، وباب من الشارع الذي يسلك فيهمن بين القصرين إلى الركن المخلق، فاتفق أن ولي نيابة النظر في المارستان المنصوري عن الأمير الكبير ايتمش النحاسي الظاهري أمير يعرف بالأمير خضر ابن التنكزية، فهدم هذا السوق والقيسارية وما يعلوها، وأنشأ هذه الحوانيت والرباع التي فوقها تجاه ربع الكامل الذي يعلو ما بين درب الخضيري وقبو الخرشتف، فلما كمل أسكن في الحوانيت عدة من الزياتين وغيرهم، وبقي من الدجاجين بهذا السوق بقية قليلة.

سوق بين القصرين: هذا السوق أعظم أسواق الدنيا فيما بلغنا، وكان في الدولة الفاطمية براحا واسعا يقف فيه عشرة آلاف ما بين فارس وراجل، ثم لما زالت الدولة ابتذل وصار سوقا يعجز الواصف عن حكاية ما كان فيه، وقد تقدم ذكره في الخطط من هذا الكتاب، وفيه إلى الآن بقية تحزنني رؤيتها إذ صارت إلى هذه القلة.

سوق السلاح." (١)

"هذا السوق مما استجد بعد زوال الدولة الفاطمية، وكان بأولها حبس المعونة، الذي عمله الملك المنصور قلاوون سوق العنبر، يقابله المارستان والوكالة ودار الضرب، في الموضع الذي يعرف اليوم بدرب الشمسي، وما بحذائه من الحوانيت إلى حمام الخراطين، وما تجاه ذلك. وهذا السوق معد لبيع المهاميز، وأدركت الناس وهم ذلك إلا من يتورع ويتدين فيتخذ القالب من الحديد ويطليه بالذهب أو الفضة، ويتخذ

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٥٣/٢

السقط من الفضة، وقد اضطر الناس إلى ترك هذا، فقل من بقي سقط مهمازه فضة، ولا يكاد يوجد اليوم مهماز من ذهب، وكان يباع بهذا السوق البدلات الفضة التي كانت برسم لجم الخيل، وتعمل تارة من الفضة المجراة بالمينا، وتارة بالفضة المطلية بالذهب، فيبلغ زنة ما في البدلة من خمسمائة درهم فضة إلى ما دونها، وقد بطل ذلك. وكان يباع به أيضا سلاسل الفضة ومخاطم الفضة المطلية، تجعل تحت لجم الحجور من الخيل خاصة، فيركب بها أعيان الموقعين وأكابر الكتاب من القبط ورؤساء التجار، وقد بطل ذلك أيضا. ويباع فيه أيضا الدوي والطرف التي فيها الفضة والذهب كسكاكين الأقلام ونحوها، وكانت تجار هذا السوق تعد من بياض العامة، ويتصل بسوق المهامزيين هذا.

سوق اللجامين

يباع فيه آلات اللجم ونحوها مما يتخذ من الجلد، وفي هذا السوق أيضا عدة وافرة ن الطلائين وصناع الكفت برسم اللجم والركب والمهاميز ونحو ذلك. وعدة من صناع مياتر السروج وقرابسها، وأدركت السروج تعمل ملونة ما بين أصفر وأزرق، ومنها ما يعمل من الدبل، ومنها ما يعمل سيورا من الجلد البلغاري الأسود، ويركب بهذه السروج السوق القضاة ومشايخ العلم اقتداء بعادة بني العباس في استعمال السواد، على ما جدده بديار مصر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد زوال الدولة الفاطمية.

وأدركت السروج التي تركب بها الأجناد والكتاب، يعمل للسرج في قربوسه ستة أطواق من فضة مقبلة مطلية بالذهب، ومعقربات من فضة، ولايكاد أحد يركب فرسا بسرج سادج إلا إن يكون من القضاة ومشايخ العلم وأهل الورع، فلما تسلطن الملك الظاهر برقوق اتخذ سائر الأجناد السروج المغرقة، وهي التي جميع قرابسها من ذهب أو فضة، إما مطلية أو ساجة، وكثر عمل ذلك حتى لم يبق من العسكر فارس إلا وسرجه كما ذكرنا. وبطل السرج المسقط، فلما كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة غلب على الناس الفقر، وكثرت الفتن، فقلت سروج الذهب والفضة، وبقي منها إلى اليوم بقايا يركب بها أعيان الأمراء وأماثل المماليك.

سوق الجوخيين

هذا السوق يلي سوق اللجميين، وهو معد لبيع الجوخ المجلوب من بلاد الفرنج لعمل المقاعد والستائر وثياب السروج وغواشيها، وأدركت الناس وقلما تجد فيهممن يلبس الجوخ، وإنما يكون من جملة ثياب الأكابر، جوخ لا يلبس إلا في يوم المطر، وإنما يلبس الجوخ من يرد من بلاد المغرب والفرنج وأهل الإسكندرية وبعض عوام مصر، فأما الرؤساء والأكابر والأعيان فلا يكاد يوجد فيهم من يلبسه إلا في وقت المطر، فإذا ارتفع المطر نزع الجوخ.

وأخبرني القاضي الرئيس تاج الدين أبو الفداء سماعيل بن أحمد بن عبد الوهاب بن الخطبا المخزومي، خال أبي رحمه الله، قال: كنت أنوب في حسبة القاهرة عن القاضي ضياء الدين المحتسب، فدخلت عليه يوما وأنا لابس جوخة لها وجه صوف مربع فقال لي: وكيف ترضى أن تلبس الجوخ، وهل الجوخ إلا لأجل البغلة؟! ثم أقسم علي أن أخلعها، ومازال بي حتى عرفته أني اشتريتها من بعض تجار قيسارية الفاضل، فاستدعاه في الحال ودفعها إليه وأمره بإحضار ثمنها. ثم قال لي: لاتعد إلى لبس الجوخ، استهجانا له. فلما كانت هذه الحوادث وغلت الملابس دعت الضرورة أهل مصر إلى ترك أشياء مما كانوا فيه من الترفه، وصار معظم الناس يلبسون الجوخ، فتجد الأمير والوزير والقاضي ومن دونهم ممن ذكرنا لباسهم الجوخ، ولقد كان الملك الناصر فرج ينزل أحيانا إلى الإصطبل وعليه قجون من جوخ، وهو ثوب قصير الكمين والبدن، يخاط من الجوخ بغير بطانة من تحته ولا غشاء من فوقه، فتداول الناس لبسه، واجتلب الفرنج منه شيئا كثيرا لا توصف كثرته ومحمل بيعه بهذا السوق، ويلي سوق الجوخيين هذا.

سوق الشرابشيين." (١)

"هذا السوق فيما بين سوق الحريريين الشراربيين وبين قيسارية العصفر، وهو تجاه الخراطين، كان في الدولة الفاطمية مكانه سجنا لأرباب الجرائم يعرف بحبس المعونة، وكان شنيع المنظر ضيقا لايزال من يجتاز عليه يجد منه رائحة منكرة، فلما كان في الدولة التركية وصار قلاوون من جملة الأمراء الظاهرية بيبرس، صار يمر من داره إلى قلعة الجبل على حبس المعونة هذا فيشم منه رائحة رديئة ويسمع منه صراخ المسجونين وشكواهم الجوع والعري والقمل، فجعل على نفسه أن الله تعالى جعل له من الأمر شيئا أن يبني هذا الحبس مكانا حسنا، فلما صار إليه ملك ديار مصر والشام هدم حبس المعونة وبناء سوقا ليسكنه بياعي العنبر، وكان للعنبر إذ ذاك بديار مصر نفاق، ولناس فيه رغبة زائدة، لا يكاد يوجد بأرض مصر امرأة وإن سفلت إلا ولها قلادة من عنبر، وكان يتخذ منه المخاد والكلل والستور وغيرها، وتجار العنبر يعدون من بياض الن ا س، ولهم أموال جزيلة، وفيه رؤساء وأجلاء، فلما صار الملك إلى الملك الناصر محمد بن قلاون جعل هذا السوق وما فوقه من المساكن وقفا على الجامع الذي أنشأه بظاهر مصر جوار موردة الخلفاء المعروف بالجامع الجديد الناصري، وهو جار في أقاف إلى يومنا هذا. إلا أن العنبر من بعد سنة سبعين وسبعمائة كثر فيه الغش حتى صار إسما لا معنى له، وقلت رغبة الناس ي استعماله، فتلاشى أمر هذا السوق بالنسبة لما كان، ثم لما حدثت المحن بعد سنة ست وثمانمائة قل ترفه أهل مصر عن استعمال

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢/٢٥٥

الكثير من العنبر، فطرق هذا السوق ما طرق غيره من أسواق البلد، وبقيت فيه بقية يسيرة إلى أن خلع الخليفة المستعين بالله العباسي بن محمد في سنة خمس عشرة وثمانمائة، وكان نظر الجامع الجديد بيده وبيد ابيه الخليفة المتوكل على الله محمد، فقصد بعض سفهاء العامة يكاتبه بتعطيل هذا السوق، فاستأجر قيسارية العصفر ونقل سوق العنبر إليه،، وصار معطلا نحو سنتين، ثم عاد أهل العنبر إلى هذا السوق على عادتهم في سنة ثمان عشرة وثمانمائة.

سوق الخراطين: هذا السوق يسلك فيه من سوق المهامزيين إلى الجامع الأزهر وغيره، وكان قديما يعرف بعقبة الصباغين، ثم عرف بسوق القشاشين، وكان فيما بين دار الضرب والوكالة الآمرية وبين المارستان، ثم عرف الآن بسوق الخراطين، وكان سوقا كبيرا معمورا لجانبين بالحوانيت المعدة لبيع المهد الذي يربى فيه الأطفال، وحوانيت الخراطين، وحوانيت صناع السكاكين، وصناع الدوى، يشتمل على نحو الخمسين حانوتا، فلما حدثت المحن تلاشى هذا السوق، واغتصب الأمير جمال الدين يوسف الاستادار منه عدة حوانيت، من أوله إلى الحمام التي تعرف بحمام الخراطين، وشرع في عمارتها، فعوجل بالقتل قبل إتمامها، وقبض عليها الملك الناصر فرج فيما أحاط به من أمواله وأدخلها في الديوان.

فقام بعمارة الحوانيت التي تجاه قيسارية العصفر من درب الشمسي إلى أول الخراطين القاضي الرئيس تقي الدين عبد الوهاب بن أبي شاكر، فلما كملت جعلها الملك الناصر فيما هو موقوف على ترتبته التي أنشأها على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق خارج باب النصر وأفرد الحمام وبعض الحوانيت القديمة للمدرسة التي أنشأها الأمير جمال الدين يوسف الأستادار برحبة باب العيد، وما يقابل هذه الحوانيت هو وما فوقه وقف على المدرسة القراسنقرية وغيرها، وهو متخرب متهدم.

سوق الجملون الكبير." (١)

"هذا السوق بوسط سوق الشرابشيين، يتوصل منه إلى البندقانيين وإلى حارة الجودرية وغيرها، أنشيء فيه حوانيت سكنها البزازون، وقفه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون عرى تربة مملوكه بلبغا التركماني عندما مات في سنة سبع وسبعمائة، وثم عمل عليه بابان بطرفيه بعد سنة تسعين وسبعمائة، فصارت تغلق في الليل، وكان فيما أدركناه شارعا مسلوكا طول الليل، يجلس تجاه صاحب العسس، الذي عرفته العامة في زماننا بوالي الطوف، من بعد صلاة العشاء في كل ليلة، وينصب قدامه مشعل يشعل بالنار طول الليل، وحوله عدة من الأعوان وكثيرمن السقائين والنجارين والقصارين والهدادين بنوب مقررة لهم، خوفا من أن

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٦١/٢

يحدث بالقاهرة في الليل حريق فيتداركون إطفاءه، ومن حدث منه في الليل خصومة، أو وجد سكران، أو قبض عليه من السراق، تولى أمره والي الطوف وحكم فيه بما يقتضيه الحال. فلما كانت الحوادث بطل هذا الرسم في جملة ما بطل، وهذا السوق الآن جار في وقف..

سوق الفرايين: هذا السوق يسلك فيه من سوق الشرابشيين إلى الأكفانيين والجامع الأزهر وغير ذلك. كان قديما يعرف بسوق الخروقيين، ثم سكن فيه صناع الفراء وتجاره، فعرف بهم، وصار بهذا السوق في أيام الملك الظاهر برقوق من أنواع الفراء ما يجل أثمانها وتتضاعف قيمها، لكثرة استعمال رجال الدولة من الأمراء والماليك لبس السمور والوشق والقماقم والسنجاب، بعدما كان ذلك في الدولة التركية من أعز الأشياء التي لايستطيع أحد أن يلبسها، ولقد أخبرني الطواشي الفقيه الكاتب الحاسب الصوفي زين الدين مقبل الرومي الجنس المعروف بالشامي، عتيق السلطان الملك الناصر الحسين بن محمد بن قلاون: أنه وجب في تركة بعض أمراء السلطان حسن قباء بفرو قاقم، فاستكثر ذلك عليه وتعجب منه، وصار يحكى ذلك مدة لعزة هذا الصنف واحترامه، لكونه من ملابس السلطان وملابس نسائه، ثم تبذلت الأصناف المذكورة حتى صار يلبس السمور آحاد الأجناد وآحاد الكتاب، وكثير من العوام، ولا تكاد امرأة من نساء بياض الناس تخلو من لبس السمور ونحوه، وإلى الآن عند الناس من هذا الصنف وغيره من الفرو شيء كثير.

سوق البخانقيين

هذا السوق فيما بين سوق الجملون الكبير وبين قيسارية الشرب الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى عند ذكر القياسر. وباب هذا السوق شارع من القصبة، ويعرف بسوق الخشبة تصغير خشبة، فإنه عمل على بابه المذكور خشبة تمنع الراكب من التوصل إليه، ويسلك من هذا السوق إلى قيسارية الشرب وغيرها. وهو معمور الجانبين بالحوانيت المعدة لبيع الكوافي والطواقي التي تلبسها الصبيان والبنات، وبظاهر هذا السوق أيضا في القصة عدة حوانيت لبيع الطواقي وعملها، وقد كثر لبس رجال الدولة من الأمراء والمماليك والأجناد ومن يتشبه بهم للطواقي في الدولة الجركسية، وصاروا يلبسون الطاقية على رؤوسهم بغير عمامة، ويمرون كذلك في الشوارع والأسواق والجوامع والمواكب لا يرون بذلك بأسا بعدما كان نزع العمامة عن الرأس عارا وفضيحة، ونوعوا هذه الطواقي ما بين أخضر وأحمر وأزرق وغيره من الألفوان، وكانت أولا ترتفع نحو سدس ذراع، ويعمل أعلاها مدورا مسطحا، فحدث في أيام الملك الناصر رج منها شيء عرف بالطواقي الجركسية، يكون ارتفاع عصبة الطاقية منها نحو ثلثي ذراع، وأعلاها مدور مقبب، وبالغوا في تبطين الطاقية بالورق والكتيرة، فيما بين البطانة المباشرة للرأس والوجه الظاهر للناس، وجعلوا من أسفل العصابة المذكورة زيقا من

فور القرض الأسود يقال له القندس، في عرض نحو ثمن ذراع، يصير دائرا بجبهة الرجل وأعلى عنقه، وهم على استعمال هذا الزي إلى اليوم، وهو من أسمج ما عانوه، ويشبه الرجال في لبس ذلك بالنساب لمعنيين، أحدهما أنه فشا في أهل الدولة محبة الذكران، ليستملن قلوب رجالهن، فاقتدى بفعلهن في ذلك عامة نساء البلد. وثانيهما ما حدث بالناس من الفقر ونزل بهم من الفاقة، فاضطر حال نساء **أهل مصر** إلى ترك ما أدركنا فيه النساء من لبس الذهب والفضة والجواهر ولبس الحرير، حتى لبسن هذه الطواقي وبالغن في عملها من الذهب والحرير وغيره، وتواصين على لبسها، ومن تأمل أحوال الوجود عرف كيف تنشأ أمور الناس في عاداتهم، وأخلاقهم، ومذاهبهم.

سوق الخلعيين." (١)

"سويقة العياطين: هذه السويقة بخط المقس بالقرب من باب البحر، عرفت بالفقير المعتقد مسعود بن محمد بن سالم العياط لسكنه بالقرب منها، وله هناك مسجد بناه في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وأخبرني الشيخ المعمر حسان الدين حسن بن عمر الشهرزوري وكيل أبي رحمه الله: أن النشو ناظر الخاص في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون، طرح على أهل هذه السويقة عدة أمطار عسل قصب، وألزمهم في ثمن كل قنطار بعشرين درهما، فوقفوا إلى السلطان وعيطوا حتى أعفاهم من ذلك، فقيل لها من حينئذ سويقة العياطين، ولفظة عياط عند **أهل مصر** بمعنى صياح، والعياط الصياح، وأصل ذلك في اللغة أن العطعطة تتباع الأصوات واختلافها في الحرب، وهي أيضا حكاية أصوات المجان إذا قالوا عيط محيط، وذلك إذا غلبوا قوما، وقد عطعطوا أو عطعط بالذئب إذا قال له عاط عاط، فحرف عامة مصر ذلك وجعلوا العياط الصياح، واشتقوا منه الفعل فأعرف ذلك.

سوىقة العراقيين: هذه السويقة بمدينة مصر الفسطاط، وإنما عرفت بذلك لأن قريبا الأزدري وزحافا الطائي، وكانا من الخوارج، خرجا على زياد ابن أمية بالبصرة، فاتهم زياد بهما جماعة من الأزد، وكتب إلى معاوية بن أبي سفيان يستأذنه في قتلهم، فأمر بتغريبهم عن أوطانهم، فسيرهم إلى مصر وأميرها مسلمة بن مخلد، وذلك في سنة ثلاث وخمسين، وكان عددهم نحوا من مائتين وثلاثين، فأنزلوا بالظاهر أحد خطط مصر، وكان إذ ذاك طرقا، أراد أن يسد بهم ذلك الموضع، فنزلوا في الموضع المعروف بكوم سراج، وكان فضاء، فبنوا لهم مسجدا واتخذوا سوقا لأنفسهم، فسمى سويقة العراقيين.

العوايد التي كانت بقصبة القاهرة

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٦٢/٢

إعلم أن قصبة القاهرة ما برحت محترمة، بحيث أنه كان في الدولة الفاطمية إذا قدم رسول متملك الروم، ينزل من باب الفتوح ويقبل الأرض وهو ماش إلى أن يصل إلى القصر، وكذلك كان يفعل كل من غضب عليه الخليفة، فإنه يخرج إلى باب الفتوح ويكشف رأسه ويستغيث بعفو أمير المؤمنين حتى يؤذن له بالمصير إلى القصر، وكان لها عوايد منها: أن السلطان من ملوك بني أيوب ومن قام بعدهم من ملوك الترك، لا بد إذا استقر في سلطنة ديار مصر أن يلبس خلعة السلطان بظاهر القاهرة، ويدخل إليها راكبا والوزير بين يديه على فرس، وهو حامل عهد السلطان الذي كتبه له الخليفة بسلطنة مصر على رأسهم، وقد أمسكه بيديه، وجميع الأمراء ورجال العساكر مشاة بين يديه منذ يدخل إلى القاهرة من باب الفتوح، أو من باب النصر، إلى أن يخرج من باب زويلة. فإذا خرج السلطان من باب زويلة ركب حينئذ الأمراء وبقية العسكر. ومنها أنه لا يمر بقصبة القاهرة حمل تبن، ولا حمل حطب، ولا يسوق أحد فرسا بها، ولا يمر بها سقاء إلا وراويته مغطاة.

ومن رسم أرباب الحوانيت أن يعدوا عند كل حانوت زيرا مملوءا بالماء مخافة أن يحدث الحريق في مكان فيطفأ بسرعة، ويلزم صاحب كل حانوت أن يعلق على حانوته قنديلا طول الليل يسرج إلى الصباح، ويقام في القصبة قوم يكنسون الأزبال والأتربة ونحوها، ويرشون كل يوم، ويجعل في القصبة طول الليل عدة من الخفراء يطوفون بها لحراسة الحوانيت وغيرها، ويتعاهد كل قليل بقطع ما عساه تربى من الأوساخ في الطرقات حتى لا تعلوا الشوارع.." (١)

"وقال المسبحي في حوادث سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة نودي في السقائين أن يغطوا روايا الجمال والبغال لئلا تصيب ثياب الناس. وقال: في سنة ثلث وثمانين وثلاثمائة أمر العزيز بالله أمير المؤمنين بنصب أزيار الماء مملوءة ماء على الحوانيت، ووفود المصابيح على الدور وفي الأسواق. وفي ثالث ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة أمر أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله الناس بأن يقدوا القناديل في سائر البلد على جميع الحوانيت، وأبواب الدور، والمحال والسلك الشارعة. وغير الشارعة، ففعل ذلك، ولازم الحاك بأمر الله الركوب في الليل، وكان ينزل كل ليلة إلى موضع موضع، وإلى شارع شارع، وإلى زقاق زقاق، وكان قد ألزم الناس بالوقيد، فتناظر وافية واستكثروا منه في الشوارع والأزقة وزينت القياسر والأسواق بأنواع الزينة، وصار الناس في القاهرة ومصر طول الليل في بيع وشراء، وأكثروا أيضا من وقود الشموع العظيمة. وأنفقوا في ذلك أموالا عظيمة جللة لأجل التلاهي، وتبسطوا في المآكل والمشارب وسماع الأغاني، ومنع الحاكم

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٦٦/٢

الرجال المشاة بين يديه من المشي بقربة، وزجرهم وانتهرهم وقال: لا تمنعوا أحدا مني، فأحدق الناس به وأكثروا من الدعاء له، وزينت الصاغة وخرج سائر الناس بالليل للتفرج، وغلب الناس الرجال على الخروج بالليل، وعظم الازدحام في الشوارع والطرقات، وأظهر الناس اللهو والغناء وشرب المسكرات في الحوانيت وبالشوارع من أول المحرم سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، وكان معظم ذلك من ليلة الأربعاء تاسع عشرة إلى ليلة الإثنين رابع عشرية، فلما تزايد الأمر وشنع أمر الحاكم بأمر الله أن لا تخرج امرأة من العشاء، ومتى ظهرت امرأة بعد العشاء نكل بها، ثم منع الناس من الجلوس في الحوانيت فامتنعوا، ولم يزل الحاكم على الركوب في الليل إلى آخر شهر رجب، ثم نودي في شهر رجب سنة خمس وتسعين وثلاثمائة أن لايخرج أحد بعد عشاء الآخرة، ولا يظهر لبيع ولا شراء، فامتنع الناس.

وفي سنة خمس وأربعمائة تزايد في المحرم منها وقوع النار في البلد وكثر الحريق في عدة أماكن، فأمر الحاكم بأمر الناس باتخاذ القناديل على الحوانيت وأزيار الماء مملوءة ماء، وبطرح السقائف التي على أبواب الحوانيت، والرواشن التي تظل الباعة، فأزيل جميع ذلكمن مصر والقاهرة.

ظواهر القاهرة المعزية

اعلم أن القاهرة المعزية يحصرها أربع جهات وهي: الجهة الشرقية، والجهة الغربية، والجهة الشمالية التي تسمها أهل مصر البحرية، والجهة الجنوبية التي تعرف في أرض مصر بالقبلية.

فأما الجهة الشرقية فإنها من سور القاهرة التي فيه الآن باب البرقية والباب الجديد والباب المحروق، وتنتهي هذه الجهة إلى الجبل المعطم. وأما الجهة الغربية فإنها من سور القاهرة الذي فيه باب القنطرة وباب الخوخة وباب سعادة، وتنتهي هذه الجهة إلى شاطيء النيل. وأما الجهة القبلية فإنها من سور القاهرة الذي فيه باب زويلة، وتنتهي هذه الجهة إلى حد مدينة مصر. وأما الجهة البحرية فإنها من سور القاهرة الذي فيه باب النصر وباب الفتوح، وتنتهي هذه الجهة إلى بركة الجب التي تعرف اليوم ببكرة الحاج، وقدكانت هذه الجهة الشرقية عندما وضعت القاهرة فضاء فيما بين السور وبين الجبل لابنيان فيه البتة، وما زال على هذا إلى أن كانت الدولة التركية، فقيل لهذا الفضاء الميدان الأسود، وميدان القبق، وسيد ذكر هذا الميدان إن شاء الله تعالى.." (١)

"قد تقدم أن هذا الخليج حفر قبل الإسلام بدهر، وأن عمرو بن العاص رضي الله عنه جدد حفره في عام الرمادة، بإشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حتى صب ماء النيل في بحر القلزم،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٦٨/٢

وجرت فيه السفن بالغلال وغيرها حتى عبرت منه إلى البحر الملح، وأنه ما برح على ذلك إلى سنة خمسين ومائة، فطم ولم يبق منه إلا ما هو موجود الآن، إلا أن فم هذا الخليج الذي يصب فيه الماء من بحر النيل، لم يكن عند حفره هذا الفم الموجود الآن، ولست أدري أين كان فمه عند ابتداء حفره في الجاهلية، فإن مصر فتحت وماء النيل عند الموضع الذي فيه الآن جامع عمرو بن العاص بمصر، وجميع من عند سوق المعاريج الذي هو الآن بمصر إلى تجاه الكبش من غربيه، وجميع ما هو الآن موجود من الأرض التي فيما بين خط السبع سقايات إلى سوق المعاريج انحسر عنه الماء شيئا بعد شيء، وغرس بساتين، فعمل عبد العزيز بن مروان أمير مصر قنطرة على فم هذا الخليج في سنة تسع وستين من الهجرة بأوله، عند ساحل الحمراء، ليتوصل من فوق هذه القنطرة إلى جنان الزهري الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى. وموضع هذه القنطرة بداخل حرك أقبغا المجاور لخط السبع سقايات، وما برحت هذه القنطرة عندها السد الذي يفتح عند الوفاء إلى ما بعد الخمسمائة من الهجرة، فانحسر ماء النيل عن الأرض، وغرست بساتين، فعمل الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي هذه القنطرة التي تعرف اليوم بقنطرة السد، خارج مصر، ليتوصل من فوقها إلى بستان الخشاب، وزيد في طول الخليج ما بين قنطرة السباع الآن وبين قنطرة السد المذكورة، وصار ما في شرقيه مما انحصر عنه الماء بستانا عرف ببستان الحارة، وما في غربيه يعرف ببستان المحليذ، وكان بطرف خط السبع سقايات كنيسة الحمراء، وعدة كنائس أخر، بعضها الآن بحر أقبغا، تعرف بزاوية الشيخ يوسف العجمي، لسكناه بها عندما هدمت بعد سنة عشرين وسبعمائة، وما برحت هذه البساتين موجودة إلى أن استولى عليها الأمير أقبغا عبد الواحد استدار الملك الناصر محمد بن قلاون، وقلع أخشابها وأذن للناس في عمارتها، فحركها الناس وبنوا فيها الآدر وغيرها، فعرفت بحرك أقبغا.

وبأول هذا الخليج الآن من غربيه منشأة المهراني، وقد تقدم خبرها في هذا الكتاب عند ذكر مدينة مصر، ويجاور منشأة المهراني بستان الخشاب، وبعضه الآن يعرف بالمريس، وبعضه عمله الملك الناصر محمد بن قلاون ميدانا يشرف على النيل من غربيه، ويعرف ساحل النيل هناك بموردة الجبس، كما ذكر الميادين من هذا الكتاب، ويجاور بستان الخشاب جنان الزهري، وهذه المواضع التي ذكرت كلها ما انحسر عنه النيل، ما خلا جنان الزهريذ، فإنها من قبل ذلك، وستقف على خبرها وخبر ما يجاورها من الأحكار إن شاء الله تعالى.

الأحكار التي في غربي الخليج

قاب ابن سيده: الاحتكار، جمع الطعام ونحوه مما يؤكل واحتباسه انتظار وقت الغلاء به. والحكرة والحكر جميعا: ما احتكر وحكره حكرا ظلمه وتنقضه وأساء معاشرته. انتهى.

فالتحكير على هذا: المنع. فقول **أهل مصر**: حكر فلان أرض فلان، يعنون منع غيره من البناء عليها.

حكر الزهري

هذا الحكر يدخل فيه جميع بر ابن التبان الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، وشق الثعبان، وبطن البقرة، وسويقة القيمري، وسويقة صفية، وبركة الشقاف، وبركة السباعين، وقنطرة الخرق، وحدرة المرادنيين، وحرك الحلبي، وحكر البواشقي، وحكر كرجي وما بجانبه إلى قناطر السباع، وميدان المهاري إلى الميدان الكبير السلطاني بموردة الجبس. وكان هذا قديما يعرف بجنان الزهري، ثم عرف ببستان الزهري.." (١)

"قال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس في تاريخ الغرباء: عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمرو بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، يكنى أبا العباس، وأمه أم عثمان بنت عثمان بن العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، مدني قدم مصر، وولي الشرط بفسطاط مصر، وحدث يروي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة، روى عنه من **أهل مصر** أصبغ بن الفرج، وسعيد بن أبي مريم، وعثمان بن صالح، وسعيد بن عفير، وغيرهم. وهو صاحب الجنان التي بالقنطرة، قنطرة عبد العزيز بن مروان، تعرف بجنان الزهري، وهو حبس على ولده إلى اليوم. وكان كتاب حبس الجنان عند جدي يونس بن عبد الأعلى وديعة عليه، مكتوب ودية لولد ابن العباس الزهري لا يدفع لأحد إلا أن يغري به سلطان، والكتاب عندي إلى الآن. توفي عبد الوهاب بن موسى بمصر في رمضان سنة عشرة ومائتين.

وقال القاضي أبو عبد الله بن محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي في كتاب معرفة الخطط والآثار: حبس الزهري هو الجنان التي عند القنطرة بالحمراء، وهو عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز الزهري، قدم مصر وولي الشرط بها، والجنان حبس على ولده.

وقال القاضي تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج في كتاب إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل: حبس الزهري فذكره ثم قال: وهذا الحبس أكثر الآن أحكار، ما بين بركة الشقاف وخليج شق الثعبان وقد استولى وكيل بيت المال على بعضه، وباع من أرضه وآجر منها، واجتمع هو ومحبسه بين يدي الله عز وجل. انتهى.

ولما طال الأمد صار لزهري عدة بساتين، منها بستان أبي اليمان، وبستان السراج، وبستان الحبانية، وبستان

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٧٥/٢

عزاز، وبستان تاج الدولة قيماز، وبستان الفرغاني، وبستان أرض الطيلسان، وبستان البطرك، وغيط الكردي، وغيط الصفار، ثم عرف ببر ابن التبان بعد ذلك.

قال القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر في كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة: شاطىء الخليج المعروف ببر التبان.

ابن التبان المذكور: هو رئيس المراكب في الدولة المصرية، وكان له قدر وأبهة في الأيام الآمرية وغيرها، ولما كان في الأيام الآمرية، تقدم إلى الناس بالعمارة قبالة الخرق غربي الخليج، فأول من ابتدأ وعمر الرئيس ابن التبان، فإنه أنشأ مسجدا وبستانا ودارا، فعرفت تلك الخطة به إلى الآن، ثم بنى سعد الدولة والي القاهرة، وناهض الدولة علي، وعدي الدولة أبو البركات محمد بن عثمان، وجماعة من فراشي الخاص. واتصلت العمارة بالآجر والسقوف النقية والأبواب المنظومة من باب البستان، المعروف بالعدة على شاطىء الخليج الغربي، إلى البستان المعروف بأبي اليمن. ثم ابتنى جماعة غيرهم ممن يرغب في الأجرة والرجة على التراع التي تتصرف من الخليج إلى الزهري والبساتين من المنازل والدكاكين شيئا كثيرا، وهي الناحية المعروفة الآن بشق الثعبان وسويقة القميري، إلى أن وصل البناء إلى قبالة البستان المعروف بنور الدولة الربعي، وهذا البستان معروف في هذا الوقت بالخطة المذكورة، وهو متلاشي الحال بسبب ملوحة بئره، وبستان نور الدولة هو الآن الميدان الظاهري والمناظر به، وتفرقت الشوارع والطرق، وسكنت الدكاكين والدور، وكثر المترددون إليه والمعاش فيه، إلى أن استناب والي القاهرة بها نائبا عنه، ثم تلاشت تلك الأحوال وتغيرت إلى أن صارت أطلالا، وعفت تلك الآثار. ثم بعد ذلك حكر آدر أو بساتين، وبني على غير تلك الصفة المقدم ذكرها، وبني على ما هو عليه، ثم حكر بستان الزهري آدرا، ولم يبق منه إلا قطعة كبيرة بستانا، وهو الآن أحكار تعرف بالزهريذ، ويعرف البر جميعه ببر ابن التبان إلى هذا الوقت، وولايته تعرف بولاية الحكمر، وبني به حمام الشيخ نجم الدين بن الرفعة، وحمام تعرف بالقيمري، وحمام تعرف بحمام الداية انتهى.." (١)

"حكر المساح: عرف بالأمير شمس الدين سنقر المساح، أحد أمراء الظاهر بيبرس، قبض عليه في عدة من الأمراء في ذي الحجة سنة تسع وستين وستمائة.

الدكة: هذا المكان كان بستانا من أعظم بساتين القاهرة، فيما بين أراضي اللوق والمقس، وبه منظرة للخلفاء الفاطميين تشرف طاقاتها على بحر النيل الأعظيم، ولا يحول بينها وبني بر الجيزة شيء، فلما زالت الدولة الفاطمية تلاشى أمر هذا البستان وخرب، فحكر موضعه وبنى الناس فيه، فصار خطة كبيرة كأنه بلد جليل،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٦٢٢/٢

وصار به سوق عظيم، وسكنه الكتاب وغيرهم من الناس، وأدركته عامرا، ثم إنه خرب منذ سنة ست وثمانمائة، وبه الآن بقية عما قليل تدثر كما دثر ما هنالك وصار كيمانا.

المقس وفيه الكلام على المكس

وكيف كان أصله في أول الإسلام

اعلم أن المقس قديم، وكان في الجاهلية قرية تعرف بأم دنين، وهي الآن محلة بظاهر القاهرة في بر الخليج الغربي، وكان عند وضع القاهرة هو ساحل النيل، وبه أنشأ الإمام المعز لدين الله أبو معد الصناعة التي ذكرت عند ذكر الصناعات من هذا الكتاب، وبه أيضا أنشأ الإمام الحاكم بأمر الله أبو علي منصور جامع المقس الذي تسميه عامة أهل مصر في زمننا بجامع المقسي، وهو الآن يطل على الخليج الناصري. قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر، وقد ذكر مسير عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى فتح مصر: فتقدم عمرو بن العاص رضي الله عنه ولا يدافع إلا بالأمر الخفيف، حتى أتى بلبيس، فقاتلوه بها نحوا من شهر، حتى فتح الله سبحانه وتعالى عليه، ثم مضى لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى أم دنين، فقاتلوه بها قتالا شديدا، وأبطأ عليه الفتح، فكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يستمد، فأمده بأربعة آلاف، تمام ثمانية آلاف، فقاتلهم، وذكر تمام الخبر. وقال القاضي أبو عبد الله القضاعي: المقس كانت ضيعة تعرف بأم دنين، وإما سميت المقس لأن العاشر كان يقعد بها، وصاحب المكس، فقيل المكس، فقلب فقيل المقس. قال المؤلف رحمه الله: الماكس هو العشار، وأصل المكس في اللغة الجباية. قال ابن سيدة في كتاب المحكم: المكس الجباية، مكسه يمكسه مكسا، والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية، ويقال للعشار صاحب مكس، والمكس انتقاص الثمن في البياعة. قال الشاعر:

أفي كل أسواق العراق أتاوة ... وفي كل ما باع أمرؤ مكس درهم

ألا ينتهي عنا رجال وتتقى ... محارمنا لا يدرأ الدم بالدم

الأتاوة الخراج ومكس درهم أي نقص درهم في بيع ونحوه. قال: وعشر القوم يعشرهم عشرا وعشورا، وعشرهم أخذ عشر أموالهم، وعشر المال نفسه، وعشره كذلك، والعشار قابض العشر. ومنه قول عيسى بن عمرو لابن هبيرة وهو يضرب بين يديه بالسياط: تالله إن كانت إلا ثيابا في أسفاط قبضها عشاروك. وقال الجاحظ: ترك الناس مما كان مستعملا في الجاهلية أمورا كثيرة، فمن ذلك تسميتهم للأتاوة بالخراج، وتسميتهم لما يأخذه السلطان من الحلوان والمكس بالرشوة، وقال الخارجي: أفي كل أسواق العراق أتاوة:

البيت وكما قال العبدي في الجارود:

اكابن المعلي خلتنا أما حسبتنا ... صواري نعطي الماكسين مكوسا

الصواري: الملاحون، والمكس: ما يأخذ العشار انتهى.." (١)

"اعلم أن خارج باب زويلة جهتان، جهة تلي الخليج، وجهة تلي الجبل. فأما الجهة التي تلي الخليج، فقد كانت عند وضع القاهرة بساتين كلها، فيما بين القاهرة إلى مصر. وعندي فيما ظهر لي، أن هذه الجهة كانت في القديم غامرة بماء النيل، وذلك أنه لا خلاف بين **أهل مصر** قاطبة أن الأراضي التي هي من طين أبليز لا تكون إلا من أرض ماء النيل، فإن أرض مصر تربة رملة سبخة، وما فيها من الطين طرح بعلوها عند زيادة ماء النيل، مما يحمله من البلاد الجنوبية من مسيل الأودية، فلذلك يكون لون الماء عند الزيادة متغيرا، فإذا مكثر على الأرض قعد ما كان في الماء من الطين على الأرض، فسماه **أهل مصر** إبليز، وعليه تزرع الغلال وغيرها، وما لا يشمله ماء النيل من الأرض لا يوجد فيه هذا الطين البتة، وأنت إن عرفت أخبار مصر بتأملك ما تضمنه هذا الكتاب، ظهر لك أ، موضع جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه كان كروما مشرفة على النيل، وأن النيل انحسر بعد الفتح عما كان تجاه الحصن الذي يقال له قصر الشمع، وعما هو الآن تجاه الجامع، ومازال ينحسر شيئا بعد شيء حتى صار الساحل بمصر من عند سوق المعاريج الآن إلى قريب من السبع سقايات، وجميع الأراضي التي فيها الآن المراغة خارج مصر إلى نحو السبع سقايات، وما يقابل ذلك من بر الخليج الغربي كان غامرا بالماء كما تقدم، وكان في الموضع الذي تجاه المشهد المعروف بزيد، وتسميه العامة الآن مشهد زين العابدين، بساتين، شرقيها عند المشهد النفيسي، وغربيها عند السبع سقيات، منها بساتين عرفت بجنان بني مسكين، وعندها بني كافور الأخشيدي دار على البركة التي تجاه الكبش، وتعرف اليوم ببركة قارون، ومنها بستان عرف آخرا بجنان الحارة، وهو من حوض الدمياطي الذي بقرب قنطرة السد الآن إلى السبع سقايات، وبقرب السبع سقايات بركة الفيل، ويشرف على بركة الفيل بساتين من دائرها، وإلى وقتنا هذا عليها بستان يعرف بالحبانية، وهم بطن من درما بن عمرو بن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن بعل بن عمرو بن الغوث بن طي، فدرما فخذ من طي، والحبانيون بطن من درما، وبستان الحبانية فصل الناس بينه وبين البركة بطريق تسلك فيها المارة، وكان من شرقي بركة الفيل أيضا بساتين، منها بساتين سيف الإسلام، فيما بين البركة والجبل الذي عليه الآن قلعة الجبل، وموضعه الآن المساكن التي من جملتها درب ابن البابا إلى زقاق حلب، وحوض ابن هنس، وعدة بساتين أخر إلى باب

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢/٢٨٤

زويلة.

وكذلك شقة القاهرة الغربية كانت أيضا بساتين، فوضع حارة الوزيرية إلى الكافوري كان ميدان الأخشيد، وبجانب الميدان بستانه الذي يقال له اليوم الكافوري، وما خرج عن باب الفتوح إلى منية الأصبغ الذي يعرف اليوم بالخندق، كان ذلك كله بساتين على حافة الخليج الشرقية، وقد ذكرت هذه المواضع في هذا الكتاب مبينة، وعند التأمل يظهر أن الخليج الكبير عند ابتداء حفره كان أوله إما عند مدينة عين شمس، أو من بحريها، لأجل أن القطعة التي بجانب هذا الخليج من غربيه، والقطعة التي هي بشرقية، فيما بين عين شمس وموردة الحلفاء خارج مدينة فسطاط مصر، جميعهما طين إبليز، والطين المذكور لا يكون إلا من حيث يمر ماء النيل، فتعين أن ماء النيل كان في القديم على هذه الأرض التي بجانبي الخليج، فينتج أن أول الخليج كان عند آخر النيل من جهة البحرية، وينتهي الطين إلى نحو مدينة عين شمس من الجانب الشرقي، ويصير ما بعد الخندق في الجهة البحرية رملا لا طين فيه، وهذا بين لمن تأمله وتدبره، وفي هذه الجهة التي تلي الخليج خار باب زويلة حارات قد ذكرت عند ذكر الحارات من هذا الكتاب، وبقيت هناك أشياء نحتاج أن نعرف بها وهي:." (١)

"قال ابن عبد الحكم: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أقطع ابن سندر منية الأصبغ، فحاز لنفسه منها ألف فدان، كما حدثنا يحيى بن خالد عن الليث بن سعد رضي الله عنه، ولم يبلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقطع أحدا من الناس شيئا من أرض مصر، إلا ابن سندر، فإنه أقطعه منية الأصبغ، فلم تزل له حتى مات، فاشتراها الأصبغ بن عبد العزيز من ورثته، فليس بمصر قطيعة أقدم منها ولا أفضل، وكان سبب إقطاع عمر رضي الله عنه ما أقطعه من ذلك كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن عمرو بن شعيبة عن أبيه عن جده، أنه كان لزنباع بن روح الجذامي غلام يقال له سندر، فوجده يقبل جارية له، فجبه وجدع أنفه وأذنه، فأتى سندر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل إلى زنباع فقال: " لا تحملوهم من العمل ما لا يطيقون، وأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، فن رضيتم فأمسكوا، وإن كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله، ومن مثل به أو أحرق بالنار فهو حر، وهو مولى الله ورسوله، فأعتق سندر فقال: أوص بي يا رسول الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أوصي بك كل مسلم " فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى سندر أبا بكر رضي الله عنه فقال: احفظ في وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم. فعاله أبو بكر رضي الله عنه، فقال عمر رضي الله عنه: نعم إن رضيت أ، تقيم عند

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢/٢٩٩

أجريت عليك ما كان يجرى عليك أبو بكر رضي الله عنه، وإلا فانظر أي موضع أكتب لك. فقال سندر: مصر، لأنها أرض ريف، فكتب له إلى عمرو بن العاص: احفظ فيه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما قدم إلى عمرو رضي الله عنه، أقطع له أرضا واسعة ودارا، فجعل سندر يعيش فيها، فلما مات قبضت في مال الله تعالى.

قال عمرو بن شعيب: ثم اقطعها عبد العزيز بن مروان الأصبغ بعد، فهي من خير أموالهم. قال: ويقال سندر وابن سندر، وقال ابن يونس مسروح بن سندر الخصي مولى زنباع بن روح بن سلامى الجذامي يكنى أبا الأسود، له صحبة قدم مصر بعد الفتح بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالوصاة، فأقطع منية الأصبغ بن عبد العزيز. روى عنه أهل مصر حديثين، روى عنه مزيد بن عبد الله البرني، وربيعة بن لقيط التجيبي، ويقال سندر الخصي، وابن سندر أثبت، توفي بمصر في أيام عبد العزيز بن مروان.

ويقال كان مولاه وجده يقبل جارية له فجبه وجدع أنفه وأذني، فأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا ذلك إليه، فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زنباع فقال: لا تحملوهم يعني العبيد، ما لا يطيقون، وأطعموهم مما تأكلون. فذكر الحديث بطوله، وذكر عن عثمان بن سويد بن سندر، أنه أدرك مسروح بن سندر الذي جدعه زنباع بن روح، وكان جده لأمه، فقال: كان ربما تغدى معي بموضوع من قرية عثمان واسمها سمسم، وكان لابن سندر إلى جانبها قرية يقال لها قلون، قطيعة، وكان له مال كثير من رقيق وغير ذلك، وكان ذا دهاء منكرا جسيما، وعمر حتى أدرك زمان عبد الملك بن مروان، وكان لروح بن سلامة الخصي، ويكنى أبا الأسود، له صحبة، ويقال له سندر، ودخل مصر بعد الفتح سنة اثنتين وعشرين.

وقال الكندي في كتاب الموالي، قال: أقبل عمرو بن العاص رضي الله عنه يوما يسير وابن سندر معه، فكان ابن سندر ونفر يسيرون بين يدي عمرو بن العاص رضي الله عنه، وأثاروا الغبار، فجعل عمرو عمامته على طرف أنفه ثم قال: اتقوا الغبار فإنه أوشك شيء دخولا وأبعده خروجا، وإذا وقع على الرئة صار نسمة. فقال بعضهم لأولئك النفر تنحوا، ففعلوا إلا ابن سندر، فقيل له ألا تتنحى يا ابن سندر؟ فقال عمرو: دعوه فإن غبار الخصي لا يضر، فسمعها ابن سندر فغضب وقال: أما والله لو كنت من المؤمنين ما آذيتني. فقال عمرو: يغفر الله لك، أنا بحمد الله من المؤمنين. فقال ابن سندر: لقد علمت أني سألت رسول اله صلى الله عليه وسلم أن يوصي بي فقال: أوصي بك كل مؤمن.." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٠٥/٢

"وقال ابن يونس: اصبغ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم يكنى أبا ريان، حكى عنه أبو حبرة عبد الله بن عباد المغافري، وعون بن عبد الله وغيره، توفي ليلة الجمعة لأربع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثمانين، وقبل أبيه. وقال أبو الفجر علي بن الحسين الأصبهاني في كتاب الأغاني الكبير عن الرياشي أنه قال عن سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، أن أبا عذرتها عبد الله بن الحسين بن علي، ثم خلفه عليها العثماني، ثم مصعب بن الزبير، ثم الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان. قال: وكان يتولى مصر، فكتبت إلهي سكينة أن مصر أرض وخمة، فبنى لها مدينى تسمى بمدينة الأصبغ، وبلغ عبد الملك تزوجه أباها، فنفس بها عليه وكتب إليه: اختصر مصرا وسكينة، فبعث إليه بطلاقها ولم يدخل بها، ومتعها بعشرين ألف دينار. قلت في هذا الخبر أوهام، منها أن الأصبغ لم يل مصر، وإنما كان مع أبيه عبد العزيز بن مروان. ومنها أن الذي بناه الأصبغ لسكينة، منية الأصبغ هذه وليست مدينة، ومنها أن الأصبغ لم يطلق سكينة، وإنما مات عنها قبل أن يدخل عليها. وقال ابن زولاق في كتاب إتمام كتاب الكندي في أخبار أمراء مصر: وفي شوال، يعني من سنة ستين وثلاثمائة كثر الأرجاف بوصول القرامطة إلى الشام، ورئيسهم الحسن بن محمد الأعسم، وفي هذا الوقت ورد الخبر بقتل جعفر بن فلاح، قتله القرامطة بدمشق، ولما قتل ملكت القرامطة دمشق وصاروا إلى الرملة، فانحاز معاذ بن حيان إلى يافا متحصنا بها، وفي هذا الوقت تأهب جوهر القائد لقتال القرامطة، وحفر خندقا وعمل عليه بابا، ونصب عليه بابي الحديد اللذين كانا على ميدان الإخشيد، وبنى القنطرة على الخليج، وحفر خندق السري بن الحكم وفرق السلاح على رجال المغاربة والمصريين، ووكل بأبي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات خادما يبيت معه في داره ويركب معه حيث كان وأنفذ إلى ناحية الحجاز فتعرف خبر القرامطة، وفي ذي الحجة كبس القرامط القلزم وأخذوا واليها، ثم دخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائةن وفي المحرم بلغت الرامطة عين شمس، فاستعد جوهر للقتال لشعر بقين من صفر، غلق أبواب الطابية وضبط الداخل والخارج، وأمر الناس بالخروج إليه وأن يخرج الأشراف كلهم، فخرج إليه أبو جعفر مسلم وغير المضارب، وفي مستهل ربيع الأول التحم القتال مع القرامطة على باب القاهرة، وكان يوم جمعة، فقتل من الفريقين جماعة وأسر جماعة وأصبحوا يوم السبت متكافئين، ثم غدوا يوم الأحد للقتال وسار الحسن الأعسم بجميع عساكره ومشى للقتال على الخندق والباب مغلق، فلما زالت الشمس فتح جوهر الباب واقتتلوا قتالا شديدا، وقتل خلق كثير، ثم ولى الأعسم منهزما ولم يتبعه القائد جوهر ونهب سواد الأعسم بالجب، ووجدت صناديقه وكتبه، وانصرف في الليل على طريق القلزم، ونهب بنو عقيل وبنو طي كثيرا من سواده. وهومشغول بالقتال، وكان جميع ما جرى على القرمطي بتدبير

جوهر وجوائز أنفذها، ولو أراد أخذ الأعسم في انهزامه لأخذه، ولكن الليل حجز فكره جوهر اتباعه خوفا من الحيلة والمكيدة، وحضر القتال خلق من رعية مصر وأمر جوهر بالنداء في المدينة، من جاء بالقرمطي أو برأسه فله ثلاثمائة ألف درهم، وخمسون خلعة، وخمسون سرجا محلى على دوابها، وثلاث جوائز، ومدح بعضهم القائد جوهرا بأبيات منها:

كأن طراز النصر فوق جبينه ... يلوح وأرواح الورى بمينه

ولم يتفق على القرامطة منذ ابتداء أمرهم كسرة أقبح من هذه الكسرة، ومنها فارقهم من كان قد اجتمع إليهم من الكافورية والإخشيدية، فقبض جوهر على نحو الألف منهم وسجنهم مقيدين.." (١)

"وقال ابن زولاق في كتاب سيرة الإمام المعز لدين الله، ومن خطه نقلت، وفي هذا الشهر يعني المحرم، سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، تبسطت المغاربة في نواحي القرافة والمغاير وما قابرها، فنزلوا في الدور وأخرجوا الناس من دورهم، ونقلوا السكان وشرعوا في السكنى في المدينة، وكان المعز قد أمرهم أن يسكنوا أطراف المدينة، فخرج الناس واستغاثوا بالمعز، فمرهم أن يسكنوا نواحي عين شمس، وركب المعز بنفسه حتى شاهد المواضع التي ينزلون فيها، وأمر لهم بمال يبنون به، وهو الموضع الذي يعرف اليوم بالخندق والحفرة وخندق العبيد، وجعل لهم واليا وقاضيا، ثم سكن أكثرهم بالمدينة مخالطين **لأهل مصر**، ولم يكن القائد جوهر يبيحهم سكنى المدينة ولا المبيت بها، وحظر ذلك عليهم، وكان مناديه ينادي كل عشية لا يبيتن أحد في المدينة من المغاربة.

وقال ياقوت: منية الأصبغ تنسب إلى الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان، ولا يعرف اليوم بمصر موضع يعرف بهذا الاسم، وزعموا أنها القرية المعروفة بالخندق قريبا من شرقي القاهرة. وقال ابن عبد الظاهر: الخندق هو منية الأصبغ، وهو الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان. قال مؤلفه رحمه الله: وقد وهم ابن عبد الظاهر فجعل أن الخندق احتفره العزيز بالله، وإنما احتفره جوهر كما تقدم، وأدركت الخندق قرية لطيفة يبرز الناس من القاهرة إليها ليتنزهوا بها في أيام النيل والربيع، ويسكنها طائفة كبيرة،وفيها بساتين عامرة بالنخيل الفخر والثمار، وبها سوق وجامع تقام به الجمعة، وعليه قطعة أرض من أرض الخندق يتولاها خطيبة، فلما كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة، خربت قرية الخندق ورحل أهلها منها ونقلت الخطبة من جامعه إلى جامع بالحسينية، وبقي معطلا من ذكر الله تعالى وإقامة الصلاة مدة، ثم في شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة، هدمه الأمير طوغان الدوادار وأخذ عمده وخشبه، فلم يبق إلا بقية أطلاله، وكانت قرية الخندق

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٠٦/٢

كأنها من حسنها ضرة لكوم الريش، وكانت تجاهها من شرقيها فخربتا جميعا.
صحراء الأهليلج: هذه البقة شرقي الخندق في الرمل، وإليها كانت تنتهي عمارة الحسينية من جهة باب الفتوح، وكان بها شجر الإهليلج الهندي، فعرفت بذلك، وأظن أن هذا الإهليلج كان من جملة بستان ريدان الذي يعرف اليوم موضعه بالريدانية.
خارج باب النصر." (١)

"ثم حفره مرة ثانية أدريان قيصر، أحد ملوك الروم، ومن الناس من يسميه أندرويانوس، ومنهم من يقول هوريانوس، قال في تاريخ مدينة رومة، وولي الملك أدريان قيصر أحد ملوك الروم، وكانت ولايته إحدى وعشرين سنة، وهو الذي درس اليهود مرة ثانية إذ كانوا راموا النفاق عليه، وهو الذي جدد مدينة يورشالم، يني مدينة القدس، وأمر بتبديل اسمها وأن تسمى إيليا. وقال علماء أهل الكتاب عن أدريان هذا: وغزا القدس وأخربه في الثانية من ملكه، وكان ملكه في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة من سني الإسكندر، وقتل عامة أهل القدس، وبنى على باب مدينة القدس منارا وكتب عليه: هذه مدينة إيليا، وتسمى موضع هذا العمود الآن محراب داود. ثم سار من القدس إلى باب فحارب ملكها وهزمه وعاد إلى مصر، فحفر خليجا من النيل إلى بحر القلزم، وسارت فيه السفن وبقي رسمه عند الفتح الإسلامي، فحفره عمرو بن العاص، وأصاب أهل مصر منه شدائد وألزمهم بعبادة الأصنام، ثم عاد إلى بلاده بممالك الروم فابتلي بمرض أعيى الأطباء، فخرج يسير في البلاد يبتغي من يداويه، فمر على بيت المقدس وكان خرابا ليس فيه غير كنيسة للنصارى، فأمر ببناء المدينة وحصنها وأعاد إليها اليهود، فأقاموا بها وملكوا عليهم رجلا منهم.
فبلغ ذلك أدريان قيصر فبعث إليهم جيشا لم يزل يحاصرهم حى مات أكثرهم جوعا وعطشا وأخذها عنوة، فقتل من اليهود ما لايحصى كثرة، وأخرب المدينة حتى صارت تلالال عامرة فيها البتة، وتبع اليهود يريد أن لايدع منهم على وجه الأرض أحدا، ثم أمر طائفة من اليونانيين فتحولوا إلى مدينة القدس وسكنوا فيها، فكان بين خراب القدس الخراب الثاني على يد طيطوس وبين هذا الخراب ثلاث وخمسون سنة، فعمرت القدس باليونان، ولم يزل قيصر هذا ملكا حتى مات، فهذا خبر حفر هذا الخليج في المرة الثانية، فلما جاء الإسلام جدد عمرو بن العاص حفره.
قال ابن عبد الحكم ذكر حفر خليج أمير المؤمنين رضي الله عنه: حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد قال: إن الناس بالمدينة أصابهم جهد شديد في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٠٧/٢

في سنة الرمادة، فكتب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص وهو بمصر، من عبد الله عمر أمير المؤمنين، إلى العاصي ابن العاصي سلام. أما بعد: فلعمري يا عمرو ما تبلي إذا شبعت أنت ومن معك، أن أهلك أنا ومن معي، فيا غوثاه ثم يا غوثاه يردد ذلك. فكتب إليه عمرو: من عبد الملك عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين، أما بعد: فيا لبيك ثم يا لبيك، قد بعثت إليك بعير أولها عندك وآخرها عندي، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.." (١)

"فبعث إليه بعير عظمة، فكان أولها بالمدينة وآخرها بمصر يتبع بعضها بعضا. فلما قدمت على عمر رضي الله عنه، وسع بها على الناس، ودفع إلى أهل كل بيت بالمدينة وما حولها بعيرا بما عليه من الطعام، وبعث عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص يقسمونها على الناس، فدفعوا إلى أهل كل بيت بعيرا بما عليه من الطعام، ليأكلوا الطعام، ويأتدموا بلحمه، ويحتذوا بجلده، وينتفعوا بالوعاء الذي كان فيه الطعام فيما أرادوا من لحاف أو غيره. فوسع الله بذلك على الناس، فلما رأى ذلك عمر ري الله عنه، حمد الله وكتب إلى عمرو بن العاص أن يقدم عليه هو وجماعة من أهل مصر معه، فقدموا عليه. فقال عمرك يا عمرو بن العاص إن الله قد فتح على المسلمين مصر، وهي كثيرة الخير والطعام، وقد ألقى في روعي لما أحببت من الرفق بأهل الحرمين والتوسعة عليهم حين فتح الله عليهم مصر، وجعلها قوة لهم ولجميع المسلمين، أن أحفر خليجا من نيلها حتى يسيل في البحر، فهو أسهل لما نريد من حمل الطعام إلى المدينة ومكة، فإن حمله الطهر يبعد، ولا نبلغ به ما نريد، فانطلق أنت وأصحابك فتشاوروا في ذلك حتى يعتدل فيه رأيكم، فانطلق عمرو فأخبر من كان معه من أهل مصر، فثقل ذلك عليهم وقالوا: نتخوف أن يجخل من هذا ضرر على مصر، فنرى أ، تعظم ذلك على أمير المؤمنين وتقول له: إن هذا أمر لا يعتدل ولا يكون ولا نجد إليه سبيلا. فرجع عمرو بذلك إلى عمر فضحك عمر رضي الله عنه حين رآه وقال: والذي نفسي بيده لكأني أنظر إليك يا عمرو وإلى أصحابك حين أخبرتهم بما أمرنا به من حفر الخليج، فثقل ذلك عليهم وقالوا يدخل من هذا ضرر على أهل مصر، فنرى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين وتقول له، إن هذا أمر لايعتدل ولا يكون، ولا نجد إليه سبيلا. فعجب عمرو من قول عمر قال: صدقت والله يا أمير المؤمنين، لقد كان الأمر على ما ذكرت. فقال له عمر رضي الله عنه: انطلق بعزيمة مني حتى تجد في ذلك، ولا تأتي عليك الحول حتى تفرغ منه إن شاء الله تعالى.

فانصرف عمرو ومع لذلك من الفعلة ما بلغ منه ما أراد، ثم احتفر الخليج في حاشية الفسطاط الذي يقال

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣١١/٢

له خليج أمير المؤمنين، فساقه من النيل إلى القلزم، فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن، فحمل فيه ما أراد من الطعام حتى حمل فيه بعد مر بن عبد العزيز، ثم ضيعه الولاة بعد ذلك فترك وغلب عليه الرمل فانقطع، فصار منتهاه إلى ذنب التمساح من ناحية بطحاء القلزم.

قال: ويقال إن عمر رضي الله عنه قال لعمرو حين قدم عليه: يا عمرو إن العرب قد تشاءمت بي وكادت أن تغلب علي رحلي، وقد عرفت الذي أصابها، وليس جند من الأجناد أرجى عندي أن يغيث الله بهم أهل الحجاز من جندك، فإن استطعت أن تحتال لهم حيلة حتى يغيثهم الله تعالى. فقال عمرو: ما شئت يا أمير المؤمنين، قد عرفت أنه كانت تأتينا سفن فيها تجار من **أهل مصر** قبل الإسلام، فلما فتحنا مصر انقطع ذلك الخليج واستد وتركه التجار، فإن شئت أن نحفره فننشيء فيه سفنا يحمل فيها الطعام إلى الحجاز فعلته. فقال عمر رضي الله عنه: نعم فافعل.." (١)

"وكان أسمر شديد السمرة، بساطا عالما بليغا مترسلا متفننا في كثير من العلوم الدينية والأدبية والنحوية، مشارا إليه في قوة الذكاء والفطنة وسرعة الخاطر والبديهة، عظيم القدر صاحب سياسة وتدبير وحيل كثيرة وأمور عظام، دوخ الممالك وقلب الدول، وسمع الحديث وروى وصنف عدة تصانيف، وكان ملولا حقودا لا تلين كبه لا تنحل عقده. ولا يحني عوده ولا ترجى وعوده، وله رأي يزين له العقوق ويبغض إليه رعاية الحقوق، كأنه من كبره قد ركب الفلك واستولى على ذات الحبك، وكان بمصر من بني المغربي أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المغربي، قد قتل الحاكم جده محمدا مع أبيه علي بن الحسين كما تقدم، فلما نشأ أبو جعفر سار إلى العراق وخدم هناك وتنقلت به الأحوال، ثم عاد إلى مصر واصطنعه الوزير البارزي وولاه ديوان الجيش، وكانت السيدة أم المستنصر بالله تعني به، فلما مات الزير البارزي واعتقله، فتقررت له الوزارة وهو في الاعتقال، وخلع عليه في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمسين وأربعمائة، ولقب بالوزير الأجل الكامل الأوحد، صفي أمير المؤمنين وخالصته، فما تعرض لأحد ولا فعل في البابلي ما فعله البابلي فيه وفي أصحاب البارزي، فأقام سنتين وشهورا وصرف في تاسع شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة، وكان الوزراء إذا صرفوا لم يتصرفوا، فاقترح أبو الفرج بن المغربي لما صرف أن يتولى بعض الدواوين، فولي ديوان الإنشاء الذي يعرف اليوم بوظيفة كاتب السر، وهو الذي استنبط هذه الوظيفة بديار مصر واستحدث استخدام الوزراء بعد صرفهم عن الوزارة، ولم يزل نابه القدر إلى أن توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢/٣١٢

بركة الشعيبية

هذه البركة موضعها خلف جسر الأفرم، فيما بينه وبين الجرف الذي يعرف اليوم بالرصد، وكانت تجاور بركة الحبش من بحريها، وقد انقطع عنها الماء وصارت بساتين ومزارع وغير ذلك. قال ابن المتوج: بركة الشعيبية بظاهر مصر، كان يدخل إليها ماء النيل، وكان لها خليجان أحدهما من قبليها وهو الآن بجوار منظرة الصاحب تاج الدين بن حنا، المعروفة بمنظرة المعشوق، والثاني من بحريها، ويقال له خليج بني وائل، عليه قنطرة بها عرف باب القنطرة بمصر، وكان يجري فيها الماء من النيل إليها، فكان الماء يجخل إليها في كل سنة ويعمها ويدخل إليها الشخاتير، وكان بدائرها من جانبها الشرقي أدر كثرة، وكانت نزهة **المصريين**، فلما استأجرها الأمير عز الدين أيبك الأفرم من الناظر عليها من جهة الحكم العزيزي، حازها بالجسور عن الماء وغرس فيها الأشجار والكروم وحفر الآبار، وهذه البركة مساحتها أربعة وخمسين فدانا، ولها حدود أربعة، الحد القبلي، ينتهي بعضه إلى بعض أرض المعشوق الجاري في وقف ابن الصابوني، وإلى الجسر الفاصل بينها وبين بركة الحبش، وفي هذا الجسر الآن قنطرة يدخل إليها الماء من خليج بركة الأشراف، والحد البحري كان ينتهي بعضه إلى منظرة قاضي القضاة بدر الدين السنجاري، وإلى جسره. والحد الشرقي: ينتهي إلى الآدر التي كانت مطلة عليها، وقد خرب أكثرها، وكانت مسكن أعيان **المصريين** من القضاة والكتاب. والحد الغربي: ينتهي إلى جرف النيل، ولما استأجرها الأفرم شرط له خمسة أفدنة يعمر عليها ويؤجرها لمن يعمر عليها، منها فدان واحد من بحريها، وفدانان من غربيها ملاصقان لجدار البساتين، وفدانان بالجرف الذي من حقوقها.." (١)

"هذه البركة في الجهة البحرية من القاهرة، على نحو بريد منها، عرفت أولا بجب عميرة، ثم قيل لها أرض الجب، وعرفت إلى اليوم ببركة الحجاج من أجل نزول حجاج البر بها عند مسيرهم من القاهرة، وعند عودهم، وبعض من لا معرفة له بأحوال أرض مصر يقول: جب يوسف عليه السلام، وهو خطأ لا أصل له، وما برحت هذه البركة منتزها لملوك القاهرة.

قال ابن يونس عميرة ابن تميم بن جزيء التجيبي: من بنى القرناء صاحب الجب المعروف بجب عميرة في الموضع الذي يبرز إليه الحاج من مصر لخروجهم إلى مكة، وقال أبو عمر الكندي في كتاب الخندق: أن فرسن الخندق من جب عميرة بن تميم بن جزء، وصاحب جب عميرة من بني القرناء طعن في تلك الأيام فارتث فمات بعد ذلك.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢/٣٣٤

وقال في كتاب الأمراء: ثم أن أهل الحوف خرجوا على ليث بن الفضل أمير مصر، وكان السبب في ذلك أن ليثا بمساح يمسحون عليهم أراضي زرعهم، فانتقصوا من القصب أصابع، فتظلم الناس إلى ليث فلم يسمع منها، فعسكروا وساروا إلى الفسطاط، فخرج إليهم ليث في أربعة آلاف من جند مصر، ليومين بقيا من شعبان، سنة ست وثمانين ومائة، فالتقى مع أهل الحوف لاثنتي عشرة خلت من شهر رمضان، فانهزم الجيش عن ليث وبقي في مائتين أو نحوها، فحمل عليهم بمن معه فهزمهم حتى بلغ بهم غيفة، وكان التقاؤهم في أرض جب عميرة، وبعث ليث إلى الفسطاط بثمانين رأسا، ورجع إلى الفسطاط. وقال: المسبحي ولاثنتي عشرة خلت من ذي القعدة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، عرض أمير المؤمنين العزيز بالله عساكره بظاهر القاهرة عند سطح الجب، فنصب له مضرب ديباج رومي فيه ألف ثوب مفوفة فضة، ونصبت له فازة مستقلة وقبة مثقلة بالجوهر، وضرب لابنه المنصور مضرب آخر، وعرضت العساكر فكانت عدتها مائة عسكر، وأقبلت أسارى الروم وعدتها مائتان وخمسون، فطيف بهم، وكان يوما عظيما حسنا لم تزل العساكر تسير بين يديه من ضحوة النهار إلى صلاة المغرب.

وقال ابن ميسر: كان من عادة أمير المؤمنين المستنصر بالله أن يركب في كل سنة على النجب مع النساء والحشم إلى جب عميرة، وهو موضع نزهة بهيئة، أنه خارج للحج على سبيل الهزؤ والمجانة ومعه الخمر في الروايا عوضا عن الماء، ويسقيه الناس. وقال أبو الخطاب بن دحية، وخطب لبني عبيد ببغداد أربعين جمعة، وذلك للمستنصر، بل للبطال المستهتر، أنشده العقيلي صبيحة يم عرفة:

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء ... ولا تضحي ضحى إلا بصهباء

وأدرك حجيج الندامى قبل نفرهم ... إلى منى قصفهم مع كل هيفاء

ووصل ألف القطع للضرورة، وهو جائز، فخرج في ساعته بروايا الخمر تزجى بنغمات حداة الملاهي وتساق، حتى أناخ بعين شمس في كبكبة من الفساق، فأقام بها سوق الفسوق على ساق، وفي ذلك العام أخذ الله وأخذ أهل مصر بالسنين، حتى بيع القرص في أيامن بالثمن الثمين.

وقال القاضي الفاضل في حوادث المحرم سنة سبع وسبعين وخمسمائة، وفيه خرج السلطان يعني صلاح الدين يوسف بن أيوب، إلى بركة لجب للصيد ولعب الأكرة، وعاد إلى القاهرة في سادس يوم من خروجه، وذكر من ذلك كثيرا عن السلطان صلاح الدين وابنته الملك العزيز عثمان.." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢/٣٤٠

"فركب النائب والوزير والأمير شيخو والأمراء إلى الجيزة، وأعادواالنظر في أمر الجسر ومعهم أرباب الخبرة، فالتزم الأمير منجك بعمل الجسر، وأن يتولى جباية المصروف عليه من سائر الأمراء والأجناد والكتاب وأرباب الأملاك، بحيث أن لا يبقى أحد حتى يؤخذ منه، فرسم لكتاب الجيش بكتابة أسماء الجند، وقرر على كل مائة دينار من الإقطاعات درهم واحد، وعلى كل أمير من خمسة آلاف درهم إلى أربعة آلاف درم، وعلى كل كاتب أمير ألف، مائتا درهم، وكاتب أمير الطبلخانات مائة درهم، وعلى كل حانوت من حوانيت التجار درهم، وعلى كل دار درهمان، وعلى كل بستان الفدان من عشرين درهما إلى عشرة دراهم، وعلى كل طاحون خمسة دراهم. عن الحجر، وعلى كل صهريج في تربة بالقرافة أو في ظاهر القاهرة أو في مدرسة من عشرة دراهم إلى خمسة دراهم، وعلى كل تربة من ثلاثة دراهم إلى درهمين، وعلى أصحاب المقاعد والمتعيشين في الطرقات شيء، وكشفت البستاين والدور التي استجدت من بولاق إلى منية الشيرج، والتي استجدت في الحكورة، والتي استجدت على الخليج الناصري، وعلى بركة الحاجب، وفي حكر أخي صاروجا، وقيست أراضيها كلها، وأخذ عنكل ذراع منها خمسة عشر درهما، وأخذ عن كل قمين من أقمنة الطوب شيء، وعن كل فاخورة من الفواخير شيء، وفرض على كل وقف بالقاهرة ومصر والفرافتين من الجوامع والمساجد والخوانك والزوايا والربط شيء، وكتب إلى ولاة الأعمال بالجباية من ديورة النصارى وكنائسهم مائتي درهم إلى مائة درهم، وقرر على الفنادق والخانات التي بالقاهرة ومصر شيء، وقرر على ضامنة الأغاني مبلغ خمسين ألف درهم، وأقيم لكل جهة شاد وصيرفي وكتاب وغير ذلك من المستحثين من الأعوان، فنزل من ذلك بالناس بلاء كبير وشدة عظيمة، فإنه أخذ حتى من الشيخ والعجوز والأرملة، وجبى الماء منهم بالعسف، وأبطل كثير منهم سببه لسعيه في الغرامة ودهي الناس مع الغرامة، يتسلط الظلمة من العرفاء والضمان والرسل، فكثر كلام الناس في الوزير حتى صاروا يلهجون بقولهم هذه سخطة مرصص نزلت من السماء على **أهل مصر**،وقاسوا شدة أخرى في تحصيل الأصناف التي يحتاج إليها، ونزل الوزير منجك وضرب له خيمة على جانب الروضة، ونادى في الحرافيش والفعلة، من أراد العمل يحضر ويأخذ أجرته درهما ونصفا وثلاثة أرغفة، فاجتمع إليه عالم كثير، وجعل لهم شيئا يستظلون به من حر الشمس، وأحسن إليهم، ورتب عدة مراكب لنقل الحجر، وأقام عدة من الحجارين في الجبل لقطع الحجر، وجمالا وحميرا تنقلها من الجبل إلى البحر، ثم تحمل من البر في المراكب إلى بر الجيزة، وابتدأ بعمل الجسر من الروضة إلى سقاية علم الدين زنبور، وعارضه بجسر آخر من بستان التاج إسحاق إلى ساقية ابن زنبور وأقام أخشابا من الجهتين، وردم بينهما بالتراب والحجر والحلفاء، ورتب الجمال السلطانية لقطع الطين من بر

الروضة وحمله إلى وسط الجسر، وأمر أن لا يبقى بالقاهرة ومصر صانع إلا حضر العمل، وألزم من كان بالقرب من دار كوم تراب أن ينقله إلى الجسر، فغرم كل واحد من الناس في نقل التراب من ألف درهم درهم إلى خمسمائة درهم، وكان كل ما ينقل في المراكب من الحجر وغيره يرمى في وسط جسر المقياس، وتحمله الجمال إلى الجسر، ثم اقتضى الرأي حفر خليج يجري الماء فيه عند زيادة النيل لتضعف قوة التيار عن الجسر، فأحضرت الأبقار والجراريف والرجال لأجل ذلك، واتبدؤوا حفره من رأس موردة الحلفاء تحت الدور إلى بولاق، وكانت الزيادة قد قرب أوانها فما انتهى الحفر حتى زاد ماء النيل وجرى فيه، فسر الناس به سرورا كبيرا، وانتهى مر الجسر في أربعة أشهر.." (١)

"بخشان: مدينة فيما وراء النهر بها معدن اللعل البدخشاني، وهو المسمة بالبلخش، وبها معدن اللازورد الفائق، وهما في جبل بها يحفر عليهما في معادنهما، فيوجد اللازورد بسهولة، ولا يوجد اللعل إلا بتعب كبير وإنفاق زائد، وقد لا يوجد بعد التعب الشديد والنفقة الكثيرة، ولهذا عز وجوده وغلت قيمته.

وأقصر ليل بلغار بالبحرين أربع ساعات ونصف، وأقصر ليل أفتكون ثلاث ساعات ونصف، فهو أقصر من ليل بلغار بساعة واحدة، وبين بلغار وأفتكون مسافة عشرين يوما بالمسير المعتاد. انتهى.

السلطانية من عراق العجم، بناها السلطان محمد خدابنده أوكانيق بن أرغون بن ابغا بن هولاكو، وخدابنده ملك بعد أخيه محمود غازان، وملك بعد خدابنده ابنه السلطان أبو سعيد بهادرخان، وكان الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا مع قائد السلطان محمد بن طشتمر بن استيمر بن عترجي، ومذ مات أبو سعيد لم يجمع بعده على طاعة ملك، بل تفرقوا وقام في كل ناحية قائم. انتهى.

ووجد بخطه أيضا ما نصه: ولله در أبي إسحاق الأديب حيث قال:

إذا كنت قد أيقنت أنك هالك ... فمالك مما دون ذلك تشفق

ومما يشين المرء ذا الحلم أنه ... يرى الأمر حتما واقعا ثم يقلق

وحيث يقول:

ومن طوى الخمسين من عمره ... لاقى أمورا فيه مستنكرة

وإن تخطاها رأى بعدها ... من حادثات الدهر ما لم يره

انتهى ما وجد بخطه في أصله.

الجزائر

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٤٧/٢

اعلم أن الجزائر التي هي الآن في بحر النيل كلها حادثة في الملة الإسلامية، ما عدا الجزيرة التي تعرف اليوم بالروضة تجاه مدينة مصر، فإن العرب لما دخلوا مع عمرو بن العاص إلى مصر، وحاصروا الحصن الذي يعرف اليوم بقصر الشمع في مصر، حتى فتحه الله تعالى عنوة على المسلمين، كانت هذه الجيرة حينئذ تجاه القصر، ولم يبلغني إلى الآن متى حدثت وأما غيرها من الجزائر فكلها قد تجددت بعد فتح مصر.

ويقال والله أعلم، أن بلهيت الذي يعرف اليوم بأبي الهول، طلسم وضعه القدماء لقلب الرمال عن بر مصر الغربي الذي يعرف اليوم ببرذ الجيزة، وأنه كان في البر الشرقي بجوار قصر الشمع صنم من حجارة على مسامتة أبي الهول، بحيث لو امتد خيط من رأس أبي الهول وخرج على استواء، لسقط على رأس هذا الصنم، وكان مستقبل المشرق، وأنه وضع أيضا لقلب الرمل عن البر الشرقي، فقدر الله سبحانه وتعالى أن كسر هذا الصنم على يد بعض أمراء الملك الناصر محمد بن قلاون، في سنة إحدى عشرة سبعمائة، وحفر تحته حتى بلغ الحفر إلى الماء، ظنا أنه يكون هناك كنز، فلم يوجد شيء، وكان هذا الصنم يعرف عند أهل مصر بسرية أبي الهول، فكان عقيب ذلك غلبة النيل على النيل الشرقي، وصارت هذه الجزائر الموجودة اليوم، وكذلك قام شخص من صوفية الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء، يعرف بالشيخ محمد صائم الدهر في تغيير المنكر أعوام بضع وثمانين وسبعمائة، فشوه وجوه سباع الحجر التي على قناطر السباع خارج القاهرة، وشوه وجه أبي الهول، فغلب الرمل على أراضي الجيزة، ولا ينكر ذلك، فلله في خليقته أسرار يطلع عليها من يشاء من عباده، والكل يخلقه وتقديره.

وقد ذكر الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه في كتاب أخبار مصر، في خبر الواحات الداخلة، أن في تلك الصحارى كانت أكثر مدن ملوك مصر العجيبة وكنوزهم، إلا أن الرمال غلبت عليها. قال: ولم يبق بمصر ملك إلا وقد عمل للرمال طلسما لدفعها، ففسدت طلسماتها لقدم الزمان.

وذكر ابن يونس عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: إن لأعلم السنة التي تخرجون فيها من مصر، قال ابن سالم: فقلت له ما يخرجنا منها يا أبا محمد أعدو؟ قال: لا ولكنكم يخرجكم منها نيلكم، هذا يغور فلا تبقى منه قطرة، حتى تكون فيه الكثبان من الرمل، وتأكل سباع الأرض حيتانه.

وقال الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير قال: إن الصحابي حدثه أنه سمع كعبا يقول: ستعرك العراق عرك الأديم، وتفت مصر فت البعرة. قال الليث: وحدثني رجل عن وهب المعارفي أنه قال: وتشق

الشام شق الشعرة، وسأذكر من خبر هذه الجزائر المشهورة ما وصلت إلى معرفته إن شاء الله تعالى.
الروضة." (١)

"فلما بلغ الآمر شعره قال: جواب السؤال قطع لسانه على فضوله، وأمر بطلبه في أحياء العرب ففر ولم يقدر علي، فقالت العرب: ما أخسر صفقة طراد، باع أبيات الحي بثلاثة أبيات، ولم يزل الآمر يتردد إلى الهودج بالروضة للنزهة فيه، إلى أن ركب من القصر بالقاهرة يريد الهودج في يوم الثلاثاء رابع ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة، فلما كان برأس الجسر وثب عليه قوم من النزارية قد كمنوا له في فرن تجاه رأس الجسر بالروضة، وضربوه بالسكاكين حتى أثخنوه وجرحوا جماعة من خدمه، فحمل إلى منظرة اللؤلؤة بشاطيء الخليج وقد مات.

قلعة الروضة

اعلم أنه ما برحت جزيرة الروضة منتزها ملوكيا ومسكنا للناس كما تقدم ذكره، إلى أن ولي الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب سلطنة مصر، فأنشأ القلعة بالروضة، فعرفت بقلعة المقياس، وبقلعة الروضة، وبقلعة الجزيرة، وبالقلعة الصالحية، وشرع في حفر أساسها يوم الأربعاء خامس شعبان، وابتدأ بنيانها في آخر الساعة الثالثة من يوم الجمعة سادس عشرة، وفي عاشر ذي القعدة وقع الهدم في الدور والقصور والمساجد التي كانت بجزيرة الروضة، وتحول الناسمن مساكنهم التي كانوا بها، وهدم كنيسة كانت لليعاقبة بجانب المقياس وأدخلها في القلعة وأنفق في عمارتها أموالا جمة، وبنى فيها الدور والقصور، وعمل لها ستين برجا، وبنى بها جامعا، وغرس بها جميع الأشجار، ونقل إليها عمد الصوان من البرابي وعمد الرخام، وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب، وما يحتاج إليه من الغلال والأزواد والأقوات، خشية من محاصرة الفرنج، فإنهم كانوا حينئذ على عزم قصد بلاد مصر، وبالغ في إتقانها مبالغة عظيمة، حتى قيل أنه استقام كل حجر فيها بدينار، وكل طوبة بدرهم، وكان الملك الصالح يقف بنفسه ويرتب ما يعمل، فصارت تدهش من كثرة زخرفتها، وتحير الناظر إليها من حسن سقوفها المزينة، وبديع رخامها.

ويقال أنه قطع من الموضع الذي أنشأ فيه هذه القلعة ألف نخلة مثمرة، كان رطبها يهدى إلى ملوك مصر لحسن منظره وطيب طعمه، وخرب الهودج والبستان المختار وهدم ثلاثة وثلاثين مسجدا عمرها خلفاء مصر وسراة **المصريين** لذكر الله تعالى وإقامة الصلوات، واتفق له في عدم بعض هذه المسجد خبر غريب،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٥٩/٢

قال الحافظ جمال الدين يوسف بن أ؛مد بن محمود بن أحمد الأسدي، الشهير باليغموري: سمعت الأمير الكبير الجواد جمال الدين أبا الفتح موسى بن الأمير شرف الدين يغمور بن جلدك بن عبد الله قال: ومن عجيب ما شاهدته من الملك الصالح أبي الفتح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل رحمه الله تعالى أنه أمرني أن أهدم مسجدا كان في جوار داره بجزيرةمصر، فاخرت ذلك وكرهت أن يكون هدمه على يدي، فأعاد الأمر وأنا أكاسر عنه، وكأنه فهم مني ذلك، فاستدعى بعض خدمه من نوابي وأنا غائب وأمره أن يهدم ذلك ،لمسجد، وأنيبني في مكانه قاعة، وقدر له صفاتها، فهدم ذلك المسجد وعمر تلك القاعة مكانه، وكملت، وقدمت الفرنج إلى الديار المصريى، وخرج الملك الصالح مع عساكره إليهم، ولم يدخل تلك القاعة التي بنيت في المكان الذي كان مسجدا، فتوفي السلطان في المنصورة، وجعل في مركز وأتى به إلى الجزيرة، فجعل في تلك القاعة التي بنيت مكان المسجد مدة إلى أن بنيت له التربة التي في جنب مدارسه بالقاهرة في جانب القصر، عفا الله عنه، وكان النيل عندما عزم الملك الصالح على عمارة قلعة الروضة من الجانب الغربي، فيما بين الروضة وبر الجيزة، وقد انطرد عن بر مصر ولا يحيط بالروضة إلا في أيام الزيادة، فلم يزل يغرق السفن في البر الغربي، ويحفر فيما بين الروضة ومصر ما كان هناك من الرمال، حتى عاد ماء النيل إلى بر مصر، واستمر هناك فأنشأ جسرا عظيما ممتدا من بر مصر إلى الروضة، وجعل عرضه ثلاث قصبات، وكان الأمراء إذا ركبوا من منازلهم يريدون الخدمة السلطانية بقلعة الروضة يترجلون عن خيولهم عند البر، ويمشون في طول هذا الجسر إلى القلعة، ولا يمكن أحد من العبور عليه راكبا سوى السلطان فقط، ولما كملت تحول إليها بأهله وحرمه، واتخذها دار ملك، وأسكن فيها معه مماليكه البحرية، وكانت عدتهم نحو الألف مملوك.." (١)

"فلما تسلطن الملك المنصور قلاون الألفي وشرع في بناء المارستان والقبلة والمدرسة المنصورية، نقل من قلعة الروضة هذه ما يحتاج إليه من عمد الصوان وعمد الرخام التي كانت قبل عمارة القلعة في البرابي، وأخذ منها رخاما كثيرا وأعتابا جليلة مما كان فيه البرابي وغير ذلك، ثم أخذ منها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون ما احتاج إليه من عمد الصوان في بناء الإيوان المعروف بدار العدل من قلعة الجبل، والجامع الجديد الناصري ظاهر مدينة مصر، وأخذ غاير ذلك حتى ذهبت كأن لم تكن، وتأخر منها عقد جليل تسميه العامة القوس، كان مما يلي جانبها الغربي، أدركناه باقيا إلى نحو سنة عشرين وثمانمائة، وبقي من أبراجها عدة قد انقلب أكثرها، وبنى الناس فوقها دورهم المطلة على النيل.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٦٧/٢

قال ابن المتوج: ثم اشترى الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب جزيرة مصر المعروفة اليوم بالروضة في شعبان سنة ست وستين وخمسمائة، وإنما سميت بالروضة لأنه لم يكن بالديار المصرية مثلها، وبحر النيل حائز لها ودائر عليها، وكانت حصينة، وفيها من البساتين والعمائر والثمار ما لم يكن في غيرها، ولما فتح عمرو بن العاص مصر تحصن الروب بها مدة، فلما طال حصارها وهرب الروم منها خرب عمرو بن العاص بعض أبراجها وأسوارها، وكانت مستديرة عليها، واستمرت إلى أن عمر حصنها أحمد بن طولون في سنة ثلاث وستين ومائتين، ولم يزل هذا الحصن حتى خربه النيل، ثم اشتراها الملك المظفر تقي الدين عمر المذكور وبقيت على ملكه إلى أن سير السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولده الملك العزيز عثمان إلى مصر ومعه عمه الملك العادل، وكتب إلى الملك المظفر بأن يسلم لهما البلاد ويقدم عليه إلى الشأم، فلما ورد عليه الكتاب ووصل ابن عمه الملك العزيز وعمه الملك العادل شق عليه خروجه من الديار المصرية، وتحقق أنه لا عود له إليها أبدا، فوقف هذه المدرسة التي تعرف اليوم في مصر بالمدرسة التقوية، التي كانت تعرف بمنازل العزو، وقف عليها الجزيرة بكاملها، وسافر إلى عمه فملكه حماه، ولم يزل الحال كذلك إلى أن ولى الملك الصالح نجم الدين أيوب، فاستأجر الجزيرة من القاضي فخر الدين أبي محمد، عبد العزيز بن قاضي القضاة عماد الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد العلي بن عبد القادر السكري مدرس المدرسة المذكورة لمدة ستين سنة في دفعتين، كل دفعة قطعة، فالقطعة الأولى من جامع غين إلى المناظر طولا وعرض، من البحر إلى البحر واستأجر القطعة الثانية وهي باقي أرض الجزيرة بما فيها من النخل والجميز والغروس، فإنه لما عمر الملك الصالح مناظر قلعة الجزيرة قطعت النخيل ودخلت في العمائر، وأما الجميز، فإنه كان بشاطيء بحر النيل صف جميز يزيد على أربعين شجرة، وكان أهل مصر فرجهم تحتها في زمن النيل والربيع، قطعت جميعها في الدولة الظاهرية، وعمر بها شواني عوض الشواني التي كان قد سيرها إلى جزيرة قبرس، ثم سلم المدرس التقوية القطعة المستأجرة من الجزيرة أولا في سنة ثمان وتسعين وستمائة، وبقي بيد السلطان القطعة الثانية، وقد خربت قلعة الروضة ولم يبق منها سوى أبراج قد بنى الناس عليها، وبقي أيضا عقد باب من جهة الغرب يقال له باب الإصطبل، وعادت الروضة بعد هم القلعة منها منتزها يشتمل على دور كثيرة وبساتين عدة وجوامع تقام بها الجماعات والأعياد ومساجد، وقد خرب أكثر مساكن الروضة، وبقي فيها إلى اليوم بقايا. وبطرف الروضة المقياس الذي يقاس فيه ماء النيل اليوم، ويقال له المقياس الهاشمي، وهو آخر مقياس بني بديار مصر.

قال أبو عمر الكندي: وورد كتاب المتوكل على الله بابتناء المقياس الهاشمي للنيل، وبعزل النصارى عن

قياسه، فجعل يزيد بن عبد الله بن دينار أمير مصر، أبا الرداد المعلم، وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب الخر ا ج في كل شهر سبعة دنانير، وذلك في سنة سبع وأربعين ومائتين، وعلامة وفاء النيل ستة عشر ذراعا، أن يسبل أبو الرداد قاضي البحر الستر الأسود الخليفي على شباك المقياس، فإذا شاهد الناس هذا الستر قد اسبل تباشروا بالوفاء واجتمعوا على العادة للفرجة من كل صوب، وما أحسن قول شهاب الدين بن العطار في تهتك الناس يوم تخليق المقياس:." (١)

"صناعة المقس: قال ابن أبي طي في تاريخه عند ذكر وفاة المعز لدي الله، أنه أنشأ دار الصناعة التي بالمقس، وأنشأ بها ستمائة مركب لم ير مثلها في البحر على ميناء. وقال المسبحي: أن العزيز بالله بن المعز هو الذي بنى دار الصناعة التي بالمقس، وعمل المراكب التي لم ير مثلها فيما تقدم كبرا ووثاقة وحسنا. وقال في حوادث سنة ست وثمانين وثلاثمائة: ووقعت نار في الأسطول وقت صلاة الجمعة، لست بقين من شهر ربيع الآخر، فأحرقت مس عشاريات وأتت على جميع ما في الأسطول من العدة والسلاح واتهموا الروم النصارى، وكانوا مقيمين بدار ماتك بجوار الصناعة التي بالمقس، وحملوا على الروم هم وجموع من العامة معهم، فنبوا أمتعة الروم وتقولا منهم مائة رجل وسبعة رجال، وطرحوا جثثهم في الطرقات، وأخذ من بقي فحبس بصناعة المقس، ثم حضر عيسى بن نسطورس خليفة أمير المؤمنين العزيز بالله في الأموال ووجهها بديار مصر و ا لشام والحجاز، ومعه يانس الصقلبي، وهو يومئذ خليفة العزيز بالله على القاهرة عند مسيره إلى الشام، ومعهما مسعود الصقلبي متولي الشرطة، وأحضروا الروم من الصناعة فاعترفوا بأنهم الذين أحرقوا الأسطول، فكتب بذلك إلى العزيز بالله وهو مبرز يريج السفر إلى الشام، وذكر له في الكتاب خبر من قتل من الروم وما نهب، وأنه ذهب في النهب ما يبلغ تسعين ألف دينار، فطاف أصحاب الشرط في الأسواق بسجل فيها الأمر برد ما نهب من دار ماتك وغيرها، والتوعد لمن ظهر عنده منه شيء، وحفظ أبو الحسن يانس البلد وضبط الناس، وأمر عيسى بن نسطورس أن يمد للوقت عشرون مركبا، وطرح الخشب وطلب الصناع وبات في الصناعة، وجد الصناع في العمل، وأغلب أحداث الناس وعامتهم يلعبون برؤوس القتلى ويجرون بأرجلهم في الأسواق والشوارع، ثم قرنوا بعضهم لى بعض على ساحل النيل بالمقس وأحرقوا يوم السبت، وضرب بالحرس على البلد، أن لا يتخ‌ر‌ف أحد ممن نهب شيئا حتى يحضر ما نهب ويرده، ومن علم عليه بشيء أو كتم شيئا أو جحده أو أخره، حلت به العقوبة الشديدة، وتتبع من نهب فقبض على عدة قتل منهم عشرون رجلا ضربت أعناقهم، وضرب ثلاثة وعشرون رجلا بالسياط، وطيف بهم وفي عنق

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٦٩/٢

كل واحد راس رجل ممن قتل من الروم، وحبس عدة أناس، وأمر بمن ضربت أعناقم فصلبوا عند كوم دينار، ورد **المصريون** إلى المطبق، وكان ضرب من ضرب من النهابة وقتل من قتل منهم برقاع كتبت لهم، تناول كل واحد منهم رقعة فيها مكتوب إما بقتل أو ضرب، فأمضى فيهم بحسب ما كان في رقاعهم من قتل أو ضرب، واشتد الطلب على النهاية فكان الناس يدل بعضهم على بعض، فإذا أخذ أحد ممن اتهم بالنهب حلف بالأيمان المغلظة أنه ما بقي عنده شيء.

وجد عيسى بن نسطورس في عمل الأسطول وطلب الخشب، فلم يدع عند أحد خشبا علم به إلا أخذه منه، وتزايد إخراج النهابة لما نهبوه، فكانوا يطرحونه في الأزقة والشوارع خوفا من أن يعرفوا به، وحبس كثير من أحضر شيئا أو عرف عليه من النهب، فلما كان يوم الخميس ثامن جمادى الأولى ضربت أعناقهم كلهم على يد أبي أحمد جعفر صاحب يانس، فإنه قدم في عسكر كثير من اليانسية حتى ضربت أعناق الجماعة، وأغلقت الأسواق يومئذ وطاف متولى الشرطة وبين يديه أرباب النفط بعددهم والنار مشتعلة واليانسية ركاب بالسلاح، وقد ضرب جماعة وشهرهم بين يديه وهم ينادي عليهم هذا جزاء من أثار الفتن ونهب حريم أمير المؤمنين، فمن نظر فليعتبر فما تقال لهم عثرة ولا ترحم لهم عبرة في كلام كثير من هذا الجنس، فاشتد خوف الناس وعظم فزعهم، فلما كان من الغد نودي: معاشر الناس قد آمن الله من أخذ شيئا أو نهب شيئا على نفسه وما له، فليرد من بقي عنده شيء من النهب، وقد أجلناكم من اليوم إلى مثله، وفي سابع جمادى الآخرة نزل ابن نسطورس إلى الصناعة وطرح مركبين في غاية الكبر من التي استعمالها بعد حريق الأسطول، وفي غرة شعبان نزل أيضا وطرح بين يديه أربعة مراكب كبارا من المنشأة بعد الحريق، واتفق موت العزيز بالله وهو سائر إلى الشام في مدينة بلبيس.." (١)

"فلما كثرت وقائع التتر في بلاد المشرق والشمال وبلاد القبجاق، وأسروا كثيرا منهم وباعوهم، تنقلوا في الأقطار، واشترى الملك الصالح نجم الدين أيوب جماعة منهم سماهم البحرية، ومنهم منملك ديار مصر، وأولهم المعز أيبك. ثم كانت لقطز معهم الواقعة المشهورة على عين جالوت، وهزم التتار وأسر منهم خلقا كثيرا صاروا بمصر والشام، ثم كثرت الوافدية في أيام الملك الظاهر بيبرس وملؤوا مصر والشام، وخطب للملك بركة بن يوشي بن جنكز خان على منابر مصر والشام والحرمين، فغصت أرض مصر والشام بطوائف المغل، وانتشرت عاداتهم بها وطرائقهم، هذا وملوك مصر وأمراؤها وعساكرها قد ملئت قلوبهم رعبا من جنكز خان وبنيه، واتمزج بلحمهم ودمهم مهابتهم وتعظيمهم، وكانوا إنما ربوا بدار الإسلام ولقنوا القرآن

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٨٦/٢

وعرفوا أحكام الملة المحمدية، فجمعوا بين الحق والباطل، وضموا الجيد إلى الرديء، وفوضوا القاضي القضاى كل ما يتعلق بالأمور الدينية من الصلاة والصوم والزكاة والحج، وناطوبه أمر الأوقاف والأيتام، وجعلوا إليه النظر في الأقضية الشرعية، كتداعي الزوجين وأرباب الديون ونحو ذلك، واحتاجوا في ذات أنفسهم إلى الرجوع لعادة جنكز خان والاقتداء بحكم الياسة، نصبوا الحاجب ليقضي بينهم فيما اختلفوا فيه من عوايدهم، والأخذ على يد قويهم، وانصاف الضعيف منه على مقتضى ما في الياسة، وجعلوا إليه من ذلك النظر في قضايا الدواوين السلطانية عند الاختلاف في أمور الإقطاعات، لينفذ ما استقرت عليه أوضاع الديوان وقواعد الحساب، وكانت من أجل القواعد وأفضلها حتى تحكم القبط في الأموال وخراج الأراضي، فشرعوا في الديوان ما لم يأذن به الله تعالى، ليصير لهم ذلك سبيلا إلى أكل مال الله تعالى بغير حقه، وكان مع ذلك يحتاج الحاجب إلى مراجعة النائب أو السلطان في معظم الأمور.

هذا وستر الحياء يومئذ مسدول، وظل العدل صاف، وجانب الشريعة محترم، وناموس الحشمة مهاب، فلا يكاد أحد أن يزيغ عن الحق، ولا يخرج عن قضية الحياء، إن لم يكن له وازع من دين، كان له ناه من عقل. ثم تقلص ظل العدل، وسفرت أوجه الفجور، وكشر الجور أنيابه، وقلت المبالاة وذهب الحياء والحشمة من الناس، حتى فعل من شاء ما شاء، وتعدت منذ عهد المحن التي كانت في سنة ست وثمانمائة الحجاب، وهتكوا الحرمة، وتحكموا بالجور تحكما خفي معه نور الهدى، وتسلطوا على الناس مقتا من الله لأهل مصر وعقوبة لهم بما كسبت أيديهم، ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون.." (١)

"وإنما هم قبيل من قبائل العجم، وهم قبائل عديدة: كورانية بنو كوران وهذبانية وبشتوية وشاصنجانية وسرنجية وبزولية ومهرانية وزردارية وكيكانية وجاك وكرودنيلية وروادية ودسنية وهكارية وحميدية ووركجية ومروانية وجلانية وسنيكية وجوني. وتزعم المروانية أنها من بين مروان بن الحكم، ويزعم بعضا الهكارية أنها من ولد عتبة بن أبي سفيان بن حرب.وأول من ملك مصر ن الأكراد الأيوبية.

السلطان الملك الناصر صلاح الدين: أبو المظفر ويف بن نجم الدين أبي الشكر أيوب بن شادي بن مروان الكردي، من قبيل الروادية، أحد بطون الهذبانية. نشأ أبوه أيوب وعمه أسد الدين شيركوه ببلددوين من أرض أذربيجان ن جهة أران وبلاد الكرج، ودخلا بغداد وخدما مجاهد الدين بهروز، شحنة بغداد فبعث أيوب إلى قلعة تكريت وقامه بها مستحفظا لها، ومعه أخوه شيركوه وهو أصغر منه سنا، فخدم أيوب الشهيد زنكي لما انهزم، فشكر له خدمته، واتفق بعد ذلك أن شيركوه قتل رجلا بتكريت فطرد هو وأخوه أيوب من

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٢٢/٢

قلعتها، فمضيا إلى زنكي بالموصل فآواهما وأقطعهما إقطاعا عنده، ثم رتب أيوب بقلعة بعلبك مستحفظا، ثم أنم عليه بأمرة، واتصل شيركوه بنور الدين محمود بن زنكي في أيام أبيه وخدمه، فلما ملك حلب بعد أبيه كان لنجم الدين أيوب عمل كثير في أخذ دمشق لنور الدين، فتمكنا في دولته، حتى بعث شيركوه مع الوزير شاور بن مجير السعدي إلى مصر، فسار صلاح الدين في خدمته من جملة أجناده، وكان من أمر شيركوه ما كان حتى مات.

فاقيم بعده في وزارة العاضد ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب في يوم الثلاثاء خامس عشري جمادى الآخرة، سنة أربع وستين وخمسمائة، ولقبه بالملك الناصر، وأنزله بدار الوزارة من القاهرة، فاستمال قلوب الناس وأقبل على الجد وترك اللهو وتعاضد هو والقاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني رحمه الله على إزالة الدولة الفاطمية، وولى صد الدين بن درباس قضاء القضاة، وعزل قضاة الشيعة، وبنى بمدينة مصر مدرسة للفقهاء المالكية، ومدرسة للفقهاء الشافعية، وقبض على أمراء الدولة وأقام أصحابه عوضهم، وأبطل المكوس بأسرها من أرض مصر، ولم يزل يدأب في إزالة الدولة حتى تم له ذلك، وخطب لخليفة بغداد المستنصر بأمر الله أبي محمد بن الحسن العباسي، وكان العاضد مريضا فتوفي بعد ذلك بثلاثة أيام، واستبد صلاح الدين بالسلطنة ن أول سنة سبع وستين وخمسمائة، واستدعى أباه نجم الدين أيوب وإخوته من بلاد الشام، فقدموا عليه بأهاليهم.

وتأهب لغزو الفرنج وسار إلى الشوبك وهي بيد الفرنج، فواقعهم وعاد إلى أيلة فجبى الزكوات من **أهل مصر** وفرقها على أصنافها، ورفع إلى بيت المال سهم العاملين وسهم المؤلفة وسهم المقاتلة وسهم المكاتبين، وأنزل الغزو بالقصر الغربي وأحاط بأموال القصر وبعث بها إلى الخليفة ببغداد، وإلى السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بالشام، فأتته الخلع الخليفية فلبسها، ورتب نوب الطبلخاناه في كل يوم ثلاث مرات، ثم سار إلى الإسكندرية، وبعث ابن أخيه تقي الدين عمرو بن شاهنشاه بن أيوب على عسكر إلى برقة، وعاد إلى القاهرة. ثم سار في سنة ثمان وخمسين إلى الكرك هي بيد الفرنج فحصرها وعاد بغير طائل، فبعث أخاه الملك المعظم شمس الدولة توران شاه ابن أيوب إلى بلاد النوبة، فأخذ قلعة إبريم وعاد بغنائم وسبي كثير، ثم سار لأخذ بلاد اليمن فملك زبيد وغيرها، فلما مات نور الدين محمود بن زنكي توجه السلطان صلاح الدين في أول صفر سنة سبعين إلى الشام وملك دمشق بغير مانع، وأبطل ما كان يؤخذ بها من المكوس كما أبطلها من ديار مصر، وأخذ حمص وحماه، وحاصر حلب وبها الملك الصالح مجير الدين إسماعيل بن العادل نور الدين محمود بن زنكي، فقاتله أهلها قتالا شديدا، فرحل عنها إلى حمص

وأخذ بعلبك بغير حصار، وثم عاد إلى حلب، فوقع الصلح على أن يكون له ما بيده من بلاد الشام مع المعرة وكفرطاب، ولهم ما بأيديهم، وعاد فأخذ بغزاس بعد حصار، وأقام بدمشق، وندب قراقوس التقوي لأخذ بلاد المغرب، فأخذ أيجلن وعاد إلى القاهرة. وكانت بين السلطان وبين الحبيين وقعة هزمهم فيها وحصرهم بحلب أياما، وأخذ بزاعة ومنبج وعزاز، ثم عاد إلى دمشق.." (١)

"ومنها بالقاهرة: الجامع الأزهر، والجامع الحاكمي والجامع الأقمر، ومدرسة الظاهر برقوق، والمدرسة الصالحية، والحجازية، والمشهد الحسيني، وجامع الفاكهاني، والزمامية، والصاحبية، والبو بكرية، والجامع المؤيدي، والأشرفية وجامع الدواداري قريبا من البرقية، وجامع التوبة بالبرقية، مدرسة ابن البقري، والباسطية.

الجوامع

اعلم أنه لما اتصلت مباني القاهرة المعزية بمباني مدينة فسطاط مصر، بحيث صارتا كأنهما مدينة واحدة، واتخذ أهل القاهرة **وأهل مصر** القرافتين لدفن أمواتهم، ذكرت ما في هذه المواضع الأربع من المساجد الجامعة، وأضفت إليها ما في جزيرة فسطاط مصر التي يقال لها الروضة من الجوامع أيضا، فإنها منتزه أهل البلدين، وجمعت إلى ذلك ما في ظواهر القاهرة ومصر من الجوامع، مع التعريف بحال من أسسها. وبالله التوفيق.

الجامع العتيق

هذا الجامع بمدينة فسطاط مصرن ويقال له تاج الجوامع، وجامع عمرو بن العاص، وهو أول مسجد أسس بديار مصر في الملة الإسلامية بعد الفتح.

خرج الحافظ أبو القاسم بن عساكر من حديث معاوية بن قرة قال: قال عمرو بن الخطاب رضي الله عنه: من صلى صلاة مكتوبة في مسجد مصر من الأمصار، كانت له كحجة متقبلة، فإن صلى تطوعا كانت له كعمرة مبرورة.

وعن كعب: من صلى في مسجد مصر من الأمصار صلاة فريضة عدلت حجة متقبلة، ومن صلى صلاة تطوع عدلت عمرة متقبلة، فإن أصيب في وجهه ذلك، حرم لحمه ودمه على النار أن تطعمه، وذنبه على من قتله.

وأول مسجد بني في الإسلام مسجد قبا، ثم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال هشام بن عمار: حدثنا المغيرة بن المغيرة، حدثنا يحيى بن عطاء الخراساني عن أبيه.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٣٧/٢

قال: لما افتتح عمر البلدان، كتب إلى أبي موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة، ويتخذ للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة. وكتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك، وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك، وكتب إلى أمراء أجناد الشام أن لايتبددوا إلى القرى، وأن ينزلوا المدائن، وأن يتخذوا في كل مدينة مسجدا واحدا، ولا تتخذ القبائل مساجد، فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده.

وقال أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص الكندي، في كتاب أخبار مسجد أهل الراية الأعظم: وأول أمره وبنائه وزيادة الأمراء فيه وغيرهم، ومجالس الحكام والفقهاء منه وغير ذلك، قال هبيرة بن أبيض عن شيخه تجيب: أن قيسبة بن كلثوم التجيبي أحد بني سوم، سار من الشام إلى مصر مع عمرو بن العاص، فدخلها في مائة راحلة وخمسين عبدا وثلاثين فرسا، فلما أجمع المسلمون وعمرو بن العاص على حصار الحصن، نظر قيسبة بن كلثوم فرأى جنانا تقرب من الحصن، فعرج إليها في أهله وعبيده، فنزل وضرب فيها فسطاطه وأقام فيها طول حصارهم الحصن حتى فتحه الله عليهم ثم خرج قيسبة مع عمرو إلى الإسكندرية وخلف أهله فيها، ثم فتح الله عليهم الإسكندرية، وعاد قيسبة، وتشاور المسلمون أين يكون المسجد الجامع، فرأوا أن يكون منزل قيسبة، فسأله عمرو فيه وقال: أنا أختط لك يا أبا عبد الرحمن حيث أحببت. فقال قيسبة: لقد علمتم يا معشر المسلمين أني حزت هذا المنزل وملكته، وإني أتصدق به على المسلمين وارتحل، فنزل مع قومه بني سوم واختلط فيهم، فبني مسجدا في سنة إحدى وعشرين من الهجرة، وفي ذلك يقول أبو قبان بن نعيم بن بدر التجيبي:

وبابليون قد سعدنا بفتحها ... وحزنا لعمر الله فيأ ومغنما

وقيسبة الخير بن كلثوم داره ... أباح حماها للصلاة وسلما

فكل مصل في فنانا صلاته ... تعارف أهل المصر ما قلت فاعلما

وقال مصعب قيس بن سلمة الشاعر في قصيدته التي امتدح فيها عبد الرحمن بن قيسبة:

وأبوك سلم داره وأباحها ... لجباه قوم ركع وسجود." (١)

"وقال الليث بن سعد: كان مسجدنا هذا حدائق وأعنابا. وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني: ومن جملة مزارعها جامع مصر، وقد بقي إلى الآن من جملة الأنشاب التي كانت في البستان في موضع الجامع، شجرة زنزلخت، وهي باقية من عهد موسى عليه السلام، وكان لها نظير شجرة أخرى في الوراقين،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣٥٤/٢

احترقت في حريق مصر سنة أربع وستين وخمسمائة، وظهر بالجامع العتيق بئر البستان التي كانت به، وهي اليوم يستقي منها الناس الماء بموضع حلة الفقيه ابن الجيزي المالكي.

قال الكندي: وقال يزيد بن أبي حبيب: سمعت أشياخنا ممن حضر مسجد الفتح يقولون: وقف على إقامة قبلة المسجد الجامع ثمانون رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيهم الزبير بن العوام، والمقداد، وعبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وفضالة بن عبيد، وعقبة بن عامر، رضي اله عنهم. وفي رواية أسس مسجدنا هذا أربعة من الصحابة، أبو ذر وأبو بصيرة، ومحمئة الزبيدي ونبيه بن صواب. وقال عبد الله بن أبي جعفر: أقام محرابنا هذا عبادة بن الصامت ورافع بن مالك، وهما نقيان. وقال داود بن عقبة: أن عمرو بن العاص بعث ربيعة بن شرحبيل بن حسنة، وعمرو بن علقمة القرشي، ثم العدوي، يقيمان القبلة، وقال لهما: قوما إذا زالت الشمس. أو قال: انتصفت الشمس، فاجعلاها على حاجبيكما ففعلا.

وقال الليث: إن عمرو بن العاص كان يمد الحبال حتى أقيمت قبلة المسجد. وقال عمرو بن العاص: شرقوا القبلة تصيبوا الحرم. قال فشرقت جدا، فلما كان قرة بن شريك تيامن بها قليلا، وكان عمرو بن العاص إذا صلى في مسجد الجامع يصلي ناحية الشرق إلا الشيء اليسير وقال رجل من تجيب: رأيت عمرو بن العاص دخل كنيسة فصلى فيها ولم ينصرف عن قبلتها إلا قليلا، وكان الليث وابن لهيعة إذا صليا تيامنا، وكان عمرو بن مروان عم الخلفاء إذا صلى في المسجد الجامع تيامن. وقال يزيد بن حبيب في قوله تعالى: " قد نرى تقلب وجهك في السماء، فلنولينك قبلة ترضاها " ، هي قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي نصبها الله عز وجل مقابل الميزاب، وهي قبلة **أهل مصر** وأهل الغرب، وكان يقرأها فلنولينك قبلة نرضاها بالنون. وقال هكذا أقرأناها أبو الخير.

وقال الخليل بن عبد الله الأزدي: حدثني رجل من الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال: ضع القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة، ثم قال بيده، فأمط كل جبل بينه وبين الكعبة، فوضع المسجد وهو ينظر إلى الكعبة، وصارت قبلته إلى الميزاب.

وقال ابن لهيعة: سمعت أشياخنا يقولون: لم يكن لمسجد عمرو بن العاص محراب مجوف، ولا أدري بناه مسلمة أو بناه عبد العزيز وأول من جعل المحراب قرة بن شريك.

وقال الواقدي: حدثنا محمد بن هلال قال: أول من أحدث المحراب المجوف عمرو بن عبد العزيز، ليالي بني مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر عمر بن شيبة أن عثمان بن مظعون تفل في القبلة فأصبح مكتئبا، فقالت له امرأته: مالي أراك مكتئبا؟ قال: لاشيء إلا أني تفلت في القبلة وأنا أصلي، فعمدت إلى

القبلة فغسلتها، ثم عملت خلوقا فخلقتها، فكانت أول من خلق القبلة.

وقال أبو سعيد سلف الحميري: أدركت مسجد عمرو بن العاص طوله خمسون ذراعا في عرض ثلاثين ذراعا، وجعل الطريق يطيف به من كل جهة، وجعل له بابان يقابلان دار عمرو بن العاص، وجعل له بابان في بحرية وبابان في غربيه، وكان الخارج إذا خرج من زقاق القناديل وجد ركن المسجد الشرقي محاذيا لركن دار عمرو بن العاص الغربي، وذلك قبل أن أخذ من دار عمرو بن العاص ما أخذ وكان طوله من القبلة إلى البحري مثل طول دار عمرو بن العاص، وكان سقفه مطأطأ جدا ولاصحن له، فإذا كان الصيف جلس الناس بفنائه من كل ناحية، وبينه وبين دار عمرو سبع أذرع.." (١)

"وفي سنة أربع وستين وخمسمائة تمكن الفرنج من ديار مصر وحكموا في القاهرة حكما جائرا، وركبوا المسلمين بالأذى العظيم، وتيقنوا أنه لاحامي للبلاد من أجل ضعف الدولة، وانكشفت لهم عورات الناس فجمع مري ملك الفرنج بالساحل جموعه، واستجد قوما قوى بهم عساكره، وسار إلى القاهرة من بلبيس بعد أن أخذها وقتل كثيرا من أهلها، فأمر شاور بن مجير السعدي وهو يومئذ مستول على ديار مصر وزارة للعاضد بإحراق مدينة مصر فخرج إليها في اليوم التاسع من صفر من السنة المذكورة عشرون ألف قارورة نفط، وعشرة آلاف مشعل مضرمة بالنيران، وفرقت فيها. ونزل مري بجموع الفرنج على بركة الحبش فلما رآى دخان الحريق تحول من بركة الحبش ونزل على القاهرة مما يلي باب البرقية، وقاتل أهل القاهرة وقد انحشر الناس فيها، واستمرت النار في مصر أربعة وخمسين يوما، والنهاية تهدم ما بها من المباني وتحفر لأخذ الخبايا إلى أن بلغ مري قدوم أسد الدين شيركوه من جهة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام، فرحل في سابع شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة، وتراجع **المصريون** شيئا بعد شيء إلى مصر، وتشعث الجامع فلما استبد السلطان صلاح الدين بمملكة مصر بعد موت العاضد، جدد الجامع العتيق بمصر في سنة ثمان وستين وخمسمائة وأعاد الجامع والمحراب الكبير ورخمه ورسم عليه اسمه وجعل في سقاية قاعة الخطابة قصبة إلى السطح يرتفق بها أهل السطح، وعمر المنظرة التي تحت المئذنة الكبيرة، وجعل لها سقاية، وعمر في كنف دار عمرو الصغرى البحري مما يلي الغربي، قصبة أخرى إلى محاذاة السطح، وجعل لها ممشاة من السطح إليها يرتفق بها أهل السطح، وعمر غرفة الساعات وحررت، فلم تزل مستمرة إلى أثناء أيام الملك المعز عز الدين أيبك التركماني، أول من ملك من المماليك، وجدد بياض الجامع وأزال شعثه، وجلى عمده وأصلح رخامه، حتى صار جميعه مفروشا بالرخام وليس في سائر أرضه

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢/٤٥٤

شيء بغير رخام حتى تحت الحصر.
ولما تقلد قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن الأعز أبي القاسم خلف بن رشيد الدين محمود بن بدر، المعروف بابن الأعز العلائي الشافعي، قضاء القضاء بالديار المصرية ونظر الأحباس في ولايته الثانية أيام الملك ركن الدين بيبرس البندقداري، كشف الجامع بنفسه، فوجد مؤخرة قد مال إلى بحريه، ووجد سورة البحري قد مال وانقلب علوه عن سمت سفلة، ورأى في سطح الجامع غرفا كثيرة محدثة، وبعضها مزخرف، فهدم الجميع ولم يدع بالسطح سوى غرفة المؤذنين القديمة وثلاث خزائن لرؤساء المؤذنين لا غير وجمع أرباب الخبرة فاتفق الرأي على إبطال جريان الماء إلى فوارة الفسقية، وكان الماء يصل إليها من بحر النيل فأمر بإبطاله لما كان فيه من الضرر على جدر الجامع، وعمر بغلات بالزيادة البحرية تشد جدار الجامع البحري، وزاد في عمد الزيادة ما قوى به البغلات المذكورة، وسد شباكين كانا في الجدار المذكور ليتقوى بذلك وأنفق المصروف على ذلك من مال الأحباس، وخشي أن يتداعى الجامع كله إلى السقوط فحدث الصاحب الوزير بهاء الدين علي بن سليم بن حنا في مفاوضة السلطان في عمارة ذلك من بيت المال فاجتمعا معا بالسلطان الملك الظاهر بيبرس وسألاه في ذلك، فرسم بعمارة الجامع، فهدم الجدار البحري من مقدم الجامع، وهو الجدار الذي فيه اللوح الأخضر، وحط اللوح وأزيلت العمد والقواصر العشر، وعمر الجدار المذكور وأعيدت العمد والقواصر كما كانت وزيد في العمد أربعة قرن، بها أربعة مما هو تحت اللوح الأخضر، والصف الثاني منه،وفصل اللوح الأخضر أجزاء وجدد غيره وكتب عليه اسم السلطان الملك الظاهر، وجليت العمد كلها وبيض الجامع بأسره وذلك في شهر رجب سنة وستين وستمائة، وصلى فيه شهر رمضان بعد فراغه ولم تتعطل الصلاة فيه لأجل العمارة.." (١)

"ائتوني به فإن القرآن علينا أنزل، وإلينا أتى. فأتي به فقرأ فيه في المؤخر، ولم يقرأ في المصحف بعد ذلك في المؤخر إلى أن تولى أبو بكر محمد بن الحسن السوسي الصلاة والقصص في اليوم العشرين من شعبان سنة ثلاث وأربعمائة، فنصب المصحف في مؤخر الجامع حيال الفوارة وقرأ فيه أيام نكس الجامع ، فاستمر الأمر على ذلك إلى الآن.

ولما تولى القصص أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلم الملطي ، في سنة إحدى وثلاثمائة عزم على القراءة في المصحف في كل يوم ، فتكلم علي بن قديد في ذلك ومنع منه وقال: أعزم على أن يخلق المصحف ويقطعه، أيرى عبد العزيز بن مروان حيا فيكتب له مثله، فرجع إلى القراءة ثلاثة أيام.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٦٠/٢

وكان قد حضر إلى مصر رجل من أهل العراق وأحضر مصحفا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وأنه الذي كان بين يديه يوم الدار، وكان فيه أثر الدم ، وذكر أنه استخرج من خزائن المقتدر، ودفع المصحف إلى عبد الله بن شعيب المعروف بابن بنت وليد القاضي، فأخذه أبو بكر الخازن وجعله في الجامع ، وشهره وجعل عليه خشبا منقوشا، وكان الإمام يقرأ فيه يوما، وفي مصحف أسماء يوما، ولم يزل على ذلك إلى أن رفع هذا المصحف واقتصر على القراءة في مصحف أسماء، وذلك في أيام العزيز بالله، لخمس خلون من المحرم سنة ثمان وسبعون وثلاثمائة. وقد انكر قوم أن يكون هذا المصحف مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه، لأن نقله لم يصح، ولم يثبت بحكاية رجل واحد. ورأيت أنا هذا المصحف وعلى ظهر مما نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، هذا المصحف الجامع لكتاب الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، حمله المبارك مسعود بن سعد الهيتي لجماعة المسلمين القراء للقرآن التالين له، المتقربيبن إلى الله جل ذكره بقراءته، والمتعلمين له ليكون محفوظا أبدا ما بقي ورقه ولم يذهب اسمه ابتغاء ثواب الله عز وجل، ورجاء غفرانه، وجعله عدة ليوم فقره وفاقته وحاجته إليه، أنا له الله برأفته وجعل ثوابه بينه وبين جماعة من نظر فيه، وقد درس ما بعد هذا الكلام من ظهر المصحف والمندرس يشبه أن يكون وتبصر في ورقه، وقصد ابداعه فسطاط مصر في المسجد الجامع، جامع المسلمين العتيق، ليحفظ حفظ مثله مع سائر مصاحف المسلمين فرحم الله من حفظه ومن قرأ فيه ومن عنى به، وكان ذك في يوم الثلاثاء مستهل ذي القعدة سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وسلم تسليما كثيرا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قلال ابن المتوج: ودليل بطلان ما قاله هذا المعترض، ظهور التعصب على عثمان رضي الله عنه من تجيب وخلفائهم، أن الناس قد جربوا هذا المصحف، وهو الذي على الكرسي الغربي من مصحف أسماء، أنه ما فتح قط إلا وحدث حادث في الوجود لتحقيق ما حدث أولا والله أعلم.

قال القضاعي: ذكر المواضع المعروفة بالبركة من الجامع يستحب الصلاة والدعاء عندها. منها البلاطة التي خلف الباب الأول في مجلس ابن عبد الحكيم، ومنها البرادع، رمي عن رجل من صلحاء المصريين يقال له أبو هارون الخرقي قال: رأيت الله عز وجل في منامي، فقلت له يا رب أنت تراني وتسمع كلامي؟ قال: نعم ثم قال أتريد أن أريك بابا من أبواب الجنة؟ قلت نعم. يا رب، فأشار إلى باب أصحاب البرادع أو الباب الأقصى مما يلي رحبة حارث، وكان أبو هارون هذا يصلي الظهر والعصر فيما بينهما.

وقال إن المتوج: وعند المحراب الصغير الذي في جدار الجامع الغربي، ظاهر المقصورة، فيما بين بابي

الزيادة الغربية الدعاء عنده مستجاب قال: من ذلك باب مقصورة عرفة، ومنها عند خرزة البئر التي بالجامع، ومنها قبال اللوح الأخضر ومنها زاوية فاطمة ويقال أنها فاطمة ابنة عفان، لما وصى والدها أن تترك لله في الجامع فتركة في هذا المكان فعرف بها ومنها سطح الجامع والطواف به سبع مرات، يبدأ باﻟأولى من باب الخزنة الأولى التي يستقبلها الداخل من باب السطح وهو يتلو إلى أن يصل إلى زاوية السطح التي عند المئذنة المعروفة بعرفة، يقثف عندها ثم يدعو بما أراد ثم يمر وهو يتلو إلى أن يصل إلى الركن الشرقي عند المئذنة المشهورة بالكبيرة ثم يدعو بما أراد ويمر إلى الركن البحري الشرقي فيقف محاذيا لغرفة المؤذنين ويدعو، ثم وهو يتلو ابتدأ منه. يفعل ذلك سبع مرات فإن حاجته تقضى.." (١)

"والمحراب الثاني محراب مسجد أحمد بن طولون وهو منحرف عن سمت محراب الصحابة وقد ذكر في سبب انحرافه أقوال منها أن أحمد بن طولن لما عزم على ناء هذا المسجد بعث إلى محراب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ سمته فإذا هو مائل عن خط سمت القبلة المستخرج بالصناعة نحو العشر درج إلى جهة الجنوب فوضع حينئذ محراب مسجده هذا مائلا عن خط سمت القبلة إلى جهة الجنوب بنحو ذلك إقتداء منه بمحراب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه وخط له المحراب فلما أصبح وجد النمل قد أطاف بالمكان الذي خطه له رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقيل غير ذلك.

وأنت إن صعدت إلى السطح جامع ابن طولون رأيت محرابه مائلا عن محراب جامع عمرو بن العاص إلى الجنوب ورأيت محراب المدارس التي حدثت إلى جانبه قد انحرفت عن محرابه إلى جهة الشرق وصار محراب جامع عمرو فيما بين محراب ابن طولون والمحاريب الأخر، وقد عقد مجلس بجامع ابن طولون في ولاية قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة حضره علماء المقيات منهم الشيخ تقي الدين محمد بن محمد بن موسى الغزولي، والشيخ أبو الطاهر محمد بن محمد ونظروا في محرابه، فأجمعوا على أنه منحرف عن خط سمت القبلة إلى جهة الجنوب مغربا بقدر أربع عشرة درجة وكتب بذلك محضر وأثبت على ابن جماعة.

والمحراب الثالث: محراب جامع القارة المعروف بالجامع الأزهر وما في سمته من بقية محاريب القاهرة وهي محاريب يشهد الإمتحان بتقدم واضعها في استخراج القبلة فإنها على خط سمت القبلة من غير ميل عنه ولا انحراف البتة. والمحراب الرابع: محاريب المساجد التي في قرى بلاد الساحل فإنها تخالف محاريب

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٦٤/٢

الصحابة إلا أن محراب جامع منية غمر قريب من سمت محاريب الصحابة، فإن الوزير أبا عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالمأمون البطائحي وزير الخليفة الآمر بأحكام الله أبي علي منصور بن المستعلي بالله أنشأ جامعا بمنية زفتا في سنة ست عشرة وخمسمائة فجعل محرابه على سمت المحاريب الصحيحة وفي قرافة مصر بجوار مسجد الفبح عدة مساجد تخالف محاريب الصحابة مخالفت فاحشة وكذلك بمدينة مصر الفسطاط غير مسجد على هذا الحكم فأما محاريب الصحابة التي بفسطاط مصر والإسكندرية فإن سمتها يقابل مشرق الشتاء وهو مطالع برج العقرب مع ميل قليل إلى ناحية الجنوب ومحاريب مساجد القرى وما حول مسجد الفتح بالقرافة فإنها تستقبل خط نصف النهار الذي يقال له خط الزوال وتميل عنه إلى جهة المغرب وهذا الاختلاف بين هذين المحرابين اختلاف فاحش يفضي إلى إبطال الصلاة وقد قال ابن عبد الحكيم: قبلة أهل مصر أن يكون القطب الشمالي على الكتف الأيسر وهذا سمت محاريب الصحابة.." (١)

"قال فحفظت ذلك عنه. فقال والدي بعد انصرافنا إلى المنزل لما حكيت له خطبته أنه يابني يحذر الناس إذا انصرفوا إليه على الرباط كما حذرهم على الريف والدعة. قال: وكان إذا جاء وقت الربيع كتب لكل قوم بربيعهم ولبنهم إلى حيث أحبوا، وكانت القرى التي يأخذ فيها معظمهم منوف وسمنود وأهناس وطحا، زكان أهل الراية متفرقين، فكان آل عمرو بن العاص وآل عبد الله بن سعد يأخذون في منوف ووسيم، وكانت هذيل تأخذ في ببا وبوصير، وكانت عدوان تأخذ في بوصير وقرى عك، والذي يأخذ فيه معظمهم بوصير ومنوف وسنديبس وارتيب، وكانت بلى تأخذ في منف وطرانية، وكانت فهم تأخذ في اتريب وعين شمس ومنوف، وكانت مهرة تأخذ في مناونمي وبسطه ووسسم، وكانت لخم تأخذ في الفيوم وطرانية وقربيط وكانت جذام تأخذ في قربيط وطرانية، وكانت حضر موت تأخذ في ببا وعين شمس واتريب، وكانت مراد تأخذ في منف والفيوم ومعهم عبس بن زوف، وكانت حمير تأخذ في بوصير وقرى أهناس وكانت خولان في قرى أهناس، والقيس والبهنسا، وآل وعلة يأخذون في سفط من بوصير، وآل ابرهة يأخذون في منف وغفار، وأسلم يأخذون مع وائل من جذام وسعد في بسطة وقربيط وطرانية، وآل يسار بن ضبة في باتريب. قال: وأقامت مدلج بخربت فاتخذوها منزلا، وكان معهم نفر من حمير حالفوهم فيها فهي منازلهم. ورجعت خيشن وطائف من لخم وجذام فنزلوا أكناف ضان وأبليل وطرانية، ولم تكن قيس بالخوف الشرقي قديما، وإنما أنزلهم به ابن الحبحاب وذلك أنه وفد إلى هشام بن عبد الملك فأمر له بفريضة خمسة آلاف رجل،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٦٦/٢

فجعل ابن الحبحاب الفريضة في قيس، وقدم بهم فأنزهم الجوف الشرقي بمصر، فانظر أعزك الله ما كان عليه الصحابة وتابعوهم عند فتح مصر من قلة السكنى بالريف، ومع ذلك فكانت القرى كلها في الإقليم أعلاه وأسفله مملوءة بالقبط والروم، ولم ينتشر إلا بعد المائة من تاريخ الهجرة، وعندما أنزل عبيد الله بن الحبحاب مولى سلول قيسا بالخوف الشرقي فلما كان المائة الثانية من سني الهجرة كثر انتشار المسلمين بقرى مصر ونواحيها وما برحت القبط تنقض وتحارب المسلمين إلى ما بعد المائتين من سني الهجرة. قال أبو عمرو محمد بن يوسف الكندي في كتاب أمراء مصر: وفي إمرة الحر بن يوسف أمير مصر كتب عبيد الله بن الحبحاب صاحب خراج مصر إلى هشام بن عبد الملك بأن أرض مصر تحتمل الزيادة فزاد على كل دينار قيراطا فنقضت كورة تنو ونمى وقريط وطرانية وعامة الحوف الشرقي فبعث إليهم الحر بأهل الديون فحاربهم فقتل منهم خلق كثير وذلك أول نقض القبط بمصر وكان نقضهم في سنة تسع ومائة، ورابط الحر بن يوسف بدمياط ثلاثة أشهر ثم نقض أهل الصعيد وحارب القبط عمالهم في سنة إحدى وعشرين ومائة، فبعث إليهم حنظلة بن صفوان أمير مصر أهل الديون فقتلوا من القبط ناسا كثيرا، فظفر بهم وخرج بحنس وهو رجل من القبط من سنود فبعث إليه عبد الملك بن مروان موسى بن نصير أمير مصر فقتل بحنس في كثير من أصحابه وذلك في سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وخالفت القبط أيضا برشيد ، فبعث إليهم مروان بن محمد الحمار لما دخل مصر، فارا من بن المهلب بن أبي صفرة أمير مصر بناحية سخا ، ونابذوا العمال وأخرجوهم في سنة خمسين ومائة ، وصاروا إلى شبراسنباط ، وانضم إليهم أهل البشرود والأوسية والنخوم ، فأتى الخبر يزيد بن حاتم فعقد لنصر بن حبيب المهلبي على أهل الديوان ووجوه **أهل مصر** ، فخرجوا إليهم ولقيهم القبط من وقتلوا من المسلمين ، فألقى المسلمون النار في عسكر القبط وانصرف العسكر إلى مصر منهزما.." (١)

"وحيث تقرر الحكم الشرعي بالأدلة المعية والبراهين العقلية في هذه المسألة ،فاعلم أن المحاريب المخالفة لمحاريب المخالفة لمحاريب الصحابة التي بقرافة مصر وبالجه البحري من ديار مصر، واقعة في آخر جهة الكعبة من مصر، وخارجه عن حد الجهة، وهي مع ذلك في مقابلة ما بين البجة والنوبة، لافي مقابلة الكعبة، فإنها منصوبة على موازاة خط نصف النهار، ومحاريب الصحابة على موازاة مشرق الشتاء تجاه مطالع العقرب مع ميل يسير عنها إلى ناحية الجنوب، فإذا جعلنا مشرق الشتاء المذكور مقابلة عين الكعبة **لأهل مصر**، وفرضنا جهة ذلك الجزء ربع دائرة الأفق، صار سمت المحاريب التي هي موازية لخط

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٧٣/٢

نصف النهار خارجا عن جهة الكعبة، والذي يستقبلها في الصلاة يصلي إلى غير شطر المسجد الحرام، وهو خطر عظيم فاحذره.

واعلم أن صعيد مصر واقع في جنوب مدينة مصر، وقوص واقعة في شرقي الصعيد، وفيما بين مهب ريح الجنوب والصبا من ديار مصر، فالمتوجه من مدينة قوص إلى عيذاب يستقبل مشرق الشتاء، سواء إلى أن يصل إلى عيذاب حتى ينتهي في البحر إلى جدة، فإذا سار من جدة في البر استقبل المشرق كذلك حتى يحل بمكة، فإذا عاد من مكة استقبل المغرب، فاعرف من هذا أن مكة واقعة في النصف الشرقي من الربع الجنوبي بالنسبة إلى أرض مصر، وهذا هو سمت محاريب الصحابة التي بديار مصر والإسكندرية، وهو الذي يجب أن يكون سمت جميع محاريب إقليم مصر.

برهان آخر: وهو أن من سار من مكة يريد على الجادة، فإنه يستقبل ما بين القطب الشمالي الذي هو الجدي، وبين مغرب الصيف مدة يومين، وبعض اليوم الثالث، وفي هذه المدة يكون مهب النكباء التي بين الشمال والمغرب تلقاء وجهه، ثم يستقبل بعد ذلك في مدة ثلاثة أيام أوسط الشمال، بحيث يبقى الجدي تلقاء وجهه إلى أن يصل إلى بدر ، فإذا سار من بدر إلى المدينة النبوية صار مشرق الصيف تلقاء وجهه تارة ومشرق الإعتدال تارة إلى أن ينتهي إلى المدينة، فإذا رجع من المدينة إلى الصفراء، استقبل مغرب الشتاء إلى أن يعدل إلى ينبع، فيصير تارة يسير شمالا وتارة يسير مغربا، ويكون ينبع من مكة على حد النكباء التي بين الشمال ومغرب الصيف، فإذا سار من ينبع استقبل مابين الجدي ومغرب الثريا، وهو مغرب الصيف، وهبت النكباء تلقاء وجهه إلى أن يصل إلى مدين، فإذا سار من مدين استقبل تارة الشمال وأخرى مغرب الصيف حتى يدخل إيلة، ومن إيلة لايزال يستقبل مغرب الإعتدال تارة ويميل عنه إلى جهة الجنوب مع استقبال مغرب الشتاء أخرى، إلى أن يصل إلى القاهرة ومصر، فلو فرضنا خطأ خرج من محاريب مصر الصحيحة التي وضعها الصحابة، ومر على استقامة من غير ميل ولاانحراف لاتصل بالكعبة ولصق بها.

واعلم أن أهل مصر والإسكندرية وبلاد الصعيد وأسفل الأرض وبرقة وإفريقية وطرابلس المغرب وصقلية والأندلس وسواحل المغرب إلى السوس الأقصى والبحر المحيط وما على سمت هذه البلاد ، يستقبلون في صلاتهم من الكعبة ما بين الركن الغربي إلى الميزاب، وما على سمت هذه البلاد، يستقبل الكعبة في شيء من هذه البلاد فليجعل بنات نعش إذا غربت خلف كتفه الأيسر، وإذا طلعت على صدغه الأيسر ، ويكون الجدي على أذنه اليسرى، ومشرق الشمس تلقاء وجهه أو ريح الشمال خلف أذنه اليسرى، أو ريح الدبور خلف كتفه الأيمن، أو ريح الجنوب التي تهب من ناحية الصعيد على عينه اليمنى، فإنه حينئذ

يستقبل من الكعبة سمت محاريب الصحابة الذين آمرنا الله بإتباع سبيلهم، ونهانا عن مخالفتهم بقوله عز وجل: " ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا " النساء١٥٥ . ألهمنا الله بمنه اتباع طريقهم، وصيرنا بكرمه من حزبهم وفريقهم إنه على كل شيء قدير.

جامع العسكر." (١)

"هذا الجامع بظاهر مصر، وهو حيث الفضاء الذي هو اليوم فيما بين جامع أحمد بن طولون وكوم الجارح بظاهر مدينة مصر، وكان إلى جانب الشرطة والدار التي يسكنها أمراء مصر، ومن هذه الدار إلى الجامع باب، وكان يجمع فيه الجمعة، وفيه منبر ومقصرة، وهذا الجامع بناه الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس في ولايته إمارة مصر، ملاصقا لشرطة العسكر التي كانت يقال لها الشرطة العليا، في سنة تسع وستين ومائة، فكانوا يجمعون فيه، وكانت ولاية الفضل إمارة مصر من قبل المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور على الصلاة والخراج، فدخلها سلخ المحرم سنة تسع وستين ومائة، في عسكر من الجند عظيم أتى بهم من الشام، ومصر تضطرم لما كان في الحوف، ولخروج دحية بن مصعب بن الأصبع بن عبد العزيز بن مروان، فقام في ذلك وجهز الجنود حتى أسر دحية وضرب عنقه في جمادى الآخرة من السنة المذكورة، وكان يقول أنا أولى الناس بولاية مصر لقيامي في أمر دحية، وقد عجز عنه غيري، حتى كفيت **أهل مصر** أمره، فعزله موسى الهادي لما استخلف بعد موت أبيه المهدي، بعدما أقره فندم الفضل على قتل دحية وأظهر توبة وسار إلى بغداد، فمات عن خمسين سنة، في سنة اثنتين وسبعين ومائة، ولم يزل الجامع بالعسكر إلى بغداد، فمات عن خمسين سنة ، في سنة اثنتين وسبعين ومائة، ولم يزل الجامع بالعسكر إلى أن ولي عبد الله بن ظاهر بن الحسين بن مصعب مولى خزاعة على صلاة مصر وخراجها، من قبل عبد الله أمير المؤمنين المأمون في ربيع الأول سنة إحدى عشرة ومائتين، فزاد في عمارته، وكان الناس يصلون فيه الجمعة قبل بناء جامع أحمد بن طولون، ولم يزل هذا الجامع بالعسكر إلى ما بعد الخمسمائة من سني الهجرة. قال ابن المأمون في تاريخه من حوادث سنة سبع عشرة وخمسمائة، وكان يطلق في الأربع ليالي الوقود وهي مستهل رجب ونصفه، ومستهل شعبان ونصفه، برسم الجوامع الستة، الأزهر والأنور والأقمر بالقاهرة ، والطولوني والعتيق بمصر، وجامع القرافة والمشاهد التي تتضمن الأعضاء الشريفة، وبعض المساجد التي يكون لأربابها وجاهة جملة كثيرة من الزيت الطيب، ويختص بجامع راشدة

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٧٦/٢

وجامع ساحل الغلة بمصر، والجامع بالمقس يسير، ويعني بجامع ساحل الغلة جامع العسكر ، فإن العسكر حينئذ كان قد خرب وحملت أنقاضه، وصار الجامع بساحل مصر، وهو الساحل القديم المذكور في موضعه من هذا الكتاب.

؟العسكر." (١)

"ورأى أحمد بن طولون الصناع يبنون في الجامع عند العشاء، وكان في شهر رمضان فقال: متى يشتري هؤلاء الضعفاء إفطارا لعيالهم وأولادهم، اصرفوهم العصر. فصارت سنة إلى اليوم بمصر. فلما فرغ شهر رمضان ، قيل له: قد انقضى شهر رمضان قيل له: قد انقضى شهر رمضان فيعودون إلى رسمهم. فقال: قد بلغني دعاؤهم، وقد تبركت به، وليس هذا مما يوفر العمل علينا. وفرغ منه في شهر رمضان سنة خمس وستين ومائتين، وتقرب الناس إلى أحمد بن طولون بالصلاة فيه، وألزم أولادهم كلهم صلاة الجمعة في فوارة الجامع، ثم يخرجون بعد الصلاة إلى مجلس الربيع بن سليمان ليكتبوا العلم، مع كل واحد منهم وراق وعدة غلمان. وبلغت النفقة على هذا الجامع في بنائه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار. ويقال أحمد بن طولون رأى في منامه كأن الله تعالى قد تجلى ووقع نوره على المدينة التي حول الجامع، إلا الجامع فإنه لم يقع عليه من النور شيء. فتألم وقال: والله مابنيته إلا لله خالصا، ومن المال الحلال الذي لاشبهة فيه. فقال له معبر حاذق: هذا الجامع يبقى ويخرب كل ما حوله، لأن الله تعالى قال: " فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا " الأعراف١٤٣ . فكل شيء يقع عليه جلال الله عز وجل لايثبت. وقد صح تعبير هذه الرؤيا، وبقي الجامع عامرا، ثم عادت العمارة لما حوله كما هي الآن.

قال القضاعي رحمه الله، وذكر أن السبب في بنائه، أن **أهل مصر** شكوا إليه ضيق الجامع يوم الجمعة من جنده وسودانه، فأمر بإنشاء المسجد الجامع بجبل يشكر بن جديلة من لخم، فابتدأ بنيانه في سنة ثلاث وستين ومائتين، وفرغ منه سنة خمس وستين ومائتين وقيل أن أحمد بن طولون قال: أريد أن أبني بناء، إن احترقت مصر بقي، وإن غرقت بقي. فقيل له: يبنى بالجير والرماد والآجر الأحمر القوي النار إلى السقف، ولايجعل فيه أساطين رخام، فإنه لاصبر لها على النار، فبناه هذا البناء وعمل في مؤخرة ميأة وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والأدوية، وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة، وبناء جامع سامراء، وكذلك المنارة، وعلق فيه سلاسل النحاس المفرغة، والقناديل المحكمة، وفرشه بالحصر العبدانية والسامانية.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٤٧٧/٢

حديث الكنز:قال جامع السيرة: لما ورد على أحمد بن طولون كتاب المعتمد بما استدعاه من رد الخراج بمصر إليه، وزاده المعتمد مع ما طلب الثغور الشامية، رغب بنفسه عن المعادن ومرافقها، فأمر بتركها، وكتب بإسقاطها في سائر الأعمال، ومنع المتقلبين من الفسخ على المزارعين، وخطر الارتفاق على العمال، وكان قبل إسقاط المرافق بمصر، قد شاور عبد الله بن دسومة في ذلك، وهو يومئذ أمين على أبي أيوب متولي الخراج. فقال: إن أمنني الأمير تكلمت بما عندي. فقال له: قد أمنك الله عز وجل. فقال: أيها الأمير، إن الدنيا والآخرة ضرتان والحازم من لم يخلط إحدهما مع الأخرى، والمفرط من خلط بينهما، فيتلف أعماله ويبطل سعيه، وأفعال الأمير أيده الله الخير وتوكله توكل الزهاد، وليس مثله من ركب خطة لم يحكمها، ولو كنا نثق بالنصر دائما طول العمر، لما كان شيء عندنا آثر من التضييق على أنفسنا في العاجل بعمارة الآجل، ولكن الإنسان قصير العمر، كثير المصائب، مدفوع إلى الآفات، وترك الإنسان ما قد أمكنه وصار في يده تضييع، ولعل الذي حماه، نفسه يكون سعادة لمن يأتي من بعده، فيعود ذلك توسعة لغيره بما حرمه هو، ويجتمع للأمير أيده الله بما قد عزم على إسقاطه من الرافق في السنة بمصر دون غيرها مائة ألف دينار، وإن فسخ ضياع الأمراء والمتقبلين في هذه السنة، لأنها سنة ظمأ توجب الفسيخ، زاد مال البلد وتوفر توفرا عظيما ينضاف إلى مال المرافق، وكل ما عدل الأمير أيده الله إليه من أمر غير هذا، فهو مفسد لدنياه، وهذا رأيي، والأمير أيده الله على ما عساه يراه.." (١)

"فيخطب خطبة قصيرة من مسطورة يحضر إليه من ديوان الإنشاء، يقرأ فيها آية من القرآن الكريم، ولقد سمعته مرة في خطابته بالجامع الأزهر وقد قرأ في خطبته " رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي علي وعلى والدي " الآية، ثم يصلي على أبيه وجده، يعني بهما محمدا صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويعظ الناس وعظا بليغا قليل اللفظ، وتشتمل الخطبة على ألفاظ جزلة، ويذكر من سلف من آبائه حتى يصل إلى نفسه فقال: وأنا أسمعه، اللهم وأنا عبدك وابن عبدك لاأملك لنفسي ضرا ولا نفعا، ويتوسل بدعوات فخمة تليق بمثله، ويدعو للوزير إن كان، وللجيوش بالنصر والتأليف، وللعساكر بالظفر وعلى الكافرين، والمخالفين بالهلاك والقهر، ثم يختم بقوله إذكروا الله يذكركم. فيطلع إليه من زر عليه ويفك ذلك التزرير وينزل القهقرى، وسبب التزرير عليهم قراءتهم من مسطور لا كعادة الخطباء، فينزل الخليفة ويصير على تلك الطراحات الثلاث في المحراب وحده إماما، ويقف الوزير وقاضي القضاة صفا، ومن ورائهما الأستاذون المحنكون والأمراء المطوقون وأرباب الرتب من أصحاب السيوف والأقلام والمؤذنون وقوف،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢/٤٨٠

وظهورهم إلى المقصورة لحفظه، فإذا سمع الوزير الخليفة أسمع القاضي فأسمع القاضي المؤذنين وأسمع المؤذنون الناس، هذا والجامع مشحون بالعالم للصلاة وراء، فيقرأ ما هو مكتوب في الستر الأيمن في الركعة الأولى، وفي الركعة الثانية ما هو مكتوب في الستر الأيسر، وذلك على طريق التذكار خيفة الإرتجاج، فإذا فرغ خرج الناس وركبوا أولا فأولا وعاد طالبا القصر والوزير وراءه، وضربت البوقات والطبول في العود، فإذا أتت الجمعة الثانية ركب إلى الجامع الأزهر من القشاشين على المنوال الذي ذكرناه والقالب الذي وصفناه، فإذا كانت الجمعة الثالثة أعلم بركوبه إلى مصر في جامعها، فيزين له من باب القصر أهل القاهرة إلى جامع ابن طولون، ويزين له **أهل مصر** من جامع ابن طولون إلى الجامع بمصر، يرتب ذلك والي مصر، كل أهل معيشة في مكان، فيظهر المختار من الآلت والستور المثمنات ويهتمون بذلك ثلاثة أيام ولياليهن والوالي مار وعائد بينهم، وقد ندب من يحفظ الناس ومتاعهم، فيركب يوم الجمعة المذكور شاقا لذلك كله على الشارع الأعظم إلى مسجد عبد الله الخراب اليوم، إلى دار الأنماط إلى الجامع بمصر، فيدخل إليه من المعونة، ومنها باب متصل بقاعة الخطيب بازي الذي تقدم ذكره في خطبة الجامعين بالقاهرة، وعلى ترتيبهما. فإذا قضى الصلاة عاد من طريقه بعينها شاقا بالزينة إلى أن يصل إلى القصر ويعطى أرباب المساجد التي يمر عليها كل واحد دينارا.

وقال ابن المأمون: ووصل من الطراز الكسوة المختصة بغرة شهر رمضان وجمعتيه برسم الخليفة للغرة بدلة كبيرة موكبية مكملة مذهبة، وبرسم الجامع الأزهر للجمعة الأولى من الشهر بدلة موكبية حرير مكملة م نديلها وطيلسانها بياض، وبرسم الجامع الأنور للجمعة الثانية بدلة منديلها وطيلسانها شعري، وما هو برسم أخي الخليفة للغرة خاصة بدلة مذهبة، وبرسم أربع جهات للخليفة أربع حلل مذهبات، وبرسم الوزير للغرة خلعة مذهبة مكملة موكبية، وبرسم الجمعتين بدلتان حريريتان، ولم يكن لغير الخليفة وأخيه والوزير في ذلك شيء فنذكره.

جامع راشدة

هذا الجامع عرف بجامع راشدة لأنه في خطة راشدة. قال القضاعي: خطة راشدة بن جديلة من لخم، هي متاخمة للخطة التي قبلها إلى الدير المعروف كان بأبي تكموس، ثم وهو الجامع الكبير الذي براشدة، وقد دثرت هذه الخطة، ومنها المقبرة المعروفة بمقبرة راشدة، والجنان التي كانت تعرف بكهمس بن معر، ثم عرفت بالمارداني، وهي اليوم تعرف بالأمير تميم.." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢/٥٠٠

"هذا الجامع بخط الكافوري من القاهرة، كان موضعه من جملة أراضي البستان، ثم صار مما اختط كما تقدم ذكره، فأنشأه القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدمشقي ناظر الجيوش في سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة، ولم يسخر أحدا في عمله بل وفي لهم أجورهم حتى كمل في أحسن هندام وأكيس قالب وأبدع زي ترتاح النفوس لرؤيته وتبتهج عند مشاهدته، فهو الجامع الزاهر والمعبد الباهي الباهر، ابتديء فيه بإقامة الجمعة في يوم الجمعة الثاني من صفر سنة ثلاث وعشرين، ورتب في خطابته فتح الدين أحمد بن محمد بن النقاش أحد شهود الحوانيت وموقعي القضاة، ثم رتب به صوفية، وولى مشيخة التصوف عز الدين عبد السلام بن داود بن عثمان المقدسي الشافعي، أحد نواب الحكم، فكان ابتداء حضورهم بعد عصر يوم السبت أول شهر رجب منها، وأجرى للفقراء الصوفية الخبز في كل يوم، والمعلوم في كل شهر، وبنى لهم مساكن وحفر صهريجا يملأ من ماء النيل ويسبل في كل يوم، فعم نفعه وكثر خيره. ثم تجدد في بولاق جامع ابن الجابي وجامع ابن السنيتي، وتجدد في مصر جامع الحسنات بخط دار النحاس، وفي حكر الصبان الجامع المعروف بالمستجد، وبجامع الفتح، وفي حارة الفقراء جامع عبد اللطيف الطواشي الساقي. وتجدد في خارج القاهرة بسويقة صفية جامع ابن درهم ونصف، وفي خط معدية فريج جماع كزل بغا، وفي رأس درب النيدي جامع حارس الطير، وفي سويقة عصفور جامع القاضي أمين الدين بجانب زاوية الفقيه المعتقد أبي عبد الله محمد الفارقاني، بنى في سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة، وبخط البراذعيين ورأس حارة الحرمين جامع الحاج محمد المعروف بالمسكين مهتار ناظر الخاص. وتجدد في المراغة جامع الشيخ أبي بكر المعرف، بناه الحاج أحمد القماح، وأقيمت خطبة بخانكاه الأمير جاني بك الأشرفي خارج باب زويلة، وتوفي يوم الخميس سابع عشرى ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، وبخط باب اللوق جامع مقدم السقائين قريبا من جامع الست نصرة، وبخط تحت الربع خارج باب زويلة جامع.وتجدد بالصحراء قريبا من تربة الظاهر برقوق خطبة في تربة السلطان الملك الأشرف برسباي الدقاقي. وتجدد في آخر سويقة أمير الجيوش بالقاهرة جامع أنشأه الفقير المعتقد محمد الغمري، وأقميت به الجمعة في يوم الجمعة رابع ذي الحجة سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة قبل أن يكمل. وتجدد في زاوية الشيخ أبي العباس البصير التي عند قنطرة الخرق خطبة. وتجدد في حدرة الكماجيين من أراضي اللوق خطبة بزاوية مطلة على غيط العدة، وتجدد بالصحراء خطبة في تربة الأمير مشير الدولة كافور الزمام، وتوفي في خامس عشر ربيع الآخر سنة ثلاثين وثمانمائة. وتجدد بخط الكافوري خطبة أحدثها بنو وفاء في جامع لطيف جدا. وتجدد بمدرسة ابن البقري من القاهرة أيضا خطبة في أيام المؤيد شيخ. وتجدد بحارة الديلم خطبة في مدرسة

أنشأها الطواشي مشير الدولة المذكور. وتجدد عند قنطرة قدادار خطبة أنشأها شاكر البناء، وخطبة بالقرب منها في جامع أنشأه الحاج إبراهيم البردار الشهير بالحمصاني، أحد الفقراء الأحمدية السطوحية في حدود الثلاثين والثمانمائة.

مذاهب أهل مصر

ونحلهم منذ افتتح عمرو بن العاص رضي الله عنه أرض مصر إلى أن صاروا إلى اعتقاد مذاهب الأئمة رحمهم الله تعالى،وما كان من الأحداث في ذلك.." (١)

"اعلم أن الله عز وجل لما بعث نبينا محمدا رسولا إلى كافة الناس جميعا عربهم وعجمهم، وهم كلهم أهل شرك وعبادة لغير الله تعالى إلا بقايا من أهل الكتاب، كان من أمره مع قريش ما كان حتى هاجر من مكة إلى المدينة، فكانت الصحابة رضوان الله عليهم حوله يجتمون إليه في كل وقت مع ما كانوا فيه من ضنك المعيشة وقلة القوت، فمنهم من كان يحترف في الأسواق، ومنهم من كان يقوم على نخله، ويحضر رسول الله في كل وقت، ومنهم طائفة عندما تجد أدنى فراغ مما هم بسبيله من طلب القوت، فإذا سئل رسول الله عن مسألة، أو حكم بحكم، أو أمر بشيء، أو فعل شيا وعاه من حضر عنده من الصحابة، وفات من غاب عنه علم ذلك، ألا ترى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد خفي عليه ما علمه حمل بن مالك بن النابغة، من الأعراب من هذيل، في دية الجنين وخفي عليه. وكان يفتي في زمن النبي من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وأبو الدراء وأبو موسى الأشعري وسلمان الفارسي رضي الله عنهم.فلما مات رسول الله واستخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه، تفرقت الصحابة رضي الله عنهم، فمنهم من خرج لقتال مسيلمة وأهل الردة، ومنهم من خرج لقتال أهل الشام، ومنهم من خرج لقتال أهل العراق، وبقي من الصحابة بالمدينة مع أبي بكر رضي الله عنه عدة، فكانت القضية إذا نزلت بأبي بكر رضي الله عنه قضى فيها بما عنده من العلم بكتاب الله أو سنة رسول الله ، فإن لم يكن عنده فيها علم من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ، سأل من بحضرته من الصحابة رضي الله عنهم عن ذلك، فإن وجد عندهم علمآمن ذلك رجع إليه وإلا اجتهد في الحكم.ولما مات أبو بكر وولي أمر الأمة من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فتحت الأمصار وزاد تفرق الصحابة رضي الله عنهم فيما افتتحوه من الأقطار، فكانت الحكومة تنزل بالمدينة أو غيرها من البلاد، فإن كان عند الصحابة الحاضرين لها في ذلك

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٦٧/٣

أثر عن رسول الله ، حكم به، وإلا اجتهد أمير تلك البلدة في ذلك، وقد يكون في تلك القضية حكم عن النبي موجود عند صاحب آخر، وقد حضر المدني ما لم يحضر المصري، وحضر المصري ما لم يحضر الشامي، وحضر الشامي ما لم يحضر البصري، وحضر البصري ما لم يحضر الكوفي، وحضر الكوفي ما لم يحضر المدني. كل هذا موجود في الآثار، وفيما علم من مغيب بعض الصحابة عن مجلس النبي في بعض الأوقات، وحضور غيره. ثم مغيب الذي حضر أمس وحضور الذي غاب، فيدري كل واحد منهم ما حضر، ويفوته ما غاب عنه، فمضى الصحابة رضي الله عنهم على ما ذكرنا، ثم خلف بعدهم التابعون الآخرون عنهم وكل طبقة من التابعين في البلاد التي تقدم ذكرها، فإنما تفقهوا مع من كان عندهم من الصحابة، فكانوا لا يتعدون فتاويهم إلا اليسير مما بلغهم عن غير من كان في بلادهم من الصحابة رضي الله عنهم، كأتباع أهل المدينة في أكثر فتاوي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، واتباع أهل الكوفة في الأكثر فتاوي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، واتباع أهل مكة في الأكثر فتاوي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، واتباع **أهل مصر** في الأكثر فتاوي عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ثم أتى من بعد التابعين رضي الله عنهم فقهاء الأمصار، كأبي حنيفة وسفيان وابن أبي ليلى بالكوفة، وابن جريج بمكة، ومالك وابن الماجشون بالمدينة، وعثمان البتي وسوار بالبصرة، والأوزاعي بالشام، والليث بن سعد بمصر، فجروا على تلك الطريق من أخذ كل واحد منهم عن التابعين من أهل بلده، فيما كان عندهم واجتهادهم فيما لم يجدوا عندهم، وهو موجود عند غيرهم.وأما مذاهب **أهل مصر**: فقال أبو سعيد بن يونس: إن عبيد بن مخمر المغافري يكنأبا أمية، رجل من أصحاب النبي ، شهد فتح مصر، روى عنه أبو قبيل. يقال أنه كان أول من أقرأ القرآن بمصر. وذكر أبو عمرو الكندي أن أبا ميسرة عبد الرحمن بن ميسرة مولى الملامس الحضرمي كان فقيها عفيفا شريفا، ولد سنة عشر ومائة، وكان أول الناس إقراء بمصر بحرف نافع قبل الخمسين ومائة، وتوفي سنة ثمان وثمانين ومائة، وذكر عن أبي قبيل وغيره أن يزيد بن أبي حبيب أول من نشر العلم بمصر في الحلال والحرام، وفي رواية ابن يونس." (١)

"ومسائل الفقه، وكانوا قبل ذلك إنما يتحدثون في الفتن والترغيب. وعن عون بن سليمان الحضرمي قال: كان عمر بن عبد العزيز قد جعل الفتيا بمصر إلى ثلاثة رجال، رجلان من الموالي ورجل من العرب، فأما العربي فجعفر بن ربيعة، وأما الموليان فيزيد بن أبي حبيب ،و عبد الله بن أبي جعفر .فكان العرب أنكروا ذلك، فقال عمر بن عبد العزيز : ما ذنبي إن كانت الموالي تسمو بأنفسها صعدا وأنتم لا تسمون.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٦٨/٣

وعن ابن أبي قديد كانت البيعة إذا جاءت للخليفة أول من يبايع عبد الله بن أبي جعفر ويزيد بن أبي حبيب ثم الناس بعد. وقال أبو سعيد بن يونس في تاريخ مصر عن حيوة بن شريح قال: دخلت على حسين بن شفي بن مانع الأصبحي وهو يقول: فعل الله بفلان. فقلت: ما له؟ فقال: عمد إلى كتابين كان شفي سمعهما من عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أحدهما قضى رسول الله في كذا، وقال رسول الله كذا، والآخر ما يكون من الأحداث إلى يوم القيامة، فأخذهما فرمى بهما بين الخولة والرباب. قال أبو سعيد بن يونس: يعني بقوله الخولة والرباب مركبين كبيرين من سفن الجسر كانا يكونان عند رأس الجسر مما يلي الفسطاط يجوز من تحتهما لكبرهما المراكب. وذكر أبو عمرو الكندي أن أبا سعيد عثمان بن عتيق مولى غافق، أول من رحل من **أهل مصر** إلى العراق في طلب الحديث، توفي سنة أربع وثمانين ومائة انتهى. وكان حال أهل الإسلام من **أهل مصر** وغيرها من الأمصار في أحكام الشريعة على ما تقدم ذكره، ثم كثر الترحل إلى الآفاق وتداخل الناس والتقوا وانتدب أقوام لجمع الحديث النبوي وتقييده، فكان أول من دون العلم محمد بن شهاب الزهري، وكان أول من صنف وبوب سعيد بن عروبة والربيع بن صبيح بالبصرة، ومعمر بن راشد باليمن، وابن جريج بمكة، ثم سفيات الثوري بالكوفة، وحماد بن سلمة بالبصرة، والوليد بن مسلم بالشام، وجرير بن عبد الحميد بالري، وعبد الله بن المبارك بمرو وخراسان، وهشيم بن بشير بواسط، وتفرد بالكوفة أبو بكر بن أبي شيبة بتكثير الأبواب وجودة التصنيف وحسن التأليف، فوصلت أحاديث رسول الله من البلاد البعيدة إلى من لم تكن عنده، وقامت الحجة على من بلغه شيء منها، وجمعت الأحاديث المبينة لصحة أحد التأويلات المتأولة من الأحاديث، وعرف الصحيح من السقيم، وزيف الاجتهاد المؤدي إلى خلاف كلام رسول الله ، وإلى ترك عمله، وسقط العذر عمن خالف ما بلغه من السنن ببلوغه إليه، وقيام الحجة عليه، وعلى هذا الطريق كان الصحابة رضي الله عنهم وكثير من التابعين يرحلون في طلب الحديث الواحدة الأيام الكثيرة، يعرف ذلك من نظر في كتب الحديث، وعرف سير الصحابة والتابعين. فلما قام هارون الرشيد في الخلافة، وولى القضاء أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم أحد أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى بعد سنة سبعين ومائة، فلم يقلد ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر إلا من أشاربه القاضي أبو يوسف رحمه الله، واعتنى به، وكذلك لما قام بالأندلس الحكم المرتضى بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بعد أبيه، وتلقب بالمنتصر في سنة ثمانين ومائة، اختص بيحيى بن يحيى بن كثير الأندلسي، وكان قد حج وسمع الموطأ من مالك إلا أبوابا، وحمل عن ابن وهب وعن ابن القاسم وغيره علما كثيرا،وعاد إلى فالأندلس ،فنال من الرياسة والحرمة ما لم ينله غيره

،وعادت الفتيا إليه وانتهى ا لسلطان والعامة إلى بابه، فلم يقلد في سائر أعمال الأندلس قاض الإ بإشارتة واعتنائه، فصاروا على رأي مالك بعدما كانوا على رأي الأوزاعي، وقد كان مذهب الإمام مالك أدخله إلى الأندلس زياد بن عبد الرحمن الذي يقال له بسطور، قبل يحيى بن يحيى، وهو أول من أدخل مذهب مالك الأندلس، وكانت إفريقية الغالب عليها السنن والاثار إلى أن قدم عبد الله بن فروج أبو م‍حمد الفارسي بمذهب أبي حنيفة، ثم غلب أسد بن الفرات بن سنان قاضي إفريقية بمذهب أبي حنيفة، ثم لما ولي سحنون بن سعيد التنوخي قضاء افريقية، بعد ذلك نشر فيهم مذهب مالك وصار القضاء في أصحاب سحنون دولا يتصاولون على الدنيا تصاول الفحول على الشول إلى أن تولى القضاء بها بنو هاشم، وكانوا مالكية، فتوارثوا القضاء كما تتوارث الضياع.ثم إن المعز بن باديس حمل جميع أهل إفريقية على التمسك بمذهب مالك وترك ماعداه." (١)

"أول من قدم بعلم مالك:إلى مصر عبد الحي بن خالد بن يزيد بن يحيى مولى جمح، وكان فقيهاروى عنه الليث وابن وهب ورشيد بن سعد، وتوفي بالإسكندرية سنة ثلاث وستين ومائة، ثم نشره بمصر عبد الرحمن بن القاسم، فاشتهر مذهب مالك بمصرأكثر من مذهب أبي حنيفة لتوفر اصحاب مالك بمصر، ولم يكن مذهب أبي حنيفة رحمه الله يعرف بمصر. قال ابن يونس: وقدم إسماعيل بن اليسع الكوفي قاضيا بعد ابن لهيعة، وكان من خير قضاتنا، غير أنه كان يذهب إلى قول أبي حنيفة، ولم يكن **أهل مصر** يعرفون مذهب أبي حنيفة، وكان مذهبه إبطال الأحباس، فثقل أمره على **أهل مصر** وسئموه، ولم يزل مذهب مالك مشتهرا بمصر حتى قدم الشافعي محمد بن ادريس إلى مصر مع عبد الله بن العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس في سنة ثمان وتسعين ومائة، فصحبه من **أهل مصر** جماعة من أعيانها كبني عبد الحكم والربيع بن سليمان وأبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني، وأبي يعقوب يوسف بن يحيى البويطي، وكتبوا عن الشافعي ما ألفه، وعملوا بما ذهب إليه، ولم يزل أمر مذهبه يقوى بمصر وذكره ينتشر.قال أبو عمرو الكندي في كتاب أمراء مصر: ولم يزل **أهل مصر** على الجهر بالبسملة في الجامع العتيق إلى سنة ثلاث وخمسين ومائتين. قال: ومنع أرجون صاحب شرطة مزاحم بن خاقان أمير مصر من الجهر بالبسملة في الصلوات بالمسجد الجامع، وأمر الحسين بن الربيع إمام المسجد الجامع بتركها، وذلك في رجب سنة ثلاث وستين ومائتين، ولم يزل **أهل مصر** على الجهر بها في المسجد الجامع منذ الإسلام إلى أن منع منها أرجون. قال: وأمر أن تصلى التراويح في شهر رمضان خمس تراويح،

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٦٩/٣

ولم يزل **أهل مصر** يصلون ست تراويح حتى جعلها أرجون خمسا في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين، ومنع من التثويب، وأمر بالأذان يوم الجمعة في مؤخر المسجد، وأمر بالتغليس بصلاة الصبح، وذلك أنهم أسفروا بها، وما زال مذهب مالك ومذهب الشافعي رحمهما الله تعالى يعمل بهما **أهل مصر**، ويولى القضاء من كان يذهب إليهما أو إلى مذهب أبي حنيفة رحمه الله، إلى أن القائد جوهر من بلاد إفريقية في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بجيوش مولاه المعز لدين الله أبي تميم معد وبنى مدينة القاهرة.فمن حينئذ فشا بديار مصر مذهب الشيعة وعمل به في القضاء والفتيا وأنكر ما خالفه،ولم يبق مذهب سواه، وقد كان التشيع بأرض مصر معروفا قبل ذلك. قال أبو عمرو الكندي في كتاب الموالي عن عبد الله بن لهيعة أنه قال: قال يزيد بن أبي حبيب: نشأت بمصر وهي علوية، فقلبتها عثمانية. وكان ابتداء التشيع في الإسلام أن رجلا من اليهود في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أسلم، فقيل له عبد الله بن سبأ، وعرف بابن السوداء، وصار ينتقل من الحجاز إلى أمصار المسلمين يريد إضلالهم، فلم يطق ذلك فرجع الى كيد الإسلام وأهله، ونزل البصرة في سنة ثلاث وثلاثين فجعل يطرح على أهلها مسائل ولا يصرح، فأقبل عليه جماعة ومالوا إليه وأعجبوا بقوله، فبلغ ذلك عبد الله بن عامر وهو يومئذ على البصرة، فأرسل إليه فلما حضر عنده سأله ما أنت فقال رجل من أهل الكتاب رغبت في الإسلام وفي جوارك. فقال ما شيء بلغني عنك، أخرج عني. فخرج حتى نزل الكوفة، فأخرج منها فسار إلى مصر واستقر بها وقال في الناس العجب ممن يصدق أن عيسى يرجع ويكذب أن محمدا يرجع، وتحدث في الرجعة حتى قبلت منه، فقال بعد ذلك: أنه كان لكل نبي وصي، وعلي بن أبي طالب وصي محمد، فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله في أن علي بن أبي طالب وصيه في الخلافة على أمته، واعلموا أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق، فانهضوا في هذا الأمر وابدؤوا بالطعن على أمرائكم، فأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا به الناس، وبث دعاته وكاتب من مال إليه من أهل الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وصاروا يكتبون إلى الأمصار كتبا يضعونها في عيب ولا تهم، فيكتب أهل كل مصر منهم إلى أهل المصر الآخر بما يضعون حتى ملوا بذلك الأرض إذاعة، وجاء إلى أهل المدينة من جميع الأمصار، فأتوا عثمان رضي الله عنه في سنة خمسة وثلاثين وأعلموه ما أرسل به أهل الأمصار من شكوى عمالهم، فبعث محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأسامة بن زيد إلى البصرة، وعمار بن ياسر إلى مصر، وعبد." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٧١/٣

"الله بن عمر إلى الشام، لكشف سير العمال. فرجعوا إلى عثمان إلا عمارا وقالوا: ما أنكرنا شيئا، وتأخر عمار فورد الخبر إلى المدينة بأنه قد استماله عبد الله ابن السوداء في جماعة، فأمر عثمان عماله أن يوافوه بالموسم، فقدموا عليه واستشاروه، فكل أشار برأي، ثم قدم المدينة بعد الموسم فكان بينه وبين علي بن أبي طالب كلام فيه بعض الجفاء بسبب إعطائه أقاربه ورفعه لهم على من سواهم، وكان المنحرفون عن عثمان قد تواعدوا يوما يخرجون فيه بأمصارهم إذ سار عنها الأمراء، فلم يتهيأ لهم الوثوب، وعندما رجع الأمراء من الموسم تكاتب المخالفون في القدوم إلى المدينة لينظروا فيما يريدون، وكان أمير مصر من قبل عثمان رضي الله عنه، عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، فلما خرج في شهر رجب من مصر في سنة خمس وثلاثين استخلف بعده عقبة بن عامر الجهني في قول الليث بن سعد. وقال يزيدبن أبي حبيب: بل استخلف ع‍ل‍ى مصر السائب بن هشام العامري وجعل على الخراج سليم بن عنز التجيبي، فانتزى محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف في شوال من السنة المذكورة، وأخرج عقبة بن عامر من الفسطاط، ودعا إلى خلع عثمان رضي الله عنه، واسعر البلاد وحرض على عثمان بكل شيء يقدر عليه، فكان يكتب الكتب على لسان أزواج رسول الله ، ويأخذ الرواحل فيضمرها ويجعل رجالا على ظهور البيوت ووجوههم إلى وجه الشمس لتلوح وجوههم تلويح المسافر، ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة بمصر، ثم يرسلون رسلا يخبرون بهم الناس ليلقوهم و قد أمرهم إذا لقيهم الناس أن يقولوا ليس عندنا خبر الخبر في الكتب، فيجيء رسول أولئك الذين دس فيذكر مكانهم فيتلقاهم ابن أبي حذيفة والناس يقولون: نتلقى رسل أزواج رسول الله،فإذا لقوهم قالوا لهم ما الخبر؟ قالوا: لا خبرعندنا، عليكم بالمسجد ليقرأعليكم كتاب أزواج النبي، فيجتمع ال‍ن‍اس في المسجد اجتماعا ليس فيه تقصير، ثم يقوم القارىء بالكتاب فيقول: إنا نشكو إلى الله وإليكم ما عمل في الإسلام وما صنع في الإسلام، فيقوم أولئك الشيوخ من نواحي المسجد بالبكاء فيبكون، ثم ينزل عن المنبر ويتفرق الناس بما قريء عليهم.فلما رأت ذلك شيعة عثمان رضي الله عنه اعتزلوا محمد بن أبي حذيقة ونابذوه،وهم معاوية بن خديج، وخارجة بن حذاقة، وبسر بن أرطاة، ومسلمة بن مخلد، وعمرو بن قحزم الخولاني، ومقسم بن بجرة، حمزة بن سرح بن كلال، وأبو الكنود سعد بن مالك الأزلي، وخالد بن ثابت الفهمي، في جمع كثير وبعثوا سلمة بن مخزمة التجيبي إلى عثمان ليخبره بأمرهم وبصنيع ابن أبي حذيفة، فبعث عثمان رضي الله عنه سعد بن أبي وقاص ليصلح أمرهم، فبلغ ذلك ابن أبي حذيفة فخطب الناس وقال: إلاأن الكذا والكذا قد بعث إليكم سعد بن مالك ليقل جماعتكم ويشتت كلمتكم ويوقع التجادل بينكم، فانفروا إليه، ف‍خ‍رج منهم مائة أو نحوها، وقد ضرب

فسطاطه وهو قائل: فقلبوا عليه فسطاطه وشجوه وسبوه، فركب راحلته وعاد راجعا من حيث جاء. وقال: ضربكم الله بالذل والفرقة، وشتت أمركم، وجعل بأسكم بينكم، ولا أرضاكم بأمير، ولا أرضاه عنكم. وأقبل عبد الله بن سعد حتى بلغ جسر القلزم، فإذا بخيل لابن أبي حذيفة، فمنعوه أن يدخل فقال: ويلكم دعوني أدخل على جندي فأعلمهم بما جئت به،فإني قد جئتهم بخير. فأبوا أن يدعوه فقال: والله لوددت أني دخلت عليهم وأعلمتهم بما جئت به ثم مت، فانصرف إلى عسقلان. وأجمع محمد بن أبي حذيفة على بعث جيش إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: من يتشرط في هذا البعث؟ فكثرعليه من يتشرط. فقال: إنما يكفينا منكم ستمائة رجل، فشرط من أهل مصر ستمائة رجل على كل مائة منهم رئيس وعلى جماعتهم عبد الرحمن بن عديس البلوي، وهم كنانة،لن بشر بن سليمان التجيبي،وعروة بن سليم الليثي، وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وسودان بن ريان الأصبحي، وذرع بن يشكر النافعي، وسجن رجال من أهل مصر في دورهم منهم: فلما بلغ ذلك كنانة بن بشر وكان رأس الشيعة الأولى، دفع عن معاوية ماكره، ثم قتل عثمان رضي الله عنه في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، فدخل الركب إلى مصر وهم يرتجزون:لله بن عمر إلى الشام، لكشف سير العمال. فرجعوا إلى عثمان إلا عمارا وقالوا: ما أنكرنا شيئا، وتأخر عمار فورد الخبر إلى المدينة بأنه قد استماله عبد الله ابن السوداء في جماعة، فأمر عثمان عماله أن يوافوه بالموسم، فقدموا عليه واستشاروه، فكل أشار برأي، ثم قدم المدينة بعد الموسم فكان بينه وبين علي بن أبي طالب كلام فيه بعض الجفاء بسبب إعطائه أقاربه ورفعه لهم على من سواهم، وكان المنحرفون عن عثمان قد تواعدوا يوما يخرجون فيه بأمصارهم إذ سار عنها الأمراء، فلم يتهيأ لهم الوثوب، وعندما رجع الأمراء من الموسم تكاتب المخالفون في القدوم إلى المدينة لينظروا فيما يريدون، وكان أمير مصر من قبل عثمان رضي الله عنه، عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، فلما خرج في شهر رجب من مصر في سنة خمس وثلاثين استخلف بعده عقبة بن عامر الجهني في قول الليث بن سعد. وقال يزيدبن أبي حبيب: بل استخلف على مصر السائب بن هشام العامري وجعل على الخراج سليم بن عنز التجيبي، فانتزى محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف في شوال من السنة المذكورة، وأخرج عقبة بن عامر من الفسطاط، ودعا إلى خلع عثمان رضي الله عنه، واسعر البلاد وحرض على عثمان بكل شيء يقدر عليه، فكان يكتب الكتب على لسان أزواج رسول الله ، ويأخذ الرواحل فيضمرها ويجعل رجالا على ظهور البيوت ووجوههم إلى وجه الشمس لتلوح وجوههم تلويح المسافر، ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة بمصر، ثم يرسلون رسلا يخبرون بهم الناس ليلقوهم و قد أمرهم إذا لقيهم الناس أن يقولوا

ليس عندنا خبر الخبر في الكتب، فيجيء رسول أولئك الذين دس فيذكر مكانهم فيتلقاهم ابن أبي حذيفة والناس يقولون: نتلقى رسل أزواج رسول الله،فإذا لقوهم قالوا لهم ما الخبر؟ قالوا: لا خبرعندنا، عليكم بالمسجد ليقرأعليكم كتاب أزواج النبي، فيجتمع الناس في المسجد اجتماعا ليس فيه تقصير، ثم يقوم القارىء بالكتاب فيقول: إنا نشكو إلى الله وإليكم ما عمل في الإسلام وما صنع في الإسلام، فيقوم أولئك الشيوخ من نواحي المسجد بالبكاء فيبكون، ثم ينزل عن المنبر ويتفرق الناس بما قريء عليهم.فلما رأت ذلك شيعة عثمان رضي الله عنه اعتزلوا محمد بن أبي حذيقة ونابذوه،وهم معاوية بن خديج، وخارجة بن حذاقة، وبسر بن أرطاة، ومسلمة بن مخلد، وعمرو بن قحزم الخولاني، ومقسم بن بجرة، حمزة بن سرح بن كلال، وأبو الكنود سعد بن مالك الأزلي، وخالد بن ثابت الفهمي، في جمع كثير وبعثوا سلمة بن مخزمة التجيبي إلى عثمان ليخبره بأمرهم وبصنيع ابن أبي حذيفة، فبعث عثمان رضي الله عنه سعد بن أبي وقاص ليصلح أمرهم، فبلغ ذلك ابن أبي حذيفة فخطب الناس وقال: إلاأن الكذا والكذا قد بعث إليكم سعد بن مالك ليقل جماعتكم ويشتت كلمتكم ويوقع التجادل بينكم، فانفروا إليه، فخرج منهم مائة أو نحوها، وقد ضرب فسطاطه وهو قائل: فقلبوا عليه فسطاطه وشجوه وسبوه، فركب راحلته وعاد راجعا من حيث جاء. وقال: ضربكم الله بالذل والفرقة، وشتت أمركم، وجعل بأسكم بينكم، ولا أرضاكم بأمير، ولا أرضاه عنكم. وأقبل عبد الله بن سعد حتى بلغ جسر القلزم، فإذا بخيل لابن أبي حذيفة، فمنعوه أن يدخل فقال: ويلكم دعوني أدخل على جندي فأعلمهم بما جئت به،فإني قد جئتهم بخير. فأبوا أن يدعوه فقال: والله لوددت أني دخلت عليهم وأعلمتهم بما جئت به ثم مت، فانصرف إلى عسقلان. وأجمع محمد بن أبي حذيفة على بعث جيش إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: من يتشرط في هذا البعث؟ فكثرعليه من يتشرط. فقال: إنما يكفينا منكم ستمائة رجل، فشرط من **أهل مصر** ستمائة رجل على كل مائة منهم رئيس وعلى جماعتهم عبد الرحمن بن عديس البلوي، وهم كنانة،لن بشر بن سليمان التجيبي،وعروة بن سليم الليثي، وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وسودان بن ريان الأصبحي، وذرع بن يشكر النافعي، وسجن رجال من **أهل مصر** في دورهم منهم: فلما بلغ ذلك كنانة بن بشر وكان رأس الشيعة الأولى، دفع عن معاوية ماكره، ثم قتل عثمان رضي الله عنه في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، فدخل الركب إلى مصر وهم يرتجزون:." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٧٢/٣

"خذها إليك واحذرن أبا الحسن.

إنا نمر الحرب إمرار الوسن.

بالسيف كي تخمد نيران الفتن.

فلما دخلوا المسجد صاحوا إنا لسنا قتلة عثمان ولكن الله قتله. فلما رأى ذلك شيعةعثمان قاموا وعقدوا لمعاوية بن خديج عليهم وبايعوه على الطلب بدم عثمان، فسار بهم معاوية إلى الصعيد، فبعث إليهم ابن أبي حذيفة فالتقوا بدقناس من كورة البهنسا فهزم أصحاب ابن أبي حذيفة، ومضى معاوية حتى بلغ برقة، ثم رجع إلى الإسكندرية فبعث ابن أبي حذيفة بجيش آخر عليهم قيس بن حرمل فاقتتلوا بخربتا أول شهر رمضان سنة ست وثلاثين، فقتل قيس وسار معاوية بن أبي سفيان إلى مصر، فنزل سلمنت من كورة عين شمس في شوال، فخرج إليه ابن أبي حذيفة في أهل مصر فمنعوه أن يدخلها، فبعث إليه معاوية إنا لا نريد قتال أحد إنما جئنا نسأل القود لعثمان، ادفعوا إلينا قاتليه عبد الرحمن بن عديس وكنانة بن بشر، وهما رأس القوم، فامتنع ابن أبي حذيفة وقال لو طلبت منا جديا أرطب السرة بعثمان ما دفعناه إليك. فقال معاوية بن أبي سفيان لابن أبي حذيفة: اجعل بيننا وبينكم رهنا، فلا يكون بيننا وبينكم حرب. فقال ابن أبي حذيفة: فإني أرضى بذلك، فاستخلف ابن أبي حذيفة على مصر الحكم بن الصلت بن مخرمة وخرج في الرهن، هو وابن عيسى. وكنانة بن بشر وأبو شمر بن أبرهة وغيرهم من قتلة عثمان، فلما بلغوا لد سجنهم بها معاوية وسار إلى دمشق، فهربوا من السجن، غير أبي شمر بن أبرهة فإنه قال:لاأدخله أسيرا وأخرج منه آبقا، وتبعهم صاحب فلسطين فقتلهم، واتبع عبد الرحمن بن عديس رجل من الفرس فقال له عبد الرحمن بن عديس: اتق الله في دمي فإني بايعت النبي تحت الشجرة، فقال له: الشجر في الصحراء كثير فقتله.." (١)

"وقال محمد بن أبي حذيفة في الليلة التي قتل في صباحها عثمان: فإن يكن القصاص لعثمان فسنقتل من الغد، فقتل من الغد، وكان قتل ابن أبي حذيفة وعبد الرحمن بن عديس وكنانة بن بشر ومن كان معهم من الرهن في ذي الحجة سنة ست وثلاثين. فلما بلغ علي بن أبي طالب رضي الله عنه مصاب بن أبي حذيفة، بعث قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري على مصر وجمع له الخراج والصلاة، فدخلها مستهل شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين، واستمال الخارجية بخربتا ودفع إليهم أعطياتهم، ووفد عليه وفدهم فأكرمهم وأحسن إليهم، ومصر يومئذ من جيش علي رضي الله عنه إلا أهل خربتا الخارجين بها. فلما ولي علي رضي الله عنه قيس بن سعد، وكان من ذوي الرأي، جهد معاوية بن أبي سفيان وعمروبن

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٧٣/٣

العاص على أن يخرجاه من مصر ليغلبا على أمرها، فامتنع عليهما بالدهاء والمكايدة، لنلم يقدرا على أن يلجأ مصر حتى كان معاوية قيسامن قبل علي رضي الله عنه. فكان معاوية يحدث رجالا من ذوي رأي قريش فيقول: ما ابتدعت من مكايدة قط أعجب إلي من مكايدة كدت بها قيس بن سعد حين امتنع مني، قلت لأهل الشام لا تسبوا قيسا ولاتدعوا إلى غزوة،فإن قيسآلنا شيعة تأتينا كتبه ونصيحته سرا، ألا ترون ماذا يفعل بإخوانكم النازلين عنده بخربتا يجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ويؤمن سربهم ويحسن إلى كل راكب يأتيه منهم. قال معاوية: وطفقت كتب بذلك إلى شيعتي من أهل العراق، فسمع بذلك جواسيس علي بالعراق فأنهاه إليه محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن جعفر، فاتهم قيسافكتب إليه يأمره بقتال أهل خربتا، وبخربتا يومئذ عشرة الاف، فأبى قيس أن يقاتلهم وكتب إلى علي رضي الله عنه أنهم وجوه **أهل مصر** وأشرافهم، وأهل الحفاظ منهم، وقد رضوا مني بأن أومن سربهم واجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم، وقد علمت أن هواهم مع معاوية، فلست بكائدهم بأمر أهون علي وعليك من الذي أفعل بهم، وهم أسود العرب، منهم بسر بن أرطاة، وسلمة بن مخلد، ومعاوية بن خديج. فأبى عليه إلا قتالهم، فأبى قيس أن يقاتلهم. وكتب إلى علي رضي الله عنه، إن كنت تهتمني فاعزلني وابعث غيري. وكتب معاوية رضي الله عنه إلى بعض بني أمية بالمدينة: أن جرى الله قيس بن سعد خيرا فإنه قد كف عن إخواننا من **أهل مصر** الذين قاتلوا في دم عثمان، واكتموا ذلك فإنني أخاف أن يعزله علي إن بلغه ما بينه وبين شيعتنا، حتى بلغ عليارضي الله عنه ذلك فقال: من معه من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة بدل قيس وتحول. فقال علي ويحكم إنه لم يفعل فدعوني. قالوا: لتعزلنه، فإنه قد بدل. فلم يزالوا به حتى كتب إليه إني قد احتجت إلى قربك، فاستخلف على عملك واقدم. فلما قرأ الكتاب قال: هذا من مكر معاوية، ولولا الكذب لمكرت به مكرايدخل عليه بيته، فوليها قيس بن سعد إلى أن عزل عنها أربعة أشهر وخمسة أيام، وصرف لخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين، ثم وليها الأشتر مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك أن عبد الله بن جعفر كان إذا أراد أن لايمنعه علي شيئا قال له بحق جعفر. فقال له أسألك بحق جعفر آلا بعثت الأشتر إلى مصر، فإن ظهرت فهو الذي تحب وإلا استرحت منه. ويقال: كان الأشتر قد ثقل على علي رضي الله عنه وأبغضه وقلاه فولاه وبعثه، فلما قدم مصر لقي بما يلقي العمال به هناك، فشرب شربة عسل فمات. فلما أخبر علي بذلك قال لليدين وللفم، وسمع عمرو بن العاص بموت الأشتر فقال: إن لله جنودا من عسل. أو قال إن لله جنودا من العسل.ثم وليها محمد بن أبي بكر الصديق من قبل علي رضي الله عنهم، وجمع له صلاتها وخراجها، فدخلها للنصف من شهر رمضان سنة

سبع وثلاثين، فلقيه قيس بن سعد فقال له: إنه لا يمنعني نصحي لك عزله إياي، ولقد عزلني عن غير وهن ولا عجز ، فاحفظ ما أوصيك به. يدم صلاح حالك: دع معاوية بن خديج ومسلمة بن مخلد وبسر بن أرطاة ومن ضوى إليهم على ما هم عليه، لا تكفهم عن رأيهم، فإن أتوك ولم يفعلوا فاقبلهم،إن تخلفوا عنك فلا تطلبهم، وانظر هذا الحي من مضر، فأنت أولى بهم مني، فألن لهم جناحك وقرب عليهم مكانك وارفع عنهم حجابك، وانظر هذا الحي من مدلج، فدعهم وما غلبوا عليه يكفوا عنك شأنهم، وأنزل الناس من بعد على قدر منازلهم، فإن استطعت أن تعود المرض." (١)

"وتشهد الجنائز فافعل، فإن هذا لا ينقصك ولن تفعل، إنك والله ما علمت لتظهر الخيلاء وتحب الرياسة وتسارع إلى ما هو ساقط عنك، والله موفقك. فعمل محمد بخلاف ما أوصاه به قيس، فبعث إلى ابن خديج والخارجه معه يدعوهم إلى بيعته، فلم يجيبوه. فبعث إلى دور الخارجة فهدمها ونهب أموالهم وسجن ذراريهم فنصبوا له الحرب وهموا بالنهوض إليه. فلما علم أنه لا قوة له بهم أمسك عنهم ثم صالحهم على أن يسيرهم إلى معاوية، وأن ينصب لهم جسر انتقيوس يجوزون عليه ولا يدخلون الفسطاط، ففعلوا ولحقوا بمعاوية.فلما أجمع علي رضي الله عنه ومعاوية على الحكمين أغفل علي أن يشترط على معاوية أن لا يقاتل **أهل مصر**. فلما انصرف علي إلى العراق بعث معاوية رضي الله عنه عمرو بن العاص رضي الله عنه في جيوش أهل الشام إلى مصر، فاقتتلوا قتالا شديدا انهزم فيه **أهل مصر**، ودخل عمرو بأهل الشام الفسطاط، وتغيب محمد بن أبي بكر، فأقبل معاوية بن خديج في رهط ممن يعينه على من كان يمشي في قتل عثمان، وطلب ابن أبي بكر فدلتهم عليه امرأة. فقال: احفظوني في أبي بكر، فقال معاوية بن خديج: قتلت ثمانين رجلا من قومي في عثمان، وأتركك وأنت صاحبه؟ فقتله ثم جعله في جيفة حمار ميت، فأحرقه بالنار، فكانت ولاية محمد بن أبي بكر خمسة أشهر، ومقتله لأربع عشرة خلت من صفر سنة ثمان وثلاثين. ثم ولي عمرو بن العاص مصر من بعده، فاستقبل بولايته هذه الثانية شهر ربيع الأول، وجعل إليه الصلاة والخراج، وكانت مصر قد جعلها معاوية له طعمة بعد عطاء جندها والنفقة على مصلحتها، ثم خرج إلى الحكومة واستخلف على مصر ابنه عبد الله بن عمرو، وقتل خارجة بن حذافة ورجع عمرو إلى مصر فأقام بها، وتعاقد بنو ملجم عبد الرحمن وقيس ويزيد على قتل علي رضي الله عنه وعمرو ومعاوية رضي الله عنهما، وتواعدوا على ليلة من رمضان سنة أربعين، فمضى كل منهم إلى صاحبه، فلما قتل علي بن أبي طالب. رضي الله عنه واستقر الأمر لمعاوية كانت مصر جندها وأهل شوكتها عثمانية، وكثير من

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٧٤/٣

أهلها علوية. فلما مات معاوية ومات ابنه يزيد بن معاوية كان على مصر سعيد بن يزيد الأزدي على صلاتها، فلم يزل أهل مصر على الشنان له، والإعراض عنه، والتكبر عليه، منذ ولاه يزيد بن معاوية حتى مات يزيد في سنة أربع وستين. ودعا عبد الله بن الزبير إلى نفسه، فقامت الخوارج بمصر في أمره، وأظهروا دعوته كانوا يحسبونه على مذهبهم، وأوفدوا منهم وفدا إليه، فسار منهم نحو الألفين من مصر وسألوه أن يبعث إليهم بأمير يقومون معه ويوازرونه، وكان كريب بن أبرهة الصباح وغيره من أشراف مصر يقولون: ماذا نرى من العجب أن هذه الطائفة المكتتمة تأمر فينا وتنهي ونحن لا نستطيع أن نرد أمرهم، ولحق بابن الزبير ناس كثير من أهل مصر، وكان أول من قدم مصر برأي الخوارج حجر بن الحارث بن قيس المذحجي، وقيل حجر بن عمرو، ويكنى بأبي الورد، وشهد مع علي صفين، ثم صار من الخوارج وحضر مع الحرورية النهروان، فخرج وصار إلى مصر برأي الخوارج وأقام بها حتى خرج منها إلى ابن الزبير في إمارة مسلمة بن مخلد الأنصاري على مصر. فلما مات يزيد بن معاوية وبويع ابن الزبير بعده بالخلافة، بعث إلى مصر بعبد الرحمن بن جحدم الفهري، فقدمها في طائفة من الخوارج فوثبوا على سعيد بن يزيد فاعتزلهم، واستمر ابن جحدم، وكثرت الخوارج بمصر منها وممن قدم من مكة، فأظهروا في مصر التحكيم ودعوا إليه، فاستعظم الجند ذلك وبايعه الناس على غل في قلوب ناس من شيعة بني أمية، منهم كريب بن أبرهة، ومقسم بن بجرة، وزياد بن حناطة التجيبي، وعابس بن سعيد وغيرهم، فصار أهل مصر حينئذ ثلاث طوائف، علوية وعثمانية وخوارج. فلما بويع مروان بن الحكم بالشام في ذي القعدة سنة أربع وستين كانت شيعته من أهل مصر مع ابن جحدم، فكاتبوه سرا حتى أتى مصر في أشراف كثيرة، وبعث ابنه عبد العزيز بن مروان في جيش إلى إيلة ليدخل من هناك مصر، وأجمع ابن جحدم على حربه ومنعه، فحفر الخندق في شهر، وهو الخندق الذي بالقرافة، وبعث بمراكب في البحر ليخالف إلى عيالات أهل الشام، وقطع بعثا في البر وجهز جيشا آخر إلى إيلة لمنع عبد العزيز من المسير منها، فغرقت المراكب ونجا بعضها وانهزمت الجيوش ونزل مروان عين شمس، فخرج إليه ابن جحدم في أهل مصر، فتحاربوا." (١)

"واستجرالقتل فقتل من الفريقين خلق كثير، ثم إن كريب بن أبرهة وعابس بن سعيد وزياد بن حناطة وعبد الرحمن بن موهب المغافري دخلوا في الصلح بين أهل مصر وبين مروان، فتم ودخل مروان إلى الفسطاط لغرة جمادى الأولى سنة خمس وستين، فكانت ولاية ابن جحدم تسعة أشهر، ووضع العطاء فبايعه الناس إلا نفرا من المغافر قالوالانخلع بيعة ابن الزبير، فقتل منهم ثمانين رجلا، قدمهم رجلا رجلا

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣/٧٥

فضرب أعناقهم وهم يقولون إنا قدبايعنا ابن الزبيرطائعين، فلم نكن لننكث بيعته، وضرب عنق الأكدربن حمام بن عامرسيد لخم وشيخها، وحضر هو وأبوه فتح مصر، وكانا ممن ثار إلى عثمان رضي الله عنه، فتنادى الجند قتل الأكدر، فلم يبق أحد حتى لبس سلاحه، فحضر باب مروان منهم زيادة على ثلاثين ألفا، وخشي مروان وأغلق بابه حتى أتاه كريب بن أبرهة وألقى عليه رداءه وقال للجند:انصرفوا أنا له جار، فما عطف أحد منهم وانصرفوا إلى نازلهم، وكان للنصف من جمادى الآخرة، ويومئذ مات عبد الله بن عمرو بن العاص، فلم يستطع أحد أن يخرج بجنازته إلى المقبرة لشغب الجند على مروان، ومن حينئذ غلبت العثمانية على فتظاهروا فيها بسب علي رضي الله عنه، وانكفت السنة العلوية والخوارج. فلما كانت ولاية قرة بن شريك العبسي على مصر من قبل الوليد بن عبد الملك في سنة تسعين، خرج إلى الإسكندرية في سنة إحدى وتسعين، فتعاقدت السراة من الخوارج بالإسكندرية على الفتك به، وكانت عدتهم نحوا من مائة، فعقدوا لرئيسهم المهاجر بن أبي المثنالتجيبي، أحد بني فهم عليهم عند منارة الإسكندرية وبالقرب منهم رجل يكنى أبا سليمان، فبلغ قرة ما عزموا عليه، فأتى لهم قبل أن يتفرقوا فأمر بحبسهم في أصل منارة الإسكندرية، وأحضر قرة وجوه الجند فسألهم فأقروا فقتلهم، ومضى رجل ممن كان يرى رأيهم إلى أبي سليمان فقتله، فكان يزيد بن أبي حبيب إذا أراد أن يتكلم بشيء فيه تقية من السلطان تلفت وقال: احذروا أبا سليمان، ثم قال الناس كلهم من ذلك اليوم أبو سليمان. فلما قام عبد الله بن يحيى الملقب بطالب الحق في الحجاز على مروان بن محمد الجعدي، قدم إلى مصر داعيته ودعا الناس فبايع له ناس من تجيب وغيرهم، فبلغ ذلك حسان بن عتاهية صاحب الشرطة فاستخرجهم، فقتلهم حوثرة بن سهيل الباهلي أمير مصر من قبل مروان بن محمد، فلما قتل مروان وانقضت أيام بني أمية ببني العباس في سنة ثلاث وثلاثين ومائة، خمدت جمرة أصحاب المذهب المرواني وهم الذين كانوا يسبون علي بن أبي طالب ويتبرؤون منه، وصاروا منذ ظهر بنو العباس يخافون القتل ويخشون أن يطلع عليهم أحد إلا طائفة كانت بناحية الواحات وغيرها، فإنهم أقاموا على مذهب المروانية دهرا حتى فنوا، ولم يبق لهم الآن بديار مصر وجود البتة.فلما كان في إمارة حميد بن قحطبة على مصر من قبل أبي جعفر المنصور، قدم إلمصر علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب داعية لأبيه وعمه، فذكر ذلك لحميد فقال: هذا كذب، ودس إليه أن تغيب، ثم بعث إليه من الغد فلم يجده، فكتب بذلك إلى أبي جعفر المنصور فعزل حميدا وسخط عليه في ذي القعدة سنة أربع وأربعين ومائة، وولى يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، فظهرت دعوة بني حسن بن علي بمصر، وتكلم الناس بها وبايع كثير منهم لعلي بن محمدبن عبد

الله، وهو أول علوي قدم مصر، وقام بأمر دعوته خالد بن سعيد بن ربيعة بن حبيش الصدفي، وكان جده ربيعة بن حبيش من خاصة علي بن أبي طالب وشيعته، وحضر الدار في قتل عثمان رضي الله عنه، فاستشار خالد أصحابه الذين بايعوا له، فأشار عليهم بعضهم أن يبيت يزيد بن حاتم في العسكر، وكان الأمراء قد صاروا منذ قدمت عساكر بني العباس ينزلون في العسكر الذي بني خارج الفسطاط من شماليه، كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب، وأشار عليه اخرون أن يحوز بيت المال، وأن يكون خروجهم في الجامع، فكره خالد أن يبيت يزيد بن حاتم، وخشي على اليمانية، وخرج منهم رجل قد شهد أمرهم حتى أتى إلى عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج وهو يومئذ على الفسطاط، فخبره أنهم الليلة يخرجون،فمضى عبد الله إلى يزيد بن حاتم وهو بالعسكر ،فكان من أمرهم ما كان لعشر من شوال سنة خمس وأربعين ومائة، فانهزموا. ثم قدمت الخطباء برأس." (١)

"عمربن علي بن أبي طالب، ودخل اسنا في ذي القعدة سنة خمس وخمسين، ونهبها وقتل أهلها، فبعث إليه ابن طولون بجيش فحاربوه فهزمهم في ربيع الأول سنة ست وخمسين بهو، فبعث ابن طولون إليه بجيش آخر فالتقيا بأخميم في ربيع الآخر فانهزم ابن الصوفي وترك جميع ما معه وقتلت رجالته، فأقام ابن الصوفي بألواح سنتين ثم خرج إلى الأشمونين في المحرم سنة تسع وخمسين وسار إلى أسوان لمحاربة أبي عبد الرحمن العمري، فظفر به العمري وبجميع جيشه وقتل منهم مقتلة عظيمة، ولحق ابن الصوفي بأسوان فقطع لأهلها ثلاثمائة ألف نخلة، فبعث إليه ابن طولون بعثا فاضطرب أمره مع أصحابه فتركهم ومضى إلى عيذاب، فركب البحر إلى مكة فقبض عليه بها وحمل إلى ابن طولون فسجنه ثم أطلقه فصار إلى المدينة ومات بها.وفي إمارة هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون أنكر رجل من **أهل مصر** أن يكونلب، ودخل اسنا في ذي القعدة سنة خمس وخمسين، ونہبها وقتل أهلها، فبعث إليه ابن طولون بجيش فحاربوه فهزمهم في ربيع الأول سنة ست وخمسين بهو، فبعث ابن طولون إليه بجيش آخر فالتقيا بأخميم في ربيع الآخر فانهزم ابن الصوفي وترك جميع ما معه وقتلت رجالته، فأقام ابن الصوفي بألواح سنتين ثم خرج إلى الأشمونين في المحرم سنة تسع وخمسين وسار إلى أسوان لمحاربة أبي عبد الرحمن العمري، فظفر به العمري وبجميع جيشه وقتل منهم مقتلة عظيمة، ولحق ابن الصوفي بأسوان فقطع لأهلها ثلاثمائة ألف نخلة، فبعث إليه ابن طولون بعثا فاضطرب أمره مع أصحابه فتركهم ومضى إلى عيذاب، فركب البحر إلى مكة فقبض عليه بها

(١) المواعظ والاعتبار، ٧٦/٣

وحمل إلى ابن طولون فسجنه ثم أطلقه فصار إلى المدينة ومات بها.وفي إمارة هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون أنكر رجل من **أهل مصر** أن يكون." (١)

"أحد خيرا من أهل البيت، فوثبت إليه العامة فضرب بالسياط يوم الجمعة في جمادى الأولى سنة خمس وثمانين ومائتين. وفي إمارة ذكا الأعور على مصر كتب على أبواب الجامع العتيق ذكر الصحابة والقرآن فرضيه جمع من الناس وكرهه آخرون، فاجتمع الناس في رمضان سنة خمس وثلاثمائة إلى دار ذكا يتشكرونه على ما أذن لهم فيه، فوثب الجند بالناس فنهب قوم وجرح آخرون ومحي ما كتب على أبواب الجامع، ونهب الناس في المسجد والأسواق، وأفطر الجند يومئذ ومازال أمر الشيعة يقوى بمصر إلى أن دخلت سنة خمسين وثلاثمائة ،ففي يوم عاشوراء كانت منازعة بين الجند وبين جماعة من الرعية عند قبر كلثوم العلوية بسبب ذكر السلف والنوح، قتل فيها جماعة من الفريقين، وتعصب السودان على الرعية، فكانوا إذا لقوا أحدا قالوا له: من خالك؟ فإن لم يقل معاوية وإلا بطشوا به وشلحوه، ثم كثر القول معاوية خال علي، وكان على باب الجامع العتيق شيخان من العامة يناديان في كل يوم جمعة في وجوه الناس من الخاص والعام، معاوية خالي وخال االمؤمنين، وكاتب الوحي، ورديف رسول الله، وكان هذا أحسن ما يقولونه، وإلا فقدكانوا يقولون معاوية خال علي من هاهنا، ويشيرون إلى أصل الإذن، ويلقون أبا جعفر مسلما الحسيني فيقولون له ذلك في وجهه، وكان بمصر أسود يصيح دائما معاوية خال علي، فقتل بتنيس أيام القائد جوهر. ولما ورد الخبر بقيام بني حسن بمكة ومحاربتهم الحاج ونهبهم، خرج خلق من **المصريين** في شوال فلقوا كافور الإخشيدي بالميدان ظاهر مدينة مصر وضجوا وصاحوا معاوية خال علي، وسألوه أن يبعث لنصرة الحاج على الطالبيين. وفي شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة أخذ رجل يعرف بابن أبي الليث الملطي ينسب إلى التشيع فضرب مائتي سوط ودرة، ثم ضرب في شوال خمسمائة سوط ودرة، وجعل في عنقه غل وحبس وكان يتفقد في كل يوم لئلا يخفف عنه ويبصق في وجهه، فمات في محبسه فحمل ليلا ودفن، فمضت جماعة إلى قبره لينبشوه وبلغوا إلى القبر فمنعهم جماعة من الإخشيدية والكافورية، فأبوا وقالوا هذا قبر رافضي، فثارت فتنة وضرب جماعة ونهبوا كثيرا حتى تفرق الناس.وفي سنة ست وخمسين كتب في صفر على المساجد ذكر الصحابة والتفضيل، فأمر الأستاذ كافور الإخشيدي بإزالته، فحدثه جماعة في إعادة ذكر الصحابة على المساجد فقال: ما أحدث في أيامي ما لم يكن وما كان في أيام غيري فلا أزيله، وما كتب في أيامي أزيله، ثم أمرمن طاف وأزاله من المساجد كلها. ولما دخل جوهر القائد

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٣/٧٨

بعساكر المعز لدين الله إلى مصر وبنى القاهرة أظهر مذهب الشيعة وأذن في جميع المساجد الجامعة وغيرها حي على خيرالعمل، وأعلن بتفضيل علي بن أبي طالب على غيره، وجهر بالصلاة عليه وعلى الحسن والحسين وفاطمة الزهراء رضوان الله عليهم، فشكا إليه جماعة من أهل المسجد الجامع أمر عجوز عمياء تنشد في الطريق، فأمر بها فحبست فسر الرعية بذلك ونادوا بذكر الصحابة ونادوا معاوية خال علي وخال المؤمنين، فأرسل جوهر حين بلغه ذلك رجلا إلى الجامع فنادى: أيها الناس أقلوا القول ودعوا الفضول، فإنما حبسنا العجوز صيانة لها، فلا ينطقن أحد إلاحلت به العقوبة الموجعة، ثم أطلق العجوز.وفي ربيع الأول سنة اثنتين وستين عزر سليمان بن عروة المحتسب جماعة من الصيارفة فشغبوا وصاحوا معاوية خال علي بن أبي طالب، فهم جوهرأن يحرق رحبة الصيارفة، لكن خشي على الجامع، وأمر الإمام بجامع مصرأن يجهر بالبسملة في الصلاة وكانوا لا يفعلون ذلك، وزيد في صلاة الجمعة القنوت في الركعة الثانية، وأمر في المواريث بالرد على ذوي الأرحام، وأن لا يرث مع البنت أخ ولاأخت ولاعم ولاجد ولاابن أخ ولاابن عم، ولا يرث مع الولد الذكرأوالأنثى إلاالزوج أو الزوجة والأبوان والجدة، ولا يرث مع الأم الأمن يرث مع الولد، وخاطب أبو الطاهر محمد بن أحمد قاضي مصر القائد جوهرا في بنت وأخ، وأنه كان حكم قديما للبنت بالنصف وللأخ بالباقي، فقال لا أفعل فلما ألح عليه قال: يا قاضي هذا عداوة لفاطمة عليها السلام، فأمسك أبو الطاهر ولم يراجعه بعد في ذلك، وصار صوم شهررمضان والفطر على حساب لهم، فأشار الشهود على القاضي أبي الطاهر أن لا يطلب الهلال، لأن الصوم والفطر على الرؤية قد زال، فانقطع طلب الهلال من مصر وصام القاضي." (١)

"وفي يوم الثلاثاء سابع عشري شعبان سنة إحدى وأربعمائة وقع قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي إلى سائر الشهود والأمناء بخروج الأمرالمعظم، بأن يكون الصوم يوم الجمعة والعيد يوم الأحد. وفي شعبان سنة اثنتين وأربعمائة قريء سجل يشدد فيه النكير على بيع الملوخيا والفقاع والسمك الذي لا قشر له،ومنع النساء من الاجتماع في المآتم ومن اتباع الجنائز، وأحرق الحاكم بأمر الله في هذا الشهرالزبيب الذي وجد في مخازن التجار، وأحرق ما وجدمن الشطرنج،وجمع صيادي السمك وحلفهم بالأيمان المؤكدة أن لا يصطادوا سمكا بغير قشر، ومن فعل ذلك ضربت عنقه،وأحرق في خمسة عشريوما ألفين وثمانمائة وأربعين قطعة زبيب بلغ ثمن النفقةعليها خمسمائة دينار،ومنع من بيع العنب إلا أربعة أرطال فما دونها، ومنع من اعتصاره،وطرح عنباكثيرا في الطرقات وأمربدوسه، فامتنع الناس من التظاهربشيء من العنب في

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٧٩/٣

الأسواق،واشتد الأمر فيه ،وغرق منه ماحمل في النيل، وأحصي ما بالجيزة من الكروم، فقطف ما عليها من العنب وطرح ماجمعه من ذلك تحت أرجل البقر لتدوسه، وفعل مثل ذلك في جهات كثيرة، وختم علىمخازن العسل، وغرق منه في أربعة أيام خمسة آلاف جرة وإحدى وخمسين جرة فيها العسل، وغرق من عسل النحل قدرإحدى وخمسين زيرا. وفي جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعمائة، اشتد الإنكار على الناس بسبب بيع الفقاع والزبيب والسمك الذي لا قشر له،وقبض على جماعة وجدعندهم زبيب فضربت أعناقهم وسجنت عدة منهم وأطلقوا.وفي شوال اعتقل رجل ثم شهر ونودي عليه هذا جزاء من سب أبا بكر وعمر ويثير الفتن، فاجتمع خلق كثير بباب القصر فاستغاثوا، لاطاقة لنا بمخالفة **المصريين** ولا بمخالفة الحشوية من العوام، ولا صبر لنا على ماجرى، وكتبوا قصصا فصرفوا ووعدوا بالمجيء في غد، فبات كثير منهم بباب القصر، واجتمعوا من الغد فصاحوا وضجوا فخرج إليهم قائد القواد غين. فنهاهم وأمرهم عن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أن يمضوا إلى معايشهم، فانصرفوا إلى قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي وشكوا إليه، فتبرم من ذلك فمضوا وفيهم من يسب السلف ويعرض بالناس، فقريء سجل في القصربالترحم على السلف من الصحابة، والنهي عن الخوض في ذلك،وركب مرة فرأى لوحا على قيسارية فيه سب السلف فأنكره،ومازال واقفا حتى قلع وضرب بالحرس في سائرطرقات مصر والقاهرة،وقريء سجل بتتبع الألواح المنصوبة على سائر أبواب القياسر والحوانيت والحور والخانات والأرباع المشتملة على ذكر الصحابة والسلف الصالح، رحمهم الله، بالسب واللعن، وقلع ذلك وكسره وتعفية أثره، ومحوما على الحيطان من هذه الكتابة، وإزالة جميعها من سائر الجهات حتى لا يرى لها أثر في جدارولا نقش في لوح، وحذرفيه من المخالفة، وهدد بالعقوبة، ثم انتقض ذلك كله وعاد الأمرإلى ما كان عليه إلى أن قتل الخليفة الآمربأحكام الله أبوعلي منصور بن المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم معد.وثار أبوعلي أحمد الملقب كتيفات ابن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش، واستولىعلى الوزارة في سنه أربع وعشرين وخمسمائة، وسجن الحافظ لدين الله أباالميمون عبدالمجيد بن الأمير أبي القاسم محمد بن الخليفة المستنصر بالله، وأعلن بمذهب الإمامية والدعوة للإمام المنتظر، وضرب دراهم نقشها: الله الصمد الإمام محمد.ورتب في سنة خمس وعشرين أربعة قضاة، اثنان أحدهما إمامي والآخر إسماعيلي، وإثنان أحدهما مالكي والآخر شافعي، فحكم كل منهما بمذهبه وورث على مقتضاه، وأسقط ذكر إسماعيل بن جعفر الصادق وأبطل من الأذان حي

على خير العمل، وقولهم محمد وعلي خير البشر،فلما قتل في المحرم سنة ست وعشرين عادالأمرإلى ما كان عليه من مذهب الإسماعيلية.." (١)

"هذا المسجد كان تجاه باب سعادة خارج القاهرة. قال ابن المأمون في تاريخه: وكان الأجل المأمون يعني الوزير محمد بن فاتك البطائحي، قد ضم إليه عدة من مماليك الأفضل بن أمير الجيوش، من جملتهم يانس، وجعله مقدما على صبيان جلسه، وسلم إليه بيت ماله، وميزه في رسومه. فلما رأى المذكور في ليلة النصف من شهر رجب، يعني سنة ست عشرة وخمسمائة، ما عمل في المسجد المستجد قبالة باب الخوخة من الهمة ووفور الصدقات، وملازمة الصلوات، وما حصل فيه من المثوبات، كتب رقعة يسأل فيها أن يفسح له في بناء مسجد بظاهر باب سعادة، فلم يجبه المأمون إلى ذلك وقال له: ما ثم مانع من عمارة المساجد، وأرض الله واسعة، وإنما هذا الساحل فيه معونة للمسلمين وموردة للسقائين، وهو مرسى مراكب الغلة، والمضرة في مضايقة المسلمين فيه منه، ولو لم يكن المسجد المستجد قبالة باب الخوخة محرسا لما استجد، حتى إنا لم نخرج بساحته الأولى، فإن أردت أن تبني قبلي مسجد الريفي أو على شاطيء الخليج فالطريق ثم سهلة. فقبل الأرض وامتثل الأمر، فلما قبض على المأمون وأمر الخليفة يانس المذكور ولم يزل ينقله إلى أن استخدمه في حجبة بابه، سأله في مثل ذلك فلم يجبه، إلى أن أخذ الوزارة فبناه في المكان المذكور. وكانت مدته يسيرة، فتوفي قبل إتمامه وإكماله، فكمله أولاده بعد وفاته. انتهى. وقد تقدم خبر وزارة أبي الفتح ناظر الجيوش يانس الأرمني هذا عند ذكر الحارة اليانسية من هذا الكتاب.

مسجد باب الخوخة

هذا المسجد تجاه باب الخوخة بجوار مدرسة أبي غالب. قال ابن المأمون في تاريخه من حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة: ولما سكن المأمون الأجل دار الذهب وما معها، يعني في أيام النيل للنزهة عند سكن الخليفة الآمر بأحكام الله بقصر اللؤلؤة المطل على الخليج، رأى قبالة باب الخوخة محرسا، فاستدعى وكيله وأمره بأن يزيل المحرس المذكور ويبني موضعه مسجدا، وكان الصناع يعملون فيه ليلا ونهارا، حتى أنه تفطر بعد ذلك واحتيج إلى تجديده.

المسجد المعروف بمعبد موسى

هذا المسجد بخط الركن المخلق من القاهرة تجاه باب الجامع الأقمر المجاور لحوض السبيل، وعلى يمنة من سلك من بين القصرين طالباحبة باب العيد. أول من اختطه القائد جوهر عندما وضع القاهرة. قال ابن

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٨٣/٣

عبد الظاهر: ولما بنى القائد جوهر القصر دخل فيه دير العظام، وهو المكان المعروف الآن بالركن المخلق، قبالة حوض الجامع الأقمر، وقريب دير العظام، **والمصريون** يقولون بئر العظمة، فكره أن يكون في القصر دير فنقل العظام التي كانت به والرمم إلى دير بناه في الخندق، لأنه كان يقال إنها كانت عظام جماعة من الحواريين، وبنى مكانها مسجدا من داخل السور، يعني سور القصر. وقال جامع سيرة الظاهر بيبرس: وفي ذي الحجة سنة ستين وستمائة ظهر بالمسجد الذي بالركن المخلق من القاهرة حجر مكتوب عليه. هذا معبد موسى بن عمران عليه السلام، فجددت عمارته وصار يعرف بمعبد موسى من حينئذ ووقف عليه ربع بجانبه، وهو باق إلى وقتنا هذا.

مسجد نجم الدين." (١)

"هذا المسجد خارج القاهرة مما يلي الخندق، عرف قديما بالبئر، والجميزة، وعرف بمسجد تبر، وتسميه العامة مسجد التبن وهو خطأ، وموضعه خارج القاهرة قريبا من المطرية. قال القضاعي: مسجد تبر بني على رأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنفذه المنصور فسرقه **أهل مصر** ودفنوه هناك، وذلك في سنة خمس وأربعين ومائة، ويعرف بمسجد البئر والجميزة. وقال الكندي في كتاب الأمراء: ثم قدمت الخطباء إلى مصر برأس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب في ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومائة، لينصبوه في المسجد الجامع، وقامت الخطباء فذكروا أمره.وتبر هذا أحد الأمراء الأكابر في أيام الأستاذ كافور الإخشيدي، فلما قدم جوهر القائد من المغرب بالعساكر ثار تبر الإخشيدي هذا في جماعة من الكافورية والإخشيدية وحاربه، فانهزم بمن معه إلى أسفل الأرض، فبعث جوهر يستعطفه فلم يجب وأقام على الخلاف، فسير إليه عسكرا حاربه بناحية صهرجت فانكسر وصار إلى مدينة صور التي كانت على الساحل في البحر، فقبض عليه بها وأدخل إلى القاهرة على فيل، فسجن إلى صفر سنة ستين وثلاثمائة، فاشتدت المطالبة عليه، وضرب بالسياط وقبضت أمواله، وحبس عدة من أصحابه بالمطبق في القيود إلى ربيع الآخر منها، فجرح نفسه وأقام أياما مريضا ومات، فسلخ بعد موته وصلب عند كرسي الجبل. وقال ابن عبد الظاهر أنه حشي جلدة تبنا وصلب، فربما سمت العامة مسجده بذلك لما ذكرناه، وقيل أن تبرا هذا خادم الدولة المصرية، وقبره بالمسجد المذكور. قال مؤلفه: هذا وهم وإنما هو تبر الإخشيدي.

مسجد القطبية

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٧٣/٣

هذا المسجد كان حيث المدرسة المنصورية بين القصرين والله أعلم.

الخوانك." (١)

"هذا الرباط بسفح الجرف الذي عليه الرصد، وهو يشرف على بركة الحبش، وكان من أحسن منتزهات أهل مصر. أنشأه الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير خازندار الصالحي النجمي، ورتب فيه صوفية وشيخا وإماما، وجعل فيه منبرا يخطب عليه للجمعة. والعيدين، وقرر لهم معاليم من أوقاف أرصدها لهم، وذلك في سنة ثلاث وستين وستمائة، وهو باق إلا أنه لم يبق به ساكن لخراب ما حوله، وله إلى اليوم متحصل من وقفه، والأفرم هذا هو الذي ينسب إليه جسر الأفرم خارج مصر، وقد ذكر عند ذكر الجسور من هذا الكتاب.

الرباط العلائي

هذا الرباط خارج مصر بخط بين الزقاقين شرقي الخليج الكبير، يعرف اليوم بخانقاه المواصلة، وهو آيل إلى الدثور لخراب ما حوله، أنشأه الملك علاء الدين أبو الحسن علي ابن الملك المجاهد سيف الدين إسحاق صاحب الجزيرة، ابن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، بجوار داره وحمامه وطاحونه، وجعل له فيه م دفنا ووقف عليه بستان الجرف وبستانا بناحية شبرا، وعدة حصص من قرى فلسطين والساحل، وأحكارا ودورا بجانب الرباط. ومات يوم الجمعة ثامن ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، ومولده يوم الجمعة ثامن عشري المحرم سنة سبع وخمسين وستمائة، بجزيرة ابن عمرو، وكان من الحلقة وسمع الحديث من النجيب الحراني، وابن عرنين، وابن علاف. ودفن فيه وبه إلى الآن بقية، ويحضره الفقهاء يوما في الأسبوع وهم عشرة شيخهم منهم ومنهم قارئ ميعاد وقراء، وكان أولا معمورا بسكنى أهله دائما فيه، وفي هذا الوقت لا يمكن سكناه لكثرة الخوف من السراق.

الزوايا

زاوية الدمياطي

هذه الزاوية فيما بين خط السبع سقايات وقطنرة السد خارج مصر إلى جانب حوض السبيل المعد لشرب الدواب، أنشأها الأمير عز الدين أيبك الدمياطي الصالحي النجمي، أحد الأمراء المقدمين الأكابر في أيام الملك الظاهر بيبرس، وبها دفن لما مات بالقاهرة ليلة الأربعاء تاسع شعبان سنة ست وتسعين وستمائة، وإلى الآن يعرف الحوض المجاور لها بحوض الدمياطي.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٧٥/٣

زاوية الشيخ خضر

هذه الزاوية خارج باب الفتوح من القاهرة بخط زقاق الكحل. تشرف على الخليج الكبير، عرفت بالشيخ خضر بن أبي بكر بن موسى المهراني العدوي، شيخ السلطان الملك الظاهر بيبرس، كان أولا قد انقطع بجبل المزة خارج دمشق، فعرفه الأمير سيف الدين قشتمر العجمي وتردد إليه فقال له: لا بد أن يتسلطن الأمير بيبرس البندقاري، فأخبر بيبرس بذلك، فلما صارت المملكة إليه بعد قتل الملك المظفر قطز، اشتمل على اعتقاده وقربه، وبني له زاوية بجبل المزة، وزاوية بظاهر بعلبك، وزاوية بحماه، وزاوية بحمص، وهذه الزاوية خارج القاهرة. ووقف عليها أحكارا تغل في السنة نحو الثلاثين ألف درهم، وأنزله بها وصار ينزل إليه في الأسبوع مرة أو مرتين ويطلعه على غوامض أسراره ويستشيره فيم أموره، ولا يخرج عما يشير به، ويأخذه معه في أسفاره، وأطلق يده وصرفه في مملكته، فهدم كنيسة اليهود بدمشق، وهدم كنيسة للنصارى بالقدس، كانت تعرف بالمصلبة، وعملها زاوية، وقتل قسيسها بيده، وهدم كنيسة للروم بالإسكندرية كانت من كراسي النصارى، ويزعمون أن بها رأس يحيى بن زكريا، وعملها مسجدا سماه الخضر، فاتقي جانبه الخاص والعام حتى الأمير بحر الدين بيلبك الخازندار نائب السلطنة، والصاحب بهاء الدين علي بن حنا، وملوك الأطراف، وكان يكتب إلى صاحب حماه وجميع الأمراء إفا طلب حاجة ما مثاله: الشيخ خضر نياك الحمارة، وكان ربع القامة كث اللحية يتعمم، عسراوي وفي لسانه عجمة، مع سعة صدر وكرم شمائل وكثرة عطاء من تفرقة الذهب والفضة، وعمل الأسمطة الفاخرة، وكانت أحواله عجيبة لا تتكيف، وأقوال الناس فيه مختلفة، منهم من يثبت صلاحه ويعتقلى، ومنهم من يرميه بالعظائم. وكان يخبر السلطان بأمور تقع، منها أنه لما حاصر أرسوف وهي أول فتوحاته، قال له: متى نأخذ هنه المدينة؟ فعين له يوما يأخذها فيه، فأخذها في ذلك اليوم بعينه، واتفق له مثل ذلك في فتح قيسارية، فلذلك كثر اعتقاع! فيه، وما أحسن قول الشريف محمد بن رضوان الناسخ في ملازمة السلطان له أسفاره: ما الظاهر السلطان الأ مالك اه عنيا بذاك لنا الملاحم تخبر." (١)

"هذه الزاوية برأس حارة الديلم، بناها الفقير المعتقد علي بن السدار في سنة سبعين وسبعمائة، وتوفي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة.

المشاهد

التي يتبرك الناس بزيارتها

---

(١) المواعظ والاعتبار، ١٩٦/٣

مشهد زين العابدين

هذا المشهد فيما بين الجامع الطولوني ومدينة مصر، تسميه العامة مشهد زين العابدين، وهو خطأ، وإنما هو مشهد رأس زيد بن علي المعروف بزين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ويعرف في القديم بمسجد محرس الخصي. قال القضاعي: مسجد محرس الخصي بني على رأس زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حين أنفذه هشام بن عبد الملك إلى مصر، ونصب على المنبر بالجامع، فسرقه **أهل مصر** ودفنوه في هذا الموضع.

وقال الكندي في كتاب الأمراء: وقدم إلى مصر في سنة اثنتين وعشرين ومائة أبو الحكم بن أبي الأبيض القيسي خطيبا برأس زيد بن علي رضوان الله عليه، يوم الأحد لعشر خلون من جمادى الآخرة، واجتمع الناس إليه في المسجد.

وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني في كتاب الجوهر المكنون في ذكر القبائل والبطون: وبنو زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام الشهيد بالكوفة، ولم يبق له عليه السلام غير رأسه التي بالمشهد الذي بين الكومين بمصر بطريق جامع ابن طولون وبركة الفيل، وهو من الخطط، يعرف بمسجد محرس الخصي، ولما صلب كشفوا عورته فنسج العنكبوت فسترها. ثم إنه بعد ذلك أحرق وذرى في الريح ولم يبق منه إلا رأسه التي بمصر، وهو مشهد صحيح لأنه طيف بها بمصر، ثم نصبت على المنبر بالجامع بمصر في سنة اثنتين وعشرين ومائة، فسرقت ودفنت في هذا الموضع إلى أن ظهرت، وبنى عليها مشهد.

وذكر ابن عبد الظاهر أن الأفضل بن أمير الجيوش لما بلغته حكاية رأس زيد أمر بكشف المسجد، وكان وسط أكوام، ولم يبق من معالمه إلا محراب، فوجد هذا العضو الشريف. قال محمد بن منجب بن الصيرفي: حدثني الشريف فخر الدين أبو الفتوح ناصر الزيدي خطيب مصر، وكان من جملة حضر الكشف قال: لما خرج هذا العضو رأيته، وهو هامة وافرة، وفي الجبهة أثر في سعة الدرهم، فضمخ وعطر وحمل إلى دار حتى عمر هذا المشهد، وكان وجد أنه يوم الأحد تاسع عشري ربيع الأول سنة خمس وعشرين وخمسمائة، وكان الوصول به في يوم الأحد، ووجدانه في يوم الأحد.

زيد بن علي: بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكنيته أبو الحسن الإمام، الذي تنسب إليه الزيدية إحدى طوائف الشيعة، سكن المدينة وروى عن أبيه علي بن الحسين الملقب زين العابدين، وعن أبان بن عثمان، وعبيد الله بن أبي رافع، وعروة بن الزبير وروى عنه محمد بن شهاب الزهري، وزكريا بن أبي زائدة، وخلق

ذكره ابن حبان في الثقات. وقال: رأى جماعة من الصحابة، وقيل لجعفر بن محمد الصادق عن الرافضة أنهم يتبرؤن من عمك زيد. فقال: برئ الله ممن تبرأ من عمي، كان والله أقرأنا لكتاب الله، وأفقهنا في دين الله، وأوصلنا للرحم، والله ما ترك فينا لدينا ولا لآخرة مثله.

وقال أبو إسحاق السبيعي: رأيت زيد بن علي فلم أر في أهله مثله، ولا أعلم منه، ولا أفضل، وكان أفصحهم لسانا، وأكثرهم زهدا وبيانا.

وقال الشعبي: والله ما ولد النساء أفضل من زيد بن علي، ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد. وقال أبو حنيفة: شاهدت زيد بن علي كما شاهدت أهله، فما رأيت في زمانه أفقه منه، ولا أعلم، ولا أسرع جوابا، ولا أبين قولا لقد كان منقطع القرين. وقال الأعمش: ما كان في أهل زيد بن علي مثل زيد، ولا رأيت فيهم أفضل منه، ولا أفصح ولا أعلم ولا أشجع، ولقد وفي له من تابعه لإقامتهم على المنهج الواضح. وسئل جعفر بن محمد الصادق عن خروجه فقال: خرج على ما خرج عليه آباؤه وكان يقال لزيد حليف القرآن، وقال خلوت بالقران ثلاث عشرة سنه أقرأه وأتدبره، فما وجدت مي طلب الرزق رخصة، وما وجدت، ابتغوا من فضل الله إلا العبادة والفقه.." (١)

"وأما جد نفيسة وهو زيد بن الحسن بن علي، فروي عن أبيه وعن جابر وابن عباس، وروى عنه ابنه، وكانت بينه وبين عبد الله بن محمد ابن الحنفية خصومة وفدا لأجلها على الوليد بن عبد الملك، وكان يأتي الجمعة من ثمانية أميال، وكان إذا ركب نظر الناس إليه وعجبوا من عظم خلقه وقالوا: جده رسول الله. وكتب إليه الوليد بن عبد الملك يسأله أن يبايع لابنه عبد العزيز ويخلع سليمان بن عبد الملك، ففرق منه وأجابه، فلما استخلف سليمان وجد كتاب زيد بذلك إلى الوليد، فكتب إلى أبي بكر بن حزم أمير المدينة: ادع زيد بن الحسن فأقره الكتاب، فإن عرفه فاكتب إلي، وإن هو نكل فقدمه فأصب يمينه عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم! إنه ما كتبه ولا أمر به، فخاف زيدا لله واعترف. فكتب بذلك أبو بكر، فكتب سليمان أن يضربه مائة سوط وأن يدرعه عباءة ويمشيه حافيا، فحبس عمر بن عبد العزيز الرسول وقال: حتى أكلم أمير المؤمنين فيما كتب به في حق زيد. فقال للرسول: لا تخرج فإن أمير المؤمنين مريض. فمات سليمان وأحرق عمر الكتاب.

وأما والد نفيسة وهو الحسن بن زيد، فهو الذي كان والي المدينة النبوية من قبل أبي جعفر عبد الله بن محمد المنصور، وكان فاضلا أديبا عالما، وأمه أم ولد. توفي أبوه وهو غلام، وترك عليه دينا أربعة آلاف

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٠٢/٣

دينار، فحلف الحسن ولده أن لا يظل رأسه سقف إلا سقف مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بيت رجل يكلمه في حاجة حتى يقضي دين أبيه، فوفاه وقضاه بعد ذلك. ومن كرمه أنه أتى بشاب شارب متأدب، وهو عامل على المدينة فقال: يا ابن رسول الله لا أعود وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أقيلوا ذوي الهيآت عثراتهم " وأنا ابن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، وقد كان أبي مع أبيك، كما قد علمت. قال: صدقت، فهل أنت عائد؟ قال: لا والله. فأقاله وأمر له بخمسين دينارا وقال له: تزوج بها وعد إلي. فتاب الشاب وكان الحسن بن زيد يجري عليه النفقة.

وكانت نفيسة من الصلاح والزهد على الحد الذي لا مزيد عليه، فيقال أنها حجت ثلاثين حجة، وكانت كثيرة البكاء، تديم قيام الليل وصيام النهار، فقيل لها: ألا ترفقين بنفسك؟ فقالت: كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون. وكانت تحفظ القرآن وتفسيره، وكانت لا تأكل إلا في كل ثلاث ليال أكلة واحدة، ولا تأكل من غير زوجها شيئا، وقد ذكر أن الإمام الشافعي محمد بن إدريس كان زارها وهي من وراء الحجاب وقال لها: ادعي لي، وكان صحبته عبد الله بن عبد الحكم. وماتت رضي الله عنها بعد موت الإمام الشافعي رحمة الله عليه بأربع سنين، لأن الشافعي توفي سلخ شهر رجب سنة أربع ومائتين. وقيل أنها كانت فيمن صلى على الإمام الشافعي. وتوفيت السيدة نفيسة في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين، ودفنت في منزلها، وهو الموضع الذي به قبرها الآن، ويعرف بخط درب السباع، ودرب بزرب. وأراد إسحاق بن الصادق وهو زوجها أن يحملها ليدفنها بالمدينة، فسأله أهل مصر أن يتركها ويدفنها عندهم لأجل البركة، وقبر السيدة نفيسة أحد المواضع المعروفة بإجابة الدعاء بمصر، وهي أربعة مواضع: سجن نبي الله يوسف الصديق عليه السلام، ومسجد موسى صلوات الله عليه، وهو الذي بطرا، ومشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها، والمخدع الذي على يسار المصلى في قبلة مسجد الإقدام بالقرافة. فهذه المواضع لم يزل المصريون ممن أصابته مصيبة أو لحقته فاقة أو جائحة يمضون إلى أحدها، فيدعون الله تعالى فيستجيب لهم، مجرب ذلك. انتهى.." (١)

"وروى أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس في تاريخ مصر من حديث حرملة بن عمران قال: حدثني عمير بن أبي مدرك الخولاني عن سفيان بن وهب الخولاني قال: بينما نحن نسير مع عمرو بن العاص في سفح هذا الجبل ومعنا المقوقس، فقال له عمرو: يا مقوقس ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات ولا شجر على نحو بلاد الشام؟ فقال: لا أدري، ولكن الله أغنى أهله بهذا النيل عن ذلك، ولكنه

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٠٩/٣

نجد تحته ما هو خير من ذلك. قال: وما هو؟ قال ليدفنن تحته أو ليقبرن تحته قوم يبعثهم الله يوم القيامة لا حساب عليهم، قال عمرو: اللهم اجعلني منهم. قال حرملة بن عمران: فرأيت قبر عمرو بن العاص، وقبر أبي بصيرة، وقبر عقبة بن عامر فيه. وخرج أبو عيسى الترمذي من حديث أبي طيبة عبد الله بن مسلم، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه رفعه: " من مات من أصحابي بأرض بعث قائدا لهم ونورا يوم القيامة " ، وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي: القرافة هم بنو غض بن سيف بن وائل بن المغافر، وفي نسخة بنو غصن. وقال أبو عمرو الكندي: بنو جحض بن سيف بن وائل بن الجيزي بن شراحيل بن المغافر بن يغفر. وقيل أن قرافة اسم أم عزافر، وجحض ابني سيف بن وائل بن الجيزي. قد صحف القضاعي في قوله غصن بالغين المعجمة، والأقرب ما قاله الكندي، لأنه أقعد بذلك. وقال ياقوت والقرافة – بفتح القات وراء مخففة وألف خفيفة وفاء – الأول مقبرة بمصر مشهورة مسماة بقبيلة من المغافر يقال لهم بنو قرافة، الثاني القرافة محلة بالإسكندرية منسوبة إلى القبيلة أيضا. وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني في كتاب النقط: وقد ذكر جامع القرافة الذي يقال له اليوم جامع الأولياء، وكان جماعة من الرؤساء يلزمون النوم بهذا الجامع ويجلسون في ليالي الصيف يتحدثون في القمر، في صحنه، وفي الشتاء ينامون عند المنبر، وكان يحصل لقيمه الأشربة والحلوى والجرايات، وكان الناس يحبون هذا الموضع ويلزمونه لأجل من يحضر من الرؤساء، وكانت الطفيلية يلزمون المبيت فيه ليالي الجمع، وكذلك كثر المساجد التي بالقرافة والجبل والمشاهد لأجل ما يحمل إليها ويعمل فيها من الحلاوات واللحومات والأطعمة، وقال موسى بن محمد بن سعيد في كتاب المعرب عن أخبار المغرب: وبت ليالي كثيرة بقرافة الفسطاط، وهي في شرقيها بها منازل الأعيان بالفسطاط والقاهرة، وقبور عليها مبان معتنى بها، وفيها القبة العالية العظيمة المزخرفة التي فيها قبر الإمام الشافعي رضي الله عنه، وبها مسجد جامع وترب كثيرة عليها أوقاف للقواء، ومدرسة كبيرة للشافعية، ولا تكاد تخلو من طرب، ولا سيما في الليالي المقمرة، وهي معظم مجتمعات **أهل مصر**، وأشهر منتزهاتهم وفيها أقول:

إن القرافة قد حوت ضدين ... من دنيا وأخرى فهي نعم المنزل

يغشى الخليع بها السماع مواصلا ... ويطوف حول قبورها المتبتل

كم ليلة بتنا بها ونديمنا ... لحن يكاد يذوب منه الجندل

والبدر قد ملا البسيطة نوره ... فكأنما قد فاض منه جدول

وبدا يضاحك أوجها حاكينه ... لما تكامل وجهه المتهلل

وفوق القرافة من شرقيها جبل المقطم، وليس له علو ولا عليه اخضرار، وإنما يقصد اللبركة، وهو نبيه الذكر في الكتب، وفي سفحه مقابر أهل الفسطاط والقاهرة، والإجماع على أنه ليس في الدنيا مقبرة أعجب منها ولا أبهى ولا أعظم ولا أنظف من أبنيتها وقبابها وحجرها، ولا أعجب تربة منها، كأنها الكافور والزعفران مقدسة في جميع الكتب، وحين تشرف عليها تراها كأنها مدينة بيضاء، والمقطم عال عليها كأنه حائط من ورائها، وقال شافع بن علي:

تعجبت من أمر القرافة إذ غدت ... على وحشة الموتى لها قلبنا يصبو

فألفيتها مأوى الأحبة كلهم ... ومستوطن الأحباب يصبو له القلب

وقال الأديب أبو سعيد محمد بن أحمد العميدي:

إذا ما ضاق صدري لم أجد لي ... مقر عبادة إلا القرافه

لئن لم يرحم المولى اجتهادي ... وقلة ناصري لم ألف رأفه." (١)

"هذا المسجد كان غربي مسجد الأقدام، بناه ابن سعدون أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، بعد سنة عشرين وأربعمائة، وجدده أخوه أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسن بن سعدون البغدادي سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة، وهو مسجد أبي صادق مرشد المديني المالكي المحدث، وكان قارئ المصحف بالجامع، ومصليا به، ومصدرا فيه للقراء السبع، وكان فيه حنة على الحيوانات لا سيما على القطط والكلاب، وكان مشارف الجامع وجعل عليه جاريا من الغدد كل يوم لأجل القطط، وكان عند داره بزقاق الأقفال من مصر كلاب يطعمها ويسقيها، وربما تبع دابته منها شيء يمشي معه في الأسواق، قال الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة في كتاب النقط على الخطط: حدثني الشيخ منجب غلام أبي صادق قال: كان لمولاي الشيخ أبي صادق كلب لا يفارقه أبدا، إذا كان راكبا يمشي خلفه، فإذا وقفت بغلته قام تحت يديها، فإذا رآه الناس قالوا هذا أبو صادق وكلبه. وحدثني قال: ولدت كلبة في مستوقد حمام، وكان المؤذن يأتي خلف مولاي سحرا كل يوم لقراءة المصحف، وكان مولاي يأخذ في كمه كل يوم رغيفا، فإذا حاذى موضع الكلبة قلع طيلسانه وقطع الخبز للكلبة ويرمي لها بنفسه إلى أن تأكل، ثم يستدعي الوماد ويعطيه قيراطا ويقول له: اغسل قدحها واملأه ماء حلوا، ويستحلفه على ذلك. فلما كبر أولادها صار يأخذ بعد رغيفين إلى أن كبروا وتفرقوا. وحدثني قال: كان قد جعل كراء حانوت برسم القطاط بالجامع العتيق من الأحباس، وكان يؤتي بالغدد مقطعة، فيجلس ويقسم عليها، وإن قطة كانت تحمل شيئا من ذلك وتمضي

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢١٢/٣

به، وفعلت ذلك مرارا، فقال مولاي للشيخ أبي الحسن بن فرج امض خلف هذه القطة وانظر إلى أين تؤدي ذلك، فمضى ابن فرج فإذا بها تؤدبه إلى أولادها، فعاد إليه وأخبره، فكان بعد ذلك يقطع غددا صغارا على قدر مساغ القطط الصغار، وغددا كبار للكبار، ويرسل بجزء الصغار إليهم إلى أن كبروا.

مسجد الفراش

هذا المسجد كان بالقرافة الكبرى، بناه أحمد فراش الأفضل بن أمير الجيوش، وبجواره مجسد بناء زيد بن حسام، ومسجد الإجابة القديم، وتربة العطار، ودار البقر، وقناطر الأطفيحي، كل ذلك بالقرب من جامع القرافة.

مسجد تاج الملوك

هذا المسجد قدام دار النعمان وتربته من القرافة الكبرى، بناه تاج الملوك بدران بن أبي الهيجاء الكردي الماراني، وهو أخو سيف الدين حسين بن أبي الهيجاء، صهر بني رزيك، وكان مجتمع **أهل مصر** عنده في الأعياد والمواسم وليالي الوقود.

مسجد الثمار

هذا المسجد كان ملاصقا للزيادة التي في بحري مسجد الأقدام، وفيه قبور بني الثمار.

مسجد الحجر

هذا المسجد كان بحري مسجد عمار بن يونس مولى المغافر، وشرقي قصر الزجاج من القرافة الكبرى، بنته مولاة علي بن يحيى بن طاهر المعروف بابن أبي الخارجي الموصلي، في ربيع الأول سنة ثلاثين وأربعمائة.

مسجد القاضي يونس

ه ذا المسجد كان غربي مسجد الحجر المذكور، بناه الشيخ عدي الملك بن عثمان صاحب دار الضيافة، ثم صار بيد قاضي القضاة بمصر، الموفق كمال الدين أبي الفضائل يونس بن محمد بن الحسن المعروف بجوامرد، خطيب القدس القرشي، وكان من الأعيان، ولم يشرب قط من ماء النيل بل من ماء الآبار، ولم يأكل قط للسلطان خبزا، وكان يروى الحديث عن جده.

مسجد الوزيرية." (١)

"رباط الأشراف: كان برحبة جامع القرافة، يعرف بالقراء، وببني عبد الله، وبمسجد القبة، وهو شرقي بستان ابن نصر، بناه أبو بكر محمد بن علي المادراني ووقفه على نساء الأشراف.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢١٨/٣

رباط الأندلس: بنته الجهة المعروفة بجهة مكنون الآمرية كما تقدم.
رباط ابن العكاري: كان بحضرة مسجد بني سريع المعروف بالجامع العتيق.
رباط الحجازية: بنته وحبسته على الحجازية، فوز جارية علي بن أحمد الجرجراي الوزير، هو والمسجد الذي تقدم ذكره.
رباط رياض: كان بجوار مسجد الحاجة رياض.
المصليات والمحاريب التي بالقرافة
وكان في القرافة عدة مصليات وعدة محاريب.
منها: مصلى الشريفة: كان بدرب القرافة بحدرة الجباسين وخطة الصدف، بناه أبو محمد عبد الله بن الأرسوفي الشامي التاجر، سنة سبع وسبعين وخمسمائة.
مصلى المغافر: وهو الأندلس، جدده ابن برك الإخشيدي، ثم بنته جهة مكنون الآمرية في سنة ست وعشرين وخمسمائة.
مصلى عقبة القرافة، يعرف بمصلى الأندلسي: كان ذا مصطبة مربعة على يسره الطالع إلى القرافة، بناه يوسف بن أحمد الأندلسي الأنصاري، في شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة.
مصلى القرافة: جدده الفقيه ابن الصباغ المالكي، في سنة عشرين وخمسمائة، وكان بحضرة مسجد أبي تراب تجاه دار التبر.
مصلى الفتح: كان ملاصقا لمسجد الفتح، بناه أبو محمد القلعي المغربي المنجم الحافظي.
مصلى جهة العادل: أبي الحسن بن السلار وزير مصر.
مصلى الأطفيحي: بجوار مسجد الأطفيحي الذي تقدم ذكره.
مصلى الجرجاني: بناه الوزير علي بن أحمد الجرجاني، وكانت بالقرافة الكبرى والجبانة عدة محاريب خربت كلها.
مصلى خولان: هذه المصلى عرفت بطائفة من العرب الذين شهدوا فتح مصر يقال لهم خولان، وهم من قبائل اليمن، واسمه نكل بن عمرو بن مالك بن زيد بن عريب، وفي هذه المصلى مشهد الأعياد، ويؤم الناس ويخطب لهم بها في يوم العيد خطيب جامع عمرو بن العاص، وليست هذه المصلى هي التي أنشأها المسلمون عند فتح أرض مصر، وإنما كانت مصلى العيد في أول الإسلام غير هذه. قال القضاعي: مصلى العيد كان مصلى عمرو بن العاص مقابل اليحموم، وهو الجبل المطل على القاهرة. فلما ولي عبد

الله بن سعد بن أبي سرح مصر، أمر بتحويله. فحول إلى موضعه المعروف اليوم بالمصلى القديم عند درب السباع، ثم زاد فيه عبد الله بن طاهر سنة عشر ومائتين، ثم بناه أحمد بن طولون في سنة ست وخمسين ومائتين، واسمه باق عليه إلى اليوم.

قال الكندي: ولما قدم شفي الأصبحي إلى مصر، **وأهل مصر** قد اتخذوا مصلى بحذاء ساقية أبي عون عند العسكر قال: ما لهم وضعوا مصلاهم في الجبل الملعون وتركوا الجبل المقدس، يعني المقطم. قال: فقدموا مصلاهم إلى موضعه الذي هو به اليوم، يعني المصلى القديم المذكور. وقال الكندي: ثم ضاق المصلى بالناس في إمارة عنبسة بن إسحاق الضبي على مصر، في أيام المتوكل على الله، فأمر عنبسة بابتناء المصلى الجديد، فابتدئ ببنائه في العشر الأخير من شهر رمضان سنة أربعين ومائتين، وصلى فيه يوم النحر من هذه السنة.." (١)

"كهف السودان: مغار في الجبل لا يعلم من أحدثه، ويقال أن قوما من السودان نقروه فنسب إليهم، وكان صغيرا مظلما، فبناه الأحدب الأندلسي القزاز، وزاد في سفله مواضع نقرها، وبنى علوه. ويقال أنه أنفق فيه أكثر من ألف دينار، ووسع المجاز الذي يسلك منه إليه، وعمل الدرج النقر التي يصعد عليها إليه، وبدأ في بنيانه مستهل سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، وفرغ منه في شعبان من هذه السنة.

العارض: هذا المكان مغارة في الجبل، عرفت بأبي بكر محمد جد مسلم القاري، لأنه نقرها، ثم عمرت بأمر الحاكم بأمر الله، وأنشئت فيها منارة هي باقية إلى اليوم، وتحت العارض قبر الشيخ العارف عمر بن الفارض رحمه الله، ولله در القائل:

جزبا لقرافة تحت ذيل العارض ... وقل السلام عليك يا ابن الفارض

وقد ذكر القضاعي أربع عشرة مغارة في الجبل، منها ما هو باق، وليس في ذكرها فائدة.

اللؤلؤة: هذا المكان مسجد في سفح الجبل باق إلى يومنا هذا، كان مسجدا خرابا، فبناه الحاكم بأمر الله وسماه اللؤلؤة، قيل كان بناؤه في سنة ست وأربعمائة، وهو بناء حسن.

مسجد الهرعاء: فيما بين اللؤلؤة ومسجد محمود، وهو مسجد قديم يتبرك بالصلاة فيه، وقد ذكر مسجد محمود عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب، لأنه تقام فيه الجمعة.

دكة القضاة: قال القضاعي: هي دكة مرتفعة عن المساجد في الجبل، كان القضاة بمصر يخرجون إليها لنظر الأهلة كل سنة، ثم بني عليها مسجد.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٢٣/٣

مسجد فائق: مولى خمارويه بن أحمد بن طولون، كان في سفح الجبل مما يلي طريق مسجد موسى عليه السلام.

مسجد موسى: بناه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات.

مسجد زهرون بالصحراء: هو مسجد أبي محمد الحسن بن عمر الخولاني، ثم عرف بابن المبيض، وكان زهرون قيمه فنسب إليه.

مسجد الفقاعي: هو أبو الحسن علي بن الحسن بن عبد الله، كان أبوه فقاعيا بمصر، وهو مسجد كبير بناه كافور الإخشيدي، ثم جدده وزاد فيه مسعود بن محمد صاحب الوزير أبي القاسم علي بن أحمد الجرجراي، وكان في وسط هذا المسجد محراب مبني بطوب يقال أنه من بناء حاطب بن أبي بلتعة رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس، ويقال أنه أول محراب اختط في مصر، وكان أبو الحسن التميمي قد زاد فيه ببناء قبل ذلك.

مسجد الكنز: هذا المسجد كان شرقي الخندق وبحري قبر ذي النون المصري، وكان مسجدا صغيرا يعرف بالزمام، ومات قبل تمامه، فهدمه أبو طاهر محمد بن علي القرشي القرقوبي ووسعه وبناه، وحكي أنه لما هدمه رأى قائلا يقول في المنام: على أذرع من هذا المسجد كنز، فاستيقظ وقال: هذا من الشيطان، فرأى هذا القائل ثلاث مرات، فلما أصبح أمر بحفر الموضع فإذا فيه قبر، وظهر له لوح كبير تحته ميت في لحد كأعظم ما يكون من الناس جثة ورأسا، وأكفانه طرية لم يبل منها إلا ما يلي جمجمة الرأس، فإنه رأى شعر رأسه قد خرج من الكفن، وإذا له جمة، فراعه ما رأى وقال: هذا هو الكنز بلا شك، وأمر بإعادة اللوح والتراب كما كان، وأخرج القبر عن سائر الحيطان، وأبرزه للناس فصار يزار ويتبرك به.

مسجد في غربي الخندق: أنشأه أبو الحسن بن النجار الزيات في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة.

مسجد لؤلؤ الحاجب: بالقرافة الصغرى، بنى بجانبه مقبرة، وحفر عندها بئرا حتى انتهى الحفار إلى قرب الماء، فقال الحفار: إني أجد في البئر شيئا كأنه حجر. فقال له لؤلؤ تسبب في قلعه، فلما قلعه فار الماء وأخرجه، وإذا هو اسطام مركب، وهو الخشبة التي تبنى عليها السفينة، وهذا يصدق ما قاله أرسطاطاليس في كتاب الآثار العلوية، قال: إن أهل مصر يسكنون فيما انحسر عنه البحر الأحمر، يعني بحر الشام، وقد ذكر خبر لؤلؤ هذا عند ذكر حمام لؤلؤ.

مقام المؤمن: قيل أنه مؤمن آل فرعون، لأنه أقام فيه، وهذا بعيد من الصحة.

قناطر ابن طولون وبئره: هذه القناطر قائمة إلى ا ليوم من بئر أحمد بن طولون التي عند بركة الحبش، وتعرف

هذه البئر عندنا ببئر عفصة، ولا تزال هذه القناطر إلى أثناء القرافة الكبرى، ومن هناك خفيت لتهدمها، وهي من أعظم المباني.." (١)

"الخندق: هذا الخندق كان بقرافة مصر، قد دثر، وعلى شفيره الغربي قبر الإمام الشافعي رضي الله عنه، وكان من النيل إلى الجبل، حفر مرتين، مرة في زمن مروان بن الحكم، ومرة في خلافة الأمين صمد بن هارون الرشيد. ثم حفره أيضا القائد جوهر. قال القضاعي: الخندق هو الخندق الذي في شرقي الفسطاط في المقابر، كان الذي أثار حفره مسير مروان بن الحكم إلى مصر، وذلك في سنة خمس وستين، وعلى مصر يومئذ عبد الرحمن بن عقبة بن جحدم الفهري، من قبل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه. فلما بلحه مسير مروان إلى مصر أعد واستعد وشاور الجند في أمره، فأشاروا عليه بحفر الخندق، والذي أشار به عليه ربيعة بن حبيش الصدفي، فأمر ابن جحدم بإحضار المحاريث من الكور لحفر الخندق على الفسطاط، فلم تبق قرية من قرى مصر إلا حفر من أهلها النفر، وكان ابتداء حفره غرة المحرم سنة خمس وستين، فما كان شيء أسرع من فراغهم منه، حفروه في شهر واحد. وكانت الحرب من ورائه يغدون إليها ويروحون، فسميت تلك الأيام أيام الخندق والتراويح، لرواحهم إلى القتال، وكانت المغافر أكثر قبائل أهل مصر عددا، كانوا عشرين ألفا، ونزل مروان عين شمس لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين، في اثني عشر ألفا، وقيل في عشرين ألفا، فخرج أهل مصر إلى مروان فحاربوه يوما واحدا بعين شمس، ثم تحاجزوا ورجع أهل صر إلى خندقهم فتحصنوا به، وصحبتهم جيوش مروان على باب الخندق، فاصطف أهل مصر على الخندق، فكانوا يخرجون إلى أصحاب مروان فيقاتلونهم نوبا نوبا، وأقاموا على ذلك عشرة أيام ومروان مقيم بعين شمس، وكتب مروان إلى شيعته من أهل مصر، كريب بن أبرهة بن الصباح الحميري، وزياد بن حناطة التجيبي، وعابس بن سعيما المرادي يقول: إنكم ضمنتم لي ضمانا لم تقوموا به، وقد طالت الأيام والممانعة، فقام كريب وزياد وعابس إلى ابن جحدم فقالوا له: أيها الأمير إنه لا قوام لنا بما ترى، وقد رأينا أن نسعى في الصلح بينك وبين مروان وقد مل الناس الحرب وكرهوها، وقد خفنا أن يسلمك الناس إلى مروان فيكون محكما فيك، فقال: ومن لي بذلك؟ فقال كريب: أنا لك به، فسعى كريب وصاحباه في الصلح على أمان كتبه مروان لأهل مصر وغيرهم ممن شرب ماء النيل، وعلى أن يسلم لابن جحدم من بيت المال عشرة آلاف دينار، وثلاثمائة ثوب بقطرية، ومائة ريطة، وعشرة أفراس، وعشرين بغلا، وخمسين بعيرا. فتم الصم على ذلك، ودخل مروان الفسطاط مستهل جمادى الأولى سنة خمس وستين، فنزل دار الفلفل

(١) المواعظ والاعتبار، ٣/٢٢٥

ودفع إلى ابن جحدم جميع ما صالحه عليه، وسار ابن جحدم إلى الحجاز ولم يلق كل واحد منهما الآخر، وتفرق **المصريون** وأخذوا في دفن قتلاهم والبكاء عليهم، فسمع مروان البكاء فقال: ما هذه النوادب؟ فقيل: على القتلى. قال: لا أسمع نائحة تنوح إلا أحللت بمن هي في داره العقوبة. فسكتن عند ذلك ودفن **أهل مصر** قتلاهم فيما بين الخندق والمقطم، وهي المقابر التي يسميها **المصريون** مقابر الشهداء، ودفن أهل الشام قتلاهم فيما بين الخندق ومنية الأصبغ، وكان قتلى **أهل مصر** ما بين الستمائة إلى السبعمائة، وقتلى أهل الشام نحو الثلاثمائة، ولما برز مروان من الفسطاط سائرا إلى الشام، سمع وجبة النساء يندبن قتلاهن، قال: ويحهن ما هذا؟ قالوا: النساء على مقابرهن يندبن قتلاهن، فعرج عليهن، فأمر بالانصراف. قالوا: كذا هن كل يوم. قال: فامنعوهن إلا من سبب، وخرج مروان من مصر إلى الشام لهلال رجب سنة خمس وستين، وكان مقامه بالفسطاط شهرين، واستخلف ابنه عبد العزيز على مصر، وضم إليه بشر بن مروان، وكان حدثا، ثم ولي عبد الملك بشرا بعد ذلك البصرة، قال: ثم دثر هذا الخندق إلى أيام خلع الأمين بمصر وبيعة المأمون، وولى البلد عباد بن محمد بن حبان مولى كندة من قبل المأمون، فكتب الأمين بمصر إلى أهل الحوفين في القيام ببيعته وقتال: عباد **وأهل مصر**. فتجمع أهل الحوف لذلك واستعدوا، وبلغ **أهل مصر** فأشاروا على عباد بحفر الخندق، فحفروا خندقا من النيل إلى الجبل واحتفروا هذا الخندق العتيق، فكان القتال عليه أياما متفرقة إلى أن قتل الأمين وتمت بيعة المأمون، ثم لم يحفر بعد ذلك إلى يومنا هذا.." (١)

"ومناقب الشافعي رحمه الله كثيرة، قد صنف الأئمة فيها عدة مصنفات، وله في تاريخي الكبير المقفى ترجمة كبيرة، ومن أبدع ما حكي من مناقبه: أن الوزير نظام الملك أبا علي الحسن بن علي بن إسحاق، لما بنى المدرسة النظامية ببغداد في سنة أربع وسبعين وأربعمائة، أحب أن ينقل الإمام الشافعي من مقبرته بمصر إلى مدرسته، وكتب إلى أمير الجيوش بدر الجمالي وزير الإمام المستنصر بالله معد يسأله في ذلك، وجهز له هدية جليلة، فركب أمير الجيوش في موكبه ومعه أعيان الدولة ووجوه **المصريين** من العلماء وغيرهم، وقد اجتمع الناس لرؤيته، فلما نبش القبر شق ذلك على الناس، وماجوا وكثر اللغط وارتفعت الأصوات وهموا برجم أمير الجيوش والثورة به، فسكتهم وبعث يعلم الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بصورة الحال، فأعاد جوابه بإمضاء ما أراد نظام الملك، فقرئ كتابه بذلك على الناس عند القبر وطردت العامة والغوغاء من حوله، ووقع الحفر حتى انتهوا إلى اللحد، فعندما أرادوا قلع ما عليه من اللبن خرج من اللحد رائحة عطرة أسكرت من حضر فوق القبر حتى وقعوا صرعى، فما أفاقوا إلا بعد ساعة، فاستغفروا مما كان

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٢٨/٣

منهم وأعادوا ردم القبر كما كان وانصرفوا، وكان يوما من الأيام المذكورة، وتزاحم الناس على قبر الشافعي يزورونه مدة أربعين يوما بلياليها، حتى كان من شدة الازدحام لا يتوصل إليه إلا بعناء ومشقة زائدة، وكتب أمير الجيوش محضرا بما وقع وبعث به وبهدية عظيمة مع كتابه إلى نظام الملك، فقرئ هذا المحضر والكتاب بالنظامية ببغداد، وقد اجتمع العالم على اختلاف طبقاتهم لسماع ذلك، فكان يوما مشهودا ببغداد، وكتب نظام الملك إلى عامة بلدان المشرق من حدود الفرات إلى ما وراء النهر بذلك، وبعث مع كتبه بالمحضر وكتاب أمير الجيوش، فقرئت في تلك الممالك بأسرها، فزاد قدر الإمام الشافعي عند كافة أهل الأقطار، وعامة جميع أهل الأمصار بذلك.

وقد أوردت في كتاب إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع صلى الله عليه وسلم، نظير هذه الواقعة، وقع لضريح رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يزل قبر الشافعي يزار ويتبرك به إلى أن كان يوم الأحد لسبع خلت من جمادى الأولى سنة ثمان وستمائة، فانتهى بناء هذه القبة التي على ضريحه، وقد أنشأها الملك الكامل المظفر المنصور أبو المعالي ناصر الدين محمد ظهير أمير المؤمنين ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب، وبلغت النفقة عليها خمسين ألف دينار مصرية، وأخرج في وقت بنائها بعظام كثيرة من مقابر كانت هناك، ودفنت في موضع من القرافة، وبهذه القبة أيضا قبر السلطان الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وقبر أمه شمسة، وقيل فيها عدة أشعار، منها قول الأديب الكاتب ضياء الدين أبي الفتح موسى بن ملهم:

مررت على قبة الشافعي ... فعاين طرفي عليها العشاري

فقلت لصحبي لا تعجبوا ... فإن المراكب فوق البحار

وقال علاء الدين أبو علي عثمان بن إبراهيم النابلسي:

لقد أصبح الشافعي الإما ... م فينا له مذهب مذهب

ولو لم يكن بحر علم ... لما غدا وعلى قبره مركب

وقال آخر:

أتيت لقبر الشافعي أزوره ... تعرضنا فلك وما عنده بحر

فقلت تعالى الله تلك إشارة ... تشير بأن البحر قد ضمه القبر

وقال شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد البوصيري صاحب البردة:

بقبة قبر الشافعي سفينة ... رست في بناء محكم فوق جلمود

ومذ غاض طوفان العلوم بقبره استوى الفلك من ذاك الضريح على الجودي." (١)

"ومنها قبر الإمام الليث بن سعد: رحمه الله، قد اشتهر قبره عند المتأخرين، وأول ما عرفته من خبر هذا القبر أنه وجدت مصطبة في آخر قباب الصدف، وكانت قباب الصدف أربعمائة قبة فيما يقال، عليها مكتوب الإمام الفقيه الزاهد العالم الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث المصري مفتي **أهل مصر**، كما ذكر في كتاب هادي الراكبين في زيارة قبور الصالحين، لأبي محمد عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الكريم بن علي بن محمد بن علي بن طلحة، وفي كتاب مرشد الزوار للموفق ابن عثمان. وذكر الشيخ محمد الأزهري في كتابه فأي الزيارة: أن أول من بنى عليه وحيز كبير التجار أبو زيد المصري، بعد سنة أربعين وستمائة، ولم يزل البناء يتزايد إلى أن جدد الحاج سيف الدين المقدم عليه قبته في أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون، قبيل سنه ثمانين وسبعمائة، ثم جددت في أيام الناصر فرج بن الظاهر برقوق، على يد الشيخ أبي الخير محمد ابن الشيخ سليمان المادح، في محرم سنة إحدى عشرة وثمانمائة. ثم جددت في سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة على يد امرأة قدمت من دمشق في أيام المؤيد شيخ، عرفت بمرحبا بنت إبراهيم بن عبد الرحمن، أخت عبد الباسط. وكان لها معروف وبر، توفيت في تاسع عشري ذي القعدة سنة أربعين وثمانمائة، ويجتمع بهذه القبة في ليلة كل سبت جماعة من القراء، فيتلون القرآن الكريم تلاوة حسنة حتى يختموا ختمة كاملة عند السحر، ويقصد المبيت عندهم للتبرك بقراءة القرآن عدة من الناس، ثم تفاحش الجمع، وأقبل النساء والأحداث والغوغاء، فصار أمرا منكرا، لا ينصتون لقراءة ولا يتعظون بمواعظ، بل يحدث منهم على القبور ما لا يجوز. ثم زادوا في التعدي حتى حفروا ما هنالك خارج القبة من القبور، وبنوا مباني اتخذوها مراحيض وسقايات ماء، ويزعم من لا علم عنده أن هذه القراءة في كل ليلة سبت عند قبر الليث بزعمهم قديمة من عهد الإمام الشافعي، وليس ذلك بصحيح، وإنما حدثت بعد السبعمائة من سني الهجرة، بمنام ذكر بعضهم أنه رآه، وكانوا إذ ذاك يجتمعون للقراءة عند قبر أبي بكر الأدفوي.

المقابر خارج باب النصر

اعلم أن المقابر التي هي الآن خارج باب النصر، إنما حدثت بعد سنة ثمانين وأربعمائة، وأول تربة بنيت هناك تربة أمير الجيوش بدر الجمالي لما مات ودفن فيها، وكان خطها يعرف برأس الطابية، قال الشريف

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٣٣/٣

أمين الدولة أبو جعفر محمد بن هبة الله العلوي الأفطسي، وقد مر بتربة الأفضل:

أجرى دما أجفانيه ... جدث برأس الطابيه

صدع الزمان صفاتيه ... .

بال وما بليت أيا ... ديه علي الباقيه." (١)

"وهذا هو فرعون موسى عليه السلام، وبعضهم ئسميه الوليد بن مصعب، وقيل هو من العمالقة وهو سابع الفراعنة. ويقال أنه كان قصيرا طويل اللحية أشهل العينين صغير العين اليسرى، في جبينه شامة، وكان أعرج، وقيل أنه كان يكنى بأبي مرة، وأن اسمه الوليد بن مصعب، وأنه أول من خضب بالسواد لما شاب، دله عليه إبليس. وقيل أنه كان عن القبط، وقيل أنه دخل منف على أتان يحمل النطرون ليبيعه، وكان الناس فد اضطربوا في تولية الملك، فحكموه ورضوا بتولية من يوليه عليهم، وذلك أنهم خرجوا إلى ظاهر مدينة منف ينتظرون أول من بظهر عليهم ليحكموه، فكان هو أول من أقبل بحماره، فلما حكموه ورضوا بحكمه أقام نفسه ملكا عليهم، وأنكر قوم هذا وقالوا: كان القوم أدهى من أن يقلدوا ملكهم من هذه سبيله فلما جلس في الملك اختلف الناس عليه فبذل لهم الأموال، وقتل من خالفه بمن أطاعه حتى اعتدل أمره، ورتب المراتب وشيد الأعمال وبنى المدن وخندق الخنادق وبنى بناحية العريش حصنا، وكذلك على جميع حدود مصر، واستخلف هامان، وكان يقرب منه في نسبه، وأثار الكنوز وصرفها في بناء المدائن والعمارات، وحفر خليج سردوس وغيره، وبلغ الخراج بمصر في زمنه سبعة وتسعين ألف ألف دينار بالدينار الفرعوني، وهو ثلاثة مثاقيل.

وفرعون هو أول من عرف العرفاء على الناس، وكان ممن صحبه من بني إسرائيل رجل يقال له أمري، وهو الذي يقال له بالعبرانية عمرام، وبالعربية عمران بن قاهث بن لاوي، وكان قدم مصر مع يعقوب عليه السلام فجعله حرسا لقصره يتولى حفظه، وعنده مفاتيحه وأغلاقه بالليل، وكان فرعون قد رأى في كهانته ونجومه أنه يجري هلاكه على يد مولود من الإسرائيليين فمنعهم من المناكحة ثلاث سنين التي رأى أن ذلك المولود يولد فيها، فأتت امرأة أمري إليه في بعض الليالي بشيء قد أصلحته له فواقعها، فاشتملت منه على هارون، وولدته لثلاث وسبعين من عمره، في سنة سبع وعشرين ومائة لقدوم يعقوب إلى مصر، ثم أتته مرة أخرى فحملت بموسى لثمانين سنة من عمره، ورأى فرعون في نجومه أنه قد حمل بذلك المولود، فأمر بذبح الذكران من بني إسرائيل، وتقدم إلى القوابل بذلك، فولد موسى عليه السلام في سنة ثلاثين ومائة لقدوم

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٣٤/٣

يعقوب إلى مصر، وفي سنة أربع وعشرين وأربعمائة لولادة إبراهيم الخليل عليه السلام، ولمضي ألف وخمسمائة وست سنين من الطوفان، وكان من أمره ما قصه الله سبحانه من قذف أمه له في التابوت، فألقاه النيل إلى تحت قصر الملك، وقد أرصدت أمه أخته على بعد لتنظر من يلتقطه، فجاءت ابنة فرعون إلى البحر مع جواريها فرأته واستخرجته من التابوت فرحمته وقالت: هذا من العبرانيين من لنا بظئر ترضعه؟ فقالت لها أخته أنا آتيك بها، وجاءت بأمه فاسترضعتها له ابنة فرعون إلى أن فصل، فاتت به إلى ابنة فرعون وسمته موسى وتبنته، ونشأ عندها، وقيل بل أخذته امرأة فرعون واسترضعت أمه ومنعت فرعون من قتله إلى أن كبر وعظم شأنه فرد إليه فرعون كثيرا من أمره وجعله من قواده، وكانت له سطوة، ثم وجهه لغزو اليونانيين وقد عاثوا في أطراف مصر، فخرج في جيش كثيف وأوقع بهم فأظفره الله وقتل منهم كثيرا وأسر كثيرا وعاد غانما، فسر ذلك فرعون وأعجب به هو وامرأته، واستولى موسى وهو غلام على كثير من أمر فرعون، فأراد فرعون أن يستخلفه، حتى قتل رجلا من أشراف القبط له قرابة من فرعون فطلبه، وذلك أنه خرج يوما يمشي في الناس وله صولة بما كان له في بيت فرعون من المربى والرضاع، فرأى عبرانيا يضرب، فقتل المصري الذي ضربه ودفنه، وخرج يوما آخر فإذا برجلين من بني إسرائيل وقد سطا أحدهما على الآخر، فزجره. فقال له: ومن جعل لك هذا، أتريد أن تقتلني كما قتلت المصري بالأمس، ونما الخبر إلى فرعون فطلبه، وألقى الله في نفسه الخوف لما يريد من كرامته، فخرج من منف ولحق بمدين عند عقبة أيلة، وبنو مدين أمة عظيمة من بني إبراهيم عليه السلام، كانوا ساكنين هناك، وكان فراره وله من العمر أربعون سنة، فنزل عند بيرون، وهو شعيب عليه السلام من ولد مدين بن إبراهيم، وكان من تزويجه ابنته ورعايته غنمه ما كان، فأقام هنالك تسعا وثلاثين سنة نكح فيها صفوراء ابنة شعيب، وبنو إسرائيل مع فرعون **وأهل مصر** كما قال تعالى: " يسومونهم سوء العذاب ويستعبدونهم "." (١)

"فمنها أن ماء مصر صار دما حتى هلك أكثر **أهل مصر** عطشا، وكثرت عليهم الضفادع حتى وسخت جميع مواضعهم وقذرت عليهم عيشهم وجميع مآكلهم، وكثر البعوض حتى حبس الهواء ومنع النسيم، وكثر عليهم ذباب الكلاب حتى جرح أبدانهم ونغص عليهم حياتهم، وماتت دوابهم وأغنامهم فجأة، وعم الناس الجرب والجدري حتى زاد منظرهم قبحا على مناظر الجذمي، ونزل من السماء برد مخلوط بصواعق أهلك كل ما أدركه من الناس والحيوانات. وذهب بجميع الثمار، وكثر الجراد والجنادب التي أكلت الأشجار واستقصت أصول النبات، وأظلمت الدنيا ظلمة سوداء غليظة حتى كانت من غلظها تحس

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٣٨/٣

بالأجسام، وبعد ذلك كله نزل الموت فجأة على بكور أولادهم بحيث لم يبق لأحد منهم ولد بكر إلا فجع به في تلك الليلة، ليكون لهم في ذلك شغل عن بني إسرائيل، وكانت الليلة الخامسة عشر من شهر نيسان سنة إحدى وثمانين لموسى، فعند ذلك سارع فرعون إلى ترك بني إسرائيل، فخرج موسى عليه السلام من ليلته هذه ومعه بنو إسرائيل من عين شمس، وفي التوراة أنهم أمروا عند خروجهم أن يذبح أهل كل بيت حملا من الغنم إن كان كفايتهم، أو يشتركون مع جيرانهم إن كان أكثر، وأن ينضحوا من دمه على أبوابهم ليكون علامة، وأن يأكلوا شواه رأسه وأطرافه ومعاه ولا يكسروا منه عظما، ولا يدعوا منه شيئا خارج البيوت، وليكن خبزهم فطيرا. وذلك في اليوم الرابع عشر من فصل الربيع، وليأكلوا بسرعة وأوساطهم مشدودة وخفافهم في أرجلهم وعصيهم في أيديهم، ويخرجوا ليلا. وما فضل من عشائهم ذلك أحرقوه بالنار، وشرع هذا عيدا لهم ولأعقابهم، ويسمى هذا عيد الفصح، وفيها أنهم أمروا أن يستعيروا منهم حليا كثيرا يخرجون به، فاستعاروه وخرجوا في تلك الليلة بما معهم من الدواب والأنعام، وأخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام، استخرجه موسى من المدفن الذي كان فيه بإلهام من الله تعالى، وكانت عدتهم ستمائة ألف رجل محارب سوى النساء والصبيان والغرباء، وشغل القبط عنهم بالمآتم التي كانوا فيها على موتاهم، فساروا ثلاث مراحل ليلا ونهارا حتى وافوا إلى فوهة الجبروت، وتسمى نار موسى، وهو ساحل البحر بجانب الطور، فانتهى خبرهم إلى فرعون في يومين وليلة، فندم بعد خروجهم وجمع قومه وخرج في كثرة كفاك عن مقدارها قول الله عز وجل أخبارا عن فرعون أنه قال عن بني إسرائيل وعدتهم ما قد ذكر على ما جاء في التوراة، أن هؤلاء لشرذمة قليلون، وأنهم لنا لغائطون، ولحق بهم في اليوم الحادي والعشرين من نيسان، فأقام العسكران ليلة الواحد والعشرين على شاطئ البحر، وفي صبيحة ذلك اليوم أمر موسى أن يضرب البحر بعصاه ويقتحمه، ففلق الله لبني إسرائيل البحر اثني عشر طريقا، عبر كل سبط من طريق، وصارت المياه قائمة عن جانبهم كأمثال الجبال، وصير قاع البحر طريقا مسلوكا لموسى ومن معه، وتبعهم فرعون وجنوده، فلما خاض بنو إسرائيل إلى عدوة الطور انطبق البحر على فرعون وقومه، فأغرقهم الله جميعا ونجا موسى وقومه، ونزل بنو إسرائيل جميعا في الطور وسجوا مع موسى بتسبيح طويل قد ذكر في التوراة، وكانت مريم أخت موسى وهارون تأخذ الدف بيديها، ونساء بني إسرائيل في أثرها بالدفوف والطبول، وهي ترتل التسبيح لهن.." (١)

"اعلم أن قبط مصر كانوا في غابر الدهر أهل شرك بالله، يعبدون الكواكب ويقربون قرابينهم ويقيمون على أسمائها التماثيل، كما هي أفعال الصابئة. وذكر ابن وصيف شاه: أن عبادة الأصنام أول ما عرفت

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٤١/٣

بمصر أيام قفطريم بن قبطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح، وذلك أن إبليس أثار الأصنام التي غرقها الطوفان وزين للقبط عبادتها، وأن البودشير بن قبطيم أول من تكهن وعمل بالسحر، وأن مناوش بن منقاوش أول من عبد البقر من أهل مصر. وذكر الموفق أحمد بن أبي القاسم بن خليفة المعروف بابن أبي أصيبعة أنه كان للقبط مذهب مشهور من مذاهب الصابئة، ولهم هياكل على أسماء الكواكب يحج إليها الناس من أقطار الأرض، وكانت الحكماء والفلاسفة ممن سواهم تتهافت عليهم وتريد التقرب إليهم، لما كان عندهم من علوم السحر والطلسمات والهندسة والنجوم والطب والحساب والكيمياء، ولهم في ذلك أخبار كثيرة، وكانت لهم لغة يختصون بها، وكانت خطوطهم ثلاثة أصناف: خط العامة، وخط الخاصة، وهو خط الكهنة المختصر، وخط الملوك. وقال ابن وصيف شاه: كانت كهنة مصر أعظم الكهان قدرا وأجلها علما بالكهانة، وكانت حكماء اليونانيين تصفهم بذلك وتشهد لهم به، فيقولون اختبرنا حكماء مصر بكذا وكذا، وكانوا ينحون بكهانتهم نحو الكواكب ويزعمون أنها هي التي تفيض عليهم العلوم وتخبرهم بالغيوب، وهي التي تعلمهم أسرار الطوالع وصفة الطلاسم، وتدلهم على العلوم المكتومة والأسماء الجليلة المخزونة، فعملوا الطلسمات المشهورة والنواميس الجليلة، وولدوا الأشكال الناطقة وصوروا الصور المتحركة، وبنوا العالي من البنيان، وزبروا علومهم في الحجارة، وعملوا من الطلسمات ما دفعوا به الأعداء عن بلادهم، فحكمهم باهرة، وعجائبهم ظاهرة، وكانت أرض مصر خمسا وثمانين كورة منها: أسفل الأرض خمس وأربعون كورة، ومنها بالصعيد أربعون كورة، وكان في كل كورة رئيس من الكهنة وهم السحرة، وكان الذي يتعبد منهم للكواكب السبعة السيارة سبع سنين يسمونه باهر، والذي يتعبد منهم لها تسعا وأربعين سنة لكل كوكب سبع سنين يسمونه قاطر، وهذا يقوم له الملك إجلالا ويجلسه معه إلى جانبه، ولا يتصرف إلا برأيه، وتدخل الكهنة ومعهم أصحاب الصنائع فيقفون حذاء القاطر، وكان كل كاهن منهم ينفرد بخدمة كوكب من الكواكب السبعة السيارة لا يتعداه إلى سواه، ويدعي بعبد ذلك الكوكب فيقال: عبد القمر، عبد عطارد، عبد الزهرة، عبد الشمس، عبد المريخ، عبد المشتري، عبد زحل. فإذا وقفوا جميعا قال القاطر لأحدهم: أين صاحبك اليوم؟ فيقول في برج كذا ودرجة كذا ودقيقة كذا. ثم يقول للآخر كذلك، فيجيبه حتى يأتي على جميعهم، ويعرف أماكن الكواكب من فلك البروج ثم يقول للملك ينبغي أن تعمل اليوم كذا، أو تأكل كذا، أو تجامع في وقت كذا، أو تركب وقت كذا، إلى آخر ما يحتاج إليه، والكاتب قائم بين يديه يكتب ما يقول، ثم يلتفت القاطر إلى أهل الصناعات ويخرجهم إلى دار الحكمة فيضعون أيديهم في الأعمال التي يصلح عملها في ذلك اليوم، ثم يؤرخ ما جرى في ذلك اليوم في صحيفة وتخزن في خزائن الملك، وكان الملك إذا همه

أمر جمع الكهان خارج مدينة منف، وقد اصطف الناس لهم بشارع المدينة، ثم يدخل الكهان ركبانا على قدر مراتبهم والطبل بين أيديهم، وما منهم إلا من أظهر أعجوبة قد عملها، فمنهم من يعلو وجهه نور كهيئة نور الشمس لا يقدر أحد على النظر إليه، ومنهم من على بدنه جواهر مختلفة الألوان قد نسجت على ثوب، ومنهم من يتوشح بحيات عظيمة، ومنهم من يعقد فوقه قبة من نور، إلى غير ذلك من بديع أعمالهم، ويصيرون كذلك إلى حضرة الملك فيخبرهم بما نزل به، فيجيلون رأيهم فيه حتى يتفقوا على ما يصرفونه به، وهذا أعزك الله من خبرهم لما كان الملك فيهم، فلما استولت العماليق على ملك مصر وملكتها الفراعنة، ثم تداولتها من بعدهم أجناس أخر، تناقصت علوم القبط شيئا بعد شيء إلى أن تنصروا، فغادروا عوائد أهل الشرك، واتبعوا ما أمروا به من دين النصرانية، كما ستقف عليه تلو هذا إن شاء الله تعالى.

دخول قبط مصر

في دين النصرانية." (١)

"كثيرا، فلما ملك فيلبش قيصر، أكرم النصارى وقدم على بطركية الإسكندرية ديوسيوس، فأقام تسع عشرة سنة ومات في ثالث توت، وفي أيامه كان الراهب انطونيوس المصري، وهو أول من ابتدأ بلبس الصوف، وابتدأ بعمارة الديارات في البراري، وأنزل بها الرهبان، ولقي النصارى من الملك داقيوس قيصر شدة، فإنه أمرهم أن يسجدوا لأصنامه، فأبوا من السجود لها فقتلهم أبرح قتلة، وفر منه الفتية أصحاب الكهف من مدينة أفسس واختفوا في مغارة في جبل شرقي المدينة، وناموا فضرب الله على آذانهم فلم يزالوا نائمين ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا، فقام من بعده بالإسكندرية مكسيموس وأقام بطركا اثنتي عشرة سنة ومات في رابع عشر برمودة، فأقيم بعده تؤوبا بطركا مدة سبع سنين وتسعة أشهر ومات، وكانت النصارى قبله تصلي بالإسكندرية خفية من الروم خوفا من القتل، فلاطف تؤوبا الروم وأهدى إليهم تحفا جليلة حتى بنى كنيسة مريم بالإسكندرية، فصلى بها النصارى جهرا، واشتد الأمر على النصارى في أيام الملك طيباريوس قيصر، وقتل منهم خلقا كثيرا، فلما كانت أيام دقلطيانوس قيصر خالف عليه أهل مصر والإسكندرية، فقتل منهم خلقا كثيرا، وكتب بغلق كنائس النصارى، وأمر بعبادة الأصنام، وقتل من امتنع منها، فارتد خلائق كثيرة جدا، وأقام في البطركية بعد تؤوبابطرس، فأقام إحدى عشرة سنة وقتل في الإسكندرية بالسيف، وقتل معه امرأته وابنتاه لامتناعهم من السجود للأصنام، فقام بعده تلميذه ارشلاوش، فأقام ستة أشهر ومات، وبدقلطيانوس هذا وقتله لنصارى مصر يؤرخ قبط مصر إلى يومنا هذا، كما قد ذكرناه في تاريخ القبط عند

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٥٨/٣

ذكر التواريخ من هذا الكتاب، فراجعه. ثم قام من بعده مكسيمانوس قيصر، فاشتد على النصارى وقتل منهم خلقا كثيرا، حتى كانت القتلى منهم تحمل على العجل وترمى في البحر، ثم قام بعد أرشلاوش في بطركية الإسكندرية اسكندروس تلميذ بطرس الشهيد، فأقام ثلاثا وعشرين سنة ومات في ثاني عشري برمودة، وفي بطركيته كان مجمع النصارى بمدينة نيقية، وفي أيامه كتب النصارى وغيرهم من أهل رومية إلى قسطنطين، وكان على مدينة بزنطية يحثونه على أن ينقذهم من جور مكسيمانوس، وشكوا إليه عتوه، فأجمع على المسير لذلك، وكانت أمه هيلاني من أهل قرى مدينة الرها قد تنصرت على يد أسقف الرها، وتعلمت الكتب، فلما مر بقريتها قسطس صاحب شرطة دقلطيانوس رآها فأعجبته فتزوجها وحملها إلى بزنطية، مدينته، فولدت له قسطنطين، وكان جميلا، فأنذر دقلطيانوس منجموه بأن هذا الغلام قسطنطين سيملك الروم ويبدل دينهم، فأراد قتله، ففر منه إلى الرها وتعلم بها الحكمة اليونانية حتى مات دقلطيانوس، فعاد إلى بزنطية فسلمها له أبوه قسطس ومات، فقام بأمرها بعد أبيه إلى أن استدعاه أهل رومية، فأخذ يدبر في مسيره، فرأى في منامه كواكب في السماء على هيئة الصليب، وصوت من السماء يقول له احمل هذه العلامة تنتصر على عدوك، فقص رؤياه على أعوانه وعمل شكل الصليب على أعلامه وبنوده وسار لحرب مكسيمانوس برومية، فبرز إليه وحاربه فانتصر قسطنطين عليه وملك رومية وتحول منها فجعل دار ملكه قسطنطينية، فكان هذا ابتداء رفع الصليب وظهوره في الناس، فاتخذه النصارى من حينئذ وعظموه حتى عبدوه، وأكرم قسطنطين النصارى ودخل في دينهم بمدينة نيقومديا في السنة الثانية عشرة من ملكه على الروم، وأمر ببناء الكنائس في جميع ممالكه وكسر الأصنام، وهدم بيوتها، وعمل المجمع بمدينة نيقية، وسببه أن الإسكندروس بطرك الإسكندرية منع آريوس من دخول الكنيسة وحرمه لمقاتلته، ونقل عن بطرس الشهيد بطرك إسكندرية أنه قال عن آريوس أن إيمانه فاسد، وكتب بذلك إلى جميع البطاركة، فمضى آريوس إلى الملك قسطنطين ومعه أسقفان، فاستغاثوا به وشكوا الإسكندروس فأمر بإحضاره من الإسكندرية، فحضر هو واريءوس وجمع له الأعيان من النصارى ليناظروه، فقال آريوس كان الأب إذ لم يكن الابن، ثم أحدث الابن فصار كلمة له، فهو محدث مخلوق فوض إليه الأب كل شيء، فخلق الابن المسمى بالكلمة كل شيء من السموات والأرض وما فيهما، فكان هو الخالق بما أعطاه الأب، ثم إن تلك الكلمة تجسدت من مريم وروح القدس فصار ذلك مسيحا، فإذا المسيح معنيان كلمة وجسد، وهما جميعا مخلوقان. فقال الأسكندروس أيما أوجب، عبادة من." (١)

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٦٣/٣

"دخول النصارى في طاعة المسلمين

من قبط مصر في طاعة المسلمين وأدائهم الجزية، واتخاذهم ذمة لهم، وما كان في ذلك من الحوادث والأنباء.

اعلم أن أرض مصر لما دخلها المسلمون كانت بأجمعها مشحونة بالنصارى، وهم على قسمين متباينين في أجناسهم وعقائدهم، أحدهما أهل الدولة وكلهم روم من جند صاحب القسطنطينية ملك الروم، ورأيهم وديانتهم بأجمعهم ديانة الملكية، وكانت عدتهم تزيد على ثلاثمائة ألف رومي. والقسم الآخر عامة أهل مصر، ويقال لهم القبط، وأنسابهم مختلطة لا يكاد يتميز منهم القبطي من الحبشي من النوبي من الإسرائيلي الأصل من غيره، وكلهم يعاقبة، فمنهم كتاب المملكة ومنهم التجار والباعة، ومنهم الأساقفة والقسوس ونحوهم، ومنهم أهل الفلاحة والزرع، ومنهم أهل الخدمة والمهنة، وبينهم وبين الملكية أهل الدولة من العداوة ما يمنع مناكحتهم، ويوجب قتل بعضهم بعضا، ويبلغ عددهم عشرات آلاف كثيرة جدا. فإنهم في الحقيقة أهل أرض مصر أعلاها وأسفلها، فلما قدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين معه إلى مصر، قاتلهم الروم حماية لملكهم ودفعا لهم عن بلادهم، فقاتلهم المسلمون وغلبوهم على الحصن كما تقدم ذكره، لطلب القبط من عمرو المصالحة على الجزية فصالحهم عليها وأقرهم على ما بأيديهم من الأراضي وغيرها، وصاروا معه عونا للمسلمين على الروم، حتى هزمهم الله تعالى وأخرجهم من أرض مصر، وكتب عمرو لبنيامين بطرك اليعاقبة أمانا في سنة عشرين من الهجرة، فسره ذلك وقدم على عمرو وجلس على كرسي بطركيته بعدما غاب عنه ثلاث عشرة سنة، منها في ملك فارس لمصر عشر سنين، وباقيها بعد قدوم هرقل إلى مصر، فغلبت اليعاقبة على كنائس مصر ودياراتها كلها، وانفردوا بها دون الملكية، ويذكر علماء الأخبار من النصارى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما فتح مدينة القدس كتب للنصارى أمانا على أنفسهم وأولاده م ونسائهم وأموالهم وجميع كنائسهم لا تهدم ولا تسكن، وأنه جلس في وسط صحن كنيسة القمامة، فلما حان وقت الصلاة خرج وصلى خارج الكنيسة على الدرجة التي على بابها بمفرده، ثم جلس وقال للبطرك: لو صليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون من بعدي، وقالوا هاهنا صلى عمر، وكتب كتابا يتضمن أنه لا يصلي أحد من المسلمين على الدرجة إلا واحد واحد، ولا يجتمع المسلمون بها للصلاة فيها، ولا يؤذنون عليها، وأنه أشار عليه البطرك باتخاذ موضع الصخرة مسجدا، وكان فوقها تراب كثير، فتناول عمر رضي الله عنه من التراب في ثوبه، فبادر المسلمون لرفعه حتى لم يبق منه شيء، وعمر المسجد الأقصى أمام الصخرة، فلما كانت أيام عبد الملك بن مروان أدخل الصخرة في حرم الأقصى، وذلك سنة

خمس وستين من الهجرة، ثم إن عمر رضي الله عنه أتى بيت لحم وصلى في كنيسته عند الخشبة التي ولد فيها المسيح، وكتب سجلا بأيدي النصارى أن لا يصلي في هذا الموضع أحد من المسلمين إلا رجل بعد رجل، ولا يجتمعوا فيه للصلاة، ولا يؤذنوا عليه، ولما مات البطرك بنيامين في سنة تسع وثلاثين من الهجرة بالإسكندرية في إمارة عمرو الثانية، قدم اليعاقبة بعده أغانو فأقام سبع عشرة سنة ومات سنة ست وخمسين، وهو الذي بنى كنيسة مرقص بالإسكندرية، فلم تزل إلى أن هدمت في سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وكان في أيامه الغلاء مدة ثلاث سنين، وكان يهتم بالضعفاء، فأقيم بعده إيساك وكان يعقوبيا، فأقام سنتين وأحد عشر شهرا ومات، فقدم اليعاقبة بعده سيمون السرياني، فأقام سبع سين ونصفا ومات، وفي أيامه قدم رسول أهل الهند في طلب أسقف يقيمه لهم، فامتنع من ذلك حتى يأذن له السلطان، وأقام غيره وخلا بعد موته كرسي الإسكندرية ثلاث سنين بغير بطرك، ثم قدم اليعاقبة في سنة إحدى وثمانين الإسكندروس، فقام أربعا وعشرين سنة ونصفا، وقيل خمسا وعشرين سنة ومات سنة ست ومائة، ومرت به شدائد صودر فيها مرتين، أخذ منه فيهما ستة آلاف دينار، وفي أيامه أمر عبد العزيز بن مروان، فأمر بإحصاء الرهبان فأحصوا وأخذت منهم الجزية عن كل راهب دينار، وهي أول جزية أخذت من الرهبان.." (١)

"وفي سنة سبع وأربعمائة وثب بعض أكابر البلغر على ملكهم قمطورس فقتله وملك عوضه، وكتب إلى باسيل ملك قسطنطينية بطاعته فأقره، ثم قتل بعد سنة فسار الملك باسيل إليهم في شوال سنة ثمان وأربعمائة واستولى على مملكة البلغر وأقام في قلاعها عدة من الروم، وعاد إلى قسطنطينية فاختلط الروم بالبلغر ونكحوا منهم وصاروا يدا واحدة بعد شدة العداوة، وقدم اليعاقبة عليهم سابونين بطركا بالإسكندرية في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، في يوم الأحد ثالث عشري برمهات، فأقام خمس عشرة سنة ونصفا ومات في طوبه، وكان محبا للمال، وأخذ الشرطونية فخلا الكرسي بعده سنة وخمسة أشهر، ثم قدم اليعاقبة أخر سطوديس بطركا في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة، فأقام ثلاثين سنة ومات بالمعلقة من مصر، وهو الذي جعل كنيسة بومرقوره بمصر، وكنيسة السيدة بحارة الروم من القاهرة في أيام بطركيته، فلم يقم بعده بطرك اثنين وسبعين يوما، ثم أقام اليعاقبة كيرلص، فأقام أربع عشرة سنة وثلاثة أشهر ونصفا ومات بكنيسة المختار من جزية مصر المعروفة بالروضة، في سلخ ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وأربعمائة، وعمل بدلة للبطاركة من ديباج أزرق وبلارية ديباج أحمر بتصاوير ذهب، وقطع الشرطونية فلم يول بعده بطرك مدة مائة وأربعة وعشرين يوما، ثم أقيم ميخائيل الحبيس بسنجار في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، فأقام تسع سنين وثمانية

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٧٣/٣

أشهر ومات في المعلقة بمصر، وكان المستنصر بالله لما نقص نيل مصر بعثه إلى بلاد الحبشة بهدية سنية، فتلقاه ملكها وسأله عن سبب قدومه، فعرفه نقص النيل وضرر أهل مصر بسبب ذلك، فأمر بفتح سد يجري منه الماء إلى أرض مصر، ففتح وزاد النيل في ليلة واحدة ثلاثة أذرع، واستمرت الزيادة حتى رويت البلاد وزرعت، ثم عاد البطرك فخلع عليه المستنصر وأحسن إليه.." (١)

"دير القصير: قال أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي في كتاب الديارات: وهذا الدير في أعلى الجبل على سطح في قلته، وهو دير حسن البناء محكم الصنعة نزه البقعة، وفيه رهبان مقيمون به، وله بئر منقورة في الحجر يستقى له منها الماء، وفي هيكله صورة مريم عليها السلام في لوح، والناس يقصدون الموضع للنظر إلى هذه الصورة، وفي أعلاه غرفة بناها أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون، لها أربع طاقات إلى أربع جهات، وكان كثير الغشيان لهذا الدير معجبا بالصورة التي فيه، يستحسنها ويشرب على النظر إليها، وفي الطريق إلى هذا الدير من جهة مصر صعوبة، وأما من قبليه فسهل الصعود والنزول، وإلى جانبه صومعة لا تخلو من حبيس يكون فيها، وهو مطل على القرية المعروفة بشهران، وعلى الصحراء والبحر، وهي قرية كبيرة عامرة على شاطئ البحر، ويذكرون أن موسى صلوات الله عليه ولد فيها، ومنها ألقته أمه إلى البحر في التابوت، وبه أيضا دير يعرف بدير شهران، ودير القصير هذا أحد الديارات المقصودة، والمنتزهات المطروقة لحسن موضعه وإشرافه على مصر وأعمالها، وقد تال فيه شعراء مصر ووصفوه فذكروا طيبه ونزهته، ولأبي هريرة بن أبي عاصم فيه من المنسرح:

كم لي بدير القصير من قصف ... مع كل ذي صبوة وذي ظرف

لهوت فيه بشادن غنج ... تقصر عنه بدائع الوصف

وقال ابن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر: وقد اختلف في القصير فعن ابن لهيعة قال: ليس بقصير موسى النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه موسى الساحر، وعن المفضل بن فضالة عن أبيه قال: دخلنا على كعب الأحبار فقال لنا: ممن أنتم؟ قلنا فتيان من أهل مصر. فقال: ما تقولون في القصير؟ قلنا قصير موسى. فقال: ليس بقصير موسى، ولكنه قصير عزيز مصر، كان إذا جرى النيل يترفع فيه. وعلى ذلك إنه لمقدس من الجبل إلى البحر. قال: ويقال بل كان موقدا يوقد فيه لفرعون إذا هو ركب من منف إلى عين شمس، وكان على المقطم موقد آخر، فإذا رأوا النار علموا بركوبه فأعدوا له ما يريد، وكذلك إذا ركب منصرفا من عين شمس، والله أعلم، وما أحسن قول كشاجم:

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٧٩/٣

سلام على دير القصير وسفحه ... بجنات حلوان إلى النخلات

منازل كانت لي بهن مآرب ... وكن مواخيري ومنتزهاتي

إذا جئتها كان الجياد مراكبي ... ومنصرفي في السفن منحدرات

فأقبض بالأسحار وحشي عينها ... وأقتنص الأنسي في الظلمات

معي كل بسام أغر مهذب ... على كل ما يهوى النديم مواتي

ولحمان مما أمسكته كلابنا ... علينا ومما صيد في الشبكات

وكأس وإبريق وناي ومزهر ... وساق غرير فاتر اللحظات

كأن قضيب البان عند اهتزازه ... تعلم من أعطافه الحركات

هنالك تصفو لي مشارب لذتي ... وتصحب أيام السرور حياتي

وقال علماء الأخبار من النصارى: إن أرقاديوس ملك الروم طلب أرسانيوس ليعلم ولده، فظن أنه يقتله، ففر إلى مصر وترهب، فبعث إليه أمانا وأعلمه أن الطلب من أجل تعليم ولده، فاستعفي وتحول إلى الجبل المقطم شرقي طرا، وأقام في مغارة ثلاث سنين ومات، فبعث إليه أرقاديوس فإذا هو قد مات، فأمر أن يبنى على قبره كنيسة، وهو المكان المعروف بدير القصير، ويعرف الآن بدير البغل، من أجل أنه كان به بغل يستقي عليه الماء، فإذا خرج من الدير أتى الموردة، وهناك من يملأ عليه، فإذا فرغ من الماء تركه فعاد إلى الدير. وفي رمضان سنة أربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم دير القصير، فأقام الهدم والنهب فيه مدة أيام.." (١)

"دير السبعة جبال باخميم: هذا الدير داخل سبعة أودية، وهو دير عال بين جبال شامخة، ولا تشرق عليه الشمس إلا بعد ساعتين من الشروق لعلو الجبل الذي هو في لحفه، وإذا بقي للغروب نحو ساعتين خيل لمن فيه أن الشمس قد غابت وأقبل الليل، فيشعلون حينئذ الضوء فيه، وعلى هذا الدير من خارجه عين ماء تظلها صفصافة، ويعرف هذا الموضع الذي فيه دير الصفصافة بوادي الملوك، لأن فيه نباتا يقال له الملوكة، وهو شبه الفجل، وماؤه أحمر قان يدخل في صناعة علم أهل الكيمياء، ومن داخل هذا الدير دير القرقس: وهو في أعلى جبل، قد نقر فيه، ولا يعلم له طريق، بل يصعد إليه في نقور في الجبل، ولا يتوصل إليه إلا كذلك، وبين دير الصفصافة ودير القرقس ثلاث ساعات، وتحت دير القرقس عين ماء عذب وأشجار بان.

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٨٨/٣

دير صبرة: في شرقي اخميم، عرف بعرب يقال لهم بني صبرة، وهو على اسم ميخائيل الملك، وليس به غير راهب واحد.

دير أبي بشادة الأسقف: قريب من ناحية انقه، وهو بالحاجر، وتجاهه في الغرب منشأة اخميم، وكان أبو بشادة هذا من علماء النصارى.

دير بوهور الراهب: ويعرف بدير سوادة، وسوادة عرب تنزل هناك، وهو قبالة منية بني خصيب، خربته العرب، وهذه الأديرة كلها في الشرق من النيل، وجميعها لليعاقبة، وليسر، في الجانب الشرقي الآن سواها، وأما الجانب الغربي من النيل فإنه كثير الديارات لكثرة عمارته.

دير دموة بالجيزة: وتعرت بدموة السباع، وهو على اسم قزمان ودميان، وهو دير لطيف، وتزعم النصارى أن بعض الحكماء كان يقال له سبع أقام بدموة، وأن كنيسة دموة التي بأيدي اليهود الآن كانت ديرا من ديارات النصارى، فابتاعته منهم اليهود في ضائقة نزلت بهم، وقد تقدم ذكر كنيسة دموة وقزمان ودميان من حكماء النصارى ورهبانهم العباد، ولهما أخبار عندهم.

دير نهيا: قال الشابشتي: ونهيا بالجيزة، وديرها هذا من أحسن ديارات مصر، وأنزهها وأطيبها موضعا، وأجلها موقعا، عامر برهبانه وسكانه، وله في أيام النيل منظر عجيب، لأن الماء يحيط به من جميع جهاته، فإذا انصرف الماء وزرعت الأرض أظهرت أراضيه غرائب النواوير وأصناف الزهر، وهو من المنتزهات الموصوفة والبقاع المستحسنة، وله خليج يجتمع فيه سائر الطير، فهو أيضا متصيد ممنع، وقد وصفته الشعراء وذكرت حسنه وطيبه، قلت وقد خرب هذا الدير.

دير طمويه: قال ياقوت: طمويه - بفتح الطاء وسكون الميم وفتح الواو ساكنة - قريتان بمصر، إحداهما في كورة المرتاحية، والأخرى بالجيزة، قال الشابشتي: وطمويه في الغرب بإزاء حلوان، والدير راكب البحر، حوله الكروم والبساتين والنخل والشجر، وهو نزه عامر آهل، وله في النيل منظر حسن، وحين تخضر الأرض يكون في بساطين من البحر والزرع، وهو أحد منتزهات أهل مصر المذكورة، ومواضع لهوها المشهورة.

ولابن أبي عاصم المصري فيه من البسيط:

واشرب بطمويه من صهباء صافية ... تزرى بخمر قرى هيت وعانات

على رياض من النوار زاهرة ... تجري الجداول فيها بين جنات

كأن نبت الشقيق العصفري بها ... كاسات خمر بدت في إثر كاسات

كأن نرجسها من حسنه حدق ... في خفية يتناجى بالإشارات

كأنما النيل في مر النسيم به ... مستلئم في دروع سابريات
منازل كنت مفتونا بها شغفا ... وكن قدما مواخيري وحاناتي
إذ لا أزال ملما بالصبوح على ... ضرب النواقيس صبا بالديارات
قلت هذا الدير عند النصارى على اسم بوجرج ويجتمع فيه النصارى من النواحي: دير أقفاص: وصوابها أقفهس وقد خرب.
دير خارج ناحية منهري: خامل الذكر لأنهم لا يطعمون فيه أحدا.
دير الخادم: على جانب المنهي بأعمال البهنسا، على اسم غبريال الملك، به بستان فيه نخل وزيتون.
دير أشنين: عرف بناحية أشنين، فإنه في بحريها، وهو لطيف على اسم السيدة مريم، وليس به سوى راهب واحد.." (١)

"ودخلت سنة ست وثمانين والسلطان بالخروبة على حصار الفرنج ، وقدمت عساكر المسلمين من الشرق ومن بقية البلاد، فرحل من الخروبة لاثنتي عشرة بقيت من ربيع الأول إلى تل كيسان وتتابع مجيء العساكر. وكملت أبراج الفرنج الثلاثة، التي بنوها تجاه عكا في مدة سبعة أشهر، حتى علت على البلد، وامتلأت بالعدد والعدة، وطموا كثيرا من الخندق ، وضايقوا البلد. واشتد خوف المسلمين ، واشتدت الحرب بين الفريقين ، حتى احترقت الأبراج الثلاثة، وخرج أهل عكا منها، فنظفوا الخندق ، وسدوا الثغر، وغنموا ما كان في الأبراج من الحديد، فتقووا به.
وكان بين أسطول المصريين وبين مراكب الفرنج عدة معارك ، فتل فيها كثير من الفرنج. ودخل ملك الألمان بجيوشه إلى حدود بلاد الإسلام ، وقد فني منهم كثير، فواقعهم الملك عز الدين قلج بن أرسلان السلجوقي، فانكسر منهم ، فلحق به الفرنج إلى قونية وهاجموها، وأحرقوا أسواقها، وساروا إلى طرسوس يريدون بيت المقدس ، واسترجاع ما أخذ منهم السلطان من البلاد والحصون ، فمات بها ملكهم . وقام من بعده ابنه ، فسار إلى أنطاكية . وندب السلطان كثيرا ممن كان معه على حرب عكا إلى جهة أنطاكية، ووقع فيمن بقي معه مرض كثير، وأمر بتخريب سور طبرية ويافا وأرسوف وقيسارية وصيدا وجبيل فخرب ذلك ، ونقل من كان فيها إلى بيروت وطمع الفرنج في السلطان لقلة من بقي معه ، فركبوا لحربه ونهبوا وطاق الملك العادل . وكانت للمسلمين معهم حرب ، انكسر فيها الفرنج إلى خيامهم ، وقتل منهم آلاف ، فوهت قواهم . غير أن المدد أتاهم ، ونصبوا المجانيق على عكا، فتحول السلطان إلى الحزوبة، فوافى كتاب ملك الروم

---

(١) المواعظ والاعتبار، ٢٩٠/٣

بقسطنطينية، يخبر بوصول المنبر من عند السلطان ، وكذلك الخطيب والمؤذنين والقراء، وأن الخطبة أقيمت بالجامع القديم بالقسطنطينية للخليفة الناصر لدين الله .

وسار ابن ملك الألمان عن أنطاكية إلى طرابلس في جيوشه ، وركب منها البحر إلى عكا، فوصل إليها سادس رمضان ، فأقام عليها إلى أن هلك ثاني عشر ذي الحجة، بعدما حارب المسلمين فلم ينل منهم كبير عرض . ودخل الشتاء وقد طالت مدة البيكار، وضجرت العساكر من كثرة القتال ، فرحل صاحب سنجار وصاحب الجزيرة وصاحب الموصل .

وفيها تولى سيف الدولة أبو الميمون مبارك بن كامل بن منقذ شد الدواوين بديار مصر، وباشر الأسعد بن مماتي معه الديوان في محرم .

سنة سبع وثمانين وخمسمائة

ودخلت سنة سبع وثمانين : فسار الظاهر صاحب حلب إليها، وسار المظفر إلى حماة .

وبقي السلطان في جمع قليل ، والحرب بين أهل عكا وأمرهم بهاء الدين قراقوش وبين الفرنج . ودخل فصل الربيع ، فوافت العساكر السلطان ، ووصل إلى الفرنج مددهم ، فضايقوا عكا وجدوا في حصارها، ونصبوا عليها المجانيق . وتوالت الحروب إلى أن ملكها الفرنج ، يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة، وأسروا من فيها من المسلمين وكانوا ألوفا . وخرجوا يريدون الحرب ، فواقعهم السلطان وكسرهم ، ووقع كلامه في الصلح وإطلاق الأسرى ولم يتم .

فلما كان في سابع عشري رجب برز الفرنج بخيامهم ، وأحضروا أسارى المسلمين ، وحملوا عليهم حملة واحدة قتلوا فيها بأجمعهم في سبيل الله صبرا، واليزك الإسلامي ينظر إليهم . فحمل المسلمون عليهم ، وجرت بينهما حرب شديدة، قتل فيها عدة من الفريقين .

ولما أهل شعبان : سار الفرنج إلى عسقلان ، ورحل السلطان في أثرهم ، وواقعهم في رابع عشره بأرسوف ، فانهزم المسلمون ، وثبت السلطان إلى أن اجتمع عليه المسلمون، وعاد إلى القتال ، حتى التجأ الفرنج إلى جدران أرسوف .

ورحل السلطان في تاسع عشره ، ونزل على عسقلان يريد تخريبها، لعجزه عن حفظها، ففرق أبراجها على الأمراء ،وو قع الضجيج والبكاء في الناس أسفا وغما لخرابها، وكانت من أحسن البلاد بناء، وأحكمها أسوارا، وأطيبها سكنا، فلم يزل التخريب والحريق فيها إلى سلخ شعبان .

قال الحافظ عبد العظيم المنذري في المعجم المترجم : " سمعت الأمير الأجل أياز بن عبد الله " يعنى أبا

المنصور البانياسي الناصري " يقول : لما هدمنا عسقلان أعطيت أنا برج الداوية، وهدم خطلج برجا وجدنا عليه مكتوبا عمر على يدي خطلج ، وهذا من عجيب الإتفاق . وشبيه بذلك ما أخبرني به القاضي الأجل أبو الحسن علي بن يحيى." (١)

"وفي ثاني شوال : كان النوروز، فجرى الأمر فيه على العادة من رش الماء ، واستجد فيه التراجم بالبيض والتصافع بالأنطاع. وتوالت زيادة النيل، فأفحش الناس في إظهار المنكرات ، و لم ينههم أحد . وفيه و قفت وجوه المال ، وانقطعت جباية الديوان بمصر ، وأحيل على الجهات بأضعاف ما فيها، وبقيت وجوه قصرت الأيدي عن استخراجها، وانتمى العاملون إلى من حماهم ، فلم يجسر صاحب الديوان على ذكر من بحميهم ، فضلا عن أخذ الحق منهم ، ورفع يده عن حماية من حماه . وآل الأمر إلى أن صار ما يقام برسم طوارئ السلطان وراتب داره من ضمان الخمر والمزر.

وكانت هذه سنة ما تقدمها أفحش منها، ولا علم أن همة من الهمم القاصرة انحطت إلى مثلها.

وفي رابع عشره : خرج الشريف ابن ثعلب سائرا بالحاج ، وخيم على سقاية ريدان وكثر القتل بالقاهرة بأيدي السكارى، وأعلن المنكر بها، فلم تنسلخ ليلة إلا عن جراح وقتل بين المعربدين . وكثر ذلك حتى خطفت الأمتعة والمآكل من الأسواق ، نهارا نادرا وليلا راتبا .

واستقرت المظالم للطواشي قراقوش ، يجلس فيها بظاهر الدار السلطانية، وحماية الديوان وشد الأموال لفخرالدين جهاركس ، مع انقباضه عنها، وأستادارية الدار لصارم الدين خطلج .

وفي تاسع عشره : كسر بحر أبي المنجا، وباشر العزيز كسره ، وزاد النيل فيه إصبعا، وهي الإصبع الثامنة عشرة، من ثماني عشرة ذراعا، وهذا الحد يسمى عند أهل مصر اللجة الكبرى.

وفي ثاني عشريه : رحل الحاج ، وتجدد ما كان قد درس ذكره ونسي حكمه في مصر، منذ عهد الخليفة الحافظ لدين الله من سنة أربعين وخمسمائة، من الرفايع التي كان القبط يختلقونها، ويتوصلون بها إلى المصادرات ، وخراب البيوت ، وعمارة الحبوس ، وإساءة السمعة عن سلطان الوقت ، فأجمع ابن وهيب وكاتب نصراني وغيرهما على أوراق عملت ، وانتدب الأسعد بن مماتي والشاد للكشف والرفع إلى فخر الدين جهاركس .

وفي ذي القعدة :كثر وثوب السكارى بمن يلقونه ليلا، وضربهم إياه بالسكاكين،فلا تخلو ليلة من قتيل أو قتيلين ، ولم يؤخذ لأحد بثأر، ولا وقع كشف عن مقتول منهم ، ولا تمكن والي القاهرة من منعهم . ووجد

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١/٢٢

في الخليج ستة نفر قتلى مربطين ، فلم يسأل عنهم ، ولا وقع إنكار لأمرهم .
وفي ذي الحجة : عزم العزيز على نقض الأهرام ، ونقل حجارتها إلى سور دمياط ، فقيل له إن المؤنة تعظم في هدمها، والفائدة تقل من حجرها. فانتقل رأيه من الهرمين إلى الهرم الصغير " وهو مبني بالحجارة الصوان " فشرع في هدمه .
وفيه سار العزيز إلى الإسكندرية، واستخلف بالقاهرة بهاء الدين قراقوش ، وفخر الدين جهاركس .
وتوفي في هذه السنة القاضي الأشرف أبو المكارم الحسن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحباب قاضي الإسكندرية، وولى عوضه الفقيه أبو القاسم شرف الدين عبد الرحمن بن سلامة في سابع عشري شوال . ومولد بن الحباب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، وأقام حاكما بالإسكندرية ثمانيا وعشرين سنة . وكان كريم النفس صحيح المودة، وطالت مدته في الحكم بالإسكندرية، من سنة أربع وستين إلى أن مات بها في ثالث جمادى الآخرة .
وفي خامس ذي الحجة : مات القاضي الرشيد ابن سناء الملك . قال القاضي الفاضل فيه : " ونعم الصاحب الذي لا تخلفه الأيام ، ولا يعرف له نظير من الأقوام : أمانة سمينة، وعقيدة ود متينة، ومحاسن ليست بواحدة، ومساع في نفع المعارف جاهدة. وكان حافظا لكتاب الله، مشتغلا بالعلوم الأدبية، كثير الصدقات ، نفعه الله، والأعمال الصالحات ، عرفه الله بركاتها " .
وفيها حج بالناس الشرفي ابن ثعلب ، وخرجت المراكب الحربية من مصر، فظفروا ببطس للفرنج ، وفيها أموال فغنموها.
وفيها بنى الأمير فخر الدين جهاركس قيساريته بالقاهرة.
وفيها زلزلت مصر. ومات العلم عبد الله بن علي بن عثمان بن يوسف المخزومي، يوم الجمعة حادي عشر جمادى الأولى، ومولده في شهر رمضان سنة تسع وأربعين وخمسمائة وقد قرأ علي بن بري، وله شعر.
سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة." (١)

"وفيها أمر الملك المعظم عيسى بتخريب القدس، خوفا من استيلاء الفرنج عليها، فخربت أسوار المدينة وأبراجها كلها، إلا برج داود – وكان من غربي البلد – فإنه أبقاه، وخرج معظم من كان في القدس من الناس، ولم يبق فيه إلا نفر يسير، ونقل المعظم ما كان في القدس من الأسلحة وآلات القتال، فشق على المسلمين تخريب القدس وأخذ دمياط.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١/٣٥

وفيها هدم المعظم أيضا قلعة الطور التي بناها أبوه العادل، وعفى أثارها.

وفيها خرجت كتب الخليفة الناصر لدين الله إلى سائر الممالك، بإنجاد الملك الكامل بدمياط.

وفيها مات عز الدين كيكاوس بن غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان، ملك قونية، بعدما ملك أرزن الروم من عمه طغرل شاه ابن قلج شاه بن قلج أرسلان، وملك أنكورية من أخيه كيقباد، فصار سلطان الروم، وقام من بعده أخوه علاء الدين كيقباد.

وفيها ابتدأ ظهور التتار - ومساكنهم جبال طمغاج من أرض الصين، بينها وبين بلاد التركستان ما يزيد على ستة أشهر - واستولوا على كثير من بلاد الإسلام، وكانوا لا يدينون بدين، إلا أنهم يعرفون بالله تعالى، من غير اعتقاد شريعة، فملكوا الصين - وكان ملكهم يقال له جنكزخان - ثم ساروا إلى تركستان وكاشغر فملكوا تلك البلاد، وأغاروا على أطراف بلاد السلطان علاء الدين محمد بن خوارزم شاه تكش بن ألب أرسلان محمد بن جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق، ثم استولوا على بخاري وغيرها من بلاد العجم.

سنة سبع عشرة وستمائة

أهلت وانقضت، والحرب قائمة بين المسلمين وبين الفرنج على دمياط، في منزلة المنصورة.

وفيها استولى التتر على سمرقند وهزموا السلطان علاء الدين، وملكوا الري وهمذان وقزوين، وحاربوا الكرج، وملكوا فرغانة والترمذ وخوارزم، وخراسان ومرو ونيسابور، وطوس وهراة وغزنة.

وفيها ملك الأشرف موسى بن العادل ماردين وسنجار.

وفيها مات الملك المنصور ناصر الدين محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي صاحب حماة - وكان إماما مفتيا في عدة علوم، وله شعر جيد - في ذي القعدة، عن خمسين سنة، منها مدة ملكه ثلاثون سنة، وكان ابنه الأكبر الملك المظفر تقي الدين محمود في معسكر خاله الملك الكامل، بالمنصورة على مقاتلة الفرنج، فقام بمملكة حماة الملك الناصر قلج أرسلان بن المنصور، وكان عمره سبع عشرة سنة، فشق بذلك على أخيه المظفر، واستأذن الملك الكامل في العود إلى حماة، ظنا منه أنه يملكها، فإنه كان ولي عهد أبيه، فأذن له الملك الكامل، وسار فلقى الملك المعظم في الغور، فخوفه من التعرض إلى أخيه، فأقام بدمشق، ثم رجع المظفر إلى الملك الكامل، فأقطعه إقطاعا، وأقام في خدمته.

وفيها كثرت مصادرة الصاحب صفي الدين بن شكر أرباب الأموال بمصر والقاهرة، من التجار والكتاب: وقرر التبرع على الأملاك، وهو مال جبي من الناس، وأحدث ابن شكر حوادث كثيرة، وحصل مالا جما.

وفيها قوي طمع الفرنج في ملك ديار مصر، وعزموا على التقدم إلى المسلمين، ليدفعوهم عن منزلتهم،

ويستولوا على البلاد، فانقضت السنة وهم تجاه المسلمين على رأس بحر أشموم ودمياط.

وفيها غلت الأسعار بأرض مصر، فبلغ القمح ثلاثة دنانير كل أردب، فكانت من أشق السنين وأشدها على **أهل مصر.**

وفيها مات الشريف أبو عزيز قتادة بن أبي مالك إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم ابن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله ابن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب رضي الله عنه، سلطان مكة، في أخر جمادى الآخرة بمكة، عن تسعين سنة، وله شعر جيد، وقدم مصر غير مرة، ومعه أخوه أبو موسى عيسى، وكانت ولادته ومرباه بالينبع. وملك مكة بعده ابنه حسن بن قتادة فسار راجح بن قتادة مغاضبا له، وقطع الطريق في الموسم بين مكة وعرفة، فقبض عليه أقباش أمير الحاج العراقي. فبعث الشريف حسن لأقباش يعده بمال ليسلمه راجحا، فوعده راجح بأكثر من ذلك، فعزم أقباش على أن يسلمه مكة، وتقدم لمقاتلة أميرها، فقتل أقباش، وفر راجح إلى الملك المسعود باليمن.

سنة ثمان عشرة وستمائة." (١)

"وفيها مات الأمير عماد الدين أبو العباس أحمد بن الأمير سيف الدين أبي الحسن علي بن أحمد الهكاري، المعروف بابن المشطوب، أحد الأمراء الصلاحية، في الاعتقال بحران، في ربيع الآخر.

سنة عشرين وستمائة

فيها أخذ المعظم عيسى المعرة وسليمة ونازل حماة، فشق ذلك على أخيه الأشرف - وكان بمصر - وتحدث مع الكامل في إنكار ذلك، فبعث السلطان الكامل إلى المعظم يسأله في الرحيل عن حماة، فتركها وهو حنق.

وفيها حج الملك الجواد والملك الفائز من القاهرة، وقدما علم الخليفة على علم السلطان الملك الكامل في طلوع عرفة.

وفيها خرج الأشرف من مصر إلى بلاده، ومعه خلع الملك الكامل والتقليد بسلطة حلب للعزيز ناصر الدين محمد بن الظاهر غازي، فوصل إلى حلب في شوال، وتلقاه العزيز - وعمره عشر سنين - فأفاض عليه الخلع الكاملية، وحمل الغاشية بين يديه، وأقام عنده أياما، ثم سار إلى حران.

وفيها عم الجراد بلاد العراق والجزيرة، وديار بكر والشام. وفيها أوقع التتر بالروس.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٦٠/١

وفيها شنق سهم الدين عيسى والي القاهرة نفسه – وهو معتقل بدار الوزارة – ليلة الخميس سادس شوال.

سنة إحدى وعشرين وستمائة

فيها ملك التتر قم وقاشان وهمذان.

وفيها اختلف الحال بين المظفر غازي، صاحب إربل وبين أخيه الأشرف، فخرج المعظم من دمشق يريد محاربة الأشرف، فبعث إليه الكامل يقول له: إن تحركت من بلدك سرت وأخذته منك. فخاف وعاد إلى دمشق.

وفيها مات الوزير الأعز أبو العباس أحمد، المعروف بفخر الدين مقدام بن شكر، في آخر شعبان بالقاهرة.

وفيها أخذ عسكر مصر ينبع من بني حسن، وكانوا قد اشتروها بأربعة آلاف مثقال، فلم تزل بيد **المصريين** إلى سنة ثلاثين.

سنة اثنتين وعشرين وستمائة

فيها فر الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود من مصر في البحر، خوفا من عمه الملك الكامل، ولحق بعده المعظم.

وفيها تخوف الكامل من أمرائه، لميلهم إلى أخيه الملك المعظم، فقبض على جماعة، وبعث إلى الطرقات من يحفظها، وبعث عدة رسل إلى الملوك الذين في خدمة أخيه الأشرف يأمرهم بالاتفاق وألا يخالفوه.

وفيها عاد السلطان جلال الدين بن خورازم شاه علاء الدين محمد بن تكش إلى بلاده، وقوي أمره على التتر، واستولى على عراق العجم، وسار إلى ماردين وأخذها، وسار إلى خوزستان، وشاقق جلال الدين الخليفة الناصر لدين الله، وسار حتى وصل بعقوبا، وبينها وبين بغداد سبعة فراسخ، فاستعد الخليفة للحصار، ونهب جلال الدين البلاد، وأخذ منها ما لا يقع عليه حصر، وفعل أشنع ما يفعله التتر، فكاتبه الملك المعظم، وأتفق معه معاندة لأخيه الكامل، ولأخيه الملك الأشرف، صاحب البلاد الشرقية، فسير السلطان جلال الدين بن القاضي مجد الدين – قاضي الممالك – في الرسالة إلى الملك الأشرف، ثم إلى الملك المعظم، ثم إلى الملك الكامل، فظاهر بأنواع الفسوق، وسار جلال الدين إلى عراق العجم، فملك همذان وتيريز، وأوقع بالكرج.

وفيها مات الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يوسف، صاحب سميساط فجأة بسميساط في صفر، ومولده بمصر يوم عيد الفطر سنة خمس – وقيل ست – وستين وخمسمائة، وهو أكبر أولاد أبيه، وإليه كانت ولاية عهده، وسمع الأفضل من ابن عوف وابن بري، واستقل بمملكة دمشق بعد موت أبيه، فلم

ينتظم له أمر لقلة حظه، وأخذها منه أخوه العزيز عثمان، صاحب مصر، ثم صار الأفضل أتابكا للمنصور بن العزيز بمصر، وحصر دمشق، وبها عمه العادل، وأشرف على أخذها منه، فقطع عليه سوء الحظ، وعاد إلى مصر، وفي أثره عمه العادل، فانتزع منه مصر، ولم يبق معه سوى صرخد ثم قصد الأفضل دمشق ثانيا، مع أخيه الظاهر غازي صاحب حلب، فلم يتم أمرهما لاختلافهما، وصار بيده سميساط لا غير. فلما مات أخوه الظاهر طمع في حلب، وخرج إليها مع السلطان عز الدين كيكاوس السلجوقي ملك الروم، فلم يتم لهما أمر، وعاد الأفضل إلى سميساط، فلم يزل بها يتجرع الغصص حتى مات كمدا، وكان فاضلا أديبا حليما، حسن السيرة متجاوزا، يكتب الخط المليح، جامعا لعدة مناقب، إلا أنه كان قليل الحظ، وشعره جيلط كتب إلى الخليفة الناصر لدين الله – لما انتزع منه دمشق أخوه عثمان وعمه العادل أبو بكر – في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة كتابا يشكو إليه اغتصابهما ميراثه من أبيه، وأوله.." (١)

"وفيها سار ابن شداد من القاهرة بالستر العالي الصاحبة غازية خاتون، ابنة الكامل وزوجة الملك المظفر، صاحب حماة، والستر العالي الصاحبة فاطمة، ابنة الكامل وزوجة الملك العزيز، صاحب حلب، وخرج معها أيضا الأمير فخر الدين البانياسي، والشمريف شمس الدين قاضي العسكر.

وفيها مات الأمير فخر الدين عثمان بن قزل أستادار الملك الكامل، و صاحب المدوسة الفخرية بالقاهرة، في ثامن عشر ذي الحجة بحران.

وفيها بعث الملك المنصور عمر بن علي بن رسول، صاحب اليمن، عسكرا إلى مكة، فيه الشريف راجح بن قتادة، فملكها من الأمير شجاع الدين طغتكين، نائب الملك الكامل، في ربيع الآخر. وفر شجاع الدين إلى نخلة ثم إلى ينبع، وكتب يعلم الملك الكامل بذلك، فبعث إليه الكامل عسكرا سار هم إلى مكة، فقدموها في شهر رمضان، وملكوها بعدما قتلوا جماعة، وكان مقدم العسكر الأمير فخر الدين يوسف بن الشيخ.

سنة ثلاثين وستمائة

فيها أنعم الكامل على ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب بحصن كيفا، وسيره إليها، وعاد هو إلى الديار المصرية، ومعه الملك المسعود، صاحب آمد، فلما وصل قلعة الجبل أفرج عنه، وأحسن إليه، وأعطاه إمرة بديار مصر.

وفيها قبض الكامل على جماعة من الأمراء المصرية.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٦٥/١

وفيها استولى الملك المظفر، صاحب حماة على حصن بارين، وانتزعه من أخيه الناصر قلج أرسلان، فسار قلج أرسلان إلى خاله الكامل، فقبض عليه، واعتقله في قلعة الجبل حتى مات.

وفيها جهز الملك الكامل عسكرا من الغز والعربان إلى ينبع، من أرض الحجاز – عليهم علاء الدين آق سنقر الزاهدي – في شوال وعدتهم سبعمائة، وسبب ذلك ورود الخبر بمسير الشريف راجح من اليمن بعسكر إلى مكة، وأنه قدمها في صفر، وأخرج من بها من **المصريين** بغير قتال، فقدم الزاهدي في الموسم، وتسلم مكة، وحج بالناس، وترك بمكة ابن محلي، ومعه خمسون فارسا، ورجع إلى مصر.

وفيها توفي الفخر سليمان بن محمود بن أبي غالب الدمشقي، كاتب الإنشاء. فاستحضر الملك الكامل ناسخا يقال له الأمين الحلبي، كان عند الأمير عز الدين أيبك – أستادار الملك المعظم – في خدمته يكتب له، فلما حضر الأمين ليكتب بين يديه خلع عليه، وأعاده إلى صاحبه، فتزهد استحياء من الناس، وبعث الكامل إلى ميافارقين، فأحضر الجلال بن نباتة ليستكتبه، فلما حضر خلع عليه، وأعاده ولم يستكتبه الأشرف صاحب دمشق.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر رمضان: سلطن الملك الكامل ولده الملك العادل سيف الدين أبا بكر، وأركبه بشعار السلطنة، وشق به القاهرة، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة، وكان الكامل يحبه، ويحب أمه حبا زائدا.

وفي ذي القعدة: وصل محيي الدين يوسف بن الجوزي من بغداد، بالتقليد من الخليفة المستنصر بالله للملك الكامل.

وفيها أبطل السلطان المعاملة بالفلوس في القاهرة ومصر، فتلف مال كثير للناس.

وفيها مات الأمير حسام الدين مانع بن حديثة، أمير العربان من آل فضل، فأمر الأشرف بعده ابنه مهنا.

وفيها قدم الناصر داود صاحب الكرك إلى مصر، فنزل بدار الوزارة من القاهرة، وركب في خدمة عمه الملك الكامل.

وفيها مات العزيز فخر الدين عثمان بن العادل بدمشق، يوم الاثنين عاشر رمضان. فيها مات الملك المعظم مظفر الدين كوكبري بن زين الدين علي كوجك، ملك إربل، في تاسع عشري شعبان عن أربع وثمانين سنة، وكان يهتم بعمل المولد النبوي في كل سنة اهتماما زائدا، فتسلم إربل من بعده نواب الخليفة، وصارت مضافة إلى مملكة بغداد.

سنة إحدى وثلاثين وستمائة

فيها قصد السلطان علاء الدين كيقباد بن كيخسرو السلجوقي، صاحب بلاد الروم، مدينة خلاط، فخرج

الملك الكامل من القاهرة بعسكره، ليلة السبت خامس شعبان، واستناب ابنه الملك العادل، فوصل إلى دمشق، وكتب إلى ملوك بني أيوب يأمرهم بالتجصز، للمس!ر بعساكرهم إلى بلاد الروم، وخرج الكامل من دمشق، فنزل على سليمة في شهر رمضان، ورتب عساكره، وسار إلى منبج، فقدم عليه عسكر حلب، وغيره من العساكر، فسار وقد صار معه ستة عشر دهليزا، لستة عشر ملكا - وقيل بل كانوا ثمانية عشر ملكا، فعرضهم الكامل على إلبيرة أطلابا بأسلحتهم، فلكثرة ما أعجب بنفسه قال: هذه العساكر لم تجتمع لأحد من ملوك الإسلام.." (١)

"وأمر بها فسارت شيئا بعد شيء نحو الدربند، وقد جد السلطان علاء الدين في حفظ طرقاته بالمقاتله، ونزل الكامل على النهر الأزرق، وهو بأول بلد الروم، ونزل عساكر الروم فيما بينه وبين الدربند وأخفوا عليه رأس الدربند وبنوا علمه سورا يمنع العساكر من الطلوع، وقاتلوا من اعلاه، فقلت الأقوات عند عسكر الكامل، واتفق - مع قلة الأقوات وامتناع الدربند - نفور ملوك بني أيوب من الملك الكامل، بسبب أنه حفظ عنه أنه لما أعجبته كثرة عساكره بالبيرة، قال لخواصه: إن صار لنا ملك الروم فإنا نعوض ملوك الشام والشرق مملكة الروم، بدل ما بأيديهم، ونجعل الشام والشرق مضافا إلى ملك مصر. فحذر من ذلك المجاهد صاحب حمص، وأعلم به الأشرف موسى صاحب دمشق، فأوجس في نفسه خيفة موسى، وأحضر بني عمه وأقاربه من الملوك وأعلمهم ذلك، فاتفقوا على الملك الكامل، وكتبوا إلى السلطان علاء الدين بالميل معه وخذلان الكامل، وسيروا الكتب بذلك، فاتفق وقوعها في يد الملك الكامل، فكتمها ورحل راجعا، فأخذ السلطان علاء الدين طيقباد - ملك الروم - قلعة خرتبرت وست قلاع أخر كانت مع الملوك الأرتقية، في ذي القعدة، فاشتد حنق الملك الكامل، لما حصل على أمرائه وعساكره من صاحب الروم في قلاع خرتبرت، ونسب ذلك إلى أهله من الملوك، فتنكر ما بينه وبينهم.

وفيها مات الملك المفضل قطب الدين موسى بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، في ذي الحجة.

وفيها بعث المنصور عمر بن على بن رسول - ملك اليمن - عسكرا، وخزانة مال إلى الشريف راجح بن قتادة، فأخرج من بمكة من **المصريين**.

وفيها حضر الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر القرطبي جماعا، بزقاق الطباخ بمدينة مصر، في أول يوم من شهر رجب، وكان هناك الشيخ أبو عبد الله القرشي، وأبو عباس القسطلاني، وجماعة غيرهما، فلما أنشد القوال صفق أبو يوسف الدهماني بيديه، وارتفع عن الأرض متربعا، إلى أن بلغ إلى أنبدارية المجلس،

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٧٧/١

ودار ثلاث دورات، ثم نزل إلى مكانه، فقام الشيخ القرطبي، وقدر ارتفاع الأنبدارية، فكان أطول من قامته رافعا يديه.

سنة اثنتين وثلاثين وستمائة

فيها عاد الملك الكامل إلى قلعة الجبل من بلاد الشرق - في جمادى الأولى - وقد توحش ما بينه وبين أخيه الأشرف - صاحب دمشق - وغيره من الملوك.

فقبض الكامل على المسعود صاحب آمد واعتقله في برج هو وأهله، يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى، لممالأته لهم، فملك صاحب الروم وحران بالسيف، وعاد إلى بلاده، بعد ما استولى على ما كان بهما من الأموال، فلما بلغ الكامل ذلك أمر العساكر أن تتجهز للمسير إلى الشرق، وأقطع ابن الأمير صلاح الدين الإربلي صنافير بالقليوبية، وجعل أقارب والده ومماليكه معه، وعدتهم سبعة عشر رجلا.

وفيها بعث ابن رسول إلى الشريف راجح بن قتادة بخزانة مال، ليستخدم عسكرا، فلم يتمكن من ذلك، لأنه بلغه أن السلطان الملك الكامل بعث الأمير أسد الدين جغريل، أحد المماليك الكاملية، إلى مكة بسبعمائة فارس، وحضر جغريل إلى مكة، ففر منه الشريف راجح بن قتادة إلى اليمن، وملك جغريل مكة في شهر رمضان، وأقام العسكر بها.

وفيها مات الملك الزاهر أبو سليمان مجير الدين داود بن صلاح الدين يوسف بن أيوب - صاحب البيرة - في سابع صفر، فاستولى العزيز - صاحب حلب - عليها من بعده.

وفيها مات الأمير شمس الدين صواب - الطواشي الكاملي - بحران في أواخر شهر رمضان.

سنة ثالث وثلاثين وستمائة

فيها استمر وباء كثير بمصر مدة ثلاثة أشهر، فمات بالقاهرة ومصر خلق كثر، بلغت عدتهم زيادة على اثني عشر ألفا، سوى من مات بالريف.

وفيها سار التتر إلى جهة الموصل، فقتلوا ونهبوا وسبوا.

وفيها سار الناصر داود - صاحب الكرك - إلى الخليفة المستنصر بالله، خوفا من عمه الملك الكامل، فإنه كان قد ألزمه حتى طلق ابنة الكامل، فخشي أن ينتزع منه الكرك فوصل إلى بغداد، فأكرمه الخليفة، ومنعه من الاجتماع به، رعاية للملك الكامل، ثم اجتمع به سرا، وخلع عليه، وبعث معه رسولا مشربشا، من خواصه إلى الكامل، يشفع فيه، فلما وصل الرسول إلى الكامل تلقاه وقبل الشفاعة.." (١)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٧٨/١

"وفيها سار الملك الكامل من القاهرة بعساكره يريد بلاد الشرق، فنازل الرها حتى أخذها، يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الأولى، وأسر منها زيادة على ثمانمائة من الأمراء، وهدم قلعتها، ونازل حران، وأخذها بعد حصار وقتال في رابع عشر جمادى الآخر، وأسر من كان بها من أجناد السلطان علاء الدين، وأمرائه ومقدميه الصوباشية، وكانوا سبعمائة وخمسة وعشرين رجلا، فمات كثير منهم في الطرقات، ثم نزل الكامل على دنيسر وخربها. فورد عليه الخبر بأن التتر قد وصلوا إلى سنجار، في مائة طلب، كل طلب خمسمائة فارس، وأخذ الكامل قلعة السويداء عنوة، وأسر من بها في سابع عشر جمادى الآخر، وهدمها، وأخذ قطينا، وأسر من بها في رجب.

وفي تاسع عشره: بعث الكامل جميع الأسرى إلى ديار مصر، وعدتهم تزيد على الثلاثة آلاف، وعاد إلى دمشق، وسلم الشرق لابنه الملك الصالح أيوب.

وفيها هدمت دنيسر، وعدة بلاد كثيرة من بلاد صاحب م ا ردين.

وفيها خرج عسكر الروم، بعد عود الكامل، وحاصر آمد وأخرب دارا في خامس ذي القعدة.

وفيها استولى الفرنج على مدينة قرطبة بالأندلس.

وفيها قدم أنبا كيرلس داود بن لقلق بطركا على الإسكندرية لليعاقبة، في يوم الأحد ثالث عشري بؤونة، سنة إحدى وخمسين وتسعمائة للشهداء، الموافق لتاسع عشري رمضان، فأقام في البطركية سبع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام، وكان عالما، محبا للرياسة، وجمع المال، وأخذ الشرطونية، وكانت أرض مصر قد خلت من الأساقفة، قبل اعتلائه كرسي البطركية، فقدم جماعة من الأساقفة بمال كبير، ومرت به شدائد كثيرة، فإن الراهب عماد المرشار كان قد سعى في ولايته البطركية، وشرط عليه ألا يقدم أسقفا إلا برأيه، فلم يف له، ولا التفت إليه، فانحرف عنه ورافعه، فوكل عليه وعلى عدة من أقاربه وألزامه، وقام أيضا عليه الشيخ السني بن التعبان الراهب، وعانده وذكر مثالبه، وأنه إنما تقدم بالشوة. وأنه أخذ الشرطونية، فلا تصح له كهنوتية، على حكم القوانين، ومال معه جماعة، وعقدوا له مجلسا بحضور الصاحب – معين الدين بن شيخ الشيوخ، في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأثبتوا عليه أمورا شنعة، وعزموا على خلعه، فقام معه الكتاب المستوفون بديار مصر، وتحدثوا مع الصاحب معين الدين، فقرر مالا حمله البطريك إلى السلطان، واستمر أنبا كيرلس على بطركيته حتى مات يوم الثلاثاء رابع عشر برمهات، سنة تسعمائة وتسع وخمسين للشهداء، الموافق لسابع رمضان سنة أربعين وستمائة وخلا الكرسي بعده سبع سنين وستة أشهر وستة وعشرين يوما.

وفيها بعث الملك المنصور عمر بن علي بن رسول – ملك اليمن – عسكرا إلى مكة، مع الشهاب بن عبد

الله، ومعه خزانة مال، فقاتله المصريون وأسروه، وحملوه إلى القاهرة مقيدا.

سنة أربع وثلاثين وستمائة

فيها سار الملك الكامل من دمشق يريد القاهرة، فوصل إليها، وصعد قلعة الجبل في ثم خرج إلى دمياط، فقدم عليه محيي الدين يوسف بن الجوزي رسولا من الخليفة، وهو بها، وسافر محيي الدين إلى السلطان علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان – صاحب الروم – ومعه الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنفري، رسولا من جهة الملك الكامل.

وفيها مات الملك العزيز غياث الدين محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب – صاحب حلب – يوم الأربعاء رابع عشري شهر ربيع الأول، عن ثلاث وعشرين سنة وأشهر، وقام من بعده ابنه الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف، وعمره نحو السبع سنين، وقام بتدبير أمره الأميران لؤلؤ الأميني، وعز الدين عمر بن محلي، وبينهما وزير الدولة جمال الدين الأكرم، يراجع الستر الرفيع صفية خاتون ابنة الملك العادل، على لسان جمال الدولة إقبال، وحضر الأمير بدر الدين بدر بن أبي الهيجاء وزين الدين قاضي حلب، إلى الملك الكامل، بزردية العزيز وكزا غنده، وخوذته ومركوبه، فأظهر الكامل الألم لموته، وقصر في إكرامهما، وحلف للناصر، وشرط أشياء، وأعاد الرسولين، ثم أرسل خلعة للناصر بغير مركوب، ومعها عدة خلع للأمراء الحلبيين، وخلعة للصالح صلاح الدين أحمد بن الظاهر غازي، صاحب عينتاب، فاستوحشت أم الظاهر من أخيها الكامل، ولم توافق على لبس أحد من الأمراء الخلع، فلبس الناصر وحده خلعة الكامل، ورد الرسول الوارد إلى الصالح صلاح الدين بخلعته.." (١)

"وكان يحب أهل العلم، ويؤثر مجالستهم، وشغف بسماع الحديث النبوي، وحدث بالإجازة من أبي محمد بن بري، وأبي القاسم البوصيري، وعدة من المصريين، وغيرهم، وتقدم عنده أبو الخطاب بن دحية، وبني له دار الحديث الكاملية بالقاهرة، وجعل عليهما أوقافا، وكان يناظر العلماء وعنده مسائل غريبة من فقه ونحو يمتحن بها، فمن أجاب عنها قدمه وحظي عنده، وكانت تبيت عنده بالقلعة جماعة من أهل العلم: كالجمال اليمني النحوي، والفقيه عبد الظاهر، وابن دحية، والأمير صلاح الدين الإربلي – كان أحد الفضلاء – فينصب لهم أسرة ينامون عليها بجانب سريره، ليسامروه، فنفقت العلوم والآداب عنده، وقصده أرباب الفضائل، فكان يطلق لمن يأتيه منهم الأرزاق الوافرة الدارة، فممن قصده التاج بن الأرموي، وأفضل الدين الخونجي، والقاضي الشريف شمس الدين الأرموي – قاضي العسكر – وهؤلاء أئمة وقتهم في المنقول

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١/٧٩

والمعقول، وكان مهيبا، حازما سديد الآراء، حسن التدبير لمماليكه، عفيفا عن الدماء، وبلغ من مهابته أن الرمل - فيما بين العريش ومصر - كان يمر فيه الواحد بالذهب الكثير والأحمال من الثياب، من غير خوف، وسرق مرة فيه بساط، فاحضر الكامل العربان الذين يخرون الطريق، وألزمهم بإحضاره وإحضار سارقه، فبذلوا عوضه شيئا كثيرا، وهو يأبى إلا إحضار السارق، أو إتلاف أنفسهم وأموالهم بدله، فلم يجدوا بدا من إحضار السارق والبساط، وكان يباشر أمور الملك بنفسه، من غير اعتماد على وزير ولا غيره، واستوزر أولا الصاحب صفى الدين بن شكر ست سنين، وانكف بصره وهو يباشر الوزارة حتى مات، وكان الأمير فخر الدين عثمان الأستادار يتردد إليه في الأشغال، فلما مات الصاحب صفي الدين لم يستوزر الكامل بعده أحدا، بل كان يستنهض من يختار في تدبير الأشغال: فأقام معين الدين بن شيخ الشيوخ مدة، وسماه نائب الوزارة، ومرة أقام تاج الدين يوسف بن الصاحب صفي الدين، ومرة جمال الدين البوري، وصار يباشر أمور الدولة بنفسه، ويحضر عنده الدواوين، فيحاققهم ويحاسبهم، وإذا ابتدأت زيادة النيل خرج بنفسه وكشف الجسور، ورتب في كل جسر من الأمراء من يتولاه، ويجمع الرجال لعمله، ثم يشرف على الجسور بعد ذلك، فمتى اختل جسر عاقب متوليه أشد العقوبة، فعمرت أرض مصر في أيامه عمارة زائدة.

وأخرج الكامل من زكوات الأموال - التي كانت تجبى - سهمي الفقراء والمساكين، وجعلهما مصروفين، ورتب عليهما جامكيات الفقهاء والفقراء والصلحاء وكان يجعل في كل ليلة جمعة مجلسا لأهل العلم عنده، ويجلس معهم للمباحثة، وكانت كثير السياسة، وأقام في كل طريق خفراء تحفظ المسافرين، إلا أنه كان معري بجمع المال، مجتهدا في تحصيله وأحدث في البلاد حوادث سماها الحقوق، لم تكن في أيام من تقدمه، وله شعر، منه قوله:

إذا تحققتم ما عند صاحبكم ... من الغرام فذاك القدر يكفيه

أنتم سكنتم فؤادي وهو منزلكم ... وصاحب البيت أثري بالذي فيه

وفيه يقول البهاء زهير بن محمد، من قصيدة عند فتح دمياط:

هو الكامل المولى الذي إن ذكرته ... فيا طرب الدنيا ويا فرح العصر

به ارتجعت دمياط قهرا من العدى ... وطهر بالسيف والملة الطهر

لك الله من ملك إذا جاد أوسطا ... فناهيك من عرف وناهيك من نكر

يقصد عنه المدح من كل مادح ... ولو جاء بالشمس المنيرة والبدر

وكان أولاد الشيخ صدر الدين بن حمويه هم أكابر دولته وأعيانها، وهم الأمير فخر الدين يوسف، وعماد

الدين عمر، وكمال الدين أحمد، ومعين الدين حسن، وكان فخر الدين قد ترك لبس العمامة، ولبس الطربوش والقباء ونادم السلطان، وكان فاضلا أديبا، يشارك في فنون، وإخوته لهم فضائل، وإليهم مشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء وتدريس المدرسة الناصرية، بجوار قبر الشافعي من القرافة، وتدريس المشهد الحسيني بالقاهرة، وما منهم إلا من تقدم على الجيوش، وباشر الحرب، وأرضعت أمهم – وهي ابنة القاضي شهاب الدين ابن عصرون – الملك الكامل، فصاروا إخوته من الرضاع.." (١)

"وسار الصالح عماد الدين – ومعه المجاهد – إلى دمشق في جمع كبير، وأخذاها وأظهرا طاعة الملك العادل صاحب مصر، وكان ذلك في سابع عشري صفر، ثم ملكا قلعه دمشق، واعتقلا المغيث بن الصالح نجم الدين، فبلغ ذلك الصالح وهو بنابلس، فكتم الخبر، وقدم الأمير حسام الدين محمد بن أبي علي الهذاباني أستاداره في جماعة، وسار بعده يريد دمشق، فلما وصل ابن أبي علي إلى الكسوة علم بأخذ دمشق من يدهم، فرجع إلى الصالح – وقد نزل بيسان – فاعلمه الخبر، وسار معه حتى وصل القصير اللعيني من النور فاشتهر عند العسكر أخذ دمشق، فورود مكاتبات الصالح عماد الدين إليهم، باستمالتهم إليه، ففسدت نياتهم، وطمعوا في الملك الصالح نجم الدين، لتلاشي أمره، وفارقوه، فبقي الصالح نجم الدين في دون المائة من أمرائه وأجناده، وتركه من كان معه من أهل بيته وأقاربه، وتركه أيضا بدر الدين قاضي سنجار – وكان أخص أصحابه، وصاروا كلهم إلى دمشق، وقد أيسوا من أن يقوم بعدها الصالح نجم الدين قائمة، وثبت معه الأمير حسام الدين بن أبي علي أستادراه، وزين الدين أمير جانداره، وشهاب الدين بن سعد الدين كوجبا – وكان أبوه سعد الدين ابن عمة الملك الكامل – والأمير شهاب الدين البواشقي، ونحو الثمانين من مماليكه، وثبت معه أيضا كاتبه بهاء الدين زهير، وهرب الطواشي شهاب الدين فاخر، وأخذ معه شيئا كثيرا من قماش الصالح، وعدة من مماليكه الصغار وغلمانه، وصار مع من لحق بدمشق، ففت في عضد الصالح مفارقة العسكر له، وأيقن بزوال أمره ورحل في الليل، فلقيه طائفة من العربان يريدون أخذه، فحاربهم بمن معه، حتى خلص منهم إلى نابلس، فنزل بظاهرها، ولما وصل العسكر المخامر على الصالح نجم الدين إلى دمشق، قبض الملك الصالح عماد الدين على أخويه الملك المعز مجير الدين يعقوب والملك الأمجد تقي الدين عباس، واعتقل الأمراء المصريين أيضا: وهم عز الدين أيبك الكردي، وعز الدين قضيب البان، وسنقر الدينسري، وبلبان المجاهدي، وتوجه نور الدين بن عثمان إلى بغداد، واتفق تغير الملك العادل على الناصر داود، ففارقه من بلبيس – وصحبته الأمير سيف الدين علي بن قلج – وسار

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٨٢/١

إلى الكرك، وكاتب الصالح نجم الدين ووعده النصرة، وكان ذلك خدعة منه ثم سار الناصر إلى نابلس بعساكره، وقبض على الملك الصالح نجم الدين، ويقال بل بعث إليه من أخذه بعد ما صار وحده، وأركبه على بلغة في إهانة، بغير مهماز ولا مقرعة، في ليلة السبت ثاني عشر ربيع الأول، وبعث الناصر به إلى الكرك ولم يزل معه غير مملوك واحد، يقال له ركن الدين بيبرس، وبعث معه جاريته شجر الدر أم ولده خليل، وأنزله بالقلعة، وقام له بجميع ما يحتاج إليه بحيث لم يحتل من حاله سوى أنه فقد الملك فقط، وأقام بهاء الدين زهير عند الناصر داود هو وجماعة المماليك، بعد ما خيرهم فاختاروا الإقامة عنده وطلب الأمير حسام الدين بن أبي علي، وزين الدين أمير جاندار من الناصر المسير إلى دمشق فسيرهما، وعندما قدما دمشق اعتقلهما الصالح عماد الدين.

وفي سابع عشر ربيع الأول: عاد الملك العادل إلى القاهرة، بعد ما بعث الركن الهبجاوي على جماعة، لحفظ الساحل، فلما بلغ الملك العادل ما جرى على أخيه – من أخذه ذليلا، ونهب أحر، وسجنه بالكرك – سره ذلك سرورا كثيرا، وظن أنه قد أمن، ونودي بزينة القاهرة ومصر فزينتا، وعمل سماطا عظيما في الميدان الأسود تحت قلعة الجبل، وعمل قصورا من حلوى، وأحواضا من سكر وليمون، وألفا وخمسمائة رأس شواء، ومثلها طعاما، فكان ما عمل من السكر ألف وخمسمائة أبلوجة، ونادى الملك العادل في العامة بالحضور إلى السماط، فحضر الجليل والحقير، وبلغ ذلك الصالح نجم الدين، وهو معتقل بالكرك.." (١)

"وفيها قدم الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى مصر، وقد أخرجه الصالح إسماعيل من دمشق، فأكرمه الملك الصالح نجم الدين، وولاه خطابة جامع عمرو بن العاص بمصر، وقلده قضاء مصر والوجه القبلي يوم عرف عوضا عن قاضي القضاة شرف الدين ابن عين الدولة، عندما كتب السلطان بخطه إلى ابن عين الدولة، في يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر ما نصه: إن القاهرة لما كانت دار المملكة، وأمراء الدولة وأجنادها مقيمون بها، وحاكمها مختص بحضور دار العدل، تقدمنا أن يتوفر القاضي على القاهرة وعملها لا غير. وفوض السلطان قضاء القضاة بمصر وعملها – وهو الوجه القبل – لبدر الدين أبي المحاسن يوسف السنجاري: المعروف بقاضي سنجار. فلما مات ابن عين الدولة استقر البدر السنجاري في قضاء القاهرة، وفوض قضاء مصر والوجع القبلي لابن عبد السلام.

وفيها كثر تردد الناس إلى فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ، بعدما أطلقه السلطان في السجن فكره

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٩١/١

السلطان ذلك، وأمره أن يلازم داره.

وفيها بلغ السلطان أن الناصر داود صاحب الكرك قد وافق الصالح إسماعيل صاحب دمشق، والمنصور إبراهيم صاحب حمص، وأهل حلب، على محاربته، فسير السلطان كمال الدين بن شيخ الشيوخ على عسكر إلى الشام، فخرج إليه الناصر وقاتله ببلاد القدس، وأسره في عدة من أصحابه، ثم أطلقهم، وعادوا إلى القاهرة. وكان من خبر ذلك أنه في يوم الأربعاء ثاني عشر صفر، وقع عسكر الناصر داود على الأمير عز الدين أيبك صاحب صرخد، وقد نزل على الغوار، فكسره وأخذ الأثقال، وكان معه الأمير شمس الدين شرف – المعروف بالسبع مجانين – وشمس الدين أبو العلاء الكرديان، وشرف الدين بن الصارم صاحب بنين، وكان مقدم عسكر الناصر سيف الدين بن قلج، وجماعة من الأيوبية من عسكر مصر.

وفيها سار الخوارزمية إلى الموصل، فسالمهم صاحبها بحر الدين لؤلؤ نصيبين، ووافقهم المظفر شهاب الدين غازي بن العادل، صاحب ميافارقين، ثم ساروا إلى آمد فخرج إليهم عسكر حلب، عليه المعظم فخر الدين توران شاه بن صلاح الدين، فدفعوهم عنها، ونهبوا بلاد ميافارقين، وجرت بينهم وبين الخوارزمية وقائع ثم عاد العسكر إلى حلب، فغار الخوارزمية على رساتيق الموصل.

وفيها فلج المظفر صاحب حماة في شعبان وهو جالس بغتة، فأقام أياما ملقي لا يتحرك ولا يتكلم، ثم أفاق وبطل شقه الأيمن فسير إليه الملك الصالح نجم الدين أيوب من مصر بطبيب يعرف بالنفيس بن طليب النصراني، فلم ينجح فيه دواء، واستمر كذلك سنين وشهورا حتى مات.

وفي خامس عشر ذي القعدة: قدم الأمير ركن الدين ألطونبا الهيجاري من القاهرة إلى دمشق، وكان الملك الصالح نجم الدين قد بعثه في شهر رمضان إلى الناصر داود، ليصلح بينه وبين الملك الجواد، حتى بقى على طاعة الصالح نجم الدين، فلما وصل إلى غزة هرب إلى دمشق، وأخذ معه جماعة من العسكر ولحق الجواد بالفرنج، وأقام عندهم.

وفيها وصل الملك المنصور نور الدين عمر بن علي رسول من اليمن في عسكر غير إلى مكة، في شهر رمضان، ففر المصريون بعدما أحرقوا دار الإمارة بمكة، حتى تلف ما كان بها من سلاح وغيره.

سنة أربعين وستمائة

في ربيع الأول: أبطلت خطة ملك الروم من دمشق، وخطب للملك الصالح نجم الدين أيوب.

وفي يوم الجمعة رابع جمادى الأولى: دخل الفرنج من عكا إلى نابلس، ونهبوا وقتلوا وأسروا، وأخذوا منبر الخطيب، وخرجوا يوم الأحد بعد ما أفسدوا أموالا كثيرة.

وفي يوم السبت ثامن عشر المحرم: وصل إلى القاهرة الشريف علاء الدين عالم بن الأمير السيد علي.
وفيها وصل التتار إلى أرزن الروم، وأوقع الملك المظفر غازي، صاحب ميلادقين بالخوارزمية. وفيها ماتت ضيفة خاتون ابنة العادل أبي بكر بن أيوب، ليلة الجمعة لإحدى عشرة خلت من جمادى الأولى فاستبد ابن ابنها الناصر يوسف بن الظاهر غازي بمملكة حلب بعدها، وقام بتدبيره بعد جدله الأمير شمس الدين لؤلؤ الأتابك، والأمير جمال الدين العادل الأسود الحسن، الخاتون، والوزير الأكرم جمال الدين بن النفطي، وخرج إقبال من حلب بعسكر، وحارب الخوارزمية، ثم عاد.." (١)

"وفيها مات الخليفة المستنصر بالله جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد ابن الناصر لدين الله أحمد العباس أمير المؤمنين بكرة يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة، وكاد سبب موته أنه فصد بمبضع مسموم. فكانت خلافته سبع عشرة سنة وشهر، وقيل مات في ثاني عشريه، وكانت مدته خمس عشرة سنة وأحد عشر شهرا وخمسة أيام، وله من العمر إحدى وخمسون سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام. وكان حازما عادلا، وفي أيامه عمرت بغداد عمارة عظيمة، وبني بها المحرسة المستنصرية، وفي أيامه قصد التتر بغداد، فاستخدم العساكر حتى قيل إنها زادت عدتها على مائة ألف إنسان. فقام من بعده في الخلافة ابنه المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله، وقام بأمره أهل الدولة، وحسنوا له جمع الأموال، وإسقاط أكثر الأجناد، فقطع كثيرا من العساكر، وسالم التتر، وحمل إليهم المال.
وفيها بني بعض غلمان الصاحب معين الدين ابن شيخ الشيوخ، وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب، بناء بأمر مخدومه على سطح مسجد بمصر، وجعل فيه طبلخاناه عماد الدين ابن شيخ الشيوخ، فأنكر ذلك قاضي القضاة عز الدين بن عبد السلام، ومضى بنفسه وأولاده، حتى هدم البناء، ونقل ما على السطح، ثم أشهد قاضي القضاة على نفسه أنه قد أسقط شهادة الوزير معين الدين، وأنه قد عزل نفسه من القضاء فلما فعل ذلك ولي الملك الصالح عوضه قضاء مصر صدر الدين أبا منصور موهوب ابن عمر بن موهوب بن إبراهيم الجزري الفقيه الشافعي، وكان ينوب عن ابن عبد السلام في الحكم، في ثالث عشري ذي القعدة.
وفيها قدم مكة الحاج من بغداد، بعدما انقطع ركب العراق سبع سنين عن مكة وكان من خبر مكة – شرفها الله تعالى – أن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بعث ألف فارس عليهم الشريف شيحة بن قاسم أمير المدينة، في سنة سبع وثلاثين، فبعث الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول من اليمن بابن النصيري، ومعه الشريف راجح، إلى مكة في عسكر كبير، ففر الشريف شيحة بمن معه، وقدم القاهرة،

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١/١٠٠

فجهز السلطان الملك الصالح معه عسكرا قدم بهم مكة، في سنة ثمان وثلاثين، وحجوا بالناس، فبعث ابن رسول من اليمن عسكرا كبيرا، فطلب عسكر مصر من السلطان الملك الصالح نجدة، فبعث إليهم بالأمير بارز الدين علي بن الحسين برطاس، والأمير مجد الدين أحمد بن التركماني، في مائة وخمسين فارسا، فلما بلغ ذلك عسكر اليمن أقاموا على السرين، وكتبوا إلى ابن رسول بذلك، فخرج بنفسه في جمع كبير يريد مكة، ففر **المصريون** على وجوههم، وأحرقوا ما في دار السلطان بمكة من سلاح وغيره، فقدم الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول مكة، وصام بها شهر رمضان، سنة تسع وثلاثين، واستناب بمكة مملوكه فخر الدين الشلاح.

سنة إحدى وأربعين وستمائة

فيها قدم التتر بلاد الروم، وأوقعوا بالسلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباد بن يخسرو بن قلج أرسلان، وهزموه وملكوا بلاد الروم وخلاط وآمد، فدخل غياث الدين في طاعتهم، على مال يحمله إليهم، وملكوا أيضا سيواس وقيسارية بالسيف وقرروا على صاحبهما في كل سنة أربعمائة ألف دينار ففر غياث الدين منهم إلى القسطنطينية، وقام من بعده ركن الدين ابنه – وهو صغير – إلى أن قتل.." (١)

"وصار مع هذا جميع الحل والعقد، والأمر والنهي لأصحابه الذين قدموا معه، فنفرت قلوب البحرية منه، واتفقوا على قتله، وما هو إلا أن مد السماط بعد نزوله بفارسكور، في يوم الاثنين سادس عشري المحرم، وجلس السلطان على عادته، تقدم إليه واحد من البحرية – وهو بيبرس البندقداري، الذي صار إليه ملك مصر – وضربه بالسيف: فتلقاه المعظم بيده فبانت أصابعه، والتجأ إلى البرج الخشب الذي نصب له بفارسكور وهو يصيح: من جرحني. قالوا: الحشيشة، فقال: لا والله إلا البحرية! والله لا أبقيت منهم بقية، واستدعى المزين ليداوي يده. فقال البحرية بعضهم لبعض: تمموه وإلا أبادكم، فدخلوا عليه بالسيوف. ففر المعظم إلى أعلى البرج وأغلق بابه، والدم يسيل من يده، فأضرموا النار في البرج، ورموه بالنشاب فألقى نفسه من البرج، وتعلق بأذيال الفارس أقطاي، واستجار به فلم يجره، وفر المعظم هاربا إلى البحر، وهو يقول: ما أريد ملكا، دعوني أرجع إلى الحصن يا مسلمين ما فيكم من يصطعني ويجيرني، هذا وجميع العسكر واقفون، فلم يجبه أحد والنشاب يأخذه من كل ناحية. وسبحوا خلفه في الماء، وقطعوه بالسيوف قطعا، حتى مات جريحا حريقا غريقا، وفر أصحابه واختفوا.

وترك المعظم على جانب البحر ثلاثة أيام منتفخا، لا يقدر أحد أن يتجاسر على دفنه، إلى أن شفع فيه

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٠١/١

رسول الخليفة، فحمل إلى ذلك الجانب وفي فن، فكانت مدة ملكه أحدا وسبعين يوما. وقيل مرة لأبيه في الإرسال إليه، ليحضر من حصن كيفا إلى مصر، فأبى، وألح عليه الأمير حسام الدين أبو علي في طلب حضوره، فقال: متى حضر إلى هنا قتلته. وكان المباشر لقتله أربعة من مماليك أبيه، وكان الملك الصالح نجم الدين لما أراد أن يقتل أخاه العادل، قال الطواشي محسن: اذهب إلى أخي العادل في الحبس، وخذ معك من المماليك من يخنقه، فعرض محسن ذلك على جماعة من المماليك، وكلهم يمتنع إلا أربعة منهم، فمضى بهم حتى خنقوا العادل. فقدر الله أن هؤلاء الأربعة هم الذين باشروا قتل ابنه المعظم أقبح قتلة. وروي في النوم الملك الصالح نجم الدين بعد قتل ابنه الملك المعظم تورانشاه، وهو يقول:

قتلوه شر قتله ... صار للعالم مثله

لم يراعوا فيه إلا ... لا ولا من كان قبله

ستراهم عن قريب ... لأقل الناس أكله

فكان ما يأتي، ذكره من الواقعة بين المصريين والشاميين، بين المعز أيبك والناصر صلاح الدين يوسف بن عبد العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف، وهو صاحب حلب وعدم فيها عدة من الأعيان. وبقتل المعظم انقرضت دولة بني أيوب من أرض مصر، وكانت مدتهم إحدى وثمانين سنة، وعدة ملوكهم ثمانية، كما مر ذكرهم. فسبحان الباقي، وما سواه يزول.

الملكة عصمة الدين أم خليل شجر الدر

كانت تركية الجنس، وقيل بل أرمنية، اشتراها الملك الصالح نجم الدين أيوب، وحظت عنده بحيث كان لا يفارقها سفرا ولا حضرا. وولدت منه ابنا اسمه خليل، مات وهو صغير. وهذه المرأة شجر الدر، هي أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك، وذلك أنه لما قتل الملك المعظم غياث الدين تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب، كما تقدم ذكره، اجتمع الأمراء المماليك البحرية، وأعيان الدولة وأهل المشورة، بالدهليز السلطاني، واتفقوا على إقامة شجر الدر أم خليل زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب في مملكة مصر، وأن تكون العلامات السلطانية على التواقيع تبرز من قبلها، وأن يكون مقدم العسكر الأمير عز الدين أيبك الزكماني الصالحي أحد البحرية. وحلفوا على ذلك في عاشر صفر، وخرج عز الدين الرومي من المعسكر إلى قلعة الجبل، وأنهى إلى شجر الدر ما جرى من الاتفاق، فأعجبها، وصارت الأمور كلها معقودة بها، والتواقيع تبرز من قلعة الجبل، وعلامتها عليها والدة خليل. وخطب لها على منابر مصر والقاهرة، ونقش اسمها على السكة، ومثاله المستعصمة الصالحية، ملكة المسلمين، والدة الملك المنصور خليل

أمير المؤمنين، وكان الخطباء يقولون في الدعاء: اللهم أدم سلطان الستر الرفيع، والحجاب المنيع، ملكة المسلمين، والدة الملك الخليل، وبعضهم يقول، بعد الدعاء للخليفة: واحفظ اللهم الجبة الصالحية، ملكة المسلمين، عصمة الدنيا والدين، أم خليل المستعصمية صاحبة الملك الصالح.." (١)

"فعندما نزل الناصر بمنزلة الكراع، قريبا من الخشبي بالرمل، رحل المعز أيبك بعساكر مصر من الصالحية، ونزل اتجاهه بسموط إلى يوم الخميس عاشره. فركب الملك الناصر في العساكر، ورتب ميمنة وميسرة وقلبا، وركب المعز، ورتب أيضا عساكره. وكانت الوقعة في الساعة الرابعة، فاتفق فيها أمر عجيب قل ما اتفق مثله، فإن الكرة كانت أولا على عساكر مصر، ثم صارت على الشاميين: وذلك أن ميمنة عسكر الشام حملت هي والميسرة على من بازائها حملة شديدة، فانكسرت ميسرة **المصريين** وولوا منهزمين، وزحف أبطال الشاميين وراءهم، وما لهم علم بما جرى خلفهم. وانكسرت ميمنة أهل الشام، وثبت كل من القلبين واقتتلوا. ومر المنهزمون من عسكر مصر إلى بلاد الصعيد، وقد نهبت أثقالهم. وعندما مروا على القاهرة خطب بها للملك الناصر، وخطب له بقلعة الجبل ومصر، وبات الأمير جمال الدين بن يغمور بالعباسية، وأحمي الحمام للملك الناصر وجهز له الإقامة. هذا والناصر على منزلة كراع ليس عنده خبر، وإنما هو واقف بسناجقه وخزائنه وأصحابه. وأما ميمنة أهل الشام فإنها لما كسرت قتل منهم عسكر مصر خلقا كثيرا في الرمل، وأسروا أكثر مما قتلوا.

وتعين الظفر للناصر وهو ثابت في القلب، واتجاهه المعز أيبك أيضا في القلب فخاف أمراء الناصر منه أن لمجنيهم إذا تم له الأمر، وخامروا عليه وفروا بأطلابهم إلى الملك المعز وهم، الأمير جمال الدين أيدغدي العزيزي، والأمير جمال الدين أقوش الحامي، والأمير بدر الدين بكتوت الظاهري، والأمير سليمان العزيزي، وجماعة غيرهم. فخارت قوى الناصر من ذهاب المذكورين إلى الملك المعز، فحمل المعز بمن معه على سناجق الناصر، ظنا منه أن الناصر تحتها. وكان الناصر – لما فارقه الأمراء إلى عند المعز – قد خرج من تحت السناجق في شردمة قليلة، فخاب ما أمله المعز أيبك، وعاد إلى مركزه خائبا وقد قوى الشاميون بذلك. وتبعوه يقتلون منه وينهبون.

وسر الأمراء القيمرية بذلك وقصدوا الحملة على المعز ليأخذوه، فوجدوا أصحابهم قد تفرقوا في طلب الكسب والنهب. فحمل المعز عليهم وثبتوا له، ثم انحاز إلى جانب يريد الفرار إلى جهة الشوبك. ووقف الناصر في جمع من العزيزية وغيرهم تحت سناجقه وقد اطمأن، فخرج عليهم المعز – ومعه الفارس أقطاي

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١/١١٨

– في ثلاثمائة من البحرية، وقرب منه فخامر عدة ممن كان مع الناصر عليه، ومالوا مع المعز والبحرية، فولى الناصر فارا يريد الشام في خاصته وغلمانه. واستولى البحرية على سناجقه، وكسروا صناديقه ونهبوا أمواله.

وساق المعز يريد الأطلاب، فوقع بطلب الأمير شمس الدين لؤلؤ، والأمير حسام الدين القيمري، والأمير ضياء الدين القيمري، وتاج الملوك بن المعظم، والأمير شمس الدين الحميدي، والأمير بدر الدين الزرزاري، وجماعة غيرهم. فبدد الملك المعز كلهم، وأسر المعظم تورانشاه بن صلاح الدين، وأخاه نصرة الدين محمد، والملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل، والملك الأشرف صاحب حمص، والملك الزاهر، والأمير شهاب الدين القيمري، والأمير حسام الدين طرنطاي العزيزي، والأمير ضياء الدين القيمري، والأمير شمس الدين لؤلؤ مدبر المملكة الحلبية، وأعيان الحلبيين وخلقا كثيرا وقتل الأمير شمس الدين الحميدي، والأمير بدر الدين الزرزاري، وجماعة غيرهم.

وكان الأمير حسام الدين أبو علي الهذباني على ميسرة عسكر المصرين، فلما وقعت الكسرة على الميسرة تفرق عنه أصحابه، وتقنطر عن فرسه وكاد يؤخذ، لولا أنه وقف معه من أركبه، فلحق بالمعز أيبك، فأمر الملك بضرب عنق الأمير شمس الدين لؤلؤ، فأخذته السيوف حتى قطع، وضربت عنق الأمير ضياء الدين القيمري وأتي بالملك الصالح إسماعيل وهو راكب، فسلم عليه الملك المعز وأوقفه إلى جانبه، وقال للأمير حسام الدين أبي علي: ما تسلم على المولى الصالح، فدنا م نه الأمير حسام الدين وعانقه وسلم عليه. وجرح الملك المعظم، وابنه تاج الملوك وضرب الشريف المرتضي في وجهه ضربة عظيمة، وهموا بقتله ثم تركوه.." (١)

"وتمزق أهل الشام كل ممزق، ومشوا في الرمل أياما، وصار الملك الناصر ومعه نوفل الزبيدي وعلي السعدي إلى دمشق. وأما العسكر الشامي الذي كسر ميسرة **المصريين**، فإنه وصل إلى العباسية ونزل بها، وضرب الدهليز الناصري هناك، وفيهم الأمير جمال الدين بن يغمور نائب السلطنة بدمشق وعدة من أمراء الناصر، وهم لا يشكون أن أمر **المصريين** قد بطل وزال، وأن الملك الناصر مقدم عليهم ليسيروا في خدمته إلى القاهرة. فبينا هم كذلك إذ وصل إليهم الخبر بهروب الملك الناصر، وقتل الأمراء وأسر الملوك وغيرهم. فهم طائفة منهم أن يسيروا إلى القاهرة ويستولوا عليها، ومنهم من رأى الرجوع إلى الشام، ثم اتفقوا على الرجوع.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٢٣/١

وأما من انهزم من عسكر مصر أولا، فإنهم وصلوا إلى القاهرة في يوم الجمعة حادي عشره، غد يوم الوقعة، فما شك في أن الأمر تم للملك الناصر، وأن أمر البحرية قد زال. وكان بقلعة الجبل الأمير ناصر إسماعيل، بن يغمور، أستادار الملك الصالح عماد الدين إسماعيل، في جب وهو أمين الدولة أبو الحسن بن غزال – المتطبب المعروف بالسامري وزير الصالح المذكور، والأمير سيف الدين القيمري، وجماعة غيرهم أيضا، لهم من أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب في الاعتقال. فلما بلغهم ذلك خرجوا من الجب، وأظهروا الفرح والاستبشار، وأرادوا أخذ القلعة. فلم يوافق الأمير سيف الدين القيمري على ذلك، وتركهم وقعد على باب دار الملك المعز أيبك التي فيها عياله، وحماها وصد الناس عنها. وصاح البقية: الملك الناصر يا منصور.

وخطب للناصر بالقلعة ومصر، وسائر البلاد التي بلغها خبر نصرته. وكان بجامع القاهرة الشيخ عز الدين بن عبد السلام، فقام على قدميه وخطب خطتن خفيفتين، وصلى بجماعة الجمعة، وصلى قوم صلاة الظهر. فما هو إلا أن انقضت صلاة الجمعة، حتى وردت البشارة بانتصار الملك المعز وهزيمة الناصر، فدقت البشائر. وقدم جماعة ومعهم نصرة الدين بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، فاعتقلوه بقلعة الجبل. وقبض على الأمير ناصر الدين بن يغمور، والوزير أمين الدولة أبي الحسن بن غزال، ومن كان معهما، وأعيدوا إلى الجب. ونودي آخر النهار في القاهرة ومصر بالزينة.

وأما الملك المعز فإنه ساق – بعدما تقم ذكر من قتله الأمراء – إلى العباسية، فلما رأى دهليز الملك الناصر توهم، وعرج عن الطريق على العلاقمة إلى بلبيس، ظنا أن واقعة وقعت بالقاهرة. فبلغ من كان بالدهليز الخبر فهدموه في الليل، وساروا إلى الشام. فبلغ ذلك الملك المعز وهو في بلبيس، فرحل يريد القاهرة وقد اطمأن، ودخلها يوم السبت ثاني عشر ذي القعدة بالأسرى بين يديه، وسناجقهم مقلبة وطبولهم مشققة، وخيولهم وأموالهم بين يديه، إلى أن وصل إلى بين القصرين، فلعبت المماليك بالرماح وتطاردوا، والملك المعز في الموكب، وإلى جانبه الأمير حسام الدين أبي علي، وقدامه الملك الصالح إسماعيل تحت الاحتياط، فعندما وصل إلى تربة الملك الصالح نجم الدين أحدق المماليك البحرية بالصالح إسماعيل، وصاحوا: يا خوند أين عينك ترى عدوك إسماعيل ثم ساروا إلى قلعة الجبل، واعتقل الصالح إسماعيل بها وبقية الملوك، وألقى الأسرى من الشاميين في الجباب. وعندما دخل الملك المعز إلى القلعة، تلقاه الملك الأشرف موسى وهنأه بالظفرة فقال الأمير فارس الدين أقطاي للأشرف: كلنا حصل بسعادتك، وما سعينا إلا في تقرير ملكك، وكان يؤثر بقاء الأشرف خوفا من استبداد المعز أيبك وكان هذا اليوم من أعظم أيام القاهرة،

واستمرت الزينة بالقاهرة ومصر وقلعة الجبل وقلعة الروضة عدة أيام.
وفي يوم الاثنين رابع عشره: شنق الأمير ناصر الدين إسماعيل بن يغمور، أستادار الصالح إسماعيل، وشنق بكجا ملك الخوارزمي وأمين الدولة أبو الحسن السامري الوزير، على باب قلعة الجبل، ومعهم المجير بن حمدان من أهل دمشق. وظهر لأمين الدولة من الأموال والتحف والجواهر ما لا يوجد مثله إلا عند الخلفاء، بلغت قيمة ما ظهر له سوى ما كان مودوعا ثلاثة آلاف ألف دينار، ووجد له عشرة آلاف مجلدة، كلها بخطوط منسوبة، وكتب نفيسة.." (١)

"العلامة رضي الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد الحسن بن حيدر العمري الهندي الصنعاني الحنفي اللغوي، مات ببغداد، ودفن بمكة عن ثلاث وسبعين سنة.
وتوفي فخر القضاة أبو الفتح نصر الله بن هبة الله بن عبد الباقي بن هبة الله بن الحسيني بن يحيى بن بصاقة الكناني، الكاتب الوزير للناصر داود، والأديب المنشئ، في ٠٠٠٠٠ وتوفي شمس الدين أبو عبد الله بن سعد الله بن عبد الله بن سعد الأنصاري القدسي، الفقيه الشافعي المحدث المقرئ، النحوي الأديب الكاتب المجودة مات بدمشق عن تسع وسبعين سنة.
وتوفي مسند العراق المؤتمن أبو القاسم يحيى بن نصر بن أبي القاسم بن الحسن بن قميرة التميمي، التاجر السفار، عن خمس وثمانين سنة، حدث بمصر وغيرها.
وتوفي نقيب الأشراف – وقاضي العسكر، ومدرس المدرسة الشريفية بمصر – الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد العلوي الحسيني الأرموي، على ما حدثنا الأشراف، في ثالث عشر شوال خمسين وستمائة. وكان إماما في الفقه والأصول مناظرا، تفقه على الصدر بن حمويه، وشرح المحصول، ومات عن نيف وسبعين سنة.
سنة إحدى وخمسين وستمائة
فيها تقرر الصلح بين الملك المعز أيبك وبين الملك الناصر صاحب دمشق، بسفارة نجم الدين البادرائي. وقد قدم نجم الدين إلى القاهرة، وصحبته عز الدين أزدمر، وكاتب الإنشاء بحلب نظام الدين أبو عبد الله محمد بن المولى الحلبي، لتمهيد القواعد، فلي يبرحا إلى أن انفصلت القضية: على أن يكون للمصريين إلى الأردن، وللناصر ما وراء ذلك، وأن يدخل فيها للمصريين غزة والقدس ونابلس والساحل كله، وأن المعز يطلق جميع من أسره من أصحاب الملك الناصر. وحلف كل منهما على ذلك، وكتبت به العهود، وعاد

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٢٤/١

الملك المعز وعسكره إلى قلعة الجبل في يوم الثلاثاء سابع صفر، ونزل البادرائي بالقاهرة، وأطلق الملك المعز الملك المعظم تورانشاه بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وأخاه نصرة الدين، وسائر أولاد الملوك والأمراء، وأحضرهم دار الوزارة ليشهدوا حلفه للملك الناصر. ثم قدم الملك المعز أيبك للملك المعظم تقدمة سنية، وأعطى نظام الدين بن المولى، ورفيقه عز الدين أزدمر، عشره آلاف دينار.

وفيها قويت البحرية – وكبيرهم فارس الدين أقطاي – على المعز، وكثر قبضتهم واستطالتهم وتوثبهم على الملك المعز، وهموا بقتله.

وفيها تسلم **المصريون** قلعة الشوبك، فلم يبق مع الملك المغيث سوى الكرك والبلقاء وبعض الغور. وفيها قطع المعز خبز الأمير حسام الدين بن أبي علي، فلزم داره، ثم خرج إلى بلاد الشام بإذن الملك المعز له، فأكرمه الملك الناصر وأقامه في خدمته بمائة فارس.

وفيها ثارت العربان ببلاد الصعيد وأرض بحري، وقطعوا الطريق برا وبحرا، فامتنع التجار وغيرهم من السفر. وقام الشريف حصن الدين ثعلب بن الأمير الكبير نجم الدين علي بن الأمير الشريف فخر الدين إسماعيل بن حصن الدولة مجد العرب ثعلب بن يعقوب بن مسلم بن أبي جميل الجمدي، وقال: نحن أصحاب البلاد، ومنع الأجناد من ناول الخراج، وصرح هم وأصحابه: بأنا أحق بالملك من المماليك وقد كفى أنا خدمنا بني أيوب، وهم خوارج خرجوا على البلاد. وأنفوا من خدمة الترك، وقالوا إنما هم عبيد للخوارج، وكتبوا إلى الملك الناصر صاحب دمشق يستحثونه على القدوم إلى مصر.." (١)

"وفي رابع شهر رمضان: سقطت إحدى مسان فرعون التي بعين شمس، فوجد فيها نحو المائتي قنطار نحاس، وأخذ من رأسها عشرة آلاف دينار.

وفيها ملك هولاكو بغداد، وقتل الخليفة المستعصم بالله عبد الله في سادس صفر، فكانت خلافته خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وستة أيام. وانقرضت بمهلكه دولة بني العباس من بغداد، وصار الناس بغير خليفة إلى سنة تسع وخمسين وستمائة، فصح حديث حبيب بن أبي ثابت، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن رسول الله قام فقال: " يا معشر قريش، إن هذا الأمر لا يزال فيكم، وأنتم ولاته حتى تحدثوا أعمالا تخرجكم منه. فإذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شر خلقه، فالتحوكم كما يلتحي القضيب " .

وقتل الناس ببغداد وتمزقوا في الأقطار، وخرب التتر الجوامع والمساجد والمشاهد، وسفكوا الدماء حتى جرت في الطرقات، واستمروا على ذلك أربعين يوما. وأمر هولاكو بعد القتلى، فبلغت نحو الألفي ألف

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١/١٢٧

قتيل، وتلاشت الأحوال بها. وملك التتار أربل، ودخل بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في طاعتهم.

وفيها كثر الوباء ببلاد الشام، فكان يموت من حلب في كل يوم ألف ومائتا إنسان. ومات من أهل دمشق خلق كثير، وبلغ الرطل التمر هندي ستين درهما.

وفيها أنفذ الملك الناصر صاحب دمشق ابنه الملك العزيز إلى هولاكو، ومعه تقادم وعدة من الأمراء فلما وصل الملك العزيز إلى هولاكو قدم إليه ما معه، وسأله على لسان أبيه في نجدة ليأخذ مصر من المماليك، فأمر هولاكو أن يتوجه إليه بعسكر فيه قدر العشرين ألف فارس. فطار هذا الخبر إلى دمشق، فرحل من كان بها من المماليك البحرية، وصاروا إلى الملك المغيث عمر بالكرك وحرضوه على أخذ مصر، فجمع الملك المغيث وسار.

فتجهز الأمير قطز، وخرج من القلعة بالعساكر في..، فلما وصل الصالحية تسلل إلى الملك المغيث من كان كاتبه من الأمراء وصاروا إليه، فلقيهم قطز وقاتلهم. فانهزم الملك المغيث في شرذمة إلى الكرك، ومضى البحرية نحو الطور، واتفقوا مع الشهرزورية من الشرق. واستولى المصريون على من بقي من عساكر المغيث وأثقاله، وأسروا جماعة، وعادوا إلى قلعة الجبل. وقد تغير قطز على عدة من الأمراء، لميلهم إلى الملك المغيث: فقبض على الأمير عز الدين أيبك الرومي الصالحي، والأمير سيف الدين بلبان الكافوري الصالحي الأشرفي، والأمير بدر الدين بكتوت الأشرفي، والأمير بدر الدين بلغان الأشرفي، وجماعة غيرهم، وضرب أعناقهم في سادس عشري ربيع الأول، وأخذ أموالهم كلها.

وفيها فر طائفة حمن الأكراد من وجه عسكر هولاكو، يقال لهم الشهرزورية، وقدموا دمشق وعدتهم نحو ثلاثة آلاف، ومعهم أولادهم ونساؤهم. فسر بهم الملك الناصر واستخدمهم ليتقوى بهم، فزاد عنتهم وكثر طلبهم حتى خافهم، وأخذ يداريهم وما يزيدهم ذلك إلا تمردا عليه، إلى أن تركوه وساروا إلى الملك المغيث بالكرك، فسر بهم وتاقت نفسه إلى أخذ دمشق، فخاف الناصر وتخيل من الأمراء القيمرية اللذين في دمشق فاضطرب وتحير.

وفمها مات أمير بني مرين أبو محيى بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة، في رجب. وقام من بعده ابنه عمر، ونازعه عمه يعقوب بن عبد الحق وأبو محيى هو الذي فتح الأمصار، وأقام رسوم المملكة، وقسم بلاد المغرب بين عشائر بني مرين، وقام بدعوة الأمير أبي زكريا بن أبي حفص صاحب تونس. وأبو يحيى أول من اتخذ الموكب الملكي منهم، وملك مدينة فاس. وقد استبد أبو يحيى بملك المغرب الأقصى، وبنو عبد الواحد بملك المغرب الأوسط، وبنو أبي حفص بإفريقية. وهذا وقد أشرفت دولة الموحدين بني

عبد المؤمن على الزوال.

وفي سنة ست خمسين هذه: قدم أولاد حسن مكة، وقبضوا على إدريس وأقاموا ستة أيام، فجاء أبو نمى وأخرجهم ولم يقتل بينهم أحد.

ومات في هذه السنة من الأعيان." (١)

"وتوفي شيخ الأطباء بدمشق شرف الدين أبو الحسن على بن يوسف بن حيدرة الرحبي وله شعر جيد.

سنة ثمان وستين وستمائة

فيها صلي الملك الظاهر صلاة الجمعة غرة المحرم بالكرك، وركب في مائة فرس وبيد كل فارس فرس، وساق إلى دمشق. هذا والناس. بمصر والشام لا يعرفون شيئا من خبر السلطان: هل هو في الشام أو الحجاز أو غيره، ولا يستطع من مهابته والخوف منه أحد أن يتكلم، فلما قارب السلطان دمشق سير أحد خواصه على البريد بكتب إلى دمشق، وفيها البشارة بسلامته وقضاء الحج، فأحضر الأمير جمال الدين النجيبي نائب دمشق الناس لسماع كتب البشارة، فبينا هم في القراءة إذ بلغهم أن السلطان في الميدان، فساروا إليه فإذا هو بمفرده، وقد أعطي فرسه لبعض منادية سوق الخيل، فقبل النائب له الأرض وحضر الأمير آقسنقر الأستادار والأمراء المصريون، فأكل السلطان شيئا وقام يستريح، وانصرف الناس، فركب السلطان في نفر يسير وتوجه إلى حلب، وحضر أمراء دمشق للخدمة فلم يجدوا السلطان، ودخل السلطان إلى حلب والأمراء في الموكب، فساق إليهم وبقي ساعة ولا يعرفه أحد، حتى فطن به بعضهم فنزلوا وقبلوا الأرض. ودخل السلطان دار نائب السلطنة وكشف القلعة، وخرج من حلب و لم يعرف به أحد، فوصل دمشق في ثالث عشره، ولعب فيها بالكرة، وركب في الليل وسار إلى القلس، وزار الخليل وتصدق. وكان العسكر المصري قد صار به الأمير آقسنفر الفارقاني من دمشق ونزل بتل العجول، فخرج السلطان من القدس إلى تل العجول. وكل ذلك في عشرين يوما، ما غير السلطان فيها عباءته التي حج فيها.

ثم سار السلطان من تل العجول بالعساكر في حادي عشريه إلى القاهرة، فخرج الملك السعيد إلى لقائه بالصالحية، وعاد معه إلى قلعة الجبل، فأقام السلطان بها إلى ثاني عشر صفر، ثم خرج منها ومعه الأمراء والمقدمون، فركب في الحراريق إلى الطرانة، ودخل السلطان البرية وضرب حلقة، فأحضر إلى الدهليز ثلاثمائة غزال وخمس عشرة نعامة: أعطي عن كل غزال بغلطاق بسنجاب، وعن كل نعامة فرسا ثمينا بسرجه

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١/١٣٥

ولجامه.

ودخل السلطان إلى الإسكندرية في حادي عشريه، وكان الصاحب بهاء الدين بن حنا قد سبق إليها وحصل الأموال والقماش، فخلع السلطان على الأمراء، وحمل إليهم التعابي والنفقة، ولعب الكرة ظاهر الإسكندرية، وتوجه إلى الحمامات ونزل بالليونة وابتاعها من وكيل بيت المال، فبلغه هناك حركة التتار، وأنهم واعدوا فرنج الساحل، فعاد إلى قلعة الجبل، فورد الخبر بغارة التتار على الساجور بالقرب من حلب، فجرد السلطان الأمير علاء الدين البندقدار في جماعة من العسكر، وأمره أن يقيم في أوائل البلاد الشامية على أهبة.

وسار السلطان من قلعة الجبل في ليلة الإثنين حادي عشري ربيع الأول ومعه نفر يسير فوصل إلى غزة، ثم دخل دمشق في سابع ربيع الآخر، ولحق الناس في الطريق مشقة عظيمة من البرد، فخيم على ظاهر دمشق. ووردت الأخبار بانهزام التتار عندما بلغهم حركة السلطان، وكأن قد ألقي الله في أنفس الناس أن السلطان وحده يقوم مقام العساكر الكثيرة في هزيمة الأعداء، وأن اسمه يرد الأعداء من كل جانب، فورد الخبر بأن جماعة من الفرنج خرجوا من الغرب، وبعثوا إلى أبغا بن هولاكو بأنهم واصلون لمواعدته من جهة سيس في سفن كثيرة، فبعث الله على تلك السفن ريحا أتلفت عدة منها، ولم يسمع بعدها لمن بقي في الأخرى خبر. وورد الخبر أنه قد خرج فرنج عكا وخيموا بظاهرها، وركبوا وأعجبتهم أنفسهم بمن قدم إليهم من فرنج الغرب، وتوجهت طائفة منهم إلى عسكر جينين وعسكر صفد، فخرج السلطان من دمشق على أنه يتصيد في مرج برغوث وبعث من أحضر إليه العدد ومن أخرج العساكر كلها من الشام، فتكاملوا عنده بكرة يوم الثلاثاء حادي عشريه بمرج برغوث، وساق بهم إلى جسر يعقوب فوصل آخر النهار، وشاق بهم في الليل فأصبح في أول المرج.." (١)

"وقتل من التتار في الهزيمة أكثر ممن قتل في المصاف، واختفي كثير منهم يجانب الفرات. فأمر السلطان أن تضرم النيران بالأزوار التي على الفرات، فاحترق منهم طائفة عظيمة، وهلك كثير منهم في الطريق التي سلكوها من سلمية.

وفي يوم الجمعة: خرج من العسكر طائفة في تتبع التتار، مقدمهم الأمير بدر الدين بيليك الأيدمري، ورحل السلطان من ظاهر حمص إلى البحيرة ليبعد عن الجيف. وقتل من التتار صمغار، وهو من أكبر مقدميهم وعظمائهم، وكانت له إلى الشام غارات عديدة.

واستشهد من المسلمين زيادة على مائتي رجل: منهم الأمير عز الدين أزدمر الحاج وهو الذي جرح منكوتمر

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٩٧/١

مقدم التتار وألقاه عن فرسه وكان سبب هزيمتهم، وكان من أعيان الأمراء، وتحدثه نفسه أنه يملك فعوضه الله الشهادة، والأمير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار الظاهري، وعلم الدين سنجر الإربلي، وبدر الدين بكتوت الخازندار، وشمس الدين سنقر العرسي، وشهاب الدين توتل الشهرزوري، وسيف الدين بلبان الحمصي، وناصر الدين محمد بن جمال الدين صبرم الكاملي، وعلاء الدين على ابن الأمير سيف الدين بكتمر الساقي العزيزي، وناصر الدين محمد بن أيبك الفخري، وبدر الدين بيليك الشرفي، وشرف الدين بن علكان، وصاحب الموصل، والقاضي شمس الدين بن قريش كاتب الدرج وقد عدم فلم يعرف له خبر، وهو آخر من مات من كتاب الملك الكامل محمد بن العادل، وكان قد كتب له ولابنيه العادل والصالح ولمن بعدهما من المملوك.

وأما أهل دمشق فإنه لما كان بعد صلاة الجمعة، في اليوم الثاني من الوقعة، سقط الطائر بالنصرة، ودقت البشائر بقلعة دمشق وسر الناس سرورا كبيرا، وزينت القلعة والمدينة. فلما كان بعد نصف الليل من ليلة السبت وصل جماعة كثيرة من المنهزمين وأخبروا. بما شاهدوا من الكسرة، و لم يكن عندهم علم. بما تجدد بعدهم من النصرة، فارتجت دمشق واضطرب الناس، وأخذوا في أسباب الرحيل، وفتحت أبواب دمشق، ولم يبق إلا خروج الناس منها على وجوههم هاربين فورد بعد ساعة البريد يخبر النصر، وكانت موافاته عند أذان الفجر، فقرئ كتابه بالجامع فاطمأن الناس.

وورد الخبر إلى مصر في يوم الخميس حادي عشري شهر رجب، على جناح الطائر في بطاقة من قاقون، بأن جماعة من ميسرة العساكر المنصورة وصلوا منهزمين من العدو المخذول، ووصل بعض الأمراء إلى قطيا منهم ابن الأيدمري.

وقد كان **أهل مصر** صاروا يقنتون في صلواتهم، وكثرت قراءة صحيح البخاري، وأقبل الناس على تلاوة القرآن، وتجمعوا في المشهد الحسيني وفي الجوامع والمساجد، وكثر ضجيجهم ودعاؤهم. فاشتد القلق عند ورود هذا الخبر، وجرد الملك الصالح في الحال عسكرا عليه الأمير صارم الدين أربك الفخري في كثير من العربان إلى قطيا، لرد المنهزمين وإعادتهم إلى السلطان، ومنع أحد منهم أن يعبر إلى القاهرة، فاعتمد ذلك.

ولم يستمر قلق الناس غير ساعات من النهار، وإذا بالطيور قد وقعت محلقة تحمل البطائق المخلقة، وتخبر فيها بالبشائر العظمي من كسر التتار.

وقدمت البريدية بكتب البشائر أيضا، فدقت البشائر وزينت القاهرة ومصر وقلعة الجبل، وكتب إلى أعمال

مصر بالزينة. وكتب الملك الصالح إلى السلطان والده يشفع في المنهزمين ويسأل العفو عنهم، وكتب أيضا إلى الأمير بدر الدين بيسري يؤكد عليه في الشفاعة فيهم.

واتفق أن الأمير طرنطاي النائب وقع على جماعة من أصحاب منكوتمر، فأسرهم وفيهم حامل حرمدانة، فوجد في الحرمدار كتبا من الأمراء مثل سنقر الأشقر، وأيتمش السعدي، وغيرهم ممن كان مع سنقر الأشقر إلى التتار، يحرضونهم على دخول الشام، ويعدونهم بالمساعدة على أخذها فشاور طرنطاي السلطان عليها، فأمر بغسلها فغسلت، ولم يطلع عليها أحد.

وأما السلطان فإنه وادع الأمير سنقر الأشقر، ورده ومن حمص إلى عمله بصهيون على عادته، ورد معه من كان عنده من الأمراء. وهم أيتمش السعدي، وسنجر الدواداري، وكراي التتري، وغيرهم.

ورحل السلطان إلى دمشق، فقدمها يوم الجمعة ثاني عشري رجب، فكان يوما عظيما إلى الغاية عظم فيه سرور الناس وكثر فرحهم، وقال فيه الشعراء عدة قصائد.

وفي سابع: ورد الخبر إلى القاهرة. يعود السلطان إلى دمشق، وأنه عندما استقر بها جرد العسكر مع الأمير بدر الدين الأيدمري إلى الرحبة، ليدفع من عليها من التتار.." (١)

"وكانت مدة حصار عكا أربعة وأربعين يوما، واستشهد من المسلمين الأمير علاء الدين كشتغدي الشمسي ودفن بجلجولية، وعز الدين أيبك العزي نقيب العساكر، وسيف الدين أقمش الغتمي، وبدر الدين بيليك المسعودي، وشرف الدين قيران السكزي، وأربعة من مقدمي الحلقة وجماعة من العسكر.

وفي يوم السبت ثامن عشره: وقع الهدم في مدينة عكا، فهدمت الأسوار والكنائس وغيرها وحرقت، وحمل كثير من الأسري بها إلى الحصون الإسلامية.

وفتحت صور وحيفا وعثليث وبعض صيدا بغير قتال، وفر أهلها خوفا على أنفسهم، فتسلمها الأمير علم الدين سنجر الشجاعي في بقيه جمادى الأولى، فقدمت البشائر بتسليم مدينة صور في تاسع عشره، وبتسليم صيدا في العشرين منه، وأن طائفة من الفرنج عصوا في برج منها، فأمر السلطان بهدم صور وصيدا وعثليث وحيفا، فتوجه الأمير شمس الدين نبا الجمقدار ابن الجمقدار في حادي عشريه لهدم صور، واتفق أمر عجيب. وهو أن الفرنج لما قدموا إلى صور كان بها عز الدين نبا واليا عليها من قبل **المصريين**، فباع صور للفرنج بمال، وصار إلى دمشق، فقدر الله خرابها على يد الأمير شمس الدين نبا بن الجمقدار واتفق أيضا أن الشيخ شرف الدين، البوصيري رأي في منامه قبل أن يخرج الأشرف إلى عكا قائلا ينشده:

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٣٥/١

قد أخذ المسلمون عكا ... وأشبعوا الكافرين صكا

وساق سلطاننا إليهم ... خيلا تدك الجبال دكا

وأقسم الترك منذ سارت ... لا تركوا للفرنج ملكا

فأخبر بذلك جماعة، ثم سار الأشرف بعد ذلك وفتح عكا وخربها، لم يدع في بقية الساحل أحدا من الفرنج، وقال محيي الدين بن عبد الظاهر في ذلك:

يا بني الأصفر قد حل بكم ... نقمة الله التي لا تنفصل

قد نزل الأشرف في ساحلكم ... فأبشروا منه بصفع متصل

وقد أكثر الشعراء في ذكر هذا الفتح، وقال الشهاب محمود الحلبي كاتب الإنشاء لما عاين في جوانب عكا، وقد تساقطت أركانها:

مررت بعكا بعد تخريب سورها ... وزند أوار النار في وسطها واري

وعاينتها بعد التنصر قد غدت ... مجوسية الأبراج تسجد للنار

وقال ابن ضامن الضبع بعكا:

أدمي الكنائس إن تكن عبثت بكم ... شم الأنوف جحاجح أبطال

فلطالما سجدت لكن فوارض ... الليالي أو تغير حال

فعزاء عن هذا المصاب فإنه ... يوم بيوم والحروب سجال

هذا بذاك ولا نعير دهرنا ... ولكل دهر دولة ورجال

وفي هذه المدة وشي الأمير علم الدين سنجر الحموي المعروف بأبي خرص إلى السلطان بالأمير حسام الدين لاجين نائب الشام، ثم أوهم لاجين بأن السلطان يريد القبض عليه، فركب لاجين من الوطاق بعكا ليلا يريد الفرار، فساق خلفه الأمير علم الدين سنجر الدواداري وأدركه، وقال له: بالله لا تكن السبب في هلاك المسلمين، فإن الناس قد أشرفوا على أخذ عكا، وإن بلغ الفرنج فرارك، وأن العسكر قد ركب خلفك قويت نفوسهم وفتر الحصار فرجع معه وظن أن الأمر لا يبلغ السلطان، وكان ذلك في ثامن جمادى الأولى، فلما كان في صبيحة هذه الليلة خلع السلطان عليه وطيب خاطره، ثم قبض عليه في ثاني يوم الخلعة، وبعثه إلى قلعة صفد ثم حمل إلى قلعة الجبل بمصر.

ورحل السلطان إلى دمشق، فدخلها في ثاني عشر جمادى الآخرة، وقد زينت دمشق منذ فتحت عكا فكان يوما عظيما.." (١)

"ولزم ابن بنت الأعز في داره، و لم يترك بيده شيء من الوظائف، وكان بيده سبعة عشر منصبا وهي قضاء القضاة بديار مصر كلها وخطابة الجامع الأزهر، ونظر الخزانة، ونظر الأحباس، ومشيخة الشيوخ، ونظر التركة الظاهرية بيبرس وأولاده وأوقافه وأملاكه، وعدة تداريس، وكان عندما عزل قد رسم عليه في شوال، وألزم بالإقامة في زواية الشيخ نصر المنبجي خارج القاهرة حتى قام بما قرر عليه من المال، بعدما باع ورهن واقترض، ثم انتقل إلى القرافة إلى أن تحدث له الأمير بدر الدين بيدرا في تدريس المدرسة الناصرية بجوار ضريح الإمام الشافعي، فوليه وتحول إلى المدرسة المذكورة، فكان هذا سببا لمحنته الثانية، ويقال إنه حمل من جهته مبلغ ثمانية وثلاثين ألفا.

وفي خامس عشري رمضان: أفرج السلطان عن الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن الأمير أبي على الفتي بن الأمير أبي بكر بن الإمام المسترشد بالله العباسي، ورسم له أن يخطب في يوم الجمعة، فخطب يوم الجمعة رابع عشر شوال، فخرج بسواده وهو متقلد سيفا محلي، وخطب بجامع القلعة وذكر الخطبة التي خطب بها في أيام الملك الظاهر بيبرس وهي من إنشاء شرف الدين وإلا إنه ذكر فيها الملك الأشرف، وكان بين الخطتين مدة ثلاثين سنة وتسعة أشهر وثلاثة وعشرين يوما، فلما فرغ من الخطبة لم يصل بالناس، وقدم قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة فصلي بهم صلاة الجمعة، واستمر الخليفة يخطب بجامع القلعة، واستناب عنه بالجامع الأزهر صدر الدين عبد البر بن قاضي القضاة تقي الدين محمد بن رزين.

وفي تاسع شوال: قبض على الأمير سيف الدين قرا رسلان المنصوري والأمير جمال الدين أقوش الأفرم بدمشق، واعتقلا بقلعتها، وأقطع عز الدين أزدمر العلائي إقطاع قرا رسلان، وسنقر المساح إقطاع الأفرم.

وفي ليلة الاثنين رابع ذي القعدة: عمل ختم بالقبة المنصورية، حضره الأمير بيدرا النائب والوزير شمس الدين بن السلعوس، ونزل إليه السلطان والخليفة بكرة يوم الإثنين، فخطب وعليه سواده خطبة بليغة حرض فيها على أخذ العراق، وكان يوما مشهودا، فرقت فيه صدقات وكتب إلى نائب الشام بعمل ختم، فاجتمع الناس في ليلة الثلاثاء حادي عشره بالميدان الأخضر خارج دمشق وختموا القرآن، وحضر الوعاظ والأعيان.

وفي هذا الشهر: قبض بدمشق على الشيخ سيف الدين الرجيجي وهو من أولاد الشيخ يونس، وحمل إلى قلعة الجبل على البريد.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٦١/١

وفي هذه السنة: كملت عمارة قلعة حلب، وكتب عليها اسم الملك الأشرف.

وفيها أخرج بولدي الملك الظاهر بيبرس، وهما المسعود نجم الدين خضر والعادل بدر الدين سلامش من الاعتقال، ونفيا إلى ملك الفرنج فسار بهما – ومعهما والدتهما – الأمير عز الدين أيبك الموصلي الأستادار إلى الإسكندرية، وحملهم في البحر إلى القسطنطينية، فلما وصلوا أكرمهم الأشكري متملكها وأجري عليهم ما يقوم بهم، وكانت حرمهم معهم.

وفيها كملت عمارة قلعة حلب، وكان الأمير قرا سنقر نائب حلب قد شرع في عمارة حلب، فأحكم بنيانها وأدار سورها وأقام شعائر جامعها، وكان لها منذ خربها هولاكو ثلاث وثلاثين سنة خراباه ووقع الشروع في عمارة دمشق من شوال، فبنيت بها الأدر السلطانية والطارمة والقبة الزرقاء، وتوفي ذلك الأمير علم الدين سنجر الشجاعي وبالغ في تحسينها، فكانت جملة ما عمل في سقوفها أربعة آلاف مثقال ذهب.

وفيها لم يحج الشريف أبو نمي خوفا من **المصريين.**

وفي شهر ربيع الأول منها: مات ملك الططر بفارس، وهو أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طلو بن جنكزخان، وملك بعده أخوه كيختو بن أبغا، وترك أرغون ولدين وهما قازان وخربندا، وكانا بخراسان فأفحش كيختو في الفسق بنسوان المغل واللواط بولدانهم، حتى أبغضته رعيته وفيها مات قتيلا تلابغا بن منكوتمر بن طوغان، قتله نغيه بن معل بن ططر بن دوشي خان بن جنكزخان. وقام بعده في الملك طقطغا بن منكوتمر بن طوخان، وهو ابن عم تلابغا، فرتب نغيه إخوة طقطغا معه، وهم بزلك وصراي بغا وتدان.

ومات في هذه السنة من الأعيان

السلطان الملك العادل سلامش بن الظاهر بيبرس، ببلد اسطنبول عن اثنتين وعشرين سنة ومات القان أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طلوي بن جنكزخان، ملك التتار بفارس في ربيع الأول، عن نحو سبع سنين من ملكه، وقام من بعده أخوه كيختو بن أبغا.." (١)

"كان أولا من جملة مماليك الملك المنصور علي بن الملك المعز أيبك، فلما خلع اشتراه الأمير سيف الدين قلاوون وهو أمير بسبعمائة وخمسين درهما، من غير مالك شرعي، فلما تبين له أنه من مماليك المنصور اشتراه مرة ثانية، بحكم بيع قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز له عن المنصور وهو غائب ببلاد الأشكري. وعرف حين بيعه بشقير، فربي عند قلاوون وقيل له لاجين الصغير، وترقى في خدمته من الأوشاقية إلى السلاح دارية. ثم أمره قلاوون واستنابه بدمشق لما ملك، وهو لا يعرف إلا بلاجين

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١/٢٦٤

الصغير، فشكرت سيرته في النيابة، وأحبته الرعية لعفته عما في أيديهم، فلما ملك الأشرف خليل بن قلاوون قبض عليه وعزله عن نيابة دمشق، ثم أفرج عنه وولاه إمرة السلاح دار كما كان قبل استنابته على دمشق. ثم بلغه أن الأشرف يريد القبض عليه ثانيا، ففر من داره بدمشق، فقبض عليه وحمل إلى قلعة الجبل، وأمر بخنقه قدام السلطان. ثم نجا من القتل بشفاعة الأمير بدر الدين بيدرا، وأعيد إلى الخدمة على عادته، واشترك مع بيدرا في قتل الأشرف خليل، كما تقدم ذكره. ثم اختفى خبره مدة، وتنقل في المدن إلى أن تحدث الأمير زين الدين كتبغا في أمره، فعفى عنه وأعيد إلى إمرته كما كان. فلما صار زين الدين كتبغا سلطانا، استقر لاجين في نيابة السلطنة بديار مصر، إلى أن ركب على كتبغا وفر منه، فنزل بالدهليز من العوجاء وقيل من اللجون.

واجتمع الأمراء عنده، وهم بدر الدين بيسري الشمسي، وشمس الدين قراسنقر المنصوري، وسيف الدين قبجاق، وسيف الدين بهادر الحاج أمير حاجب، وسيف الدين كرد، وحسام الدين لاجين السلاح دار الرومي أستادار، وبدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح، وعز الدين أيبك الخازندار، وجمال الدين أقوش الموصلي، ومبارز الدين أمير شكار، وسيف الدين بكتمر السلاح دار، وسيف الدين سلار، وسيف الدين طغي، وسيف الدين كرجي، وعز الدين طقطاي، وسيف الدين برلطاي في آخرين، حتى حملت الخزائن على البغال ورمي الدهليز. وساروا في خدمة لاجين إلى قريب المغرب، ونزلوا قريبا من يازور وحضروا بأجمعهم بين يدي لاجين واتفقوا على سلطنته، وشرطوا عليه أن يكون معهم كأحدهم، ولا ينفرد برأي دونهم، ولا يبسط أيدي مماليك ولا يقدمهم، وحلفوه على ذلك. فلما حلف قال له الأمير قبجاق المنصوري: نخشى أنك إذا جلست في منصب السلطنة تنسى هذا الذي تقرر بيننا وبينك، وتقدم مماليك وتخول مملوكك منكوتمر علينا، فيصيبنا منه ما أصابنا من مماليك كتبغا. وكان منكوتمر مملوك لاجين، وكان يوده ويؤثره، وله عنده مكانة متمكنة من قلبه. فحلف لاجين مرة ثانية أنه لا يفعل ذلك، ولا يخرج عما التزمه وشرطوه عليه، فحلف له الأمراء وأرباب الدولة. وتلقب بالملك المنصور، وركب بشعار السلطنة في يوم الثلاثاء سابع عشرى المحرم، وبات تلك الليلة ورحل إلى سكرير ومنها إلى غزة يريد الديار المصرية، فلما دخل غزة حمل الأمير بيسري الجتر على رأسه، فخطب له بغزة والقدس وصفد والكرك ونابلس، وضربت بها البشائر.

وهذا وقد ركب البريد من غزة، وساق الأمير سيف الدين سلار البريد إلى قلعة الجبل ليحلف من بها من الأمراء. ورسم السلطان لاجين في غزة بمسامحة **أهل مصر** والشام بالبواقي، ثم سار منها في يوم الخميس

أول صفر. ونزل ظاهر بلبيس في ثامنه، وقد خرج إليه أمراء مصر وحلفوا له، ثم سار منها ضحوة وبات مسجد تبر، وركب بكرة يوم الجمعة تاسعه إلى قلعة الجبل. ثم ركب إلى الميدان السلطاني بشعار السلطة على العادة، وشق القاهرة من باب النصر إلى باب زويلة، وعليه الخلعة الخليفتية وهي جبة سوداء بزيق وأكمام واسعة والتقليد محمول بين يديه، حتى عاد إلى القلعة والخليفة إلى جانبه، وذلك في يوم الخميس خامس عشره.

وفي يوم قدومه انحطت الأسعار إلى نصف ما هي عليه، فسر الناس به، فإن القمح كان أربعين درهما الأردب إلى ما دونها، فأبيع بعشرين، وكان الشعير بثلاثين درهما الأردب، فأبيع بعشرة، وكان الرطل اللحم بدرهم ونصف، فأبيع بدرهم وربع، ودرت الأرزاق وكثر الخير.." (١)

"وذهب **لأهل مصر** مال كثير في حركة غازان، إلا إنهم لسعة أحوالهم لم يبالوا بذلك.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

علاء الدين أحمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر العلامي المعروف بابن بنت الأعز الشافعي، درس بالكهارية والقطبية من القاهرة، وولي الحسبة، وكان أديبا فصيحا جميلا فيه مكارم ومروءة، لطيف المزاج بساما شهما جزلا، حج ودخل اليمن مرارا، ومن شعره في مليح سبح في النيل وتلطخ بالتراب:

ومترب لولا التراب بجسمه ... لم تبصر الأبصار منه منظرا

فكأنه بدر عليه سحابة ... والتراب ليل من سناه أقمرا

وقال:

في السمر معان لاترى في البيض ... تالله لقد نصحت في تعريض

ما الشهد إذا أطعمته كاللبن ... يكفي فطنا محاسن التعريض

ومات شهاب الدين احمد بن الفرج بن أحمد اللخمي الإشبيلي، ولد سنة خمس وعشرين وستمائة. وتفقه على ابن عبد السلام بدمشق، وكان شافعيا، وله قصيدة في علم الحديث.

ومات الأمير صارم الدين أزبك نائب قلعة بلاطنس، واستشهد في نوبة غازان على حمص، في ثامن عشرى ربيع الأول.

ومات الأمير أقش كرجي المطروحي الحاجب.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٨٣/١

ومات أقسنقر كرتاي أحد أمراء الألوف.

ومات الأمير بلبان التقوى، أحد أمراء طرابلس.

وتوفي كاتب السر عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن التاج أحمد بن سعيد بن محمد ابن الأثير الحلبي، بعدما صرف.

ومات الفقير المعتقد بدر الدين أبو على الحسن بن عضد الدولة أبي الحسن على أخي المتوكل على الله أبي عبد الله محمد بن يوسف بن هود في شعبان، ومولده بمرسية سنة ثلاث وثلاثين وستمائة. كان أبوه نائب السلطنة بها عن المتوكل، فتزهد هو وحج وسكن دمشق، وكانت له أحوال عجيبة.

ومات بيبرس الغتمي، نائب حصن المرقب.

ومات بكتاش المنصوري الطيار، أحد أمراء دمشق.

ومات ناصر الدين محمد بن أيدمر الحلبي، أحد أمراء مصر.

ومات نوكاي بن بيان التتري أبو خوند منكبك امرأة ا‌لصالح على بن قلاوون، وأبو خوند أردكين امرأة الأشرف خليل.

ومات علاء الدين على ابن الشيخ إبراهيم بن معضاد الجعبري.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الحلي. وهؤلاء استشهدوا بوقعة حمص، ما بين قتيل في المعركة ومجروح مات من جراحته بعد ذلك.

ومات الطواشي حسام الدين بلال المغيثي الجلالي، . بمنزلة السوادة في تاسع ربيع الآخر، فدفن بقطيا، ثم نقل إلى تربته بالقرافة، وكان خيرا دينا.

ومات الأمير سيف الدين جاغان الحسامي، بأرض البلقان.

ومات الأمير علم الدين سنجر الدواداري بحصن الأكراد، في ثالث رجب.

وتوفي قاضي القضاة إمام الدين عمر بن سعد الدين عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد القزويني الشافعي، قاضي قضاة دمشق، بالقاهرة في يوم الثلاثاء خامس عشرى ربيع الآخر.

ومات تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أبي عبد الله محمد بن عبد الدائم بن منجا بن على البكري التيمي القرشي النويري، في يوم ا‌لخميس ثاني عشرى ذي الحجة، وهو والد الشهاب أحمد النويري المؤرخ الكاتب.

ومات شمس الدين محمد بن صدر الدين سليمان بن أبي العز وهيب الدمشقي الحنفي، بدمشق في.

ومات حسام الدين أبو الفضائل حسن بن تاج الدين أبي المفاخر أحمد بن حسن بن أبو شر وان الرومي، قاضي القضاة الحنفية بالقاهرة ومصر ودمشق، فقد من الصف على حمص يوم الأربعاء سابع عشرى ربيع الأول، فلم يعرف له خبر، وعمره نحو السبعين سنة.

ومات الأمير علاء الدين قطلوبرس العادلي مشنوقا بدمشق، ظفر به بعد هروبه.

ومات شرف الدين أبو محمد الحسن بن على بن عيسى بن الحسن اللخمي، عرف بابن الصيرفي، في خامس عشرى ذي الحجة، وهو في عشر التسعين.

سنة سبعمائة." (١)

"وفيها أوقع بالوزير ناصر الدين محمد بن الشيخي: وسببه أن الأمير سلار النائب لما قدم من الحجاز عرفه الجمدارية اجتماعه بالسلطان على تروجة ومسارته له وحمله مبلغ ألفي دينار، وأنه فاوضه في أمر الأمراء، وشجعه عليهم، وأن السلطان كلما احتاج إلى شيء استدعى به منه، فيحمله إليه. فشق ذلك على سلار، وحرك منه ما في نفس من كراهته له. وكان الأمير بيبرس الجاشنكير قد عزم على الحج فأراد مبادرة ابن الشيخي قبل سفر بيبرس لئلا يوقع به في غيبته، فشق ذلك عليه، فاستشار الأمير علم الدين سنجر الجاولي في أمره، فاتفقا على إقامة شخص من الأقباط يرافعه ويحقق في جهته مال السلطان. وندب لذلك من وقع الاختيار عليه. فكتب أوراقا، وجلس الأمراء في الخدمة، فعرفهم سلار ما بلغه عن الوزير ومماليكه وحط عليه. فقال الأمراء بأجمعهم: متى ظهر في قبله شيء قطع جلده بالمقارع ، واستدعى. فلما حضر قال لي سلار: اسمع ما يقول هذا الرجل من أنك أخذت مال السلطان وخنته، وقد عرفت الشرط ، وأشار للرجل بمحاققته. فقال ابن الشيخي لشؤم بخته: ومن هذا القطعة النحس حتى أتكلم معه، أو يسمع منه في حق مثلى ما يقوله. فاشتد عند ذلك غضب سلار، وقال له: يا قواد يا قطعة نحس إيش أنت حتى تكبر نفسك واذا حضر واحد يعرفنا خيانتك تخرق به قدامنا، أما لنا حرمة عندك؟ وأمر الحاجب فضربه على رأسه إلى أن خرب شاشه. وسلمه إلى شاد الدواوين وأمره بمعاقبته ومعاقبة مماليكه كبك وبكتوت وغيره، فأخذ سيفه في آخر يوم من شعبان ومضى به هو ومماليكه وشاور عليه من الغد، فأمر بمطالبته بالحمل، فأخذ في تحصيل المال ولا يمر به يوم إلا ويخرق به عز الدين ايبك الشجاعي شاد الدواوين وينكل به، لما كان نفسه من تكبره عليه ومشيه في ركابه هو ووالى القاهرة عند قربه من داره. ثم إنه جلس بالصناعة في مصر، واستدعاه من القلعة، فنزل راكبا حمارا وشق به أسواق مصر إلى الصناعة، فثار به أهل

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣١٤/١

مصر يريدون رجمه، وسبوه. ثم أعاده، و لم يزل على ذلك إلى يوم الأربعاء ثاني عشر رمضان فاستدعى سعد الدين محمد بن عطايا ناظر البيوت واستقر في الوزارة.

وجلس والأمير علم الدين سنجر الجاولي قائم بين يديه يؤخر ما يوقع عليه من الأوراق، وكان ابن عطايا قبل هذا بثلاثة أيام قد رؤى قائما بين يدي الجاولي يقرأ عليه ورقة حساب. واستمر ابن الشيخي إلى ليلة عيد الفطر، وبيبرس الجاشنكير لا يتحدث في أمره بشيء، وإذا عرض عليه شاد الدواوين شيئا من أموره قال له: مهما رسم نائب السلطان افعله. هذا وقد ثقل عليه في أمر ابن الشيخي زوجته بنت بهادر رأس نوبة وولداها جركتمر وأميرعلى وأخوهما خليل، وكانوا من خواص الأمير بيبرس، وهو يعدهم بخلاصه إلى أن اجتمع والأمراء عند النائب، فتحدث معه في خلاصه، فعرفه ما كان منه مع السلطان على تروجة، فأمسك عنه وقام.

وفيها توجه الأمير بيبرس الجاشنكير إلى الحجاز مرة ثانية في أول ذي القعدة، ومعه علاء الدين ايدغدي الشمهرزوري رسول ملك المغرب، والأمير بيبرس المنصوري الدوادار، والأمير بهاء الدين يعقوب في جماعة كثيرة من الأمراء. وكان فد خرج الركب في عالم كثير من الناس مع الأمير عز الدين أيبك الخازندار زوج ابنة الملك الظاهر بيبرس إلى البركة، فكثر الحجاج ، وقسموا ثلاث ركوب: ركب مع الأمير بيبرس المنصوري، وركب مع الأمير يعقوبا، وركب مع أيبك، وعندما سار الأمير بيبرس الجاشنكير رسم النائب سلار لشاد الدواوين فضرب ابن الشيخي في يومه بالمقارع، واستمر يعاقبه حتى مات من العقوبة في سابعه.

وفيها سار الشريفان حميضة ورميثة من القاهرة مع الأمير عز الدين أيدمر الكوكندي إلى مكة، فقبض الأمير بيبرس الجاشنكير على الشريفين أبي الغيث وعطفة، وولى مكانهما حميضة ورميثة.

وفيها: وجد الحاج عدة مشاق: منها قلة الماء وغلاء السعر وهبوب سمائهم محرقة هلك منها خلق كثير من جفاف قرب الماء. وأخذ الحاج من وادي النار على طريق أخرى، فتاهوا وهلك منهم عالم كبير. وبلغ الشعير كل ويبة بأربعين درهما، والدقيق كل ويبة بستين.." (١)

"وفيها وقع الاهتمام بالسفر إلى اليمن، وعول الأمير سلار على أن يتوجه إليها بنفسه: وذلك أنه خشي من أن السلطان يدبر عليه حيلة أخرى، وقد لا يتهيأ له إفسادها فيؤخذ، ومع ذلك فإنه شق عليه ما صار فيه الأمير بيبرس الجاشنكير من القوة والاستظهار عليه بكثرة خواشداشيته البرجية، وأنهم قد صاروا معظم الأمراء، واشتدت شوكة بيبرس بهم، وعظمت مهابته وانبسطت يده في التحكم، بحيث أنه أخرج

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٣٨/١

الجاولي بغير اختيار سلار، وانفرد بالركوب في جمع عظيم. وقد قصد البرجية في نوبة بكتمر الجوكندار أن يخرج السلطان إلى الكرك، ويسلطن بيبرس لولا ما كان من صنع سلار بسياسة وتدبير حتى وقع الصلح مع السلطان. فخاف سلار عواقب الأمور مع السلطان ومع بيبرس، وتحيل في الخلاص من ذلك بأنه يحج في جماعة من ألزامه وأتباعه، ثم يسير إلى اليمن ويتملكها ويتمنع بها. ففطن بيبرس بهذا، ودس إليه من الأمراء من ثنى عزمه عن ذلك. وشرع في الاهتمام بعمل المراكب حتى تنجزت، وجهزت الأسلحة والأمتعة ثم اقتضى الرأي تأخير السفر حتى يعود جواب صاحب اليمن، فكتب بحضور شاد الدواوين فقدم وهو مريض، ومازال منقطعا بداره حتى مات، وعين الأمير سيف الدين نوغاي القبجاقي أمير الركب، وخرج بالحاج على العادة.

وقدم البريد من حلب بقتل هيتوم متملك سيس على يد بعض أمراء المغل: وذلك أن هيتوم كان يحمل القطعية إلى المغل كما يحملها إلى مصر، ويحضر إلى كل سنة أمير من أمرائهم حتى يتسلم الحمل ؛ فحضر إليه من أمراء المغل برلغوا، وقد أسلم وحسن إسلامه، فعزم على بناء جامع بسيس يعلن فيه بالآذان، كما تجهر هناك النصارى بضرب النواقيس. فشق ذلك على هيتوم، وكتب إلى خربندا بان برلغوا يريد اللحاق **بأهل مصر**، وبناء جامع بسيس. فبعث خربندا بالإنكار على برلغوا، وتهدده وألزمه بالحضور، فغضب برلغوا من هيتوم، وصنع طعاما ودعاه، ولم يكن عنده علم بأن برلغوا اطلع على شكواه منه لخربندا، فحضر وهو آمن في جماعة من أكابر الأرمن وإخوان له. فعندما مدوا أيديهم إلى الطعام أخذ تهم السيوف من كل جانب، فقتلوا عن آخرهم، و لم ينج سوى أخوه ليفون في نفر قليل، فلحق بخربندا وأعلمه بقتل برلغوا لأخيه هيتوم وأمرائه، وقدم عليه أيضا برلغوا، فقتله بقتله هيتوم، وولى ليفون مملكة سيس وسيرة إليها.

وفيها بعث الأمير عز الدين أيبك الأفرم نائب الشام عدة عسكر إلى الرحبة، مع الأمير علاء الدين أيدغدي شقير مملوك منكوتمر، وردفه بالأمير قطلوبك الكبير، ثم بالأمير بهادر آص.

وفيها انتهت زيادة النيل إلى ثمانية عشر ذراعا وإحدى وعشرين إصبعا: وهب في برمهات الموافق لشوال. من جهة الغرب ريح عند الحراك الغلال، فهافت وجف أكثرها، فلم يحصل منها عند الحصاد إلا اليسير، ومنها ما كان أقل من بذاره. فتميز سعر الغلة، وأبيع الأردب القمح بخمسين درهما، ثم انحط.

وفي١٠ استقر الأمير بيبرس العلائي الحاجب في نيابة غزة، عوضا عن الأمير أقجبار.

وفيها سار من دمشق إلى الرحبة عسكر عليه الأمير علاء الدين أيدغدي الشقيري، والأمير سيف قطلوبك والأمير بهادر أص.

وفي العشرين من رجب: توجه الأمير جمال الدين أقوش نائب الشام لزيارة القدس، ومعه جماعة من أعيان دمشق، وعاد في تاسع شعبان.

وفي سابع عشرين رجب: توجه ركب العمار إلى مكة، صحبة الأمير عز الدين الكوكندي، وكان معهم الشيخ نجم الدين بن عبود، والشيخ نجم الدين بن الرفعة.

وفيها خرج الأمير شرف الدين أحمد بن قيصر التركماني والأمير بدر الدين بيليك المحسني برقا في شوال.

وفيها قدم الأمير مهنا بن عيسى، فأكرمه السلطان وأخلع عليه، فتحدث في خلاص شيخ الإسلام تقي الدين احمد بن تيمية فأجيب، وخرج بنفسه إلى الجب بالقلعة وأخرجه منه. ونزل ابن تيمية بدار الأمير سلار النائب، وعقد له مجلس حضره ابن الرفعة وابن تاجي وابن عدلان والنمراوي وجماعة الفقهاء، و لم تحضره القضاة، وناظروا." (١)

"في أول المحرم: أحيط بحواصل الأمير ألماس الحاحب، وكان قبض عليه وعلى أخيه الأمير قرا وسبب التغير على ألماس أنه كان نائب الغيبة مدة سفر السلطان بالحجاز، وسكن في دار النيابة بالقلعة، وسكن الأمير أقبغا عبد الواحد داخل باب القلة من القلعة، فحفظ أقبغا عليه أشياء غير بها قلب السلطان لوجدة كانت بينه وبين ألماس: منها أنه كان يتراسل هو والأمير جمال الدين آقوش المعروف بنائب الكرك، لميل كل منهما إلى الآخر، ومنها كثرة أفعال ألماس للأمور القبيحة، من انهماكه في الميل إلى الأحداث وإسرافه في ذلك، حتى إنه كان بجوار دار النيابة مسجد ففتح منه بابا وصار يعبر بالأحداث من ذلك إليه، واشتد شغفه بغلام يدعى عمير من أولاد الحسينية، وأكثر من النزول من القلعة وجمع الأويراتية مع المذكور للشرب، هذا مع ما حفظ عليه من الكلام السيء في وقت الإرجاف بالسلطان وهو مسافر، وكثرة ماله وتنميته من وجوه منكرة، فإنه غرس بساتين بناحيتي بهواش والنعناعية من المنوفية، وجلب عددا كثيرا من الخنازير وسمنهم بها، وباعهم على الفرنج ببضائع، وحمل سلاحا كثيرا إلى بلاد الشرق تعوض به أصنافا للمتجر، فاتسعت أمواله وتكثر بها، وقال غير مرة للأمراء: " عندي الذهب والدراهم ومن فيكم مثلي، وزاد في هدا المعنى وأقبغا عبد الواحد يضبط عليه مساوئه، ويسعى به إلى السلطان حتى غيره عليه. ويقال أن السلطان وجد فيما خلفه الأمير بكتمر الساقي جزدان فيه كتب من جملتها كتاب ألماس إليه يتضمن أنني أحفظ لك القلعة حتى يرد على لك ما أعتمده فلم يصبر له السلطان على هذا.

ولما قبضه السلطان، وقبض على أخيه قرا وكان ظالما غشوما خمارا نزل النشو وابن هلال الدولة وشاهد

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١/ ٣٥٠

الخزانة لضبط موجوده، فوجد له ستمائة ألف درهم فضة، ومائة ألف درهم فلوس، وأربعة آلاف دينار مصرية، وثلاثون حياصة ذهب كاملة بكلفتاتها الذهب وخلعها الحرير، وبعض جوهر، وعدة أشياء ثمينة، وقبض على عبد له رباه صغيرا، فعاقبه السلطان حتى اعترف على كل من كان يحضر إليه من الأحداث وغيرهم.

وفيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بقتل ياسور أحد ملوك المغل وقت رمي الجمرات. وكان من خبره أن ملك الشرق أبا سعيد بن خربندا لما قتل جوبان أراد إقامة ياسور لأنه من عظماء القان، فخوف من شجاعته، وأن جوبان كان يريد إقامته في الملك، فنفر منه أبو سعيد، ثم إنه استأذنه في الحج فأذن له، وقام له بما يليق به. ثم طلب أبو سعيد المجد السلامي وكتب إلى السلطان يعرفه بأمر ياسور، ويخوفه منه أن يجتمع عليه المغل، ويسأله قتله. فدفع السلامي كتاب أبي سعيد إلى مملوكه قطلوبك السلامي فقدم على السلطان أول ذي القعدة من السنة الماضية، فأركبه السلطان النجيب في عاشره إلى مكة، ومعه كتاب إلى الأمير برسبغا الحاجب وقد حج من مصر بطلب الشريف رميثه وموافقته سرا على قتل ياسور فقدم قطلوبك مكة أول ذي الحجة، فلم يوافق رميثة على ذلك، واعتذر بالخوف. فأعد برسبغا بعض نجابته من العربان لذلك، ووعده بما ملأ عينه. فلما قضى الحاج النسك من الوقوف والنحر، وركب ياسور في ثاني يوم النحر لرمي الجمار، ركب برسبغا أيضا فعندما قارب ياسور الجمرة وثب عليه النجاب، وضربه فألقاه إلى الأرض، وهرب نحو الجبل، فتبعه مماليك برسبغا وقتلوه أيضا، خشية من أن يعترف عليه. فاضطرب حجاج العراق وركبت فرسانهم وأخذوا ياسور قتيل في دمائه، وساروا إلى برسبغا منكرين ما حل بصاحبهم، فتبرأ برسبغا من ذلك وأظهر التزغم له، وقرر عندهم. " أن هذا الذي قتل هو من له عليه ثأر أو أحد غرمائه، وإنكم كفيتم أمره، فإني أخذت لكم بثأره وقتل قاتله " . فانصرفوا عنه وفي نفوسهم منه شيء، ومازالو له بالمرصاد وهو منهم محترز منهم حتى افترق ركب الحاج العراقيين من **المصريين** بالمدينة النبوية، فأمن برسبغا على نفسه، وتقدم الحاج إلى السلطان مع المبشرين.

وفي يوم الأربعاء سابع عشرى ربيع الآخر: خلع على الأمير سيف الدين جاريك المهندار، واستقر حاجبا وترتب عوضه مهمندارا الأمير سيف الدين طقتمر الأحمدي شاد الشراب خاناه.

وفي عشرى رجب: خلع على الأمير سيف الدين محمود بن خطير أخو الأمير بدر الدين مسعود الحاجب واستقر حاجبا، وكان قد قدم من دمشق في سابع عشرى ربيع الآخر.." (١)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١/٤٨٥

"وفي يوم الخميس ثامن عشرى جمادى الآخرة: قدم الأمير تنكز نائب الشام إلى غزة، وقدم مملوكه يستأذن في دخوله كما هي عادته، فرسم له بسرعة الحضور، وألا يتحدث في شيء من أمر ابن هلال الدولة، فإن السلطان قد تغير عليه، فقدم.

وفي هذه الأيام: شفع الأمير قوصون في عود جمال الدين عبدالله ابن قاضي القضاة جلال الدين من دمشق، بدخلة أبيه عليه في ذلك، فأجابه السلطان. وقدم جمال الدين إلى القاهرة على البريد، فأقبل على عادته من اللهو، وعثر دارا على النيل بجوار دار أبيه، وتجاهر بما لا يليق. فتقدم أمر السلطان إلى ابن المحسني والي القاهرة أن يتحيل في كبسه وإشهاره، وأحس عبدالله بذلك، فكف عما كان يعانيه من اللعب.

وفي يوم السبت نصف رجب: قدم بدر الدين لؤلؤ الحلبي مملوك فندش بفاء مفتوحة ونون ساكنة، ثم دال مهملة مفتوحة بعدها شين معجمة وسيف الدين الأكز من الشام. فأحضرهما السلطان، وطلب مباشري حلب وهم النقيب بدر الدين محمد بن زهرة الحسين والقاضي جمال الدين بن ريان ناظر الجيش وناصر الدين محمد بن قرناص عامل الجيش، وعمه المحبي عبد القادر عامل المحلولات، والحاج إسماعيل بن عبد الرحمن العزازي، والحاج علي بن السقا، وغيرهم. فحاققهم لؤلؤ والي في رميهم بأخذ الأموال السلطانية، وجاهرهم بالسوء من القول بين يدي السلطان، والتزم بأنه إن مكن منهم استخلص منهم مائة ألف دينار. فطلب النشو بعد إخراجه، ووقع الكلام بينه وبين السلطان في ذلك وأمثاله من تحصيل الأموال، فأخذ النشو يقرر معه أن الأمراء قد أخذوا مساميح بمتاجرهم، ويتحصل من هذا إذا ضبطت عليها في كل سنة للديوان زيادة على مائتي ألف دينار، وأنه لا يتمكن مع قيام الأمير قوصون والأمير بشتاك أن يجمع للسلطان شيئا من ذلك المال، فإنهما وأمثالهما قد اعتادوا من المباشر للسلطان أن ينفق المباشرون عليهم نصف متحصل الديوان برطيل، وأنه فقير ليس له مال يبرطل به له ولا هو ممن يبرطل بمال السلطان، وأنه لو سلم منهم لملأ خزانة السلطان وحواصله أموالا، لكنه يخشاهم أن يغيروا السلطان عليه. ورمى النشو المباشرين مع ذلك بعظائم من كثرة أموالهم ونعمهم، مما أخذوه في مباشراتهم من مال السلطان. فأذن له السلطان في عمل ما يختاره، وأن يتصرف في الدولة ولا يبالي بأحد، ووعده بتقوية يده وتمكينه ومنع من يعارضه.

ثم استدعى السلطان بالمخلص أخي النشو، ورتبه مباشرا عند الأمير سيف الدين ألناق، واستخدم أخاه رزق الله عند الأمير ملكتمر الحجاز واستخدم صهره ولي الدولة عند الأمير أرغون شاه وخلع عليهم.

وانبسطت يد النشو، واشتدت وطأته، وأخذ في التدبير على ابن هلال الدولة، ورتب عليه أنه أخذ من مال

السلطان جملة، وأنه أهمل في المحافظة على أمور السلطان، وأن ما ضاع بسببه من مال السلطان كثير، وأنه تواطأ مع أولاد التاج إسحاق على م ال السلطان. وندب النشو لتحقق ذلك أمين الدولة بن قرموط المستوفي والشمى بن الأزرق ناظر الجهات، وقرر مع السلطان إقامة لؤلؤ لاستخلاص الأموال، وطلب المباشرين للمحاققة، فجمعهم السلطان. فبرز قرموط وواجهه ابن هلال الدولة بأنه أهمل الأمور، وبرطل بالأموال، ونحو هذا من القول، فأثر كلامه في نفس السلطان، وصرف المباشرين، وبعث إلى ابن هلال الدولة يأمره بأن يلزم بيته. وخلع على الأكز واستقر شاد الدواوين عوضا عن ابن هلال الدولة، وخلع على بدر الدين لؤلؤ الحلبي ليكون مستخلص الأموال، وخرجا إلى دار الوزارة بالقلعة، وطلبا الضمان والكتاب والمعاملين وأرباب الوظائف. ورتبت على ابن هلال الدولة أوراق. مما أهمله وفرط فيه، وطلب وصودر هو وجميع ألزامه، وقبض على مقدم الدولة خالد بن الزراد ومن يلوذ به، فحملوا الأموال. وخلع على ابن صابر واستقر مقدم الدولة. واشتد لؤلؤ على أهل حلب **وأهل مصر**، وعسفه م وتجاوز المقدار في عقوبة المصادرين خصوصا أولاد التاج إسحاق.

وفي يوم الخميس ثالث رجب: سافر الأمير تنكز نائب الشام، بعدما أنعم عليه السلطان بمائة ألف درهم، وتوجه صحبته الأمير آقول الحاجب، ليستقر حاجب الحجاب بدمشق.

وفي يوم الأحد خامس المحرم: استقر الأمير تجماس الجوكندار المنصوري الملقب بشاش في نيابة حمص، عوضا عن بهادر السنجري بحكم وفاته.." (١)

"وفيها التزم النشو بتدبير الدولة، على أن يتسلم الجهات، فأجيب إلى ذلك. فطلب السلطان الشمس نصر الله وخلع عليه، واستقر به نظر الجهات عوضا عن، وخلع على تاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الدين عبدالله بن الغنام، واستقر به نظر الدولة، عوضا عن العلم بن فخر الدولة، وولي استيفاء الصحبة كريم الدين أخو تاج الدين المذكور. وجلس النشو في قاعة الصاحب بالقلعة، وضرب يعقوب مستوفي الجهات بالمقارع، وألزمه بمال كثير، وألزم جميع مباشري الدولة من الكتاب والشهود والشادين بحمل معاليمهم المقررة لهم عن أربعة أشهر، واحتج عليهم بأنهم أهملوا مال السلطان، فاستعاد من الجميع جوامك أربعة أشهر وقطع عليق جميع الأمراء والدواوين وبعض الخاصكية، وطلب أرباب الأموال من أهل النواح وأوقع الحوطة على موجودهم، ولم يدع من يشار إليه بغني أو زراعة إلا وألزمه بمال. حتى مشى على والي المحلة، فإنه بلغه عنه أنه جمع مالا كثيرا فعاقبه وأخذ منه ثلاثين ألف درهم. وكتب النشو لجميع الولاة بشراء

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٨٦/١

الشعير، ودفع عنه ثلاثة دراهم الأردب، وعن الحمل التبن درهما. فشكا الجند ذلك، فلم يلتفت السلطان إليهم.

وفيها استقر المخلص أخو النشو مباشر ديوان الأمير آنوك ابن السلطان، وخلع عليه تشريف من الخزانة بألف وستمائة درهم، وجهز له حمار بألف درهم، وعدته بخمسمائة درهم.

وفيها كانت وقعة بين ابن دلغادر نائب أبلستين وبين الروم، قتل فيها خمسمائة نفس، ونهب ابن دلغادر من أموال الروم شيئا كثيرا رد منه بعدما اصطلحا نحو عشرين ألف رأس ما بين غنم وخيل وحمال.

وفيها كثرت مصادرة النشو للناس من أهل مصر والقاهرة والوجه القبلي والوجه البحري حتى خرج في ذلك عن الحد، وادغر الناس على اختلاف طبقاتهم.

وفيها استقر زين الدين عمر بن محمد بن عبد الحاكم البلقيائي في قضاء القضاة الشافعية بحلب، عوضا عن فخر الدين عثمان بن علي بن عثمان المعروف بابن خطيب جبرين.

وفيها استقر شهاب الدين أحمد بن فخر الدين أحمد بن قطب الدين إسماعيل بن يحيى الأنصاري المصري في كتابه السر بحلب، عوضا عن تاج الدين محمد بن الزين خضر.

وفيها حدثت زلزلة بطرابلس في رجب، هلك فيها ستون إنسانا.

وفيها انتهت زيادة النيل ستة عشر ذراعا وعشر أصابع، فلم ترو الأراضي كلها، وغرق كثير منها، وتحسنت أسعار الغلال، وكانت سنة كثيرة الحوادث.

ومات فيها من الأعيان

جمال الدين أحمد بن شرف الدين هبة الله بن المكين الإسنائي الفقيه الشافعي بإسنا وقد جاوز السبعين في شوال.

وتوفي الأديب أبو المعالي خضر بن إبراهيم بن عمر بن محمد بن يحيى الرفا الخفاجي المصري عن تسع وسبعين سنة.

وتوفي خطيب القدس زين الدين عبد الرحيم ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشافعي.

وتوفي قاضي الشافعيه بحلب فخر الدين عثمان بن زين الدين علي بن عثمان المعروف بابن خطيب جبرين الفقيه الشافعي بالقاهرة في المحرم، وله مصنفات في الفقه والأصول.

وتوفي علاء الدين علي بن بلبان الفارسي الجندي الفقيه الحنفي بالقاهرة عن أربع وستين سنة.

ومات أمير علي بن أمير حاجب، كان والي مصر، وأحد أمراء العشرات، وكانت وفاته وهو معزول، وقد عني بجمع القصائد النبوية، حتى كمل عنده منها خمسة وسبعون مجلدا.

ومات الأمير سيف الدين بهادر المعزي أحد أمراء الألوف، في ليلة الجمعة تاسع شعبان، وبلغت تركته مائة ألف دينار، أخذها النشو.

ومات علم الدين عبدالله بن كريم الدين الكبير.

ومات ناظر الجيش بدمشق فخر الدين محمد بن بهاء الدين عبد الله بن نجم الدين أحمد بن علي المعروف بابن الحلي بالقدس، وكان قد قدم إليها، فولي عوضه نظر الجيش بدمشق جمال الدين سليمان بن ريان الحلبي .

وتوفي قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد ابن عبد الكريم القزويني الشافعي بدمشق في يوم الأحد خامس عشر جمادى الآخرة، ومولده بالموصل في سنة ست وستين وستمائة.

ومات الحافظ علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد البرزلي بخليص وهو محرم في رابع ذي الحجة، عن أربع وسبعين سنة.

ومات الأمير علم الدين بن هلال الدولة بقلعة شيزر بعدما ولي بالقاهرة شد الخاص وشد الأوقاف وشد المارستان وشد الدواوين، وصار يضاهي الوزراء.." (١)

"وسبب ذلك أنه لما أسرف النشو في الظلم بحيث قل الجالب للبضائع، وذهب أكثر أموال التجار لطرح الأصناف عليهم بأغلى الأثمان، وطلب السلطان منه يتزايد، خاف النشو العجز، فرجع عن ظلم العامة إلى التعرض إلى الخاصة، ورتب مع أصحابه ذلك. وكانت عادته في كل ليلة أن يجمع إخوته وصهره ومن يثق به للنظر فيما يحدثه من المظالم فيدله ظل منهم على آبدة، ثم يفترقون وقد أبرم للناس بلاء يعذبهم الله به من الغد على يده، فكان مما اقترحه أن رتب أوراقا تشتمل على فصول يتحصل فيها ألف ألف دينار عينا، وقرأها على السلطان: ومنها التقاوي السلطانية المخلدة بالنواحي من الدولة الظاهرية بيبرس والمنصورية قلاوون في إقطاعات الأمراء والأجناد، وجملتها مائة ألف وستون ألف أردب، سوى ما في بلاد السلطان من التقاوي ومنها الرزق الأحباسية على الجوامع والمساجد والزوايا وغير ذلك، وهي مائة ألف فدان وثلاثون آلف فدان وقرر النشو مع السلطان أن يأخذ التقاوي السلطانية المذكورة، بأن يلزم متولي كل إقليم

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٦/٢

باستخراجها وحملها، وأن يقيم شادا يختاره لكشف الرزق الأحباسية، فما كان منها على موضع عامر بذكر الله يعطه نصف ما هو وقف عليه، ويأخذ من مزارعه عن النصف الآخر بحساب مائة درهم الفدان، ويلزمه بخراج ثلاث سنين، وما كان من الرزق على موضع خراب أو على أهل الأرياف من الخطباء الجهال ونحوهم أخذ واستخرج من مزارعه خراج ثلاث سنين من حساب مائة درهم الفدان، ومنها أراضي الروضة تجاه مدينة مصر، فإنها بيد أولاد الملوك، ويستأجرها منهم الدواوين وينشئون بها سواقي الأقصاب ونحوها مما بلغ قيمة الفدان منه ألف درهم، ومنها ما باعه أولاد الملوك بأبخس الأثمان - وقرر النشو مع السلطان أخذ أراضي الروضة للخاص، وأن يقاس ما أبيع منها، ويؤخذ ممن هي بيده تفاوت قيمتها، أو تجدد عليه إجارة للسلطان بالقيمة، ومنها أرباب الرواتب السلطانية، فإن أكثرهم عبيد الدواوين وغلمانهم ونساؤهم، ويكتبونها باسم زيد وعمرو، ومنها ما هو مرتب لجماعة من النصارى والرهبان سكان الديارات - وقرر النشو مع السلطان عرض جميع أرباب الرواتب والنظر في تواقيعهم، وإبقاء أرباب البيوت ومن يستحق على ما بيده، وأخذ تواقيع من عداهم وإلزامه بحل جميع ما استأداه من تاريخ توقيعه إلى أخر وقت، ومنها ذكر حواصل الأمير أقبغا عبد الواحد، وتفصيل ماله من أملاك وأراضي ومتاجر ومرتبات ورسوم على أرباب الوظائف السلطانية وعلى صناع العمائر، وتفصيل ما حمل إليه من العمائر السلطانية من الأصناف - وذكر النشو العمائر التي عمرها أقبغا من ديوان السلطان وما له لبلاد الشام، وجملتها وحدها خمسمائة ألف دينار، سوى ما له بديار مصر، ومنها ذكر ما أخذه الأمير طاجار الدوادار من البلاد الشامية ومن أهل مصر على قضاء أشغالهم، وتفصيل أملاكه. وقرر النشو مع السلطان القبض على آقبغا وطاجار، فوافقه السلطان على ذلك.

وكان أول ما بدأ به النشو أن ندب جماعة لقياس الروضة جميعها من مذدرعها وأراضي دورها، وألزم أرباب الدور التي بها بإحضار كتب دورهم، وأن يقوموا عن أراضيها بقيمتها من تاريخ شرائها، ووكل ابن صابر باستخراج ذلك منهم، وأخذ عن البروز في الدور خاصة مائة ألف وعشرين ألف درهم.

وأمر النشو مباشري الجوالي بقطع ما عليها من المرتبات عن جوامك القضاة والشهود ومشايخ العلم ونحوهم وكتب إلى جميع الأعمال يحمل مال الجوالي إلى خزانة الخاص، ومن تعجل منها شيا يستعاد منه، فجمع من ذلك مالا كبيرا. فانزعج الناس كلهم، ولم يتجاسرأحد من الأمراء على السلطان في الحديث معه في ذلك، حتى ذكر السلطان لهم أن له نحو آلف أردب غلة في البلاد وأنه يريد أخذها، فتلطف به الحاج آل ملك وبيبرس الأحمدي وجنكلي بن البابا حتى سمح بأن يتمهل بطلبها حتم يفرغ الحرث ويقبض المغل. فلما فرغ النشو من قياس الروضة ألزم أرباب الرواتب أن يحضروا إلى القلعة ومعهم تواقيعهم، وألزم المباشرين

بعمل الحساب وحمل ما تحت أيدهم من ذلك، وألزم جميع أرباب الرزق الأحباسية بإحضار تواقيعهم، وبعث البريد إلى الأعمال بذلك، وألزم ديوان الأحباس بكتابة الرزق كلها، فزلزل أرض مصر قبليهما وبحريها، و لم يقبل لأحد شفاعة حتى الأميرين بشتاك وقوصون، فإنهما كانا إذا بعثا إليه في شفاعة رد عليهما ردا جافيا وأغلظ على رسلهما.." (١)

"وأصبح النشو يوم الإثنين ثاني صفر وفي ذهنه أن القطع الذي خوف منه قد زال عنه بما دبره له ابن الأكفاني من إسالة الدم، فعلق عليه عدة من العقود والطلسمات والحروز، وركب إلى القلعة. وجلس النشو بين يدي السلطان على عادته وأخذ معه في القبص على أقبغا عبد الواحد كما قرره، فأمره السلطان أن يجلس على باب خزانة القصر حتى يخرج إليه الأمير بشتاك، ثم يمضيا لإيقاع الحوطة على موجوده، فقام. وطلب السلطان المقدم ابن صابر، وأسر إليه أن يقف بجماعته على باب القلعة وباب القرافة، ولا يدعوا أحدا من حواشي النشو وأقاربه وإخوته أن ينزلوا، وأن يقبضوا عليهم كلهم. وأمر السلطان الأمير بشتاك والأمير برسبغا الحاجب أن يمضيا إلى النشو، ويقبضا عليه وعلى أقاربه. فخرج بشتاك وجلس على باب الخزانة، وطلب النشو من داخلها، فظن النشو أنه جاء لميعاده مع السلطان حتى يحتاطا على موجود أقبغا عبد الواحد، فساعة م، وقع بصره عليه أمر مماليكه بأخذه إلى بيته من القلعة، وبعث إلى الأمير ملكتمر الحجازي فأخذ أخاه رزق الله وأخذ أخاه المخلص وسائر أقاربه. فطار الخبر إلى القاهرة ومصر، فخرج الناس كأنهم جراد منتشر.

وركب الأمير آقبغا عبد الواحد والأمير طيبغا المجدي والأمير بيغرا والأمير برسبغا لإيقاع الحوطة على بيوت النشو وأقاربه وحواشيه، ومعهم جمال الكفاة كاتب الأمير بشتاك، وشهود الخزانة.

وأخذ السلطان للأمراء: وكم تقولون النشو نهب أموال الناس الساعة ننظر المال الذي عنده، وكان السلطان يظن أنه يؤديه الأمانة، وأنه لا مال له. فندم الأمراء على تحسينهم مسك النشو خوفا من أن لا يظهر له مال، سيما قوصون وبشتاك من أجل أنهما كانا قد بالغا في الحط عليه وإغراء السلطان به، فكثر قلقهما ولم يأكلا طعاما، وبعثا في الكشف عن الخبر. فلما أوقع الأمراء الحوطة على دور الممسوكين بلغهم أن حريم النشو في بست،ن بجزيرة الفيل، فساروا إليه وهجموه، فوجدوا ستين جارية وأم النشو وامرأته وأخته وولديه وسائر أهله، وعندهم مائتا جنبة عنب وقند كثير ومعاصر، وهم في عصر العنب. فختموا على الدور والحواصل، ولم يتهيأ لهم نقل شيء منها.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٨/٢

هذا وقد غلقت أسواق القاهرة ومصر، واجتمع الناس بالرميلة تحت القلعة ومعهم النساء والأطفال، وقد أشعلوا الشموع، ورفعوا على رءوسهم المصاحف ونشروا الأعلام، وهم يضجون ويصيحولن استبشارا وفرحا بقبض النشو، والأمراء تشير لهم أن يكثروا مما هم فيه، واستمروا ليلة الثلاثاء على ذلك.

فلما أصبحوا وقع الصوت داخل باب القلة من القلعة بأن رزق الله أخو النشو قد ذبح نفسه. وذلك أنه لما قبض عليه تسلمه الأمير قوصون، ووكل به أمير شكار، فسجنه أمير شكار في بعض خزائن بيته، وبات يحرسه حتى طلع الفجر، ثم قام أمير شكار للصلاة.

فاستغفله رزق الله وأخذ من حياصته سكينا ووضعها في نحره حتى نفذت منه وقطعت وريده، فلم يشعر أمير شكار إلا وهو يشخر وقد تلف. فصاح أمير شكار حتى بلغ صياحه قوصون، فانزعج لذلك وضرب أمير شكار ضربا مبرحا إلى أن علم السلطان بالخبر، فلم يكترث به.

وفي يوم الإثنين: المذكور أفرج عن الصاحب شمس الدين موسى بن التاج إسحاق وأخيه، ونزلا من القلعة إلى الجامع الجديد خارج مصر، فقال الكمال جعفر الأدفوي في يوم الإثنين هذا، وفي معنى مسك النشو وغيره هذه الأبيات:

إن يوم الإثنين يوم سعيد ... فيه لاشك البرية عيد

أخذ الله فيه فرعون جهرا ... وغدا النيل في رباه يزيد

وقال شمس الدين محمد بن الصائغ المصري في معنى مسك النشو والإفراج عن شمس الدين موسى وزيادة النيل، هذه الأبيات:

لقد ظهرت في يوم الإثنين آية ... أزالت بنعماها عن العالم البوسا

تزايد بحر النيل فيه وأغرقت ... به آل فرعون وفيه نجا موسى

وفيه زاد النيل بعد توقفه، فقال في ذلك علاء الدين بن فضل الله كاتب السر:

في يوم الإثنين ثاني الشهر من صفر ... نادى البشير إلى أن أسمع الفلكا

يا **أهل مصر** نجا موسى ونيلكم ... طغا وفرعون وهو النشو قد هلكا

وذلك أنه كان قد نقص، فلما قبض على النشو زاد ستة أصابع ثم ثمانية أصابع.." (١)

"وفي يوم الجمعة سادس رمضان نودي أن يجتمع الناس بالصناجق الخليفية، والمصاحف عند قبة النصر، فاجتمع الناس بعامة جوامع مصر والقاهرة، وخرج **المصريون** إلى مصلى خولان بالقرافة، واستمرت

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢/ ٣٠

قراءة البخاري بالجامع الأزهر وغيره عدة أيام، والناس يدعون الله تعالى ويقنتون في صلواتهم، ثم خرجوا إلى قبة النصر، وفيهم الأمير شيخو والوزير منجك والأمراء، بملابسهم الفاخرة من الذهب ونحوه، في يوم الأحد ثامنه.

وفيه مات الرحل الصالح عبد الله المنوفي، فصلى عليه ذلك الجمع العظيم. وعاد الأمراء إلسرياقوس، وانفض الجمع. واشتد الوباء بعد ذلك حتى عجز الناس عن حصر الأموات. فلما انقضى شهر رمضان قدم السلطان من سرياقوس، وحدث في شوال بالناس نفث الدم، فكان الإنسان يحس في بدنه بحرارة، ويجد في نفسه غثيان، فيبصق دما ويموت عقيبه، ويتبعه أهل الدار واحد بعد واحد حتى يفنوا جميعا بعد ليلة أو ليلتين؛ فلم يبق أحد إلا وغلب على ظنه أنه يموت بهذا الداء. واستعد الناس جميعا، وأكثروا من الصدقات، وتحاللوا وأقبلوا على العبادة.

ولم يحتج أحد في هذا الوباء إلى أشربة ولا أدوية ولا أطباء، لسرعة الموت. فما تنصف شوال إلا والطرقات والأسوق قد امتلأت بالأموات، وانتدبت جماعة لمواراتهم، وانقطع جماعة للصلاة عليهم في جميع مصليات القاهرة ومصر. وخرج الأمر عن الحد، ووقع العجز عن العدو، وهلك أكثر أجناد الحلقة؛ وخلت أطباق القلعة من المماليك السلطانية لموتهم.

وما أهل ذو القعدة: إلا القاهرة خالية مقفرة، لا يوجد في شوارعها مار، بحيث إنه يمر الإنسان من باب زويلة إلى باب النصر فلا يرى من يزاحمه، لكثرة الموتى والاشتغال بهم وعلت الأتربة على الطرقات، وتنكرت وجوه الناس، وامتلأت الأماكن بالصياح، فلا تجد بيتا إلا وفيه صبحة، ولا تمر بشارع إلا وفيه عدة أموات وصارت النعوش لكثرتها تصطدم، والأموات تختلط.

وصل في يوم الجمعة بعد الصلاة على الأموات بالجامع الحاكمي من القاهرة، فصفت التوابيت اثنين اثنين من باب مقصورة الخطابة إلى الباب الكبير. ووقف الإمام على العتبة، والناس خلفه خارج الجامع.

وخلت أزقة كثيرة وحارات عديدة، وصارت حارة برجوان اثنين وأربعين دارا خالية. وبقيت الأزقة والدروب. مما فيها من الدور المتعددة خالية، وصارت أمتعة أهلها لا تجد من يأخذها، وإذا ورث إنسان شيئا انتقل في يوم واحد عنه إلى رابع وخامس. وحصرت عدة من صلى عليه بالمصليات خارج باب النصر وخارج باب زويلة، وخارج باب المحروق وتحت القلعة، ومصلى قتال السبع تجاه باب جامع قوصون، في يومين، فبلغت ثلاثة عشر ألفا وثمانمائة، سوى من مات في الأسواق والأحكار، وخارج باب البحر وعلى الدكاكين، وفي الحسينية وجامع ابن طولون، ومن تأخر دفنه في البيوت ويقال بلغت عدة الأموات في يوم واحد عشرين

ألفا، وأحصيت الجنائز بالقاهرة فقط في مدة شعبان ورمضان تسعمائة ألف، سوى من مات بالأحكار والحسينية والصليبة وباقي الخطط خارج القاهرة، وهم أضعاف ذلك. وعدمت النعوش، وبلغت عدتها ألفا وأربعمائة نعش. فحملت الأموات على الأقفاص ودراريب الحوانيت وألواح الخشب؛ وصار يحمل الإثنان والثلاثة في نعش واحد على لوح واحد.

وطلبت القراء إلى الأموات، فأبطل كثير من الناس صناعاتهم، وانتدبوا للقراءة أمام الجنائز. وعمل جماعة من الناس مدراء، وجماعة تصدوا لتغسيل الأموات، وجماعة لحملهم؛ فنالوا بذلك سعادة وافرة. وصار المقرئ يأخذ عشرة دراهم وإذا وصل الميت إلى المصلى تركه وانصرف لآخر. وصار الحمال يأخذ ستة دراهم بعد الدخلة عليه إذا وجد، ويأخذ الحفار أجرة القبر خمسين درهما؛ فلم يمتع أكثرهم بذلك، وماتوا. ودخلت غاسلة مرة لتغسل امرأة، فلما جردتها من ثيابها، ومرت بيدها على موضع الكبة صاحت وسقطت ميته؛ فوجد في بعض أصابعها كبة بقدر الفولة.." (١)

"وعرض الأمير صرغتمش جميع مستحقى الوقف من الفقهاء والقراء وغيرهم، وأكثر من سؤالهم، ونقب عن أمورهم، والزمهم بمواظبة وظائفهم.

وفيها انفتح باب السعي عند الأمير شيخو بالبراطيل في الولايات، فسعى جماعة بأموال في عدة جهات، فأجيبوا إلى ذلك، وقرروا فيما أرادوه، وأخذ منهم ما وعدوا به، منهم حاجي أستادار ظهير بغا، استقر في ولاية قوص بمائتين وخمسين ألف درهم، قام بها للسلطان والأمراء. واستقر أيضا ناصر الدين عمد بن إياس بن الدويدارى في كشف الوجه البحري، عوضا عن عز الدين أزدمر الأعمى بنحو ستة الاف دينار.

وكان أزدمر قد عمى من اثنتي عشرة سنة، وهو لا يظهر أنه أعمى، ويركب، ويكبس البلاد، ويحضر الخدمة السلطانية مع الأمراء، وله مملوك يكون معه حيث سلك، يعرفه ما يريد، وإذا رأى أحدا يقصده يعرفه به، فيستقبله من بعد ويسلم عليه كأنه يراه. وكذا إذا جلس للحكم أرشده سرا لما لابد منه. ومع ذلك فقد كان لطول مدته وتمرنه صار يعرف أكثر أحوال العربان، ويستحضر أسماءهم، فيقوى بذلك على تمشية أموره، بحيث يخفي على أكثر الناس عماؤه، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه.

وفيها خرج ركب الحجاج الرجبية، صحبة الأمير عز الدين أزدمر الخازندار، ونزل بركة الجب على العادة في يوم الاثنين حادي عشرين رجب. وسافر فيه الطواشي شبل الدولة كافور الهندي، وقطب الدين هرماس وجماعة من الأعيان. فلما وصل الركب إلى بدر، لقيهم قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، وقد

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٥٦/٢

توجه من المدينة النبويه – وكان مجاورا بها – يريد مكة ليصوم بها شهر رمضان. وعند نزولهم بطن مرو لقبهم الشريف عجلان أمير مكة. فخلع عليه، ومضوا إلى مكة، فدخلوها معتمرين يوم الخميس تاسع عشرين شعبان، فنودي من الغد مستهل رمضان الا يحمل أحد من بنى حسن والقواد والعبيد سلاحا بمكة، فامتنعوا من حمله. وكان الرخاء كثيرا كل غرارة قمح – وهي سبع ويبات مصرية – بثمانين درهما، والغرارة الشعير بخمسين درهما. الا أن الماء قليل، بحيث نزحت الآبار وانقطعت عين جوبان ، فأغاثهم الله بمطر عظيم رووا منه. وحضر أبو القاسم محمد بن أحمد اليمنى – إمام الزيدية الذي ضربه عمر شاه أمير الركب في السنة الخالية – إلى قاضى القضاة عز الدين بن جماعة تائبا مما كان عليه من مذهب الزيدية، فعقد له مجلس بالحرم، حضره أمير الركب وعامة أهل مصر ومكة، وأشهدهم أنه رجع عن مذهب الزيدية، وتبرأ إلى الله تعالى من إباحة دماء الشافعية وأموالهم، وأنه يواظب على صلاة الجمعة والجماعة مع أئمة الحرم، وإن خرج عن ذلك فعل به ما تقتضيه الشريعة، وكتب خطه بذلك. فقال بعضهم:

استتوبوا الزيدى عن مذهب ... قد كان من قبل به معجبا

لو لم يدارك نفسه بتوبة ... لعجل الله له مذهبا." (١)

"وتحدث الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص في ولاية الجلال رسولا بن أحمد بن يوسف التباني الرومي – مدرس الحنفية بمدرسة الأمير ألجاي – قضاء الحنفية. فاستدعاه السلطان وعرض عليه ولاية قضاء القضاة، فامتنع من قبوله، واعتذر بأن العجم ليس لها معرفة بإصطلاح أهل مصر، فقبل السلطان عذره، وصرفه مكرما. فتحدث بعض الأمراء في ولاية مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم، وكاد أمره يتم، ثم بطل. فتحدث بعض أهل الدولة لنجم الدين أحمد بن عماد الدين إسماعيل بن محمد بن أبي العز، المعروف بابن الكشك، في ولايته، فأجيب إلى ذلك وخرج البريد يطلبه من دمشق.

وفي يوم الاثنين تاسع عشره: قبض على الصاحب كريم الدين شاكر بن الغنام، وعلى حواشيه، وعلى مقدم الدولة الحاج سيف وشريكه عبيد البازدار، وعلى الأمير شرف الدين حمزة شاد الدواوين، وأبطل الوزارة، وأمر فأغلق شباك الوزارة بقاعة الصاحب من قلعة الجبل، فخلع على الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشي أطلسين، واستقر مشير الدولة بإمرة طبلخاناه، ورسم له أن يحمل الدواة والمرملة كما هي عادة الوزراء، وخلع على سعد الدين بن الريشة، وعلى أمين الدين أمين، واستقرا في نظر الدولة، ورسم لهما أن يجلسا من وراء شباك الوزارة وهو مغلق. وخلع على كريم الدين صهر النشو وعلى فخر الدين بن علم الطويل، واستقرا في

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢/٢٢٠

استيفاء الدولة.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه: أفرج عن المقدم سيف، ونوابه، وخلع عليه، فإنه التزم أن يستخرج للسلطان ستمائة ألف من مال السلطان، وأفرج أيضا عن كريم الدين شاكر ابن غنام، على مال التزم به، فنزل على حمار، حتى باع أثاثه وخيوله.

وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه: عزل قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة نفسه من القضاء، من أجل أنه منع بعض موقعي الحكم من التوقيع، فألح عليه بعض أهل الدولة في الإذن له، فغضب من الاعتراض عليه، وأغلق بابه، واعتزل عن الحكم هو ونوابه، فشق ذلك على السلطان، وبعث إليه بالأمير ناصر الدين محمد أقبغا آص يسأله في العودة إلى الحكم، فنزل إليه في يوم السبت، وسأله عن السلطان، وتضرع إليه وترفق، فأبي من العود إلى الولاية. ورجع الأمير إلى السلطان، فأرسل إليه بالأمير بهادر الجمالي، أمير آخور، آخر النهار، فألح في مسألته وأكثر من الترقق له، فلم يقبل منه، وصمم على الامتناع. فلما أيس منه قال له: مولانا السلطان يسلم عليك، وقد حلف إن لم تقبل عنه الولاية، ولم تركب إليه، ليركبن إليك، حتى يأتيك في هذه الليلة إلى منزلك، حتى تقبل عنه ولاية القضاء، وحلف له الأمير بهادر بالطلاق، أنه سمع السلطان، وهو يحلف بالطلاق على هذا. فلم يجد القاضي عند ذلك بدا من أن قال: أنا أجتمع بالسلطان، ثم ركب بثياب جلوسه، وصعد إلى القلعة، فعرض عليه السلطان العود إلى ولاية القضاء، ولاطفه. فأجاب بعد جهد: إني أستخير الله تعالى هذه الليلة، ثم يكون ما يقدره الله. فرضي منه السلطان بذلك، وقام عنه وأجل الأمراء من يسعد بتقبيل يده، حتى أتى منزله. وركب من الغد يوم الأحد خامس عشرينه إلى القلعة، واشترط على السلطان شروطا كثيرة، التزم له بها حتى قبل الولاية. ولبس التشريف الصوف، ونزل عليه من المهابة ما يكان بشق الصدور، فكان يوما مشهودا. وفي هذا الشهر: استقر جلال الدين جار الله في تدريس الحنفية بالجامع الطولوني، بعد وفاة ابن التركماني. واستقر الأمير قارا بن مهنا، في إمرة العرب، بعد موت أخيه حيار بن مهنا.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشرينه: ركب السلطان إلى عيادة الأمير منجك في مرضه، فقدم له عشرة مماليك، وعشرة بقج قماش، وعدة من الخيل، فقبل ذلك، ثم أنعم به عليه، ولم يرزأه منه شيئا، وقد فرش له عدة شقاق من حرير مشى عليها بفرسه في داره، ثم عاد إلى القلعة.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

خلائق لا يحصيها إلا خالقها، فمن الأعيان: الأمير أسنبغا القوصوني اللالا أحد الطبلخاناه، وهو مجرد

بالإسكندرية، في ثالث عشر المحرم.
ومات الأمير أسنبغا البهاوري شاد العماير، ونقيب الجيش، في آخر شهر رجب.
ومات شهاب الدين أحمد، عرف بطبيق، ابن الفقيه بدر الدين حسن، أحد فقهاء الحنفية، في رابع ذي القعدة.
ومات شهاب الدين أحمد بن السقا أحد فضلاء الميقاتية، في تاسع عشر شوال.." (١)

"والعصبية " وكان كثير الدهاء والمكر، فثاروا ثورة واحدة وصرخوا جميعا: " امش قدامنا " . فسار وهم حوله كالجراد المنتشر، حتى وقف على باب سر الإصطبل أضرموا فيه النار وأحرقوه وتسلق الأمير قرط الكاشف وقد لحق ببرقوق ونزل إلى الإصطبل، حتى فتح الباب، فدخلوا منه جميعا، وقاتلوا أصحاب إينال، فمال معهم من كان من أصحاب برقوق هناك، فاشتد القتال وجرح الأمير إينال في عنقه بسهم رمى به، فانهزم إلى بيته، فبعث الأمير برقوق من قبض عليه، وحمله إليه وسجنه. وهذا والأمير بركة غائب في الصعيد، وتتبع الأمير برقوق أصحاب إينال، فقبض عليهم، ونودي في القاهرة على مماليك إينال فقبض منهم على عدة.

وحمل الأمير إينال مقيدا إلى الإسكندرية، هو وسودن جركس، وسجنا بها، وفر برهان الدين إبراهيم بن اللبان في هذه الواقعة إلى بلاد التكرور وذلك أنه كان قد قبض عليه بسبب مال الأمير قرطاي ثم أفرج عنه. فلما ملك إينال الإصطبل، صعد إليه، وأسمع الأمير جركس ما يكره، فخاف على نفسه، وضاقت به أرض مصر.

وفي ثامن عشرينه: قدم الأمير بركة من سرحة البحيرة فخرج الأمير الكبير برقوق وتلقاه، فنزلا جميعا عن فرسيهما وتعانقا فرحا بالسلامة، وعادا، فأمر بزينة القاهرة ومصر، فزينتا.

وفيه قبض على الأمير جمق – أحد العاشرات – وعلى الأمير أزبك، وسجنا، وأخرج الأمير قطلوبغا الكوكاي منفيا إلى الشام.

وفي ثاني شهر رمضان: أنعم على كل من يذكر بإمرة طبلخاناه، وهم الأمير قرط ابن عمر التركماني، وشاهين الصرغتمشى، ومجلس النوروزي، وطوجى العلاي، وقردم الحسني، وأنعم على كل ممن يذكر بإمرة عشرة، وهم: أقبغا الناصري – رأس نوبة الأمير برقوق – وكمشبغا، وبكبلاط الصالحي، وطوجى.

وكتب باستقرار الأمير منكلي البلدي في نيابة طرابلس عوضا عن يلبغا الناصري، ورسم بإحضار الناصري

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٨٨/٢

إلى قلعة الجبل.

وفي يوم السبت سابعه: شهر رجلان بعدما ضربا، وأركبا جملا، وظهر أحدهما إلى ظهر الآخر، ونودي عليهما بالقاهرة ومصر: " هذا جزاء من يتحدث فيما لا يعنيه " . وكان سبب ذلك أن أحدهما يعرف بالكمال ابن بنت الخروبي، من **أهل مصر**، معروف بقلة العقل والفقر من المال، تحدث مع الأمير خضر رأس نوبة الأمير بركة أن يستقر في الوزارة، وعين رجلا من آحاد معلمي المماليك القراءة لنظر الدولة، وعين رجلا من آحاد الجند يقال له كراي بن خاص ترك لشد الدواوين، وعين آخر لنظر الجهات، وآخر من أطراف العامة لتقدمة الدولة، ووعد على ذلك بمال عظيم، وضمن تكفية الدولة ستة أشهر، فأتقن خضر الأمر مع أستاذه الأمير بركة، حتى لم يبق إلا وقوع ذلك في الخارج، وجهز له تشريف الوزارة، ففطن به الوزير وجماعة الخراربة التجار، وقد بلغهم عنه أنه عينهم فيمن عين لأخذ أموالهم، وعرفوا أهل الدولة بحاله، فقبض عليه الأمير الكبير برقوق، وضربه وجرسه هو ورفيقه، وفر بقية أصحابه.

وفي عاشره: قدم الأمير يلبغا الناصري، وأنعم عليه بإقطاع الأمير إينال، واستقر أمير سلاح.

وفي تاسع عشرينه: خلع على محمد بن طاجار، واستقر في ولاية الغربية، عوضا عن أيدمر السيفي، وخلع على خان، واستقر في ولاية قوص.

وفي سابع شوال: خلع على محمد بن الجلبي، واستقر في ولاية منفلوط عوضا عن. بيرم، كل ذلك بمال التزموا بالقيام به من مظالم العباد.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشره: قبض على رجل ادعى النبوة، وأنه النبي الأمي، وأنه مصدق بنبوة نبينا. وزعم أن حروف القرآن تنطق له مع أنه أمي، وأن الذي يأتيه بالوحي جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورضوان ومالك ودردبائيل، وزعم أنه عربي من مصر وأنه أرسل بقتل الكفرة، وأن الترك يحكموه ويملكوه عليهم، وأنه أنزل عليه القرآن فسجن عند المجانين بالمارستان، ثم أخرجه الأمير بركة وسأله عن نبوته، فأخبره، فأمر به فضرب حتى رجع عن. قوله. ثم أفرج عنه بعد أيام، وكنت أراه زمانا طويلا، وله سمت وينمسة وحدثني عنه بعض الثقات أنه كان يتلو عليه من قرآنه لنفسه به، ثم فقدناه.

وفي ثاني عشرينه: عوقبت دادة السلطان حتى أظهرت قبع السلطان الذي عمله له أبوه الملك الأشرف عند ختانه، وطراز ذهب، وطشت من ذهب، وهذه الثلاثة مرصعة بجواهر نفيسة، وأظهرت أيضا تركة أم السلطان الملك المنصور علي.." (١)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢/٣٢٩

"نعود إلى ذكر ما فعلته الفرنج بالإسكندرية: ثم إن الملاعين أحرقوا فندق الكيتلانيين، وفندق الجنويين، وفندق الموزة، وفندق الموسليين، فصارت النار تعمل في البندق والبضائع التي لم تجد لها محملا معهم، لإشحان مراكبهم مما أخذوه من أموال الإسكندرية ثم كسرت الفرنج أيضا حوانيت الشماعين والبياعين، بعد نهب قياسر البزازين، وكسروا ما فيها من الأوعية والأواني والأحقاف والبراني، فصارت ملقاة مطروحة في الطرقات، قد سال ما فيها من زيت وعسل وسمن وغير ذلك، وكسروا أيضا حوانيت الصاغة، وأخذوا ما فيها من مال ومصاغ، كما أخذوا من حوانيت الصرف ما كان بها من دنانير ودراهم، ونهبوا أقمشة التجار المصريين والشاميين المخزونة المبيعة للسفر بها لمصر والشام ونهبوا أيضا الحديد الذي قدمت به تجار الأعاجم وغيرهم إلى الإسكندرية، وكانت عدة قناطير، ونهبوا من الدور الأموال والأقمشة والمصاغ والفرش والبسط والنحاس وغيره وأخذوا معهم باب المنار الذي كان عمره الأمير صلاح الدين عرام قبل الوقعة، على الأساس الذي كان أسسه الملك المنصور قلاوون وبطل عمارته، فعمل ابن عرام عليه حصنا دائرا، ثم أخذت الفرنج أيضا شبابيك قبة طغية انتي بالجزيرة وأحرقوا سقف الربط التي بها، وهي التي خاف عليها أصحابها من الإفرنج قبل نزول الفرنج من مراكبهم، وكسروا قناديلها وقناديل المزارات، وأفسدوا قصور الجزيرة وتربها، وكسروا أعمدة قبة منبر مصلى العيد، وعمودي ضريح قبة تربة الأمير طغية، والأمير بلاط، واللذين فيهما تاريخ وفاتهما. وكانا مموهين بالذهب واللازورد، وقلعوا حلقتي باب المدرسة الخلاصية التي عمرها نور الدين بن خلاص، وكانا من النحاس المخرم فعمل لباب المذكورة غيرهما بعد أشهر من حين الوقعة، وأخذوا منها كرسي الربعة وبيتها، وكانا من النحاس الأندلسي المخرم، المنزل فيهما اليقات الفضة بدائرها، لم ير مثلهما حسن صنعة وتدقيق وتخريم وتركوا أجزاء الربعة المذكورة الثلاثين جزءا مطروحة بالمدرسة المذكورة، لا يأخذوا جزءا واحدا، وصعدوا صومعة المدرسة النابلسية، فوجدوا فيها جمال الدين ابن بانيها مختفيا منهم بها، وكان شيخا كبيرا، ضعيف البنية، فألقوه على رأسه من أعلاها إلى الأرض، فاندقت عنقه. فمات شهيدا رحمه الله. وقتلوا من وجدوه بالجوامع والمشاهد وأقاموا بالإسكندرية العرابد فقتلوا الناس في الدور والحمامات والشوارع والخانات، وكانت الفرنج تخرج بالنهب من الإسكندرية إلى مراكبهم على الإبل والخيل والبغال والحمير، فما فرغوا من النهب. وقضوا إربهم من البلد، طعنوها بالرماح وعرقبوها بالصفاح، فصارت مطروحة بالجزيرة والبلد لم يعلم لها عدد، فهلكت وجافت، فأحرقها المسلمون بالنار لتزول رائحة جيفها.." (١)

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٥١/٢

"وقدم الخبر برحيل تمرلنك عن توريز إلى سمرقند وأن الأسعار ارتفعت بسائر بلاد الشام، وأبيعت الغرارة القمح في بلد الرملة بثلاثمائة درهم فضة، فنقل الناس الغلال من ديار مصر إليها.

وقدم الخبر بأن الشريف عنان بن مغامس اقتتل مع الشريف علي بن عجلان، وانهزم من علي. ثم قدم مقاصده يسأل السلطان العفو عنه.

وقدم البريد بأن منطاش خرج من ملطية إلى سيواس، فسار البريد بالخلع والأموال. لتفرق في تلك البلاد.

وفيه فرق نجم الدين محمد الطنبدي محتسب القاهرة عدق فقراء الفقهاء على الباعة بسائر الأسواق، ليعلموهم من القرآن ما لا بد منه في الصلاة، فاستمر ذلك، وقرر لكل معلم على كل حانوت فلسين في كل يوم.

وفي ربيع الأول: منع قراء الأجواق عامة من التهنيك وأن يكون عوضه الصلاة على النبي.

وفي هذا الشهر: وقع بالقاهرة، ومصر وضواحيهم طاعون وحميات حادة، وفشى الموت بذلك في الناس.

وفيه عمل السلطان المولد النبوي بالقصر على العادة، وأقيم السماع بإبراهيم بن الجمال وأخيهخليل يشبب.

وفي ليلة الأربعاء ثماني عشره: حضر ابنا الجمال المذكورين عند بعض **أهل مصر** مولدا. فلما أقيم السماع سقط البيت. بمن فيه، فمات ابنا الجمال في ستة أنفس، وسلم من عداهم.

ومن الاتفاق الغريب أنه كان يغني بهذه الأبيات:

تغنيت في حبكم ... ولا فادني منه .فن

وخضت بحار الهوى ... وجزت بوادي محن .

وقالوا به جنة ... ومثلي بكم من يجن.

فؤادي بكم هايم ... وعقلي بكم مفتن

أغني ولي فيكم ... فؤاد كثير الشجن

سيطرب من في الحمى ... ويرقص حتى السكن.

فلما وصل في غنائه إلى قوله " ويرقص حتى السكن " سقط البيت على من فيه وتتمة هذه الأبيات :

لقد جئت مستعذرا ... لكم يا أهيل المحن.

فجودوا على عبدكم ... وإن لم تجودوا فمن

وفي هذه الليلة: عمل الشيخ المعتقد إسماعيل بن يوسف الإنبابي المولد على عادته في زاويته بناحية منبوبة من الجيزة تجاه بولاق، فكان فيه من الفساد ما لا يوصف، إلا أنه وجد من الغد في المزارع مائة وخمسون

جرة فارغة من جرار الخمر التي شربت – تلك الليلة في الخيم، سوى ما حكى عن الزنا واللياطة، فجاءت ريح كادت تقتلع الأرض.بمن عليها، وامتنع الناس من ركوب النيل فتأخروا هناك.

واتفق في هذا الشهر موت خمسة من المشهورين، لم يخلفوا بعدهم مثلهم في مغناهم، وهم: علم الدين سليمان القرافي المادح، مات ليلة الخميس تاسعه وإبراهيم ابن الجمال المغني، وأخوه خليل المشبب، في ليلة الأحد ثاني عشره. وعلي بن الشاطر رئيس المؤذنين بالجامع الأزهر، في ليلة الإثنين ثالث عشره. والمعلم إسماعيل الدجيجاتي، في ليلة الأربعاء خامس عشره.

وفيه ورد الخبر بدخول العسكر المصري إلى بلاد ملطية، لقتال منطاش.

وفي يوم السبت ثالث ربيع الآخر: استقر جمال الدين يوسف بن محمد بن عبد الله الحميدي في قضاء الحنفية بالإسكندرية، وعزل همام الدين عبد الواحد السواسي العجمي.

وسار الشريف حسن بن عجلان من القاهرة إلى مكة، وسار معه جماعة يريدون العمرة والمجاورة بمكة.

وتزايد الموت، وطلب البطيخ الصيفي للمرضى، فأبيعت البطيخة بخمسين درهما فضة، وأبيع الرطل من الكمثرى بعشرة دراهم.

وفيه ندب قاضي القضاة ناصر الدين محمد ابن بنت ميلق، جماعه، فقرأو بالجامع الأزهر صحيح البخاري، ودعوا الله تعالى في رفع الطاعون. واجتمعوا أيضا في يوم الجمعة سادس عشره بالجامع الحاكمي، وفعلوا ذلك. ثم اجتمعوا مرة ثالثة بالجامع الأزهر، بعد عصر يوم الإثنين تاسع عشره، ومعه كثير من الأطفال الأيتام، فكان جمعا موفورا.

وفي سادس عشرينه: استقر الأمير أيدكار العمري، حاجب الحجاب بديار مصر، عوضا عن الأمير قطلوبغا الكوكاي، وكانت هذه الوظيفة متوفرة نحو أربع سنين بعد وفاة الكوكاي، وأضيف إليه نظر الخانقاة الشيخونية. واستقر الأمير سيف الدين المعروف بسيدي أبو بكر بن سنقر الجمالي حاجب ميسرة بإمرة مائة، عوضا عن أيدكار بحكم انتقاله حاجب الحجاب.

وفي ثامن عشرينه: قدم الأمير بلوط الصرغتمشى.." (١)

"وفي ثالثه: توجه قاضي القضاة صدر الدين محمد المناوي إلى مدينة مصر، في موكب جليل على العادة.

وفي سادسه: حضر الأمير حسين بن أخي قرط طائعا، واعتذر، فقبل عذره، وخلع عليه لولاية قوص، عوضا

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٩١/٢

عن مقبل الطيبي.

وفي عاشره: قرئ تقليد قاضي القضاة صدر الدين محمد المناوي، فكان الجمع موفورا.

وفي ثاني عشره: أحضر بالأمير مبارك شاه الكاشف مقيدا، فسجن بخزانة شمايل.

وفي هدا الشهر: كثرت الإشاعات، وقويت الأراجيف، واختلفت الأقوال في الملك الظاهر برقوق، وكان من خبره أنه لما قتل الشهاب بالكرك، وأنزل عوام البلد الملك الظاهر من قلعتها، وقاموا بخدمته، أتته العربان وصار في طائفة، فلم تجد أكابر مدينة الكرك بدا من الموافقة، إلا أنهم قد سقط في أيديهم، وخافوا سوء العاقبة. فلما كثر جمع الظاهر عزم على الخروج من المدينة، وبرز أثقاله. فاجتمع الأعيان عند العماد أحمد بن عيسى المقيري، قاضي الكرك، وأجالوا الرأي، وخشوا من السلطنة بمصر، فاتفقوا على القيام عليه، وقبضه، وإعلام أهل مصر بذلك، وأنه لم يخرج إلا باجتماع السفهاء منهم، ليكون ذلك خلاصا لهم من معرة معاداة الدولة. وبعثوا ناصر الدين محمد أخا القاضى، فأغلق باب المدينة، وصار الظاهر وقد حيل بينه وبين أثقاله وعامة أصحابه فلما قام. ليركب ويخرج، بلغه ذلك.

وكان علاء الدين على - أخو القاضى - مباشر الإنشاء بالكرك، فكتب للظاهر في مدة خروجه وخدمه. فلما رأى ما نزل بالظاهر، عندما بلغه اتفاق أهل المدينة في بيت أخيه على قبض الظاهر، حدثه وقوى جأشه، وسار به، حتى وصل باب المدينة، فإذا به مغلوق، وأخوه ناصر الدين قائم عنده، فما زال به حتى فتح الباب وخرج بالظاهر من المدينة، والتحق ببقية أصحابه من المماليك الذين وصلوا ا ليه، والعربان التى اجتمعت عليه، وأخلاط أهل مدينة الكرك. فأقام بالثنية خارج الكرك يومين، ورحل في ثامن عشرين شوال، وسار بهم يريد دمشق - وبها الأمير جنتمر أخو طاز، متولي نيابتها - وقد وصل إليه الأمير ألطنبغا الحلبي الدوادار من مصر نائبا على حلب بحكم عصيان كمشبغا الحموي. فاستعدا لقتال الظاهر، وتوجه إليهما الأمير حسام الدين حسين بن باكيش - نائب غزة - بعساكرها وعشيرها.

وأقبل الظاهر. ممن معه، فخرجوا إليه وقاتلوه بشقحب - قريبا من دمشق - قتالا شديدا، كسروه فيه غير مرة، وهو يعود إليهم ويقاتلهم، إلى أن كسرهم، وانهزموا منه إلى دمشق. وقتل منهم ما ينيف على الألف، فيهم خمسة عشر أميرا، وقتل من أصحابه نحو الستين، ومن أمرائه سبعة. وركب اقفية المنهزمين، فامتنع جنتمر بالقلعة، وتوجه بالقلعة، وتوجه من أمراء دمشق ستة وثلاثون أميرا، ومعهم نحو الثلاثمائة وخمسين فارسا، قد أثخنوا بالجراحات. وأخذوا نائب صفد، وقصدوا ديار مصر. فلم يمض غير يوم واحد حتى وصل ابن باكيش بجمائعه، فقاتله الظاهر وهزمه، وأخذ جميع ما كان معه، فقوي به قوة كبيرة. وأتاه عدة من

مماليكه، ومن أمراء الشام، فصار في عسكر كبير، وأقبل إليه الأمير جبرائيل حاجب الحجاب بدمشق، وأمير علي بن أسندمر الزيني، وجقمق، ومقبل الرومي، طائعين له، فصاروا في جملته.

ونزل السلطان بوقوق على قبة يلبغا ظاهر دمشق، وقد امتنع أهلها بها، وبالغوا في تحصينها، فحصرها، وأحرق القبيبات، وخربها، وأهلك في الحريق خلقا كثيرا، وجد أهل المدينة في قتاله، وأفحشوا في سبه، وهو لا يفتر عن قتالهم، فأمده الأمير كمشبغا من حلب بثمانين فارسا من المماليك الظاهرية، فأخرج إليهم الأمير جنتمر خمسمائة فارس من دمشق، ليحولوا بينهم وبين الظاهر، فقاتلوهم، فكسرهم الظاهرية، واستولوا على جميع ما معهم.

وأتوا إلى الظاهر، فأقبل الأمير نعير بعربانه، يريد محاربته، فحاربه وكسره فانهزم عنه، وتقوى. مما صار إليه في هذه الوقائع. وصار له برك ويرق، بعد ما كان بهيئة رثة، لا يكنه من المطر إلا خيمة صغيرة، ومماليكه في أخصاص كل منهم هو الذى يتولى خدمة فرسه بنفسه.." (١)

"وأما تنم فإنه وجه الأمير آقبغا اللكاش في عدة من الأمراء والعساكر إلى غزة فساروا من دمشق في أوله، وتبعتهم أطلاب أمراء دمشق. وخرجوا منها في ثالثه، وعليهم الأمير جلبان، ومعه الأمير شهاب الدين أحمد بن الشيخ علي، وطيفور حاجب الحجاب بدمشق، ويلبغا الأشقتمري، وصرق الظاهري مساروا إلى حلب. وقبص الأمير تنم على الأمير بتخاص، وموسي التركاني، وحبسهما بقلعة دمشق، من أجل أنه اتهمهما بالميل مع **أهل مصر**.

ثم خرج تنم من دمشق فيمن بقي معه في سادسه، يريد حلب، وجعل الأمير أزدمر أخا إينال نائب الغيبة، فوصل إلى حمص واستولي عليها، وأقام فيها من يثق به. وتوجه إلى حماة. ووافاه يونس الرماح نائب طرابلس، ومعه عسكر طرابلس، فامتنع دمرداش المحمدي نائب حماة وقاتل تنم قتالا شديدا، وقتل من أصحابه نحو الأربعة، و لم يقدر عليه تنم فأتاه الخبر على حماة بقيام أهل طرابلس.

وذلك أنه لما قرب محمد بن بهادر المؤمني من طرابلس بعث. كلا معه من الملطفات لأربابها، فوصلت إليهم قبل قدومه. ثم وصل. ممن معه في البحر، فظنه نائب الغيبة من الفرنج، فخرج إليه في نحو ثلاثمائة فارس من أجناد طرابلس فتبين له أنه من المسلمين، فقاتلهم على ساحل البحر حتى هزمهم إلى برج أيتمش، فأصبح الذين أتتهم الملطفات، نادوا في العامة بجهاد نائب الغيبة، نصرة لابن بهادر. وأفتاهم فقهاء البلد بذلك. ونهبت دار نائب الغيبة، وخطب خطيب البلد بذلك فتسرعت العامة إلى النهب، فانهزم نائب الغيبة

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤١٨/٢

إلى حماة، وأعلم الأمير تنم بذلك فبعث بالأمير صرق على عسكر إلى طرابلس، فقاتله أهلها قتالا شديدا مدة تسعة أيام، ودفعوه عنها.

وفي أثناء ذلك ورد على الأمير تنم خبر واقعة الأمير أيتمش، وأنه وصل إلى غزة ونزل بدار النيابة، فأذن بدخوله ومن معه إلى دمشق، ورجع من حماة بالعساكر، وقد عجز عنها، فدخل دمشق، في خامس عشرينه، وأرسل يونس الرماح نائب طرابلس في عسكره ومن انضم إليه من أمراء دمشق، وهم: ألجي بغا الحاجب، وخضر الكريمي، في طائفة إلى طرابلس فدخلوا، وانهزم ابن بهادر إلى البحر، فركبه، ومعه القاضي شرف الدين مسعود الشافعي قاضي طرابلس يريدون القاهرة. ونهب يونس الرماح أموال الناس كافة، وفعل ما لا تفعله الكفار. وقتل نحو العشرين رجلا من المعروفين، منهم الشيخ المفتي جمال الدين بن النابلسي الشافعي، والخطيب شرف الدين محمود، والمحدث القاضي شهاب الدين أحمد بن الأذرعي المالكي، والقاضي شهاب الدين الحنفي، وموفق الدين الحنبلي. وقتل من العامة ما يقارب الألف وصادر الناس مصادرة كبيرة، وأخذ أموالهم. وكانت هذه الكائنة في الخامس عشر منه.

وفي سادس عشره: عرض السلطان الملك الناصر المماليك، ففقد منهم مائة وثلاثين، انهزموا مع أيتمش.

وفيه قبض على الأمير بكتمر جلق، وتنكر بغا الحططي رأس نوبة، وقرمان المنجكي، وكمشبغا الخضري، وخضر بن عمر بن بكتمر الساقي، وعلى بن بلاط الفخري، وأسنبغا المحمدي، ومحمد بن يونس النوروزي، وألجبغا السلطاني، وأرغون السيفي، وأحمد بن أرغون شاه الأشرفي، وناصر الدين محمد بن على بن كلفت نقيب الجيش، وألطنبغا الخليلي، وسجنوا. ثم أفرج عن قرمان، وخضر، وابن يونس، وابن كلفت وألطنبغا وحمل إلى الإسكندرية منهم مقبل الرومي، وبكتمر جلق، والحططي، وابن بلاط، وأسنبغا وألجبغا، وأرغون، وأحمد بن أرغون شاه. وتأخر بالقلعة كمشبغا الخضري، وإياس الخاصكي.

وفيه استدعي السلطان الأمير سودون أمير أخور، والأمير تمراز من الإسكندرية، والأمير نوروز من دمياط فسارت القصاد لإحضارهم.

وفي سابع عشره: استقر موفق الدين أحمد بن قاضي القضاة ناصر الدين نصر الله الحنبلي في قضاء القضاة الحنابلة بالقاهرة ومصر، بعد وفاة أخيه قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم. واستقر علاء الدين أقبغا المزوق في ولاية الفيوم وكشفها، وكشف البهنساوية، والأطفيحية، وعزل طيبغا الزيني، وطلب، فهرب. واستقر أيضا يلبغا الزيني وإلى البهنسا، وعزل الضاني.

وفي عشرينه: وصل الأمير نوروز من دمياط، والأمير سودون، والأمير تمراز من الإسكندرية إلى القلعة. وقبلوا

الأرض للسلطان، ونزلوا إلى دورهم. وكتب إلى الأمير تنم نائب الشام بدخوله في الطاعة. وفي آخره: قدم الأمير بيسق من مكة.." (١)

"وفي ثالث عشرينه خلع على الأمير ركن الدين عمر بن الطحان حاجب غزة بنيابة غزة، وعلى سودون حاجبها الصغير، وصار حاجب الحجاب بها.

وفي ثالث عشرينه: قدم يونس الرماح نائب طرابلس بعسكرها، ومعه الأمير أحمد ابن يلبغا إلى دمشق، فخرج الأمير دمرداش المحمدي نائب حماة من دمشق في خامس عشرينه، وتبعه الأمير تنم في بقية العساكر، يريدون مصر.

وفي سابع عشرينه: استقر شهاب الدين أحمد بن الزين عمر في ولاية القاهرة ومصر، وأن يكون حاجبا.

وفي ليلة ثامن عشرينه: توجه الأمير سودون المأموري الحاجب إلى دمياط، لينقل منها الأمير يلبغا المجنون، والأمير تمربغا المنجكي، وطغنجي، وبلاط السعدي، وقراكسك إلى سجن الإسكندرية.

وكان بالقاهرة ومصر من أول ربيع الأول إلى أخر جمادى الآخرة أمراض فاشية في الناس من الحمي والبرد. ومات فيه عدة كبيرة مع توقف الأحوال، وتعطل المعايش.

وتزايد الأسعار في كل ما يباع. وص ا ر الخبز كل خمس أواقي بثمن درهم. وانقطع الواصل من البلاد الشامية، فبلع الفستق عشرة دراهم الرطل، واللوز أربعة دراهم الرطل، والكمثرا سبعة دراهم الرطل. والسفرجلة الواحدة بعشرة دراهم. ومع ذلك خوف الناس من وقوع الفتن، لشدة اختلاف أهل الدولة.

شهر رجب، أوله الجمعة: في رابعه: نزل السلطان من القلعة إلى الريدانية ليتوجه إلى قتال أيتمش ونائب الشام، فأقام بمخيمه، وتلاحق به الأمراء، والعساكر، والخليفة، وقضاة القضاة.

وفي خامسه: خلع على الأمير الكبير بيبرس بنظر المارستان المنصوري ونظر الأحباس، ونيابة الغيبة، وعلى الأمير نوروز الحافظي بنظر الخانقاة الشيخونية، عوضا عن الأمير أرغون شاه الأقبغاوي المنسحب إلى الشام. وعلى الأمير مبارك شاه الحاجب بنيابة الوجه القبلي، ورسم له أن يحكم من جزيرة القط إلى أسوان، ويولى من يختار من الولاة، ويعزل من كره.

وفي سادسه: خلع على الأمير نوروز لـتقدمة العساكر، وأفرج عن علي بن غريب الهواري، وأقيم عوضا عن محمد بن عمر الهواري.

وفي سابعه: انفق في المماليك بالريدانية مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار. وعند تمام النفقة خلع على الأمير

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١١/٣

يلبغا السالمي، واركب حجرة بسرج وكنفوش وسلسلة ذهب.
وفيه رحل الجاليش من الريدانية، وفيه من الأمراء نوروز الحافظي مقدم العساكر، وبكتمر أمير سلاح، ويلبغا الناصري، وتمراز أمير مجلس، وسودون الدوادار، وشيخ المحمودي، ودقماق أمير حاجب.
وفي ثامنه: رحل السلطان ببقية العسكر، وعدة من سار أولا وثانيا نحو سبعة آلاف فارس، وأقام بقلعة الجبل من الأمراء أينال باي بن قجماس، وأينال حطب رأس نوبة. وأقام بالإصطبل سودون بن زادة، وبهادر فطيس، وبيسق الشيخي أمير أخور. وأقام خارج القاهرة الأمير الكبير بيبرس، وهو نائب الغيبة، ومعه الأمير أقباي حاجب الحجاب.
وأما تنم نائب الشام، فإنه وجه نائب حلب بعسكره إلى جهة مصر في ثامنه. وخرج في تاسعه ومعه الأمير أيتمش وبقية العساكر، ومن انضم إليهم من التركمان. وخيم على قبة يلبغا خارج دمشق، حتى لحقه بقية العسكر، ومن سار معه من القضاة، وعمل الأمير جركس أبو تنم نائب الغيبة.
وفي حادي عشره: رحل الأمير تنم من ظاهر دمشق، وتبعه ابن الطبلاوي في ثاني عشره. وسار نائب طرابلس بعسكره ساقة.
وكان تنم من حين قدم عليه أيتمش يعمل كل يوم موكبا أعظم من الآخر، حتى قيل إنه أعظم من موكب الملك الظاهر، وكان يركب بالدف والشبابة والجاويشية والشعراء. وفي خدمته من الأمراء مقدمي الألوف ما يزيد على خمسة وعشرين، سوى أمراء الطبلخاناه. وجمع من التركمان جمعا عظما. وأخر موكب عمله بدمشق كان فيه عسكر دمشق وطرابلس وحماة وحلب، والأمير أيتمش، ومن معه من **المصريين** ومن انضم إليهم من التركمان في نحو أربعة آلاف. وانفق من الأموال على العساكر ما لا يحصي، وأنعم عليهم من الخيل و الجمال والعدد وآلات الحرب. مما لا يعبر عنه، فصار في جيش عظيم جدا.." (١)
"وفي رابع عشره: ورد كتاب السلطان بالقبض على شرف الدين محمد بن الدماميني قاضي الإسكندرية، فقبض عليه من منزله بالقاهرة، وسجن في برج بقلعة الجبل. وعظم الإرجاف بهجوم يلبغا القاهرة، فسدت الخوخ في سابع عشره وغلقت أبواب القاهرة من عشاء الآخرة، وخرج الأمير أقباي والأمير يلبغا السالمي، والأمير بيسق، والأمير ناصر الدين محمد بن سنقر أستادار الذخيرة، والأملاك، في ثلاثمائة من المماليك السلطانية، إلى ملاقاة يلبغا المجنون بالعباسة، في يوم الخميس حادي عشرينه، وساروا. وفيه قدم يشبك العثماني، وعلى يده كتاب السلطان بوصوله إلى تل العجول - ظاهر مدينة غزة - في ثامن

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٥/٣

عشره، وقد برز نائب حماة، ونائب صفد، وأقبغا اللكاش وتغري بردى، وفارس، وأرغون شاه، ويعقوب شاه، وفارس نائب ملطية، في عدة من أمراء الشام وحلب وغيرها، تبلغ عدتهم نحو خمسة آلاف فارس، يريدون الحرب، فلقيتهم عساكر السلطان، وقاتلوهم من بكرة النهار إلى وقت الظهر. مخرج اللكاش وانهزم في جماعة، ودخل في الطاعة الأمير دمرداش المحمدي نائب حماة، والأمير ألطبغا العثماني نائب صفد، والأمير صراي تمر الناصري أتابك العساكر بحلب، وجقمق نائب ملطية، وفرج بن منجك، في عدة من الأمراء والأجناد. وملك السلطان غزة من يومه، فدقت البشائر بذلك، ونودي بزينة القاهرة ومصر، فزينتا، وخلع على يشبك العثماني، ولما أراد الله أنكر شخص يقال له سراج الدين عمر الدمياطي - من صوفية خانقاة شيخو - أن يكون هذا الخبر صحيحا، فقبض عليه وضرب على كتفيه ضربا مبرحا، وشهر على حمار، قد أركبه مقلوبا، وجهه إلى جهة ذنبه، وطيف به القاهرة، ثم سجن بخزانة شمائل، في يوم الجمعة ثاني عشرينه.

وفي خامس عشرينه: كان العسكر قد وصل إلى نحو العباسة، فلم يقفوا ليلبغا على خبر، وقيل لهم إنه سار إلى قطيا، فنزل الأمراء بالصالحية فلم يروا أحدا، فعادوا إلى القاهرة. وسار ابن سنقر وبيسق نحو بلاد السباخ في طلبه فلم يجداه، فعادا في يوم الجمعة ثامن عشرينه إلى غيفا، وأقاما فلم يشعرا إلا ويلبغا المجنون قد طرقهما، وقبض عليهما، وأخذ خطهما بجملة من المال، فارتجت القاهرة لذلك.

وأما تنم نائب الشام، فإن البريد وصل إلى دمشق من جهته في ثالث عشرينه، أنه وصل إلى الرملة، وأن المصريين وصلوا إلى غزة، وبعثوا إليه قاضي القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوي في طلب الصلح فدقت الكوسات لذلك، وأصبحوا يوم الأحد رابع عشرينه بدمشق، فأغلقوا الأبواب التي للمدينة وسدوها بالحجارة، إلا باب النصر وباب الفرج، واحد بابي الجابية، وباب توما، فعجب الناس من ذلك، وكثر الكلام.

وفي يوم السبت سلخه: حضر إلى القاهرة قمج الخاصكي من البحر، فانه سار من عند السلطان على البريد إلى قطيا، فبلغه خبر يلبغا المجنون، فركب البحر من الطينة، وعلى يده كتاب السلطان من الرملة بالنصر على تنم نائب الشام.

وملخص ذلك أن تنم نزل على الرملة بمن معه. وكان لما قدم عليه من انكسر من عسكره على غزة، شق عليه ذلك، وأراد أن يقبض على بتخاص والمنقار، ففارقاه ولحقا بالسلطان. وأن السلطان بعث إليه من غزة بقاضي القضاة صدر الدين المناوي في يوم الثلاثاء تاسع عشره، ومعه ناصر الدين محمد الرماح أمير أخور،

وطغاي تمر مقدم البريدية، وكتب له أمانا، وأنه باق على كفالته بالشام إن أراد ذلك. وكتب إليه الأمراء يقولون له: أنت أبونا وأخونا، وأنت أستاذنا، فإن أردت الشام فهي لك، وإن أردت مصر كنا مماليكك وغلمانك، فصن الدماء. وكان الأمراء والعسكر في غاية الخوف منه لقوته، وكثرة عدده، وتفرقهم، واختلافهم، فسار إليه القاضي وحدثه في الصلح ووعظه، وحذره الشقاق والخروج عن طاعة السلطان. فقال: ليس لي مع السلطان كلام، ولكن يرسل إلى الأمير يشبك وسودون طاز وجركس المصارع، وجماعه عينهم، ويعود الأمير أيتمش كما كان هو وجميع الأمراء الذين معه. فإن فعل ذلك، وإلا فما بيني وبينهم إلا السيف. وثبت على ذلك، فقام القاضي ليخرج، فخرج معه بنفسه إلى خارج الخيمة، وأركبه فرسا في غاية الحسن، وعضده لما ركب.

فقدم القاضي يوم الخميس حادي عشرينه ومعه أحد خاصكية السلطان، ممن كان عند تنم، وعوقه نحو أربعة أشهر عن الحضور، وأعاد الجواب فاتفق الجميع على محاربته.." (١)

"هذا ونائب القلعة ممتنع بها، وقد حاصره تمر، فخرب ما بين القلعة والجامع بالحريق وغيره. ثم إن النائب سلم بعد تسعة وعشرين يوما. فلما تكامل حصول المال الذي هو بحسابهم ألف تومان، حمل إلى تمر، فقال لابن مفلح وأصحابه: هذا المال بحسابنا، إنما هو ثلاثة آلاف دينار. وقد بقي عليكم سبعة آلاف ألف دينار، وظهر أنكم قد عجزتم. وكان تمر لما خرجت إليه الطقزات، وفرض للجباية الأولى التي هي ألف ألف دينار، قرر مع ابن مفلح وأصحابه أن ذلك على أهل البلد، وأن الذي تركه العسكر المصري من المال والسلاح والدواب وغير ذلك لا يعتد به لهم، وإنما هو لتمر. فخرج الناس إليه بأموال أهل مصر. وبدا منهم في حق بعضهم بعضا من المرافعات أنواع قبيحة، حتى صارت كلها إليه. فلما علم أنه قد استولى على أموال المصريين ألزمهم بإخراج أموال الذين فروا من التجار وغيرهم إلى دمشق خوفا منه. وكان قد خرج من دمشق عالم عظيم، فتسارعوا إلى حمل ذلك إليه، وجروا على عادتهم في النميمة بمن عنده من ذلك شيء، حتى أتوا على الجميع. فلما صار إليه ذلك كله ألزمهم أن يخرجوا إليه سائر ما في المدينة من الخيل والبغال والحمير والجمال، فاخرج إليه جميع ما كان في المدينة من الدواب، حتى لم يبق بها شيء من ذلك. ثم ألزمهم أن يخرجوا إليه جميع آلات السلاح، جليلها وحقيرها، فتتبعوا ذلك، ودل بعضهم على بعض، حتى لم يبق بها من آلات القتال وأنواع السلاح شيء. ثم بعد حمل الفريضتين ورميه ابن مفلح ومن معه بالعجز عن الاستخراج، قبض على أصحاب ابن مفلح، وألزمهم أن يكتبوا له جميع خطط دمشق

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٧/٣

وحاراتها وسككها، فكتبوا ذلك ودفعوه إليه، ففرقه على أمرائه. وقسم البلد بينهم، فساروا إليها، ونزل كل أمير في قسمه، وطلب من فيه، وطالبهم بالأموال، فكان الرجل يوقف على باب داره في أزرى هيئة، ويلزم بما لا يقدر عليه من المال، فإذا توقف في إحضاره عذب بأنواع العذاب من الضرب وعصر الأعضاء، والمشي على النار، وتعليقه منكوشا، وربطه بيديه ورجليه، وغم أنفه بخرقة فيها تراب ناعم، حتى تكاد نفسه تخرج، فيخلى عنه حتى يستريح، ثم تعاد عليه العقوبة. ومع هذا كله تؤخذ نساوه وبناته وأولاده الذكور، وتقسم جميعهم على أصحاب ذلك الأمير، فيشاهد الرجل المعذب امرأته وهي توطأ، وابنته وهي تقبض بكارتها، وولده وهو يلاط به، فيصير هو يصرخ مما به من ألم العذاب، وابنته وولده يصرخون من ألم إزالة البكارة، وإتيان الصبي، وكل هذا نهارا وليلا، من غير احتشام ولا تستر. ثم إذا قضوا وطرهم من المرأة، والبنت والصبي، طالبوهم بالمال، وأفاضوا عليهم أنواع العقوبات، وأفخاذهم مضرجة بالدماء. وفيهم من يعذب بأن يشد رأس من يعاقبه بحبل ويلويه حتى يغوص في الرأس، وفيهم من يضع الحبل على كتفي المعذب ويديره من تحت إبطه، ويلويه بعصا حتى ينخلع الكتفين. وفيهم من يربط إبهام اليدين من وراء الظهر ويلقي المعذب على ظهره، ويذر في منخريه رمادا سحيقا، ثم يعلقه بإبهام يديه في سقف الدار، ويشعل النار تحته. وربما سقط في النار فسحبوه منها، وألقوه حتى يفيق، فيعذب أو يموت، فيترك.

واستمر هذا البلاء مدة تسعة عشر يوما، آخرها يوم الثلاثاء ثامن عشرين رجب، فهلك فيها بالعقوبة ومن الجوع خلق لا يدخل عددهم تحت حصر.

فلما علموا أنه لم يبق في المدينة شيء له قدر، خرجوا إلى تمرلنك، فأنعم بالبلد على أتباع الأمراء، فدخلوها يوم الأربعاء آخر رحب، ومعهم سيوف مشهورة، وهم مشاة، فنهبوا ما بقي من الأثاث وسبوا نساء دمشق بأجمعهن، وساقوا الأولاد والرجال، وتركوا من عمره خمس سنين فما دونها، وساقوا الجميع مربطين في الحبال. ثم طرحوا النار في المنازل، وكان يوما عاصف الريح، فعم الحريق البلد كلها، وصار لهب النار يكاد أن يرتفع إلى السحاب، وعملت النار ثلاثة أيام، آخرها يوم الجمعة.." (١)

"وبلغ سعر لحم الضأن كل رطل بخمسة دراهم ونصف، والدرهم الكاملي، كل عشرة دراهم بثلاثة وثلاثين درهما من الفلوس، والطائر الأوز بسبعين درهما. وقلت اللحوم، فلم توجد إلا بعناء، وهي هزيلة وأبيع الرطل من لحم البقر بثلاثة دراهم ونصف، واللبن كل رطل بدرهمين، والرطل السمن بثمانية عشر درهما. وبيعت خمس بقرات بخمس وعشرين ألف درهم، وخروفان بألفين وأربعمائة درهم، وزوج أوز

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٢/٣

بثلاثمائة درهم. وانحل سعر الغلات، فبيع الأردب القمح بمائتين وعشرين بعد أربعمائة ونيف، والأردب الشعير بمائة وأربعين بعد مائتين ونيف، والحمل التبن بثلاثين إلى أربعين بعد مائة ونيف. وأبيع في شهر ربيع الأول الأردب الحمص بخمسمائة، والأردب من حب البرسيم بثمانمائة. والفضة الكاملية كل مائة درهم بأربعمائة درهم من الفلوس. وبلغ الرطل اللحم من الضأن إلى اثني عشر درهما، والرطل من اللحم المسموط عشرة دراهم، ورطل اللحم البقري إلى أربعة دراهم وربع. والبيضة الواحدة بنصف درهم، والرطل الزيت بستة دراهم، والسيرج بتسعة دراهم، وعسل النحل كل رطل بثمانية عشر درهما، والجبن من الحالوم بسبعة دراهم الرطل، والقدح الحمص المصلوق بثلاثة دراهم، والقدح الفول المصلوق بدرهمين ونصف، وكل رغيف زنة سبع أواقي بدرهم، والبطة الدقيق زنة خمسين رطلا بمائة درهم وعشرة دراهم. وارتفع سعر القمح بعد انحطاطه، فبلغ الأردب إلى أربعمائة درهم، سوى كلفة وهي: عشرة عشرة دراهم، وحمولة سبعة دراهم، وغربلته بدرهمين، وأجرة طحنه ثلاثون درهما. وأكثر ما يخرج عنه خمس ويبات ونصف، فينقص الأردب نصف سدسه وبلغ الأردب الفول إلى ثلاثمائة وعشرين درهما غير حمولته وعسرته، والشعير كذلك. وبيعت الفجلة الواحدة بربع درهم، والدجاجة بنحو عشرين درهما، والجيدة بأربعين درهما، والمعلوفة بمائة درهم ونيف، وأبيع الكتان كل رطل بعشرة دراهم واشترى جمل من الحجاز بخمسة وأربعين درهما كاملية، فبيع بسوق الجمال تحت قلعة الجبل بنحو تسعمائة درهم. واشتري جمل آخر من الحجاز بمائة وأربعين درهما كاملية، فأبيع بريف مصر بألف ومائتي درهم، واسترخص، وقيل قد غبن بائعه، وارتفع سعر الثياب، فبلغ الذراع من الكتان المنسوج عشرة دراهم بعد ثلاثة. وبيع الثوب الصوف بألفين وخمسمائة بعد ثلاثمائة، والبدن الفرو السنجاب بألفين ونيف بعد ثلاثمائة، وبلغ ثلاثة آلاف درهم البدن، وبلغ البدن الفرو السمور بخمسة عشر ألف درهم. وبيع زوج أوز بثلثمائة وخمسين درهما.

وفي نصف جمادى الأولى نودي بتسعير الذهب بمائة درهم المثقال، وثمانين درهما الأفرنتي، فكسد كسادا عظيما، وكثر في الأيدي ورده الناس، وامتنعوا من أخذه في ثمن المبيعات، خوفا من انحطاط سعره. وتغيب الصيارفة، فتوقفت أحوال الناس، حتى نودي بعد أيام بالسعر الذي ذكر، فسكنوا قليلا وغلت البزور، فبلغ القدح من بزر القرع، وبزر الجزر، وبزر البصل إلى مائة درهم ونيف. وتعطل كثير من الأراضي لاتساع النيل بكثرة زيادته، وعجز الفلاحين عن البذر، سيما أراضي الصعيد فإن أهلها بادوا موتا بالجوع والبرد، وباعوا أولادهم بأبخس الأثمان، فاسترق منهم بالقاهرة خلائق، ونقل الناس منهم إلى البلاد الشامية ما لا يعد، فبيعوا في أقطار الأرض كما يباع السبي، ووطئ الجواري بملك اليمين. ولقد كنت أسمع قديما أنه يتوقع

لأهل مصر غلاء، وجلاء، وفناء. فأدركنا ذلك كله في سني ست، وسبع، وثمان مائة. وهلك فيها ما ينيف على ثلثي أهل مصر، ودمر أكثر قراها.

وفي آخر جمادى الأولى: عز وجود الشعير، فبلغ إلى ثلاثمائة وستين درهما الأردب. وبلغ الأردب الفول إلى أربعمائة درهم، لكثرة أكل الناس له، وبيع الرطل البصل بدرهمين، والرطل الثوم بخمسة دراهم هذا مع اختلاف أهل الدولة، وكثرة تحاسدهم.

وفي ثامن عشره: قدم الأمير دقماق دمشق، وذلك أنه لما فر من حلب اجتمع هو والأمير جكم بحماة وكان دمرادش قد أفرج عن سودن طاز وجكم، وسار بهما من طرابلس إلى حلب وخرج بهما لقتال التركمان فانكسر، وفر جكم إلى حماة، فاجتمع بدقماق بعدما قتل سودن طاز، وصارا في جماعة، فبعث السلطان يخبر دقماق في بلد ينزل بها، فأحب الإقامة بدمشق وخرج الأمير شيخ إلى لقائه وأكرمه.

شهر جمادى الأولى، أوله الجمعة:." (١)

"وفي سادس عشرة: قرئ بدمشق كتاب السلطان بإلزام الناس بعمارة ما خرب من المساكن والمدارس وغيرها داخل مدينة دمشق. وفيه خلع على تاج الدين رزق الله ناظر الجيش بدمشق، واستقر نائب السلطة بالقدس، وناظر أوقاف القدس والخليل. ولم نعهد مثل ذلك أن كاتبا يلي نيابة السلطة ببلد.

وفي آخره: نودي بالقاهرة ألا يركب أحد من القضاة والفقهاء والكتاب والتجار وأجناد الحلقة فرسا، ولا بغلا إلا أن يكون في خدمة السلطان، أو الأمراء الكبار، فامتنع الجميع. ثم أذن لطوائف في الركوب بمراسيم سلطانية، وكتبت من ديوان الإنشاء. فكان الرجل يحمل مرسومه معه خشية من تعرض المماليك له. واشتد الأمر في ذلك أياما، ثم انحل.

شهر رمضان، أوله الجمعة: في يوم الأربعاء سادسه: نودي بالقاهرة ألا يتعامل أحد بالذهب، وهدد من باع بالذهب واشترى، وكان قد وصل المثقال إلى مائة وسبعين فلوسا، كل درهم وزنه أوقيتان، واستدعى الأمير جمال الدين جميع أهل الأسواق، وكتب عليهم قسايم بذلك، فنزل بالناس من ذلك ضرر عظيم، من أجل أن النقد الرابح الذهب وبه معاملة الكافة أعلاهم وأدناهم، ومنع أيضا من صنع الذهب المطرز والمصوغ، فاستمر الحال على ذلك أياما. ثم نودي في حادي عشرينه بأن يتعامل الناس بالذهب على أن يكون كل مثقال بمائة وعشرين، وكل دينار مشخص بمائة درهم، فشح الناس بإخراج الذهب، وارتفعت الأسعار ارتفاعا كثيرا.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٦٠/٣

وفي ليلة الاثنين حادي عشره: فر من دمشق الأمير برسباي حاجب الحجاب، فلم يعلم خبره، وأقام الأمير شيخ عوضه الأمير ألطنبغا القرمشي. وفيه شرع الأمير شيخ في عمارة مواضع من داخل مدينة دمشق مما خرب في فتنة تيمورلنك، وألزم الناس بالعمارة في أماكنهم، ومن عجز فليؤجر ذلك، فأخذ الناس في ذلك.

وفي ليلة حادي عشرينه: خرج الأمير شيخ من منزله بدار السعادة ماشيا إلى جامع بني أمية، بثياب بدلته، وهو حاف متواضع لربه تعالى، حتى دخل الجامع، وتصدق بأقراص محشوة بالسكر وغير محشوة، فعم القراء والفقراء. وطلب أرباب السجون المعسرين، فأدى غرماؤهم ما عليهم من الديون.

وفي بكرة نهاره: قدم يشبك الأفقم من حلب إلى دمشق، وقد مشى على المملكة كلها، فأكرمه الأمير شيخ، وأنعم عليه، وأعاده إلى القاهرة في ثالث عشرينه.

وفي هذا الشهرة ضرب الأمير شيخ بدمشق فلوسا كل ستة منها بثمن درهم. وكانوا منذ سنين يتعاملون بها وزنا، كل رطل دمشقي بثمانية دراهم، فصارت على حسابها عددا كل رطل باثني عشر درهما، ووزن الفلس منها درهم، فشملت المضرة في هذا الشهر أهل مصر والشام من جهة المعاملة.

وفي هذا الشهر: كوتب الأمير قرا يوسف، جوابا عن مكاتبته عند أخذه تبريز.

شهر شوال، أوله الأحد: في خامسه: قبض الأمير شيخ على الأخناي قاضي دمشق وسجنه، من أجل أنه وشى به أنه يكاتب الأمير نوروز ثم أفرج عنه آخر النهار، على أن يقوم بثلاثمائة ثوب أبيض، نصفها وجوه ونصفها بطائن، فأخذ في جمعها.

وفي سادسه: قدمت ولاية نجم الدين بن حجي القضاء عوضا عن الأخناي وتاريخ توقيعه ثالث عشر شهر رمضان.

وفي تاسع عشره: وصل إلى دمشق تشريف السلطان للأمير شيخ، فركب إلى تلقيه، ولبسه خارج دمشق، وعاد إلى دار السعادة. ثم لبس بن حجي تشريفة بولايته قضاء دمشق ومضى إلى الجامع، فقرئ تقليده بحضرة الحاجب والوزير والقضاة والأعيان. وأخذ مع القضاء جميع ما بيد ابن الأخناي من الوظائف، سوى نظر وقف القلانسي، فإنه خرج باسم كاتبه أحمد بن علي المقريزي.

وفي هذا الشهر: نودي بالقاهرة أن يكون المثقال الذهب بمائة درهم فامتنع الناس من إظهاره، وارتفع سعر المبيعات ارتفاعا زائدا.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه: سار المحمل بالحاج مع الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير جمال الدين الأستادار، وبلغت نفقة الأمير جمال الدين على الحاج في هذه السنة إلى أربعين ألف دينار، منها لشيخ

الجبال مبلغ خمسين ألف درهم.

شهر ذي القعدة، أوله الثلاثاء: في رابعه: نودي بالقاهرة أن يكون المثقال الذهب بمائة، والأفرنتي ثمانين، وألا يمكن أحد من السفر بشيء من الذهب، فاشتد الأمر على الناس.." (١)

"وفي يوم الخميس: سار السلطان إلى أن نزل ظاهر مدينة بصرى، فتحقق هناك خبر الأمير شيخ، وأنه في عصر يوم الأربعاء الماضي بلغه أن السلطان قد سار في إثره، فوحل فزعا يريد صرخد، فأقام السلطان على بصرى إلى بكرة السبت. وقدم عليه ببصرى من الشيخية الأمير برسباي والأمير سودن اليوسفي، فكتب بذلك إلى دمشق. ثم سار ونزل بقرية عيون – تجاه صرخد – فكانت حرب بين أصحابه وبين الشيخية، قتل فيها فارسان من الشيخية، وجرح من السلطانية جماعة، ففر منهم جماعة إلى الأمير شيخ، فلحقوا به. وكثر تخوف السلطان من أمرائه ومماليكه. وبلغه أنهم عولوا على أنه إذا وقع مصاف الحرب، تركوه ومضوا إلى الأمير شيخ، فبات ليلته مستعدا لأن يؤخذ، ودبر أمرا كان فيه نجاته. وهو أنه لما أصبح عند طلوع الفجر، نادى ألا تهد خيمة، ولا يحمل جمل، وأن يركب العسكر خيولهم، ويجر كل فارس جنيبه مع غلامه، من غير أن يأخذوا أثقالهم ورا جمالهم. وسار بهم كذلك، وقد أخر الأمراء ومن يخشاه من المماليك وراءه، وتقدم أمامهم في ثقاته. فلم يفجأ القوم إلا ومد طلع عليهم من ثنية هناك، وقد عبأ الأمير شيخ أصحابه، فأوقف المصريين ناحية، وقدم عليهم الأمير تمراز الناصري نائب السلطة، ووقف في ثقاته – وهم نحو الخمسمائة فارس – وحطم عليهم السلطان بنفسه ومن معه، فانهزم تمراز بمن معه من أول وهلة، وثبت الأمير شيخ فيمن معه، فكانت بينهم معارك صدرا من النهار، وأصحاب الأمير شيخ تنسل منه، وهو يتأخر إلى جهة القلعة. وكانت الحرب بين جدران مدينة صرخد، فولى السلطان وطاق الشيخية، وانتهب أصحابه جميع ما كان فيه من خيل، وجمال، وثياب، وأثاث، وخيام، وآلات، وغيرها، فحازوا شيئا كثيرا. واستولى السلطان على جامع صرخد، وأصعده أصحابه، فرموا من أعلى المنارة بمكاحل النفط والأسهم الخطالية على الأمير شيخ، وحمل السلطان عليه حملة واحدة منكرة، فانهزم أصحاب شيخ، والتجأ في نحو العشرين إلى قلعة صرخد، وكانت خلف ظهره، وقد أعدها لذلك، فتسارع إليه عدة من أصحابه، وتمزق باقيهم، فأحاط السلطان بالمدينة، ونزل على القلعة، فأتاه الأمراء فهنوه بالظفر، وامتدت الأيدي إلى صرخد، فما تركوا بها لأهلها جليلا ولا حقيرا، حتى أخذوه نهبا وغصبا.

فامتلأت الأيدي مما لا يدخل تحت حصر. وسار الأمير تمراز، وسودن بقجة، وسودن الحلب، وسودن

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٠٢/٣

المحمدي، وتمربغا المشطوب - نائب حلب - وعلان، في عدد كبير إلى دمشق، فقدموها يوم الاثنين تاسعه، فقاتلهم العامة في عاشره، ودفعوهم عن البلد، فولوا يريدون جهة الكرك، بعدما قتل منهم وجرح جماعة. وتأخر كثير منهم بدمشق، ومضى طائفة إلى جهة حماة وحلب، فأخذ منهم بدمشق وغيرها عدد كثير.

وفي عاشره: قدم كتاب السلطان إلى دمشق بخبر الواقعة. وفيه قدم من صرخد إلى دمشق الأمير برد بك نائب حماة، وسار إليها في رابع عشره.

وفي رابع عشره: قدم دمشق الأمير تغري بردى ابن أخي دمرداش من صرخد، متوجها إلى حلب، نائب الغيبة بها، عن عمه الأمير دمرداش. وقدم أيضا الأمير أقباي حاجب الحجاب، وقد مرض بصرخد، ليقيم بدمشق حتى يبرأ. وقدم الأمير قردم، وقضاة مصر، وتاج الدين رزق الله ناظر جيش دمشق، في جماعة، فأقاموا بدمشق.

وقدم أيضا كتاب السلطان فقرئ بالجامع الأموي. وفيه خبر وقعة صرخد، وأنه قد حصر الأمير شيخ بالقلعة، وعزم ألا يبرح حتى يأخذه، وأنه رد أمور دمشق إلى الأمير قردم، وأن من ظفر بأحد من الأمراء المنهزمين وأحضره فله من المال كذا. وفيه قبض بدمشق على الكليباتي والي دمشق في أيام الأمير شيخ، فضرب ضربا مبرحا.

وفي ثامن عشره: قدم الخبر على السلطان بأن التراكمين كسروا الأمير نوروز كسرة قبيحة، فدقت البشائر بصرخد. وفيه قبض بدمشق على علم الدين داود الكويز وأخيه صلاح الدين خليل من بيت نصراني. وفيه قدم من صرخد إلى دمشق الأمير دمرداش نائب حلب وطرابلس، فأقام بها إلى حادي عشرينه، وسار إلى محل كفالته.

وفي حادي عشرينه: اشتد الطلب بدمشق على من اختفى من الشيخية. وفيه أخرج من دمشق بالمنجنيق إلى صرخد.." (١)

"وفي يوم الاثنين سادسه: سار السلطان من دمشق، ونزل برزة، ثم رحل بعسكره يريد محاربة الأميرين شيخ ونوروز، ومن انضم إليهما من الأمراء **المصريين**، ومن معهم. فنزل حسيا بالقرب من حمص، فبلغه رحيل القوم من قارا إلى جهة بعلبك، فترك أثقاله بحسيا. وسار في أثرهم إلى بعلبك، وقد توجهوا إلى البقاع، فقصدهم، فمضوا نحو الصبيبة وهو يتبعهم، حتى نزلوا باللجون، فأشار عليه كاتب سره فتح الله أن يعود

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٠٨/٣

إلى دمشق، ولا يتوجه إلى اللجون فإذا استقر بدمشق، تخير لنفسه إما أن يبعث إليهم عسكرا، أو يصفح عنهم ويوليهم أماكن، أو يريح عساكره ويخرج إليهم، فمال إلى قوله، وكاد أن يعود، فخلا به شياطينه – أقبغا النظامي، أحد الدوادارية، وألطنبغا شقل، وأضرابهما من الفجار المفسدين – وقبحوا هذا الرأي، وشجعوه على المسير إلى أعدائه، وأنه عندما يلقاهم يأخذهم عن آخرهم أخذا باليد، فإنهم كلهم في قبضته، ورموا عنده فتح الله بأنه ما قال هذا ولا أشار به إلا وهواه مع القوم. وكان الناصر يميل مع من يستميله، ويؤثر فيه قول كل قائل، فانفعل لهذا، واستدعى فتح الله، وأوسعه سبا، وملأ آذانه توبيخا وتهديدا بحضرة الملأ، ورماه بأنه مع أعدائه عليه فخرج وقد اشتد غيظه وغضبه، وملئ حنقا وحقدا.

وركب السلطان من ساعته وساقه وهو ثمل، فما وصل إلى اللجون حتى تقطعت عساكره من شدة السوق، ولم يبق معه غير من ثبت وهم أقل ممن تأخر، وكان قد دخل وقت العصر من يوم الاثنين ثالث عشره، والقوم قد نزلوا قبله، وأراحوا، وفي ظنهم أنه يتمهل ليلته ويلقاهم من الغد، فإذا جنهم الليل، ساروا بأجمعهم من وادي عارة إلى جهة الرملة، وسلكوا البر عائدين إلى حلب، وليس في عزمهم أن يقاتلوه أبدا، خوفا منه وعجزا عنه. فلما أراد الله سبحانه لم يتمهل، وحمل بنفسه من فوره – حال وصوله – واقتحم عليهم، فارتطمت طائفة ممن معه في وحل كان هناك من سيل عظيم حصل عن قريب. وخامر مع ذلك عليه طائفة أخرى، ومضوا إلى القوم، فقووا. وثبت السلطان في حماته وثقاته، فقتل الأمير مقبل الرومي أحد أمراء الألوف، وزوج ابنة الملك الظاهر التي كانت تحت الأمير نوروز، وتركها عند خروجه من مصر، فأنكحها السلطان قبل هذا بعقد ملفق، لا يعبأ الله به، وقتل أيضا أحد رءوس الفتنة ألطنبغا شقل. وانهزم السلطان وقد جرح في عدة مواضع، ونجا بنفسه، وهو يريد دمشق، ليكون بها مصرعه. وفاته الرأي أخيرا كما فاته أولا، فلم يتوجه إلى مصر، وعدل عنها ليقضي الله أمرا كان مفعولا.

وأحاط القوم بالخليفة المستعين بالله، وكاتب السر فتح الله، وناظر الخاص تقي الدين عبد الوهاب بن أبي شاكر، وناظر الجيش بدر الدين حسن بن نصر الله. وكان الناصر أمرهم أن يقفوا على حدة. فذكر لهم كاتب السر أن الرأي أن يتوجه إلى صفد، فإذا انتصر السلطان أتيناه، فأبى وكان هذا من سوء تدبيره أيضا، فإن القوم إزدادوا بالخليفة ومن ذكرنا قوة إلى قوتهم، وبهم تم لهم الأمر، وأحاطوا أيضا بجميع ما كان مع الناصر من مال وخيول وجمال وغير ذلك، ما عدا الأثقال التي تركها بحسيا، فإنها عادت إلى دمشق، في ثاني عشره، قبل الوقعة بيوم، فما غربت الشمس حتى صار القوم من الخوف إلى الأمن، ومن الذل إلى العز، فتقدم شهاب الدين أحمد بن حسن بن الأذرعي – إمام الأمير شيخ – وصلى بهم المغرب، فقرأ في

الركعة الأولى بعد الفاتحة بصوته الشجي " واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض، تخافون أن يتخطفكم الناس، فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون " فوقعت قراءة هذه الآية أحسن موقع بمناسبة الحال.." (١)

"وطرق ديار مصر الغلاء من سنة ست وثمانمائة، فبذل أمراء دولته ومدبروها جهدهم في ارتفاع الأسعار، بخزنهم الغلال وبيعها بالسعر الكبير، ثم زيادة أجرة أطيان أراضي مصر، حتى عظمت كلفة ما تخرجه الأراضي، وأفسدوا مع ذلك النقود بإبطال السكة الإسلامية من الذهب، والمعاملة بالدنانير المشخصة، التي هي ضرب النصارى. ورفعوا سعر الذهب حتى بلغ إلى مائتين وأربعين كل مثقال، بعدما كان بعشرين درهما. وعكسوا الحقائق، فصيروا الفلوس – التي لم تكن قط في قديم الدهر ولا حديثه نقدا رابحا – هي التي ينسب إليها ممن المبيعات، وقيم الأعمال. وأخذت على نواحي مصر مغارم تجبى من الفلاحين في كل سنة، وأهمل عمل جسور أراضي مصر، وألزم الناس أن يقوموا عنها بأموال تجبى منهم، وتحمل إليه.

وأكثر وزرائه من رمي البضائع على التجار ونحوهم من الباعة بأغلى الأثمان، واضطروهم إلى حمل ثمنها، فعظمت مغارمهم للرسل التي تستحثهم، ولمستخرجي المال منهم مع الخسارة في أثمان ما طرح عليهم من البضائع، لا جرم أن خرب إقليم مصر، وزالت نعم أهله، وقلت أموالهم، وصار الغلاء بينهم كأنه طبيعي، لا يرجى زواله.

هذا مع تواتر الفتن واستمرارها بالشام ومصر، وتكرار سمره إلى البلاد الشامية، مما من سفرة إليها إلا وينفق فيها خارجا عما عنده من الخيول والسلاح وغير ذلك، زيادة على ألف ألف دينار، يجبيها من دماء أهل مصر، ومهجهم. ثم يقدم إلى الشام، فيخرب الديار ويستأصل الأموال، ويدمر القرى. ثم يعود وقد تأكدت أسباب الفتنة، وعادت أعظم ما كانت.

فخربت الإسكندرية، وبلاد البحيرة، وأكثر الشرقية، ومعظم الغربية، والجيزية، وتدمرت بلاد الفيوم، وعم الخراب بلاد الصعيد، بحيث بطل منها زيادة على أربعين خطة كانت تقام في يوم الجمعة، ودثر ثغر أسوان، وكان من أعظم ثغور المسلمين، فلم يبق به أمير ولا كبير لا سوق ولا بيت، وتلاشت مدائن الصعيد كلها، وخرب من القاهرة وظواهرها زيادة على نصف أملاكها. ومات من أهل إقليم مصر بالجوع والوباء نحو ثلثي الناس. وقتل في الفتن بمصر مدة أيامه خلائق لا تدخل تحت حصر، مع تجاهره بالفسوق من شرب

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣/١٤٤

الخمر، وإتيان الفواحش، والتجرؤ العظيم على الله – جلت قدرته – ، والتلفظ من الاستخفاف بالله تعالى ورسله ما لا تكاد الألسنة تنطق بحكايته لقبيح شناعته.

ومن العجيب أنه لما ولد كان قد أقبل الأمير يلبغا الناصري بعساكر الشام لينزع أباه الملك الظاهر من الملك، وهو في غاية الاضطراب من ذلك، فعندما بشر به، قيل له: ما نسميه فقال: بلغاق يعني فتنة، وهي كلمة تركية، فقبض على أبيه وسجن بالكرك –كما تقدم ذكره – وهو لم يسم. فلما عاد برقوق إلى الملك عرض عليه، فسماه فرج، فما كان في الحقيقة إلا فتنة. أقامه الله سبحانه نقمة على الناس لذيقهم بعض الذي عملوا. ومن عجيب الاتفاق أن حرف اسمه فرج وعدده ا ثلاثة وثلاثون ومائتان، وهي عدد جركس، فكان فناء طائفة الجركس على يديه، فإن حروفها يعني إذا أسقطت بحروف اسمه. وكانت وفاته عن أربع وعشرين سنة، وثمانية أشهر، وأيام.

وفي يوم الأحد عاشر صفر هذا: قبض على الأخناي قاضي دمشق، وعلى رزق الله ناظر جيشها، وعلى الأمير غرس الدين خليل الأستادار، وعلى فخر الدين بن المزوق كاتب سر الناصر، وعلى يحيى بن لاقي، وسلموا للأمير نوروز. ثم شفع فيهم فأطلقوا بعد أيام، ما عدا غرس الدين، فإنه استمر في قبضة الأمير نوروز، وصادره.

وفي ثامن عشره: خلع على صدر الدين علي بن الآدمي، واستقر في كتابة السر بدمشق، عوضا عن محيي الدين يحيي بن زكريا البهنسي، وخلع على شهاب الدين أحمد ابن محمد بن الأموي، واستقر في قضاء المالكية بدمشق.." (١)

"فيه سار السلطان من الريدانية، وصعد قلعة الجبل، فانتفض عليه ألم رجله من ضربات المفاصل، وانقطع بداخل الدور. وفيه قدم الأمير يشبك نائب الكرك إليها، فوجدها خرابا، وقد تهدم أكثر قلعتها، ونفد ما كان بها حاصلا من السلاح وغيره.

وفي ثامنه: أخرج الأمير جرباش كباشة منفيا إلى القدس، ورسم بإخراج الأمير أرغون الرومي – أمير أخور في الأيام الناصرية – بطالا إلى القدس أيضا، فسأل أن يتأخر إلى بعد العيد، فأجيب، ثم سار بعد عيد الفطر.

وفيه خلع على الأمير ألطنبغا العثماني، واستقر أتابك العساكر عوضا عن الأمير يلبغا الناصري بعد موته.

وفي يوم السبت عاشره: ركب السلطان من القلعة إلى خارج باب النصر، وشق القاهرة، وصعد القلعة،

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٥١/٣

فهدمت الزينة.

وفي ثاني عشره: قبض على الأمير قجق حاجب الحجاب، والأمير بيبغا المظفري، والأمير تمان تمر أرق، وحملوا في الحديد إلى الإسكندرية، صحبة الأمير صماي. وفيه خلع على الأمير ألطنبغا العثماني، واستقر في نظر المارستان المنصوري، وخلع على قاضي القضاة جمال الدين عبد الله بن مقداد بن إسماعيل الأقفهسي المالكي وأعيد إلى القضاة المالكية بديار مصر، وعزل شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الأموي المغربي.

وفي ثالث عشره: كتب للأمير صوماي الحسني المسفر بالأمراء أن يستقر في نيابة الإسكندرية، وأن يحضر الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين إلى القاهرة.

وفي خامس عشره: خلع على الأمير سودن القاضي، واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن الأمير قجق، وعلى الأمير قجقار القردمي، واستقر أمير مجلس، وعلى الأمير جانبك الصوفي رأس نوبة، واستقر أمير سلاح عوضا عن الأمير شاهين الأفرم، وقد مات. وخلع على الأمير كزل العجمي الأجرود – حاجب الحجاب في الأيام الناصرية – واستقر أمير جاندار، عوضا عن الأمير جرباش كباشة. وفيه قبض على ثلاثة من أمراء العشرات، وهم طقز ونفاه إلى الشام، ومنطاش نفاه إلى صفد، وتنبك القاضي نفاه إلى طرابلس، وأخرج خاصكيا يعرف بسودن الأعراج إلى قوص منفيا.

وفي سابع عشره: قدم الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين من الإسكندرية.

وفي تاسع عشره: خلع على الأمير تنبك ميق، واستقر رأس نوبة النوب، عوضا عن الأمير جانباك الصوفي، وخلع على الأمير أقباي الخازندار واستقر دوادارا كبيرا، عوضا عن الأمير جانباك بعد موته. وفيه أفرج عن الأمير كمشبغا العيساوي من سجنه بدمياط وقدم القاهرة، ونقل الأمير سودن الأسندمري، والأمير قصروه، وشاهين الزردكاش، وكمشبغا الفيسي أمير أخور إلى دمياط.

وفي خامس عشرينه: قدم الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين للسلطان مائة فرس وثيابا وسلاحا، فكانت قيمة ذلك خمسة عشر ألف دينارا.

وفي يوم الاثنين سادس عشرينه: خلع على الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين، وأعيد إلى الأستادارية، وكان ابن أبي الفرج – لما سار من القاهرة إلى الشام كما تقدم – داخله خوف من السلطان، ففر في أوائل شهر رجب – وهو بمدينة حماة – إلى جهة بغداد، وسد تقي الدين عبد الوهاب بن أبي شاكر – وهو يلي نظر الديوان المفرد – أمور الأستادارية في هذه المدة.

وفي هذا الشهر: انحل سعر الغلال، حتى بيع كل ثلاثة أرادب من القمح بدينار، وكل أربعة أرادب شعير بدينار. وفيه كثرت الدراهم الفضة بأيدي الناس، وكان قد بعد عهد أهل مصر بها. وفقدوها، وتركوا المعاملة بها من نحو ثلاثين سنة وأزيد. وكانت هذه الدراهم مما جلبه العسكر وأتباعهم من البلاد الشامية، وهي صنفان: أحدهما يقال له الدراهم النوروزية، وهي التي ضربها الأمير نوروز كما تقدم ذكره، ونقش عليها اسم أمير المؤمنين المستعين بالله العباس بن محمد، وزنة الدرهم منها نصف درهم فضة خالصة من النحاس، والصنف الآخر الدراهم البندقية، وهي التي تضرب ببلاد الفرنج، وعليها سكتهم، وهي فضة خالصة.

شهر شوال: في أوله: حمل إلى الإسكندرية الأمير سودن الأسندمري وقصروه وكمشبغا الفيسي أمير آخور وشاهين الزردكاش، فسجنوا بها، وكتب بإحضار الأمير كمشبغا العيساوي من دمياط. وفيه أمر السلطان بضرب الدراهم المؤيدية فضربت. وفيه ولي السلطان عدة ولاة في نواحي أرض مصر، وضرب جماعة، وقتل عدة من مشايخ النواحي.." (١)

"وفي رابع عشره: قدم الأمير فخر الدين بن أبي الفرج من الوجه القبلي ومعه ستة آلاف رأس من البقر، وثمانية آلاف رأس من الغنم، وألفا جمل، وألفا قنطار من القند، وعدد كثير من الإماء والعبيد، ومبلغ وافر من الذهب، وذلك أنه فرض على أهل البلاد مالا قاموا به فمن النواحي من فرض عليها الألفي دينار. وفرض على هوارة خمسة وعشرين ألف دينار، عوضوه عن أكثرها أصنافا فما هو إلا أن قدم أخذ يطرح الأبقار وغيرها على نواحي بلاد الجيزة وسائر الوجه البحري، وعلى دواليب الناس بالقاهرة من البساتين والمعاصر، بأغلى الأثمان، وبث أعوانه في طرح ذلك وجباية ثمنه، فأذاقوا الناس أنواع المكاره، ونظر في الرقيق الذي أحضره - وفيه من بنات أهل الصعيد عدة قد استرقهن بعد الحرية - ففرق من خيارهن طائفة على الأعيان، وطئوهن - على زعمهم - بملك اليمين، واختار لنفسه طائفة، وباع باقيهن مع ما جلبه من العبيد، فشملت مضرته عامة أهل مصر، من أعلى الصعيد إلى أسفل مصر، وصادر مع هذا عدة من أعيان الصعيد، فاختل الإقليم بهذا من فعله خللا فاضحا.

وفي تاسعه: نودي أن يكون سعر الدينار الأفرنتي بمائتين وثلاثين فنقص ثلاثين، وأن يكون الدينار الهرجة بمائتين وخمسين فنقص ثلاثين أيضا، وأن لا يتعامل بالدينار الناصري وإنما يقص، وكان قد بلغ إلى مائتين وعشرين، فوقفت أحوال الناس، وكسدت الأسواق وذلك أن القصد جباية ممن ما طرح من البضائع بنوع آخر من التجسر.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٦٩/٣

هذا والنيل ينادي عليه كل يوم إصبع، من سادس عشره إلى ثالث عشرينه، فارتفع سعر القمح من مائة وثمانين الأردب إلى مائتي درهم، فلما كان يوم السبت رابع عشرينه لم يناد عليه، فقلق الناس، وطلبوا القمح، وساءت ظنونهم، وأصبح الناس يوم الأحد وقد نقص ستة أصابع، ثم زاد سبعة أصابع، فرد النقص، وزاد إصبعا نودي به في يوم الاثنين سادس عشرينه واستمرت الزيادة في كل يوم، فانحل سعر القمح.

شهر جمادى الآخرة، أوله الجمعة: في ثامن عشره: وقع الشروع في بناء برجين بجانبي باب السلسلة، أحد أبواب قلعة الجبل.

وفي حادي عشرينه: عزل ابن يعقوب عن حسبة القاهرة، واستقر فيها عماد الدين ابن بدر الدين بن الرشيد، وكان ينوب في الحسبة عن التاج وغيره، وناب أبوه في حسبة مصر أكثر من أربعين سنة متوالية، وخلع الأمير طوغان نائب الغيبة.

وفي رابع عشرينه: - الموافي له سادس عشرين مسرى - وفي النيل ستة عشر ذراعا، وفتح الخليج على العادة، واستمرت زيادة النيل في كل يوم بقية الشهر.

وأما السلطان فإنه رحل من العكرشة في رابع صفر، فلما نزل سبخة بردويل - في ثاني عشره - قدم ناصر الدين بن خطاب الحاجب بدمشق، وعلى يده سيف الأمير ألطنبغا العثماني نائب الشام، وقد قبض عليه وسجن بقلعة دمشق، وكان من خبره أن كتب قبل ذلك إلى الأمير شاهين الحاجب الكبير بدمشق بالقبض على المذكور وسجنه، فوافاه الكتاب والنائب قد توجه من دمشق، وهو بنابلس، فلما بلغه الخبر بادر بالتوجه إلى دمشق، فلقيه شاهين بعسكر دمشق، قريبا من الخربة، وقرأ عليه كتاب السلطان، فأذعن وحل سيفه بيده، وتوجه صحبة العسكر إلى دمشق حتى تسلمه نائب القلعة، فسار السلطان، ونزل غزة في يوم السبت خامس عشره على مصطبة، استجدها بظاهر المدينة، ضرب مخيمه عليها، ونودي بالأمان والاطمئنان، فقدم الأمير غرس الدين خليل الجشاري نائب صفد، والأمير بدر الدين حسن بن بشارة مقدم البلاد الصفدية بغزة، ثم ما زال يسير، وأمراء العربان ومشايخ البلاد والمقدمين يردون عليه إلى أن وصل إلى برج الكثيبة في يوم الخميس سابع عشرينه، فقدم عليه قصاد الأمير علي باك بن دلغادر، وكردي باك بن كندر، والأمير طغريل بن صقلسيز بمكاتباتهم يسألون الصفح والعفو عنهم، ويعدون بحضورهم إلى الطاعة، فأجيبوا بأنهم أن صدقوا وداسوا البساط، وإلا فليتخذ كل منهم نفقا في الأرض أو سلما في السماء، ثم قدم من

الغد الأمير أقباي نائب الشام بعسكر دمشق، لملاقاة السلطان، وقدم سيف الأمير آق بردى أحد الأمراء المقدمين الألوف بالديار المصرية، وقد مات في ليلة الخميس المذكور بدمشق.." (١)

"وفي ليلة الجمعة سابعه: عمل المولد السلطاني على العادة، في كل سنة وحضر الأمراء وقضاة القضاة الأربع ومشايخ العلم وجمع كبير من القراء والمنشدين، فاستدعى قاضي القضاة ولي الدين أحمد بن العراقي ليحضر، فامتنع من الحضور، فتكرر استدعاؤه حتى جاء فأجلس عن يسار السلطان حيث كان قاضي القضاة زين الدين التفهني جالسا، وقام التفهني فجلس عن يمين السلطان، فيما يلي قاضي القضاة علم الدين صالح ابن البلقيني.

وفي ثاني عشره: توجه الأمير قصروه نائب طرابلس إلى محل كفالته.

وفي هذه الأيام: وجدت ورقة بالقصر، فيها شناعات علي علم الدين بن الكويز كاتب السر، منها أنه يريد إقامة ابن الملك المؤيد شيخ في السلطنة، فعرف من ألقاها، فدل على الذي كتبها، وهو رجل من الفقراء يقال له حسن العليمي، يخدم قبر الشيخ علي بن عليم بالساحل، فاعترف أنه كتبها نصيحة للسلطان، فبعث به السلطان إلى ابن الكويز، فثبت علي قوله وفاجأه بما لا يحب، فنفاه إلى بلاد الصعيد.

وفي خامس عشره: سار الأمير أرغون شاه إلى بلاد الصعيد ليجبي أهلها، كما جبى الوجه البحري.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشرينه: ثارت ريح مريسية طول النهار، فلما كان قبل الغروب بنحو ساعة، ظهر في السماء صفرة من قبل مغرب الشمس، كست الجدران والأرض بالصفرة، ثم أظلم الجو حتى صار النهار مثل وقت العتمة، فكنت أمد يدي فلا أراها لشدة الظلام، فما بقي أحد بمصر إلا واشتد فزعه، فلما كان بعد ساعة وقت الغروب أخذ الظلام ينجلي قليلا قليلا، وعقبه ريح عاصف كادت المباني تتساقط وتمادي طول ليلة الأربعاء، فرأى الناس أمرا مهولا من شدة هبوب رياح عاصفة، وظلمة في النهار والليل لم يعهد مثلها، بحيث كان جماعة في هذه الليلة مسافرين وسائرين خارج القاهرة فتاهوا من شدة الظلام طول ليلتهم حتى طلع الفجر، وعمت هذه الظلمة أرض مصر حتى وصلت دمياط والإسكندرية وجميع الوجه البحري وبعض بلاد الصعيد، ورأى بعض من يظن به الخير في منامه كان قائلا يقول ما معناه: لو لا شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم **لأهل مصر** لأهلكت هذه الريح الناس، لكنه شفع فيهم، فحصل اللطف.

وفي هذا الشهر: كثر الوباء بدمشق.

وفيه أضيفت ولاية مصر وحسبتها إلى الأمير تاج الدين الشويكي وإلى القاهرة.

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٠١/٣

وفيه رسم بمصادرة نجم الدين عمر بن حجي قاضي القضاة الشافعي بدمشق، وشهاب الدين أحمد بن محمود بن الكشك قاضي القضاة الحنفي بها، وعدة من تجارها، فصودروا.

وفيه رسم بإيقاع الحوطة على خيول أهل الوجه البحري من الغربية والبحيرة ونحوها فأخذت.

وفيه قدم إلى المدينة النبوية جراد عظيم أتلف عامة زروعها وأشجارها، حتى أكل الأسابيط من فوق النخل فأمحلت ونزح كثير من أهلها، فمات معظم الفقراء النازحين جوعا وعطشا، ولا قوة إلا بالله.

شهر ربيع الآخر، أوله الأحد: في ثانيه: عدى السلطان إلى بر الجيزة، وأقام بناحية وسيم في أمرائه ومماليكه يتنزه، ثم عاد.

وفي سادس عشرينه: قدم الأمير تنبك البجاسي نائب حلب، فخلع عليه، ورتب له ما يليق به، وقدم له الأمراء على مقدارهم.

وفي هذا الشهر: كثر الوباء بدمشق.

وفيه قدم الخبر أن مدينة الكرك تلاشى أمرها، وخربت قراها وتشتت أهلها، وأنها آيلة إلى الدثور.

وفيه عدى مصطفى بن عثمان من اسطنبول إلى أزنيك وملكها بعد ما حاصرها مدة، فسار إليه أخوه مراد بعساكره وقاتله، فظفربه وقتله، وعاد إلى برصا، وقد صفا له الجو.

شهر جمادى الأولى، أوله الثلاثاء: في ثالثه: توجه الأمير تنبك البجاسي إلى حلب على نيابته.

وفيه أبيع الخبز كل ثلاثة أرغفة بدرهم من الفلوس، وأبيع الأردب القمح بثمانين درهما، فيكون كل ثلاثة أرادب بمثقال ذهب، وكل أردب بأربعة دراهم فضة، وكل ستين رغيفا بدرهم فضة، ولم يعهد مثل هذا الرخاء في هذه الأزمنة، ومع ذلك فالرخاء عام بالشام والحجاز، فالله يحسن العاقبة.

وفي رابع عشره: خلع على الأمير جقمق، واستقر أمير أخور، عوضا عن قصروه نائب طرابلس، وكانت في هذه المدة شاغرة.." (١)

"وأخذوا يدعون الله على أنفسهم أن يغرقهم ولا يحييهم حتى يأخذوا هذه الأبقار ليستريحوا مما هم فيه من الغرامات والخسارات وتحكم الظلمة فيهم بالضرب والسب والإهانة. وقرأ واحد منهم فاتحة الكتاب، ودعا بذلك، وهم يؤمنون على دعائه، فما هو إلا أن توسطوا النيل وتجاوزوه حتى كادوا أن يصلوا إلى بر منبابة. وإذا بمركبهم انقلبت، فغرقوا بأجمعهم، إلا قليلا منهم، فإنهم نجوا. وكانت عدة الغرقى عشرين رجلا وأربع نسوة، فارتجت القاهرة بعويل أهاليهن عليهن، وكثرت الشناعة على الأمير أرغون شاه، وذهب الغرقى

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٧٢/٣

بلا قاتل ولا قود.

وفي ثالث عشرينه: رسم السلطان أن لا يكون لقاضي القضاة الشافعي إلا عشرة نواب، وأن يكون للحنفي ثمانية نواب وللمالكي ستة وللحنبلي أربعة. فعمل ذلك مديدة، ثم أعيد من عزل منهم بزيادة. وقد ساءت قالة العامة فيهم، وأكثروا من التشنيع بما يغرمه المتداعيان في أبوابهم، حتى اتضعت نواب القضاة في أعين الكافة، وانحطت أقداراهم عند أهل الدولة، وجهروا بالسوء من القول فيهم.

واتفق في هذه السنة ما لم نعهده وهو انتشار الحمرة عند طلوع الفجر إلى شروق الشمس في جميع الجهة الشمالية، التي يسميها **المصريون** وجه بحري؛ وانتشار الحمرة في الجهة الشمالية أيضا بعد غروب الشمس حتى يمضي من الليل ساعة، وتصير الأرض والجدران وغير ذلك في هذين الوقتين كأنها صبغت بالحمرة. وتمادى هذا الحال أربعة أشهر، وانقضى شهر رجب هذا والأمر على ذلك.

وفيه تناقص الوباء ببلاد الشام، بعد ما عم كورة دمشق وفلسطين والساحل. وبلغت عدة من مات بصالحية دمشق زيادة على خمسة عشر ألف إنسان. وأحصي من ورد ديوان دمشق من الموتى فكانوا نحو الثمانين ألفا، وكان يموت من غزة في كل يوم مائة إنسان وأزيد، وكان معظم من مات الصغار والخدم والنساء، فخلت الدور منهم إلا قليلا وفيه وقع الوباء ببلاد الخليل عليه السلام.

شہر شعبان، أوله السبت: في يوم الجمعة سابعه: ورد الخبر بأن الأمير جانبك الصوفي فر من السجن بالإسكندرية، فلم يقدر عليه، فقبض بسببه على جماعة وعوقبوا عقوبات كثيرة.

وقدم الخبر بوقوع الوباء بدمياط.

وفي يوم الخميس عشرينه: خلع على الأمير جرباش قاشق، واستقر حاجب الحجاب. وكانت شاغرة منذ انتقل جقمق عنها، وصار أمير أخور.

وفيه كتب باستقرار الأمير تنبك البجاسي نائب حلب، في نيابة الشام، بعد موت تنبك ميق. واستقر شارقطلوا نائب حماة في نيابة حلب، عوضا عن تنبك البجاسي، واستقر جلبان - أمير أخور الملك المؤيد شيخ - في نيابة حماة. وقد كان من جملة أمراء دمشق. وتوجه الأمير جانبك الخازندار في ثامن عشرينه بتقاليد المذكورين وتشاريفهم. وفيه رسم بإعادة نجم الدين عمر بن حجي إلى قضاء القضاة بدمشق، وحمل تقليده وتشريفه.

وفيه جرى الماء في خليج الإسكندرية، وعبرت فيه السفن، وذلك أنه غلب الرمل عرى أشتوم بحيرة الإسكندرية حتى جف ماؤها، وصارت الريح تسفي الرمال على الخليج، إلى أن علت أرضه، وجف ماؤه

من بعد سنة سبعين وسبعمائة، وصار الماء لا يدخل إليه إلا أيام الزيادة، فإذا نقص ماء النيل جف الخليج. ولذلك خرجت أكثر بساتين الإسكندرية وضياعها التي على الخليج. وصار شرب أهلها من الماء المخزون بالصهاريج. وحاول السلاطين حفر هذا الخليج مرارا، فلم ينجح عملهم، لقلة المعرفة بأمره، ثم إن السلطان ندب الأمير جرباش قاشق – أحد مقدمي الأولوف – لعمل هذا الخليج، فجمع من النواحي ثمانمائة، وخمسة وسبعين رجلا، وابتدأ في حفره من حادي عشر جمادى الأولى من حنى فم النيل. وصار كلما حفر منه شيئا أرسل الماء عليه من الفم، حتى انتهى حفره في حادي عشر شعبان هذا لتمام تسعين يوما، وعبر الماء في اليوم المذكور إلى الإسكندرية، وقد خرج الناس لرؤيته، وسروا به سرورا كبيرا. وكانت كلفة الحفر مما جبى من النواحي التي تسقى من الخليج، ومن بساتين الإسكندرية.

شهر رمضان، أوله الأحد: في ثانيه – الموافق له سادس مسرى – : كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، فنزل الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان، حتى خلق عمود المقياس، وفتح الخليج على العادة.

وفيه قبض على الأمير سودن الأشقر أحد مقدمي الألوف، ونفي بطالا إلى القدس. ثم أنعم عليه بإمرة في دمشق، فتوجه إليها.." (١)

"وفي ثامن عشرينه: وصل من القدس مائة وعشرة رجال من الفرنج الجرجان، وقد قدموا لزيارة قمامة على عادتهم، فاتهموا أن فيهم عدة من أولاد ملوك الكيتلان الذين كثر عيثهم وفسادهم في البحر، فأحضروا ليكشف عن حالهم، وهم بأسوأ حال فسجنوا مهانين. ثم أفرج عنهم بعد أيام، وقد مات منهم عدة.

شهر صفر، أوله الاثنين: في سادسه: رسم باستقرار سراج الدين عمر بن موسى بن حسن الحمصي – قاضي طرابلس – في قضاء القضاة الشافعية بدمشق، عوضا عن بهاء الدين محمد بن نجم الدين بن عمر بن حجي. وقد وعد بأربعة آلاف دينار يقوم بها. واستقر عوضه في قضاء طرابلس صدر الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن محمد النويري، بمبلغ ألف وثلاثمائة دينار. وأعيد القاضي شمس الدين محمد بن علي بن محمد الصفدي إلى قضاء القضاة الحنفية بدمشق، على أن يقوم بألفي دينار. وعزل شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن نجم الدين محمود بن الكشك.

وفي سادسه: عقد بين يدي السلطان مجلس جمع فيه قضاة القضاة الأربع بسبب نذر شاه رخ أن يكسو الكعبة، فأجاب قاضي القضاة بدر الدين العيني بأن نذره لا ينعقد، فانفضوا على ذلك.

وفيه خلع على نكار الخاصكي، واستقر شاه جدة. وخلع معه على علم الدين عبا الرزاق الملكي، واستقر

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٧٤/٣

عوضا عن سعد الدين بن المرة. وساروا بعد أيام إلى مكة – شرفها الله تعالى – في البحر.

وفى تاسعه – الموافق لسابع عشر توت: وهو يوم عيد الصليب عند قبط مصر – نودي بزيادة إصبع لتتمة عشرين ذراعا وعشر أصابع.

وفي ثالث عشره: كتب إلى مكة – شرفها الله تعالى – بأن يتحدث الأمير سودن المحمدي المجرد هناك في نظر الحرم. وكتب أيضا بألا يؤخذ من التجار الواردين إلى جدة من الهنود سوى العشر فقط، وأن يؤخذ من التجار الشاميين **والمصريين** إذا وردوا جدة ببضائع اليمن عشران. وأن من قدم إلى جدة من التجار اليمنيين ببضاعة تؤخذ بضاعته بأجمعه١ للسلطان من غير ثمن يدفع له عنها.

وسبب ذلك أن تجار الهند في هذه السنين صاروا عند ما يعيرون من باب المندب يجوزون عن بندر عدن حتى يرسوا بساحل جدة كما تقدم، فأقفرت عدن من التجار، واتضع حال ملك اليمن لقلة متحصله. وصارت جدة هي بندر التجار، ويحصل لسلطان مصر من عشور التجار مال كبير. وصار نظر جدة وظيفة سلطانية، فإنه يؤخذ من التجار الواردين من الهند عشور بضائعهم. ويؤخذ مع العشور رسوم تقررت للناظر والشاد، وشهود القبان، والصيرفي، ونحو ذلك من الأعوان وغيرهم. وصار يحمل من قبل سلطان مصر مرجان ونحاس ويخر ذلك مما يحمل من الأصناف إلى بلاد الهند، فيطرح على التجار. وتشبه به في ذلك غير واحد من أهل الدولة. فضاق التجار بذلك ذرعا، ونزل جماعة منهم في السنة الماضية إلى عدن، فتنكر السلطان بمصر عليهم؛ لما فاته من أخذ عشورهم، وجعل عقوبتهم أن من اشترى بضاعة من عدن وجاء بها إلى جدة، إن كان من الشاميين أو **المصريين**، أن يضاعف عليه العشر بعشرين، وإن كان من أهل اليمن أن تؤخذ بضاعته بأسرها. فمن لطف الله تعالى بعباده أنه لم يعمل بشيء من هذا الحادث، لكن قرئت هذه المراسيم تجاه الحجر الأسود، فراجع الشريف بركات ابن عجلان أمير مكة في أمرها للسلطان، حتى عفا عن التجار وأبطل ما رسم به.

وكانت العادة التي أدركناها أن الحرم يلي نظره فاضي مكة الشافعي، فبذل بعض التجار العجم المجاورين بمكة – وهو داود الكيلاني – مالا للسلطان حتى ولاه نظر الحرم، وعزل عنه أبا السعادات جلال الدين محمد بن ظهيرة قاضي مكة في السنة الماضية. فلما قدم مكة وقرئ توقيعه تجاه الحجر الأسود على العادة، أنكره الشريف بركات، وراجع السلطان في كتابه إليه بأن الففراء وغيرهم من أهل الحرم لم يرضوا

بولاية داود، وأنه منعه من التحدث، وأقام سودن المحمدي المجهز لعمارة الحرم يتحدث في النظر حتى يرد ما يعتمد عليه، فكتب لسودن المحمدي في التحدث في نظر الحرم، فباشر ذلك.." (١)

"وفي ثاني عشرينه: قدم الركب الأول من الحجاج، وقدم المحمل في يوم الخميس ثالث عشرينه ببقية الحجاج، بعدما نزل بالحاج بلاء عظيم، وهو أن ركب الغزاويين، ومن إنضم إليهم من أهل الرملة، ومن أهل القدس، وبلاد الساحل، وأهل ينبع، لما " نزلوا في عودهم من مكة بوادى عنتر قريب من أزلم خرج عليهم من عرب بلى نحو أربعين فارسا، ومائة وعشرين راجلا، يطلبون منهم مالا، فأما الينابعة فإنهم جبوا لهم مبلغا من الذهب دفعوه إليهم، فكفوا عنهم، وتركوهم، فلحقوا الركب، وأما الغزاويون فإستعد مقدمهم ورمى العرب بالنشاب، وقتل منهم ثلاثة، فحملوا عليه حملة منكرة،، أخذوه فيها، ومالوا على الركب يقتلون ويأسرون وينهبون، فما عفوا ولا كفوا، فيقول المكثر إنهم أخذوا ثلاثة آلاف جمل بأحمالها، وعليها من المال ما بين ذهب وفضة وبضائع وأزودة الحاج ما لا يقدر قدره كثرة. وخلص من تفلت من الركب، وهم عراة حفاة، يريدون اللحاق بالمحمل، فمات منهم عدة، ولحق بالمحمل عدة، وتأخر بالبرية منهم عدة. قدم منهم إلى القاهرة من تأخرت منيته فيما بعد من البر والبحر، بأسوأ حال، وفقد الناس من الرجال والنساء والصبيان والبنات عددا كبيرا، فكانت هذه الحادثة من شنائع ما أدركناه. و لم يمتعض لها أحد لإهمال أهل الدولة الأمور، وإعراضهم عن عمل المصالح. ولا قوة إلا بالله.

ولى يوم السبت خامس عشرينه: خلع على الطواشى شاهين الساقي، وإستقر في مشيخة الخدام بالمسجد النبوي، عوضا عن ولى الدين محمد بن قاسم المحلى، مضحك السلطان.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرنيه: قدم مماليك نواب الشام، وعلى أيديهم المطالعات، تتضمن أنهم ملكوا مدينة أرزكنان على ما تقدم ذكره، ومن العجب أن مدينة أقشهر وقلاعها، ومدينة أرزنكان، أخذت للسلطان الملك الأشرف برسباى، وباعه وهو ميت، وسطوته ومهابته في قلوب أهل تلك البلاد، مع بعدها عنه، وأوامره نافذة في تلك الرعايا، ولو علموا أنه قد مات لما أمكن العسكر السلطانية فعل شىء من ذلك ولكن الله يفعل ما يريد، وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له.

وفي هذا الشهر: بعد رحيل العساكر السلطانية عن أرزنكان سار الأمير حمزة ابن قرايلك من ماردين لأخذ أرزنكان. وقد تنكر على أخيه يعقوب من أجل أنه سالم العساكر السلطانية، حتى دخلوا المدينة، فخرج إليه جهان كير إبن أخيه، وأقام جعفر إبن أخيه يعقوب بمدينة أرزنكان، فعندما التقى الجمعان خامر أكثر

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٦٩/٣

من مع حمزة، وصاروا إلى جهان كر، فإنهزم بعد وقعة كانت بينهما، وقد جرح.

شهر صفر، أوله الخميس: فيه تجمع عدة من المماللك على القاضي زين الدين عبد الباسط عند نزوله من القلعة. وهموا به، فولى يريد القلعة وهم في طلبه، حتى إمتنع منهم بدخوله القلعة، وقد حماه جماعة، فأقام يومه وبات بها، وهو يطلب الإعفاء من نظر الجيش والأستادارية . فلما أصبح يوم الجمعة طلع الأمير الكبير نظام الملك جقمق، وجميع أهل الدولة، وخرج السلطان إلى الحوش، فإستدعى بالقاضي عبد الباسط. وجرت بينه وبين الأمير الكبير مخاطبات في إستمراره على محادثه، وهو يطلب الإعفاء من المباشرة، إلى أن خلع عليه، وعلى مملوكه الأمير جانبك أستادار. ونزلا من القلعة على فرسين أخرجا لهما من الاصطبل، بقماش ذهب، وقد ركب معه إلى داره عظماء الدولة.

وفي يوم الأحد رابعه: وردت مطالعة الأمير أينال الجمكى نائب الشام، بقدومه حلب، هو والعساكر المجردة، في العشرين من المحرم، إلا الأمير تغرى برمش نائب حلب، فإنه لما بلغه وفاة السلطان الملك الأشرف عزم أن يكبس الأمراء **المصريين**، فبلغهم ذلك، فإستعدوا له حتى دخلوا حلب، فبلغهم أنه كتب إلى نائب الغيبة ألا يمكنهم من المدينة، هذا وقد جمع عليه عدة من طوائف التركمان وأن الأمير أينال نائب الشام أخذ في تخذيلهم عنه، وأرسل إليه يعتبه على إنفراده عنهم، فاعتذر بتخوفه من الأمراء **المصريين** .

وفي يوم السبت عاشره: رسم أن يقتصر في حضور الخدمة السلطانية على أربعة أيام في الأسبوع، وأن تكون الخدمة بالقصر فقط. ويتوفر حضور أهل الدولة إلى القلعة في يوم الأحد ويوم الأربعاء ويوم الجمعة، وهى الأيام التي عمل فيها الخدمة بالحوش. ثم إنتقض ذلك بعد قليل .." (١)

"وفي يوم السبت ثاني عشرينه: خلع على الأمير تنم المؤيدى الخازندار، وإستقر في حسبة القاهرة، عوضا عن نور الدين على السويفى الإمام. وخلع على الأمير قانباى الجركسى رأس نوبة، وإستقر شاد الشرابخاناه، عوضا عن على بيه. وخلع على قانبك الساقي، وإستقر خازندارا، عوضا عن جكم خال العزيز.

وفي هذا اليوم: نودي على النيل بزيادة إصبع واحد، لتتمة ثمانية عشر ذراعا وعشرين أصبعا وهو سادس عشر توت، فأصبح يوم الأحد ثالث عشرينه، وسابع عشر توت ويقال له عند **أهل مصر** عيد الصليب وقد نقص ماء النيل، وإستقر في النقص، فلم يتم ري النواحي، وشرق كثير من الأراضي.

وكان قد إتفق في يوم الأربعاء تاسع عشره عندما تسلطن الملك الظاهر جقمق هبوب ريح شديدة عاصفة حارة أثارت غبارا ملأ آفاق السماء، حتى كادت الشمس تخفى عن الأبصار، أو إختفت، وتمادت هذه

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤١٦/٣

الريح يوم الخميس، وسكنت يوم الجمعة، وإشتد الحر طول النهار، وأقبل الليل وقد طبق السحاب الآفاق، وأمطرت يسيرا غير مرة، حتى أصبح يوم السبت. فتطير الناس من ذلك، وزعم من عنده أثارة من علم أن هبوب هذه الرياح يؤذن بحدوث فتن، وأن المطر في هذا الوقت يخاف منه نقص النيل، فكان كذلك، ونقص النيل في يومه ويخاف عاقبة هذا النقص. إلا أن يشاء الله.

وفي يوم الإثنين رابع عشرينه: إبتدئ بالنفقة السلطانية، لكل واحد من المماليك مائه دينار وفي يوم الثلاثاء خامس عشرينه: قدم الأمير جرباش قاشق من دمياط، وقد أفرج السلطان عنه، وأنعم عليه بإمرة مائة تقدمة ألف، بعدما أقام عدة سنين مسجونا .

وفي يوم الخميس سابع عشرينه: عمل السلطان المولد النبوي بالقلعة على عادة من تقدمه من الملوك الجركسية، فكان وقتا حسنا، وأعطة جليلة بالنسبة إلى الوقت. وانفض الجمع بعد صلاة المغرب.

وفي يوم الجمعة ثامن عشرينه: كسف من الشمس قريب من ثلثي جرمها، بعد نصف النهار، فاصفرت الأرض وما عليها، حتى انجلت، ولم تجتمع الناس ولا صلوا صلاة الكسوف. وزعم أهل علم الحدثان أن ذلك يدل على خروج أهل الشام وأهل صعيد مصر عن طاعة السلطان.

وفي يوم السبت تاسع عشرينه: تجمع تحت القلعة نحو الآلف فارس من مماليك الأمراء يريدون إثارة الفتنة، من أجل أنه أنفق في المماليك السلطانية ولم ينفق فيهم، ولم تجر العادة بالنفقة في مماليك الأمراء، فأنفق فيهم لكل نفر، شهر ربيع الآخر، أوله الأحد.

في يوم الثلاثاء ثالثه: خلع على شيخ الشيوخ القاضي محب الدين محب بن الأشقر وإستقر في نظر المارستان، عوضا عن نور الدين على بن مفلح، وكانت شاغرة منذ مات.

وفيه قبض على الصاحب تاج الدين الخطير ناظر الاصطبل، وعلى ولده وأخذت خيولهما، وألزما بحمل عشرين ألف دينار لتغير خاطر السلطان عليه من حين كان أمير أخور .." (١)

"وفي يوم الجمعة عاشره: وردت مطالعة الأمير أقبغا التمرازي نائب الشام، ومطالعات الأمراء بذكر واقعة أينال الجكمى. وملخصها أن العساكر المتوجهة من القاهرة، والمتجمعة بالرملة، نزلوا في يوم الأربعاء مستهله بمنزلة الخربة، وقد قدموا بين أيديهم جماعة لكشف الأخبار فجاءت الكشافة وأخبرت بقرب أينال الجكمى منهم، فركبوا وقد عبوا جموعهم ستة أطلاب، وهم الأمير أقبغا التمرازي نائب الشام والأمير جلبان نائب حلب ، والأمير أينال الأجرود نائب صفد، والأمير طوخ مازي نائب غزة، والأمير طوغان نائب القدس،

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٢٢/٣

والأمير غرس الدين خليل المستقر في نيابة ملطية، وساروا بمن معهم من العربان والعشران جاليشا، حتى وصلوا إلى مضيق قرن الحرة، وإذا بجاليش أينال الجكمى، وهو الأمير قانصوه النوروزي، ومعه نائب بعلبك، وكاشف حوران، ومحمد الأسود بن القان، وشيخ العشير، وفرعلي الدكري أمير التركمان، وخليل بن طور على بن سقل سيز التركماني، وكثير من العربان، والجمع نحو ألف فارس، فكانت بين الفريقين وقعة كبيرة إنهزمت فيها الأطلاب الستة، وإذا بالأمير أينال الجكمى قد أقبل، فركب أقفية القوم حتى أوصلهم إلى السنجق السلطاني، وتحته الأمير قراقجا الحسنى أمير أخور، والأمير تمرباى رأس نوبة النوب، وبقية الأمراء المصريين والمماليك السلطانية فثبتوا له وقاتلوه، وهو يقاتلهم مقدار ساعة، فهزموه بعد أن قتل جماعة من الفريقين، يقول المكثر زيادة على خمسمائة رجل، منهم الأمير صرغتمش المستقر دوادار حلب وجرح خلق كثير، وقبض على محمد بن الأمير قانصوه، وعلى الأمير تنم العلاى، والأمير خاير بك القوامي، والأمير يبرم صوفي، في جماعة، وقد حال بينهم الليل، فلما أصبحوا يوم الخميس، ورد الخبر عليهم من دمشق بالقبض على أينال الجكمى من قرية حرستا وقد إختفى بها في مزرعة، ومعه نفر يسير، وذلك أن رجلا فطن به، فدل عليه نائب القلعة، فبعث في طلبه جماعة طرقوه، فدافع عن نفسه، حتى طعن في جنبه ودمي في وجهه، فأخذ وجيء به على فرسه، وقد وقف من العي، فلم يصل إلى القلعة إلا بعد العصر، والناس في جموع كثيرة لرؤيته، فسجن مقيدا في القلعه، ودخل الأمير أقبغا التمرازي نائب الشام إلى دمشق أوائل نهار الجمعة ثالثه في العساكر، وهم بسلاحهم، فنزل دار السعادة بغير ممانع.

وفى هذا اليوم: قتل بدمشق محمد المعروف ببلبان شيخ كرك نوح، وولده محمد الخرباني، وكان من خبره أنه قدم بجموعه نصرة لعساكر السلطان، فلم يصل حتى إنقضت الوقعة، فدخل في خدمة النائب حتى عبر دار السعادة، وتفرق الأمراء وغيرهم في منازلهم، فتوجه بلبان فيمن توجه حتى كان عند المصلى، والعامة قد ملأت الطرقات، فصاح به وبمن معه من العشير جماعة من أراذل عامة دمشق قائلين " أبا بكر، أبا بكر " يكررون ذلك مرارا، يريدون نكاية بلبان وجماعته، فإنهم يرمون بأنهم رفضة.

فلما كثر ذلك من العامة أخذ بعض العشير يضرب واحدا منهم، فوثبوا به، وألقوه عن فرسه ليقتلوه، فإجتمع أصحابه ليخلصوه من العامة، وقاتلوهم، فبادروا وذبحوا ذلك البائس وتناولوا الحجارة يرمون بها بلبان وقومه، ووضعوا أيديهم فقتلوا بلبان وإبنه وجماعته، وهم خمسمائة أو يزيدون، بغير سبب ولا أمر سلطان ولا حاكم،

فلم ينتطح في قتلهم عنزان، ولا تحرك لهم إثنان، فكان ذلك من الحوادث الشنعة، وما أراه إلا أمرا له ما بعده، ولله عاقبة الأمور.." (١)

"وفي ثاني عشرينه: خلع على غرس الدين خليل بن أحمد بن على السخاوي أحد خواص السلطان وإستقر في نظر القدس والخليل عوضا عن الأمير طوغان نائب القدس، وهذا الرجل قدمت به وبأخيه أمهما إلى القدس صبيان، فنشأ بها، ثم قدم القاهرة وإستوطنها مدة وعانى المتجر وتعرف بالأمير جقمق وصحبه سنين، وتحدث في إقطاعه وما يليه من نظر الأوقاف، فعرض بالنهضة، وشهر بالخير والديانة، فلما تسلطن الأمير جقمق لازم حضور مجلسه حتى ولاه نظر القدس والخليل.

وفي هذا اليوم: توجه الأمير علاء الدين على بن أينال أحد خواص السلطان إلى ملك الروم مراد بن عثمان بهدية جليلة. وفيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بسلامة الحجاج، وأن كراء الجمال بلغ الغاية لكثرة من بمكة من المجاورين، بحيث بلغ كراء الجمل أربعين دينارا. وأن الشريف بركات بن حسن بن عجلان أعفى من تقبيل خف جمل المحمل، فشكر هذا من فعل السلطان، وأن الفتاوي الذي تقدم ذكرها بسبب أخذ العشور من التجار بجدة قرئت بالمسجد الحرام على رؤوس الأشهاد، وقرىء المرسوم السلطاني أيضا بألا يؤخذ من التجار الواردين في البحر إلى جدة سوى العشر فقط، ويؤخذ صنفا لا مالا من كل عشرة واحد، وأن يبطل ما كان يؤخذ سوى العشر من رسوم المباشرين ونحوهم، فكان هذا من جميل ما فعل، ورسم أيضا بأن تمنع الباعة من المصريين الذين سكنوا مكة وجلسوا بالحوانيت في المسعى وحكروا المعايش ، وتلقوا الجلب من ذلك، وأن يخرجوا من مكة، فشكر ذلك أيضا، فإن هؤلاء الباغين كثر ضررهم، وإستقووا بحماية المماليك لهم، فغلوا الأسعار وأحدثوا بمكة ما لم يعهد بها، وعجز الحكام عن منعهم لتقوية المماليك المجردين لهم بما يأخذونه منهم من المال.

وفي تاسع عشرينه: أفرج عن ابن أبي الفرج أستادار، وخلع عليه.

وفي هذا العام: جرت حروب بأفريقية من بلاد المغرب، وذلك أنه لما مات أبو فارس عبد العزيز، وقام من بعده حفيده المنتصر أبو عبد الله محمد بن أبى عبد الله ولى عمه أبا الحسن على بن أبي فارس بجاية وأعمالها، فلما مات المنتصر، وقام من بعده أخوه أبو عمرو عثمان بن أبي عبد الله، إمتنع عمه أبو الحسن من مبايعته، ورأى أنه أحق منه، ووافقه فقيه بجاية منصور بن على بن عثمان وله عصبة وقوة فإستبد بأمر بجاية وأعمالها، فسار أبو عمرو من تونس في جمع كبير لقتاله، فالتقيا قريبا من تبسة وتحاربا، فإنهزم أبو

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٣٩/٣

الحسن إلى بجاية، ورجع أبو عمرو إلى تونس، ثم خرج أبو الحسن من بجاية، وضم إليه عبد الله بن صخر من شيوخ إفريقية، ونزل بقسطنطينة وحصرها وقاتل أهلها مدة، فسار إليه أبو عمرو من تونس في جمع كبير، فلما قرب منه سار أبو الحسن عائدا إلى جهة بجاية، فتبعه أبو عمرو حتى لقيه وقاتله، فإنهزم منه بعد ما قتل أبو الحسن عدة من أصحابه، وعاد كل منهما إلى بلده، فلما كان في هذه السنة أعمل أبو عمرو الحيلة في قتل عبد الله بن صخر حتى قتله، وحملت رأسه إليه بتونس، ففت ذلك في عضد أبي الحسن، ثم جهز أبو عمرو العساكر من تونس في إثر ذلك، فنازلت بجاية عدة أيام، حتى خرج الفقيه منصور بن على إلى قائد العسكر، وعقد معه الصلح ودخل به إلى بجاية، وعبر الجامع وقد أجتمع به الأعيان.

وجاء أبو الحسن ووافق على الصلح وأن تكون الخطبة لأبي عمرو، ويكون هو ببجاية في طاعته، وترجع العساكر عن بجاية إلى تونس، فلما تم عقد الصلح أقيمت الخطة باسم أبي عمرو، وعادت العساكر تريد تونس فبلغهم أن أبا عمرو خرج من تونس نحوهم لقتال أبي الحسن، فأقاموا حتى وافاهم، ووقف على ما كان من أمر الصلح، فرضي به، وأخذ في العود إلى جهة تونس، فورد عليه الخبر بأن أبا الحسن خاف على نفسه من أهل بجاية، فخرج ليلا حتى نزل جبل عجيسة فأقر عساكره حيث ورد عليه الخبر، وسار جريدة في ثقاته، ودخل مدينة بجاية، فسر أهلها بقدومه، وزينوا البلد، فرتب أحوالها وإستخلف بها أصحابه، وعاد إلى معسكره، واستدعي شيوخ عجيسة فأتاه طائفة منهم فأرادهم على تسليم أبى الحسن إليه، وبذل لهم المال، فأبوا أن يسلموه، فتركهم وعاد إلى توذس فكثر جمع إلى الحسن بالجبل، وأقام به مدة، ثم خاف من عجيسة أن تغدر به، ولم يأمنهم على نفسه، فسار ونزل جبل عياض قريبا من الصحراء، ولله عاقبة الأمور.." (١)

"ليس في مقدور الباحث أن يعين عددا من الموجات التي دفعت بها بلاد العرب إلى مصر، في العصور الفرعونية، فإن تحديد هذه الهجرات وحصرها في تلك الفترة السحيقة في القدم، أمر عسير المنال إذا عرفنا أن تاريخ مصر القديمة، على الرغم مما وصل إليه العلماء من تقدم في دراسته، لا يزال ينتظر كشوفا تجلي بعض غوامضه. ومع هذا فلا مجال للشك في أن طريق سيناء كانت قنطرة ثابتة مفتوحة للهجرات العربية الى مصر منذ القدم، ونحن نعلم أن هذه القنطرة تصل بين شمال بلاد العرب ووادي النيل الخصيب، وأن التباين في الثروة والغنى بين شمال بلاد العرب والمنطقة الواقعة إلى جانب من سيناء، وهي فقيرة مجدبة،

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، ٤٥٧/٣

وبين ذلك القطر الغني بزراعته المعروف بعظم خصوبته منذ فجر التاريخ، كان عاملا هاما لاجتذاب البدو إلى مصر. ومن هنا ندرك لماذا أقام قدماء **المصريين** حصونا قوية متتابعة على حدود الدلتا الشرقية. ولا أدل على أن تأثير الساميين أي العرب في مصر، في تلك العصور، كان فعالا، من أن اللغة المصرية القديمة لا تزال مثار خلاف بين العلماء، أهي سامية أم حامية أم مزيج بين العنصرين. من الأمثلة التي أنتهت إلينا عن هجرة العرب أو الساميين إلى مصر، في تلك العصور، نلاحظ أن منها هجرات سلمية " يؤخذ فيها رأي حاكم مصر، وما كانت تتم إلا بموافقته، ومثل تلك الهجرات السلمية البسيطة كانت تحدث باستمرار أيام قوة مصروهيبة حكامها... ويعطي ما سبيرو مثلا لهذا، هو صورة من مقابر بني حسن تمثل عددا من هؤلاء البدو يقدمون لفرعون مصر القرابين ليسمح لهم بالسكنى في وادي النيل " . وقد أذن فرعون لبعض قبائل إدوم – وهي سامية – في الإقامة شرقي الدلتا. وورد في سفر التكوين في قصة يوسف أن فرعون قد منح يوسف عليه السلام سلطانا على مصر، وأن يوسف دعا أباه للسكنى في أرض جوشن وهي مقاطعة مصرية تقع شرقي الدلتا. كذلك تحدث الكتب المقدسة عن هجرة الكنعانيين واليهود إلى مصر.

١ – الهكسوس وهل كانوا عربا؟

ومن الهجرة إلى مصر ما اتخذ صورة عنيفة من الغزو والإغارة " وقد يكون مما شجع عليها ضعف حكام مصر ضعفا أغرى سكان البادية بهم. ولكن العامل الأساسي في حدوث مثل هذه الهجرات الكبيرة إنما كان مرجعه الرئيسي إلى سوء الحالة الاقتصادية في المناطق المجدبة، مما أدى احيانا – كما كان الحال في غارة الهكسوس – إلى هجرة العائلات بجميع أفرادها، تصطحب معها كل ما تملكه من معدات وحيوان مما يدل دلالة صريحة على أن القصد من تلك الغارات إنما كان التماس مناطق تتوافر فيها وسائل المعيشة لتلك العائلات التي اضطرت إلى أن تترك مناطقها الأصلية حين عجزت عن أن تجد القوت فيها " . ولكن هل كان الهكسوس عربا أو ساميين؟ لقد اعتمد جرجي زيدان، منذ اكثر من نصف قرن، على بعض أدلة في إثبات عروبة الهكسوس غير أن تطور الدراسات لم يؤيد نظرية جرجي زيدان تأييدا تاما. فإن معنى اللفظ هكسوس – ملوك الرعاة – لا يدل على أن المقصود بهم شعب سامي أو جنس سامي. ومن الجائز أن يكونوا خليطا من سلالات سامية وغير سامية اندفعت من مكان أو أمكنة بعيدة وتقدمت بجموعها المختلطة للإغارة على مصر السفلى، فعبرت طريق سيناء، لكونه الطريق الميسور الوحيد للعبور في هذه المنطقة. ويبدو أن الأبحاث الحديثة تميل إلى الربط بين دخول هؤلاء الرعاة إلى مصر، وبين هجرة قبائل مغولية من قلب آسيا نحو الغرب حيث تتدافعت الشعوب التي كانت تسكن هضاب إيران وبلاد الرافدين

ونواحي سوريا غربا فغربا، مما أدى إلى الضغط على رعاة بوادي الشام، فنزلوا شبه جزيرة سيناء وصحراء مصر الشرقية وأرض الدلتا، وكانت مصر إذ ذاك في فترة ضعف داخلي في نهاية أيام الأسرة الثالثة عشرة ومما يدل على أن هؤلاء الرعاة قد تأثروا بالهجرات المغولية، أن ما استخدمه الهكسوس من الخيل والعجلات كان من مؤثرات مغولية.فمن الجائز أن يكون الهكسوس عناصر مختلطة سامية وغير سامية، وهذا لا ينفي أن يظهر في لغة هؤلاء بعض آثار سامية، فهذه الآثار اللغوية، إن ثبتت، فإنما تدل على أن جماعة من هؤلاء الرعاة، كانوا يتكلمون لغة سامية، أو لغة متأثرة بها. ومهما يكن فإن الهكسوس قد حكموا مصر فترة تزيد على قرن ونصف، إلا أن نفوذهم لم يتغلغل كثيرا إلى مناطق مصر العليا إذا استثنينا صحراء مصر الشرقية.." (١)

"وكهلان بن سبأ هو شقيق حمير، فالصلة بينهما وثيقة، غير أن أبناء حمير كما يفهم من أقواله النسابين كانوا أكثر تحضرا من أبناء كهلان. وتمثل هجرة الكهلانيين ألى الشمال موجة ثانية من موجات هجرة أعقاب سبأ. ولعلها حدثت في فترات بين القرنين الثاني والثالث من ميلاد المسيح. وكان من أسبابها: تقلص ملك حمير في الجنوب، وما أصاب أرضهم على أثر خراب سد مأرب، وتحول مركز الجاذبية السياسية في بلاد العرب من الجنوب إلى الشمال حيث ازدهرت دول عربية على أطراف شبه الجزيرة العربية الشمالية في الشرق والغرب. وقد استطاعت مجموعة متحالفة من الأزد، وهم فرع من كهلان، أن يغلبوا القضاعيين على أمرهم، وأن يسيطروا على هذه المنطقة، هذه المجموعة المتحالفة هي التي سميت غسان لأنها فيما يقال نزلت على أثر نزوحهم من اليمن، في تهامة، ونزلوا بماء يقال له غسان وتحالفوا حوله، فسموا باسمه. فلما غلبوا القضاعيين، وصاروا عمالا للروم، كانوا أقوى القبائل في هذا الجزء، عند ظهور الإسلام. أما الفرع الثاني من قبائل كهلان بن سبأ، فقد اشتهر منهم في تأريخ الهجرات: طيء وفروعها، وبنو مرة وفروعهم ولاسيما لخم وجذام وعاملة وقد سكنت هذه القبائل شمالي الحجاز أولا، ونزلوا في جوار بني أسد، وانتزعوا منهم جبلي أجا وسلموهما المعروفان الآن بجبل شمر، وتداخلوا في أرض الغسانيين. أما عن الكهلانيين وصلتهم بمصر في الجاهلية، فيروى أن بعض بطون خزاعة، وهم فرع من الأزد، خرجوا في الجاهلية إلى مصر والشام لأن بلادهم أجدبت وفي عهد عمر بن الخطاب، بعد أن تم فتح الشام، وقبل أن يفتح العرب مصر، تفرق عرب غسان وجذام وعاملة، وكانوا قد اعتنقوا النصرانية، فنزل فريق منهم أرض الجفار في شمالي سيناء، وهي المنطقة الرملية بين مصر وفلسطين، وأقطعهم حاكم مصر الروماني ولاية

(١) البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، ص/١٦

تنيس " صان الحجر " وكانوا برئاسة رجل من بني عامر بن صعصعة يقال له أبو ثور من العرب المتنصرة، فلما فتحت دمياط سار إليها المسلمون فبرز إليهم نحو عشرين ألفا من العرب المتنصرة والقبط والروم فكانت بينهم حروب آلت إلى وقوع أبي ثور في أيدي المسلمين وانهزام أصحابه.

٥ – الخلاصة

أ – ندرك مما سبق أن هجرة العرب إلى مصر كانت منذ أقدم العصور، في الجاهلية البعيدة، وأن الهجرة إلى مصر كانت أمرا ميسورا في أي وقت في خلال تلك العصور لوجود قنطرة ثابتة مفتوحة للعبور منذ القدم، وهي طرق سيناء.

ب – بعض الموجات النازحة إلى مصر كانت لا تتجاوز منطقة الوجه البحري أو جزءا منها، وبعضها الآخر، كان يتوغل إلى أن يصل إلى صعيد مصر الأعلى. فلم يكن أثر العرب مقصورا على جهة معينة من مصر بل كان موزعا على جهات مختلفة منها.

ج – غير أن هذه الموجات النازحة، كانت في تلك العهود، أشبه ما تكون بالجاليات، لأنها عاشت حينئذ في كنف حكومات غير عربية، ولأنها كانت تحمل معها ألسنة مختلفة عن اللغة الرسمية لمصر، ولأنها لم يتح لها في تلك العهود الانضواء تحت لغة رئيسة واحدة تجمع بين شتاتها، وتؤلف بين المتكلمين بها، ولأن هذه الجماعات كانت مفرقة الأهواء الدينية والسياسية، لا يجمع بينها منزع ديني واحد ولا وجهة سياسية معينة.

د – ومع هذا كله فلا سبيل إلى إنكار أن هذه الهجرات المتلاحقة، كانت تمثل المرحلة الإعدادية في تعريب مصر. لأن اللغات أو اللهجات التي حملوها معهم إلى مصر، على أختلافها، تعد شقائق للغة العربية التي نعرفها اليوم. ولأن الأسس الحضارية، التي عبروا عنها، ومارسوها، كانت أسسا عربية انبثقت من بيئات شبه الجزيرة العربية. ولأن هذه الجماعات، لا بن أنهم قد امتزجوا **بأهل مصر** الأقدمين وخلفوا فيهم آثارا سلالية وثقافية.." (١)

"حميرتأخذ في بوصير وقرى أهناس. وكانت خولان تأخذ في قرى أهناس والقيس " بمديرية المنيا الآن " والبهنسا. وآل وعلة " لعلها وعلان " يأخذون في سفط من بوصير. وآل أبرهة يأخذون في منف. وغفار وأسلم يأخذون مع وائل من جذام. وسعد " من جذام أيضا " في بسطة وقربيط وطرابية. وآل يسار بن ضبة في أتريب. وكانت المعافر تأخذ في أتريب وسخا ومنوف. وكانت طائفة من تجيب ومراد يأخذون

(١) البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، ص/٢٤

بالبيدقون " ؟ " . وكان بعض هذه القبائل ربما جاور بعضا في الربيع ولا يوقف في معرفة ذلك على أحد إلا أن معظم القبائل كانوا يأخذون حيث وصفنا. وكان يكتب لهم بالربيع فيربعون ما أقاموا وباللبن. وكان لغفار وليث أيضا مربع بأتريب. قال: وأقامت مدلج بخربتا فاتخذوها منزلا. وكان معهم نفر من حمير حالفوهم فيها. فهى منازلهم. ورجعت خشين وطائفة من لخم وجذام فنزلوا أكناف صان وابليل وطرابية " . وفي سنة ٥٣هـ قدم من العراق جماعة من الأزد ونزلوا بالفسطاط في موضع عرف بسويقة العراقيين. وكان الوالي الذي يعين على مصر ياتي إليها ومعه جماعة من الجنود العرب. وظلت هذه الطريقة متبعة لدى أغلب الولاة الذين حكموا مصر إلى عهد عنبسة بن إسحاق الضبي والي مصر في خلافة المتوكل، وهو آخر وال عربي حكم مصر في عصر الولاة، إذ صار العباسيون بعد ذلك يولون عناصر غير عربية. وإذا تتبعنا القبائل العربية التي وردت في نص المقريزي هذا، وجدنا أن معظمهم كانوا من المجموعة السبئية أو أعقاب سبأ كما أسميناهم. ومن الممكن أن يرجع الباحث أيضا إلى أسماء القبائل التي سكنت خطط الفسطاط والجيزة في أول الفتح، فسيرى ما يؤيد هذه الحقيقة. أما الجماعات القليلة من العدنانية " أي القيسية كما اطلقوا عليهم تجوزا " ففي الفسطاط تنزل جماعة من قريش وغفار وثقيف ودوس وعبس بن بغيض ولم يكن لكل بطن منهم من العدد ما ينفرد بدعوة من الديوان فأسكنوا هم وفئات أخرى من المجموعة السبئية خطة واحدة سميت بخطة أهل الراية. وغلب العنصر السبئي على الإسكندرية وما حولها كذلك، فقد كانت القبائل السبئية قوية الجانب، وقد رأينا فيما سبق أن بني مدلج ومعهم نفر من حمير قد سكنوا خربتا بالقرب من الإسكندرية. وكان من السبئية من انضم إلى حركة أنصار علي في أواخر خلافة عثمان، فلما قتل عثمان قامت معركة بينهم وبين العثمانية بالقرب من الإسكندرية في " خربتا " ، وهزم فيها قائد العلويين وهو قيس بن حرمل اللخمي سنة ٣٦هـ. إلا أن كثيرا من هذه القبائل كانوا يؤازرون العثمانية، وكان لهم شوكة قوية في الإسكندرية حتى إن والي علي رفض أن يقاتلهم في " خربتا " بحجة أنهم " وجوه أهل مصر وأشرافهم " .ميرتأخذ في بوصير وقرى أهناس. وكانت خولان تأخذ في قرى أهناس والقيس " بمديرية المنيا الآن " والبهنسا. وآل وعلة " لعلها وعلان " يأخذون في سفط من بوصير. وآل أبرهة يأخذون في منف. وغفار وأسلم يأخذون مع وائل من جذام. وسعد " من جذام أيضا " في بسطة وقربيط وطرابية. وآل يسار بن ضبة في أتريب. وكانت المعافر تأخذ في أتريب وسخا ومنوف. وكانت طائفة من تجيب ومراد يأخذون بالبيدقون " ؟ " . وكان بعض هذه القبائل ربما جاور بعضا في الربيع ولا يوقف في معرفة ذلك على أحد إلا أن معظم القبائل كانوا يأخذون حيث وصفنا. وكان يكتب لهم بالربيع فيربعون ما أقاموا وباللبن. وكان لغفار وليث

أيضا مربع بأتريب. قال: وأقامت مدلج بخربتا فاتخذوها منزلا. وكان معهم نفر من حمير حالفوهم فيها. فهى منازلهم. ورجعت خشين وطائفة من لخم وجذام فنزلوا أكناف صان وابليل وطرابية " . وفي سنة ٥٣هـ قدم من العراق جماعة من الأزد ونزلوا بالفسطاط في موضع عرف بسويقة العراقيين. وكان الوالي الذي يعين على مصر ياتي إليها ومعه جماعة من الجنود العرب. وظلت هذه الطريقة متبعة لدى أغلب الولاة الذين حكموا مصر إلى عهد عنبسة بن إسحاق الضبي والي مصر في خلافة المتوكل، وهو آخر وال عربي حكم مصر في عصر الولاة، إذ صار العباسيون بعد ذلك يولون عناصر غير عربية. وإذا تتبعنا القبائل العربية التي وردت في نص المقريزي هذا، وجدنا أن معظمهم كانوا من المجموعة السبئية أو أعقاب سبأ كما أسميناهم. ومن الممكن أن يرجع الباحث أيضا إلى أسماء القبائل التي سكنت خطط الفسطاط والجيزة في أول الفتح، فسيرى ما يؤيد هذه الحقيقة. أما الجماعات القليلة من." (١)

"العدنانية " أي القيسية كما اطلقوا عليهم تجوزا " ففي الفسطاط تنزل جماعة من قريش وغفار وثقيف ودوس وعبس بن بغيض ولم يكن لكل بطن منهم من العدد ما ينفرد بدعوة من الديوان فأسكنوا هم وفئات أخرى من المجموعة السبئية خطة واحدة سميت بخطة أهل الراية. وغلب العنصر السبئي على الإسكندرية وما حولها كذلك، فقد كانت القبائل السبئية قوية الجانب، وقد رأينا فيما سبق أن بني مدلج ومعهم نفر من حمير قد سكنوا خربتا بالقرب من الإسكندرية. وكان من السبئية من انضم إلى حركة أنصار علي في أواخر خلافة عثمان، فلما قتل عثمان قامت معركة بينهم وبين العثمانية بالقرب من الإسكندرية في " خربتا " ، وهزم فيها قائد العلويين وهو قيس بن حرمل اللخمي سنة ٣٦هـ. إلا أن كثيرا من هذه القبائل كانوا يؤازرون العثمانية، وكان لهم شوكة قوية في الإسكندرية حتى إن والي علي رفض أن يقاتلهم في " خربتا " بحجة أنهم " وجوه أهل مصر وأشرافهم " .ة " أي القيسية كما اطلقوا عليهم تجوزا " ففي الفسطاط تنزل جماعة من قريش وغفار وثقيف ودوس وعبس بن بغيض ولم يكن لكل بطن منهم من العدد ما ينفرد بدعوة من الديوان فأسكنوا هم وفئات أخرى من المجموعة السبئية خطة واحدة سميت بخطة أهل الراية. وغلب العنصر السبئي على الإسكندرية وما حولها كذلك، فقد كانت القبائل السبئية قوية الجانب، وقد رأينا فيما سبق أن بني مدلج ومعهم نفر من حمير قد سكنوا خربتا بالقرب من الإسكندرية. وكان من السبئية من انضم إلى حركة أنصار علي في أواخر خلافة عثمان، فلما قتل عثمان قامت معركة بينهم وبين العثمانية بالقرب من الإسكندرية في " خربتا " ، وهزم فيها قائد العلويين وهو قيس بن حرمل اللخمي سنة ٣٦هـ. إلا

---

(١) البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، ص/٢٨

أن كثيرا من هذه القبائل كانوا يؤازرون العثمانية، وكان لهم شوكة قوية في الإسكندرية حتى إن والي علي رفض أن يقاتلهم في " خربتا " بحجة أنهم " وجوه أهل مصر وأشرافهم " .

٢ - تكافؤ القوى العربية في إقليم مصر " ١١٠ - ٢٥٤هـ٧٢٨ - ٨٦٨م "

بدأ التفكير في هجرة العدنانيين " أي القيسية " إلى مصر، منذ أن وليها عبد العزيز ابن مروان، فقد عبر هو عن ذلك في كلمة قالها مرة يخاطب أباه: " يا أمير المؤمنين كيف المقام ببلد ليس به أحد من بني أبي " . ولم يكن في مصر، حينئذ، من القيسية إلا جماعات قليلة. ولقد كان بعض الولاة الذين حكموا مصر في عصر بني امية، ينتمون إلى القيسية، مثل قرة بني شريك " ٩٠ - ٩٦هـ " وعبد الملك بن رفاعة الفهمي " ٩٦ - ٩٩هـ،١٠٩هـ " ومن الجائز أن يكونوا قد أقدموا معهم إلى مصر جماعات قيسية. ومع ذلك لم يكن القيسية، إلى ذلك الحين، بالقدر الذي يكفي لإحداث التكافؤ أو التوازن القبلي بين العنصرين الرئيسين اللذين تتألف منهما المجموعة العربية كلها أعني عنصري سبأ وقيس أو قحطان وعدنان كما يسمونهما. فإلى ذلك الحين، ظل أعقاب سبأ يمثلون الغالبية من عرب مصر، حتى قام عبيد الله بن الحبحاب، عامل الخراج في مصر في زمن خلافة هشام بن عبد الملك " ١٠٥ - ١٢٥هـ " ، وكان عبيد الله من موالي قبيلة سلول القيسية، فطلب إلى الخليفة هشام أن يأذن له في تسيير جماعات من قيس إلى مصر، فأذن له في إلحاق ثلاثة آلاف منهم وتحويل ديوانهم إلى مصر، على ألا ينزلوا بالفسطاط. فبعث ابن الحبحاب إلى بوادي نجد يستحث أفواجا منهم للهجرة - وقد حدث هذا في فترات تقع بين سنتي ١٠٩، ١١٤هـ - وأنزلهم في بلبيس، واستمرت أفواجهم تترى إلى ما بعد زمن الحبحاب، إذ نجد منهم قبائل قيسية تتوافد على مصر في ولاية الحوثرة بن سهيل الباهلي " وباهلة من قيس " الذي ولى مصر سنة ١٢٨هـ. وفي سنة ١٥٣هـ أحصى عددهم فوجدوا ٥٢٠٠ أهل بيت صغيرا وكبيرا.

ولم يكن تشجيع القيسية الذي أقرته سياسة الدولة، على هذه الصورة، وليد صدفة واتفاق، وإنما كان في الغالب مدفوعا بعوامل أهمها:

أولا الحد من سيطرة العنصر السبئي الذي كان ما زال يمثل الغالبية من عرب مصر، فقد كان إحداث التكافؤ بين العنصرين، في الحوف الشرقي أولا، مما يخفف من الأخطار التي قد تنجم من تفرد أعقاب سبأ واستئثارهم بالنفوذ، ولا سيما وقد ثبت لدى ولاة بني أمية، أنهم على استعداد لإثارة الفتن والوقوف إلى جانب الفئات المناوئة للحكم الأموي، كالزبيرين والعلويين والخوارج.." (١)

---

(١) البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، ص/٢٩

"المناطق التي سيطروا عليها، ولا شك أن الفرصة كانت سانحة لهم حينئذ للتفرق على هذه المواطن والتوطن بها. وعلى أي حال، فإن المقريزي يحدثنا أن جذاما كانت من قبائل الصعيد. وأن لخما سكنوا الصعيد الأدنى والأوسط. وبقيت جموع كبيرة منهم في الإسكندرية وشرقي الدلتا، إلى أن دارت دورة الأحداث في السنوات التالية فدعت كثيرا منهم إلى التفرق والتشتت. ففي خلافة المعتصم العباسي " ٢١٨ – ٢٢٧هـ " حرم العرب من مرتبات الدولة التي كانت تؤدى إليهم باعتبارهم جنودا، وكان في مصر ديوان للجند تدون فيه أسماء العرب وأسراتهم وتقدر لهم مرتباتهم اللازمة لهم. فلما جاء الخليفة المعتصم " استكثر من جند الأتراك وأثبتهم في الديوان وأمر واليه في مصر كيدر بن نصر الصفدي بإسقاط من في ديوان مصر من العرب وقطع العطاء عنهم " . " فلما قطع كيدر عطاء **أهل مصر**، خرج يحيى بن الوزير الجروي في جمع من لخم وجذام، وقال له: هذا أمر لا يقوم فينا أعضل منه، لأنا منعنا حقنا وفيئنا. واجتمع إليه نحو خمسمائة رجل. ومات كيدر في ربيع الآخر سنة ٢١٩هـ وولى أبنه المظفر مصر من بعده، فسار إلى يحيى وقاتله في بحيرة تنيس، وأخذه أسيرا. فانقرضت دولة العرب من مصر وصار جندها العجم والموالي من عهد المعتصم " . ولعل قيام لخم وجذام في وجه الوالي ومقاومتهم سياسة المعتصم، دليل على أنهم كانوا أشد تأثرا من إخوانهم القيسية بقرار الخليفة بحرمان العرب من العطاء، فلعل مرتبات الدولة كانت هي المصدر الوحيد لمعاش الكثيرين منهم. ومن المتوقع أن تدفع هذه الحادثة جماعات لخم وجذام ومن على شاكلتهم إلى السعي وراء الرزق من مورد آخر غير مورد الجهاد والحرب. ومن الطبيعي أن تتفرق هذه الجماعات على مصر لممارسة الزراعة أو التجارة أو الصناعة أو غير ذلك من المهن والحرف التي كانت في ذلك الحين وقفا على جماعات من قيس وسكان البلاد السابقين. أما اللخميون الذين سكنوا الإسكندرية وما حولها، فقد ظهر منهم بنو مدلج، ولعلهم أقدم من سكنها من اللخميين، ثم تزعموا حركة اللخميين في سنة ٢٥٢هـ بقيادة جابر بن الوليد المدلجي، وأعلنوا الثورة على العباسيين الذين اصطنعوا العناصر التركية، منذ عهد المعتصم، واجتمع إلى جابر كثير من بني مدلج وهزموا جيش الوالي، وقوى أمرهم وأتاهم الناس من كل ناحية، وانضم إليهم رجل علوي من الطالبيين، وتزعم حركتهم، وبسط سلطانه على بنا وبوصير وسمنود، فبعث أمير مصر يجمع من الأتراك وكثرت المعارك بينهم حتى فرقهم. ويظهر أن بني مدلج قد نزحوا على أثر هذه المعارك – أو نزحت جماعات منهم إلى الصعيد الأدنى، إذ نجدهم في عصر المقريزي يسكنون بجوار إخوانهم اللخميين، في بلاد أطفيح والبهنساوية. وندع الوجه البحري والصعيد الأدنى إلى الصعيد الأوسط والأقصى. ففي بلاد الأشمونين، نزلت بلى وجهينة وانتشرت جماعات منهم في الصحراء الشرقية،

وبلغوا أقصى الصعيد، وهما فرعان من المجموعة السبئية، وظلوا في مساكنهم إلى زمن الفاطميين، ثم طردوا منها، ونزلت قريش مكانهم، وانهزمت بلى وجهينة إلى الصعيد الأعلى. أما الصعيد الأعلى، في هذه المرحلة، فقد سكنه جموع هائلة من عرب سبأ، ونزل منهم في أرض المعادن خلق كثير، وكانت بلى وجهينة من جملتهم.ق التي سيطروا عليها، ولا شك أن الفرصة كانت سانحة لهم حينئذ للتفرق على هذه المواطن والتوطن بها. وعلى أي حال، فإن المقريزي يحدثنا أن جذاما كانت من قبائل الصعيد. وأن لخما سكنوا الصعيد الأدنى والأوسط. وبقيت جموع كبيرة منهم في الإسكندرية وشرقي الدلتا، إلى أن دارت دورة الأحداث في السنوات التالية فدعت كثيرا منهم إلى التفرق والتشتت. ففي خلافة المعتصم العباسي " ٢١٨ – ٢٢٧هـ " حرم العرب من مرتبات الدولة التي كانت تؤدى إليهم باعتبارهم جنودا، وكان في مصر ديوان للجند تدون فيه أسماء العرب وأسراتهم وتقدر لهم مرتباتهم اللازمة لهم. فلما جاء الخليفة المعتصم " استكثر من جند الأتراك وأثبتهم في الديوان وأمر واليه في مصر كيدر بن نصر الصفدي بإسقاط من في ديوان مصر من العرب وقطع العطاء عنهم " . " فلما قطع كيدر عطاء **أهل مصر**، خرج يحيى بن الوزير الجروي في جمع من لخم وجذام، وقال له: هذا أمر لا يقوم فينا أعضل منه، لأنا منعنا حقنا وفيئنا. واجتمع إليه نحو خمسمائة رجل. ومات كيدر في ربيع الآخر سنة." (١)

"منها إلى دار الضرب، فاضطرب الناس وبلغت أربعة دراهم بدرهم جديد، وتقرر أمر الدارهم الجدد على ثمانية عشر درهما بدينار.

فلما زالت الدولة الفاطمية بدخول الفرس الشام ومصر على يد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، فى سنة تسع وستين وخمسمائة، قررت السكة بالقاهرة باسم المرتضى بأمر الله وباسم الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى، صاحب بلاد الشام، فرسم اسم كل منهما في وجه، وفيها عمت بلوى المصارف **بأهل مصر**؛ لأن الذهب والفضة خرجا منها وما رجعا وعدما، فلم يوجدا، ولهج الناس بما غمهم من ذلك وصاروا إذا قيل: دينار أحمر، فكأنما ذكرت حرمة له، وإن حصل في يده فكأنما جاءت بشارة الجنة له، ومقدار ما حدث أنه خرج من القصر ما بين درهم ودينار، ومصاغ وجوهر ونحاس، وملبوس، وأثاث وقماش وسلاح ما لا يفى به ملك الأكاسرة ولا تتصوره الخواطر ولا تشتمل على مثله الممالك ولا يقدر على حسابه إلا من يقدر على حساب الخلق في الآخرة.

نقلت ما هذا نصه من خط القاضى الفاضل عبد الرحيم، ثم لما استبد الملك صلاح الدين، بعد موت

---

(١) البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، ص/٣٢

الملك العادل نور الدين، أمر في شوال سنة ٥٨٣ بأن تبطل نقود مصر، وضرب الدينار ذهبا مصريا، وأبطل الدرهم الأسود، وضرب الدراهم الناصرية وجعلها من فضة خالصة ومن نحاس، نصفين بالسوى، فاستمر ذلك بمصر والشام إلى أن دخل الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل أبى بكر محمد بن أيوب، فأبطل الدرهم الناصرى، وأمر في ذى القعدة من سنة ٦٢٢ بضرب دراهم مستديرة، وتقدم أنه لا يتعامل الناس بالدراهم المصرية العتق، وهى التى تعرف في مصر والإسكندرية بالزيوف.

وجعل الدرهم الكامل ثلاثة أثلاث، ثلثيه من فضة، وثلثيه من نحاس، فاستمر ذلك بمصر والشام مدة أيام ملوك بنى أيوب.

فلما انقرضوا وقامت الأتراك من بعدهم أبقوا سائر شعارهم واقتدوا في جميع أحوالهم وأقروا نقدهم على حاله، من أجل أنهم كانوا يفتخرون بالانتماء إليهم، حتى أنى شاهدت المراسيم التى كانت تصدر عن الملك المنصور قلاوون وفيها بعد البسملة «الملكى الصالحى» وتحت ذلك بخطه «قلاوون» .." (١)

"الراشدين، وقد تقدم بيان ذلك فلا حاجة إلى إعادته.

الثالثة: أنه لم يتبع سنة المفسدين الذين نهى الله عن اتباعهم بقوله عز وجل:

وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين

«١» وبيان ذلك: أن الدراهم لم تغش إلا عند تغلب المارقين الذين اتبعوا قوما قد ضلوا كما مر آنفا.

الرابعة: أنه نكب عن الشره في الدنيا، وذلك أن الدرا؟؟ هم لم تغش إلا للرغبة في الازدياد منها.

الخامسة: أنه أزال الغش عملا بقوله صلى الله عليه وسلم: «من غشنا فليس منا» «٢» .

السادسة: أنه فعل ما فيه نصح لله ولرسوله، وقد علم قوله عليه أفضل الصلاة والسلام: الدين النصيحة. الحديث «٣» . ويمكن أن يتلمح لها فوائد أخر.

وإنه ليكثر تعجبى من كون هذه الدراهم المؤيدية ولها من الشرف والفضل ما ذكر، وللملك المؤيد من عظيم القدر، وفخامة الأمر ما هو معروف، ومع ذلك تكوم مضافة ومنسوبة إلى الفلوس، التى لم يجعلها الله تعالى قط نقدا في قديم الدهر وحديثه، إلى أن راجت في أيام أقبح الملوك سيرة وأردأهم سريرة: الناصر فرج، وقد علم كل من رزق فهما وعلما أنه حدث من رواجها خراب الإقليم، وذهاب نعمة أهل مصر وأن هذا في الحقيقة كعكس للحقائق، فإن الفضة هى نقد شرعى، لم تزل في العالم والفلوس، إنما هى أشبه بلا شيء، فيصير المضاف مضافا إليه، اللهم ألهم مولانا الملك المؤيد بحسن السفارة الكريمة، أن يألف

---

(١) رسائل المقريزي المقريزي ص/١٧٠

من أن يكون نقده مضافا إلى غيره، وأن يجعل نقده تضاف إليه النقود، كما جعل الله تعالى اسمه الشريف يضاف إليه اسم كل من رعيته، بل كل ملك من مجاورى ملكه، والأمر في ذلك سهل إن شاء الله تعالى.." (١)

"قوله فلما أبو بكر أعطاه ذلك وكتب له كتابا هذا الكتاب يأتي ذكره إن شاء الله تعالى، ويحمل الإعطاء من أبي بكر على الإحضاء فإن عمر هو الذي أعطى ذلك تميما على ما سيأتي إن شاء الله تعالى، فأطلق الراوي عليه عطيه كما سيظهر لك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

قال ابن سعد في الطبقة الرابعة: ابن لخم وهو مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن يشخب بن عريب، تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة بن ذراع بن عدي بن الدار بن هانيء بن حبيب بن نمارة بن لخم، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أخوة نعيم بن أوس وعدة من الداريين.

وقال أيضا في الطبقة: تميم بن أوس الداري بطن من لخم ويكنى أبا رقية لم يزل بالمدينة حتى تحول إلى الشام بعد ما قتل عثمان، رضي الله عنه،.

وذكر البيهقي وغيره من طريق يعقوب بن سفيان: أخبرني أبو محمد الرملي، قال: لم يكن لتميم ذكرا، إنما كانت له ابنة تسمى رقية يكنى بها.

وقال أبو سعيد بن يونس في تاريخ الغرباء: تميم بن أوس الداري كان ينزل دمشق، يقال قدم إلى مصر حدث عنه من [ل٨ب] أهل مصر علي بن رباح بحديث واحد.

وقال في (تاريخ مصر) : تميم بن أوس الداري يكنى أبا رقية، قدم مصر، وقيل إن قدومه كان لغزو البحر. روى عنه من أهل مصر: علي بن رباح وموسى بن نصير.

ثم ذكر من طريق ابن وهب، أخبرنا ابن لهيعة بن موسى بن علي بن رباح عن أبيه أن تميما الداري قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فحييته تحية أهل الجاهلية فقال: إنما تحيتنا السلام.

وقال أبو عبد الله بن منده: تميم بن أوس، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث الجساسة، نزل فلسطين وأقطعه صلى الله عليه وسلم بها أرضا.." (٢)

"هكذا أخرجه الطبراني في معجمه الكبير وأورده الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتاب الأحاديث المختارة مما لم يخرج في الصحيحين ورجاله أخرج لهم مسلم بن أشعث فصاعدا إلا أن في أشعث بن

---

(١) رسائل المقريزي المقريزي ص/١٧٢

(٢) الضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري للمقريزي - مخطوط (ن) المقريزي ص/١٤

سوار مقالا وابن سيرين لم يسمع من تميم الداري [ل١٣أ] فإن مولد محمد بن سيرين لسنتين بقيتا من خلافةعثمان، رضي الله عنه، وكان قتل عثمان في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وتميم الداري، رضي الله عنه، مات سنة أربعين، ويقال قبلها وكان ابن سيرين مع أبويه بالمدينة ثم خرجوا إلى البصرة فكان إذ ذاك صغيرا وتميم مع ذلك كان بالمدينة ثم سكن الشام وكان انتقاله إلى الشام يوم قتل عثمان، رضي الله عنه، فهذه علة خفية تقتضي القدح في صحة هذا الحديث لوجود الإنقطاع في سنده ولم يبين اسم الأرض المذكور في هذه الطريق، وجاء بيانها فيما أخرجه أبو عبيد وغيره كما تقدم.

وقال محمد بن سعد: قال محمد بن عمر يعني الواقدي وليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم قطيعة غير حبرى وبيت عينون أقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم تميما ونعيما أبناء أوس، وغزا تميم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى عنه ولم يزل بالمدينة حتى تحول إلى الشام بعد قتل عثمان، رضي الله عنه، وكان تميم يكنى أبا رقية،

وقال محمد بن الربيع في كتاب........... (١) من دخل مصر من الصحابة وتميم الداري شهد فتح مصر فيما أخبرني يحيى بن عثمان، **ولأهل مصر** عنه [ل١٣ب]

---

(١) بياض بالأصل." (١)

"وأنكر الشعر، وكتب بخطه أنه ليس بشعره، ولا يعرفه؛ فأجبره أبوه على أن يسطر خطه في المحضر، فلم يفعل، وقال: أخاف دعاة **المصريين** وغلبتهم، فإنهم معروفون بذلك.

فقال أبوه: يا عجبا! أتخاف من بينك وبينه ستمائة فرسخ، ولا تخاف من بينك وبينه مائة ذراع؟

وحلف أن لا يكلمه، وكذلك المرتضى، فعلا ذلك تقية وخوفا من القادر، وتسكينا له.

فلما انتهى الأمر إلى القادر سكت على سوء أضمره له، وبعد ذلك بأيام صرفه عن النقابة، وولاها محمد بن عمر النهرسابسي.." (٢)

"فضيق على أهلهما، وبعث المقتدر بالله مؤنسا الخادم في جيش كثيف، فحاربهم وأجلاهم عن مصر إلى المغرب.

وكان سبب تحرك أبي القاسم بن المهدي إلى حرب **أهل مصر** أنه وجه إلى بغداد قصيدة يفخر فيها بنسبه،

---

(١) الضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري للمقريزي - مخطوط (ن) المقريزي ص/٢٢

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣٤/١

وبما فتح من البلاد، فأجابه الصولي بقصيدة على وزنها ورويها، فمنها:

فلو كانت الدنيا مثالا لطائر ... لكان لكم منها بما حزتم الذنب

فحرك همته هذا البيت، وقال: والله لا أزال حتى أملك صدر الطائر ورأسه إن قدرت، وإلا أهلك دونه.

وكابد على ديار مصر من الحروب أهوالا، ومات ولم يظفر بها، وأوصى ابنه المنصور بما كان في عزمه، فشغلته الفتن، وكان الظافر بها المعز.

فلما كان في سنة اثنتين وثلاثمائة أنفذ المهدي جيشا مع قائد من قواده يقال له حباسة في البحر، فغلب على الاسكندرية، ثم سار منها يريد مصر، فأرسل المقتدر بالله مؤنسا في عسكر إلى مصر، وأمده بالسلاح والأموال، فالتقى بحباسة في جمادى الأولى، فكانت بينهما حروب كثيرة، قتل فيها من الفريقين جمع عظيم، وانهزم حباسة في سلخ جمادى الآخرة، ويقال إنه قتل في هذه الواقعة سبعة آلاف ولما صار حباسة إلى المغرب قتله المهدي.

وفيها، خالف عليه عروبة بن سيف الكتامي بالقيروان، واجتمع عليه خلق كثير من كتامة والبرابر، فأخرج إليهم المهدي مولاه غالبا، فاقتتلوا، فقتل غالب في عالم لا يحصى، وجيء بعدة رءوس إلى المهدي في قفة، فقال:." (١)

"عليه شروطا، وأنهم يسمعون له ويطيعونه، ثم اجتمعوا على محاربته، ثم انحل ذلك، وعادوا إلى المراسلة بالصلح.

وكانت رسل جوهر ترد سرا إلى ابن الفرات، ثم اتفقوا على خروج أبي جعفر مسلم الحسيني، وأبي إسماعيل الرسي، ومعهما القاضي أبو طاهر، وجماعة، فبرزوا إلى الجيزة لاثنتي عشرة بقيت من رجب، ولم يتأخر عن تشييعهم قائد، ولا كاتب، ولا عالم، ولا شاهد، ولا تاجر، وساروا فلقوا جوهر بتروجة ووافقوه، واشترطوا عليه، فأجابهم إلى ما التمسوه، وكتب لهم: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من جوهر الكاتب عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه لجماعة أهل مصر الساكنين بها، من أهلها ومن غيرهم: أنه قد ورد من سألتموه الترسل والاجتماع معي، وهم: أبو جعفر مسلم الشريف أطال الله بقاءه وأبو إسماعيل الرسي أيده الله وأبو الطيب الهاشمي أيده الله.

وأبو جعفر أحمد بن نصر أعزه الله والقاضي أعزه الله.

وذكروا عنكم أنكم التمستم كتابا يشتمل على أمانكم في أنفسكم وأموالكم وبلادكم وجميع أحوالكم، فعرفتم

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١/٦٩

ما تقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وحسن نظره لكم.

فلتحمدوا الله على ما أولاكم، وتشكروه على ما حماكم، وتدأبوا فيما يلزمكم، وتسارعوا إلى طاعته العاصمة لكم، العائدة بالسلامة لكم، وبالسعادة عليكم، وهو أنه صلوات الله عليه." (١)

"فسلموا على تحرير شويزان بالإماره، وخرجوا يحجبونه إلى داره، وبقي أحمد بن علي بن الإخشيد لا يفكر فيه.

واستعدوا للحرب، وساروا لعشر خلون من شعبان، فنزلوا الجزيرة بالرجال والسلاح، ووافى جوهر الجزيرة، فلما شاهد ما فعلوه عاد إلى منية شلقان، وعبر إلى مصر من ذلك الموضع، وأرسل فاستقبل المراكب الواردة من تنيس ودمياط وأسفل الأرض فأخذها، وتولى العبور إليهم جعفر بن قلاح عريانا في سراويل مع جمع من المغاربة، وبلغ الإخشيدية، فأنفذوا تحرير الأرغلي، ويمن الطويل ومبشر الإخشيدي في خلق، فساروا إلى الموضع، وكانوا قد وكلوا به مزاحم بن محمد بن رائق فلقوه راجعا، ووقع القتال فقتل خلق من **المصريين**. وانصرف الناس عشية الأحد النصف من شعبان، فلما كان نصف الليل انصرف من كان بالجزيرة إلى دورهم، وأصبحوا غادين إلى الشام، وقد قتل جماعة، منهم: تحرير الأرغلي، ومبشر الإخشيدي، ويمن الطويل، وخلق كثير.

وأصبح الناس على خطة عظيمة، فبكروا في يوم الاثنين إلى دار الشريف مسلم يسألونه الكتاب إلى جوهر في إعادة أمانهم، فكتب إليه، وجلس الناس عنده، وقد طاف علي بن." (٢)

"الأرض، إلا الشريف والوزير.

وتقدم الناس واحدا واحدا، فلما فرغوا من السلام عليه عاد الناس إلى الفسطاط.

فلما زالت الشمس أقبلت العساكر، فعبرت الجسر، ودخلت أفواجا أفواجا، ومعهم صناديق المال على البغال، ويقال إن المال كان في ألف وخمسمائة صندوق، وأقبلت القباب، وأقبل جوهر في حلة مذهبة مثقل في فرسانه ورجالته، وقاد العسكر بأسره إلى المناخ الذي رسم له المعز موضع القاهرة، واختط موضع القصر، وأقام عسكره سبعة أيام يدخل من يوم الثلاثاء إلى آخر يوم الاثنين، واستقرت به الدار.

وجاءته الألطاف والهدايا فلم يقبل من أحد طعاما إلا من الشريف مسلم، ويقال: لما أناخ جوهر في موضع القاهرة الآن اختط القصر، فأصبح **المصريون** ليهنئوه، فوجدوه قد حفر أساس القصر في الليل.

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١٠٣/١

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١٠٩/١

ويقال إن جوهر لما بنى القصر، وأدار عليها السور سماها: المنصورية، فلما قدم المعز لدين الله إلى الديار المصرية سماها القاهرة.." (١)

"فلما رأى سطح الجرف المعروف اليوم بالرصد، قال: يا جوهر: لما فاتك الساحل كان ينبغي عمارة القاهرة بهذا الجبل على هذا السطح، وتكون قلعة لمصر.

حكاه ابن الطوير.

قال: وكان المعز عارفا بالأمور، مطلعا على الأحوال بالذكاء، وكان يضرب في فنون منها النجامة، فرتب في القصر ما يحتاج إليه الملوك بل الخلفاء، بحيث لا يراهم العيان في النقلة من مكان إلى مكان، وجعل لهم في ساحاته البحر والميدان والبستان، وتقدم بعمارة المصلى ظاهر القاهرة لأهلها، لخطبتهم فيها والصلاة في عيدي الفطر والنحر، والآخر بالقرافة **لأهل مصر**.

وقال ابن الظاهر: فلما تحقق المعز وفاة كافور جهز جوهر وصحبته العساكر، ثم نزل بموضع يعرف برقادة، وخرج في أكثر من مائة ألف فارس، وبين يديه أكثر من ألف صندوق من المال." (٢)

"دعا الإمام معد بتوحيد الإله الصمد في سطر.

وفي السطر الآخر: المعز لدين الله أمير المؤمنين.

وفي سطر آخر: بسم الله. ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، وفي الوجه الآخر: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. علي أفضل الوصيين وزير خير المرسلين.

ورجع مزاحم بن رائق وكان قد سار مع الإخشيدية ومعه جيش كبير.

وأفطر جوهر يوم الفطر على عدد بغير رؤية، وصلى صلاة العيد بالقاهرة، صلى به على بن وليد الإشبيلي وخطب، ولم يصل **أهل مصر**، وصلوا من الغد في الجامع العتيق، وخطب لهم رجل هاشمي. وكان أبو طاهر القاضي قد التمس الهلال على رسمه في سطح الجامع فلم يره، وبلغ ذلك جوهر فأنكره وتهدد عليه.." (٣)

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١/١١١

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١/١١٣

(٣) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١/١١٦

"وأن جعفر بن فلاح قتل منهم، وملكوا دمشق، فتأهب جوهر لقتالهم، وعمل الخندق، ونصب عليه البابين الحديد اللذين كانا على ميدان الإخشيدي، وبني القنطرة على الخليج، وفرق السلاح على المغاربة والمصريين؛ ووكل بابن الفرات خادما يبيت معه في داره، ويركب معه حيث سار؛ ووثب أهل تنيس على واليهم وقتلوا جماعة منهم الإمام في القبلة ووجدت رقاع في الجامع العتيق فيها التحذير من جوهر، فجمع الناس ووبخهم فاعتذروا.

وفي ذي الحجة كبست القرامطة مدينة القلزم، وأخذوا واليها عبد العزيز بن يوسف، وما كان له من خيل وإبل.

وكان القاع خمسة أذرع، وبلغ ماء النيل سبعة عشر ذراعا وأربعة أصابع، وخلع جوهر على ابن أبي الرداد، وأجازه وحمله.

وفيها مات أبو سعيد يانس أحد قواد الإخشيدية في المحرم.

وقتل تبر القائد أبو الحسن نفسه بسكين الدواة في شهر ربيع الآخر، فسلخه القائد جوهر، وصلبه عند المنظر حتى مزقته الرياح.." (١)

"ودخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة

وفي المحرم دخل برءوس من بني هلال.

وفيه كبست الفرما، وعصى أهل تنيس، وغيروا الدعوة وسودوا، فحاربهم العسكر، ودخل بعض المنهزمين من القرامطة، وتبعهم القرامطة إلى عين شمس، فاستعد جوهر لقتالهم، وغلق أبواب الطابية، وضبط الداخل والخارج، وقبض على أربعة من الجند المصريين، وضرب أعناقهم وصلبهم، وبعث فأخرج ابن الفرات من داره وأسكنه بالقاهرة.

وفي مستهل ربيع الأول التحم القتال مع القرامطة على باب القاهرة.

وكان يوم جمعة، فقتل من الفريقين جماعة، وأسر عدة، وأصبحوا يوم السبت متكافئين، وغدوا يوم الأحد للقتال، فسار الحسن بن أحمد بهرام الذي يقال له الأعسم زعيم عسكر القرامطة بجميع عسكره على الخندق، والباب مغلق، فلما زالت الشمس فتح جوهر الباب، واقتتلوا قتالا شديدا قتل فيه خلق كثير، وانهزم الأعسم ونهب سواده بالجب، وأخذت صناديقه وكتبه، وهو في الليل على طريق القلزم، فنهبت بنو عقيل وبنو طي كثيرا من مواده، ونادى جوهر في المدينة: من جاء بالقرمطي أو برأسه فله ثلاث مائة ألف درهم،

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١/١٢٩

وخمسون خلعة، وخمسون سرجا بحلى على دوابها.
فلما كان الغد من وقعة القرمطي ورد أبو محمد الحسن بن عمار من المغرب؛ وسار عسكر لقتال أهل تنيس، وقبض على تسعمائة من جند مصر في ساعة واحدة وقيدوا؛ ورد جوهر تدبير الأموال إلى جعفر بن الفرات، وخرج سعادة بن حيان في عسكر إلى الرملة بسبب القرامطة فدخلها، ثم قدم عليه الأعسم القرمطي، فعاد سعادة بمن معه إلى مصر.
وفي شهر رمضان قبض على عجوز عمياء تنشد في الطريق وحبست، ففرح جماعة من الرعية، ونادوا بذكر الصحابة، وصاحوا:." (١)

"قال ابن زولاق: أنا سبحت خلفه في كل ركعة وفي كل سجدة نيفا وثلاثين تسبيحة، وكان القاضي النعمان بن محمد يبلغ عنه التكبير؛ وقرأ في الثانية بأم الكتاب وسورة والضحى، ثم كبر أيضا بعد القراءة؛ وهي صلاة جده علي بن أبي طالب، وأطال أيضا في الثانية الركوع والسجود، وأنا سبحت خلفه نيفا وثلاثين تسبيحة في كل ركعة وفي كل سجدة؛ وجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة، وأنكر جماعة يترسمون بالعلم قراءته قبل التكبير، لقلة علمهم وتقصيرهم في العلوم.
فلما فرغ من الصلاة صعد المنبر، وسلم على الناس يمينا وشمالا، ثم نشر البندين اللذين كانا على المنبر فخطب وراءهما، وكان في أعلى درجة من المنبر وسادة ديباج مثقل، فجلس عليها بين الخطبتين، واستفتح الخطبة ببسم الله الرحمن الرحيم.
وكان معه على المنبر جوهر، وعمار بن جعفر، وشفيع صاحب المظلة، ثم قال: الله أكبر الله أكبر، استفتح بذلك وخطب وأبلغ وأبكى الناس، وكانت خطبته بخضوع وخشوع.
فلما فرغ من خطبته انصرف في عساكره، وخلفه أولاده الأربعة بالجواشن والخوذ على الخيل بأحسن زي، وساروا بين يديه بالفيلين. فلما حصل في قصره أحضر الناس فأكلوا ونشطهم إلى الطعام، وعتب على من تأخر، وتهدد من بلغه عنه صيام العيد.
ورد إلى أبي سعيد عبد الله بن أبي ثوبان أحكام المغاربة ومظالمهم.
وتحاكم إليه جماعة من المصريين فحكم بينهم وسجل، فكان شهود مصر يشهدون عنده ويشهدون على أحكامه، ولم ير هذا بمصر قبل ذلك؛ واستخلف أبو سعيد أحمد بن محمد الدوادي.

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١٣٠/١

ومنع المعز من النداء بزيادة النيل، وألا يكتب بذلك إلا إليه وإلى جوهر، فلما تم أباح النداء يعني لما تم ست عشرة ذراعا.." (١)

"شبرا في مثلها، وأرضها ديباج أحمر، ودورها اثنا عشر هلال ذهب، وفي كل هلال أترجة ذهب مشبك، جوف كل أترجة خمسون درة كبيض الحمام، وفيها الياقوت الأحمر والأصفر والأزرق، وفي دورها مكتوب آيات الحج بزمرد أخضر، وحشو الكتابة در كبار لم ير مثله، وحشو الشمسة المسك المسحوق؛ فرآها الناس في القصر ومن خارجه لعلو موضعها؛ ونصبها عدة فراشين، وجروها لثقل وزنها.

وأول من عمل الشمسة للكعبة أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله، فبعث سلسلة من ذهب كانت تعلق مع الياقوتة التي بعثها المأمون، وصارت تعلق كل سنة في وجه الكعبة، وكان يؤتى بهذه السلسلة في كل موسم وفيها شمسة مكللة بالدر والياقوت والجوهر قيمتها شيء كثير، فيقدم بها قائد يبعث من العراق، فتدفع إلى حجبة الكعبة، ويشهد عليهم بقبضها، فيعلقونها يوم سادس الثمان، فتكون على الكعبة، ثم تنزع يوم التروية.

وغدا المعز لصلاة عيد النحر في عساكره، وصلى كما ذكر في صلاة الفطر من القراءة والتكبير وطول الركوع والسجود، وخطب وانصرف في زيه، فلما وصل إلى القصر أذن للناس عامة فدخلوا والشمسة منصوبة على حالها، فلم يبق أحد حتى دخل من **أهل مصر** والشام والعراق فذكر أهل العراق وأهل خراسان، ومن يواصل الحج أنهم لم يرو قط مثل هذه." (٢)

"الشمسة؛ وذكر أصحاب الجوهر ووجوه التجار أنه لا قيمة لما فيها، وأن شمسة بني العباس كان أكثرها مصنوعا ومن شبه، وأن مساحتها مثل ربع هذه.

وكذلك كانت شمسة كافور التي عملها لمولاه أونوجور بن الإخشيد، وكان يسير بها إلى الحرم جعفر بن محمد الموسوي، ثم ابنه أبو الحسين، ثم بعده ابنه مسلم، ثم أبو تراب بعد أخيه، إلى أن أخذها القائد جوهر من أبي تراب.

وأمر المعز للناس بالطعام فأكلوا.

وورد الخبر بوصول أسطول القرامطة إلى تنيس في البحر، فكانت بينهم وبين أهل تنيس حرب انهزم فيها أصحاب القرامطة، وأخذ منهم عدة مراكب، وأسر طائفة منهم، وأن أسكر؟ نهبت، فعظم ذلك على المعز،

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١٣٨/١

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١٤١/١

واشتد خوف الناس في المقابر حتى كانوا يصلون على الجنائز ولا يتبعونها، ويمضي بها الحفارون؛ فأنكر المعز ذلك، وأمن الناس.

ولثماني عشرة من ذي الحجة، وهو يوم غدير خم، تجمع خلق من **أهل مصر** والمغاربة للدعاء، فأعجب المعز ذلك، وكان هذا أول ما عمل عيد الغدير بمصر.

وقدم من تنيس مائة وثلاثة وسبعون رجلا أسارى، وعدة رءوس، ومعهم أعلام القرامطة." (١)

"وكتب لهما بذلك سجلا. قرىء يوم الجمعة على منبر جامع أحمد بن طولون؛ وقبضت أيدي سائر العمال والمتضمنين.

وجلسا غد هذا اليوم في دار الإمارة في جامع أحمد بن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوه الأموال، وحضر الناس للقبالات، وطالبوا بالبقايا من الأموال مما على المالكين والمتقبلين والعمال، واستقصيا في الطلب، ونظرا في المظالم.

وفيه تبسطت المغاربة في نواحي القرافة والمعافر، فنزلوا في الدور، وأخرجوا الناس من دورهم، ونقلوا السكان وشرعوا في السكنى في المدينة، وكان المعز أمرهم أن يسكنوا في أطراف المدينة، فخرج الناس واستغاثوا إلى المعز، فأمر أن يسكنوا نواحي عين شمس، وركب المعز بنفسه حتى شاهد المواضع التي ينزلون فيها، وأمر لهم بما يبنون به، وهو الموضع الذي يعرف اليوم بالخندق، وخندق العبيد؛ وجعل لهم واليا وقاضيا؛ وأسكن أكثرهم في المدينة مخالطين **لأهل مصر**، ولم يكن جوهر يبيحهم سكنى المدينة ولا المبيت فيهان وحظر ذلك عليهم، وكان مناديه ينادي كل عشية: لا يبينم في المدينة أحد من المغاربة.

وفي يوم عاشوراء انصرف خلق من الشيعة وأتباعهم من المشاهد من قبر كلثم بنت محمد بن جعفر بن محمد الصادق، ونفيسة، ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالتهم بالنياحة والبكاء على الحسين، وكسروا أواني السقائين في الأسواق، وشققوا الروايا، وسبوا من ينفق في هذا." (٢)

"فوطأ أمرهم على أنهم يحجوا ويؤدوا إليه المال في كل سنة، ويكونوا آمنين على أنفسهم وأموالهم؛ وأخرج **أهل مصر** أيضا عن الحاج ضرائب من مال السلطان؛ ثم ولى تدبير العراق من لم ير ذلك دناءة ولا منقصة، فصار لهم على الحاج رسما بالكوفة.

فلما كان سنة خمس وعشرين كبس أبو طاهر الكوفة، وقبض على شفي اللؤلؤي أميرها بأمان، فبعثه إلى

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١/١٤٢

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١/١٤٥

السلطان يعرفه أنهم صعاليك لا بد لهم من أموال، فإن أعطاهم مالا لم يفسدوا عليه، وخدموه فيما يلتمسه، وإلا فلا يجدوا بدا من أن يأكلوا بأسيافهم، وبر أبو طاهر شفيعا ووصله، فوصل شفيع إلى السلطان وعرفه، فبعث إليهم رجلا فناظر القرمطي، وملأ صدره من السلطان وأتباعه، فزاده انكسارا، وسار عن البلد، فابتلاه الله بالجدري وقتله؛ فملك التدبير بعده أخوته وابن سنبر.

فلما كان في سنة تسع وثلاثين أرادوا أن يستميلوا الناس فحملوا الحجر الأسود إلى الكوفة، ونصبوه فيها على الاسطوانة بالجامع.

وكان قد جاء عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب زين العابدين: أن الحجر الأسود يعلق في مسجد الجامع بالكوفة في آخر الزمان.

ثم قدم به سنبر بن الحسن بن سنبر إلى مكة وأمير مكة معه فلما صار بفناء البيت أظهر الحجر من سفط كان به مصونا، وعلى الحجر ضباب فضة قد عملت عليه، تأخذه طولا وعرضا، تضبط شقوقا حدثت فيه بعد انقلاعه؛ وكان قد أحضر له صانع معه جص يشد به الحجر، وحضر جماعة من حجبة البيت، فوضع سنبر بن الحسن بن سنبر الحجر بيده في موضعه ومعه الحجبة وشده الصانع الجص بعد وضعه وقال لما رده: أخذناه بقدرة الله، ورددناه بمشيئته.." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم وصل إلينا كتابك الذي كثر تفصيله، وقل تحصيله، ونحن سائرون على إثره، والسلام، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وسار الحسن بن أحمد القرمطي بعد ذلك إلى مصر، فنزل بعسكره بلبيس، وبعث إلى الصعيد بعبد الله بن عبيد الله أخي الشريف مسلم، وانبثت سراياه في أرض مصر، فتأهب المعز وعرض عساكره في ثالث رجب سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وأمر بتفرقة السلاح على الرجال، ووسع عليهم في الأرزاق، وسير معهم الأشراف والعرب.

وسير معهم المعز ابنه الأمير عبد الله، فسار بمظلته وبين يديه الرجال والسلاح والكراع والبنود وصناديق الأموال والخلع، وسير معه أولاده وجميع أهله وجمعا من جند **المصريين** خلا الشريف مسلم، فإنه أعفاه من ذلك.

وانبسطت سرية القرمطي في نواحي أسفل الأرض، فأنفذ المعز عبده ريان الصقلبي في أربعة آلاف، فأزال القرامطة عن المحلة ونواحيها وقتل وأسر.

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١/١٨٤

ولثمان خلون منه قدمت سرية القرامطة إلى الخندق، فبرز إليهم المغاربة فهزموهم، ثم كروا على المغاربة فقتلوا منهم جماعة وأسروا؛ وفر إليهم علي بن محمد الخازن فالتحق بالقرامطة.

وورد الخبر بأن عبد الله بن عبيد الله أخا مسلم أوغل في الصعيد، وقتل، واستخرج الأموال، وأسرف في قتل المغاربة وأسرهم، ثم كر راجعا إلى خميم.

ولست عشرة خلت منه جمع المعز أولاد الإخشيدية وغيرهم من الجند واعتقلهم.

وفي سلخه طيف بتسعة من القرامطة على الإبل بالبرانس ومعهم ثلاث رؤوس؟." (١)

"وفيه سار عسكر المعز مع ابنه عبد الله فنزل جب عميرة، ونزلت عسكر القرمطي نصفين: نصف مع النعمان أخي الحسن بن أحمد الأعصم مواجهة لعبد الله بن المعز، ونصف مع الحسن بسطح الجب. فبعث عبد الله العساكر، فأحاطت بالحسن بن أحمد، وعسكر وزحف إلى النعمان فقاتله فانهزم، وقتل مع أصحابه، وواقع الآخرون الحسن حتى كاد أن يؤخذ، فإنهم أحاطوا به، وصار في وسطهم؛ فاغتنم فرجة مضى على وجهه؛ ونهب سواده وأخذت قبته، وأسر رجاله، وأخذ من عسكره وعسكر أخيه خلق كثير، وأخذ جماعة ممن كان مع **المصريين**.

ووصل الكتاب مع الطائر إلى عبد الله بن عبيد الله أخي مسلم بهزيمة القرامطة وهو بالصعيد، فعدى إلى الجانب الشرقي لينقلب إلى الشام، فبلغه مسير عساكر المعز فعاد إلى الجانب الغربي.." (٢)

"إني نظرت في الذي وليتني فإذا هو لا يقوم بمن معي من الغلمان، وإني أريد أن أرجع إلى بغداد. فقال: افعل ما تراه.

فسار كأنه يريد أن يأخذ طريق البلد إلى بغداد، وأخذ نحو دمشق، وقد نزل ريان عليها، وجاءته أخبار طرابلس: بأن العدو قد خرج، ونحن نخاف علي البلد أن يؤخذ، فانزعج وخاف على طرابلس، وإذا بالخبر ورد عليه بأن أفتكين قد توجه نحوه بموافقة أهل البلد، فعرض عساكره، وبرز يريد عقبة دمر.

وأصبح أفتكين على ثنية العقاب، ولم يعلم بأن ريان الخادم قد ارتحل عن البلد بجميع أصحابه حتى لم يبق منهم أحد، فوصل إلى البلد وقد أجهده وأصحابه التعب لأيام بقيت من شعبان.

ونزل بظاهر البلد، فخرج الناس إليه، واستبشروا به، وسألوه أن يملكهم ويزيل **المصريين** ويكف عن الأحداث، فأجابهم، واستحلف على الطاعة والمساعدة، وحلف لهم على الحماية وكف الأذى عنهم منه ومن غيره.

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢٠٢/١

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢٠٣/١

وقطع خطبة المعز وخطب للطائع، وقمع أهل العبث، فهابته الكافة، وصلح به كثير من أمر البلد، وأقام أياما، وشاع خبر العدو أنه قد أقبل في جيش عظيم، فاستعدوا لقتاله، ونزل العدو على حمص، فلم يعرض لأحد بأرض حمص، لهدنة كانت بينه وبين أبي المعالي ابن حمدان.

وسار أفتكين إلى بعلبك في طلب ظالم، ففر منه، فنزل أفتكين بعلبك، وكانت العرب قد استولت على ما خرج عن سور دمشق، فأوقع بهم أفتكين، وقتل كثيرا منهم، وظهر منه حسن تدبيره وقوة نفس وشجاعة، فأذعن الناس له، وأقطع البلاد، فكثر جمعه، وتوفرت أمواله، وثبت قدمه، وملك بعلبك من ظالم بن موهوب، فقصده الروم وعليهم الدمستق، فقاتلهم أشد قتال، ثم كثروا عليه فانهزم.." (١)

"وفيه ثارت فتنة بين المصريين والمغاربة، فقبض على جماعة وضربوا.

وفي ذي القعدة نودي لخمس خلون منه في الجامع العتيق: الحج في البر.

وكان قد انقطع منذ سنين.

وفيه مات عبد الله بن أبي ثوبان، وكان قد نصبه المعز للنظر في مظالم المغاربة، فتبسط في الأحكام بين المصريين، وقال في كتبه: قاضي مصر والاسكندرية، وشهدت عنده شهود مصر من المعدلين.

وفيه خاطب المعز علي بن النعمان بالقضاء، وأذن له في النظر في الأحكام، فجلس في داره ومسجده ونظر في الأحكام.

وطيف برؤوس من الأعراب والروم وردت من الشام ومن الصعيد.

وقدم للنصف منه جواب القرامطة من الأحساء، فخلع على الرسول وعلى جماعة معه، وحملوا.

وفيه طلع نجم الذنب عند الفجر وله شعاع كبير، فأقام أياما، واضطرب الناس، ولما رآه المعز استعاذ منه.

وطلبت العبيد الصقالبة من جميع الناس، وأخذوا بالثمن.

وانفرد عسلوج بن الحسن بالديوان والنظر في أبواب المال كلها.

وفي مستهل ذي الحجة طيف برؤوس على رماح يقال عدتها إثنا عشر ألف رأس، وردت من المغرب، فيها رأس خلف بن جبر، وقد ثار بالمغرب واجتمع عليه البربر، فظفر به يوسف ابن زيرى، وقتل لخمس خلون من رمضان هو وجماعة من أهله.

واعتقل جماعة من الإخشيدية والكافورية وطولبوا ببيع عقارهم ورد ما باعوا منه.

ووردت هدية أبي محمود من الشام، وهي مائة فارس، وأحمال مال.

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١/ ٢٢٠

وبرز ركب المعز يوم عيد النحر على رسمه، فصلى وخطب، وأطعم الناس بالقصر.

وكسر الخليج، ولم يركب إليه المعز.." (١)

"وقال ابن سعيد في كتاب المغرب: إن المعز أنفذ إلى ابن السوادكي فقال: من لك بالحجاز من التجار تكاتبه، اكتب إلى من تراه منهم بأن يكتب إلى عدن بحمل ما يقدر عليه من خشب الأبنوس الحسن التلميع التام الطول، الغليظ مما لا غاية وراءه.

فكتب إلى تاجر بمكة، وأكد عليه، فما كان إلا نحو شهرين حتى عاد جوابه أنه وجد منه ما ليس له في الدنيا نظير، وحمله في مركب، فسر بذلك، وبكر إلى المعز فأخبره الخبر، وأنه في القلزم، فأطرق وتغير لونه، فقال له: يا مولانا هذا يوم فرح وسرور بأن تطلب أمرا يكون بعد مدة فيسهله الله في أقرب وقت.

فقال: يا محمد ليس يدري إلى حيث خرجت.

ثم سار خارجا إلى ظاهر القاهرة وهو يقرأ سورة الفتح إلى آخرها، ويرددها كلما فرغ منها، ورجع فاعتل بعد جمعة، وترددت به العلة، فمات في الشهر الخامس، وما طلبه منى، ولا أذكرته به، وكان قد تأول أن أجله نعي إليه حين رأى الأشياء منقادة له.

قال ابن زولاق: ولأربع خلون من صفر ورد حاج البر، وقد كان البر أقام سنين لم يسلك.

وفيه حضر على بن النعمان القاضي جامع القاهرة، وأملى مختصر أبيه في الفقه عن أهل البيت، ويعرف هذا المختصر بالاقتصار، وكان جمعا عظيما.

وفي ربيع الآخر وردت رسالة القرامطة بأنهم في الطاعة.

وفيه أذن المعز لجماعة **المصريين** فدخلوا عليه وخاطبهم وهو على سرير الملك، فصاح به رجل منهم:." (٢)

"وكانت هذه الوقعة لسبع بقين من المحرم سنة ثمان وستين.

فورد كتاب العزيز إلى مصر بنصرته على أفتكين، وقتل عدة من أصحابه وأسره، فقرىء على **أهل مصر** فاستبشروا وفرحوا.

وكتب أبو إسماعيل الرسي إلى العزيز يقول: يا مولانا: لقد استحق هذا الكافر كل عذاب، والعجب من الإحسان إليه.

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢٢٣/١

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢٢٧/١

فلم يرد عليه جوابا.
وسار العزيز ومعه أفتكين مكرما من الرملة، وبقية الأسرى إلى مصر.
قال المسبحي: فخرج الناس إلى لقائه وفيهم أبو إسماعيل الرسي، فلما رآه العزيز قال: يا إبراهيم: قرأت كتابك في أمر أفتكين، وفيما ذكرته، وأنا أخبرك: اعلم أنا وعدناه الإحسان والولاية فما قبل، وجاء إلينا فنصب فازاته وخيامه حذاءنا، وأردنا منه الانصراف فلج وقاتل، فلما ولى منهزما وسرت إلى فازاته ودخلتها سجدت لله الكريم شكرا، وسألته أن يفتح لي بالظفر به، فجيء به بعد ساعة أسيرا؛ ترى يليق بي غير الوفاء؟!.
فقبل أبو إسماعيل رجله.
ودخل العزيز إلى القاهرة ومعه أفتكين والأسرى، وعليه تاج مرصع بالجوهر، فأنزل أفتكين في دار، وأوصله بالعطاء والخلع حتى قال: لقد احتشمت من ركوبي مع مولانا العزيز بالله ونظري إليه مما غمرني من فضله وإحسانه، فلما بلغ العزيز ذلك، قال لعمه حيدرة:." (١)
"الاستقصاء على هذه القصة، فأوثق الناس إلى أن تنكشف، فينتقم من فاعلها، وتبرأ إلى الله تعالى منه.
فليعمل الوزير سلمه الله في ذلك عملا يأجره الله عليها ونشكره، ولا يتوانى عنه، فليس ما نغسله عن أنفسنا بانكشاف هذه القصة قليلا عند الله جل وعلا، وعند عبيده من بعد.
وأنا أقسم على الوزير بحياتي ألا يتوانى عن هذا الأمر، وليسرع بالفراغ منه، وخلاص هؤلاء الرجال المساكين من مد يد من يطلب أموالهم وأنفسهم ظلما وعدوانا، والشرط والولاية قد صارت إرثا، فلينظر الوزير سلمه الله أن يولى الشرطتين إنسانين يخافان الله عز وجل ويتقيانه، فلا جمع الله ما لهما، ولا ما يجيء منهما بتقلد، فقدم ما أمرناك به في الوجوه، وأظهره في الناس لتطيب أنفسهم، وليعلموا أنا لا نغفل عن شيء يبلغنا الله فيه رضى، ولهم فيه صيانة.
والله حسبي، وعليه توكلي.
والسلام على الوزير ورحمة الله.
قال ابن الصيرفي: فنسخ أهل مصر كافة هذا التوقيع، وصار الصبيان في المكاتب يعلمونه كما يعلمون

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢٤٤/١

الحمد.

وصرف الوزير..... ورشيقا عن الشرطتين.." (١)

"سنة خمس وثمانين وثلاثمائة

في المحرم ورد سابق الحاج، وأخبر أنه لم يحج سوى أهل مصر واليمن.

وحضر العزيز لمنجوتكين مائة ألف دينار وعسكرا يتبع بعضه بعضا.

وورد البقط من النوبة.

ووصل الحاج في ثامن صفر.

وجلس في ربيع الأول القاضي محمد بن النعمان على كرسي بالقصر لقراءة علوم آل البيت، وحضره الناس، فمات في الزحام أحد عشر رجلا.

ووردت من منجوتكين أسرى من الروم والحمدانية، وعدة رءوس، فعفا عن الحمدانية، وطيف بمن عداهم.

وورد من برقة أربعة وأربعون صندوقا على اثنين وعشرين جملا فيها المال.

وبعث مفرج بن دغفل الجراح برجل من أعمال الشام، زعم أنه السفياتي، فشهر على جمل وهو يصفع.

وفي ربيع الآخر ورد الخبر بوصول الروم إلى أنطاكية، فأخرجت مضارب العزيز إلى منية الأصبغ، وذلك أن منجوتكين لم يزل محاصرا لابن حمدان بحلب من شعبان سنة أربع إلى ربيع الأول من هذه السنة، حتى أشرف على أخذ البلد، وراسل ابن حمدان يرد على ملك الروم بما هو فيه.

وكانت في هدنة الروم وبني حمدان أنه إن جاء إلى حلب عدو يدفعه ملك الروم، فخاف بسيل ملك الروم من العزيز أن يتمكن عساكره من حلب، فيأخذ أنطاكية من الروم، فجمع نحو أربعين ألفا، وسار من قسطنطينية، فكد أصحابه في السير، والجنائب والبغال تتقطع، حتى وصل إلى أعزاز في سبعة عشر يوما، وهي مسافة شهرين لسير الاتصال، وقد تقطع." (٢)

"دخلت على العزيز وهو مطرق كأنه يخاطب نفسه، فبعد وقت رفع رأسه، وقال: أي وقت جئت؟

فقلت: من ساعة.

فقال: كنت مفكرا في قوم أشجو صدري، وملأوا بالغيظ قلبي، ولا أدري ما أعمل.

فقلت: يا مولانا ابعث إليهم فاقتلهم.

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١/٢٦٦

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١/٢٨٥

فقال: ما هذا يكون بيدي، ولكنه والله سوف يجيء من يقتلهم ويقتلك معهم.

وأرى الحاكم قد قتل جماعة ولا بد له مني. وكذا كان.

وقال القرطي: كان المثل يضرب بأيام العزيز في مصر، لأنها كانت كلها أعيادا وأعراسا.

وقال ابن الأثير: قيل إنه ولي عيسى بن نسطورس النصراني كتابته، واستناب بالشام يهوديا اسمه منشا إبراهيم بن القزاز، فاعتز بهما النصارى واليهود، وآذوا المسلمين، فعمد **أهل مصر** وكتبوا قصة وجعلوها في يد صورة عملوها من قراطيس، فيها: بالذي أعز اليهود بمنشا، والنصارى بعيسى بن نسطورس، وأذل المسلمين بك، إلا كشفت ظلامتي.

وأقعدوا تلك الصورة على طريق العزيز، والرقعة بيدها؛ فلما رآها أمر بأخذها، فإذا الصورة من قراطيس، فعلم ما أريد بذلك، فقبض عليهما، وأخذ من عيسى بن نسطورس ثلاثمائة ألف دينار، ومن اليهودي شيئا كثيرا.

وكان يحب العفو ويستعمله، فمن حلمه:." (١)

"وكتب إلى بلاد الشام والمغرب بوفاة الحاكم وقيام الظاهر، ورسم لهم أخذ البيعة على نفوسهم ومن عندهم من سائر طبقات الناس. وأقيمت المآتم على الحاكم في القصور والقاهرة ثلاثة أيام. وجمعت السيدة عامة **أهل مصر** وخاطبتهم بالجميل والملاطفة، ووعدتهم حسن السيرة والمعاملة، وأمرتهم بذكر حوائجهم ومصالحهم في كل وقت، والمطالعة بحيف إن لحقهم من عامل أو ناظر ليفعل في ذلك ما توجبه السياسة العادلة. وأطلقت للنساء الخروج من منازلهن والتصرف في أمورهن. وارتجعت جواهر كان الحاكم وهبها، وحلت إقطاعا، أقطعها ورتبت الأمور ترتيبا أصلحها وهذبها.

وزارت ابن دواس في منزله، وجعلت مصادر التدبير على يده. فلما أحكمت ما أحكمته وأكدت ما أكدته، أحضرت ابن دواس وقالت له: قد علمت ما بيني وبينك من المواثيق والعهود، وأنا امرأة، وإنما أريد هذا الملك لهذا الصبي؛ وقد أحسن الله المعونة، وأجرى الأمور على المحبة، وأنت زعيم الدولة فيها والمنظور إليه منها؛ وقد رأيت أن أنجز وعدك وأظهره، وأرد إليك أمر السيادتين، مضافا إلى الشرطتين، وأجعل أمرك في الأمور والخزائن نافذا، ورأيك في التقريرات والتدبيرات معتمدا، إذ كنت المولى المخلص والشريك المخالط؛ وأشرفك بخلع وحملان يظهر للخاص والعام بها موضعك ومحلك، وتخصصك وتحققك. فادخل الخزائن واختر كل ما تريد لفخامته ولجلالته، واطلب يوما تختار لتفاض فيه عليك الخلع ويقرأ العهد بتقليدك. فلما سمع من ذلك ما سمع سر به وقبل الأرض شكرا عليه. وشاع هذا الحديث فركب الناس إليه

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢٩٧/١

وهنئوه بالنعم المتجردة له.

وأحضرت السيدة بعد ذلك كاتب ابن دواس وقالت له: قد تقدمنا إلى سيف الدولة بما عرفته، وبما اعتمد التخفيف فيما أطعمه أو وقف فيه دون الغاية التي نريدها، وينبغي لك أن تعمل أنت تذكرة بجميع ما يستوفي فيه شروط المنزلة التي قدمناه إليها، والحال." (١)

"عقله وحاله، فوقف تحت القصر وشتمه أقبح شتم، وبالغ فيما شتم به، فضربه الرقاصون حتى سقط، وجروه برجله وسحبوه إلى السجن بالشرطة، فضربه متوليها ثلاثين درة واعتقله.

وتزايد أمر الغلاء؛ ونزل دواس المحتسب برجاله ومعه السعدية، وكتب مائة وخمسين مخزنا قمحا وختم عليها؛ فأصبح الناس يوم الاثنين سادس عشره على أقبح صورة، وكثر الصياح: الجوع الجوع؛ ولم يظهر خبز ولا دقيق. وبيع الدقيق رطلا ونصفا بدرهم، والخبز الأسود رطلين بدرهم وربع.

وفيه خرج حاج المغاربة إلى مكة، فلم يصحبهم أحد من **أهل مصر**؛ وعندما عدوا بركة الجب خرج عليهم طائفة من القيصرية والعبيد، وكانت بينهم وقعة هزمهم فيها المغاربة وجرحوا كثيرا منهم.

وفيه طلب المحتسب إلى القصر، وهدد، وقيل له: قد قتلت الناس جوعا وخربت البلاد على مولانا، وهذا خطك بضمانك عمارة البلد بالأخباز والقمح إلى حين إدراك الغلة. فوعد بتلافي الأمر، ونزل؛ وأطلق القمح من المخازن للطحانين، وسعر عليهم دينارين ونصفا للتليس، وأمرهم ببيع الحملة الدقيق بأربعة دنانير، والخبز رطلين ونصفا بدرهم، فسكن الحال قليلا.

وفيه أفرج عن محمد بن جيش بن الصمصامة.

وفي عشريه ركب الظاهر إلى الصيد بسردوس، وعاد. وفي ثالث عشريه عاد." (٢)

"أزمتهم وألزموهم بعود العبيد إلى حارتهم؛ فقالوا: ما أردنا النهب، ولا نريد إلا ما نأكله من الجوع فإن الجوع قد اشتد بنا وأكلنا الكلاب. فوعدوا بالنفقة من الغد؛ فعاد الجميع إلى حاراتهم. واجتمعوا من الغد وقصدوا الساحل، ونهبوا دورا وطرحوا فيها النار، وأخذوا ما وجدوه في الساحل من القمح والشعير وغير ذلك مما في الحوانيت؛ ودخلوا إلى منازل أهل السلاح فنهبوا ما وجدوا. فركب إليهم نافذ وقاتلهم، فجرح له فرس وقتل فارس من غلمانه، فانصرف عنهم. وخرج إليهم عامة **المصريين** بالسلاح فقاتلوهم؛ ورماهم النساء من أعلا الدور بالحجارة والطوب والجرار، حتى هزموهم؛ وأغلق الناس دورهم، وحفروا دونها خنادق.

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢/١٢٦

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢/١٦٥

وركب معضاد وجميع الصقالبة والقواد، فطردوا العبيد عن البلد إلى المقس، ولقوا في طريقهم قوما معهم كثير من أمتعة الناس التي نهبت، فقبضوا عليهم، وضرب معضاد رقاب تسعة أنفس منهم ورمى جثثهم إلى الكلاب عند الحمراء والمشتهى. ثم لقي ستة نفر منهم فضرب رقابهم بالقاهرة.

وتعذر وجود الخبز فلم يقدر عليه، وبيع رطلا بدرهم. وبات الناس ليلة الجمعة على حرس، وأصبحوا يترقبون المكروه، فطاف النهابة أسواق القاهرة والسويقة التي عند باب زويلة، فخرج إليهم حظي الصقلبي ومعه سيف من الحضرة، فقبض على طائفة منهم، ضرب رقابهم ورمى جثثهم إلى الكلاب على باب زويلة وعلى باب الفتوح وفي سوق السلاح وعند شرطة القاهرة؛ وعدتهم اثنا عشر رجلا. ووجد كتاميا يقال له سليمان، قد أخذ حمارا محملا دقيقا، فضرب عنقه. وأحضر عرفاء العبيد إلى القصر وشدد عليهم في إحضار الجناة من العبيد، ووعدهم بالنفقة في العبيد.

وأصبح الناس يوم الأحد سابع عشريه يستغيثون إلى متولي الشرطة السفلى من العامة التي نهبتهم، فقبض على طائفة منهم بكوم دينار، وعوقبوا حتى أقروا بما عندهم من النهب، فسيقوا حتى أخرجوه من كوم دينار وأخذه أربابه.." (١)

"ومن أحسن ما قيل في أبي سعيد، وقد كره أذاه للمسلمين أنه كان يحلف: وحق النعمة على بني إسرائيل، قول الرضي فيه:

يهود هذا الزمان قد بلغوا ... غاية آمالهم، وقد ملكوا

العز فيهم والمال عندهم ... ومنهم المستشار والملك

يأهل مصر إني قد نصحت لكم ... تهودوا قد تهود الفلك

وفيها استقر في الوزارة بعد الفلاحي أبو البركات الحسين بن عماد الدولة بن محمد بن أحمد الجرجرائي، ابن أخي الوزير صفي الدين، ولقب بالوزير الأجل الكامل الأوحد، علم الكفاة، سيد الوزراء، ظهير الأئمة، عماد الرؤساء، فخر الأمة، ذي الرئاستين، صفى أمير المؤمنين.

وفيها ابتدأ أمر أبي محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري. وكان من خبره أن أباه علي بن عبد الرحمن كانت له حال واسعة ببلد يعرف بيازور، من ضياع فلسطين، وكان مقدما فيها؛ فلما كبرت حاله انتقل إلى الرملة واستوطنها، وصارت له وكلاء في الضياع. فاشتهر هناك وعرف بالعفة والصدق وسماح النفس، فرد إليه قضاء بعض أعمال الرملة. ونشأ له ابنان نجيبان، ولي أحدهما الحكم بعد أبيه إلى أن

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢/ ١٧٠

توفي، ثم خلفه أخوه عبد الرحمن هذا من بعده، فعرف بسعة النفس وسعة الأخلاق؛ فاتصل بخدمة الوزير الجرجرائي، فصر بذلك ممنوعا ممن يريده بسوء.

واتفق أنه حج قبل قدومه إلى مصر، فلما زار قبر رسول الله نام في الحجرة الشريفة، فسقط عليه خلوق من الزعفران الملطخ في حوائط الحجرة، فجاء بعض الخدام وأيقظه من نومه وقال: أيها الرجل، إنك تلي ولاية عظيمة وقد بشرتك، فلي منك الحباء والكرامة.." (١)

"سنة أربع وأربعين وأربعمائة

فيها كتبت ببغداد محاضر تتضمن القدح في نسب الخلفاء **المصريين** ونفيهم من الالتحاق بعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه؛ وجمع سائر أعيان الفقهاء ببغداد وأشرافها وقضاتها، وعزوا نسبهم في الديصانية من المجوس. وسيرت المحاضر إلى البلاد، وشنع عليهم تشنيع كبير. وسبب ذلك الغضب ما عمل مع الرسول المرسل من المعز بن باديس، فإنه لما شهر بالقاهرة على جمل مقلوب، وكتاب العقد في عنقه والهدية بين يديه، ثم أحرقت الخلع والتقليد، أعيد الرسول إلى ملك الروم؛ فعز عليه ما فعل واعتذر إليه منه؛ فإنه كان قد ضمن له من مصر إعادته إليه سالما بعد ما جرت مخاطبة في طلبه. ثم أعاده ملك الروم إلى بغداد، فوصل في سنة أربع وأربعين هذه.

وسبب عوده أن المعز بن باديس بعث رسوله أبا القاسم بن عبد الرحمن إلى بغداد في ذلكن فبعث معه الملك طغرلبك، أبا علي بن كبير ليخاطب ملك الروم في رد أبي غالب، وكتب معه كتابا عنوانه: من ركن الدين وغياث المسلمين، بهاء دين الله وسلطان بلاد الله، ومغيث عباد الله، أبي طالب يمين الخليفة أمير المؤمنين، إلى عظيم الروم. ومضمونه بعد البسملة: الحمد لله القاهر سلطانه، الباهر برهانه، العلي شأنه، السابغ إحسانه؛ ثم مر فيه إلى أن قال: وقد نجم بمصر منذ سنين ناجم ضلالة يدعو إلى نفسه، ويغتر بمن أغواه من حزبه، ويعتقد من الدين ما لا يستجيزه أحد من أهل العلم في الأئمة الأول وهذا العصر، ولا يستحسنه عاقل من أهل الإسلام والكفر. ثم ذكر رسول أبا غالب وعاتب في أمره، وطلب تسييره مخفورا إلى المعز بن باديس. فقدم إلى قسطنطين. متملك." (٢)

"سنة سبع وأربعين وأربعمائة

فيها سير المستنصر إلى كنيسة قمامة، فأحتاط بجميع ما فيها. وذلك أن القاضي أبا عبد الله القضاعي

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١٩٧/٢

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢٢٣/٢

كان قد توجه من عند الخليفة برسالة إلى متملك الروم، فقدم وهو بالقسطنطينية رسول السلطان طغرلبك بن سلجوق يلتمس من الملكة تيودورا أن تمكن رسوله من الصلاة في جامع قسطنطينية، فأذنت له في ذلك؛ فدخل إليه وصلى به، وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسي. فبعث القضاعي بذلك إلى المستنصر، فأحاط بما في قمامة وأخذه، وأخرج البطرك منها إلى دار مفردة؛ وأغلق أبواب كنائس مصر والشام، وطالب الرهبان بالجزية لأربع سنين، وزاد على النصارى في الجزية. وكان هذا ابتداء فساد ما بين الروم **والمصريين**.

وفيها تجمع كثير من التركمان بحلب وغيرها، وأفسدوا في أعمال الشام.

وفيها تزايد الغلاء، وكثر الوباء، وعم الموتان بديار مصر.

وفيها سار مكين الدولة الحسن بن علي بن ملهم من القاهرة بالعساكر؛ ونودي في بلاد الشام بالغزو والجهاد. واستدعى راشد بن عليان بن سنان إلى القاهرة، وقرر معه أن يسير في قومه الكلبيين مع ابن ملهم، ثم قبض عليه. وعقدت إمارة الكلبيين لنبهان، وقيل لسنان، فنزل ابن ملهم أفامية، ثم سار إلى حسن قسطول فحصره عشرين يوما حتى أخذه." (١)

"سنة اثنتين وستين وأربعمائة

فيها بعث ناصر الدولة حسين بن حمدان الفقيه أبا جعفر محمد بن أحمد بن البخاري رسولا منه إلى السلطان ألب أرسلان، ملك العراق، يسأله أن يسير إليه العساكر ليقيم الدعوة العباسية بديار مصر، وتكون مصر له. فتجهز ألب أرسلان من خراسان في عساكر عظيمة، وبعث إلى محمود بن ثمال بن صالح بن مرداس، صاحب حلب، أن يقطع دعوة المستنصر ويقيم الدعوة العباسية، فقطعت دعوة المستنصر من حلب ولم تعد بعد ذلك. وانتهى ألب أرسلان إلى حلب في جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وحاصرها شهرا، فخرج إليه صاحبها محمود بن ثمال بن صالح بن مرداس، فأكرمه وأقره على ولايته. وأخذ يريد المسير إلى دمشق ليمر منها إلى مصر، وإذا بالخبر قد طرقه أن متملك الروم قد قطع بلاد أرمينية يريد أخذ خراسان، فشغله ذلك عن الشام ومصر ورجع إلى بلاده؛ فواقع جمائع الروم على خلاط وهزمهم. وكان قد ترك طائفة من عسكره الأتراك ببلاد الشام فامتدت أيديهم إليها وملكتها كلها، فخرجت عن أيدي **المصريين** ولم تعد إليهم.

وبلغ المستنصر إرسال ناصر الدولة إلى ألب أرسلان، فجهز إليه ثلاث عساكر من الأتراك وغيرهم، وتقدم أحد العساكر إليه وهو في أهل البحيرة، فجمع له ابن حمدان وأوقع به وقعة انكشفت عن أسر مقدم

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢/٢٣٠

العسكر، وقتل كثير من أصحابه، وانهزام من بقي، والاستيلاء على ما بقي معهم؛ فتقوى به. ووافاه العسكر الثاني ولا علم عندهم بما اتفق على من تقدم، فكانت الدائرة لابن حمدان عليهم أيضا؛ فسار وهجم على العسكر الثالث وقتل منهم وأسر." (١)

"وخلع عليه المستنصر بالطيلسان المقور، وصار جميع أهل الدولة في حكمه، والدعاة نوابا عنه، وكذلك القضاة إنما يتولون منه. فقلد أبا يعلى حمزة بن الحسين بن أحمد الفارقي قضاء القضاة. وزيد في ألقاب أمير الجيوش على ألقاب من تقدمه من الوزراء: كافل قضاة المسلمين.

واتفق أنه لما لبس خلع الوزارة حضر إليه المتصدرون بالجوامع، فقرأ ابن العجمي: " ولقد نصركم الله ببدر "، وسكت عن تمام الآية، فقال له أمير الجيوش بدر: والله لقد جاءت في مكانها وجاء سكوتك عن تمام الآية أحسن؛ وأمر له بصلة.

فيها قتل أمير الجيوش من أماثل **المصريين** وقضاتهم ووزرائهم عدة كثيرة، منهم الوزير أبو محمد الحسن بن ثقة الدولة علي بن أحمد المعروف بابن أبي كدينة، وكان عندما قدم بدر إلى مصر هو الوزير، وهو من ولد عبد الرحمن بن ملجم، وتردد في القضاء والوزارة سبع مرات؛ وكان قاسي القلب جبارا، فلما قبض عليه سير إلى دمياط. ودخل عليه السياف ليضرب عنقه، فكان سيفه ثليلا، فضربه سبع ضربات بعدد ولايته القضاء والوزارة.

وقتل أيضا الوزير أبو المكارم أسعد، والوزير أبو شجاع محمد بن الأشرف أبي غالب محمد بن علي؛ والوزير عبد الغني بن نصر بن سعيد الضيف.." (٢)

"وفيها جمع أطسز صاحب دمشق العساكر وسار يريد تملك الديار المصرية وإزالة الدولة الفاطمية منها وإقامة الدعوة العباسية كما فعل في بلاد الشام. وكان أكثر الأسباب الحاملة له على ذلك أن ابن يلدكوش لما فر من أمير الجيوش وصار إلى بلاد الشام اتصل بأطسز، وقدم إليه ستين حبة لؤلؤ مدحرج، زنة كل حبة منها ينيف على مثقال، وحجر ياقوت زنته سبعة عشر مثقالا، وتحفا كثيرة مما كان قد وصل إلى أبيه من خزائن المستنصر في سني الشدة، وأغراه **بأهل مصر** وحثه على قصد البلاد، وهونها عنده. فقوي طمعه وسار وقد حصل في قوة بمن صار إليه من عساكر مصر ومن انضاف إليه من أهل الشام.

وكان أمير الجيوش ببلاد الصعيد قد انتهى إلى بلاد أسوان، فوصل الخبر بمسير أطسز إلى مصر، فكتب

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣٠٢/٢

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣١٣/٢

بذلك إلى أمير الجيوش، وكان عند موافاة الخبر إليه في شغل عن ذلك، فقدم أطسز إلى أطراف مصر في جمادى الأولى، وقد أشار عليه ابن يلدكوش بألا تشتغل بالقاهرة ولكن تملك الريف. وقال له: إذا ملكت الريف فقد ملكت مصر. فأقام بالريف جمادى الأولى وجمادى الآخرة وبعض رجب وأمير الجيوش في إصلاح الصعيد وتدبير أموره، وقد حضر إليه أكثر أهل أسوان وبدر بن حازم بجمائع طي. فلما استوثق أمره وجمع إليه العساكر عاد إلى القاهرة وخرج يريد محاربة أطسز في جمع تبلغ عدته ما ينيف على ثلاثين ألفا ما بين فارس وراجل، وذلك في يوم الخميس لثلاث عشرة بقيت من رجب بعد ما جهز عدة مراكب قد شحنها بالعلوفات والأزواد. فجمع أطسز إليه أصحابه واستشارهم، فاختلفوا عليه في الرأي، فقال بعضهم أن ترجع فإنك قد دست بلاد مصر وليس معك غير خمسة آلاف، والقوم في كثرة، وعواقب الأمور غير معلومة. وقال له أخوه وابن يلدكوش لا يهولنك ما تسمع به من كثرتهم فإنما هم سوقة وأخلاط، لو سمعوا صيحة لفروا عن آخرهم؛ فإياك والرجوع عن هذا الملك قد أشرفت على أخذه ولم يبق إلا تملكه. وأشار عليه شكل، أمير طبرية، بموافقة القوم والدخول إلى مصر. فتقرر الرأي على ملاقاة العساكر المصرية.

فلما كان يوم الثلاثاء لثمان بقين منه تلاقى الفريقان وتحاربا، فكانت بينهما عدة وقائع كانت الغلبة فيها للمصريين، فانهزم أطسز، وقتل أخوه وعدة من أصحابه، وعاد." (١)

"سنة واحد وسبعين وأربعمائة

سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة

فيها سير أمير الجيوش عسكرا كبيرا، فانتهى إلى دمشق وحاصرها حتى أشرف على أخذها، فسير أطسز صاحب دمشق إلى تاج الدولة تتش بن السلطان ألب أرسلان وكان قد أقطعه أخوه ملكشاه الشام وأخذ حلب بعد ما حاصرها حتى اشتد الجوع بأهلها وملكها يستحثه على نصرته وتقويته على **المصريين**، ويعده أنه يسلم إليه ملك دمشق. فأجابه إلى سؤاله وسار إليه بعسكره؛ فبلغ ذلك عسكر أمير الجيوش، فارتحل وعاد إلى مصر. وقدم تتش فملك دمشق، ودبر على أطسز وقتله بحيلة في ربيع الأول؛ وجهز عسكرا في إثر العسكر المصري فلم يدركه.

وفيها خرج ملك النوبة من بلاده وصار إلى أسوان يريد زيادة كنيسة لهم بها، فبعث والي قوص من قبض عليه وحمله إلى القاهرة، فأكرمه أمير الجيوش وأفاض عليه النعم، وأتحفه بالهدايا الجليلة؛ فأدركه أجله

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣١٧/٢

ومات قبل أن يعود إلى بلاده.

وفيها قطعت خطبة المستنصر من مكة وأعيدت خطبة بني العباس.." (١)

"سنة سبع وثمانين وأربعمائة

في شهر ربيع، وقيل في جمادى الأولى، توفي أمير الجيوش بدر الجمالي من مرض نزل به من أول السنة حتى أسكت فلم يقدر على الكلام إلى أن مات وقد ناهز ثمانين سنة؛ وجنسه أرمني؛ وكان مملوكا لجمال الدولة ابن عمار، فلذلك قيل له بدر الجمالي. وما زال يأخذ نفسه بالجد من شبيبته فيما يباشره، ويوطن نفسه على قوة العزم فيما يرومه، ويتنقل في الرتب العلية، حتى ولي بلاد الشام وتقلد إمارة دمشق من قبل المستنصر مرتين، وثار عليه أهلها، وكانت في إمارته الفتنة العظيمة التي احترق فيها قصر الإمارة وجامع بني أمية. ثم إنه رحل عن دمشق إلى مصر، وقلده المستنصر عكا. فلما فسدت أحوال مصر وتغيرت أمورها وخربت كان يبلغه ذلك فيتحسر لما يبلغه ويتلهف لكونه بعيدا عن مصر. فلما كاتبه المستنصر ودخل إلى القاهرة تحكم في بلاد مصر تحكم الملوك، ولم يبق للمستنصر من أمر، وألقى إليه مقاليد مملكته، وسلم إليه أمور خلافته، فضبطها أحسن ضبط. فاشتدت مهابته في قلوب الخاصة والعامة، وخاف سطوته كل جليل وكبير، لعظم بأسه وكثرة بطشه، وقتله من الخلائق ما لا يمكن ضبطهم ولا يعلم عدتهم إلا إلههم سبحانه. وبقتله أكابر **المصريين** من الأمراء والقواد والوزراء والأعيان، من أهل القاهرة ومصر وبلاد الصعيد وأسفل الأرض وثغر دمياط وتنيس والإسكندرية، الذين كانوا قد تمرنوا على الفساد، ونشأوا في الفتن واعتادوا مضرة الخلق، ولصلاح أحوالهم من ذلك صلحت الديار المصرية بعد فسادها، وعمرت بعد خرابها، وزال عكس المستنصر وابتدأت سعادته.." (٢)

"وكان من جميل أفعاله أنه لما قتل المفسدين من الأجناد والعربان وغيرهم أطلق الخراج للمزارعين، ولم يأخذ منهم شيئا ثلاث سنين، حتى صلحت أحوال الفلاحين. واستغنى **أهل مصر** في أيامه، ودرت عليهم أخلاف النعم بعد توالي الشدائد الكبيرة، ومقاساة الألم. وكثر ترداد التجار في أيامه إلى مصر بعد نزوحهم عنها، وخروجهم لشدة البلاء والجور فيها.

وكانت مدة تحكمه بالديار المصرية إحدى وعشرين سنة. وكان عزوف النفس شديد البطش، عالي الهمة عظيم الهيبة، حسن التأتي جميل السياسة، مظفرا، سعيد الجد، سخيا، مفضالا. قصده علقمة بن عبد

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢/٣٢٠

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢/٣٢٩

الرزاق العليمي، فلما وافى بابه شاهد أشراف الناس وكبراءهم وشعراءهم وعلماءهم على بابه وقد طال وقوفهم ومقامهم، ولا يصلون إليه. فبينا هو كذلك إذ خرج أمير الجيوش يريد الصيد، فخرج في أثره وأقام معه حتى رجع من صيده؛ فعندما قاربه وقف على تل من رمل، ورمى برقعة كانت في يده، وأنشد:

نحن التجار، وهذه أعلاقنا ... در، وجود يمينك المبتاع

قلب، وفتشها بسمعك، إنما ... هي جوهر تختاره الأسماع

كسدت علينا بالشآم، وكلما ... قل النفاق تعطل الصناع

فأتاك يحملها إليك تجارها ... ومطيها الآمال والأطماع

حتى أناخوها ببابك، والرجا ... من دونك السمسار والبياع

فوهبت ما لم يعطه في دهره ... هرم، ولا كعب، ولا القعقاع

وسبقت هذا الناس في طلب العلا ... والناس بعدك كلهم أتباع

يا بدر، أقسم، لو بك اعتصم الورى ... ولجوا إليك، جميعهم، ما ضاعوا

وكان بيد بدر باز، فدفعه لأحد مماليكه وجعل يستعيد الأبيات، وهو معه، إلى أن استقر في مجلسه. فلما اطمأن قال للحاضرين عنده؛ من أحبني فليخلع عليه. فبادر حينئذ الحاضرون، ولم يبق منهم إلا من ألقى له ما قدر عليه، حتى صار إليه منهم ما حمله على سبعين بغلا عندما خرج من المجلس؛ ومع ذلك أمر له أمير الجيوش من ماله بعشرة ألاف درهم.." (١)

"سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة

فيها رحل عالم لا يحصى عددهم من البلاد الشامية فرارا من الفرنج والغلاء.

وفيها عم الغلاء أكثر البلاد؛ ومات من أهل مصر خلق كثير.

وفيها مات قاضي القضاة أبو الطاهر محمد بن رجاء، وتولى بعده أبو الفرج محمد ابن جوهر بن ذكا النابلسي.

ومات علي بن محمد بن علي الصليحي، قتله سعد بن نجاح الأحول، وقتل أخاه عبد الله وجميع بني الصليحي بمكة في ذي القعدة.

---

(١) اتعاظ ا لحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢/٣٣٠

وولى الحسن بن علي بن أحمد الكرخي الحكم شهرا واحدا وثلاثة أيام، وصرف وصودر من أجل أنه أخذ عصابة من القصر في أيام الشدة لها قيمة فظهرت عليه.." (١)

"سنة إحدى وعشرين وخمسمائة

فيها أحضر الموفق في الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة، داعي اليمن، الذي سيره الوزير المأمون بن البطائحي، فدخل في يوم عاشوراء على جمل بطرطور، ومعه مشاعلية بهيئة ملائكة، وخلفه قرد يصفعه، وهو يقول بقوة نفس: والله لا ألتفت. فأدخل خزانة البنود وسجن مع المأمون.

فيها كثرت مصادر الراهب للكتاب والعمال، وتسلسل الأمر إلى التجار وأرباب الأموال، وندب معه مقداد والي مصر وسعد الدولة والي القاهرة للشد منه؛ فتنكد الناس وخرج كثير من **أهل مصر** إلى الآفاق. وأخذ الراهب يحسن للآمر أن يحمل إليه مال الأيتام من مودع الحكم.

وفيها مات قاضي القضاة جلال الملك تاج الأحكام، أبو الحجاج يوسف بن أيوب ابن إسماعيل المغربي الأندلسي؛ وكان أولا قد أقرأ المؤتمن أخا المأمون القرآن والنحو، فولاه قضاء الغربية، ثم نقل منها إلى قضاء القضاة بعد واقعة ابن الرسعني بوساطة المؤتمن. واستقر بعد وفاته في قضاء القضاة أبو عبد الله محمد بن هبة الله بن الميسر القيسراني.

وكان أبو الحجاج عاقلا. عرض عليه الآمر أن يلي الدواوين مضافا إلى ما يتولاه." (٢)

"سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة

فيها عم البلاء بمصر جميع الرؤساء والقضاة والكتاب والسوقة من الراهب، بحيث لم يبق أحد إلا وناله مه مكروه، إما من ضرب أو نهب أو أخذ مال. وكان يجلس في قاعة الخطابة من جامع عمرو بن العاص، ويستدعي الناس للمصادرة. فطلب في بعض الأيام رجلا يعرف بابن الفرس من العدول المميزين المبجلين في الناس فأهانه وأخرق به، فخرج إلى الجامع في يوم جمعة وقام على رجليه وقال: **يأهل مصر**، انظروا عدل مولانا الآمر في تمكينه النصراني من المسلمين. فارتج الناس لكلامه وكادت تكون فتنة؛ فاتصل ذلك بخواص الخليفة، فأبلغوه إياه وخوفوه عاقبة ذلك، وطالعوه بما حل بالخلق.

وكان الراهب قد أخذ من شخص خادم يقال له جديحو سبعين ألف دينار بخرج من مائة ألف دينار، فصار يشكو، وكان كثير البضائع والتجارات والمقارضين، فتظلم واشتهر أمره إلى أن بلغ خبره إلى أستاذ من

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢٥/٣

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١١٩/٣

أستاذى القصر له من العمر نحو مائة وعشرين سنة، يقال له لامع وكان قد انقطع في منزله بالقصر بعد ما حج غير مرة، وأنشأ جلبة بعيذاب يقال لها اللامعية تحمل الحاج فاتفق جواز الآمر على مكانه فسأل عنه، فقيل له: إنه لا يستطيع النهوض إلى خدمتك. فدخل إليه وسأله عن حاله، فقال: شغلي بسمعة مولانا أشد علي من نفسي. فقال له الآمر: لأي شيء؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن الناس قد تم عليهم من الشدة ما لا أحسن أصفه وربما نسب ذلك إليك. وشرح له أمر الراهب ابن أبي نجاح وصاحبي الديوان جعفر بن عبد المنعم المعروف بابن أبي قيراط وأبي يعقوب إبراهيم السامري الكاتب، وما أخذوه من هذا الخادم. فحلف الآمر إنه ما علم أنهم بلغوا بالناس إلى هذا المبلغ، وأنه يستدعي صاحبي الديوان في كل وقت ويحلفهما على المصحف وعلى التوراة، وأن الراهب لم يجعل إلا مستوفيا لما يستخرج من الأموال وليس له." (١)

"سنة اثنين وخمسين وخمسمائة

فيها كان انفساخ الهدنة بين الفرنج وبين **المصريين**، فشرع الصالح في النفقة على العساكر وعربان البلاد للغارة على بلاد الفرنج. فأخرج سرية في سابع عشر جمادى الأولى وأتبعها بأخرى في رابع عشر جمادى الآخرة؛ فوصلت الأولى إلى غزة ونهبت أطرافها، ثم سارت إلى عسقلان فأسرت وغنمت وعادت مظفرة غانمة. ثم ندب سرية ثالثة، فمضت إلى الشريعة فأبلت بلاء حسنا وعادت ومؤيدة. وسير المراكب الحربية فانتهت إلى بيروت وأوقعت بمراكب الفرنج وأسرت منهم وغنمت. وسير عسكرا في البر إلى بلاد الشوبك فعاثوا فيها وغاروا ورجعوا بالغنائم في رجب ومعهم كثير من الأسرى. ثم سير الأسطول إلى عكا فأسروا نحوا من سبعمائة نفس بعد حروب كثيرة، وعاد الأسطول في رمضان. وجهز سرية فغارت على بلاد الفرنج وعادت بالغنائم في رمضان. ثم بدأت سرية في أول ذي القعدة وأردفها بأخرى في خامسه فوصلت غاراتهم إلى أعمال دمشق وعادوا غانمين.

وفيها قدم رسول نور الدين محمود صاحب دمشق.." (٢)

"وفيها مات القاضي المفضل كافي الكفاة محمود بن القاضي الموفق إسماعيل بن حميد القاضي، المعروف بابن قادوس، في سابع المحرم؛ فحضر الصالح إلى داره بمصر ومشى في جنازته حتى صلى عليه،

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلف ا ء المقريزي ٣/١٢٥

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣/٢٣٠

ومضى إلى تربته عند مسجد الأقدام بالقرافة. وكان من أماثل المصريين وأعيان كتابهم، مقدما عند الملوك. وله ديوان شعر.." (١)

"فامتنع وقال: لا، أمشي بألف فارس، إلى إقليم فيه عشرة آلاف فارس ومائة شيني فيها عشرة آلاف مقاتل وعندهم أربعون ألف عبد لخمس خلفاء، وهم مستوطنون في أوطانهم قريبة منهم خزائنهم، ونأتي نحن من تعب السفر بهذه العدة القليلة. فتركه وأرسل إلى ابن نجا، فلما جاء قال له: حديث الرجل الزاهد الذي بمصر أخبرت به أحدا؟ فقال: معاذ الله؛ والله ما سمعه مني أحد سوى السلطان. فقال: امض إلى أسد الدين شيركوه واحك له الخبر. فمضى إلى شيركوه وقص عليه الحديث بنصه، فطابت نفسه للسفر.

وسار العسكر وصحبته شاور يوم الاثنين خامس عشر جمادى الأولى، وقد أقر نور الدين شيركوه أن يعيد شاور إلى منصبه وينتقم له ممن ثار عليه. وخرج نور الدين إلى أطراف بلاد الفرنج مما يلي دمشق بعساكر ليمنع الفرنج من التعرض لأسد الدين؛ فكان قصارى أمر الفرنج أن يمتنعوا من نور الدين ويحفظوا بلادهم. وأخذ شيركوه في سيره إلى مصر على شرقي الشوبك حتى نزل أيلة، وسار منها إلى السويس؛ فلم يدر ضرغام، وقد وصل إليه رسل الفرنج في طلب مال الهدنة المقرر لهم في كل سنة على أهل مصر وهو ثلاثة وثلاثون ألف دينار وهو يدافعهم ويماطلون، إلا بطيور البطائق قد سقطت من عند أخيه الأمير حسام الدين، متولي بلبيس، في يوم الأحد." (٢)

"خامس عشري جمادى الأولى، يخبر فيها بوصول شاور وأسد الدين شيركوة ومعهما من الأتراك خلق كثير؛ فانزعج وتأهب لتسيير العسكر. وأصبح الناس يوم الاثنين السادس والعشرين من جمادى الأولى وقد شاع ذلك بينهم، فخافوا على أنفسهم وأموالهم وانتقلوا من مكان إلى مكان على عادتهم وجمعوا عندهم الأقوات والماء.

وخرج الأمير ناصر المسلمين همام بالعساكر أول يوم من جمادى الآخرة، وهم نحو ستة آلاف فارس بالخيول المسرجة والدروع الثمينة والسلاح العجيب، وقد أعجبوا بأنفسهم واطمأنوا بأنهم ظافرون. فوصلوا إلى بلبيس يوم الأحد ثانيه، فوافاهم شاور بالعسكر الشامي يوم الاثنين، فباتوا ليلة الثلاثاء، وأصبحوا وقد توهم منهم أسد الدين شيركوه وقال لشاور: يا هذا لقد غررتنا وقلت إنه ليس بمصر عساكر حتى جئنا بهذه الشرذمة. فقال: لا يهولنك ما تشاهد من هذه الجموع فأكثرها حاكة وفلاحون يجمعهم الطبل وتفرقهم

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣/٢٣٥

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣/٢٦٦

العصا؛ فما ظنك بهم إذا حمى الوطيس وكلبت الحرب. وأما الأمراء فإن كتبهم وعهودهم معي؛ وسترى إذا التقينا، لكنني أريد منك أن تأمر العساكر بالاستعداد.

فلما ترتبوا نهاهم عن القتال، فتحرك **المصريون** وتأهبوا وأقاموا حتى حمى النهار، فسخن عليهم الحديد ولم يروا أحدا يسير إليهم فنزلوا عن خيولهم وأقاموا الخيم، وألقى بعضهم السلاح. فلما عاين ذلك شاور أمر بالحملة عليهم، فثار **المصريون** وحمل ناصر المسلمين همام والأمير فارس المسلمين على العسكر الشامي؛ فجرح همام والتفت فلم ير أحدا من عسكره، فكان أشجعهم من يصير على ظهر فرسه. وانهزموا بأجمعهم إلى بلبيس، وغنم العسكر الشامي جميع ما كان معهم، فقووا به، وتبعوهم وأسروا منهم جماعة الأمراء وغيرهم، ثم منوا عليهم وسيروهم في جمعهم.

ولحق الأمير همام بالقاهرة سحر يوم الأربعاء خامسه وهو مجروح، واختفى الأمير حسام في مدينة بلبيس فدل عليه بعض الكنانية فأسر وقيد.." (١)

"فلما كان الليل أحرق من باب سعادة إلى ناحية اللؤلؤة، كما فعل أولا، واشتد الأمر، وصار كل من يخرج من عسكر مصر يقتل. فركب شاور وخرج ثم عاد وقد ازدحم الناس على السور لتنظر إلى الحرب، فسقطت شرفة من شرفات السور على ابن شاور وغشى عليه، ودخلوا به إلى الكافوري وقد أيس منه؛ فجاء رئيس الأطباء وعصر في أذنه حصرما فأفاق. وأتاه الشراب من عند الخليفة فشربه وركب إلى داره وقد ورم وجهه.

واشتد قتال شيركوه على باب القنطرة وأحرق وجه الخليج جميعه، واحترقت الدور التي بجانبه من حارة زويلة. وانضم إليه بنو كنانة وكثير من عسكر **المصريين**. وبعث طائفة إلى حارة الريحانية وفتحوا ثغرة، فكان هناك قتال شديد. فجلس العاضد على باب الذهب وأمر بالخروج، فتسارع الصبيان وغيرهم إلى الثغرة وقاتلوا الترك والكنانية حتى أوصلوهم إلى منازلهم، وسدوا الثغرة.

وكان ضرغام عند قدوم شاور وشيركوه أرسل إلى الفرنج يستنجد بهم ويعدهم بزيادة القطيعة التي لهم، فامتنع ملكهم وقال لا يأتي إلا بأمر الخليفة وأما من الوزراء فلا يقبل فلما تحقق شاور أنه لا قبل له بشيركوه كتب إلى مري ملك الفرنج بالساحل يستنجده ويخوفه من تمكن عسكر نور الدين من مصر، ويقول له متى استقروا في البلاد قلعوك كما يريدون أن يفعلوا؛ وضمن له مالا وعلفا، ويقال إنه جعل له عن كل مرحلة

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣/٢٦٧

يسيرها ألف دينار؛ وسير إليه بذلك مع ظهير الدين بدران. فسر الفرنج بذلك وطمعوا في ملك مصر.." (١)

"وخرج مري من عسقلان بجموعه فقبض عن مسيره سبعة وعشرين ألف دينار.

فلما بلغ شيركوه ارتحل عن القاهرة إلى بلبيس وبها ما أعد له ابن أخيه من الغلال وغيرها، وانضم معه الكنانية، فخرج شاور في عسكر مصر، فاجتمع بالفرنج وخيم على بلبيس وأحاط بها، فكانوا يغادون القتال ويراوحونه ثلاثة أشهر. وانقطعت الأخبار عن نور الدين، وبلغه سير الفرنج إلى مصر.

وسار ملك القدس بجمع كثير ممن وصل لزيارة القدس مستعينا بهم. فبينا الفرنج في محاصرة شيركوه إذ ورد عليهم أخذ نور الدين لحارم ومسيره إلى بانياس، فسقط في أيديهم وعولوا على الرجوع إلى بلادهم. فراسلوا شيركوه في طلب الصلح وعوده إلى الشام وتسليم ما بيده إلى **المصريين**. فأجاب إلى ذلك. وندب شاور الأمير شمس الخلافة محمد ابن مختار إلى شيركوه، فقرر معه الصلح على ثلاثين ألفا فحملها إليه. وكانت الأقوات قد قلت عنده، وقتل من أصحابه جماعة. وأبطأت نجدة نور الدين فلم يأته منه أحد. وخرج من بلبيس أول ذي الحجة.." (٢)

"المالكي، المعروف بابن جاره، شيخ الصاحب صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر، فقال له: نحن نقاتل كل من جاء تحت الصليب كائنا من كان. فقال له مري: وحق ديني لقد صدقك هذا الشيخ. فسكت شاور وأكرمهم بعد ذلك اليوم.

وفر نجم الدين بن مصال والي الثغر إلى الشام، وقبض شاور على الأشرف بن الحباب قاضي الثغر وعاقبه، وأخذ منه مالا جزيلا؛ ولم يقنع بالرشيد ابن الزين الناظر فولي القاضي الأشرف أبا القاسم عبد الرحمن بن منصور بن نجا النظر عوضه؛ فبعث شاور وقبض على جميع من كان مع صلاح الدين من **أهل مصر**، وعلي ابن مصال. فشق ذلك على صلاح الدين، واجتمع بملك الفرنج في ذلك، فأرسل إلى شاور وما زال به حتى أفرج عنهم. فخافوا من شاور وعزموا على الرحيل إلى الشام، فخرج إليهم شاور بنفسه وجمع وجوههم وطمأنهم، وحلف لهم أنه يضاعف لهم الإحسان ولا يتعرض لهم بسوء. فمنهم من اطمأن وأقام، ومنهم من رحل إلى الشام.

وصل الذين ساروا من ضعاف أصحاب صلاح الدين في المراكب إلى عكا، وأحاط بهم الفرنج واعتقلوهم

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢٧٦/٣

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢٧٧/٣

بمعصرة القصب حتى عاد ملك الفرنج فأطلقهم.
وتسلم شاور الإسكندرية في نصف شوال. وسار شيركوه ومن معه وقد استمال شاور منهم جماعة ومعه مري ملك الفرنج حتى نزل الجيزة وعدى إلى القاهرة من المقس. فأقام مري أياما ورحل عائدا إلى بلاده، فخرج شاور يودعه إلى بلبيس وعاد إلى القاهرة أول ذي القعدة، فخرج إليه العاضد يتلقاه إلى الطابية، وخلع عليه.." (١)

"ووصل مري إلى الداروم. فبلغ شاورا فارتاع وبعث أميرا يعرف ببدران لكشف الخبر، فلما اجتمع بمري خدعه ووعده بعدة من قرى مصر، نحو الثلاث عشرة قرية، وأمره أن يخبر شاور أنهم إنما قصدوا البلد لخدمة. فلما عاد إلى شاور جهز إلى مري شمس الخلافة محمد بن مختار، فعندما دخل عليه قال له: مرحبا بشمس الخلافة. فقال: فمرحبا بالملك الغدار، وإلا ما أقدمك إلينا؟ قال: اتصل بنا أن الفقيه عيسى وصل إليكم ليزوج أختا للكامل بن شاور بصلاح الدين يوسف ويتزوج الكامل بأخت صلاح الدين، فحسبنا أن هذا عمل علينا. فقال ما لهذا صحة، ولو فعل لما كان ناقضا للهدنة. فقال: الصحيح أن قوما من وراء البحر انتهوا إلينا وغلبوا على رأينا وخرجوا طامعين في بلادكم؛ فخفنا من ذلك، فخرجت لتوسط الأمر بينهم وبينكم. فقال له: فكم تريد أن يكون مبلغ القطيعة التي نقوم بها؟ قال: ألفي ألف دينار. فقال: حتى أعود إلى شاور بهذا الخبر وأرجع إليكم بالجواب، فلا تبرحوا من مكانكم. فقال مري: بل ننزل على بلبيس حتى تعود.
وكان قد كتب إلى شاور: إني قد قصدت الخدمة على ما قررته لي من العطاء في كل عام، فكتب إليه شاور: إن الذي قررته إنما جعلته لك متى احتجت إلى نجدتك أو إذا قدم علي عدو، فأما مع خلو بالي من الأعداء فلا حاجة لي إليك ولا لك عندي مقرر. فأجابه: لا بد من حضوري وأخذي المقرر. فعلم شاور أنه قد غدر وخان الأيمان، ونقض العهود، وطمع في البلاد. فجمع الأجناد وحشد العساكر إلى القاهرة؛ وسير إلى بلبيس حفنة من العسكر، ونقل إليها ما تحتاج إليه من الأقوات والغلات.
فنزل مري على بلبيس أول يوم من صفر، وكتب عدة من أعيان **المصريين** كتبا إلى مري يعدونه المساعدة، لكراهتهم في شاور، منهم علم الملك ابن النحاس، ويحيى." (٢)

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢٨٦/٣

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢٩٢/٣

"وأنه باق على ما تقرر معه بقاء شمس الخلافة وأشار على شاور بالاحتراز وقال إن الرجل مخاتل.
وأنفذت الكتب إلى نور الدين.
وكان شاور قد شرع في بناء سور على مدينة مصر واستعمل فيه الناس فلم يبق أحد من **المصريين** إلا وعمل فيه؛ وحفر من ورائه خندقا، فلم يكمل من ناحية النيل. وعمل في السور ثمانية أبواب أحدها بدار النحاس على ساحل البحر، هدم في سنة وخمسين وستمائة وآخر بجانب كوم البواصين، وثالث على سكة سوق وردان سقط سنة إحدى وستين وستمائة، وباب في طريق زين العابدين، وباب عرف بباب الصفاء، وباب بحري مصلي الأموات سقط قبيل سنة خمسين وستمائة، وباب عند أقمنة الجير مما يلي درب السرية، وباب لقنطرة بني وائل وتحته قنطرة بني وائل التي تصب في بركة الشعيبية، التي كانت قديما بستان الأمير تميم بن المعز، وكان الماء يدخل إليها من خليج مصر.
وسار مري بعقيب مسير شمس الخلافة عنه يريد منازلة القاهرة بعد ما أقام ببلبيس خمسة أيام، فداخل الناس منه رعب شديد وخوف عظيم، فاجتمعوا بالقاهرة ووطنوا أنفسهم على الموت. وكان هذا من لطف الله فإنه لو قدر أن الفرنج أحسنوا السيرة في أهل بلبيس لكان الناس لا يدافعونهم عن القاهرة ألبتة لما في قلوبهم من كراهة شاور. فما هو إلا أن قصد مري القاهرة وإذا بشاور قد قام في حريق مصر، وأمر الناس بالانتقال منها إلى القاهرة، وحثهم على الخروج منها. فتركوا أموالهم وأثقالهم ونجوا بأنفسهم وأولادهم وحرمهم؛ وقد ماج الناس واضطربوا اضطرابا عظيما.." (١)
"آلاف دينار، لفقر **أهل مصر** وسوء حالهم وذهاب أموالهم في الحرق والنهب بحيث صاروا لا يجدون القوت عجزا عنه، ولأن أهل القاهرة أكثرهم الجند وأهل الدولة وأتباعهم فقال الفقيه عمارة:
يا رب إني أرى مصرا قد انتبهت ... لها عيون الليالي بعد رقدتها
فاجعل بها ملة الإسلام باقية ... واحرس عقود الهدى من حل عقدتها
وهب لنا منك عونا نستجير به ... من فتنة يتلظى جمر وقدتها
فبينما الفرنج في استحثاث أهل القاهرة في حمل المال إذ وصل إليهم في مستهل ربيع الآخر خبر قدوم أسد الدين بالعساكر فأزعجهم ذلك ورحلوا عن القاهرة يوم السبت، ثالث ربيع الآخر، ومعهم من الأسرى اثنا عشر ألفا ما بين رجل وصبي وامرأة. فنزلوا على بلبيس، وساروا منها إلى فاقوس.
ونزل أسد الدين بالمقس إلى اللوق خارج القاهرة يوم الأربعاء سابع ربيع الآخر، فخرج إليه العاضد وتلقاه.

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٢٩٦/٣

وكان شاور لما بلغه وصول شيركوه إلى صدر أخرج شمس الخلافة إلى مري وقال له: قد وقف المال علينا، وقد جئت إليك أستوهب منك بعض ما قطعت علينا. فقال مري: اطلب ما شئت. قال: تهب لي من الألفي ألف ألف ألف. قال: قد فعلت فقال شمس الخلافة: ما بلغني أن ملكا وهب مثل هذا لقوم هم في مثل حالنا.. فقال مري: أنا أعلم أنك رجل عاقل وأن شاورا ملك، وأنكما ما سألتماني أن أهب لكما هذا المال العظيم إلا لأمر قد حدث. فقال: صدقت؛ هذا أسد الدين قد وصل إلى صدر نصرة لنا وما بقي لك مقام؛ وشاور يقول لك أرى أن ترحل ونحن باقون على الهدنة فإنه أوفق لنا ولك،." (١)

"إلى داره فيحتجب عنه. وكان ضيق العطن، لا يصبر على شيء مما ينقل إليه من الاخبار. وكان إذا سئل وهو في الخدمة لا يرد سائلا في شيء. وكان شديد النكال إذا عاقب، فتكشفت في وزارته الثانية التي قتل فيها صفحاته، وأحرقت كافة أهل مصر لفحاته، وأغرقتهم نفحاته فغصه الدهر وعضه، وأوجعه الثكل وأمضه. وكان عاقبة أمره القتل والعار، وسوء المنقلب والدمار.

ثم إن أسد الدين ركب بعد قتل شاور بجموعه ودخل إلى القاهرة في يوم الاثنين تاسع عشر ربيع الآخر يريد لقاء الخليفة العاضد، فهاله ما رأى من كثرة اجتماع الناس وتخوف منهم، فأراد أن يفرقهم، فقال لهم: إن أمير المؤمنين قد أمركم بنهب دار شاور؛ فتسارعوا إليها وانتهبوا سائر ما كان فيها. فصعد شيركوه إلى القصر، وخلع عليه العاضد خلع الوزارة ولقبه بالملك المنصور أمير الجيوش. ونزل إلى دار الوزارة حيث كان ينزل شاور ومن قبله من الوزراء، فلم يجد ما يجلس عليه لما شملها من النهب. فجلس للهناء وغلب على الأمر.

وخرج إليه التوقيع بخط القاضي الفاضل وإنشائه، فقرأه الجليس ابن عبد القوي قاضي القضاة، على رءوس الأشهاد، وفي أعلاه بخط العاضد: هذا عهد لا عهد لوزير بمثله، وتقلي طوق أمانة رآك الله وأمير المؤمنين أهلا بحمله؛ والحجة عليك عند الله بما أوضحه لك من مراشد سبله. فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة، واسحب ذيل الفخار بأن خدمتك اعتزت بأن اعتزت إلى بنوة النبوة؛ واتخذ أمير المؤمنين للفوز سبيلا، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ". وهو توقيع كبير.." (٢)

"وكتب القاضي الفاضل إلى نور الدين محمود بن زنكي كتابا بأن يقر شيركوه عنده بمصر وأنه فوض إليه الوزارة وأمر الجيوش، تاريخه سابع عشري ربيع الآخر، وكتب العاضد علامته بين سطريه الأولين بخطه

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣/٢٩٩

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣/٣٠٢

الله ربي؛ فعاد الجواب بالامتثال.

وسلك أسد الدين مع العاضد مسالك الأدب حتى أعجب به، ومال إليه. وركب إلى مصر فرآها مشوهة بالحريق وقد تلفت فيها أماكن وسلمت أماكن، وتشعث الجامع؛ فشق عليه، وعاد. وقد حضر إليه الأمير ابن مماتي والقاضي الفاضل، فأمر بإحضار أعيان المصريين الذين جلوا عن مصر في الفتنة وصاروا بالقاهرة، فتغمم لما نزل بهم وسفه رأي شاور فيما فعله، وأمرهم بالعود إلى مصر. فشكوا ما حل بهم من الفقر وذهاب الأحوال وخراب المنازل، وقالوا: إلى أي موضع نرجع وفي أي مكان نأوى. فقال: لا تقولوا هذا، وعلي بإذن الله حراستكم وإعادتها إليكم بما كانت عليه وأحسن؛ فاستدعوا مني كل مالكم فيه راحة، فهي بلدي وربما أسكن فيها بينكم. فشكروا له ودعوا.

وأمر فنودي على الناس بالرجوع إلى مصر، فتراجعوا إليها شيئا بعد شيء.

وجعل أسد الدين اجتماعه بالخليفة العاضد في الشباك على العادة. فأول ما اجتمع به قال له الأستاذ صنيعة الملك جوهر، وكان أكبر الأستاذين وأفصحهم لسانا، وهو قائم على رأس العاضد: يقول لك مولانا لقد كنا نؤثر مقامك عندنا أول طروقك بلادنا، ولكن أنت تعلم الموانع عنه؛ ولقد تيقنا أن الله عز وجل ادخرك لنا نصرة على أعدائنا. فقال أسد الدين شيركوه: يا مولانا بإمالة اللام والله لأنصحنك في الخدمة ولأجعلن." (١)

"وصارت الخطبة بديار مصر للعاضد ومن بعده للملك العادل نور الدين، وهو في الظاهر ملك الديار المصرية وصلاح الدين لا يتصرف إلا عن أمره كالنائب في الأمر عنه؛ ونور الدين لا يفرده بكتاب، بل يكتب: الأمير الأسفهلار صلاح الدين وكافة الأمراء بالديار المصرية يفعلون كذا؛ ويجعل علامته على رأس الكتاب تعظيما لنفسه وترفعا عن أن يكتب اسمه.

وعندما بلغه وفاة أسد الدين شق عليه استيلاء صلاح الدين، وتتبع أصحابه وأصحاب أسد الدين، وأخذ إقطاع صلاح الدين وإقطاع أسد الدين، ومنع نوابه من التصرف في حمص، وأبعد أهاليهم واستثقلهم وطردهم عنه. وكتب إلى الأمراء بمصر بمفارقته وتركه بمصر وحيدا ليوهن أمره. وشرع يذمه ويذكره بالسوء ويعنته في الطلب بحمل الأموال إليه، وصار كثيرا ما يقول: ملك ابن أيوب ويستعظم ذلك احتقارا له.

وثقل ذلك على أهل الدولة وحواشي الخليفة العاضد، فإنه أقطع أصحابه أجل البلاد وآواهم، وأبعد أهل مصر وأضعفهم، واستبد بجميع الأمور ومنع العاضد من التصرف؛ ففطن العاضد لما يريد من إزالة الدولة.

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣٠٣/٣

فثار الأستاذ مؤتمن الخلافة، وهو يومئذ من أكابر خدام القصر، وبعث بمكاتبة إلى الفرنج يستنجد بهم على الغز، ويحثهم على قصد البلاد ليخرج إليهم صلاح الدين بعساكره فيثور عند ذلك بصعيد مصر وطوائف العسكر،." (١)

"ويصير صلاح الدين محصورا بين الفرنج وبينهم فيأخذونه ويتلفون من معه. ووافقه على ذلك جماعة. وبعث رجلا بالكتاب إلى الفرنج بعد ما جعله في نعل كي لا يعثر عليه. فلما وصل الرجل إلى البئر البيضاء قريبا من بلبيس، ظفر به بعض أصحاب صلاح الدين ومعه نعلان جديدان في يده، فارتاب لما رآه من سوء حاله وحسن النعلين، وعلم أنهما لا يليقان به، ولو كانا من ملابسه لكان تبين فيهما أثر الاستعمال. فأخذهما منه وفتحهما فوجد فيهما الكتب إلى الفرنج، فتقرب بذلك إلى صلاح الدين، وحضر بالرجل والكتب إليه؛ فكتم ذلك، وتتبع من كتب الكتب حتى أحضر إليه برجل يهودي، فلما خاف منه أسلم وأخبره الخبر.

فبلغ ذلك مؤتمن الخلافة وخشي على نفسه، فلزم القصر وامتنع من الخروج مدة وصلاح الدين لا يلتفت إليه، فاغتر بإعراضه عنه وخرج إلى منظرة له على النيل، بستان بناحية الخرقانية قريبا من قليوب. فأرسل إليه صلاح الدين بـجماعة من أصحابه هاجموه وقتلوه، وصاروا إليه برأسه، وذلك في يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي القعدة؛ وجعل زمام القصور عوضه الطواشي بهاء الدين قراقوش الأسدي. فغضب لقتله السودان وحرك منهم ما كانوا يتكتمونه؛ فاجتمعوا لحرب صلاح الدين في سادس عشريه، صبيحة قتل مؤتمن الخلافة، وقد صاروا في جمع كثير من الأمراء **المصريين** وعوام البلد يزيد على الخمسين ألفا، وزحفوا إلى دار الوزارة. فبدر إليهم فخر الدين شمس الدولة توران شاه، وركب صلاح الدين بعساكره وقد تجمعت الريحانية والجيوشية والفرجية ومن انصاف إليها في بين القصرين، وخرجت إليهم الأرمن؛ فوقع بين الفريقين قتال عظيم استظهر فيه العبيد على الغز، والعاضد." (٢)

"سنة خمس وستين وخمسمائة

فيها قدم من الشام إخوة صلاح الدين يوسف وعياله؛ وقيل كان قدومهم في سنة أربع.

فيها تحرك الفرنج لغزو ديار مصر خوفا من صلاح الدين ونور الدين عندما بلغهم تمكنه من ديار مصر وقطع آثار جند **المصريين**. فكاتبوا فرنج صقلية وغيرهم واستنجدوا بهم، فأمدوهم بالمال والسلاح والرجال،

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣١١/٣

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣١٢/٣

وساروا بالدبابات والمنجنيقات إلى دمياط، فنزلوا عليها في مستهل صفر بألف ومائة مركب، ما بين شين ومسطح وشلندي وطريدة، وأحاطوا بها برا وبحرا.
فبعث صلاح الدين بالأمير تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، ابن أخي صلاح الدين، وأتبعه بالأمير شهاب الدين الحارمي، في عساكر إلى دمياط، وأمدهم بالمال والميرة والسلاح.
وألح الفرنج على أهل دمياط وضايقوهم، والناس فيها صابرون في محاربتهم. وبعث صلاح الدين إلى نور الدين يستنجده ويعلم أنه لا يمكنه الخروج من القاهرة إلى لقاء الفرنج خوفا من قيام **المصريين** عليه؛ فجهز إليه نور الدين العساكر شيئا بعد شيء، وخرج بنفسه إلى بلاد الفرنج بالساحل وأغار عليها واستباحها.." (١)

"عن ترك الخطبة بما يخافه من **المصريين**. فوردت رسل المستنجد إلى دمشق بالاستحثاث والعزم على إقامة الخطبة بمصر ولا بد؛ فرأى نور الدين أن مثل هذا المهم لا يقوم به إلا نجم الدين أيوب، وكان يتولى قلعة بعلبك، فأرسل إليه وقرر معه الأمر وسيره.
وكان وصوله إلى القاهرة لست بقين من رجب، وقيل في جمادى الآخرة، فقررت له ولاية الإسكندرية وولاية دمياط والبحيرة. وأقطع الأمير فخر الدين شمس الدولة توران شاه، ابن والد الملوك الملك الأفضل نجم الدين أيوب، قوص وأسوان وعيذاب، وكانت عبرتها يومئذ في تلك السنة مائتي ألف دينار وستة وستين ألف دينار؛ فاستناب عنه في قوص الأمير شمس الخلافة محمد بن مختار.
فيها ثار الأمير عباس بن شاذي بمرج بني هميم، من أعمال قوص، ومنع رسلان دعمش المتوجه لجباية خراج قوص من التوجه، واستباح عسكره.
وفيها أبطل صلاح الدين الأذان بحي على خير العمل محمد وعلي خير البشر، فكانت أول وصمة دخلت على الدولة. ثم أمر أن يذكر في الخطبة يوم الجمعة الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان ثم علي، وذلك يوم الجمعة لعشر مضين من ذي الحجة.." (٢)

"وفيها خرج الأمير شمس الدولة توران شاه إلى بلاد الصعيد، وأوقع بالعربان، وغنم منها غنائم تجل عن الوصف، وعاد إلى القاهرة.
وفيها ابتدأ صلاح الدين بعمارة السور الجديد على القاهرة.

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣١٥/٣

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣١٧/٣

وفيها كثر بمصر عسكر صلاح الدين وأقاربه وأصحابه، وانكفت أمراء **المصريين** عن التصرف ومنعوا من كل شيء، فبسطوا ألسنتهم بالقول ضد ما عليه صلاح الدين وأصحابه من الفعل في محو آثار الدولة الفاطمية وإزالة رسومها، وخلع العاضد وقتله. والدعاء للخليفة العباسي. فلما رأى أمره قد قوي وأوتاد دولته قد تمكنت من البلاد عزم على إظهار ما يخفيه؛ فواعد أمراء النشابين على أن يمضوا إلى بيوت الأمراء **المصريين** في الليل، ويقف كل أمير منهم بجنده على باب أمير من أمراء مصر، فإذا خرج للخدمة قبض عليه واحتاط على داره وما فيها وأخذها لنفسه.

فأصبحوا واقفين على منازل الأمراء **المصريين** بأجنادهم، فما هو إلا أن يخرج الأمير من منزله ليصير إلى الخدمة على عادته فإذا بالأمير الشامي الذي قد عين له وقد قبض عليه وأوثقه، وهجم بمن معه على داره فملكها بجميع ما تحتوي عليه، وما يتعلق بصاحبها وينسب إليه من أهل ومال وخيول وعبيد وجوار، وماله من إقطاع. فلم ينتشر الضوء حتى علت الأصوات وارتفعت الضجات وثار الصياح من كل جانب، وصار الأمراء الشاميون في سائر نعم أمراء مصر، وأصبح الأمراء **المصريون** أسرى معتقلين في أيدي أعاديهم. فال أمرهم إلى أن صار الأمير منهم بوابا على الدار التي كان يسكنها، وصار آخر منهم سائس فرس كان يركبها، وصار آخر وكيل القبض في بلد كانت إقطاعا له؛ ونحو ذلك من أنواع الهوان.

وبلغ ذلك العاضد فشق عليه وأرسل إلى صلاح الدين يسأله عن سبب القبض على الأمراء، فبعث إليه بأن هؤلاء الأمراء كانوا عصاة لأمرك والمصلحة قتلهم وإقامة غيرهم ممن يمتثل أمرك. فسكت.." (١)

"وأمسك طبيبه المعروف بابن السديد عن الحضور إليه، وامتنع من مداواته، وخذله مساعدة عليه للزمان، وميلا مع الأيام.

وفيها نزل نجم الدين أيوب بجماعة معه إلى الجامع وأمر الخطيب ألا يذكر العاضد، وقال إن ذكرته ضربت عنقك. فقال لمن أخطب؟ فقال للخليفة المستضيء بأمر الله العباسي. فلما خطب لم يذكر العاضد ولا غيره، بل دعا للأئمة المهديين والملك الناصر. فقيل له في ذلك، فقال: ما علمت اسم المستضيء ولا نعوته، وفي الجمعة الثانية أفعل ما يجب فعله وأذكره. فلما بلغ العاضد ذلك قال في الجمعة الأخرى يعينون اسم الرجل المخطوب له. فلما كانت الجمعة الثانية، وهي سابعه، خطب باسم الخليفة المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله أبي عبد الله محمد ابن المستظهر بالله. وقطعت الخطبة للعاضد لدين الله فانقطعت ولم تعد بعدها إلى اليوم الخطبة للفاطميين.

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣/٣٢١

وذلك أنه لما ثبتت قدم صلاح الدين بالديار المصرية وأزال المخالفين له، وضعف أمر الخليفة العاضد بقتل رجاله وذهاب أمواله، وصار الحكم على قصره قراقوش، طواشي أسد الدين، نيابة عن صلاح الدين، وتمكنت عساكر نور الدين من مصر طمع في أخذها. وكتب إلى صلاح الدين وفي ظنه وظن جميع عساكره أن صلاح الدين إنما هو نائب عنه في مصر متى أراد سحبه بإذنه لا يمتنع عليه يأمره بقطع خطبة العاضد وإقامتها للمستضيء العباسي. فاعتذر بالخوف من قيام **المصريين** عليه وعلى من معه لميلهم كان إلى الفاطميين، ولأنه خاف من قطع خطبة العاضد وإقامة الخطبة للمستضيء أن يسير." (١)

"وترك العاضد من الولد الأمير داود، والأمير عليا ويقال أبو علي، والأمير عبد الكريم، وتميما، وموسى، وعبد القوي، وجعفر، وعبد اصمد، وأبا الفتوح، وحيدرة، وإبراهيم، ويحيى، وجبريل، وعيسى، وسليمان، ويوسف غير أن أيامه كانت ذات مخاوف وتهديدات، وقاسى شاورا وتلوناته ومخايلاته، ثم محاصرة الفرنج ومضايقته. وفي أيامه احترقت مصر وذهبت أموال أهلها وزالت نعمتهم بالحريق والنهب. وكان متغاليا في مذهبه شديدا على من خالفه. ولم يكن فيمن ولي من أبائه من أبوه غير خليفة سواه ومن قبله الحافظ، وما عداهما فلم يل منهم أحد الخلافة إلا من كان أبوه خليفة.

وقال ابن خلكان: سمعت جماعة من **المصريين** يقولون إن هؤلاء القوم في أوائل دولتهم قالوا لبعض العلماء اكتب لنا ورقة تذكر فيها ألقابا تصلح للخلفاء حتى إذا تولى واحد لقبوه ببعض تلك الألقاب، فكتب لهم ألقابا كثيرة، وآخر ما كتب في الورقة العاضد، فاتفق أن آخر من ولي منهم تلقب بالعاضد؛ وهذا من عجيب الاتفاق.

قال: وأخبرني أحد علماء **المصريين** أيضا أن العاضد رأى في آخر دولته في منامه كأنه بمدينة مصر وقد خرجت إليه عقرب من مسجد معروف بها فلدغته، فلما استيقظ ارتاع لذلك وطلب بعض معبري الرؤيا وقص عليه المنام، فقال ينالك مكروه من شخص هو مقيم في هذا المسجد، فطلب والي مصر وأمره يكشف عمن هو مقيم في المسجد المذكور، وكان العاضد يعرفه. فمضى الوالي إلى المسجد فرأى فيه رجلا صوفيا، فأخذه ودخل به على العاضد، فلما رآه سأله من أين هو، ومتى قدم البلاد، وفي أي شيء قدم، وهو يجاوبه عن كل سؤال. فلما ظهر له منه ضعف الحال والصدق والعجز عن إيصال المكروه إليه

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣/٣٢٥

أعطاه شيئا وقال له: يا شيخ ادع لنا، وأطلق سبيله؛ فنهض من عنده وعاد إلى المسجد. فلما استولى صلاح الدين وعزم على القبض على العاضد واستفتى الفقهاء أفتوه بجواز ذلك." (١)

"ومعاداة أعدائها، لم يزدهم قربهم من الدولة الفاطمية إلا نفورا، ولا ملأهم إحسانها إليهم إلا حقدا وعداوة لها، حتى قووا بنعمتها على زوالها، واقتدروا بها على محوها.

وكانت أساسات دولتهم راسخة في التخوم، وسيادة شرفهم قد أنافت على النجوم، وأتباعهم وأولياؤهم لا يحصى لهم عدد، وأنصارهم وأعوانهم قد ملئوا كل قطر وبلد؛ فأحبوا طمس أنوارهم، وتغيير منارهم، وإلصاق الفساد والقبيح بهم، شأن العدو وعادته في عدوه.

فتفطن، رحمك الله، إلى أسرار الوجود، وميز الأخبار كتمييزك الجيد من النقود، تعثر إن سلمت من الهوى بالصواب. ومما يدلك على كثرة الحمل عليهم أن الأخبار الشنيعة، لا سيما التي فيها إخراجهم من ملة الإسلام، لا تكاد تجدها إلا في كتب المشارقة من البغداديين والشاميين، كالمنتظم لابن الجوزي، والكامل لابن الأثير، وتاريخ حلب لابن أبي طي، وتاريخ العماد لابن كثير، وكتاب ابن واصل الحموي، وكتاب ابن شداد، وكتاب العماد الأصفهاني، ونحو هؤلاء. أما كتب المصريين الذين اعتنوا بتدوين أخبارها فلا تكاد تجد في شيء منها ذلك ألبتة. فحكم العقل، واهزم جيوش الهوى، وأعط كل ذي حق حقه، ترشد إن شاء الله تعالى.." (٢)

"الأسد» [(١)] ، ثم بعد رضاعه من «ثويبة» أرضعته «أم كبشة» [(٢)] ، حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قصية ابن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن السعدية» بلبن زوجها الحارث [(٣)] بن عبد العزى السعدي، وأرضعت معه صلى الله عليه وسلم ابن عمه «أبا سفيان [(٤)] بن الحارث بن عبد

[()] فقلت: من هو صاحب الجمل الأحمر؟ فقال حمزة: هو عتبة بن ربيعة، فبارز يومئذ حمزة عتبة فقتله.

(ابن سعد) ٣/ ٨ الطبقة الأولى على السابقة في الإسلام ممن شهد بدرا، وأخرجه (الحاكم) مطولا ٣/ ١٩٤ وصححه، وهو كما قال. ولكن الذهبي قال: لم يخرجا لحارثة، وقد وهاه ابن المديني، وقد أخطأ

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخب ا ر الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣/٣٢٩

(٢) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ٣/٣٤٦

رحمه الله في نقله توهية حارثة بن مضرب عن ابن المديني، فإنه لم يثبت عنه، وحارثة وثقه أحمد، وابن معين، وابن حبان، وروى حديثة أصحاب السنن، والبخاري في الأدب المفرد.

[(١)] هو أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب، السيد الكبير، أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، وابن عمته برة بنت عبد المطلب، وأحد السابقين الأولين، هاجر إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد بدرا، ومات بعدها بأشهر، وله أولاد صحابة، كعمر وزينب، ولما انقضت عدة زوجته أم سلمة، تزوج بها النبي صلى الله عليه وسلم، وروت عن زوجها أبي سلمة القول عند المصيبة وكانت تقول: من خير من أبي سلمة، وما ظنت أن الله يخلفها في مصابها به بنظيره، فلما فتح عليها بسيد البشر، اغتبطت أيما اغتباط. مات كهلا في سنة ثلاث من الهجرة، رضي الله عنه.

(مسند أحمد) ٤/ ٢٧، (ابن سعد) ٣/ ٢٣٩، (الجرح والتعديل) ٥/ ١٠٧، (حلية الأولياء) ٢/ ٣، (تهذيب الأسماء واللغات) ٢/ ٢٤٠ رقم ٣٦٠، (تهذيب التهذيب) ٥/ ٢٥١ رقم ٤٨٧، (الإصابة) ٤/ ١٥٢ رقم ٤٧٨٦.

[(٢)] هي حليمة بنت عبد الله بن الحارث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قصية بن سعد بن بكر ابن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر، (تهذيب الأسماء واللغات) ٢/ ٢٣٩ رقم ٧٢٩.

[(٣)] هو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن فصية بن سعد بن بكر، يكنى أبا ذؤيب.

(المرجع السابق) .

[(٤)] هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، أخو نوفل وربيعة، تلقى النبي صلى الله عليه وسلم في الطريق قبل أن يدخل مكة مسلما، فانزعج النبي صلى الله عليه وسلم وأعرض عنه، لأنه بدت منه أمور في أذية النبي صلى الله عليه وسلم، فتذلل للنبي صلى الله عليه وسلم حتى رق له، ثم حسن إسلامه، ولزم هو والعباس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين إذ فر الناس، وأخذ بلجام البغلة، وثبت معه.

وكان أخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، أرضعتهما حليمة، سماه هشام بن الكلبي، والزبير: »مغيرة» ، وقالت طائفة: اسمه كنيته، وإنما المغيرة أخوهم.

وقيل: كان الذين يشبهون بالنبي صلى الله عليه وسلم، جعفر، والحسن بن علي، وقثم بن العباس، وأبو سفيان بن الحارث [و

قد روى عنه ولده عبد الملك، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يا بني هاشم إياكم والصدقة، لا تعملوا عليها فإنها لا تصلح لكم، وإنما هي أوساخ الناس» (أبو نعيم عن عبد الله بن المغيرة الهاشمي، عن أبيه، وأكثر من عرف من الصحابة) . (كنز العمال) ١٦٥٣٤] ،

وعبد الله بن المغيرة من **أهل مصر**، يروي عن الثوري، روى عنه المقدام بن داود الرعيني، يغرب وينفرد. قال ابن حبان في:." (١)

"وقيل: لأربع وعشرين ليلة مضت منه، وله من العمر أربعون سنة. وهذا مروي عن عبد الله بن عباس [(١)] ، ...

[(١)] هو عبد الله بن عباس، حبر الأمة وفقيه العصر، وإمام التفسير، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم: العباس ابن عبد المطلب شيبة بن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر القرشي الهاشمي المكي الأمير رضي الله عنه.

مولده بشعب بني هاشم، قبل عام الهجرة بثلاث سنين. صحب النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من ثلاثين شهرا، وحدث عنه بجملة صالحة، وعن عمر، وعلي، ومعاذ، ووالده، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سفيان صخر بن حرب، وأبي ذر، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وخلق.

وقرأ على أبي، وزيد. قرأ عليه مجاهد، وسعيد بن جبير، وطائفة. روى عنه ابنه علي، وابن أخيه عبد الله بن معبد، ومواليه، عكرمة، ومقسم، وكريب، وأنس بن مالك، وطاووس، وخلق سواهم.

وكان وسيما جميلا، مديد القامة، مهيبا، كامل العقل، ذكي النفس، من رجال الكمال.

انتقل ابن عباس مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح، وقد أسلم قبل ذلك، فإنه صح عنه أنه قال:

كنت أنا وأمي من المستضعفين، أنا من الولدان، وأمي من النساء.

عن عكرمة، عن ابن عباس قال: مسح النبي صلى الله عليه وسلم رأسي، ودعا لي بالحكمة. قال الزبير بن بكار:

توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابن عباس ثلاث عشرة سنة. قال أبو سعيد بن يونس: غزا ابن عباس

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ١١/١

إفريقية مع ابن أبي سرح، وروى من أهل مصر خمسة عشر نفسا.

قال ابن عباس: «ضمني النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدره وقال: اللهم علمه الحكمة» ، والحكمة: الإصابة في غير النبوة، وفي لفظ: «علمه الكتاب» ، وهو يؤيد من فسر الحكمة هنا بالقرآن.

واختلف في المراد بالحكمة هنا، فقيل: الإصابة في القول، وقيل: الفهم عن الله، وقيل: ما يشهد العقل بصحته، وقيل: نور يفرق بين الإلهام والوسواس، وقيل: سرعة الجواب بالصواب، وقيل غير ذلك. وكان ابن عباس من أعلم الناس بتفسير القرآن.

وروى أبو زرعة الدمشقي في تاريخه، عن ابن عمر قال: «هو أعلم الناس بما أنزل الله على محمد» .

وقال مجاهد: ما رأيت أحدا قط مثل ابن عباس، لقد مات يوم مات وإنه لحبر هذه الأمة. ومسندة ألف وستمائة وستون حديثا، وله من ذلك في الصحيحين خمسة وسبعون. وتفرد البخاري له بمائة وعشرين حديثا، وتفرد مسلم بتسعة أحاديث. توفي ابن عباس سنة ثمان أو سبع وستين، وعاش إحدى وسبعين سنة.

* سير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٣١- ٣٥٩، التاريخ الكبير: ٥/ ٣، التاريخ الصغير: ١/ ٢٦، الجرح والتعديل: ٥/ ١١٦، المستدرك: ٣/ ٥٣٣، حلية الأولياء: ١/ ٣١٤، جمهرة أنساب العرب: ١٩، ٢٠، تاريخ بغداد: ١/ ١٧٣، جامع الأصول: ٩/ ٦٣، تهذيب الأسماء واللغات: ١/ ٢٧٤، وفيات الأعيان: ٣/ ٦٢- ٦٤، خلاصة تذهيب الكمال: ٢/ ٦٩، تاريخ الصحابة: ١٤٨، ١٤٩، أسماء الصحابة الرواة: ٤٠، فتح الباري: ج ٧ ص ١٢٥، ١٢٦ باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما، حديث رقم ٣٧٥٦.." (١)

"وأما حديث عبد الله بن جزء الزبيدي [(١)] رضي الله تبارك وتعالى عنه

فقال جعفر الفريابي: حدثنا عبد الله بن يوسف. حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن يزيد الضعيف. عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فصعد المنبر. فلما صعد أول درجة قال: آمين ثم صعد الثانية. فقال: آمين. ثم صعد الثالثة فقال: آمين، فلما نزل. قيل له:

رأيناك صنعت شيئا ما كنت تصنعه؟ فقال: إن جبريل تبدي لي في أول درجة فقال: يا محمد من أدرك والديه فلم يدخلاه الجنة فأبعده الله، ثم أبعده، فقال:

قل: آمين. فقلت: آمين. ثم قال في الثانية: من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له. فأبعده الله، ثم أبعده، فقلت: آمين. وقال في الثالثة: ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله، ثم أبعده: فقلت: آمين!.

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٢١/١

[(١)] هو عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن معديكرب بن عمرو بن عصم بن عمرو بن عويج بن عمرو بن زيد الزبيدي. حليف أبي وداعة السهمي، وله صحبة، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث حفظها، وسكن مصر، فروى عنه **المصريون**، ومن آخرهم: يزيد بن أبي حبيب.

توفي سنة (٨٥) أو (٨٨) . (أسماء الصحابة الرواة) : ١٣٢، ترجمة رقم (١٣٧) .." (١)

"وأما تفقه عبد الله بن عباس [(١)] رضي الله تبارك وتعالى عنهما بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك له

[()] مرسل، ورجالهما ثقات، إلا أن أبا السفر وأبا بردة بن أبي موسى لم يسمعا من خالد. والله تعالى أعلم. (مجمع الزوائد) : ٩/ ٣٥٠.

[(١)] هو عبد الله بن عباس البحر، حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير، وأبو العباس عبد الله، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، العباس بن عبد المطلب، شيبة بنى هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي الهاشمي المكي الأمير رضي الله تبارك وتعالى عنه. مولده بشعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاث سنين. وصحب النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من ثلاثين شهرا، وحدث عنه بجملة صالحة، وعن عمر وعلى، ومعاذ، ووالده، وعبد الرحمن بن عوف، وأبى سفيان صخر بن حرب، وأبي ذر، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وخلق. وقرأ على أبى بن كعب، وزيد. وقرأ عليه مجاهد، وسعيد بن جبير، وطائفة.

روى عنه ابنه على، وابن أخيه عبد الله بن معبد، ومواليه: عكرمة، ومقسم، وكريب، وأنس بن مالك، وطاووس، وخلق سواهم، وكان وسيما جميلا، مديد القامة مهيبا كامل العقل، ذكي النفس، من رجال الكمال. انتقل ابن عباس مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح، وقد أسلم قبل ذلك، فإنه صح عنه أنه قال: كنت أنا وأمى من المستضعفين: أنا من الولدان وأمي من النساء. عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: مسح النبي صلى الله عليه وسلم رأسي، ودعا لي بالحكمة. وقال الزبير بن كار: توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابن عباس ثلاث عشرة سنة. قال أبو سعيد بن يونس:

غزا ابن عباس إفريقية مع ابن أبي سرح، وروى عنه من **أهل مصر** خمسة عشر نفسا.

عن سعيد بن جبير، عن عبد الله قال: بت في بيت خالتي ميمونة، فوضعت للنبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ١١/٧٧

غسلا، فقال:

م ن وضع هذا؟ قالوا: عبد الله. فقال «اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين.

وقال مجاهد:

ما رأيت أحدا قط مثل ابن عباس لقد مات يوم مات وإنه لحبر هذه الأمة. قال أبو عبيدة في تسمية أمراء على يوم صفين: فكان على الميسرة ابن عباس، ثم رد بعد إلى ولاية البصرة. ومسندة ألف وست مائة وستون حديثا، وله من ذلك في (الصحيحين) خمسة وسبعون، وتفرد البخاري له بمائة وعشرين حديثا، وتفرد مسلم بتسعة أحاديث قال علي بن المديني: توفى ابن عباس سنة ثمان أو سبع وستين. (تهذيب سير أعلام النبلاء) : ١/ ١٠١- ١٠٢، ترجمة رقم (٢٨٥) .." (١)

"[المجلد الثالث عشر]

بسم الله الرحمن الرحيم

وأما إنذاره صلى الله عليه وسلم بغلبة المسلمين على الأعمال الدنيوية

خرج ابن يونس من طريق ابن وهب قال: حدثني عمرو بن الحارث وابن لهيعة عن بكر بن سوادة أن موسى بن الشعب حدثهم أن الوليد بن عتبة حدثه أنه انطلق هو وأبيض [رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم] [(١)] إلى رجل يعوده قال: فدخلت المسجد، فرأيت الناس يصلون، فقلت: الحمد لله، جمع الله بالإسلام بين الأحمر، والأبيض، والأسود، فقال: الأبيض والأسود فقال الأبيض: بصلاتكم وتجلسون مجالسكم وهو معكم في سوادكم، ولكل أمة منكم نصيب.

قال المؤلف: مثل هذا لا يقال بالرأي، وإنما يعلم بخبر الصادق والمصدوق، فيحمل على السماع، ويفسره ما خرجه ابن يونس من طريق ابن وهب، قال: حدثني موسى بن أبي الغافقي، عن سليط بن معية، عن أبيه أنه كان مع تبيع بن عامر الكلاعي بالإسكندرية مقفله من رءوس فقال: يا معشر العرب إذا اعتدت مسلمة الأرض على أربعة آباء فعليكم بالهرب قالوا: يا أبا عطيف إلى أين الهرب؟ قال: إلى الآخرة، فإن مسلمة الأرض سيغلبون على الدنيا وأعمالها.

وذكر ابن يونس أن معاوية بن خديج وفد على معاوية بن أبي سفيان فجعل يسأله عن أهل مصر ويخبره عنهم، فقال معاوية بن خديج: إني وجدت أهل مصر ثلاثة أصناف، فثلث ناس، وثلث أشبه بالناس، وثلث

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ١٢/١٢

لا ناس فقال ابن خديج: فسر لنا يا أمير المؤمنين هذا، قال: أما الثلث الذين هم الناس العرب، والثلث الذين يشبهون الناس الموالي، والثلث الذين هم لا ناس فالمسالمة.

قال المؤلف: قد ظهر مصداق ما يقدم من غلبة المسلمة فإن الشرق بات إنما يليه حقطاي، وهم تيمور، وهم حديثو عهد بالإسلام، والمغرب بأيدي البربر، ولمصر والشام الجراكسة، وقد حكموا بأرض مصر القبط، وأنه ليذكر فيما أراه وأسمعه قول ابن بسام:

[(١)] هو أبيض بن حمال.." (١)

"قال البيهقي: وبلغني أن في هذا إشارة إلى الفتنة التي كان فيها قتل عثمان سنة خمس وثلاثين، ثم إلى الفتن التي كانت في أيام على- رضي الله تبارك وتعالى عنه- وأراد بالسبعين- والله أعلم- ملك بني أمية، فإنه بقي ما بين أن استقر لهم الملك إلى أن ظهرت الدعاة بخراسان، وضعف أمر بنى أمية، ودخل الوهن فيه نحوا من سبعين سنة [(١)] .

وخرج البيهقي من حديث ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن ابن شماسة أن رجلا حدثه، عن عبد الرحمن بن عديس [(٢)] أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يخرج أناس يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلون في جبل لبان، أو الجليل، أو جبل لبنان [(٣)] .

وخرجه ابن يونس من حديث ابن لهيعة، عن عياش بن عياش، عن الهيثم بن شفي، عن عبد الرحمن بن عديس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يخرج ناس من أمتي يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلون في جبل لبنان والخليل [(٤)] .

ومن حديث ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب أن معاوية بن أبي سفيان- رضي الله تبارك وتعالى عنه- أخذ ابن عديس في زمن أهل مصر، فجعله في بعلبك، فهرب منه، فطلب سفيان بن مجيب فأدركه رجل رام من قريش،

[()] الناس لبني هاشم، فكان ذلك تلعثم أمور بني أمية، حيث شاركهم فيه بنو هاشم، فأطلق اسم نهاية أمرهم على بدايته، وقال: وإن بقوا بقي لهم دينهم سبعين سنة، يريد على ما كانوا عليه.

(الإحسان) : ١٥/ ٤٧- ٤٩.

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٣/١٣

[(١)] (دلائل البيهقي) : ٦/ ٣٩٤.

[(٢)] عبد الرحمن بن عديس بن عمرو بن كلاب البلوي، صحب النبي صلى الله عليه وسلم وسمع منه، وشهد فتح مصر، وكان فيمن سار إلى عثمان.

[(٣)] أخرجه يعقوب بن سفيان، والبغوي، وابن مندة، وابن السكن، وغيرهم، وهو في (كنز العمال) رقم (٣١٢٤٣) وعزاه إلى ابن مندة والطبراني والبيهقي وابن عساكر عن عبد الرحمن بن عديس.

[(٤)] راجع التعليق السابق.." (١)

"فأشار إليه بنشابة، فقال ابن عديس: أنشدك الله في دمي، فإني ممن بايع تحت الشجرة، فقال: إن الشجر كثير في الجبل، أو قال: الجليل فقتله، قال ابن لهيعة: كان عبد الرحمن بن عديس البلوي سار **بأهل مصر** إلى عثمان- رضي الله تبارك وتعالى عنه- فقتلوه، ثم قتل ابن عديس بعد ذلك [(١)] [بعام أو اثنين بجبل لبنان أو بالجليل] [(٢)] .

قال البيهقي: ورواه عثمان بن صالح، عن ابن لهيعة، عن عياش بن عياش، عن أبي الحصين، عن عبد الرحمن بن عديس بمعنى الحديث المرفوع ثم في قتله، ورواه عمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عبد الرحمن بمعنى الحديث المرفوع [(٣)] .

قال البيهقي: وبلغني عن محمد بن يحيى الذهلي أنه قال: عبد الرحمن البلوي هو رأس الفتنة لا يحل أن يحدث عنه بشيء،

وبلغني عن أبي حامد بن الشرقي أنه قال: حدثونا أن عبد الرحمن البلوي هذا خطب حين حصر عثمان، فقال ابن مسعود يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: عثمان أضل عيبة بفلاة عليها قفل ضل مفتاحها،

فبلغ ذلك عثمان فقال: كذب البلوي ما سمعها من عبد الله بن مسعود، ولا سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم [(٤)] .

قال المؤلف- رحمه الله-: قد روى الشاميون عدة أحاديث في مقتل عثمان- رضي الله تبارك وتعالى عنه- أورد منها الحافظ أبو القاسم بن عساكر جملة في تاريخ دمشق، ولما كلم على عثمان- رضي الله تبارك وتعالى عنه- عند ما بدأ الناس يعينونه، كان مما قاله لعثمان: وإني أحذرك أن تكون إمام هذه الأمة المقتول، فإنه كان يقال: يقتل في هذه الأمة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة.

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٢٠٧/١٣

[(١)] (دلائل البيهقي) : ٦/ ٣٩٤- ٣٩٥.

[(٢)] زيادة للسياق من المرجع السابق.

[(٣)] (دلائل البيهقي) : ٦/ ٣٩٥.

[(٤)] (دلائل البيهقي) : ٦/ ٣٩٥.." [(١)]

"وقال أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق وقال: قال عبد الله: خمس قد مضين: الدخان، واللزام، والبطشة، والفرس والروم.

وكان من خبر هذه الحادثة أن كسرى أبرويز بن هرمز ملك فارس تزوج مريم ابنة موريق قيصر ملك الروم فإنه من القسطنطينية دار ملك الروم في تحمل عظيم ومعها عسكر عدته سبعون ألفا نجدة له على أعدائه، فسار بهم إلى أذربيجان، وحارب عدوه بهرام جوهين وهزمه، وعاد إلى المدائن دار ملك الأكاسرة، فنوطه ملكه وأعاد عساكر الروم إلى بلادهم بالحباء والكرامة فلما كان بعد أربع عشرة سنة من ملكه ثار على موريق قائد له يقال له:

فوقاص وقتله، وملك بعده على الروم ودعي قيصر وتتبع أولاد موريق فقتلهم إلا واحدا منهم فر إلى كسرى أبرويز وأعلمه بما كان من قتل أبيه وإخوته، فغضب لذلك وندب فرحان يقال له شهربراز لمحاربة الروم على عساكر كثيرة، وأخرج معه قائد من قواده، فمضى أحدهما في طائفة من العسكر إلى الشام فخرب معابد الروم وقتل رجالهم وأسروهم وسبي ونهب الأموال وتهبط القدس، وبعث بخشبة الصليب إلى كسرى، ومضى القائد الآخر إلى مصر، وملك الإسكندرية وقد صالحه **أهل مصر** وسار فرحان شهربراز فوطئ الشلم ولقي جيوش الروم بأذرعات وبصري فهزمها وظفر، وسبى، وغنم، ومضى إلى بلاد الروم فقتل وسبي وخرب المدائن، وقطع الأشجار حتى نزل على خليج القسطنطينية، وبعث إليهم أهل صلوقية بعدة سفن تحمل المير، وعليها هرقل بن هرقل التونيس أحد البطارقة فسروا بقدومه، وجاءه الأعيان [فرضوا] منه عقلا رصينا، وحزما وافرا، وسياسة جيدة ورأيا صائبا، فكلمهم بما نزل بهم من الفتن والشدائد وطعن على الملك فوقاص قيصر وما زال بهم حتى رضوا به ملكا عليهم وخلفوا له فثار بهم على فوقاص وقبله واستبد بملك الروم، وكتب إلى كسرى أن يلتزم في كل سنة بحمل ألف قنطار من ذهب، وألف قنطار من فضة، وألف جارية بكر، وألف فارس، وألف ثوب أطلس، وأن يعجل قطيعة سنة، فالتزم ذلك وسأل أن يفرج عن حصاره وأن

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ١٣/ ٢٠٨

يمهله ستة أشهر حتى يخرج إلى الأعمال، ويحيى ذلك منها كل ذلك خديعة منه، فمشى على كسرى ذلك وأمرنا بالإفراج عنه فتنحت العساكر إلى بعض المروج وخرج هرقل من القسطنطينية بعد ما أقام عليها أخاه قسطنطين، وانتخب معه خمسة آلاف فارس، فأوغل في بلاد أرمينية، وقصد الجزيرة ونزل على نصيبين، وقائل أهلها حتى ملكها، وقتل." (١)

"الموتان بضم الميم وسكون الواو: هو الموت الكثير السريع وقوعه وكذلك شبهه كقعاص الغنم وهو يأخذ الغنم لا يلبسها أن تموت والعقص أن يضرب الإنسان فيموت مكانه سريعا فشبه الموتان به.

وخرج مسلم من طريق حرملة بن عمران التجيبي، عن عبد الرحمن بن شماسة المهري قال: سمعت أبا ذر- رضي الله تبارك وتعالى عنه- يقول:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة فاخرج منها قال: فمر بربيعة وعبد الرحمن بني شرحبيل بن حسنة يتنازعان في موضع لبنة فخرج منها [(١)]

-

ومن حديث حرملة، عن عبد الرحمن بن شماسة، عن أبي بصرة، عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فإذ فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما أو قال: ذمة وصهرا، فإذا رأيت رجلين يختصمان في موضع لبنة فاخرج منها قال: فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لبنة فاخرج منها [(٢)]

/ وروى ابن يونس من حديث ابن لهيعة، عن الأسود بن مالك الحميري، عن بحير بن داخل المعافري، عن عمرو بن العاص حدثني عمر أمير المؤمنين- رضي الله تبارك وتعالى عنه- أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا فتح الله عليكم بعدي مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض، قال أبو بكر- رضي الله تبارك وتعالى عنه- ولم يا رسول الله؟ قال: لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة [(٣)] .

قال قاسم بن أصبغ: حدثنا محمد بن وضاح، عن محمد بن مصفى حدثنا بقية، عن ابن أبي مريم قال: حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ١٧١/١٤

[(١)] (مسلم بشرح النووي) : ١٦/ ٣٣٠، كتاب فضائل الصحابة باب (٥٦) وصية النبي صلى الله عليه وسلم **بأهل مصر**، حديث رقم (٢٢٦) .

[(٢)] (المرجع السابق) : حديث رقم (٢٢٧) .

[(٣)] (كنز العمال) : ١٤/ ١٦٨، حديث رقم (٣٨٢٦٢) باختلاف يسير في اللفظ، وعزاه إلى ابن عبد الحكم في (فتوح مصر) وابن عساكر، وفيه لهيعة عن الأسود بن مالك الحميري، عن بحر بن داخر المعافري، ولم أر للأسود ترجمة، إلا أن ابن حبان ذكر في (الثقات) :

أنه يروي عن بحر بن داخر، ووثق بحرا.." (١)

"النبي صلى الله عليه وسلم قال: حوضه ما بين صنعاء والمدينة،

فقال له المستورد: ألم تسمعه قال الأواني؟ قال: لا، قال المستورد: ترى فيه الآنية مثل الكواكب [(١)] .

وخرج مسلم وأحمد من حديث عبد العزيز بن عبد الصمد العمى، عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت:

يا رسول الله، ما آنية الحوض؟ قال: والذي نفس محمد بيده، لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء، وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، وماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، ذكره في المناقب [(٢)] .

وله من حديث يزيد بن أبي حبيب، عن مرثد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد، ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات فقال: إني فرطكم على الحوض، وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة [(٣)] ،

[(١)] المرجع السابق، حديث رقم (٦٥٩٢) .

[(٢)] أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب (٩) إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وشفاعته، حديث رقم (٣٦) . وأخرجه أحمد في (المسند) : ٦/ ١٨٤- ١٨٥ عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، حديث رقم (٢٠٨٢٠) ، وأخرجه أحمد بنحو منه في المرجع السابق ٢/ ٢٥٦، حديث رقم (٥٨٧٧)

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ١٤/١٨٥

مسند عبد الله بن عمر.

[(٣)] الجحفة: بالضم ثم السكون، والفاء: كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة، فإن مروا بالمدينة فميقاتهم ذو الحليفة، وكان اسمها مهيعة، وإنما سميت الجحفة، لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام، وهي الآن خراب، وبينها وبين ساحل الحجاز نحو ثلاث مراحل، وبينها وبين المدينة ست مراحل.

وقال السكري: الجحفة: على ثلاث مراحل من مكة في طريق المدينة، والجحفة أول الغور إلى مكة، وكذلك هي من الوجه الآخر إلى ذات عرق، وأول الثغر من طريق المدينة أيضا الحجفة.

وقال الكلبي: إن العماليق أخرجوا بني عقيل، وهم إخوة عاد بن رب، فنزلوا الجحفة، وكان اسمها يومئذ مهيعة، فجاءهم سيل واجتحفهم، فسميت الجحفة.

ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة استوبأها وحم أصحابه، فقال: اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها، وانقل حماها إلى الجحفة.

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم نعس ليلة في بعض أسفاره، إذ استيقظ فأيقظ أصحابه وقال: مرت بي الحمى في صورة امرأة ثائرة الرأس منطلقة إلى الجحفة، (معجم البلدان) : ٢/ ١٢٩.." (١)

"ومن إعلامه في التوراة أيضا

قال الله لموسى في السفر الخامس: إني أقيم لبني إسرائيل نبيا من إخوتهم مثلك، أجعل كلامي على فمه، فمن إخوة بني إسرائيل إلا بنو إسماعيل كما تقول بكر وتغلب أبناء وائل، ثم تقول: تغلب أخو بكر، وبنو تغلب إخوة بني بكر، ترجع في ذلك إلى إخوة الأبوين، فإن قالوا: إن هذا النبي الذي وعد الله نقيمه لهم هو أيضا من بني إسرائيل، لأن بني إسرائيل إخوة بني إسرائيل، كذبتهم التوراة وألد بهم النظر، لأن في التوراة أنه لم يقم في بني إسرائيل نبي مثل موسى، وأما النظر:

فإنه لو أراد إني أقيم لهم نبيا من بني إسرائيل مثل موسى لقال: أقيم لهم من أنفسهم مثل موسى ولم يقل: من إخوتهم، كما أن رجلا لو قال لرسوله: ائتني برجل من إخوة بكر بن وائل لكان يجب أن يأتيه برجل من بني تغلب بن وائل، ولا يجب أن يأتيه برجل من بني بكر.

قال: ومن قول حبقوق [(١)] المتنبي في زمن دانيال ق ا ل حبقوق: وجاء الله من [اليتير] [(٢)] ، والتقديس من جبال فاران، وامتلأت الأرض من تحميده وتقديسه، وملك الأرض بيمينه ورقاب الأمم.

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٣٠٢/٣

وقال أيضا: تضيء له الأرض، ومحمد خيله في البحر، قال: وزادني بعض أهل الكتاب أنه قيل في كلام حبقوق: وستنزع في قسيك إغراقا، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء، وهذا إفصاح باسمه وصفاته، فإن ادعوا غير نبينا وليس ينكر ذلك من جحودهم وتحريفهم، فمن أحمد هذا الذي امتلأت الأرض من تحميده، والذي جاء من جبال فاران فملك الأرض ورقاب الأمم؟ قال:

***

[(١)] يبدو أن (حبقوق) تنبأ أثناء حكم يهويا قيم (٦٠٧- ٥٩٧ ق. م.) لكن من الصعب تعيين العصر بدقة، ويعتقد غالبية النقاد أن النبوة ترجع إلى زمن وقوع معركة كركميش (بين الكلدانيين **والمصريين** ٦٠٥ ق. م.) ويعتقد آخرون أن تاريخ النبوة كان قبل تلك المعركة بزمن وجيز (قاموس الكتاب المقدس) : ٢٨٨، وفيه أن حبقوق كان سبط لاوي.

[(٢)] هذه الكلمة غير واضحة في (خ) ، ولعل الصواب ما أثبتناه، ويتير: اسم عبري معناه «رفعه» وهي مدينة في جبال اليهودية خصصت للكهنة (المرجع السابق) : ١٠٥٣.." (١)

"السجن أحب إلي مما يدعونني إليه [(١)] ، وكذلك ابتلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالسجن في الشعب وضيق عليه فيه أشد الضيق مدة ثلاث سنين، حتى صنع الله بكيد أضعف خلقه وتسليطها على صحيفة مكر قريش التي عقدوها في قطيعته صلى الله عليه وسلم، فكان لنبينا من ذلك ما لم يكن ليوسف عليه السلام، لأن يوسف كانت محنته بالسجن من أجل أن امرأة العزيز دعته إلى نفسها فاستعصم، وكانت محنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإلجاء إلى الشعب قطيعة من ذوي رحمه، لأنه دعاهم إلى توحيد الله تعالى، وترك عبادتهم الأصنام، وشتان بين هذين المقامين من البون.

وعلم الله يوسف من تأويل الأحاديث- يعني عبارة الرؤيا- ولم يقص تعالى عنه سوى تعبير ثلاث منامات، ونقل عن نبينا من ذلك شيء كثير جدا، مما رآه ومما عبره لغيره فجاء كفلق الصبح.

ومكن تعالى ليوسف في الأرض- يعني أرض مصر خاصة- ونبينا مكن الله له ولأمته في الأرض كلها، وملك يوسف **أهل مصر** في زمن الغلاء، وقد ملك نبينا [صلى الله عليه وسلم] يوم الفتح جلة العرب وصناديد الحجاز وسماهم الطلقاء، فأحرز صلى الله عليه وسلم خصائص يوسف عليه السلام وزاد عليها، ولهذا ترقى عليه ليلة الإسراء ما شاء الله.

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٣٨٦/٣

[(١)] يوسف: ٣٣.." (١)

"الناس قال: وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانتشر ذكره في بلاد العرب كلها [(١)] .

وله من حديث يونس عن ابن إسحاق، عن شيخ من **أهل مصر**، عن عكرمة عن ابن عباس قال: قام النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فقال: يا معشر قريش، والله لقد نزل بكم أمر ما ابتليتم بمثله، لقد كان فيكم محمد غلاما حدثا، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر، قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم: شاعر، لا والله ما هو بشاعر، لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها، هزجه ورجزه وقريضه، وقلتم: مجنون، ولا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه، يا معشر قريش! انظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم، وكان النضر من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة [(٢)] .

وخرج مسلم من حديث عبد [الأعلى] [وهو أبو همام [(٣)]] قال: حدثنا داود عن عمرو بن سعيد عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه: أن ضمادا قدم مكة، وكان من أزد شنوءة، وكان يرقي من هذه الريح، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمدا مجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، قال: فلقيه فقال: يا محمد، إني أرقي من هذه الريح، وإن الله يشفي علي يدي من شاء، فهل لك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد، قال: فقال:

أعد علي كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، قال:

فقال: [لقد] [(٣)] سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن ناعوس البحر، فقال: هات يدك

[(١)] المرجع السابق: ٢٠١.

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٤/١٩٩

[(٢)] المرجع السابق: ٢٠١- ٢٠٢.

[(٣)] زيادة من (صحيح مسلم) .." (١)

"أعرفه بعدالة ولا جرح.

[()] وقد ينسب إلى جده. روى عن مالك والليث وبكر بن مضر، وحماد بن زيد، وعبد الله بن سويد المصري، وعبد الله بن لهيعة ومغيرة بن عبد الرحمن الحزامي، ويعقوب بن عبد الرحمن القارئ وعبد العزيز الدراوردي وعون بن سليمان القاضي، ومفضل بن فضالة، وضمرة بن ربيعة، وجماعة.

روى عنه البخاري، وروى مسلم وابن ماجة له بواسطة محمد بن عبد الله هو الذهلي، ومحمد بن عبد الله بن نمير، ومحمد بن إسحاق الصغاني، وسهل بن زنجلة، وحرملة بن يحيى، وأبو زرعة الرازي، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ومات قبله ابنه عبد الملك بن يحى بن بكير، ويحى بن معين، ودحيم ويونس ابن عبد الأعلى الصدفي، وبقي بن مخلد، وإسماعيل سمويه، ويحى بن أيوب بن بادى العلاف، ومحمد ابن إبراهيم البوشنجي، وأبو على الحسن بن الفرج الغزى وآخرون.

قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وكان يفهم في هذا الش أن، وقال النسائي: ضعيف، وقال في موضع آخر: ليس بثقة. وذكره ابن حبان في الثقات. قال ابن حجر في (تهذيب التهذيب) :

وقال أبو داود: سمعت يحى بن معين يقول: أبو صالح أكثر كتبا، ويحى بن بكير أحفظ منه. وقال الساجي: قال ابن معين: سمع يحى بن بكير الموطأ بعرض حبيب كاتب الليث، وكان شر عرض، كان يقرأ على مالك خطوط الناس، ويصفح ورقتين ثلاثة، وقال يحى: سألني عنه أهل مصر فقلت:

ليس بشيء.

وقال الساجي: هو صدوق، روى عن الليث فأكثر، وقال ابن عدي: كان جار الليث بن سعد، وهو أثبت الناس فيه، وعنده عن الليث ما ليس عند أحد. وقال مسلمة بن قاسم: تكلم فيه، لأن سماعه من مالك إنما كان بعرض حبيب. وقال الخليلي: كان ثقة، وتفرد عن مالك بأحاديث. وقال البخاري في تاريخه الصغير: ما روى ابن بكير عن أهل الحجاز، في التاريخ فإني أنفيه. وقال ابن قانع:

مصرى ثقة. له ترجمة في (تهذيب التهذيب) : ١١/ ٢٠٨، ترجمة رقم (٣٨٨) ، (الجرح والتعديل) : ٩/ ١٦٥، ترجمة رقم (٦٨٢) ، (المغنى في الضعفاء) : ٢/ ٧٣٩، ترجمة رقم (٧٠٠٥) ، (لسان الميزان) :

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٣٤٩/٤

٦/ ٢٣٢٥ ترجمة رقم (٩٢/ ٩١٦٦) ، وقال: شيخ مصرى عن عبد الرزاق، فذكر حديثا باطلا بيقين فلعله افتراه، والحديث المذكور أورده الحاكم في (المستدرك) في علامات النبوة ... وهذا موضوع على الإسناد المذكور، (ميزان الاعتدال) : ٤/ ٣٩١، ترجمة رقم (٩٥٦٤) .." (١)

"ابن الخطاب رضى الله عنه الطائف وصدقاتها، ثم ولاه أخوه معاوية بن أبى سفيان مصر بعد وفاة عمرو بن العاص، فمات بها بعد سنة وشهر في ذي الحجة سنة أربع وأربعين، ولم يكن في بنى أمية أخطب منه، وله أخبار عديدة [(١)] .

ويزيد بن أبى سفيان، أمه زينب بنت نوفل بن خلف بن قواله بن حذيفة بن طريف بن علقمة، جذل الطعان بن فراس بن غنم بن كنانة، أسلم يوم الفتح، وشهد حنينا، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بعير، وأربعين أوقية، وبعثه أبو بكر رضى الله عنه في سنة اثنتي عشرة إلى فلسطين فيمن بعث، فشهد أجنادين، ثم ولاه عمر رضى الله عنه على فلسطين، ثم ولى الشام، ومات في طاعون عمواس [(٢)] .

ومحمد بن أبى سفيان، أمه وأم أخيه عنبسة بن أبى سفيان: عاتكة بنت

[(١)] خطب أهل مصر يوما- وهو وال عليها- فقال: يا أهل مصر، خف على ألسنتكم مدح الحق ولا تأتونه، وذم الباطل وأنتم تفعلونه، كالحمار يحمل أسفارا يثقل حملها، ولا ينفعه علمها، وإني لا أداوى داءكم إلا بالسيف، ولا أبلغ السيف ما كفاني السوط، ولا أبلغ السوط ما صلحتم بالدرة، وأبطئ عن الأولى إن لم تسرعوا إلى الآخرة، فالزموا ما ألزمكم الله لنا تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا، وهذا يوم ليس فيه عقاب ولا بعده عتاب، (الاستيعاب) : ٣/ ١٠٢٦، ترجمة رقم (١٧٦٢) ، (الإصابة) : ٥/ ٦٠، ترجمة رقم (٦٢٤٨) .

[(٢)] هو يزيد بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، كان أفضل بنى أبى سفيان، كان يقال له: يزيد الخير، أسلم يوم فتح مكة، وشهد حنينا، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين مائة بعير وأربعين أوقية، وزنها له بلال، واستعمله أبو بكر الصديق، وأوصافه، وخرج يشيعه راجلا.

قال ابن إسحاق: لما قفل أبو بكر من الحج- يعنى سنة اثنتي عشرة- بعث عمرو بن العاص، ويزيد ابن أبى سفيان، وأبا عبيدة بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة إلى فلسطين، وأمرهم أن يسلكوا على البلقاء، وكتب

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٢٦٥/٥

إلى خالد بن الوليد فسار إلى الشام، فأغار على غسان بمرج راهط، ثم سار فنزل على قناة بصرى، وقدم عليه يزيد بن أبي سفيان، وأبو عبيدة بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة، فصالحت بصرى، فكانت أول مدائن الشام فتحت.

ثم ساروا قبل فلسطين، فالتقوا بالروم بأجنادين، بين الرملة وبيت جبرين، والأمراء كل على حدة، ومن الناس من يزعم أن عمرو بن العاص كان عليهم جميعا، فهزم الله المشركين، وكان الفتح." (١)

"وبلال المؤذن [(١)] ، وسيرد ذكره إن شاء الله في المؤذنين، وكان على نعمائه أيضا.

وذو مخمر [(١)] ، ويقال: ذو مخبر، وهو ابن أخى النجاشي، كان من الحبشة، يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، حديثه في (مسند الإمام أحمد) ، في ذكر نومه عليه السلام عن صلاة الفجر [(٢)] .

وسعد [(١)] ،

قال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود، حدثنا أبو عامر عن الحسن، عن سعد مولى لأبى بكر رضى الله عنه، وكان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يعجبه خدمته، فقال: يا أبا بكر، أعتق سعدا، فقال: يا رسول الله! ما لنا غيره، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعتق سعدا، أتتك الرجال [(٣)] .

[قال أبو داود: يعنى السبي] ، وعند ابن ماجة طرفا منه.

ومهاجر [(١)] ، مولى أم سلمة رضى الله عنها، قال: خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، أو خمس سنين، فلم يقل لشيء صنعته لم صنعته؟ ولا لشيء تركته لم تركته؟ قال ابن يونس: يكنى أبا حذيفة، صحب النبي صلى الله عليه وسلم، وحضر فتح مصر، واختط بها، ثم إنه خرج إلى صعيد مصر فأوطن طما، مات بها سنة ستين، وليس لأهل مصر عنه إلا حديث واحد، رواه عنه بكر مولى عمرة بنت حسين بن يحيى بن عبد الله بن بكير أنه قال: خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع سنين.

[(١)] سبق أن أشرنا إلى مصادر ترجمتهم.

[(٢)] (مسند أحمد) : ٤/ ٩٠- ٩١، حديث رقم (١٦٣٨٣) .

[(٣)] (مسند أحمد) : ١/ ١٩٩، حديث رقم (١٧١٨) .." (٢)

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٢٦٢/٦

(٢) إمتاع الأسماع المقريزي ٣٦٤/٦

"الأول سنة سبع وأربعين، وتوفى بمصر سنة ثمان وخمسين، ودفن بقرافتها، وقبره معروف.

قال الوليد بن مسلم: حدثنا هشام بن الغاز، عن يزيد بن يزيد بن جابر، عن القاسم، عن عقبة بن عامر- وكان صاحب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء، الذي يقودها في الأسفار- قال: قدت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته رتوة من الليل، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أنخ، فأنخت، فنزل عن راحلته، ثم قال: اركب يا عقبة، فقلت: سبحان الله! أعلى مركبك يا رسول الله؟ وعلى راحلتك؟ فأمرنى فقال: اركب، فقلت أيضا مثل ذلك، ورددت ذلك مرارا حتى خفت أن أعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فركبت راحلته ورحله، ثم زجر الناقة فقامت، ثم قاد بى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولأهل مصر عن عقبة نحو مائة حديث [(١)] يروونها عنه [(٢)] .

[(١)] قال ابن حزم في (أسماء الصحابة الرواة) : له خمسة وخمسون حديثا، شهد صفين مع معاوية، وشهد فتوح الشام، وهو كان البريد إلى عمر بفتح دمشق، وكان من أحسن الناس صوتا بالقرآن، وكان عالما بالفرائض والفقه، فصيح اللسان، شاعرا، كاتبا، وهو أحد من جمع القرآن، له ترجمة في: (الثقات) : ٣/ ٢٨٠، (التاريخ الكبير) : ٦/ ٣٤٠، (التاريخ الصغير) : ٢/ ١٢٣، (الأعلام للزركلى) : ٤/ ٢٤٠، (سير الأعلام) : ٢/ ٤٦٧، (حلية الأولياء) : ٢/ ٨، (الجرح والتعديل) :
٦/ ٣١٣، (أسماء الصحابة الرواة) : ٧٩، ترجمة رقم (٦٠) ، (الإصابة) : ٤/ ٥٢٠- ٥٢١، ترجمة رقم (٥٦٠٥) ، (الاستيعاب) : ٣/ ١٠٧٣- ١٠٧٤، ترجمة رقم (١٨٢٤) .

[(٢)] وقد ذكر ابن الجوزي في (الموضوعات) ، باب أسماء مراكبه وسلاحه، حديثا طويلا، وفيه: «وكانت له بغلة تسمى دلدل» وقال: هذا حديث موضوع، وفيه آفات، منها عبد الملك وهو العزرمى، وقد تركه شعبة، ومنها على بن عروة، قال يحيى: ليس بشيء، وقال أبو حاتم الرازي:
متروك الحديث، وقال ابن حبان: يضع الحديث، ومنها عمر بن عبد الرحمن، وقد قدحوا فيه.
(الموضوعات لابن الجوزي) : ١/ ٢٩٣.." (١)

"عن أبي حازم، عن سهل بن سعدان، أن النبي صلى الله عليه وسلم [كان] يأكل البطيخ بالرطب [(١)] .

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٧/٢٢٣

ومن حديث وهيب عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أن نبي الله [صلى الله عليه وسلم] كان يعجبه [الجمع] بين البطيخ والرطب [(١)] .

وخرج الحاكم من حديث مطر الوراق، عن قتادة، عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأخذ الرطب بيمينه، والبطيخ بيساره، فيأكل الرطب والبطيخ، وكان أحب الفاكهة إليه. قال: هذا تفرد به يوسف بن عطية عن مطر، ولم يحتجا به، وإنما يعرف هذا المتن بغير هذا اللفظ، من حديث عائشة رضى الله عنها [(٢)] . وخرجه ابن حيان أيضا من طريق مطر [(٣)] .

وخرج الترمذي في (الشمائل) من حديث جرير، عن حميد، عن أنس قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بين الخربز والرطب [(٤)] .

[(١)] (سنن الدارمي) : ٢/ ١٠٣، باب من لم ير بأسا أن يجمع بين الشيئين، وفيه: «القثاء بالرطب» ، لكن أخرجه الترمذي في (السنن) : ٤/ ٢٤٦- ٢٤٧، كتاب الأطعمة، باب (٣٦) ما جاء في أكل البطيخ بالرطب، حديث رقم (١٨٤٣) ، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، رواه بعضهم عن هشام بن عروة عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل، ولم يذكر فيه عائشة رضى الله عنها وقد روى يزيد ابن رومان عن عروة عن عائشة هذا الحديث.

[(٢)] (المستدرك) : ٤/ ١٣٤، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٧١٣٧) ، قال الذهبي في (التلخيص) : تفرد به يوسف [وهو واه] .

وأخرجه الحميدي في (المسند) : ١/ ١٢٤، حديث رقم (٢٥٥) .

[(٣)] (أخلاق النبي) : ٢١٥- ٢١٦.

[(٤)] (الشمائل المحمدية) : ١٦٥، حديث رقم (٢٠٠) ، والخربز: بكسر الخاء هو البطيخ، وقيل: هو معرب عن الفارسية، والمراد النوع الأصفر [الشمام كما يسميه **أهل مصر**، وأجوده ما كان من الإسماعيلية إحدى محافظات مصر] فإن فيه برودة يعدلها الرطب.

والحديث أخرجه كل من: الإمام أحمد في (المسند) : ٣/ ٦٠٦، حديث رقم (١٢٠٤١) ، وأبو الشيخ في (أخلاق النبي) : ٢١٥، ٢١٧، من طريقي عبد الله بن أبي بكر العنقى، ومسلم بن إبراهيم.

وبالجملة فهو حديث صحيح الإسناد، ورجال إسناده ثقات.." (١)

---

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٣١٧/٧

"والمفضل بن فضالة هذا: شيخ بصري [(١)] ، المفضل بن فضالة: شيخ آخر مصرى [(٢)] أوثق من هذا وأشهر. وقد روى شعبة هذا الحديث عن حبيب ابن الشهيد عن ابن بريدة، أن ابن عمر أخذ بيد مجذوم، وحديث شعبة أثبت عندي وأصح. ذكره في الأطعمة [(٣)] .

[(١)] هو المفضل بن فضالة بن أبى أمية القرشي، أبو مالك البصري، أخو مبارك بن فضالة مولى آل الخطاب. قال الدوري عن ابن معين: ليس بذاك، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، وقال الآجري عن أبى داود: بلغني عن علي أنه قال: في حديثه نكارة، وقال الترمذي: شيخ بصرى، والمصري أوثق منه وأشهر. وقال النسائي ليس بالقوى، وذكره ابن حبان في (الثقات) : له في السنن حديثه عن حبيب عن ابن المندر، عن جابر: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد مجذوم فوضعه معه في القصعة ... الحديث. وزعم بعضهم أنه أخو الفرج بن فضالة وليس بشيء. قال الحافظ ابن حجر: هذا قول ابن حبان. قال ابن عدي: لم أر له أنكر من هذا، يعنى حديث جابر. (تهذيب التهذيب) : ١٠/ ٢٤٤، ترجمة رقم (٤٩٢) مختصرا.

[(٢)] هو المفضل بن فضالة بن عبيد بن ثمامة بن مزيد بن نوف الرعيني ثم القتباني أبو معاوية المصري قاضيها، قال إسحاق بن منصور عن ابن معين: ثقة، وقال الدوري عن ابن معين: رجل صدوق، وقال أبو زرعة: لا بأس به، وقال أبو حاتم وابن خراش: صدوق في الحديث، وقال ابن يونس: ولى القضاء بمصر مرتين، وكان من أهل الفضل والدين، ثقة في الحديث، من أهل الورع.

ذكره أحمد بن شعيب. يوما وأنا حاضر فأحسن الثناء عليه ووثقه، وقال: سمعت قتيبة بن سعيد يذكر عنه فضلا، وقال الآجري عن أبى داود: كان مجاب الدعوة.

ولد سنة سبع ومائة، وقال البخاري: مات في شوال سنة إحدى وثمانين. قال الحافظ ابن حجر:

وذكره ابن حبان في (الثقات) ، وذكره ابن سعد في الطبقة الخامسة من **أهل مصر**، وقال: كان منكر الحديث. قال عيسى بن حماد: كان مجاب الدعوة، طويل القيام مع ضعف بدنه. (المرجع السابق) : ترجمة رقم (٤٩٣) مختصرا.

وذكر أيضا: المفضل بن فضالة بن المفضل بن فضالة حفيد الذي قبله، روى عن أبيه عن جده، ذكره ابن حبان في (الثقات) ، وابن يونس في تاريخه وقال: مات سنة أثنيت وخمسين ومائتين (المرجع السابق) : ترجمة رقم (٤٩٤) .

وذكر أيضا: المفضل بن فضالة النسوى أبو الحسن، روى عن إبراهيم بن الهيثم البلدي، وعنه أبو أحمد بن

عدي. هو والذي قبله متأخران، لا يشتبهان بمن قبلهم. (المرجع السابق) : ترجمة رقم (٤٩٥) .

[(٣)] (سنن الترمذي) : ٤/ ٢٣٤، عقب الحديث رقم (١٨١٧) .." [١]

(١) إمتاع الأسماع المقريزي ٢٩/٨